لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان

بشار بن برد

لناشره ومقدمه وشارحه ومكمله
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة السيد

محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس

الجزء الأول

علق عليه ، ووقف على طبعه

[محمد رفعت فتح الله] و [محمد شوقى أمين]

الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر — المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

[بيان]

تفضل حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد أمين بك رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فعهد إلينا فى مراجعة هذا الجزء من ديوان بشار بن برد الذى تولى تحقيقه وشرحه الأستاذ العلامة السيد محمد الطاهر ابن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس .

وقد قمنا بهذه المهمة ، فوضعنا بين أيدينا المخطوطة الأصلية للديوان ، والنسخة التى نقلها الشارح منها ، وما كتبه هو من شروح .

وكان مجمل عملنا ما يأتى .

* معارضة المخطوطة بنسخة الشارح ، والتنبيه على ما بينهما من تفاوت .
* مراجعة الشروح ، وتحرير ما هو مظنة تَنَى فى الكتابة ، أو سهو فى نقل النصوص .
* التعليق على ما كتبه الشارح فى المواطن التى رأيناها تستوجب التعليق .
* معالجة ما فى الشعر من تحريف سكت الشارح عنه ، أو اتجه به وجهة لاح لنا سواها .
* تبيين ما غمض من لفظ أو أشكل من معنى ، مما لم يتناوله الشارح .
* الوقوف على طبع الجزء ، وإصلاح تجاربه ، والدلالة على أوراق المخطوطة بوضع أرقامها فى هوامش هذه المطبوعة .

وقد التزمنا أن نجعل ما كتبناه بين هاتين الحاصرتين [ ] ، فصلا بينه وبين ما كتب الشارح ، وإخلاء لعهدته من تبعة ما أجرينا به القلم .

محمد رفعت فتح الله
الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر

محمد شوقى أمين
المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

مقدمة لديوان بشار بن برد

لناشره ومكمله وشارحه

محمد الطاهر بن عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

بشار بن برد

نسبه

هو بشار بن بُرْد بن يَهْمَن (وقيل ابن يرجوخ) بن أذركند بن بَنِيبرسان (وقيل شروستان) بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهَيْذار (أو ماهيفان) بن ناذان (أو دادان) ابن بَهْمن بن أذركند بن حسيس بن مَهْرَاز بن خَسْرُوان بن أخشين بن شهرزاذ (أو شهرداذ) بن بيول (أو نبوذ) بن ماخرُشاذا . . . . (أو ماخرشيذا انماذ) بن شَهْرِبان ابن بُنْدار بن سيحان (أو بنداراسيحان) بن مَكرز بن أذرس بن بشتاسف الملك (أو يستاسب) بن لَهْرَاسف الملك (أو يهراسب) بن فتوخى(أو فنوخى) بن كَيْشَن (أو كيمنش) ابن كبانيه (أو كيابنه) بن كِيقَباذ الملك بن راى بن بوذكاب بن ماشوى بن نوذ (أو نوذر) ابن مَنُوشهر الملك بن كبانيه بن منشَجُورانا بن بدك نروسبح (كذا) إبراهيم الخليل . وقد بينت ضبطها فى أول شرح الديوان .

هذا سياق نسبه ، مأخوذاً كامله من أول الديوان ، وهو موافق فى بعضه لما فى ترجمته من كتاب « الأغانى » ومن تاريخ الخطيب البغدادى ، إذ لاتوجد سلسلة نسبه كاملة إلا فى هذا الديوان ، ونجد فى بعض الأسماء مخالفة بين مافى الديوان وما فى « الأغانى » وتاريخ الخطيب ، ومن ترجمة « الشاهنامه » فى أسماء من عُدَّ فى أجداده من ملوك الفرس ، وقد وضحتُ ذلك فى شرح ديباجة الديوان . وفى هذه السلسلة أفراد من ملوك الفرس ، فلذلك كان بشار يفتخر بمَحْتِده ، وسيأتى أن أباه هو أول من أسلم ، وهم لم يذكروا ماذا كان اسمه قبل إسلامه ، وأحسب أن اسمه يرجوخ ، ولذلك وقع اضطراب فى سياقة نسب « برد » هل هو برد بن بهمن أو ابن يرجوخ ، فلعل ذلك من وجدانهم اسم يرجوخ عقب اسم برد على وجه البدلية ، فظنه بعضُ الناقلين اسمَ والد بُرد . وتسميةُ العبيد بِبُرْد معروفة

عند العرب ، فقد كان ليزيد بن مُفَرِّغ الحميرى من شعراء صدر الدولة الأموية غلام اسمه بُرْد ، باعه أو بيع عليه فى دين ، فأسف على بيعه ، فقال :

وشَرَيْتُ بُرداً ليتَني   من بعد بُرد كنتُ هامَهْ(١)

وبشار من الموالى من أبناء الفُرس بلا خلاف ، قال أبو الفرج عن حُميد بن سعيد قال : كان بشار من شَعب أدرس بن يستاسب الملك بن يهراسب الملك . اهـ .

وهو من خراسان ، وقد افتخر بذلك فى شعره فقال :

وإنى لِمنْ قومٍ خراسانُ دارهم   كرامٍ وفرعى فيهمُ ناظر بَسَق(٢)

ذكر ذلك الجاحظ فى البيان والتبيين .

وقال أيضاً(٣) :

مِن خراسانَ وبيتى فى الذرى   ولدى المَسْعاةِ فرعى قد بسق

وقال أيضاً(٤) :

أبى خراسانُ وأدعو عامرا   أكرمَ حيٍّ أولاً وآخرا

وقال أيضاً(٥) :

نمَتْ فى الكرام بنى عامر   فروعى وأصلى قريشُ العجَمْ

قيل : أراد بقريش العجم أشراف الفرس ، وقيل : أراد مواليَ قريش من الفرس ، نقله الخفاجى فى شفاء الغليل عن ابن المعتز فى كتاب البديع . وقيل : قريش العجم هم الأكراد ، ولا يصح هذا لأن بشاراً وصم الأكراد بقطع الطريق فى قصيدته التى طالعها : «بكَرا صاحِبَىَّ قبلَ الهَجير» التى امتدح بها سَلم بن قتيبة ، والصواب أنه أراد ماقاله عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب الرد على الشعوبية : أن أهل خراسان لم يزالوا فى ملك العجم لَقاحاً لايؤدون إلى أحد إتاوة ولا خراجا . اهـ . وقد كانت قريش تلقب باللقاح لأنهم لم يدينوا لملك من الملوك .

وأما رفع نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام فذلك من أغلاط ثلة من المؤرخين والقصاصين القاصرين الذين توهموا أن الفرس من ذرية إبراهيم ، وذلك لم يقله أحد من

(١) [شريت ، هنا : بعت] .

(٢) [فى نسخة من البيان والتبيين : ناضر] .

(٣) تجده فى الملحقات .

(٤) فى الورقة ٢٥٥ من الديوان المخطوط .

(٥) تجده فى الملحقات .

علماء الأنساب ، والمظنون أن ذلك من موضوعات بعض مؤرخى الفرس فى الإسلام ، إذ يرومون التقرب من العرب .

وكان بشار مولى لبنى عُقيل بن كعب من بنى عامر ، وقع أبوه برد فى الفَىْء فى سبى المهلب من أعجام ماوراء النهر فى حدود سنة ٨٠ ، وأصله من طخرستان[1] فصار عبداً لخِيرَة القُشَيرية زوج المهلَّب بن أبى صُفرة ، ثم وهبته مولاتُه خِيرةُ لامرأة من بنى عُقيل ، وتزوج عند امرأة المهلب .

وكان برد طيّاناً[2] حاذقا ، وُلد له بشار وهو عند العُقيلية ، وأعتقت العقيلية بشاراً بعد موت أبيه ، فصار مولى عُقيل ، ولذلك كان أئمة الأدب يلقبونه ببشار العُقيلى ، وقد قال فى شعره :

إننى من بنى عُقيل بن كعب   موضعَ السيفِ من طُلَى الأعناقِ

وقال :

وقامتْ عُقيـل من ورائى بالقنا   حِفَاظاً وعاقدتُ الهمامَ المحجبا

وفى البيان للجاحظ عن حَمّاد عجرد أنه كان يقول : إن بشاراً مولى لبنى سَدُوس ، كان مولى امرأة منهم يقال لها ظباء . والتحقيق أن بشاراً كان ينزل فى بنى سدوس كما فى أمالى الشريف المرتضى ، وليس مولى لهم ، وكيف يكون مولاهم وهو قد افتخر على أبى المنذر جرير السدوسى بقوله :

أمِثْـــلُ بنى مُضَرٍ وائِلٌ   فديتُك من فاخرٍ ما أجَن[3]

وربما انتسب بشار إلى وَلاء قَيس عَيلان ، وقد افتخر بهم وبمواقعهم ، وأدخل نفسه فيهم فى قصيدته التى طالعها : « جفا وده فازورَّ أو مَلَّ صاحبه » . وفى قوله مع قيس :

وما نلقاهُمْ إلا صـــدَرْنا   برِىءٍ منهمُ وهُمُ حِرَارُ

وأما انتماؤه إلى بنى عامر فكثير فى كلامه ، وقد قال :

نَمَتْ فى الكرام بنى عامر   فروعى وأصلِى قريشُ العجم

---

(١) [فى الأغانى وياقوت وابن خلكان : طخارستان] .

(٢) [الطيان : من يعالج الطين فيضرب به لبنا ، واللبن : مايضرب من الطين للبناء] .

(٣) [رواية الأغانى : فقدتك ، بدلا من : فديتك] .

قال الصفدى فى شرح رسالة ابن زيدون : كان بشار يتلوّن فى ولائه ، فتارة يدعى لقيس ، وتارة يدعى لغيرهم . ا هـ . وإن الذى يسمع بشاراً ينتسب إلى عُقيل بن كعب وإلى بنى عامر وإلى قيس عَيلان يظن ذلك تلوناً ، والحق أن ذلك ليس من التلوّن فى ولائه ، لأن بنى عُقيل بن كعب هم من بنى عامر بن صعصعة ، وبنو عامر بن صعصعة هم من قبائل قيس عَيلان بن مضر ، إذ عُقيل هو ابن كعب بن ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيلان ، ويقال قيس بن عَيلان بن مضر . فما قاله الصفدى قصور فى تقصى أنساب العرب .

اسمه وكنيته ولقبه

صرح بشار باسمه فى موضعين فيما بين أيدينا من شعره : الأول قوله فى ورقة ٢٥٦ :

* ليس ابن نِهيا من رجال بشار *

والثانى قوله فى (الملحقات) :

إذا أنشـــد حماد　　　فقـل أحسن بشار

وكان بشار يكنى أبا مُعاذ ، وكان يلقب بالمرعَّث بفتح العين المشددة ، والرعث بالتحريك الاسترسال والتساقط ، أو هو مشتق من رَعْثة الديك وهى اللحمة الحمراء المتدلية تحت حنك الديك . وقيل : لقب بذلك بسبب وقوع هذه الكلمة فى شعره ، إذ يقول :

قال ريمٌ مرعّثٌ　　　ساحرُ الطَّرْفِ والنظرْ

لســتَ والله نائِلِى　　　قلتُ : أو يغلِبَ القَدَر

فيكون من جملة الشعراء الذين لُقبوا بكلمات وقعت فى أشعارهم . وقيل : لأنه حين كان صغيراً كان فى أذنيه قُرطان ، والقُرط يسمى الرَّعْثة . وقيل : لأنه كان لقميصه جَيْبانِ يميناً وشمالا ، فشبهت تلك الجيوب بالرَّعْثة(1) ، يدل لهذا قوله فى ورقة ١٤٨ :

لما رأت لحيـــة منى مرعّثة　　　خضراً وحمراً وصفراً بينها جُددا

قالت لِترب لها كانت موطّنة　　　جاء المرعث فائتِى عندكِ الوُسُدا

---

(١) [فى الأغانى : فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليها] .

وقد لقّب نفسه بالمرعّث فى هذا البيت فى الديوان وفى قوله المشهور :

أنا المرعّثُ لا أخفَى على أحـد ... ذرّتْ بىَ الشمس للقاصى وللدانى

وفى قوله فى ورقة ٤١ :

حتى يقولَ النـــاس بينهم ... شغفُ المرعثِ داخلُ الحبِّ

وقوله فى ورقة ١٣٢ :

فُتِنَ المرعّث بعد طول تصاحٍ ... وصَبَا ومَلَّ مقالةَ النُّصّاح

والأقرب أنه لُقّب به لأنه كان فى أذنه رَعثة ، وذلك يكون لأحد سببين : أحدهما أن بعض النساء يجعل قُرطاً للولد الذكر يزعمون أن ذلك يطيل حياته فتفعله المِقلاة[1] ليعيش ولدها ، فلعل أمه كانت ثَـكِلَتْ أولاداً قبله ، والسبب الثانى أن الفُرس كان من عادتهم ثقب أذن المملوك النفيس ، ووضع قُرط ذهب فى أذنه ، ولذلك يلقب المماليك عندهم بمثقوبى الآذان ، كما جاء فى بعض فقرات السعدى فى كتاب قلستان[2] ، وفى هذا المعنى قول عمر ابن الوردى :

مرّ بنا مقــرطَق ... ووجهه يحكى القمر[3]

قلت : أبو لؤلؤة ... منــه خُذوا ثارَ عُمَر

فلعل هذه العادة نقلت فى العرب ، فعمل بها موالى بشار فى أذن بشار

أهــله

أم بشار رومية كانت أمة لرجل فى الأزد ، زوّجتها بُردا مولاته خِيرةُ القُشَيرية ، وقد قال بشار :

وقيصرُ خالى إذا عَدَدتُ يوماً نسبى

قيل : إن مولى أم بشار الأزدىّ لما ولدت بشاراً أمُّه أعطاها الأزديُّ فى صداق ساقه لامرأة من بنى عُقيل تزوجها الأزدى ، فأعتقت العقيليةُ بشاراً لـكونه أعمى .

(١) [فى اللغة : المقلات : المرأة التى لايعيش لها ولد ، أو ذات الولد الواحد ، يقال : أقلتت فهى مقلت ومقلات] . (٢) [فى المصادر : جلستان] .

(٣) [فى بعض المصادر : مقرط ، بدل : مقرطق] .

ووقع فى هجاء هجاه به حماد فى الأغانى مايدل على أن اسم أم بشار غزالة .

وكان له أخوان ، يسمى أحدهما بِشرا ، والآخر بَشِيرا ، وكانا قصَّابَين ، وكان بشار بارًّا بهما ، والذى حققه الجاحظ فى البيان والتبيين(١) أنهما أخواه لأمه لا لأبيه ، وذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان(٢) أن أخويه أحدهما حنفى والآخر سدوسى ، و بشاراً عقيلى ، أى بالولاء جميعهم . وذكر كلاما لأخيه بشر يؤذن بأنه كان عربى الفصاحة . قلت : وقد مدح بشار أحد أخويه بقصيدة(٣) وذكر فيها أنه كفاه عن التكسب بالشعر والتعرض للملوك . قالوا : وكان أخوا بشار مَئُوفَيْن(٤) أيضاً : أحدهما أعرج والآخر ناقص اليد . وقد قال حماد عجرد فى بشار وأخويه :

لقد ولدتْ أم الأُكَيْمِهِ أعرجا   وآخرَ مقطوع القفا ناقص العضد

وقال صفوان الأنصارى يخاطب أم بشار :

ولَدْتِ خُلْدا وذِيخاً فى تشتمه   و بعدَه خُزَزًا يشتد فى العضد

ثلاثة من ثلاثٍ فُرِّقوا فِـرَقا   فاعرفْ بذلك عرق الخالِ من ولد

الُخلْد : ضرْب من الجرذان يولد أعمى، والذِّيخ : ذَكَر الضباع وهو أعرج ، والخُزَزُ : ذكر الأرانب وهو قصير اليدين .

وزوجة بشار اسمها أمامة ، كذا وقع فى شعر هجاه به حماد عجرد فى ترجمة حماد من الأغانى .

وولد لبشار ابن اسمه محمد توفى صغيراً ، وجزِع عليه جزعاً شديدا ، ورثاه بقصيدة فى ورقة ٥٥ ، ويظهر أن بشاراً لم يترك عقبا ، أو انقطع عقبه قريباً من وفاته ، لأنطاهر ابن الحسين لما دخل العراق سأل : هل بقى من ولد بشار أحد ؟ فقالوا له : لا ، وكان همَّ أن يصلهم . ووُلدت له بنت وماتت ورثاها .

وقالوا فى صفة جنازته : إنها لم يسر وراءها أحد إلا أمة سوداء سندية ، وفى الموشح للمرزبانى فى ترجمة عباس بن الأحنف عن عمر بن شَبَّة قال : رآنى محمد بن بشار بن برد

---

(١) انظر صفحة ٤١ من الجزء ١ .   (٢) انظر صفحة ١٤ من الجزء ٧ .
(٣) تجدها فى ورقة ٧٢ من الديوان .   (٤) أى مصابين بآفة .

وأنا أكتب شعر العباس بن الأحنف ، وكنت أقرأ عليه شعر أبيه، فقال : والله لاأقرأتك شعر أبي وأنت تكتب هذا . اهـ . فدل على أنه كان له ولد عاش بعده ، فلعله تركه صغيراً وشب ثم مات ولم يخلف عقبا ، لأن عباس بن الأحنف نشأ بعد بشار .

مولده ونشأته ووفاته

ولد بشار بالبصرة ، وكان مولده سنة ست وتسعين تقريباً ، ونشأ بالبصرة ، واشتهر شعره فيها ، وسكن حَرّانَ مدة ، وتنقل فى البلاد مدة ، ثم رجع إلى البصرة ، كما سيأتى ، ثم سكن بغداد ، وتُوفى فى بغداد سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، على ما حققه الخطيب فى تاريخ بغداد ، وقيل سنة ست وستين ومائة ، قاله ابن الأثير فى الكامل ، ولا يصح . وشاخ حتى ابيض رأسه ولحيته ، قيل : نيف على التسعين (بتقديم التاء) وقيل على السبعين (بتقديم السين) ، والأول تحريف من قلم النساخ . ثم لا شك أن بشارا حين توفى تجاوز السبعين ، يشهد لذلك قوله فى قصيدته التى طالعها :

« أباهلَ إنى للحروب عِدادُ » .

وهى فى هجاء أبى هشام الباهلى ، فقال فيها :

وحسبك أنى منذ ستين حِجّة   أكيدُ عفاريتَ العِدا وأكادُ

فلا شك أن يكون ابتداء كيده بعد بلوغ عشر سنين ، ومهاجاته لأبى هشام كانت فى عصر المهدى العباسى . كما يدل عليه قوله فى قصيدته التى هجا بها أبا هشام الباهلى التى طالعها : « أباهلَ إنى حين لاح قتيرى » إذ يقول فى إعراضه عن فحش القول :

فقلت مَعاذَ الله لست بفاعل   نهانى أمير المؤمنين أميرى

ومعروف أن الذى نهاه هو المهدى . ومما يزيد تحديد عمر بشار ضبطا أنه مدح المهدى سنة ثلاث من خلافته أعنى سنة إحدى وستين ومائة بالقصيدة التى قال فيها (على رواية الأغانى) :

وأخرجنى من وِزر خمسين حجةً   فتى هاشمىٌ يقشعر من الوزر[1]

ولا شك أنه يعتبر فى الوزر من وقت تكليفه و بلوغه مبلغ الرجال ، فتأخذ خمسا

(١) الموجود فى الديوان : « من وزر سبعين حجة » ورواية الأغانى أصح ، يعضدها البيت الذى من القصيدة الدالية .

وستين سنة من قبل سنة ١٦١ ، فيكون مولد بشار سنة ست وتسعين أو خمس وتسعين أو سبع وتسعين . وسنذكر سبب وفاته ، وصفة قتلته .

صفته

كان بشار ضخما عظيم الخَلْق مفرط الطول عظيم الوجه أعمى أكمه جاحظ العينين قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان قبيح العمى مجدور الوجه ، وقد ضُرب المثل بقباحة عينه ، فقالوا : « كعين بشار بن برد » ذكره الثعالبي فى ثمار القلوب ١٧٩ ، قال : وفى ذلك قال مخلد بن على السلامى يهجو إبراهيم بن المدبِّر [ويدعو عليه] :

رأيتك لا تحب الودَّ إلا   إذا ما كان من عصَب وجِلدِ
أرانى اللهُ وجهك جاحظيا   وعينك عين بشار بن برد

وكان قد ولد أعمى فهو أكمه ، وفى ذلك قال :

عَميتُ جنيناً والذكاء من العمى   فجئت عجيبَ الظنِّ للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافداً   بقلبٍ إذا ما ضيَّع الناسُ حصّلا(١)

وكان إذا أراد أن ينشد شعراً صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وعن شماله ، ثم ينشد . قال الجرجانى فى كتاب الكنايات ١٤ عن أبى عبيدة : كان بشار إذا أراد الشعر نفث. وقال أبان بن عبد الحميد : حضرت بشاراً يوماً فى دهليزه كأنه جبل نفخ فيه الروح . ووصف بشار لحية نفسه ، فقال على لسان جارية :

ألصَقَ بى لِحية له خَشُنَتْ   ذاتَ سواد كأنها الإبَرُ

عمى بشار

بشار فى عِداد شعراء كثيرين أصيبوا بالعمى ، وأول شعراء التاريخ فى العميان الشاعر اليونانى هوميروس صاحب أناشيد الإلياذة والأوديسة ، ومن الشعراء العميان فى الجاهلية معن ابن أوس ، ومن الشعراء العميان فى الإسلام حسان بن ثابت وأبو العباس الأعمى السائب

(١) [فى الأغانى وتاريخ بغداد : حصلا] .

المكى ، وصالح بن عبد القدوس ، وأبو العَيْناءِ محمد بن قاسم ، والمؤمّل ، وأبو العلاء المعرى ، وابن العلاّف الحسن النّهْرَوانى ، والرَّقّ أبو شَبَانَة[١] ربيعةُ بن ثابت ، وسعادة الحمصى واسمهُ سعيد ، وسليمان بن مسلم بن الوليد وهو ابن صريع الغوانى ، وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان : هو أخو مسلم بن الوليد ؛ وابن الموصلايا العلاء بن الحسن البغدادى ، وموفق الدين مظفر المصرى ، وسبط التعاويذى محمد ، والعكَوَّك على بن جبلة ، وأبو الزهر نابت الهجّاء ، ومحمد بن خلصة النحوى الشاعر ، وأبو بكر الأسْعردى محمد بن عبد العزيز ، والصَّرْصَرى يحيى البغدادى ، وهمام بن غانم[٢] السعدى البغدادى ، وكان مجدور الوجه مثل بشار ، وشافع بن على العسقلانى ثم المصرى . ومن المغاربة الأُعَيمى التُّطيلى أحمد الأشبيلى ، وابن البقال عبد العزيز الخُشَنىّ القيروانى . ومحمد بن جابر الأندلسى ، وعلى بن عبد الغنى الحصرى القيروانى ، وابن الخواص القيروانى .

وكان بشار يعُدّ للعمى محاسن منها ما ذكرناه آنفاً ، ويأتى بعضها فى ذكر مُلَحه .

ومن اللطائف ما فى الأغانى فى ترجمة أبى زَكّار الأعمى ص ٢١٣ جزء ٦ عن حماد ابن إسحاق قال : غنى علّويه يوماً بحضرة أبى ، فقال أبى : مَهْ هذا الصوت معروف[٣] فى العَمى ، الشعر لبشار الأعمى والغناء لأبى زكّار الأعمى وأول الصوت : عميت أمرى .

ومع أن بشاراً كان أعمى فإنه لم يكن يأتى فى شعره بما يناسب العمى ، فإذا قرأت شعره لم تشعر بأنه أعمى ، وذلك من فرط دقة علمه ووصفه للأشياء ، إلا قوله فى ورقة ١٧٨ :

فأتيتهُنّ مع الجرِىّ يقودنى   طَرِبًا ويالكَ قائداً ومَقُودا

لباســـه

كان يلبس قيصا وجُبّة ويجعل لها جُرُبّانَين فى جهة الصدر والنحر ، أى جيبين ،

---

(١) [فى خزانة الأدب : أبو أسامة] .

(٢) [فى نكت الهميان : همام بن غالب] .

(٣) [فى بعض نسخ الأغانى : معرق] .

ويجعل الجيبين واسعين ، ويجعل للجيبين لِبْنتين ، أى رقعتين من القماش واللون[١] ويشد اللبنتين بأزرار ، فإذا أراد أن ينزع القميص أو الجبة أطلق الأزرار ، فيسقط القميص أو الجبة على الأرض ، ولا ينزع قميصه من جهة رأسه قط . كذا فى البيان للجاحظ[٢] .

قال فى الأغانى : وكان لبشار أخوان ، وكان بارًّا بهما ، فكانا يستعيران ثيابه فيوسخانها ويُنتنان ريحها ، إذ كانا قصابين ، فاتخذ لنفسه قميصا له جيبان ، وحلف ألّا يُعير أخويه ثيابه ، فكانا يأخذانها بغير إذنه ، فإذا دعا ببعضها فلبسه أنكر رائحته ، [فإذا] أعياه الأمر، خرج إلى الناس فى تلك الثياب على نتنها ووسخها فيقال له : ما هذا يا أبا مُعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صِلةِ الرحم !

خُلقـــه

كان بشار سيئ الخلق ، سريع الغضب ، سريع الهجاء ، متجاهرا بالسكر ، مفتخرا بالزنى. وكان من خلقه محبة اللذات والتنعم ، وقد عرفه الناس بذلك ، ولذلك قال فى ورقة ١٨٢ :

ليسَ النعيم وإن كنـا نُزَنّ به إلا نعيم سُهَيـــل ثم حمّـادِ

[وكان] قوىّ الرد على من خالفه ، كثير المحادثة ، كثير فلتات اللســان ، وكان بذىء اللسان ، شديد الأذى .

قال الخطيب فى تاريخ بغداد عن أبى عبيدة : كان بشار يقول الشعر وهو صغير ، وكان لا يزال قوم يشكونه إلى أبيه ، فيضربه ، حتى رقّ عليه من كثرة ما يضربه .

ويظهر من أخباره الآتية أنه كان شـجاع القلب ، قليل الاكتراث بالمخاطر ، قويا فى الثبات على رأيه ، وكان نزّاعا إلى العصيان والثورة .

قال فى الأغانى : كان يُفســد موالىَ العرب عليهم ، ويدعوهم إلى الانتفاء منهم ، ويُرغبهم فى الرجوع إلى أصولهم وتركِ الولاء .

وقد ذكروا من شعره قوله يريد نفسه أو يخاطب بعض الموالى :

أصبحتَ مَولَى ذى الجلال وبعضُهم مَولى العريب فخذْ بفضلك وافْخَر

(١) اللبنة بكسر اللام وسكون الموحدة : الرقعة ، وقولهم : من القماش واللون ، أى من قماش القميص ولونه . (٢) انظر صفحة ٦٦ جزء ٣ .

[مولاكَ أكرمُ من تميم كلِّها أهل الفَعَال ومن قريش المَشْعَر]
فارجع إلى مولاكَ غيرَ مدافع سبحانَ مولاكَ العليِّ الأكبر

بداهة جوابه وملحه

جلس يوما عند المهدى أمير المؤمنين ومعه أبو دُلامة ، فافتخر بشار بحب النساء إياه ، فقال أبو دُلامة : كلا ! لوجْهك أقبح من ذلك ووجهى مع وجهك ، فقال بشار : كلا ! والله ما رأيتُ رجلا أصدقَ على نفسِه وأكذبَ على جليسه منك .

وحضر يوما فى دار المهدى والناس ينتظرون الإذن ، فقال المُعَلى بن طريف أحدُ موالى المهدى لمن حضر : ما عندكم فى معنى النَّحل من قول الله تعالى : ﴿ وأوحَى ربك إلى النحل ... ﴾ إلى قوله : ﴿ يخرُجُ من بطونها شراب مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ ، فقال بشار : النحل التى يعرفها الناس ، قال : هَيْهاتَ يا أبا معاذ ، النحلُ : بنو هاشم ، وقوله يخرُجُ من بطونها شراب الآية يعنى العلم ، فقال بشار : أرانى الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتَنا غَثاثةً . وبلغ الخبرُ المهدىَّ فدعا بهما ، وحدثه بشار بالقصة فضحك المهدى حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للمعلَّى : أجلْ فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرُجُ مِن بطون بنى هاشم فإنك بارد غث .

ومدح المهدىَّ بقصيدة فلم يجزه ، فقيل له : حَرَمكَ أميرُ المؤمنين ، فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهرُ ماخُشى صرفُه على أحد ، ولكننى كَذَبْتُ فى العمل فكُذِبْتُ فى الأمل .

وقال له أبان بن عبد الحميد : يا أبا معاذ ، أنت القائل :

إنَّ فى بُرْدَىَّ جسمًا ناحلاً لو توكَّأْتِ عليه لانْهدَمْ

وأنت القائل :

فى حُلَّتَى جسْمُ فتًى ناحلٍ لو هبَّتِ الريحُ به طَاحَا

قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى لو أن الله بعث الرياحَ التى أهلكَ اللهُ بها الأممَ الخاليةَ ماحرَّكَتك منْ موضعك ! ولكنْ ماسلب الله سراجَىْ أحد

إلا عوّضه منهما ذكاء قلب أو شجا صوت ، فما الذى عوضك الله منهما ؟ فقال بشار : عدمُ النظر إلى ابن فاعلة مثلك منذ أربعين سنة(١) .

وكان بشار يعطى أبا الشَّمَقْمَق الشاعرَ مائتى درهم كل سنة ، فقال له أبو الشمقمق فى بعض السنوات : أين الجزْية ؟ فقال : أوَ جِزية هى ، قال : نعم . قال بشار : أنت أفصح منى وأعلم بمثالب الناس ؟ قال : لا ، قال : فلِمَ أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ، قال: إن هجوتنى هجوتك ، فقال أبو الشَّمَقْمق :

إنى إذا ماشاعرٌ هجــانِيَهْ ولجَّ فى القول له لِســانِيَهْ
أدخلتُه فى أست امه عَلاَنِيَهْ بشارُ يابشارُ . . . .

فوثب بشار ووضع يده على فم أبى الشمقمق ولم يتركه ينطق ببقية البيت ، لأنه علم أنه سيقول : « يا بن الزانية » .

واستصنع بشار قباء عند خياط أعور ، فلما أتاه به قال الخياط : ياأبا معاذ هذا القباء لا تدرى : أقباء هو أم دُوّاج ؟ فقال بشار : لأقولنّ فيك بيتاً لا يدرى سامعُه ألكَ دعوتُ أم عليك ؟ وقال :

خاطَ لى عَمْرُو قبَاَ ليتَ عينيــه سَوا
قلتُ بيتاً ليس يُدرَى أمــديح أم هِجَا ؟

وإن التعمق فى اكتناه خُلق بشار ينبئ بأنه كان مضطرب النزعة جاريا وراء ظِلال الدول والمذاهب ، لا قرار له فى شىء من ذلك سعياً وراء منفعته ووجاهته ، ولم يكن ذلك بالذى يهز المتقلدين للشوكة والدولة ، لعلمهم بأنه ليس ممن يُخشى انحرافه ولا ممن تنفع عصبيته ، وما هو إلا شعره يُشَيِّر به حسن سمعة الممدوح ، وذلك مما يكتفى به القائم بالدولة ، لأن تأثير الأقوال تأثير وقتى يحصل منه المقصود فى وقت صدوره ، فقد كان بشار من أنصار الدولة الأموية ، وله مدائح فى مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، ثم مدح خلفاء العباسيين وعرّض بالأمويين .

---

(١) من مجموعة عتيقة أظنها لأبى القاسم الأصفهانى بخزانة جامع الزيتونة عدد ٤٥١٦ .

قالوا : لما ثار إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علىّ على المنصور مدحه بشار بقصيدة هجا فيها أبا جعفر المنصور ، وهى التى طالعها :

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عما قليــــل بسالم
فرُم وَزَرًا يُنجيك يابن سَلامَةٍ[1] فلستَ بناجٍ مِن مَضِيمٍ وضائم

وقال فيها فى مدح إبراهيم :

مِن الفاطميين الدُّعاة إلى الهدَى جِهارا، ومَنْ يَهديكَ مِثل ابنِ فاطم ؟

فلما انتصرت جنود المنصور على إبراهيم فى تلك السنة خاف بشار ، فغيَّر تلك القصيدة وجعلها مدحا فى المنصور وهجاء لأبى مسلم الخراسانى ، فصيَّر قوله : « أبا جعفر » « أبا مسلم » وصير « يابن سلامة » « يابن وشيكة » وهو اسم أم أبى مسلم ، وصير قوله : « من الفاطميين » « من الهاشميين » وقوله : « مثل ابن فاطم » « مثل ابن هاشم » هكذا ذُكرت هذه القصة فى كتب الأدب ، وهى لا توافق تاريخ ظهور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ومقتل أبى مسلم ، فإن أبا مسلم قتل سنة ١٣٧ وظهور إبراهيم كان سنة ١٤٥ بجهات البصرة ، فالظاهر أن القصيدة وضعها حين ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن ، وظن بشار أنه يتم له الأمر ، فما رأى اختلال أمره أخفاها ثم غيّرها قريبا فى نكبة أبى مسلم .

مجلســـه

كان لبشار فى داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه « البَرْدان »[2] ، ومجلس يجلس فيه بالعَشِىِّ اسمه : « الرقيق » .

وفى كتاب النزهة لحفيد وكيع بن خلف[3] فى الورقة ٤ : حضر بشار مجلسًا فقال : لا تجعلوا مجلسنا هذا شعراً كله ، ولا غناء كله ، ولا حديثاً كله ، ولكن تناهبوه ، فإن العيش فرصة .

---

(١) سلامة هى أم أبى جعفر المنصور ، قال ابن حزم فى جمهرة الأنساب : هى أم ولد بربرية ، قيل : نفزية ، وقيل : صنهاجية .

(٢) سماه باسم موضع خارج بغداد يسمى البردان بفتح الباء وفتح الراء ، وقد عسكر به المهدى حين تجهز لغزو الروم سنة ١٦٣ .

(٣) كتاب نفيس فى الصحبة والأصحاب يوجد فى خزانة كتبى بخط عتيق نسخ سنة ٤٦٣ ولم أقف على اسم مؤلفه ، إلا أنه يقول : حدثنى جدى وكيع بن خلف .

اعتقـــــــاده

ليس البحث عن اعتقاد بشار شديدَ الصلة بتعريف قيمة أدبه وشعره ؛ فإن لدينا من بلغاء شعراء العربية من هو مشرك ، وهم معظم شعراء الجاهلية ، ومن هو مؤمن ، وهم معظم شعراء الإسلام ، ومن هو متدين بغير الإسلام كالأخطل والسموأل ، ومنهم من شرب من الصفو والكدر كلبيد وحسان ، وكل هؤلاء لا نجد لاعتقادهم أثراً فى رفعة شعرهم . غير أن الناس قد عُنوا فى قرون الإسلام الأولى بالخوض فى عقائد أصحاب الشهرة ونحلهم ومذاهبهم ، فأصبح هذا البحث من تكملة تراجم أولئك المشاهير ، و بشار ممن أخذ بأوفَر حظ من هذا الخوض منذ القدم ، لأن لاعتقاده أثراً فى حياته ، فكان حقاً علينا أن نتابع الباحثين من رجال الأدب ، فنشفع القول ببيان عقيدة بشار ومقدار إيمانه من الصلابة .

إذا أردنا استخراج عَقد بشار من شعره لم نجد فى شعره أثراً من الدلالة على مايكنه اعتقاده من إيمان أو إلحاد ، كما لا نجد فى شعر معظم الشعراء آثاراً على عقائدهم ونحلهم ، ولولا أن الشرك كان عادة من عادات العرب انتظمت عليه أمورهم لمَا كان فى شعر شعراء الجاهلية أثراً من آثار الشرك إلا نادراً ، بل إن الموجود فى شعر بشار من جانب الاعتقاد هو مايجرى على عقائد المسلمين الخالصين . و بالرغم مما ألصق بشعر بشار من أبيات مصنوعة قصد بها أعداؤه إلحاق الأذى به فى حياته أو تبرير صَنيع الذين فتكوا به فى مماته ، فنحن مُلجَأونَ حين البحث عن عقد بشار إلى اقتناص ذلك من مجموع مايؤثر عنه من الأقوال والنزعات وغيرها ، عَلَى ما فى معظمها من الرِّيَب ، وأنها — وإن كانت قد ألصقت به — لا تشبه نظم شعره .

كان الرمى بالزندقة والإلحاد قد طلع قرنه من أثناء القرن الأول الإسلامى ، ثم بلغ أشده فى العصر الذى عاش فيه بشار ، بما عظم من المخالفات الاعتقادية والتعصبات المذهبية وقضاء الأوطار السياسية ، وكان مبدأ ظهور الدولة العباسية بُوقاً نفخت فيه تُهَمُ الإلحاد زفيرها ، وضربت عليه السياسة طبل نفيرها ، إذ أراد دعاة العباسية أن يحلوا من قلوب الأمة مَحلّ الدولة الأموية ، وكانت الأموية قد أينعت محبتها فى قلوب أوليائها ، وهم الجم الغفير ، بما كان لخلفائها وأمرائهم من الأواصر العربية ، وما شبّ فى عصرهم من النهضة الأدبية ،

وما ملك قلوب عامتهم من المكارم والعطايا الذهبيـة ، وكان ينازع العباسيين فى الدعوة دُعاةُ الطالبيين ، وكان الطالبيون أهلَ سخاء وتسامح ، ولم يكن لدُعاة العباسية من هذه الوسائل ماهو قرابٌ لما ارتكزت عليه الصلة الأموية والقرابة الطالبية ، فابتكروا فى إيجاد جاذبة هى أعلى وأعظم من كل ما كان يَجلب للأمويين والطالبيين قلوبَ الناس . هنالك كان ابتكار الجاذبة الدينية ؛ من مَتّ بأقرب قُربَى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتظاهرِ بتأييد الإسلام ، ورميِ أضدادهم بالاستخفاف بهذا الجانب ؛ وإن أحق من يرمونه بهذه الهَناة من كان من ملوك الأموية وشيعتها ، كما نسبوا إلى الوليد بن يزيدَ من التجاهر بالمُروق مالا يروج على ذى عقل حَصيفٍ صدورُه من خليفة المسلمين .

وكان المهدى العباسى قد انبرى لتطهير مملكته من المخالفين ، وشدّد التنقيب على الذين يُنسَبون إلى الزندقة ، ولا شك أنه كان يُرائى بذلك ، فإن بشاراً مدحه بقوله :

يصبّ دماء الراغبين عن الهدَى كما صُبّ ماء الطبية المترجرجُ

وأحسب أن المهدى كان يريد الاستعانة بذلك على إماتة نزعة التظاهر بالعصبية الفارسية والشعوبية ، فكانوا يَصِمون أبناء الفُرس بالزندقة ، ويتهمونهم بأنهم يُسرُّون عقيدة دينهم الأول ، ولذلك سَمّوْا الإسرار بالكفر زندقة ، مشتقة من الزند ، وهو كتاب دين الفرس القديم كما سيأتى . وقد جاء فى حوادث سنة ١٦٣ أن المهدى لما خرج إلى غزو الروم وبلغ إلى حلب أرسل فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة ، فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين ، وأقام لهذه الأعمال خطة يُسَمّى صاحبها صاحب الزنادقة ، وقد وَلِيَها عثمانُ بنُ نَهِيك وعُمر الكَلْوَاذانى (بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الواو وبعدها ألف ثم ذال معجمة بعدها ألف ، منسوب إلى بلد يسمى بكَلْوَاذَى قرب [بغداد]) ، ومحمد بن عيسى بن حمدويه[١] فقتل من الزنادقة خلقاً كثيراً .

وذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ١٦٦ أن المهدى أخذ داود بنَ رَوْح بن حاتم ، وإسماعيل بن مُجالد ، ومحمد بن أبى أيوب المكى ، ومحمد بن طيفور ، بالزندقة ، فاستتابهم ، وخلى سبيلهم ، وبعث داود إلى أبيه وهو بالبصرة ، وأمره بتأديبه .

---

(١) قال ابن الأثير فى حوادث سنة ١٦٨ : وفيها مات الكلواذانى صاحب الزنادقة وولى على بن عيسى بن حمدويه .

وذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ١٥٥ أن عبد الكريم بن أبى العَوجاء حُبس بالكوفة على الزندقة فى زمن أبى جعفر المنصور ، حَبَسه عاملُ الكوفة محمدُ بن سليمان ابن على بن عبد الله بن عباس ، ثم قتله بدون أمر المنصور ، وغضب المنصور على عامله وعزله.

وذكر صاحب الأغانى (١) أن على بن الخليل الشاعر رمى بالزندقة لاتصاله بصالح بن عبد القدوس ، ثم ثبتت براءته فأطلق ، وقَتَل المهدى (٢) صالح بن عبد القدوس الشاعر فى سنة ١٦٧ على تهمة الزندقة ، مع ما أفصح صالح عنه من البراءة وصحة الإيمان .

أقول إتماماً لذكر الزنادقة : وفى سنة ١٦١ قتل المهديُّ محمدَ بنَ أبى عبيد الله وزيرِ المهدى على تهمة الزندقة ، ثم قَتَل الهادى فى سنة ١٦٩ علىَّ بنَ يقطين من الزنادقة ، الذى ذكره بشار فى بعض شعره . ويعقوبَ بن الفضل بن عبد الرحمن [بن عباس] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان أقر بالزندقة لدى المهدى فسجنه ، لأنه كان أقسم ألا يقتلَ هاشميا ، وعهِد للهادى أنه إنْ ولى الخلافة يقتله . ومن الزنادقة أحد أولاد داودَ بنِ على بن عبد الله بن عباس ، سُجن ومات فى السجن سنة ١٦٩ . وكان يونسُ بن [أبى] فروة ويزيدُ ابن الفَيض قد اختفيا منذ زمن المهدى ولم يزالا مختفيين حتى سنة ١٧٥ .

وكان الخلفاء قد يظهرون الشدة فى ذلك ، يشايعون أميال العامة . ذكر ابن الأثير أن المنصور لما غضب على محمد بن سليمان بن على عاملِه على الكوفة ، لقتلِه عبدَ الكريم ابنَ أبى العوجاء على تهمة الزندقة ، كتب المنصور كتاباً يهدِّد فيه محمد بن سليمان ويأمر بعزله ، وأخبر بذلك عمه عيسى بن على ، فقال له عيسى : إن محمداً إنما قتله على الزندقة ، فإن كان أصاب فهو لك ، وإن أخطأ فعليه ، ولئن عزلته على إثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن بالقالة من العامة عليك . فمزّقَ الكتاب .

والزندقة : اسم اشتقه العرب من كلمة زندو بالفارسية الدالة على كتاب الفرس المقدس الذى يقال له بالفارسية (الزندوفستا) وهو كتاب مانى الذى يُدعى أتباعه المانوية ، ويقال لهم الثنوية ، لأنهم يثبتون إلهين اثنين . فقالوا : تزندق إذا اعتقد اعتقاد مجوس الفُرس ، أى

---

(١) صفحة ١٤ جزء ١٣ طبع بولاق .

(٢) [ماهنا كما فى نكت الهميان ، والذى فى الأغانى أن القاتل الرشيد لاالمهدى] .

انتسب للزندو ، ثم اشتقوا منه « زندقة » للاعتقاد ، و « زنديق » للمعتقد ، ثم أطلقوه على من يُسِرّ هذا الاعتقاد ، فلا يسمّون المجوسى المتظاهر بالمجوسية زنديقاً ، ثم صار اسم الزندقة اسماً عِلميا فى الفقه ، يدل على من يظهر الإسلام و يبطن الكفر ، سواء كان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية أم بالدهرية أم بغير ذلك ، ولذلك قالوا : الزنديق يرادف المنافق ، وخصّوا المنافقَ بمبطن الكفر فى زمن الرسول عليه السلام والزنديقَ بمبطن الكفر بعد ذلك الزمن .

وكان مما يَصير به المرء معرّضاً إلى تهمة الزندقة أن يكون فارسى الأصل ، أن يُؤْثَر عنه بُغضُ العرب ، أو أن يكون من أهل الخلاعة والمجُون أو المزح فى الأمور الراجعة إلى العبادات ، أو أن يكون منكراً لشىء من أصول الشيعة العباسية ، أو أن يكون لايحفظ من القرآن شيئاً ، فقد أُخِذ بذلك محمد بن أبى عبيد الله وزيرِ المهدى ، حسبما ذكره ابن الأثير فى حوادث سنة ١٦١ . هذا والمهدى لم يكن له من أصالة الرأى ما كان للمنصور والسفاح ، فأغرَق فى تقصّى أحوال الناس والرمى بالزندقة .

وقد كان تلقيب أبى جعفر المنصورِ ابنَه محمداً بالمهدىّ تمهيداً إلى تأييد الدولة به و إيهام أنه المهدىّ الذى يزعمه الشيعة والذى جعلوا ظهوره فيما يسمونه بآخر الزمان من أصول اعتقادهم وتأييد الدين به ، ووضعو فى ذلك آثاراً رووها ؛ يدلّنا على ذلك أن بعض السلف كان ينكر هذا اللقب ، فقد ذكر الغزالى فى كتاب الأمر بالمعروف من إحياء علوم الدين أن ابن أبى ذئبٍ وسفيانَ الثورىّ حضرا[1] مجلساً وَعَظَ فيه ابنُ أبى ذئب أبا جعفر المنصورَ وقال له فى آخر الموعظة : «والله إنى لأَنْصَحُ لك من ابنك المهدى » ، فلما انصرف ابن أبى ذئب قال له سفيان : لقد سرّنى ماخاطبتَ به هذا الجبّار ، ولكنْ ساءنى قولك له « ابنك المهدى » فقال ابن أبى ذئب : يغفر الله لك يا أبا عبد الله ، كلّنا مهدى ، كلنا كان فى المَهْد .

فأراد المهدى أن يظهر فى مَظهر المؤيِّد للدين المحيى لعقيدة الإسلام وسيرة السلف ، فأظهر من ذلك ثلاثَ خِلال شهد بها التاريخ ، وهى الشدة فى تقصّى الزندقة ، والإعراض عن

(١) [نص ما فى الإحياء يدل على أن سفيان لم يكن حاضر المجلس ، وإنما لقى ابن أبى ذئب بعد انصرافه منه ، فجرى بينهما الحديث] .

الشعر الغزلى ، حتى نهى بشاراً عن الغزل ، وحتى أعرض شاعره أبو العتاهية عن ذلك الشعر وقَصَر شعره على الزهد والحكمة . الثالثة إفراطه فى الغيرة على النساء و إغلاظ الحجاب ، ليحقق بذلك أنه المهدى المنتظر ، ولذلك ظهر فى زمانه الحديث الموضوع « المهدى مِنّا ، واسمه يواطىء اسمى ، واسم أبيه يواطىء اسم أبى » والخليفة المهدى اسمه محمد بن عبدالله ، وهو ابن عم الرسول ، فهو منه . وقد مدحه ابنُ المَوْلَى محمد بنُ مَوْلَى الأنصار بقوله :

إلى القائم المهدىِّ أَعْمَلْتُ ناقتى بكل فَلاةٍ آلها يترقرقُ

ومعلوم أنهم يرمون بذلك إلى إيهام أن الناس قد فسدوا والباطل قد عمّ فى زمن بنى أمية ، فلا جَرَمَ أن يكون المَهْدىّ العباسىّ مجدِّد الدين ومالئ الأرض عدلاً بعد أن ملِئَتْ جوراً ، كما جاء فى الأثر الموضوع . والعامة لايدركون من معنى العدل إلا مثلَ هذه الظواهر ، لأنهم فى غفلة عن جزئيات الحوادث ودقائق الجور والعسف . وقد أشار بشار إلى شىء من ذلك فى مديحه للمهدى . انظر البيت التاسع من الورقة ٧٨ والتعليق عليه ، وقد قال بشار يمدحه (فى الورقة ٢٦٧) :

وعندكَ عهد من وصَاةِ محمد فرَعْتَ بها الأملاكَ من وَلَدِ النضرِ

كانَ بشار من شيعة الأموية ، نبغ فى زمانها ، وامتدح خلفاءها وأمراءها ، ثم كان من شيعة إبراهيم بن الحسن بن على ، وكان أيضاً من المتساهلين فى دينهم المتظاهرين بالفواحش . لخَلِيقٌ بمن وُسم بهاتين الوصمتين أن تتطرقَ إليه الظنونُ ، وأن تُنْسَب إليه الزَّنْدَقَةُ فى مظهر ذلك المجون .

نُسِبَ بشار فى تكفيره إلى دين الثنوية والمجوسية والبَرْهَمِيّة والسُّمَنية ، ونُسب فى إسلامه إلى الرفض و إلى الشعوبية و إلى مذهب الرجعية القائلين بأن علىّ بن أبى طالب سينزل مرة ثانية كما ينزل عيسى ، وأن جميع الأمة كفروا حين عدلوا عن بيعة علىّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونسب أيضاً إلى الإلحاد المحض والتعطيل ، وسنفصل ذلك .

والذى أذهب إليه أنه كان مستهتراً غير محترز فى أقواله فى مجالسه من لوازم مفضية إلى الإلحاد ، يجرى ذلك منه مَجْرَى المزح والهزل ، كما يجرى لأبى نواس الحسن بن هانئ ومحمد

ابن هانئ الأندلسى وأضرابهما ، ولكن ضراوة لسانه على الأمراء والكبراء والعلماء والشعراء أغرت به الجميع ، وجعلت التهمة إلى صوت المُهيب به تريع .

وقد اتفق الرواة على أن بشاراً كان متضلعاً فى علم الكلام معدوداً من مُتقنيه ، قال صاحب الأغانى : كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء الغزّال ، و بشار بن برد ، وصالح بن عبد القدّوس ، وعبدُ الكريم بن أبى العوجاء ، ورجلٌ من الأزد (هو جرير بن حازم) وكانوا يجتمعون فى منزل الأزدى و يختصمون عنده ؛ وكانوا على شك فى أمرهم ، فأما عمرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصما على الثنوية (أى اعتقاد المزدكية) وأما بشار فبقى مختلطاً متحيراً ، وأما الأزدى فمال إلى قول السُّمَنية .

واتفق الرواة على أن بشاراً كان يختلط بمن اشتهر بالخوض فى العقائد ، فقد حكى الشريف المرتضى فى أماليه[(١)] قال : قال الجاحظ : كان منقذ بن زياد الهلالى ومطيع ابن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثى ، وحفص بن ابى وَدّة ، وقاسم بن زنقطة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبى فروة ، وحماد عجْرد ، وعلى بن الخليل الشاعر ، وحماد الرواية ، وحماد بن الزِّبرقان[(٢)] ووَالبةُ بن الحباب : وعُمارة بن حمزة بن ميمون الهاشمى ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ ، و بشار بن برد ، وأبانُ بنُ عبد الحميد اللاحِق ، يجتمعون على الشراب وقول الشعر وهجو بعضهم بعضاً ، وكل منهم متهمٌ فى دينه .

وفى كتاب الحيوان للجاحظ عَدّ بعض هؤلاء وزاد آخرين ومنهم : يونس بن هارون وعُبادة ، وعمارة بن حربية ، وذكر أن يونس بن هارون[(٣)] كتب كتاباً فى مثالب العرب وعيوب نسبها إلى الإسلام كتبه لملك الروم ، وأن بشاراً كان ينكر على هؤلاء[(٤)] .

وزاد فى الأغانى[(٥)] : أن مطيعاً ويحيى وابن المقفع ووالبة وعمارة كانوا يتنادمون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا مِلك ، ولا يفترقون ، وكانوا فى أيام الوليد بن يزيد .

(١) ص ٩٠ جزء ١ .

(٢) فى ترجمة حماد عجرد من الأغانى : كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، يرمون بالزندقة جميعاً ، وأشهرهم بها حماد عجرد .

(٣) [فى أمالى المرتضى أن الكتاب ليونس بن أبى فروة . وذلك ظاهر مافى الحيوان أيضاً] .

(٤) صفحة ١٤٣ جزء ٤ . (٥) صفحة ١٨ جزء ١٢ طبع بولاق .

وأقول : ذكر صاحب الأغانى فى ترجمة إبراهيم بن سيَّابة : أنه كان يتحكك ببشار وأنه كان زنديقاً .

نأخذ من متفرق أخبار بشار مايدل مجموعُه على أنه قد عرّض نفسه لبُغْضاء كثيرمن أهل الدولة والرأى والعلم واللسان ، فكان قد تعرّض إلى يعقوبَ بن داود بما سنذكره فى سبب قتله ، وتعرض إلى أبى جعفر المنصور قبل ذلك بما قلَبه فى أبى مسلم الخراسانى ، وتعرض إلى واصل بن عطاء الغَزَّال رئيس المعتزلة وهو إمام جماهير من العلماء والعامة ، وتعرض إلى سيبويه . وكان هو ممن رمى أعداءه بسهام الإلحاد ، مثل فعله مع حماد عجرد وعبد الكريم بن أبى العَوْجاء ، فما كان بالذى يخرج من هذه المعمعة سالماً من سهام أعدائه ، وقد قيل فى المثل : ضعيفان يغلبان قوياً ، وقد أصاب أعداؤه شاكلته بما رمَوه ، لأنهم أقدر على تزويق تهمهم منه وترويجها بين العامة ، إذ كان فى شغل شاغل بالإكباب على السكر ولهو النساء . ولقد وجدوا له أكبرمن ذلك مما يثير غضب العامة ، وهو ثرثرته فى أعراض الناس من جهة نسائهم ، فأصبح مركوزاً فى يقين العامة أن بشاراً زنديق ملحد مخلق أزواج الناس عليهم ، ومثل هذه الظِّنَّة لا يستخف بها الخلفاء وولاة الأمور ، إذ كانوا يومئذ فى طالعة دولة لهم جديدة ، وكانوا متصنعين فى التحبب إلى العامة ، ليُنْسوهم عهْدَهم من حب بنى أمية ، وكانوا مُظْهرين أنهم أنصار الدين وهداة الأمة وورثة علم النبوة . ولهذا نرى فى ترجمة بشار وفى شعره أن المهدى كان ينهاه المرةَ بعدَ المرةِ عن التعرض إلى النساء فى شعره ، وهل تظن من ذلك أن غيره من الشعراء لم يكن يأتى الغزل فى شعره حتى يخصه المهدى بالغلظة فى النهى؟ ولكنك تستطلع من ذلك سر إلحاح المهدى عليه فى ذلك، ليُسُدّ ذريعة تحكك الناس ببشار وطالب عقوبته عقاب الملحدين .

وقد كان أقوى الناس تهيُّؤاً لالتصاق هذه التهم بهم من كانوا من أبناء الفرس لأسباب ، أولها : أنهم كانوا عريقين فى المانوية ، قال على بن منصور بن القارح فى الرسالة التى كتب بها إلى المَعَرّى : « وإنما نسبوا بشارا إلى دين المانوية لأنه فى الأصل فارسى يتعصب للفرس وأحوالهم » ، وثانيها : أن معظم شيعة الأموية من العرب كانوا يغارون منهم أن جاءوهم فاتحين مع بنى العباس ، وثالثها : أن الخلافة العباسية أخذت تتحفز إلى قطع شوكة الفرس

تخلصاً من إدلالهم على الخلافة وطمعهم فى وضع الخليفة تحت نير تصرفهم ، وقد أبرقت بارقة خَضْدِ شوكتهم بنكبة صاحب الدعوة أبى مسلم الخراسانى ، ولذلك نجد التهمة التى تلصق بالمتهمين أيامئذ غالبُها تهمة الزندقة واللمز باعتقاد إلهين : إله الظلمة و إله النور .

وقد ألصق ببشار القول بتفضيل النار على الطين لأنها نور والطين ظلمة ، ثم القول بتفضيل إبليس على آدم ، إذ إبليس مخلوق من نار وآدم من طين . و إليك شواهد ذلك :

ذكر الشريف المرتضى فى أماليه عن الصباح الكوفى ، قال: دخلت على بشار بالبصرة فقال : أما إنّي قد أوجعت صاحِبَكم ، يعنى حماداً ، و بلغت منه . فقلت : بماذا ؟ قال : بقولى فيه :

يابن نهيا رأسٌ علىّ ثقيلُ واحتمالُ الرأسين خَطْبٌ جليل
فادْعُ غَيْرِى إلى عِبادَة ربَّيْن فإنى بواحدٍ مَشْغُولُ

فقلتُ : لن أدَعَه فى عماه ، فقلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعرُ ، وهو يَرويه على خلاف هذا ، قال : فماذا يقول ؟ قلت : يقول : « فإنى عن واحد مشغولُ » ، فلما سمعه أطرَقَ ، وقال : أحْسَنَ والله ابن الفاعلة !

وعن أبى عبيدة قال : هجا حمادٌ بشاراً بأبيات ، منها :

والله ما الخنزير فى نَتْنِه بِرُبْعِهِ فى النَّتْن أو خُمْسِه
وعوده أكْرَمُ من عُوده وجِنْسُه أكرمُ من جنسه

فقال بشار : ويلى على الزنديق ! نفث بما فى صدره ، إما أراد إلاّ قول الله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فى أحْسَنِ تقويم » فأخرج الجحود بها مخرج هجائى (يعنى لِقوله : وعوده أكرم من عوده .. البيت) .

وعن الجاحظ قال : كان بشارٌ فى أول أمره صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال ، وكان مدح واصلا ، فلما أظهر بشار مذهبه هتف به واصل فقام بتكفيره وقَعَد ، وقال بشار فيه :

مالى أشايع غزّالاً له عُنُق كنِقْنِقِ الدّوِّ وإن وَلّى و إنْ مَثَلاَ
عُنُقَ الزّرافة مابالى و بالكم تكفِّرون رجالا أكْفَرُوا رجلا !

يريد الإنكار على المعتزلة حيث كفَّروا الخوارج ، و بشار يتوهّم أو يُوهِم أن المعتزلة

ما حَملهم على ذلك إلا أن الخوارج كفَّروا عليًا رضى الله عنـه ، فقال واصل : أَمَا لهذا الأعمى الملحِد ، أما لهذا المشنَّف المكنّى بأبى معاذ من يقتله ؟ فـكان غضبُ واصلٍ عليه سبباً فى نفيه عن البصرة ، فسكن حرّان إلى أن تُوفِّىَ واصـلٌ ، فرجع بشار إلى البصرة سنة ١٣١ فقال فيه صفوان :

رجعتَ إلى الأمصار مِن بعد واصلٍ وكنتَ شَريداً فى التهائم والنُّجْدِ

ثم لم يلبثْ أنْ غضب عليه عَمْرو بن عُبيد إمام المعتزلة ، فنُفى أيضاً عن البصرة ودخل بلدانا ، ثم رجع إلى البصرة عقب وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٣ ، وسيأتى فى سبب قتله أنه تحكك بيعقوب بن داود ليُخرج عليه المهدى .

أضف إلى ذلك مايتقوله عليه أعداؤه من أقوال تُختلق وتشـاع فى الناس وتنسب إليه ، من ذلك مازعموا أن جارية غنّته شيئاً من شعره ، فطرب وقال : هذا واللهِ أحسن من سُورة الحشر ، وقال فى بيتين غنتهما مرةً جارية : هذا واللهِ أحسَنُ من فَلَجِ يوم القيامة ! ونسبوا إليه بيتاً ذكره المبرّد فى الكامل (ص ٢٣ جزء٢) والجاحظ فى البيان :

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرِقةٌ والنارُ معبودة مذ كانت النارُ

وقد ذكر الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى[1] فى كتاب الفَرْق بين الفِرَق قصيدة لصفوان الأنصارى ردًا على بشار فى قوله بتفضيل النار (انظرها فى صفحة ٣٩ من كتاب الفرق) وجاء فى رسالة الغفران للمعرى أن مما نسب إلى بشار :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمٍ فتنبهوا يامعشر الفُجّار

النارُ عنصره وآدم طينـةٌ والطين لا يسْمُو سُمُوَّ النار

ولا يكاد الذكي الفطنة السليم الذوق يُقرّ ذلك وتروج عنده صحة نسبة مثل هذا الشعر إلى بشار معنى ولا لفظاً ولا فى مجارى أرباب العقول ، فإنّا لو تنزّلنا إلى تصحيح احتمال أنه كان يعتقد مثل هذه السخافات ـ بعد نشأته فى الإسلام وتضلعه فى علم الـكلام ـ أليس ينهاه نُهاه عن التصريح بما يراه ؟ .

---

(١) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الأشعرى المتوفى سنة ٤٢٩ وكتابه هذا طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٢٨ على تحريف كثير .

فأما اتهامه فى المذاهب والنِّحَل الإسلامية فقد قيل إنه كان رافضيا يدين بالرَّجعة. والرَّجعة بفتح الراء عند جمهور أهل اللغة ، وحكى عياض (فى شرح صحيح مسلم فى المقدمة) جوازَ كسرِ الراء ، وفسروها بأنها قول الرافضة بأن عليا رضى الله عنه فى السحاب ، وأنه لا يجوز الخروج مع أحد من أبنائه وولده حتى ينادى من السماء أن اخرجوا مع فلان ، ويتأوّلون قوله تعالى : « فلن أبْرَحَ الأرْضَ حتى يأذَنَ لى أبى » على هذا المعنى ، وفسرها أبو منصور البغدادى بأنها رجعة علىّ برجعة الأموات وذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وهو رأى الكاملية من الرافضة .

ونسب إلى الشعوبية ، ولعلها كانت تبدو منه فى محادثاته ومجالسته .

ونسب إلى التشيّع ، وشعره شهيد بذلك ، وقد كان التشيّع شائعا بعد سقوط الدولة الأموية ، ولا أشك فى أن بشار كان من المتعصبين إلى بنى أمية ، وأن إظهاره التشيّعَ مصانعةٌ وتَقِيَّة .

وقد نسب إلى الإلحاد والتعطيل ، أى الدَّهرية .

ونُسب إلى الرفض ، فقد ذكر الأستاذ أبو منصور فى كتاب (الفرق بين الفرق) أن بشّارا كان من الكاملية ، وهم أصحاب أبى كامل الذى كان يَدين بتكفير الصحابة لتركهم بَيْعَةَ علىّ و بتكفير علىّ لتركه قتالهم (وهم من الذين لم يقولوا بجواز التَّقِيَّة مثل بقية الشيعة) قال : « وقد ضمّ إلى ضلالته هذه ضلالتين أُخرَيَيْن . إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الشيعة الرافضة ، والثانية قوله بتصويب إبليس فى تفضيل النار على الأرض .

وأما ما نسبوه إلى الشُّعُوبية وهى كراهية العرب وتحقيرهم ، فالظاهر أنّ بشار كان ينزِع إلى ذلك بعد أن أُعتدله أعداؤه ومُعافِسوه التحقيرَ بالولاء ، فألجاه ذلك إلى الابتداء بالافتخار بنسبه الفارسى ، ثم بالتبرم من الوَلاَء ، فلذلك كان يقابل محقّرى نَسَبه العجمىّ بالافتخار بالعجم و يقابل محقّريه من القحطانين بالفخر والانتماء إلى ولاء مُضَر ، ولا سيما عند شُبُوب حَمِيَّة اليمنيين والمضريين فى عهد انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين ، إذ كانت شيعة بنى أمية من مضر وشيعة بنى العباس من حِمْيَر واليمن ، ولكنه لم يكن مع ذلك يتنقصّ العرب ، كيف و إنما قيمته من العربية . ويُشْبه بشار فى الشُّعوبية إسماعيل بن يَسَار من شعراء عصر الدولة الأموية .

وقد كان أشدُّ الناس عليه فى التشويه عليه بسوء اعتقاده واصلَ بنَ عطاء الغزّالَ رئيسَ المعتزلة ، فإن بشاراً بعد أن كان من أشياعه ومدّاحيه انقلب عليه وهجاه وهجا نِحْلَتَه ، وانتصر للخوارج الذين كان واصلٌ أبغضَ الناس لنِحْلتهم وأشدَّهم عليهم ، فلذلك أضمر له واصلٌ غيظاً شديداً ، وهدّده بالإغراء بقتله ، وما منعه من ذلك إلا اتقاؤه وخَشية سوء السمعة لمذهب الاعتزال ، على أنه لم يفتأ واصلٌ يكيد له مع أمراء البصرة ، وكان واصلٌ مسموعَ الكلمة ، حتى نُفِى بشار عن البصرة . وقد ذكر الجاحظ (فى كتاب البيان فى جزئه الأول) وأبو الفرج الأصفهانى (فى الأغانى) وغيرُهما أخباراً كثيرة فى شأنه مع واصل بن عطاء فى حالتى الرضا والغضب .

والتأمل فى سِياق ما يُلمَز به بشار من الزندقة أو النِّحَل الفاسدة والشاذة يرى الذين يَلمِزونه بذلك مختلِفِى صفة النسبة : فمنهم من يَنْسُب إليه التظاهرَ بما نسبه هو إليه ، ومنهم من ينسب إليه الإسرار بذلك فى باطنه ، ولا بد أن نجهَرَ بإسقاط إحدى النسبتين ، وهى نسبة التظاهر باتّباع النِّحَلِ الباطلة ، فإنّ من يقرأ أخباره وشعره يراه ملتزماً عقدَ الإيمانِ الصحيح مخبِراً عن نفسه بأداء الصلاة والصوم والحج وشرائع الإسلام ، ألا ترى إلى قوله فى فى ترك وصال خلّته فى شهر رمضان[1] .

فى ليلة خلف شهر الصوم ناقصة تسعا وعشرين قد أحصيتها عددا
حتى ارتقيت إليها فى مشيَّدة دون السماء تناغى ظلها صُعدا

وقوله[2] :

إنى حلفت يميناغيرَ كاذبة عند المقام ولم أقرب له فَنَدا

وقد أظهر الحفاظ على دينه فى قوله (فى الورقة ٧٣ من الديوان) :

ومُلوكٍ إن تعرّضْتُ لهم عرّضُوا دِينى وَشِيكاً للعطَبْ

وسيجىء ذكر الورقة التى ألقيت بعد موته فيها تعظيمه الجانب النبوى الشريف . وكذلك قوله (فى الورقة ٤) :

وعجيب نَكْثُ الكريم وللنفـ ـسِ مَعاد وللحياة انقضاء

(١) البيت ٢٥ من ورقة ١٤٨ من الديوان (٢) البيت ٢٢ من ورقة ١٤٧ .

فاعترف بالمعاد ، وقال فى بعض قصائده يريد نفسه (فى الورقة ٣١) :

يصـــدق فى دينه ووعده نعم وينطق الندى على كذبه

وقال فى رثاء ابن له :

ولى كل يوم عبرة لا أفيضها لأحظى بصبر أو بحط ذنوب

إلا أنه كان خليعا فى أفعاله وأقواله ، فبقيت نسبة الإسرار والانطواء على العقائد الباطلة إليه ، وهذه نسبة لا تخرج عن الرجم بالغيب ، والوصم بالعيب .

سبب وفاته

اتفق جميع الرُّواة على أنه مات مقتولا من ضربٍ ضُرِبَه على التهمة بالزندقة ، قالوا : إن المهدى أزمع الانحدارَ إلى البصرة للنظر فى أمورها ، فلما وصل البطائح مرّ بدارٍ كان بشار على سطحها ، وكان سكران ، فلما أحسّ بمرور المهدى خاف أن يعرفه ، فاندفع بشار يؤذّن ، فقال المهدى : مَنْ هذا الذى يؤذّن فى غير الوقت ؟ قالوا : بشار ، فقال : علىَّ به ، فلما مَثَل بين يديه قال له : يازنديقُ هذا من بذائك ، تؤذّن فى غير الوقت ، ثكلتكَ أمك . ثم أمر صاحبَ الزنادقة ، وهو ابنُ نهيك ، وقيل محمد بن عيسى بن حمدويه فأخرجه معه فى زورق ، فلما كانوا بالبطيحة أمر المهدىُّ صاحب الزنادقة أن يضربه بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبَطيحة ، فأقيم فى صدْر السفينة ، وأمر الجلّادين أن يضربوه ضرباً متلفاً ، فجعَل بشارٌ يقول كلّما وقع عليه السّوطُ : حَسّ (كلمة تقولها العرب عند الألم) فقال بعض الراكبين : انظروا إلى زندقته ما نراه يحمد الله ، فقال بشار : ويلكَ ! أتريد أحمدُ الله عليه ؟ فلما ضُرب سبعين سَوطا أشرف على الموت ، فألقى فى صدر السفينة حتى مات ، فألقوه فى خرّارة البَطيحة ، فحمله الماء إلى البصرة ، فأخذه أهله فدفنوه ، وما تبع جنازته أحدٌ غيرُ أمةٍ سوداء سِنْدِيّة تصيح : وَاسيّداه ! وَاسيّداه ! وتباشر عامةُ أهل البصرة بموته ، وهنأ بعضُهم بعضا ، وتصدقوا . رُوى أنه لم يبق أحد من أشراف البصرة إلا مُنِيَ بشىء من هجاء بشار أو اتّقى هجاءه ، فكانت حياته أثقلَ شىء على الناس ، ولم يكن له بها صديقٌ ، ودفن فى قبر حمّاد عجْرد الذى قتل على تهمة الزندقة سنة ١٦٦ ، وكتب أبو هشام الباهلى على قبرهما :

قد تبِعَ الأعمَى قفا عجْرَدٍ فأصبحا جارين فى دارِ
تجاوَرَا بعــــد تنائيهما ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ !

صارا جميعاً فى يَدَىْ مَالِكٍ فى النـارِ والـكافرُ فى النارِ
قالت بقاعُ الأرض: لا مَرْحَبًا بقُرْبِ حمّاد وبشّـارِ !

ذكر مجموعَ هذا صاحبُ الأغانى ، والصفدى فى شرح رسالة ابن زيدون ، والبغدادى فى خزانة الأدب ، والوطواط فى غرر الخصائص .

وقد قيل إن سببَ قتله أنه كان هجا يعقوبَ بن داود وزير المهدى وعرض به إلى المهدى ، فقال :

بنى أمية هُبُّوا طال نومُكمُ إن الخليفةَ يعقوبُ بن داود

ثم هجا المهدىَّ فى مجلس ببيتين :

خليفـــةٌ يَزْنى بعمّاته يلعب بالدَّبُّوق والصَّوْلَجَان !
أبْدَلَنـــا اللهُ به غيرَه ودسَّ موسَى فى حِرِ الخيزُرَانْ

فأنشدهما فى حلقة يونس النحوىّ ، فسعى به يونس إلى الوزير . وقال المعرى فى رسالة الغفران : قيل : إن الذى سَعَى به إلى الوزير هو سيبَويْه ، وكان حاضرًا بحلقة يونس النحوى ، قال المعرى : وسيبَويْه — فيما أحسب — [كان] أجلَّ موضعًا مِنْ أنْ يدخل فى هذه الدَّنِيَّات ، بل يعمد لأمورٍ سَنِيَّات .

وعندى أن كل هذا مما يختلقه حُسّاده وأعداؤه الذين أغراهم به بذَاؤه . وقد قال فى خطابه للمهدى فى قصيدة :

أخافَ انقطاعَ الدَّرِّ بعد ابتزازه وتبليغَ مَنْ يَسْدِى الحديثَ وينسجُ

ويظهر أن قتْل بشار قد تقدمه قتلُ بعض أصحابه ، وأن بشاراً لم يمنعه ذلك من رثاء من قُتل من أصحابه ، فإن له أبياتا ضاديّة ذكرها الشريف المرتضى فى أماليه تشير إلى قتل اثنين من أصحابه ، وهى :

غَمَضَ الحديدُ بصاحبَيْك فغمَضَا وبَقِيتَ تطلُبُ فى الحِبَالةِ مَنْهضَا

... الخ ، وستأتى فى الملحقات ، وقال أيضا فى ديوانه :

تبـكى نديمَيْك راحا فى حَنُوطهما ما أقرب الرائح المبقَى من الغادى !

والذى يُستخلص من هذا كله ، يؤيّد ما قدمتُه من تظاهر السببين على قتل بشار :

كثرة الناقمين عليه لحسد أو هجاء أو فحش ، وخفةُ دينه فى سيرته وتهمته بسوء الاعتقاد ، ولم يكن حقد الناقمين عليه كافياً فى أخذه بالعقوبة ، إذ قد كان له فى حاله شفيعان وجُنّتان تدفعان عنه الأذى ، وهما الشعر والعمى ، فإن مما وُطِّنتْ عليه النفوسُ أن الشاعر يقول ما لا يَفعل ، فكانت مؤاخذةُ الشعراء مزرية على من يؤاخذهم إلا إذا جازاهم على الهجاء بمثله ، وكان مما استقرَّ فى النفوس أن الضعيفَ والعاجزَ لا يتنازل أهلُ الشرف إلى مُناصاتهما . وكان الناسُ يتمثلون : « ليس على الأعمى حرج » فلم يجد الذين لحقهم أذى بشار وهجاؤه مسلكا إلى الانتقام لأنفسهم منه ، لذلك أرادوا تعريضه لإثارة العامة عليه من جانب سوء العقيدة ، وقد ظهرتْ هذه التهمة له من أواخر الدولة الأموية ، وأول من أشاع ذلك عليه واصلُ بن عطاء وأصحابُه من المعتزلة ، ولقد مر أنه تسبب له فى التغريب عن البصرة ، إلاّ أن وَلَع العامة بشعره حالَ دُونهم ودونَ إلحاق الضرر به ، فلم يزل أعداؤه للعقيدة والمنافسة للأحقاد يتربصون به الدوائر حتى وجدوا فُرصة للإيقاع به فى مدة المهدى حين أصبح الأخذ على سوء الاعتقاد شديداً مُرهِباً ، ويؤيِّد ذلك أن المهدى فى آخر حياة بشار قد تنكَّر عليه ، وصار يحرمه جائزته ، فمدحه بشار بقصيدة ، وذكَّره إمساكه جائزته ، فقال :

إمامَ الهدى أمسكتَ بعد كرامتي　　وقد كنتَ تعطيني ووجهُكَ أبلجُ
لعمري لقد أشمتَّ بي عينَ نائم　　فنام وهمّي ساهر يتوهجُ

حتى اضطرَّ بشار أن يعلن توبته ، فقال فى هذه القصيدة :

وقد تُبتُ فاقبل توبتي يابن هاشم　　فإن الذى بيني وبينك مُدمَجُ

ولما قتل بشار فتشت كتبه فلم يُلفَ فيها شيء يدل على ما كانوا يرمونه به ، ووُجد فى كتاب له : « إني أردتُ هجاء آل سليمان بن علي [لبخلهم] ، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسكتُ عنهم ، إلا أني قلتُ :

دينارُ آل سليمان ودرهمهم　　كالبابليَّيْنِ حُفَّا بالعفاريتِ
لا يُرْجَيانِ ولا يرجى نوالُهما　　كما سمعتَ بهاروتٍ وماروت

مكانته لدى الخلفاء والأمراء

كان بشار من أهل الوجاهة والسُّمعة ، وكان مكرماً لدى خلفاء بنى أمية ورجال

دولتهم ، وكان أيضاً له مكانته عند خلفاء بني العباس أبي جعفر المنصور والمهدي ، قال في الأغاني : « جعلَ له المهديُّ وفادةً كلَّ سنةٍ » وحسبك من مكانته لدى الأمراء ما ذكر ابن رشيق القيرواني في باب فضل الشعر من كتابه العمدة أن بشاراً كان من كتّاب الأزِمّة مع كونه أعمى ، وأن أبا علي البصير الشاعر كان أيضاً من كتاب الأزمّة . وأحسب أن ذلك زيادة في تقريبه ، وأنه كان يُملي عَلَى النُّسّاخ ، ولذلك قصر على كتابة الزمام دون كتابة الإنشاء ، لأن كتّاب الإنشاء مستودع أسرار الأمراء ، فتعين أن يكونوا قادرين على الكتابة بأنفسهم .

غرامه وهل هو حقيقة أو تصنع ؟

لا يَسْلَمُ الناظرُ في أخبار بشار وفي تضاعيف قصائده من حيرة تُلِمُّ به وشكٍّ ينتاب نفسه ، فإنه يجد معظمَ شعر بشار في الغرام ووصفِ فنونه القلبية والحسية ، فيخامره هاجسٌ يقول : هل كان الغرام يسلك إلى شغاف قلب بشار حتى يكون ما جاء في شعره من وصف عشقه وولهه حقيقةً كما يؤذن بذلك إكثاره منه وتُصَدِّقه أخباره ونوادره من حب النساء وميله إلى مغازلتهن وإلقاء نفسه إليهن وتهافتهن على لقائه وملازمة مجلسه ؟ فإن مال الناظر إلى تصديق ذلك انتقل به إلى حيرة أخرى ، وهي أن رجلا أعمَى مشوَّهَ الخلقة ضعيفَ الثروة ليس له من سبيل إلى العشق الذي قوامُه استحسانُ الصورة وما للنساء فيه رغبة حتى يخادِنّه ويعاشِرْنَه عِشْرَةَ المحبين ! أو هل كان ذلك كله تصنّعا وتحيلا وجريا في مضمار الشعراء ، كيلا يغادر لهم أكبرَ فنون الشعر يفوتون فيه شوطَه ، ولا يرفع وراءهم سوطه . قد وصف بشار أحوال الغرام كله ومدَّ نفَس شعره بتفاصيلها ، فلم يغادر لشاعر مقالا في ذلك ، وإن وصف الغرام وأفانينه هو معظم شعره ، ينزِع إليه من كل غرض وفي كل مقام ، وذلك أسطع برهان على شاعريَّته وقوة خياله وبلاغة كلامه ، فيكون حال بشار في هذا شبيها بحال كُثَيِّر ، إذ قيل إنه كان مدَّعيا ولم يكن عاشقا حسبما روى ذلك أبو الفرج الأصبهاني عن أبي عبيدة وأبي عبيد[1]

---

(١) [الذي ذكره أبو الفرج نسبة القول السابق الى ابن سلام برواية أبي خليفة عنه ، والمعروف في روايات الأغاني عن أبي خليفة عن ابن سلام أنه هو محمد بن سلام لا أبو عبيد القاسم بن سلام] .

ولقد استشعر بشار هذا التحير ، فأجاب غير مرة بأن الأذن تَعشَـق ، وأن الأذن تبلغ إلى القلب ما تبلغه العين ، كقوله :

يزهّدنى فى حب عَبْدَةَ معشرٌ ... قلوبُهُم فيها مخالفـةٌ قلبى
فقلتُ دعوا قلبى وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبِّ
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ... ولا تسمَع الأذنان إلا من القلب

وقوله :

يا قوم أذْنى لبعض الحىِّ عاشقةٌ ... والأذن تَعشَق قبل العين أحيانا
قالوا : بمن لا ترى تَهذى ؟ فقلتُ لهم : ... الأذن كالعين تولى القلب ما كانا

وقوله :

أنّى ولم ترها تَهذِى ؟ فقلتُ لهم : ... إن الفؤادَ يَرَى ما لا يَرى البصر

والذى أعلل به غرام بشار أنه كان ذا نفس خليعة تحب المجُون ، فـكان قد راض نفسه على العِشق إيفاء لها بشعائر المجون ، وجعل طريقةَ عشقِه حُسْن النغمة ورقة المزج ولين الملمس وحلاوةَ الحديث ، ودرب لنفسه ذلك الارتياض حتى صار له ملكة وسجيّة ، فكان عشقه حقيقة غير ادّعاء ، وهو يتوسل بذلك إلى أن يجيد النسيب ، فإنه سدَى الشعر ولُحْمته ، ومما ينبئك بذلك أنك تجده يكثر فى نسيبه وصف حسن منطق النساء كقوله :

وكأنّ رَجْـــعَ حديثها ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا

وقوله :

ودَعْجاء المَحاجر من مَعَدّ ... كأنّ حديثَها ثَمَرُ الجِنانِ

وقد اعتاض عن الرؤية بالوصف كما قال :

بُلِّغتُ عنها شَـكلاً فأعجبنى ... والسمعُ يكفيك غيبـةَ البصر

قال فى الأغانى فى ترجمته : كان النساء يَحضُرنَ مجلسَ بشار ، فبينا هو ذاتَ يوم فى مجلســه ، إذ سمعَ كلامَ امرأة فى المجلس فعشِقها ، فدعا غلامَه فقال : إذا تكلمت المرأة عرفتُك فاعْرِفها، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتْبَعها وكلِّمْها وأعلِمْها أنّى لها محب ، وذكر قصـة فى أخبار تلك المرأة وزوجِها . وقال فى أخباره مع عَبدة : كان النساء يَحضُرنَ مجلسَ

بشار ، فبينما هو ذات يوم فى مجلسه إذ سمع كلام امرأة فى المجلس ، يقال لها عَبْدة ، فدعا غلامه فقال : إنى علقت امرأة ، فإذا تكلمتْ فانظرْ من هى واعرِفها ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرفَ أهلُه فاتبعها وكلّمها وأعلمْها بأنى لها محب ، وأنشدْها هذه الأبيات وعرّفْها أنى قلتُها فيها . وذكر الأبيات التى أولها :

قالوا : بمن لا ترى تهذى ؟ فقلتُ لهم : الأذن كالعيْن تُوفى القلبَ ما كانا

فأبلغها الغلامُ الأبيات ، فهشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبْنها فيأكلْن عنده ويشربْن وينصرِفْن ، بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ، ولا تُطمعه فى نفسها .

ولما أفضت الخلافة إلى المهدى وكانت فيه غيرةٌ وحُزُونة ، ورأى ما فى شعر بشار فى الغزل ووصف اللهو بالنّساء ، نهى بشارا عن التشبيب بالنساء ، وقد ذكر ذلك بشار فى قصائد من شعره ، من ذلك قوله :

قالَ الخليفة لا تنسُبْ بجاريةٍ إياكَ إياكَ أن تشقى بعصيانِ

وقوله :

ولولا أميرُ المؤمنين سقيتُها أواما يُناجينا بها حيث حلتِ

وقال أبو الفرج : قدِم بشار على المهدى بالرُّصافة ، فدخل عليه فى البستان ، فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن ، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه ، ثم قدم عليه فى السنة الثانية فأنشده مديحاً (هو القصيدة التى أولها : ياصاحِبَىَّ العشية احتَسِبا)

يقول فيه :

كأنما جئتُه أبشّرُه ولم أجِئْ راغباً ومُحتَلِبا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً كلَّ سنة ، ونهاه عن التشبيب البتّة ، فقدم عليه فى السنة الثالثة فدخل عليه وأنشده قصيدته :

تحاللتُ عن فهرٍ وعن جارتَىْ فهرِ وودّعتُ نُعْمَى بالسلامِ وبالبِشْرِ

ومنها :

تركتُ لمهدىِّ الأنامِ وِصالها وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالختْرِ

ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ لقبّلت فاها أو لكان بها فِطْرِى

فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك ، فلم يزِدْه شيئًا .

وذكر أبو الفرج عن أبى العالية أن بشاراً قدم على المهدى ، فلما استأذن قال له الرَّبيع : قد أذن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئًا من الغزل والتشبيب ، فادخُلْ على ذلك . فأنشده :

يامنظراً حَسَـنًا رأيتُــهْ　　　من وجْـهِ جاريةٍ فديتُهْ

. . . الأبيات . ومنها قوله :

[ويشـوقنى بيتُ الحبيـ　　　ـب إذا ادَّكرتُ ، وأين بيتُهْ ؟]

حالَ الخليفـــةُ دونَه　　　فصَـبَرْت عنه وما قَلَيْتُهْ

ثم أنشده ما مدَحه به بلا تشبيب ، فحَرَمه ولم يعطه شيئا .

أقول : قد كان عمر بن الخطاب سبق المهدى إلى مثل هـذا ، روى عبد الله بن السِّيد البَطَلْيوسى فى الاقتضاب على أدب الكاتب فى الجزء الثالث أن عمر بن الخطاب كان عَهِدَ إلى الشعراء ألاّ يشبِّب رجل منهم بامرأة ، وتوعَّدَهُمْ على ذلك ، فكان الشعراء يكَنُّون عن النساء بالشَّجَر ، ولذلك قال حُمَيد بن ثَوْر :

سَقَى السَّرْحَةَ المحلالَ والأبْرقَ الذى　　　به الشَّرْىُ غيثٌ دائم وبُروقُ(١)

وهَلْ أنا إنْ علَّلْتُ نفسِى بسَرْحَةٍ　　　من السَّرْحِ مأخوذٌ إلىَّ طريقُ(٢)

أبى الله إلاّ أنّ سَرْحَـةَ مالكٍ　　　على كلِّ أفنانِ العِضاهِ تَرُوقُ

قلت : وفى هذا المعنى قال [الشاعر(٣)] :

ألاَ يا نَخْلَةً من ذاتِ عِرْقٍ　　　عليكِ ورحمةُ الله السـلامُ

أراد حبيبته فكنى عنها بالنخلة .

وكنوا عن المرأة بالشّاة من قبل فى الجاهلية ، قال عنترة :

يا شاةَ ماقَنَصٍ لمن حلّتْ له　　　حَرُمتْ علىّ وليتها لم تحْرُمِ

وذكر الجرجانى فى كتاب الكنايات : أن التكنية بالشجر وغيره عن المرأة قديمة فى كلام العرب من عصر الجاهلية .

---

(١) [فى الأغانى وحماسة ابن الشجرى : السرح ، بدل : الشرى]

(٢) [فى المصدرين السابقين ، وفى خزانة الأدب أيضا : على ، بدل : إلى]

(٣) [قيل : إنه الأحوص] .

سعة علمه بالعربية وتفننه

ينبئك شعر بشار فضلا عن بلاغته وفصاحته بأنه تمكن فى العلم بأحوال العرب وعاداتهم وأيامهم وأخلاقهم وأحوالهم ، حتى إنه لينظم القصائد فلا يخلّ بشىء مما يودِعه فحولُ العرب فى أشعارهم، وكذلك كان علمه بأحوال الإسلام وأيام دوله ومناهج الشريعة واختلاف أئمتها ، وجمع إلى ذلك علماً بعادات المولدين من العرب فى الأمصار وأمثالهم وعقائدهم ومجالس جِدهم ولهوهم ، وقد أودَع جمًّا من ذلك فى شعره ، نبهتُ عليه فى مواضعه .

ولقد كان قوىّ الحافظة ، مطلعا على شعر العرب ومن بعدهم .

فى أمالى الزجاجى عن أبى حاتم قال : أنشدت أبا زَيْدٍ قول بشار (١) :

أَدَيْسَمُ يا بنَ الذئبِ من نسْل زارِعٍ ... أَترْوِى هجائى سادِراً غيرَ مُقْصِرِ

فقال : قاتَله الله ! ما أعلَمَه بكلام العرب ! فالدَّيْسَم : ولدُ الذئب من الكلبة ، والعرب تقول للكلاب : « أولاد زارع » والسِّبْار : ولدُ الضبُع من الذئب ، والسِّمْع : ولدُ الذئب من الضبُع .

ومن دلائل سعة علمه بالعربية أنا نجد فى شعره ألفاظا كثيرة وتصريفات خلت عن ذكرها كتب اللغة ، كما سنذكره فى مبحث توسع بشار فى اللغة .

البصرة وقبائل العرب حولها

كانت قبائل البادية من العرب فى عصر الجاهلية تتوخّى النزولَ حوالَى المدن العربية مهما وجدت إلى ذلك سبيلا ، لأن المدن كانت أسواق العرب ، وفيها مايحتاجه أهلُ البادية من المصنوعات والطعام إن احتاجوا إليه ، مثل مكة ويثرب وحِجْر اليمامة ، وكذلك كان شأن القبائل النازلة بالعراق وبالشام ، مثل بَكْر وقُضَاعة وتَغْلِب ، فإنهم كانوا مجتمعين حوالَى الحِيرة والأنْبار والمدائن فى العراق ، وحوالى جِلّق وبُصْرَى وحَوْران وصَيْداء وتَدْمُر بالشام ، فلما نزحتْ بهم الفتوحُ فى العراق احتاجت القبائل النازحة التى لم تكن لها منازل هنالك

(١) فى هجاء « ديسم » أحد رواة الأدب ؛ روى الجاحظ عنه عن أبى محمد اليزيدى المعروف بثعلب انظر ص ٣٥ من الجزء ١ من البيان . [المعروف بثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحيى] .

إلى إيجاد مصر وسْط ديارهم ، فلذلك أمر عمر قواده بتخطيط المِصرَيْن : البَصرةِ والكوفة ، وقد كان بناء البصرة سنة سبع عشرة ، وكان موضع البصرة قرية تسمى بالفارسية بَسْ رَاهْ ، فيها قصر ومَسالح للعجم ، ووقعت فى يد المسلمين سنة ١٢ ، وكانت المدينَة لتلك الكُورة العجمية يومئذ هى الأُبُلَّة .

خطط عُتبة بن غَزْوان البصرة ، ورغَّب الناس فى سكناها و إخلاء الأُبُلَّة ، ونزلت قبائل العرب حولها ، حتى تكامل عدد رجال الجندحول البصرة بالإحصاء الواقع زمن ولاية زياد بن أبى سُفيان ثمانين ألفا من العرب ، وكان مجموع عِيَالات العرب مائة وعشرين ألف عَيِّلٍ[1] .

والبصرة هى مَوطن بشار ؛ وبها نشأت فيه الملكة العربية .

مرتبته من العلم

اتفق الرواة على أن بشارا كان ممن زاول علم الكلام وعُدّ من مُتقِنيه ، وأنه كان من أصحاب عمرو بن عُبيد وواصل بن عطاء ، وهما إماما المعتزلة بالبصرة ، قال أبو الفرج الأصفهانى: كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عَطاء ، و بشار بن برد ، وصالح بن عبد القُدّوس ، وعبد الكريم بن أبى العَوْجاء ، ورجل من الأزد (هو جرير ابن حازم) وحسبك عدّ بشار مع مثل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء من العلماء ، إلا أنهما عَظُما بالتقوى واستهتر بشار بالمجون .

وشعر بشار يدل على أنّ له رتبة مكينة فى السيرة النبوية وفى الأخبار والآثار وأيام العرب وتراجم الشعراء ، وما أُخذ عليهم وما اختير لهم من الشعر . ألا ترى فى قوله (فى الورقة ١٣٢) :

إن النُّخَيْلةَ لو يَميل بها الصَّبى كالقِنو مالَ عَلَى أبى الدَّحْداحِ

يشير إلى منقبة أبى الدَحْداح التى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : كم من عَذْق رَداح فى الجنة لأبى الدحداح .

---

(١) [العيل : من تتكفل به ، ويجمع على عيال ، وقد يكون العيال بمعنى العيل] .

شـــعره

معروفٌ من أصول الأدب تقسيم الشعراء إلى أربع طبقات : جاهلى ، ومخضرم ، وإسلامى متقدِّم ، ومولَّد .

فالجاهلى : من نشأ وانقرض قبل الإسـلام ، وهو شعراء مدة مائة وخمسين سنة قبل الهجرة ، لايعدو المعروفُ منهم هذا الزمن .

والمخضرم : من قال شعرا فى الجاهلية وأسلم ، وهو بفتح الراء ، من الخَضرمة ، وهى القَطْع ، لأن الإسلام قطعهم عن الـكفر . قال ابن فارس : «وهذا اللقب من الأسماء التى أحدثت لهم فى الإسلام » وأنا أحسب أن هذا اللقب سرى إليهم من وصف الإبل التى أسلم أهلها وجعلوا لها سمات تعارفوها تنبىء بأن أهلها مسلمون ، وهى شق آذان إبلهم ، وذلك الشق يسمى خَضرمة ، يدلّ لذلك ماورد فى حديث وَفد جَشْروهم بَطْن من قضاعةَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جَشْر طُلقاَء الله أسلموا وخَضرَموا ، قال ابن منده : الخَضرمة شق آذان الإبل حتى إذا أغارت عليهم خيل المسلمين عرفوها فلم تُهج .

والإسلامى المتقدم : مثل عُمر بن أبى ربيعة والفرزدق وجرير .

والمولدون : مثل بشار ومن بعده كأبى تمام ، وقد قسمهم الأدباء أيضا إلى أموى مثل أبى عَطاء السِّندى ، وعباسىٍّ مثل أبى تمام ، ومخضرمِ الدولتين ، وهو الذى أدرك بشعره الدولة الأموية والدولةَ العباسية ، مثل بشار والعجّاج وأبى النجم وذى الرُّمة . وبشار إلى الدولة الأموية أقرب ، وشعره فى مدتها أكثر ، وقد كان شعره شائعاً فى زمن الخليفة الوليد ابن يزيد ، ففى الأغانى أن محمد بن عمران الضَبى قال : أنشدت الوليد بن يزيد قول بشار :

أيها الساقيانِ صُـبَّا شرَابِى واسقِيانى من ريق بيضاء رُودِ

. . . . الأبيات .

وقد أظهر بشار تشيعه للأمويين فى قصيدته التى طالعها : « حفاَ وُدّه فازْوَرّ أوْمَلّ [صاحبه] » والقصيدة التى طالعها : « أأخزنَكَ الأُلى ظعَنُوا فَساروا » فهو أقربُ إلى أبى عَطاَء السِّنْدِىّ ، إلا أن أبا عطاء ترك قول الشعر عند ظهور الدولة العباسية ، وبشار أقلَبَ ظَهْرَ المِجَن ، فصانع العباسيين .

وقد عُدَّ بشارأولَ المولدين وآخِرَ المتقدمين من الإسلاميين ، هكذا يقول أهل الأدب ، ولقبه فى العُباب[١] بأبى المحدثين .

وأنا أُبيِّنُ لك وجْه هذا الحكم : اعلم أن الشعراء الذين طوّروا الشعر فيما عرف من أزمان تاريخ الشعر العربى قبلَ بشار[٢] هم : المهلهل وامرؤُ القيس والنابغة الذبيانى والأعشى ميمون وعُمر بن أبى ربيعة . [وكذلك] بشّار بن بُرد . فأما المهلهل فهو أول من هَلْهَلَ الشعر كما قال أيمة الأدب فى وجه تلقيبه بالمهلهل ، ومعنى هلهل الشعر رقّقه وحسّنه . وأما امرؤُ القيس فقد ابتكر التشبيهات البديعة ووصَفَ مجالسه مع النساء ، وأما النابغةُ فقد ذكر المقاولات والاعتذارات ووصفَ مجالس الملوك ، وأما عُمر بن أبى ربيعة فقد ابتكر وصف أحوال النساء فى مجالسهن الغزلية . وكل هؤلاء لم يَمُدُّوا الطريقةالمعروفةعندالعرب . وأما بشار بن برد فقد أحدث طريقة وسَطاً ، فهو آخر المتقدمين ، لأن لهجة شعره وجَزالة ألفاظه ورواج اللغة العربية فى شعره وطريقته العربية فى كثيرمن شعره ، وذكره مفاخر القبائل وأيامها وانتصارها ، كل ذلك لم يقصر فى شىء منه عن المتقدمين ، وكان يحتذى حَذْوَه فى هذه الصفة البحترى فى شعره . و بشار أول المولدين ، لأن امتلاء شعره بالمعانى الجديدة والعادات الحضرية من سبب رقيق وخمريات وزَهريات [ناضرة]وهجاءمقذعمعالنُّزوعإلى بعض العناية بالمحسنات اللفظية والمعانى العلمية، كل ذلك سُنَّة خالف بها طرائقَ الشعر العربى القديم ، وقد سَنَّها للمولّدين ، فهم يقتفون آثاره ، و يلحقون غباره ، وأول من اقتفى طرائقه سَلْمٌ الخاسر وأبو نُوَاس ومسلم بن الوليد وأبو تمّام ، كلٌّ فى ناحية من نواحى شعر بشار ، على تفاوتٍ فيهم من إكثار و إقلال .

ثم إن بشاراً قد رُزِق ذهناً وقّاداً وفِطرةً سليمةً ، ثم أعانه على نماء ذلك فقْدُ بصره ، فقوى خياله ، وأيضاً إحاطة حفظه وعلمه ، ثم قُدِّر له أنْ رُبِّيَ بين فصحاء العرب فى بنى عُقيل ، وسكن البَصرة التى هى مصر البادية العربية ، وهى سُوق سائرالعرب يومئذ ، وفيها

---

(١) العباب شرح أبيات الآداب لشرف الدين حسن بن صالح العدوى اليمنى ، شرح على أبيات كتاب الآداب لمجد الملك بن شمس الخلافة .

(٢) أما الذين طوروا الشعر بعد بشار فأبو تمام وأبو الطيب المتنبى وأبو العلاء المعرى والوشاحون من الأندلسيين .

تسمع مبتكَرات أشعارهم ومحفوظاتهم من أشعار سلفهم ، ولذلك كان النحوُ العربى مقرُّه البصرةُ .

نبغ بشار فى خلافة هشام بن عبد الملك ، أيامَ عَظُمَ مُلكُ الإسلام ، واجتمعت أمته تحت دولة واحدة ، قال الخطيب فى تاريخ بغداد : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشرَ سنين ، وقد قال بشار : هجوتُ جَرِيراً فاسْتَصْغرنى وأعرض عنى ولو أجابنى لكنتُ أشعرَ الناس . وفى الأغانى : قال بعض الناس لبشار : ليس أحد من شعراء العرب إلا وقد قال فى شعره شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشُكَّ فيه ، وليس فى شعرك مايُشك فيه ، فقال بشار : ومِنْ أَيْنَ يأتينى الخطأ ووُلدت هَهُنا ونَشَأْت فى حُجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عُقيل مافيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأَيْفَعْتُ فأَبْدَيتُ (أى سكنتُ البادية) إلى أن أدركتُ ، فمن أين يأتينى الخطأ ؟ .

وقد قال فى وصف شعره :

وشِعرٍ كنَوْرِ الروضِ لاءمت بينه ... بقَوْلٍ إذَا ماأحزن الشعر أسهلا[1]

لذلك قال أيمة الأدب : إنه لم يكن فى زمن بشار بالبصرة غَزِلٌ ولا مغنيةٌ ولا نائحةٌ إلاَّ يَروى من شعر بشار فيما هو بصدده . ومما أقبل بالناس على شعر بشار أنه لم يَقصِرْ نفسه على متابعة المتقدمين من الشعراء فى معانيهم ، بل أودعه المعانى الحَضرية المستَجَدَّة فى عصره ، فوصف حالة الناس فى عصره ومحاسن شرابهم و بساتينهم ، كما فى قوله :

فى جِنَانٍ خُضْرٍ وقصرٍ مَشِيدٍ ... قيصرىٍّ حَفَّتْ به الأعناب

فَوقَهــا ملعبُ الحمَام ويَسْتَا ... نٌ خَليجٌ من دونها صَخَّاب

وضمّنه أحوال الناس كقوله :

وأصابه سحر النُّخَيْلَةِ بعدَ ما ... أَنِفَ الصلاةَ وعاذَ بالمِشْباحِ

فذكر المسباح وهو المسبَّحة ، وكقوله :

ويعطيك ذُلاً إذا رُعْتَه ... كما ذَل للقــدم المِرْبَدُ

---

(١) ذكر هذا البيت مع أبيات أخر له عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الإعجاز س ٣٦٨ . وقد ذكرتها فى الملحقات .

يعنى مربدَ البصرة لكثرة من يدخله من الناس فقد ذل للأقدام .

وعبر عن مصطلحات عصره كقوله :

إنى وإن كنتُ حمّالاً أُجاوره صرّام حَبْل التمنى بالأكاذيب

فذكر الحمّال . وقوله :

أراكم أناساً سمنكم فى أديمكم مُجِنْتم فلا تستغفرون لِحُوبِ

وعبر عن عقائد العامة ، فقال :

إذا خَدِرَتْ رجلى شفيت بذكرها أذاها فأهفو باسمها حينَ تنكب

وجاء بلفظ « ست » وهى كلمة جديدة فى عصره بمعنى السيدة ، وكانوا يعيبون استعمالها، وبشار لم يعبأ بهم . قال البهاء زهير :

أُناديها إذا حضرتْ بستّى فيلحَظنى النحاةُ بعيْن مَقت

ونظم ألفاظ التحبب كقولهم : « نور عينى » فى مواضع ، منها ما فى الورقة ٣١ ، وكما ذكر الرواحل فى الأسفار ذكر الزوارق واختراقها الفرات ودجلة ، وأشار إلى الحكايات كقوله :

كقائلة إن الحمار فنحّه عن القتّ أهلُ السِّمسِمِ المتهذّب

وقوله :

فصرْتُ كالهِقْل غدا طالباً قرْناً فلم يرجِعْ بأُذْنَيْن

وهو فيما رأيت أول [شاعر] ذكر شرب الخمر على ذكر الأحبة فى الحزن وضده ، كقوله فى الديوان :

فاشرَب على موت إخوانٍ رُزِئْتَهُمُ بابُ المنيّةِ عنّى غيرُ مسدُودِ

وقوله فى الملحقات :

فاشرَب على أُبْنَةِ الزمان فما تلقَى زماناً صفاً من الأُبَنِ

وقوله أيضاً .

فاشرَبْ على حَدَثانِ الدهرِ مرتفعاً لايصحَبُ الهمُّ قرعَ السنِّ بالكاسِ

وقد سرى ابتكار بشار من ابتكاره المعانى إلى أن ابتكر الأساليب ، فنظم الشعر على

طريقة لم تكن معروفة ، وهى طريقة المراسلة ، وذلك رسالة شعرية راسل بها عَبْدة ، وهى فى الديوان :

مِن المشهــور بالحبِّ إلى قاســـية القلبِ
ســلامُ الله ذى العرش على وجهكِ ياحِــبى
فأما بعْــدُ يا قُرَّ ةَ عينى ومــنى قلبى

...... إلخ .

إن العصر والحالة اللذيْن تيسر لبشار أن يوجد بينهما لقد كانا بحكم المصادفة سبباً قويا خَوَّل مواهبه الفطرية النادرة أن تظهر فى مظهر الشاعر العربى الفائق المعانى الفصيح البليغ ، فقد كان عصر الدولة الأموية عصراً نضِجتْ فيه الحضارة العربية الخالصة ، وكان آخر ذلك العصر هو آخرَ عهد بالأدب العربى السليم من الدخائل ، وكان نزول قبائل العرب الخُلص حَول أول مصر إسلامى عربى ، وهو البصرة التى ظهر فيها شباب حضارة إسلامية عربية بريئة من العجمة ، وكانت نشأة بشار بين ظهرانى أولئك العرب الأقحاح ، كان كل ذلك عونا كبيرا على تكوين شاعرية بشار وجمعه مخيلة تحوى دقة المعانى الحضرية الجارية على الذوق العربى من رفاهية وغرام ومجون وأصالة رأى وسعة علم ، ثُم من فصاحة الألفاظ وبلاغة المعانى ، فإذا افتقدت مجموع ماتأتَّى له وجدتَه لم يتأتَّ لأحد غيره ممن تقدمه ولا لمن تأخر عنه ، فلذلك كان بحق هو أول الشعراء المتأخرين من حيث الوجهة الأولى ، وآخر الشعراء المتقدمين من حيث الوجهة الثانية .

فإذا كان الذين تقدموه مثل النابغة وحسان وعُمر بن أبى ربيعة والعَرْجِىّ قد شاركوه فى الفصاحة والبلاغة والمعانى القديمة فإنهم لم يكتسبوا ماأ كسبته الحضارةُ من دقة معانى المعارف والحكمة وعظمة الدولة ورقة الغرام والمجون .

وإذا كان المتأخرون عنه مثل أبى نواس وأبى تمام والبحترى قد شاركوه فى هذه الرقة ونسجوا على منواله فإنهم لم يَسْعَدوا بما سَعِدَ به بشار من النشأة فى الفصاحة والبلاغة الخالصتين .

وإذا كان معاصروه مثلُ صالح بن عبد القدوس وحمّاد عجرد وأبى العتاهية من شعراء

الحضر قد شاركه بعضهم فى المعانى الحضرية و بعضهم فى المعارف العقلية فإنهم لم يتفق لأحد منهم أن ينال مثل حظ بشار فى نشأته العربية البدوية .

إذا عددتَ من معاصريه ومن تقدمه قليلا من شعراء البادية أمثالِ رُؤْبَةَ وذى الرُّمَّة وأمثالِ الفرزدق وجرير لم تجد فى شعرهم ماتجد فى شعر بشار من دقّة المعانى ولا من رقّة الألفاظ . وهذا سر اللقب الذى منحه أيمةُ الأدب بشارا وهو أنْ سمَّوْه « أولَ المحْدَثين وآخر المتقدمين » الذى انْبَهَمَ توجيهه على الأدباء ، ألا ترى أنهم لا يَعنون بذلك تاريخَ وجوده ضرورة أنه لم يوجد منفرداً فى عصره ، و إنما عَنوا ديباجةَ شعره وطريقته ، فمعاصروه يلحق بعضهم بالمحدَثين مثل صالح بن عبد القدوس و بعضُهم بالمتقدمين مثل رؤبة وذى الرُّمَّة .

فصاحة ألفاظ بشار بلغت الحد الأقصى ، فإنك لا تجد فى ألفاظه ثقلا ولا تنافرا ولا كلفة ، وصراحة دلالة ألفاظه على المعانى بينة واضحة ، ترى فيها كيف يخطر له المعنى الجليل والدقيق والعامّىّ ، فلا يتريث فى التعبير عنه بأفصح الألفاظ دون استعانة بزيادة أو حذف ، بحيث تلوح لك الفصاحة العربية برُوائها والانسجام المولَّد ببَهائه ، كقوله (فى الورقة ٤٢) :

ما زِلتُ أذكُرُكم وليلتَكم حتى جفا عن مضجَعى جَنْبى
وعلمتُ أن الصَّرْمَ شيمتُكم فى النأى والهجرانَ فى القُرب
فضللت لا أدرى : أُقيم على الـهجران أو أغدو مع الركب

فقوله : « أو أغدو مع الركب » قابلَ به قوله : « أقيم على الهجران » فلم يعجزه الميزان ولا القافية إذ عبر عن السفر بأغدو مع الركب ، وكذا قوله فيها :

ناديتُ إنَّ الحب أشعرنى قَتلا وما أحدثتُ من ذَنْب

فقوله « أشعرنى قتلا » دون أن يقول « قتلنى » لتجنّب الابتذال .

وأما بَلاَغته فقد شهد له بها أيمةَ البلاغة وفحولُ الشعراء ، وكانت أبياته شواهد فى ذلك ، مثل قوله :

كأنَّ مُثارَ النَّقع فوقَ رُءوسهم وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهُ

وغير ذلك .

وقد وجدتُ له أربعَ استعارات فى مصراع بيت وهو قوله (فى الورقة ١٤٩) :

غاب القَذَى فشربْنا صفوَ ليلتنا حِيْنٍ نَلْهو ونخشى الواحد الصَّمَدا

فإنه شبَّه الرقيب بالقَذَى ، لأنه يكدّر عليه التذاذه بالحبيب ، كما يكدّر القذى الالتذاذ بالخمر ، وهى تصريحية ، وشبَّه الليلة بالخمر على طريقة المكنيَّة ، ورمَزَ بقوله شربنا ، وشبَّه تلذذ تلك الليلة بشرب الخمر ، وشبَّه خلوَّ الليلة من المنغصات بصفاء الخمر ، وقوله « صفو ليلتنا » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى : ليلتنا الصفو ، أى الصافية . فى هذا المصراع أربع استعارات . مصرّحة ومكنيّة ومصرّحتان بُنيتا على المكنية .

ومن أبدع الإبداع فى صناعة البلاغة قوله (فى الورقة ١٥٧) :

لا تفرحى بالجلَب الأشدّ قد يُخرج الليثُ سهامَ الوغدِ

إذ شبَّه حال عبد القيس فى إقدامهم على حرْب عُقبة بالمقام ، وجعل خيبتَهم فى الحرب كخروج السهم الوغد للمقامر ، وجعل عقبة كأسد فى الاغتيال ، وجعل بأسه كإخراج الأسد أنيابه ، وجعل الأنياب المجازية كالسهام لكنها أوغاد تنذر بالشر لمن خرجت له ، فجمع فى مصراع واحد مكنية ومصرّحة مرشّحة وترشيحُها مكنيةٌ أخرى ، وأعقبها بمصرّحة ، وتلك المصرحة فيها احتراس بديعى ، ومجموع ذلك استعارة تمثيلية ، أجزاؤها استعارات ، مع نهاية الإيجاز .

وأما تفننه فى الأغراض الشعرية فقد سلك فيه طرائق ابتكرها ، منها افتتاح الهجاء بالنسيب ، وقد كان العرب يفتتحون المديح بالنسيب ، مثل قصائد زهير والأعشى والنابغة وعلقمة الفحل ، وتعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة كثير فى شعر بشار ، سئل أبو عمرو ابن العلاء : مَنْ أبدَع الناسِ بيتاً ؟ فقال الذى يقول :

لم يطُلْ ليلِي ولكن لم أنمْ ونَفَى عنى الكرَى طيفٌ ألَمْ

روِّحى عَنِّى قليلا واعلمى أننى ياعَبدَ من لحمٍ ودَمْ

وأما أبواب الشعر فقد طرقها كلَّها وأبدع فيها :

فباب الهجاء قد اشتهر به بشار ونبغ فيه ، وقد قال إنه هجا جريراً فى صِغره فأعرض عنه جرير ، وكان الشر قد نشأ بين حماد عجرد وبين بشار ، فكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع أيمةّ الأدب بالبصرة على أنه ليس فى هجاء حمادٍ بشاراً شىء جيد إلا أربعين بيتا معدودة ،

وأن لبشار فى حماد من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد . وقد روى أبو العيناء أن الرشيد سأل الأصمعى عن أهجى بيت قالته العرب ، فقال له الأصمعى قولُ الحطيئة :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبَهمُ ... قالوا لأمهمُ : بُولى على النارِ

فتُمسِكُ البولَ بخلاً أن تجودَ به ... فما تبولُ لهمْ إلاّ بمقدارِ

فقال الرشيد : أهجَى منه قول بشار :

إذا أنكرتَ نسبةَ باهلىٍّ ... فكشِّفْ عنه حاشيةَ الإزارِ

على أشتاهِ سادتِهم كِتابٌ ... موالى عامرٍ وَسْمًا بنارِ

وقا أبو عمرو بن العلاء : أهْجَى بيتٍ قولُ بشار :

رأيت السُّهَيْلَيْنِ استوى الجودُ فيهما ... على بُعْدِ ذا مِن ذاكَ فى حكم حاكِمِ

سُهَيلُ بنُ عثمانٍ يجودُ بمالِهِ ... كما جاد بالوَجْعَا سُهَيلُ بنُ سالِمِ [1]

وأما باب النسيب فهو فاتحه على مصراعيه وتاركُ امرىء القيس فيه عَيِيًا .

وقد أبدع بشار فى وصف خلوات الحب ومشاكاة المتحابّين وتوسط الرسل ومراقبة الرقباء وَعَذْلِ العُذّالِ بما لم يسبقه إلى تفصيل التوصيف فيه أحدٌ من الشعراء ، وهو الذى فتح لأبى نواس وأتباعِه هذه الطريقة ، وانظر قصيدته التى أولها :

تعجبت جارتى منى وقد رقدا ... عنِّى العيونُ وباتَ الهمُّ محتشِدا

تجد خمسين بيتاً فى صفة زيارته محبوبته سعدَى .

وأما المديح فقد قيل لأبى عمرو بن العلاء : من أمدَحُ الناس ؟ قال الذى يقول (يعنى بشارا) :

لمستُ بكفِّى كفَّه أبتغِى الغِنى ... ولم أدرِ أن الجود من كفِّه يُعْدى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغِنَى ... أفَدْتُ وأعدانى فأتلفتُ ماعندى

وأما الفخر والحماسة فقد قيل : إن أفخر بيت قول بشار :

إذا ما غضِبْنا غَضبةً مُضَرِيّةً ... هتكْنا حِجابَ الشمسِ أو تَقْطِر الدَّما

---

(١) سنذكرهما فى الملحقات ونبين مراده بهما .

إذا ما أعزّنا سيّدًا من قبيلةٍ ذُرى مِنبرٍ صلّى علينا وسلّما

يريد أن الخطباء يصلّون على الرسول وآله وهم مُضر الذين منهم بنو عُقيل بن كعب من بنى عامر بن صعصعة موالى بشار [1] .

وأما باب الوصف وهو الذى يقصد منه حكاية واقعة تامة بدون تلميح ولا كناية ولكن بتفصيل قصير أو طويل فهو فن من الشعر نادر فى كلام العرب وشعراء صدر الدولة الأموية فمنه فى شعر العرب قول زهير فى المعلقة فى وصف سير الحى :

تبصّرْ خليلى هل ترى من ظعائن تحمّلن بالعلياء من فوقِ جُرثُم

. . . الأبيات .

ومنه قول عمر بن أبى ربيعة وأوجز :

ولقد قالت لأتراب لها وتعرّت ذاتَ يوم تبتردْ
أكما ينعتُنى تُبصِرْنَنى عمرَكُنّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلنَ لها حَسَنٌ فى كل عينٍ من تود

وقول أبى حيّة النُّمَيْرىّ من شعراء الحماسة :

رَمَتْهُ أناةٌ مِنَ ربيعةِ عامرٍ نَؤُومُ الضُّحَى فِى مأتمٍ أيِّ مأتمِ
فجاءتْ كخُوطِ البانِ لا مُتتابعٍ ولكنْ بسيما ذى وَقارٍ ومِيسَمِ
فقُلن لها سِرًّا : فَدَيْنَاكِ لا يرُحْ صحيحًا وإنْ لم تقتُليهِ فألمِمِ
فألقتْ قِناعًا دونَه الشمسُ واتّقتْ بأحسنِ مَوْصُولَيْنِ : كفٍّ ومِعصمِ
وقالتْ فلما أفرغتْ فِى فؤادِه وعَيْنيهِ منها السِّحْرَ قُلْنَ لها أنعمِ
فراحَ وما يدرِى : أفى طلعةِ الضحى تروَّح أمْ داجٍ من الليلِ مُظلِمِ

ولبشّار فيه اليد الطُّولى والنفَسُ الأطوَل ، كقوله يصف ليلةَ زفافِ حبيبته وسفرها :

دعوتُ بويلٍ يومَ راح عِدادُها وأودعنى الزفزافَ ليلةَ أدلجوا
وقد زادنى وجْداً عليها وما درتْ مجامرُ فى أيدى الجوارى تأجّجُ

---

(١) ذكر ابن رشيق فى العمدة أن بيت بشار هذا أنحر بيت قاله محدث ، ونظره بأنحر بيت للأقدمين.

(يُقَوِّم) منصورُ المُغِيرِى جماله — وقَلبى له هذا من الحلم أعوج
وما خرجت فيهن حتى عَذَلْنَها — قِياما وحتى كادت الشمسُ تخرج
فقامتْ عليها نظرة واستكانة — تساقَطُ كالنَّشْوَى حياء وتَنهج
وما كانَ مِنّى الدمعُ حتى توجهت — مع الصبح يقفوها الفنيد المسَرَّجُ
فَيا عبراً من بينها قبلَ نيلها — ومن سفطٍ فيه القوارير تُخْرَجُ
خَرجْنَ به فى حِجْر أخرى كأنه — بُنَىُّ لبابٍ فِى المعاوز يُدْرَجَ
وقَرَّبْنَ ممهُورَةِ السراةِ كأنما — غدا فى دياجير الكسا يتَرَجْرَجُ
فلما دَنا منها بكَتْ من دُنُوِّه — وقلن لها قُومى اركبى الصُّبْحُ أبْلَجُ
وفَدَّيْنَها كيما تخفَّ فأعرضَت — تجشَّم ممـــا سُمْنَها وتَغَنَّجُ
ولما جَلاَها الشمع سبَّح نَاظرٌ — وكَبَّر رفَّافٌ وساروا فأزهجوا

وأما باب الأدب فشعر بشار مُلِئُ حكمةً وأخلاقا وضرْبَ أمثال ، لأن بشاراً نشأ على معرفة الحكمة ، وقرأ على الفلاسفة ، وقد عُدَّ من نظراء واصل بن عطاء وعَمرو بن عبيد كما تقدم .

وأما صناعة الشعر فلبشار فيها غاية السبق وآية الحذق ، قال فى الأغانى[1] :

قال الأَئِمَّة : أحسن الناس ابتداء فى شعراء الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

قِفَا نَبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

وفى شعراء صدر الإسلام القطامى حيث يقول :

إنا مُحيُّوكَ فاسْـــلَمْ أيُّها الطَّلَلُ — وإن بَلِيتَ وإنْ طالت بك الطِّيلُ

ومن المولدين بشار إذ يقول :

أبي طَلَلٌ بالجزْعِ أن يتكلما — وماذا عليــــه لو أجاب مُتَيَّما
وبالفَرْعِ آثار بَقِينَ وباللِّوَى — مَلاَعِبُ لا يُعْرَفْنَ إلا توهُّما

وروى فى الأغانى بسنده عن بشار أنه قال : مازلتُ منذ سمعتُ قولَ امرئ القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد إذ يقول :

---

(١) ص ٢٥ جزء ٣ .

كأن قلوبَ الطــــير رَطْباً وَيَابِساً لدى وَكْرِها العنّابُ والحَشَفُ البالى

أُعْمِلُ نفسى فى أن آتى بتشبيه شيئين [فى بيت] حتى قلت :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَواكِبه[1]

وقد اتفق أيمّة الأدب على أن تشبيه بشار قد فاق تشبيه امرئ القيس الذى تقدمه وفاق تشبيه من تأخر عن بشار . فأما كونه فاق امرأ القيس فأمر واضح ، لأن امرأ القيس شبه شيئين بشيئين على التفريق ، وقد أشار إلى فضل بيت بشار عليه كلام عبد القاهر فى فصل من أسرار البلاغة[2] ، وكذلك فاق عمرو بن كلثوم . وأما كونه فاق من تأخره فقد قال الشيخ عبد القاهر فى ص ١٣٩ من أسرار البلاغة : « ألا ترى أن أحد التفصيلين فى التشبيه يفضل الآخر بأن تكون قد نظرت فى أحدهما إلى ثلاثة أشياء أو ثلاث جهات وفى الآخر إلى شيئين أو جهتين ، والمثال فى ذلك قول بشار :

كأنَّ مُثارَ النقع . . . الخ . مع قول المتنبى :

يَزور الأعادى فى سماءِ عَجاجةٍ أسِنتُه فى جانبيها الكواكبُ

أو مع قول عمرو بن كلثوم :

تَبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيضُ المباتيرُ[3]

التفصيل فى الأبيات الثلاثة كأنه شىء واحد ، لأن كل واحد منهم شبه لمعان السيوف فى الغبار بالكواكب فى الليل ، إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير فى النفس ما لا يقل مقدارُه ولا يُمكن إنكاره ، وذلك لأنه راعى ما لم يُراعه غيره ، وهو أنْ جعل الكواكب تهاوَى فأتمّ التشبيه ، وعبّر عن هيئة السيوف وقد سُلّت من الأغماد وهى تعلو وترسب ، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها فى أثناء العجاجة كما فعل الآخران وكان لهذه الزيادة حَظٌّ من الدقة . . . إلخ » .

---

(١) قال أبو الفرج الأصبهانى [قال يحيي] : أخذ هذا المعنى منصور النميرى فقال وأحسن :

ليل من النقع لا شمس ولا قمر إلا جبينك والمذروبة الشرع

(٢) انظر صفحة ١٥٦ .

(٣) هذا البيت نسبه الجاحظ فى كتاب الحيوان الى بشار بتغيير أوله هكذا : كأنما النقع يوما الخ ، وهو أثبت ، وأئمة الأدب مجمعون على أن بشارا غير مسبوق فى هذا التشبيه . فالظاهر أن عبد القاهر سها أو غلط فى نسبة البيت ، وقد ذكر فى الملحقات [لنا فى نسبة البيت توجيه نذكره فى التعليق على الملحقات].

قال أيمة الأدب : حام حولَ هذا المعنى من التشبيه كثير من الشعراء ، فلم يبلغوا مبلغ بشار ، مثل منصور النُّمَيْرى ومسلم بن الوليد وابن المعتز والمتنبى ، وقد بينت ذلك عند شرح هذا البيت . وليس هذا بالتشبيه الوحيد لبشار ، فإن له تشبيهات بديعة ، كقوله فى وصف خَفق السَّراب فى فَلاة :

كأنَّ فى جانبيها من تغوُّلها   بيْضاء تَحْسِرُ أحيانا وتنتقب

التغوّل : التلون ، أى مختلف اضطراب السراب للناظر مرة يغشى مَنظره ومرة يتجلى، وكأنَّ تلك الفلاة امرأة حسناء تكشف القناع تارة وتنتقب أخرى .

هذا ، وأما ابتكار المعانى فلبشار معان مبتكرة كثيرة ، حتى إن الشعراء ليعمِدون إلى معانيه فيسرقونها ويتصرفون فيها . قال بشار :

من راقبَ الناس لم يظفرْ بحاجته   وفاز بالطيِّبات الفاتك اللَّهِج

فأخذه سَلم بن عَمْرو الملقب بالخاسر فقال :

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا   وفازَ باللــذَّة الجَسُور

وقال بشار :

تذَكَّرُ من أحببتَ إذ أنتَ يافع   غلام فمغناه إليـك حبيب

فأخذه على بن العباس فى قوله :

وحبَّب أوطانَ الرجال إليهم   معاهدُ قضَّاها الشبابُ هُنا لِكا
إذا ذكروا أوطانَهم ذكَّرتهمو   عُهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلكا

وقال بشار :

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مخـدَّرة   قول تغلظــه وإن جرحا

فقال أبو نواس :

صَرِّحَنْ للذى تحب بحب   ثم دَعْه يروضُـه إبليس

وسيأتى فى فصل شهادة الأيمة لبشار كيف أخذ أبو العتاهية معنى بشار فى إخفاء البكاء ، فانظره هناك ، ويأتى فى ذلك الفصل قولُ على بن يحيى بن أبى منصور: «ما عُرف بشار بسرقة شعرٍ جاهلىّ ولا إسلامى » وذكر المعرى فى شرحه على ديوان المتنبى (معجزِ أحمد) أن المتنبى أخذ قوله فى الخيل :

شَوائلَ تَشْوالَ العقاربِ بالقنا   لها مَرَحٌ من تحتِه وصهيلُ

من قول بشار :

والخيل شائلةٌ تشقُّ غبارَها   كعقارب قد رفَّعتْ أذنابَها

نظم شعره

كان بشار يُعنى أن يصوغ كثيراً من قصائدة على طريقة النظم العربى القديم ، سواء كان من جهة المعانى ، فيذكر الأطلال والرسوم والغُدر والمراعى إعجاباً بمقدرته على الالتحاق بشأو العرب الخُلّص ، أم كان من جهة نسج نظمه ، فيأتى به على طريقة العرب فى أساليب تراكيب الجمل عندهم وفى توخى الكلمات الواقعة فى أشعارهم ، وكل ذلك دليل على سعة علمه بالعربية الحقة وسلامة ذوقه ، وقد أفصح عن عنايته هذه لِخَلفٍ الأحمرِ حين سأله عن قوله :

بَكرا صاحِبيَّ قبلَ الهجير   إنّ ذاكَ النجاحَ فى التبكيرِ

كما سنذكره ، وقد كان التنافس فى التحاق شأوِ شعراء الجاهلية مرمى همم الشعراء والعلماء فى ذلك العصر ، حتى إن خلفاً الأحمر كان يتبجح بأنه يستطيع أن يضع فى شعر كل واحد من شعراء الجاهلية أبياتاً أو يعزو إليه قصائد تشتبه بشعره أتم الاشتباه ، وقد قيل إنه وضع اللامية التى أولها : « أقيموا بنى أمّي صُدورَ مَطيِّكمُ » ونسبها إلى الشَّنْفَرَى لهذا الغرض ، وإنه وضع القصيدة التى أولها :

إن بالشِّعْب الذى دون سَلْع   لَقَتيلاً دَمُــــــه ما يُطَلُّ

وعزاها إلى الشَّنْفَرَى أيضاً . ومعلوم أن كل مُتعاطى صناعة هو مفتون بسمعة أساطينها ونوابغها ، فالذى دعا أهلَ الأدبِ العربى إلى نزعة النسج على منوال المتقدمين أن الذى يفرع منهم ذروة البلاغة لايزن هواة ذلك الفن مقداره إلا بميزان قربه من مشاهير أهل صناعتهم ، فذلك الذى كان يبعث فحول شعراء الإسلام على التشبه فى شعرهم بفحول الجاهلية تحدياً للناقدين ابتداء ، ثم لايلبث ذلك التحدّى حتى يصير لهم عادة ، فلا يزالون يُعْجَبون بانقضاء الفروق بين شعرهم وشعر العرب القحّ ، لأن الموازنة بين الشعرين تكون أمكن متى اتحدت طريقة

الشعرين ، ولم يزل المحكمون فى الأدب وفى العلوم يشترطون على المتناظرين وحدة الموضوع ، وعلماء الأدب يكلفون المتأدبين نظم القصائد فى الغرض الواحد والوزن والروى ليظهر القرب والبعد فى الإجادة ، كما يشهد بذلك اشتراط بديع الزمان وأبى بكر الخوارزمى على أنفسهما محاكاة قصيدة أبى الطيب : « أرَقٌ على أرَقٍ ومثلى يأرَقُ » فى مناظرتهما فى الأدب ، وبذلك يتبين صنيع الحريرى فى التحدى بمحاكاة شعر البحترى فى المقامة الثانية . وليس فى المولدين من إذا أراد أن يشابه العرب فى شعرهم شابههم مثل بشار ، وخذ مثلا من ذلك قصيدته التى طالعها :

طَرِبْتَ إلى حوضَى وأنتَ طروبُ ... وشاقك بين الأبْرَقَيْن كثيبُ

وهى فى الديوان .

وقد جمع بشار فى ملكته الشعرية بين متانة المعنى وفصاحة اللفظ وبداهة القريحة ، وقلما اجتمعت فى شاعر . أحضره المهدى فقال له : قل فى الحب شعراً واجعل الحبَّ قاضياً بين المحبين ولا تسمِّ أحداً ولا تُطِلْ ، فقال على البديهة :

اجْعَلِ الحبَّ بين حِبِّى وبَيْنِي ... قاضياً إننى به اليومَ راضِ

فاجتمعْنا فقلتُ ياحِبَّ نفسى ... إن عَيْني قليلةُ الإغماضِ

أنتَ عذّبْتَنِي وأنْحَلْتَ جسمى ... فارْحم اليومَ دائم الأمْراضِ

قال لى لا يحلُّ حُكمى عليها ... أنتَ أولَى بالسُّقْم والأمْراضِ[1]

قلتُ لما أجابنى بهواها ... شَمِلَ الجورُ فى الهوى كلَّ قاضِ

فقال له المهدى : حكمتَ علينا واوفقتنا ذلك ، وأمر له بألف دينار .

وفى العقد الفريد[2] : قال الربيع : خرجنا مع المنصور مُنصرَفنا من الحج ، فنزلنا الرَّضم ، واستقبله الناسُ وفيهم بشار ، فلما أراد الرحيلَ فى وقت الهاجرة لم يركب القبة وركب نَجِيبًا فسار والناس حوله ، فجعلت الشمسُ تضحك بين أعْيُنِهم ، فقال المنصور : إنى قائل

---

(١) [هكذا وقع فى بعض نسخ الأغانى ، وقد سبق ذكر « الأمراض » فى البيت الذى قبل هذا ، وجاء فى بعض نسخ الأغانى : « والإحراض » ، يقال : أحرضه الحب ، إذا أدنفه وأسقمه] .

(٢) ج ٣ ص ١٧ .

بيتاً فمن أجازه وهبتُ له جُبَّتى ، فقالوا : يقول أمير المؤمنين ، فقال :

وهاجرةٍ نصبتُ لهـا جَبِينى يقطِّع ظُهْرُها ظَهْرَ المَطايَهْ

فبادر بشار فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمْعى على خــدِّى وأقْصَرَ واعِظَايَهْ

فوهب له الُجبّة ، فباعها بأربعمائة دينار .

ودعا عُقبةُ بن سَلْم المالـكى بشاراً وحماد عَجْرَد وأعشى باهِلَة ، فقال لهم : خطر ببالى البارحةَ مَثَلٌ يتمثّل به الناس : « ذهَب الحمارُ يطلُب قرْنَـيْن فجاء بلا أُذُنَيْن[1] » ، فأخرِجُوه فى الشعر ، ومَنْ أخرَجَه فله خمسة آلاف درهم [وإن لم تفعلوا جلدتـكم كلـكم خمسمائة] فقال حمّاد : أجِّلْنا شهراً ، وقال الأعشى : أجِّلْنا أسبوعين ، وبشارٌ ساكت لا يتكلم ، فقال له الأمير : مالك لا تتكلم ، أعْمَى الله بصيرتَك ! فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، حضرنى شىء [فإن أمرتَ قلتُه ، قال : قل ،] فأنشد :

شَطَّ بسَـلْمَى عاجِلُ البَيْنِ وجَاوَرَتْ أسْــدَ بَنِى القَيْنِ
ورَنَّتِ النَّفْسُ لها رنَّةً كادت لها تَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ
طالبتُهـــا دَيْنى فرَاغَتْ بهِ وعلَّقت قلـبى مع الدَّيْنِ
فصِرْتُ كالعَيْرِ غدا طالِباً قرْناً فلم يرجِعْ بأُذْنَـيْنِ

[فانصرف بشار بالجائزة] .

نسيب بشار

لما كان النسيب والغزل يفيض عن العشق ، وهو استحسان الذات ، وكان بشار فاقدَ البصر ، فقد انتحل لغرامه نِحْلةً جديدة ، وهى أن دعوى عشق السمع كعشق البصر . وإن إجادته النسيبَ لأوضح دليل على قوة تخيله الشعرىّ وفصاحة لسانه ، وقد تقدم فى مبحث غرامه مافيه غُنْية عن التطويل .

---

(١) وقد جاء هذا المثل أيضاً بلفظ النعامة عوض الحمار ، ولذلك روى بيت بشار أيضا بلفظ الهقل ، وهو ذكر النعام ، عوض العير .

ومن المعانى التى لم أرها لغيره فى النسيب ذكرُ تصوير محبوباته ومناجاة صورها ، ويذكر أن التصوير فى التراب (انظر البيتين فى الورقة ١٠٢) .

هجاء بشار

الهجاء باب من أبواب الشعر القديم ، لكنه قليل بالنسبة للحماسة والمفاخر والنسيب ، وهجاء العرب معظمه تَنَبُّزٌ بمعايبَ واقعة من قبائح المهجو وسقطاته وحط لمقداره وتعيير له بمساوئ الخلال عندهم من الجبن وتحمل الضيم واللؤم ، وأشهرُ طرائقه طريقة التعريض والتلميح والمبالغة ، يقصدون من إيداع هذه الفنون فيه أن يكون [أَسْيَر] بين الناس ، كقول عُوَيْفِ القَوَافِى فى هجاء قبيلة اسمها وَبْر :

اللُؤمُ أكرمُ من وبْرٍ وَوَالدِه ... واللُؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدَا
واللؤم داء لوَبْرٍ يُقتلون به ... لا يُقتلون بداء غيرِه أبدا
قومٌ إذا ماجَنَى جانيهمُ أمِنوا ... مِن لؤمِ أحسابِهم أن يُقتلوا قَوَدَا

وكقول قُرَيْط بن أنيف :

لكنّ قومِى وإن كانوا ذوى عدد ... ليسُوامن الشرِّ فى شىء وإنْ هانا
كأنّ ربكَ لم يخلق لخشيتِهِ ... سِوَاهُمُ من جميع الناسِ إنسانا

ويسلكون طريقة التشبيه بالأشياء المحقرة ، كقول الأخطل فى هجاء بنى حارث :

ضَفادِعُ فى ظلماء لَيلٍ تجاوَبَتْ ... فدَلَّ عليها صَوتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وطريقةَ التهكم ، كقول ابن زَيَّابَة :

نُبِّئْتُ عَمراً غارِزًا رأسَهُ ... فى سِنَةٍ يُوعِدُ أخوالَهُ
وتِلكَ منهُ غيرُ مأمُونَةٍ ... أنْ يَفعَلَ الشىءَ إذا قالَهُ

وقد أفحشوا فى هجائهم ، كقول إياس بنِ الأرَتّ :

كلُّ عدُوٍّ يُتقَى مُقبِلاً ... وأمُّكُمْ سَوْرَتُهَا بالعِجَانْ

وقلما كان الشتم اختلاقاً منهم .

ثم كثر الهجاء فى شعراء الإسلام ، بسبب مابقى بين قبائل العرب من العداوة القديمة وتحقير بعضهم قبائلَ مِنهُمْ ، فكان ذلك فى الجاهلية يشتفى بالسيف ، فلما حرم عليهم القتال فى الإسلام صاروا إلى التشفى بالكلام ، وذلك بالتهاجر والاختلاق فيه ، وأكثرُ المخضرمين هِجَاء الحُطَيْئَةُ ، ثم حدث التهاجى بين جرير والفرزدق والأخطل ، فكان فى بعضه شىء من فُحْش ، وكان معظمه إقذاعا وبذاءةً . ولم يظهر الفحش فى الهجاء إلا فى صدر الدولة العباسية ، وأحسب أن ذلك مكتسب من بعض عادات الدخلاء فى القُرى التى استوطنها العرب من أطراف العراق العجمى .

ظهر الفَحش فى هجاء بشار وأبى الشَّمَقْمَق وحَمَّاد عجْرَدٍ وأبى هشام الباهلى ، وكلهم من عصر واحد ، اشتهر بشار بهجائه المُقذع الفاحش ، وقد كان من المبتدعين فى ذلك ، وعوتب عليه ، فقال : إنى وجدت الهجاء المؤلم آخذَ[1] بضَبْع الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد مِن الشعراء أن يُكْرَمَ فى دَهْرِ اللِّئَام على المديح فليستعدَّ للفقر ، وإلاَّ فليبالغ بالهجاء ليُخافَ فيُعطَى .

وقد هجا بشارٌ جماعةً من أعيان الشهرة ، منهم أبو مُسْلم الخراسانى ويعقوبُ بن داود وأخوه صالح لماولى البصرة ، وهجا واصلَ بن عَطاء الغزَّال إمامَ المعتزلة بعد أن كان يمدحه ، وهجا سيبويه إمامَ نحاة البصرة ، وهجا أباهشام الباهلى وحمّاد عجرد ، ولم يَبْقَ أحد من أشراف البصرة إلا مُنِىَ بشىء من هجاء بشار أو اتَّقى هجاءه .

رجز بشار

قال الجاحظ[2] وأبو الفرج الأصبهانى : أنشد عُقبَةُ بنُ رُؤْبَةَ بنِ العَجَّاج رجزاً يمتدح به عقبةَ بن سَلْمٍ وبشارٌ حاضر ، فأظهر بشار استحسانَه الأُرْجُوزة ، فقال عقبة بن رُؤْبة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تنْسُجه ، فقال بشار : أَلِمِثْلِى يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرْجَزُ منك ومن أبيك ومن جَدِّك ! فقال عقبة : أنا والله وأبى فتحْنا للناس بابَ الغريب وباب الرَّجَزِ ، والله إنى لَخَليق أن أُسُدَّه عليهم (يعنى بجودة نسجه فى ذلك وعجزهم عن مجاراته) فقال له بشار : ارْحَمْهم رحمك الله ! فقال عقبة : أتستخفُّ بى يا[يا أبا] مُعاذ وأنا شاعر

(١) أسم تفضيل ، أصله « أأخذ » بهمزتين ، قلبت الثانية الساكنة ألفا للتخفيف .

(٢) ص ٥٤ جزء ١ من البيان .

ابنُ شاعرٍ ابن شاعرٍ ؟ فقال بشار : فأنت إذَن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْسَ وطهَّرَهم تطهيراً ! ثم خرج عُقْبة مُغْضبًا ، فلما كان من غدٍ غدا بشار على عُقبة بن سَلْم وعنده عُقبة بن رُؤْبة ، فأنشد بشار أرجوزته التى أولها : « ياطَلَلَ الحىِّ بذات الصَّمْدِ » فطرِبَ عُقْبَةُ بن سَلْم وأجزل صِلَته ، وقام عُقبة بن رُؤْبة فخرج عن المجلس بِخزيٍ ، وهرب من تحت ليلته .

أقْدَم شعرِ بشار

ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى عن هشام بن الكلبى قال : كان أولُ بَدْء بشار أنه عشِق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفَّ وذَهَب بصرهُ ، فسمعها تغنِّى فهوِيَها ، وأنشأ يقول :

عجبتْ فَطْمَةُ من نَعْتِى لهـا ‍ ‍ ‍ ‍ هلْ يُجِيد النَّعتَ مكفوف البصَر ؟

. . . الأبيات ، وستأتى فى الملحقات .

وقد تقدم فى طالعة مبحث شعر بشار أن من أقدمه قوله :

أيُّها السـاقيانِ صُـبَّا شَرابى ‍ ‍ ‍ ‍ واسْقِيانى من رِيقِ بيضاء رُودِ

. . . الأبيات ، وأن ذلك كان شائعاً فى خلافة الوليد بن يزيد .

راوية بشار وكاتب شعره

حَفظنا أسماء سبعة من رواة شعر بشار عنه :

الأول : يحيى بن الجَوْن العَبْدِى ، ذكره أبو الفرج الأصبهانى ، وقد ذكره فى الديوان فى آخر ورقة ١٠٧ .

الثانى : سَلْم الخاسِر [1] ذكره أبو هلال ، انظر شرح البيت ٢٦ من الورقة ١١٨ .

---

(١) هو سلم بن عمرو البصرى مولى بنى تيم بن مرة ، ثم مولى [آل] أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، شاعر مطبوع ، لقب بالخاسر لأن أباه لما مات ترك له مصحفاً فباعه واشترى بثمنه دفاتر شعر ، وقيل اشترى طنبورا ، وقيل عودا ، قال الصفدى : كان سلم مسلطا على بشار ، يأخذ معانيه الجيدة فيسكبها فى قالب أحسن من قالبها ، فيشتهر قول سلم ويجمل قول بشار ، قال : وتوفى فى حدود الثمانين ومائة .

الثالث : هشام بن الأحنف .

الرابع : محمد بن الحجاج ، ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ص ٤٤٢ جزء ٣) .

الخامس : أبو مُعاذ النُّمَيرِيّ ، ذكره أبو هلال العسكرى فى قصة سَلْم الخاسر (انظر شرح البيت ٢٦ فى الورقة ١١٨) .

السادس : محمد بن بشّار بن بُرْد ، ذكره المَرْزُبانى فى الموشّح فى ترجمة عباس ابن الأحنف .

السابع : جعفر بن محمد النوفلى ، ذكره أبو الفرج الأصبهانى فى ترجمة بشار فى الجزء ٣ ص ٣٥ ، قال : « وكان يروى شعر بشار بن برد ، قال : أتيتُ بشاراً ذاتَ يوم » الخ ، وقد ذكره فى الجزء ٦ ص ٤٩ أيضاً .

وأما كاتب شعره فإن بشاراً لما كان أعمى كان مضطراً إلى من يكتب شعره الذى يرسل به إلى أصحابه ، والذى يودعه ديوانه مما ينشده فى المديح والغزل وغيرهما من حفظه ، وقد جاء فى الأغانى صفحة ٦٢ جزء ٣ : أن بشاراً لما أراد أن يعاتب صاحِبَه المِنْقَرِيّ على أن بعَثَ إليه بشاةٍ للأضحية غيرِ حسنة بأبيات بعثها إليه ، قال لغلامه : « اكتُبْ ياغلام » الخ ، وهى الأبيات التى تذكر فى قافية اللام من جزء الملحقات ، قال الجاحظ فى كتاب الحيوان : « وكان سليمان الأعمى الشاعر أخو مسلم بن الوليد الأنصارى من محبّى بشار ، وكان يختلف إليه وهو غلام ، ويقبل عنه معتقده »(١) .

توسع بشار فى اللغة وقياسه فيها

تلتئم اللغة العربية من نوعين : ألفاظ وأحكام .

فأما الألفاظ ، ويعبر عنها بالمفردات ، فهى قسمان :

الأول : الكلماتُ الموضوعةُ للدلالة على المعانى الخاصةِ بتركيب حروفها المعبر عنها (أى عن تلك الحروف) بالمادّة ، وهى الجوامدُ من أسماء الأعيان ومن الحروفِ والأفعالِ الجامدةِ وأسماء المعانى المسماة بالمصادر الدالّةِ على الأحداث لا على الذوات .

---

(١) انظر ص ٦٤ جزء ٤ .

القسم الثانى : الصِّيَغُ الدالة على مَعانٍ عارضة لمعانى المصادر زائدة عليها ، كدلالة صيغة « فَعَل » على كون المعنى المصدرى وقع فى زمن مضى ، « ويَفْعَل » على كونه واقعا فى زمن الحال ، ودلالة صيغة « فاعِل » على كون المعنى صادراً ممن تلبَّسَ بالمصدر ، ودلالةِ صيغةِ « مِفْعَل ومِفْعَال ومِفْعَلَة » على الآلة التى يحصل بها المصدر ، وهذه الألفاظ بقسميها يختص بالبحث عنها علم متن اللغة وعلم التصريف .

وأما الأحكام فهى الكيفيات التركيبية التى يتألف الكلام العربى عليها تألفاً مُطَّرداً ولو بوجوه متعددة ، بحيث لو أُخرج انتظامه عن تلك الكيفيات لكان غيرَ جارٍ على ماتكلم به العرب أصحابُ هذه اللغة وأصبح كلامه عَسِيرَ الفهم لأهل هذه اللغة ، ككون الاسم الذى هو فى أول الكلام ومخبرٌ عنه بخبر يكونُ الحرفُ الأخيرُ منه مضموما ، وكونِ الفعل الدال على زمن الحال يكون آخر حروفه مضموما مالم تسبقه كلمة من كلمات معروفة معدودة إذا سَبقتْ إحداها الفعلَ الدالَّ على الحدث صار آخره مفتوحا ، وكذلك استعمال الكلمات فى غير ماوضعت له لمناسبات وعلاقات ، وكذلك النكت والمناسبات فى الكلام المبنيُّ عليها أدبُ العرب ، وكذلك موازين الشعر وطرقُ السجع . وهذه الأحكام يبحث عنها فى علم النحو وعلم البلاغة وعلم العروض .

وقد بذل أيمّة علوم العربية جهودَهم فى استقراء كلام العرب بنوعيه ، فاستخرجوا من استقرائهم القسمَ الأول من النوع الأول ، واتفقوا على أنه لايؤخذ إلا بالسماع من العرب ، ودوَّنوا ذلك بمعانيه فى مطولات كتبهم التى أولها وأصلها كتاب العَين للخليل بن أحمد الفَرَاهيدِى رحمه الله ، وهو الذى بتهذيب من جاء بعده وتلخيصه وتصحيحه والزيادة عليه كملت كتب متن اللغة المعبر عنها عندنا (بالقواميس) أخذا من اسم كتاب الفَيْرُوزَبَاذِى المسمّى بالقاموس .

واختلفوا : هل يمكن ادّعاء أنهم أحاطوا بكل ماتكلم به العرب ؟ قال ابن فارس : « مابلغنا عن أحد مضَى أنه ادعى حفظ اللغة كلها ، فلغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وإن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله . إهـ » . وأقول : إن العرب قبائل شتى منتشرة ، ولما دخلوا فى الإسلام تطوحوا فى الفتوح وتفرقوا ، وما انبرى علماء العربية للسعى فى استقراء

اللغة ، إلا فى منتصف القرن الأول بعد الهجرة ، وقد انقرض جم غفير من العرب ، وليس بيد الناس من الكلام العربى غير القرآن ، فقيّد رواة اللغة مااستطاعوا تقييده ، مما وَعته حوافظ أبناء العرب من شعرهم ومُلحهم وأمثالهم ومحادثاتهم ، ومما تلقوه بالسماع من البقية الباقية من العرب فى البوادى ، مثل العجّاج ورُؤْبَة وذِى الرُّمة ، ومن محادثة بعض الرواة فى تَطْوافهم بالبَوادى العربية ، فدوّنوا من ذلك مايرجع إلى النوعين المبدّإ بهما هذا المبحث بأقسامهما ، وسَمّوه بالقياسى و بالجارى على القياس ، لأن لكل متكلم بالعربية أن ينطق بالألفاظ الداخلة تحت ذينك النوعين ، وقد اختلفوا فى القياس على ماعدا ذينك ، ومعنى القياس أنه إلحاق كلامٍ غير ثابتةٍ كثرة استعمال نظيره عن العرب بكلام ثابت عنهم كثير استعماله لمساواة الكلامين فيما يوجب ذلك الإلحاق ، والمراد بمخالف القياس ما كان من التصرفات مخالفا للنظائر الكثيرة الثابتة فى كلام العرب ، ولو كان هو بخصوصه ثابتا فى كلام العرب .

فأما الشاذ فالمراد به مالم يُسمع عن العرب إلا نادرا ، فقد يكون قياسا ، وقد يكون مع شذوذه غير قياس ، فإذا اجتمع الشذوذ ومخالفة القياس فاستعمال ذلك الذى اجتمع فيه الأمران قبيح عندهم .

و إذا انفردت مخالفة القياس مع الشيوع فالاستعمال جائز .

و إذا انفرد الشذوذ مع القياس فهو محل خلاف بينهم .

وهنالك قسم آخر ، وهو أن يكون اللفظ جاريا على القياس وغير مسموع من العرب .

قال ابن جنى [فى الخصائص ج ١] ص ١٢٠ : « يقلُّ الشىء وهو قياس ، كقولهم فى النسب إلى شَنُوءة شَنَئِىّ ، فلك فى النسب إلى حَلوبة أن تقول : حَلَبِىّ ، وإلى ركوبة : رَكَبِىّ ، لأنهم أجروا فَعُولة مجرى فَعِيلة . فكما قالوا فى حَنِيفة حَنَفِى فكذلك قالوا فى شَنُوءة ، فجرتْ واوُ فَعُولة مجرى ياء فَعِيلة ، قال أبو الحسن الأخفش : إن قلتَ إنما جاء هذا النسبُ فى حَرْفٍ واحدٍ ، يعنى شَنُوءة ، قلت : هو جميعُ ما جاء ، يعنى أن الذى جاء فى فَعُولة هو هذا الحرف (أى الكلمة) ، والقياس قابِله ، ولم يَأتِ فيه شىء ينقُضه ، فإذا قاس الإنسانُ على جميع ماجاء وكان قياسه صحيحا فلا غَرْوَ ولا مَلامَ . وقد يكثر الشىء

ولا يكون هو على القياس ، فلا يجوز أن يُقاسَ عليه ، كقولهم فى النسب إلى ثَقِيف ثَقَفِىّ ، وفى قُرَيْش قُرَشِىّ ، فهذا كثير أكثر من شَنَئِىّ ، والقياس عليه ضعيف عند سيبويه ، فلا يجوز أن تقول فى النسب إلى سعيد وكريم سَعَدى وكَرَمى ، فقد يَردُ فى اليدِ فى هذا الموضع قانونٌ يُحمل عليه ويُرَدُّ غيره إليه » .

وقد أخذنا من كلام أيمة العربية قاطبة أن القياس فى اللغة العربية لمن شاء التكلم بها يتصور على أنحاء :

الأول : ماشاع وكثر وروده عن العرب من ألفاظ وصيغ سواء وافق القياس أم خالفه وسواء ثبت عندهم لفظه أى ذاته أو نوعه ، قال ابن جنى فى الخصائص (ج ١ ص ١٢٧) : قال لى أبو على الفارسى : إذا صَحَّت الصفةُ فالفِعل فى الكَفّ ، قال ابن جنى : وإذا ثبت أمر المصدر الذى هو الأصل لم يتخالج شك فى الفعل الذى هو الفرع لأن المصدر أشدُّ ملابسةً للفعل من الصفة . إهـ . وهذا النوع قد اتفق أيمة العربية على جواز استعماله فيما ورد فيه ، وذلك موعَب فى كتب النحو وكتب البيان .

الثانى : ماثبت عنهم ولم يَشِع ، وذلك إن كان جاريا على القياس لايضره عدم الشيوع ، لاحتمال أن الرواةَ لم يستقرئوا النقل ، وهنالك نزاع بينهم فى أن هذا هل يعد من الغريب المنافى للفصاحة التى اشترطوا فيها ألا يكون فى الكلام كلمات غريبة أو لا يُعَدّ منه .

الثالث : ماثبت عنهم من ألفاظ ولم يَشِعْ فى استعمالهم وخالف القياس ، وقد اختلفوا فيه ، والجمهور على أنه يقتصر على السماع ، وهذا مثل القلب فى بعض الجموع ، كقولهم فى جمع رِئْم آرام وقولهم توآدَ فى تأوَّد بمعنى تثاقل فى فعله مشتقا من الأَود وهو الثقل .

قال الأزهرى : المقلوبات فى كلام العرب كثيرة ، ونحن ننتهى إلى ماثبت لنا عنهم ، ولا نُحْدِث فى كلامهم مالم ينطقوا به ، ولا نقيس على كلمة نادرة جاءت مقلوبة .

الرابع : ماثبت نظيره من الصيغ وهو جارٍ على نظائره فى الاشتقاق ، لكنه سُمع عن العرب فى بعض الألفاظ ولم يُسمع فى البعض الآخر ، وهذا مثل صَوْغ وزن فَعَالِ مصدراً ،

فقد سمع فَجَارِ ولم يسمع كَفَافِ[١] ، وكذلك وزن فَعَلَى كالجَمَزَى ولم يسمع الغَزَلَى والوجَلَى ، ومثل وَزن فِعْلان بكسر الفاء سُمع فى جمع حُوت ولم يُسمع فى جمع نُون[٢] .

الخامس : مالم يثبت لفظه ولا ثبت نظيره ولكنه جار على القياس فى الاشتقاق ، كصوغ تَبَرْنَس بمعنى لبس البُرْنُس ، قياساً على تَعَمَّمَ وتدرَّع ، وكجمع دَجَّال على دَجَاجِلة ، وكذلك إشباع حروف بعض الكلمة نحو يَنْبَاعُ فى يَنْبَعُ .

السادس : مالم يثبت عن العرب إطلاق لفظ عليه ، ولكنه أطلق لفظ على ما هو مشتمل على معناه ، مثل إطلاق لفظ الخمر على شىء مسكر ، ولفظ السارق على النبَّاش ، ولفظ الدابة على الطائر[٣] .

فإطلاق ما ثبت عن العرب من الألفاظ والصيغ والأحكام مما دل حال كلامهم على أنه كُلِّيَّاتٌ تقال فى جزئياتها من معانى اللفظ أو أنواع الموادّ للصيغة الواحدة ليس من القياس ، بل هو استعمال ، وكذلك استعمال ماثبت بالنوع كأنواع المجاز وذلك فى النحوين الأولِ والثانى ، كما أن مالم يثبت بذاته ولا بقاعدة لايجوز إطلاقه ، لأنه يشبه وضع لغة جديدة ، وهو أحد معانى القياس فى قولهم لاتثبت اللغة بالقياس ، وذلك فى النحو السادس ، ولم يقل بجواز القياس فى هذا النحو إلا بعض علماء الأصول من الشافعية ، وهو خطأ منهم ، وقائلوه ليسوا من أهل العربية ، وبقى النزاع فى الأنحاء الثالث والرابع والخامس .

قال ابن جنى فى الخصائص : اعلم أن من قوة القياس عندهم اعتقادَ النحويين أنّ ماقِيسَ على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب ، نحو قولك — فى قوله : كيف تبنى من ضَرَبَ وزن جعفر — : ضَرْبَب ، فهذا من كلام العرب ، ولو بنيتَ منه ضَيْرب أو ضَرْوَب أو ضَوْرب لم يُعتقد من كلام العرب ، لأنه قياس على الأقلّ استعمالا والأضعف قياساً .

وفى لسان العرب فى مادة كبر : قرأ حُميد الأعرج : « والذى تولى كُبْره » بضم

---

(١) إشارة إلى قول المعرى فى رثاء الشريف الموسوى :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

(٢) إشارة إلى ماوقع فى شعر بشار من ذلك ، وسيأتى .

(٣) إشارة إلى ماوقع فى حديث الموطأ فى كتاب العدة : أخذت دابة من طير أو غيره فافتضت به .

الكاف ، فقال الفراء : هو وجه جيد لأن العرب تقول : [فلان] تولى عُظْمَ الأمر (بضم العين وسكون الظاء) أى أكثره ، قال أبو منصور : قاس الفراء الكُبْرَ على العُظْم وكلامُ العرب على غيره .

فبشار قد نشأ فى مواطن العرب بالبادية ، وأدرك العرب الباقين من بنى عامر بن صعصعة وتلقى اللغة بسمعه ، ولم يخلط فى معاشرته بين العرب والمولدين ، فهو لنشأته فى ذلك العصر لا يُتَّهم بأنه يخترع لغة أو يقيس فيها على غير أصل ، إذ ليس به مُلجئ إلى ذلك ، وله فى سعة العربية مَنْدُوحة عن الدخول فى مضايق الاختراع والقياس . فما نجده فى شعره من صيغ لموادّ عربية مما لا شاهد لثبوته فى كتب اللغة فليس ذلك بسبيل أن يُعَدّ عليه لَحْنًا ، كيف وهو عربى السليقة باتفاقهم ؟ ولكنه لا يُظن به إلا أن يكون قد سمع ذلك من العرب فاستعمله ، أو عَلِم من عادتهم اشتقاقَ مثله وجوازَ قياسه .

فإذا كان رواة العربية وعلماؤُها قد أبَوْا أن يتلقَّوا من كلامه ما يجعلونه شاهداً للعربية ، لأجل دخوله الحواضرَ ، ومعلوم ما كان فى نفوسهم من الظِّنَّة لمن تطرقوا الحواضر بسكناهم ، حياطةً للعربية أن يُثبتوا فيها مايطرقه الاحتمال ، فهو أيضاً بعربيته لا يَعْبأ بإباءِ رُواة العربية مما أبَوْه عليه ، وهذا مثار الخلاف بينه وبين سيبويه والأخفش فى عدة مسائل .

وقد جزم علماء العربية بأن ناساً من المولَّدين قد بلغ حظهم فى العربية مبلغَ أن يكون كلامهم حجة فيها ، مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، لأنه نشأ فى هُذَيل ، حتى إن الأصمعى روى عنه عربيةً كثيرة ، ومثل أبى الطيب المتنبى وأبى القاسم الزمخشرى ، فليس بشار بالقاصر عن هذه المرتبة التى وُضِع هؤلاء فيها ، إذ هو معاصرٌ العجاجَ وذا الرُّمَّة ورُؤْبَة بنَ العجاج . على أن بشاراً كان يُدِلُّ بعلمه فى العربية فيعمد إلى تغيير فى بعض الكلمات إذا رأى لذلك داعياً .

قال أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (ص ٥٦ جزء ٢) : ذكر بشار فى قصيدة له داليَّة بناها على فتح حرف الرِّدْف [١] فوقع له فيها لفظ « صِنْدد » و « رِمْدد » ففتح دَالَيهما إذ حَكى محمد بن حبيب أنه رواهما بفتح الدالَين ، والفتح خطأ ، إذ ليس فى العربية

---

(١) أراد بالردف الحرف الذى قبل حرف الروى على اصطلاح المتقدمين ، وإن كان أهل العروض لا يسمون بالردف إلا الواو والياء اللينتين إذا وقعتا قبل حرف الروى .

ففَلَل إلا دِرْهَم وهِجْرَع (الطويل الأحمق) وهِبْلَع (الكثير البلع) وقِلْعَمّ (الكثير القلع للأشياء) قال أبو هلال : وكابَرَ فى فتح الدالين كما كابَرَ فى فتح الراء من « دَرَم » فى القصيدة التى أولها : أفيضا دماً إن الرَّزايا لها قِيَم[1] . ومن إدلاله بعلمه أيضاً ارتكابُه مالا يجوز فى اللغة عند الضرورة علماً بأنه لا يُتَّهم بالجهل ، فسلك مسالكَ شعراء العرب فى إقدامهم على ما بسبب الإقدام عليه اتسعت الوجوه فى اللغة ، فقد قال بشار (فى الورقة ١٩٧) :

زُرِى رَوْحاً فلن تجدى كروح إذا أَزِمَت بكِ السَّنة الجماد

فقوله « زُرِى » صوابه « زُورِى » بإثبات الواو التى هى عين الكلمة ، إذ لا موجب لحذفها ، فإنها حُذفت فى أمر المذكر لالتقاء الساكنين ، إذ الأمر مجزوم ، وأما فى أمر المؤنثة فلا موجب لحذفها ، لأن مابعدها متحرك بحركةٍ مناسبة الياء .

فشعر بشار يُستَخلَصُ منه مَذهَبُه فى طريقة اشتقاق اللغة للمتكلم بها ، فهو يرى جوازَ اشتقاق الألفاظ بصيغة من صِيَغ الاشتقاق التى اشتقّ بها العربُ من كل مادة عربية أصلية على حسب القواعد والضوابط المستقرَأةِ من كلام العرب دون توقُّفٍ على سماع تلك الصيغة بعينها من تلك المادّة .

ومثال هذا قوله :

وإذا سرى كَحَلَ الزَّميلَ بأَرْوَقٍ من قَرع بازِلِه ومِن قِيقَابِهِ

فصاغ القِيقَابَ مصدراً من قَبَّ الفحْلُ قَبًّا إذا قَعْقَعَتْ أنيابُه ، والفِيعَال يكون مصدر فَاعَلَ ، نحو القِيتَال ، وهو يَأتى للمبالغة ، فأتى به كذلك ، وجاء بصيغته وهى صيغة معروفة ولكنها لم تُسمع فى هذه المادة[2] .

واستعمل جَنابَاوَيْه فى مَيْمَنة الجيش ومَيْسَرته ، وإنما يسمّيان مُجَنِّبَتَىْ الجيشِ ، فلما قال

(١) ستأتى فى الملحقات.

(٢) [إذا صغنا « فاعل » من قب ، كان « قاب » بباء مشددة ، وكان مصدر « الفيعال » منها « القيباب » لا « القيقاب » . والرأى عندنا أن « قيقابه » فى البيت تحريف ، والأصل : « قبقابه » والقبقاب : الجمل الهدار . ولعل بشارا استعمل القبقاب مصدراً لقبقب] .

أهل اللغة : إنما سُمّيتا مُجَنِّبَتين لأنهما تأخذان جَنَابَىْ الطريق ، سمّاهما باسم المكان ، هذا إذا لم يكن قد ثبت سماع هذا الإطلاق من أهل اللسان ، وقد أهمله مدونوا اللغة .

واستعمل وصف مُقْوَدّ فى قوله :

كأنّه من غُلْواء الجُرْد فى العَسْكر المُسْلَنْطِح المُقْوَدّ

ولم يُنقل عن العرب مُقْوَدّ ولا اقْوَدّ ، ولكنه جاء على وزن مُعْوَجّ ومُزْوَرّ ومُحْمَرّ ، من اعْوَجّ وازْوَرّ واحْمَرّ . فقدّر بشار فِعْلَ اقْوَدّ ، وصاغ منه مُقْوَدّ (انظر البيت فى الورقة ١٧٥) .

ونظيره قوله أيضاً فى هذه القصيدة : « تَرْقَدّ فى رَيْعانِها المُرْقَدّ » .
(انظر البيت ٢١ فى الورقة ١٥٥) .

وأما قول بشار فى الورقة (٢٠٩) :

دَعْ عنكَ حَمّاداً وخُلْقانَهُ لاخَيْرَ فى خُلْقانِ حَمّادِ

فاستعمل خُلْقان بمعنى الخُلُق ، والمعروف أنه جمع خَلَق ، وهو الثوب الرّثّ ، ولا يصح أن يكون هذا قياسا على جمع خَلَق ، إذ ليسا من باب واحد ، ولا أن يكون مَصدرا كالكُفْران والغُفْران والشُّكْران ، فتعين أن يكون قد سمع هذا اللفظ من العرب أو رأى جواز اشتقاقه .

وكذلك قوله فى الورقة (١٠١) :

وأفلتَ يَعْزِى ذاتَ عقب كأنها حذارية من رأس نيق تدلّتِ

استعمل حِذارِيَة للصخرة من الجبل ، والمعروف فى اللغة حَذْرِيَة ، فلعله حَفِظ عن العرب حذَارية بالإشْبَاع ، أو لعله أراد النسبَ إلى الجمع ، أى واحدة من هذا الجمع ، فيكون بتشديد الياء [(١)] .

ومن ذلك إشباع الحركات فى نحو قول بشار (فى الورقة ١٩٧) :

أغر على المَنابِرِ أرْيَحِىّ كأنّ جبينَه القمرُ الفَرَادُ

ولم يُسْمع فراد ، وإنما سمع فَرَد بفتحتين .

واستعمل الثِّيبَ بكسر الثاء فى جمع الثَّيِّب ، وهو غير مسموع ، إذ لم يقولوا : امرأة

---

(١) [لنا فى كلمة « حذارية » توجيه آخر ، وسنذكره فى موضع البيت من الديوان] .

ثَيْبَاء ولا رجل أثْيَب ، كما قالوا : رجل أثْيَب وليلة شَيْباء ، فجمعه بوزن فُعْل الذى يصير إلى فِعل بكسر الفاء لأجل استثقال الضمة قبل الياء الساكنة ، وكأنه قد جوّز أن يقال : امرأة ثَيْبَاء ، وذلك فى قوله (فى الورقة ٣٠) :

فلابد أن تغشاكَ حين غشيتها ... هراجد أبكارٌ عليكَ وثِيبُ

وأما فى اشتقاق الأفعال فتوسعه كثير ، ولا عجب فى ذلك لأنه أخف من القياس على الأسماء ، إلا أن بشاراً يعمِد إلى ضَرْبٍ من اشتقاق الأفعال ، وهو عدم اكتراثه بالتعدية واللزوم ، فربما استعمل القاصرَ متعدِّياً كقوله :

وَحَاسِدِ قُبَّةٍ بُنِيَتْ لِرَوْحٍ ... أَطَالَ عِمَادَهَا سَاسٌ وَآدُوا

فاستعمل آدَ بمعنى قوَّى متعدِّيا من الأَيْد ، والمعروف فى كلام العرب أنه قاصر ، يقال : آدَ فلان ، إذ اشتدَّ وقوِى[1] .

وأما توَسُّعُه فى مخالفة قواعد الإعراب فله شذوذات غير مسموع نظيرها ، ولعلها من النادر الذى أهمله أئمة العربية لشدة ندوره ، كقوله :

كِلاَ الميتِ وإيانا ... كما لاقى ولاقيت

فأضاف كِلاَ إلى اسم ظاهر ، وهو وارد فى الضرورة بالعطف كقول الشاعر :

كِلا أخى وخليلِى وَاجِدِى عَضُداً ... فى النَّائباتِ وإلمامِ المُلِمَّاتِ

وأغرب من ذلك أنه لم يأت بالاسم الثانى معطوفا على المضاف إليه ، بل جاء به مفعولاً معه ، وهذا لا نظير له ، وإن كان صحيحاً من جهة المعنى ، لأن فيه قضاء حقّ معنى كِلاَ فهو مساوٍ للعطف .

توسعه فى العروض وفى الضرورة

على أن بشاراً لم يقتصر شعره على التوسع فى اللغة والاشتقاق فحسب ، بل كان يتوسع فى العروض أيضا ، فلم يقتصر على قوانين الخليل بن أحمد عَصريّ بشار ، فهو فى ذلك مثل أبى العتاهية عصريّه ، فإنه قد نظم قصيدة يقول فيها :

عُتْبَ ما للخيال ... خبِّرينى ومالى

(١) [هذا القول موضع نظر نبسطه فى مكان البيت من الديوان] .

عُتْبَ مالى أراه طارقًا من ليالى

فقيل له : خالفتَ العروض ، فقال : « سبقتُ العَروض » .

فقصيدة بشار التى أولها :

تحمل الظاعنون فادَّلَجُوا والقلب منى الغداة مُختَلَجُ

من بحر المُنْسَرح ، والمعروف فى المنسرح أن تكون عَرُوضه صحيحة وضَرْبُه مَطْوِيًّا :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفتعلن

و بشار استعملها بعَرُوض مَطْوِيَّة وضَرْبٍ مَطْوِى ، فعروضها مفتعلن وضربها مفتعلن فى جميع أبياتها ، ولو اقتصر على ذلك فى البيت الأول لاغتُفِر ، لأنَّ القصيدة إذا وقع فيها التصريع ، وهو مجىء مصراعها الأول مقفًّى كالمصراع الثانى يكون المصراع الأول على وزان الثانى عَرُوضا وضربا ، ولكنه عمَّم ذلك فى جميع القصيدة ، وقد تكرر ذلك منه فى قصائده التى من بحر المنسرح كقوله :

لافَجْعَ إلاَّ كما فُجِعْتُ به من فارسٍ كان دُونَنَا حَدِبا

وكذلك قصيدته التى أولها :

يامالِكَ الناس فى مَسِيرِهِمُ وفى المَقامِ الخَطِير من رَهَبِهْ

فهى من بحر المُجْتَثّ ، وقد استعمله تامًّا كما رسمه الخليل فى الدائرة الرابعة : مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين ، غير أنه لم يُسمع عن العرب تامًّا ، وإنما سمع مَجْزُوًّا : مستفعلن فاعلاتن مرتين ، وشذا استعماله عند المولَّدين تامًّا ، من ذلك قول بعضهم :

ياذا الذى فى الحب يلحى مُسْتهاما لاتَلْحَنى إنَّ مِثْلى لن يُلاما[1]

والتزم بشار فى قصيدته هذه زِحافَين ليخفِّفَ ثقل الميزان ، وهما زحاف الكَفِّ فى فاعلاتن الأول فصيره [فاعلاتُ ، والقبض فى فاعلاتن الثانى فصيره[2]] فاعلتن ، ولقد أجمل فيما صنع[3] .

---

(١) [بين صدر البيت وعجزه اختلاف وزن] .

(٢) [هذه الزيادة من شرح المؤلف لهذا البيت فى موضعه من الديوان] .

(٣) [الرأى عندنا أن القصيدة من بحر المنسرح ، بعروض مطوية وضرب مطوى كذلك ، جريا على أسلوب بشار فى غير هذه القصيدة ، وإذن فلا محل للاستشهاد بها على أنها وضع جديد فى بحر المجتث] .

وقد ذكر أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (ص ٥٦ جزء ٢) أن بشارا فتح الدال الأولى من لفظ صِنْدَد ورِمْدَد وهما مكسوران ، إذ ليس فى العربية فِعْلَل بفتح اللام إلاّ دِرْهَم وهِجْرَع (وهو الطويل الاحمق) وهِبْلَع (وهو الكثير البلع) وقِلْعَم (وهو الكثير القلع للأشياء) قال : وكانَ بنى قصيدته على فتح الرِّدْف ولم يلزمه ذلك وكابَرَ على فتح صِنْدَد ورِمْدَد وهما مكسوران ، فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح ، وكابَرَ أيضا على فتح الراء من دِرَم فى قصيدته التى أولها : « أفِيضَا دَمًا إنَّ الرَّزايا لها قِيَم » وإنما هو دَرِم . إهـ .

مكانة شعر بشار

من حفظ فصيح اللغة ومستعملها

إنَّ لدواوين الشعر والنثرِ الصحيح مكانةً عظيمةً فى تمييز مستعمَلِ الكلام من مهجوره ، وجَدْوَى على الذين يتطلبون أنْ ينطقوا بكلام فصيح ، وأن يتعلموا من اللغة ما الاحتياجُ إليه أشدُّ ومعرفته أنفع وأوفر ، فإن كتب اللغة المعبَّر عنها بالقواميس أثبتت جميعَ ما سُمع عن العرب دُونَ تمييزٍ بين ماهو مشهور فيهم و بين ماهو نادر الاستعمال ، ومتطلِّب معرفة اللغة قد يضيع عليه زمان طويل من أنفس العمر فى حفظ اللغة ، فإذا جاءه الاحتياج إلى استعمال ماوعته حافظته وجد نفسه قد حملتْ كثيراً من اللغة هى فى غُنْيَة عن استعماله من نادر ومرادف ومجاز يحسبه حقيقة ، فكانت نفوسُ المتطلبين للغة مستشرفةً لو تجد مايُبقى عليها زمانها و يُنفِّس عنها من جَهْدها وجُهْدها و يُدْنى إليها جَنَى اللغة ناضجاً بيِّنًا على الوصف الذى نوَّه به أبو عُبادة البُحترى فى قوله :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكلامِ اختياراً　　وتجنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيـــدِ

من أجل ذلك حاول بعض أيمة اللغة تمييزَ المستعمل من غيره ، فألف أبو العباس أحمد ابن يحيى المعروفُ بثعلب كتابَ الفصيح ، إلاّ أنه كان كتابا صغيراً مختصراً ، وألف أبو القاسم الزمخشرى كتابَ الأساس ، عُنِى فيه بتمييز الحقيقة من المجاز .

وجاء علماء المعانى وأهل صناعة الإنشاء ونقد الشعر يحدِّدون ضوابطَ لفصيح الكلام

ومتنافره ، وهى وإن كانت مجدية معرفة المتنافر الكريه فى السمع فلا غناء فيها من تمييز المستعمل المقبول .

ولكن الذين وفَوْا بهذا العزم فى سكوتٍ أغفلَ الشادينَ فى اللغة عن إدراك مغزاهم هُم الأيمّةُ الذين عنُوا بجمع ماتكلمتْ به فصحاء العرب، كما فعل أبو تمام فى ديوان الحماسة ، والجاحظُ فى كتاب البيان والتبيين ، وجميعُ الذين جمعوا دواوينَ العرب ومختاراتهم . وثَمّ فائدة أخرى لهذه المجموعات ، وهى أنها توعى حوافظ مُزاوليها بالألفاظ التى استدعتها المعانى الجائشة بالنفوس ، فتُنبئك بما يحقُّ لك أنْ تأخذَه من الألفاظ لتعبِّر به عما يخطر لك من المعانى ، لأن خواطر أهل اللسان متتابعة متشابهة .

وأوْلَى الدواوين بالوفاء بهذا المقصد المهم دواوينُ الشعراء الذين مزجوا بين كثرة المعانى وفصاحة التعبير عنها ، والذين كان عصرهم عصرَ وفرة المعانى والتنافس فى الفصاحة ، وأفضلُ العصور فى ذلك هو القرن الأول من عَهد الإسلام ، فإن حُسن أذواق شعرائه قد نقَى عن الكلام الألفاظَ الغليظة ، وحَمَلهم على تتبع المستعمل الفصيح ، فهو يفضل عَصرَ العرب بأنه مقتد بأسلوب القرآن ، وله ذوق السهولة فى أداء المعانى باختيار الألفاظ الصريحة الدلالة الفصيحة النطق ، مع السلامة مما تطرّق إلى الطبقة التى بعدهم من الاختلاط الذى نشأ عنه ضُعف النظمِ ثم اللحنُ والخطأ فيه .

وشعراء هذا العصر صنفان : صنفٌ من أهل البادية ، له مزية حفظ اللغة كيفما اتفق له ، بحيث يُعدّ شعرهم أجْدَى على حفظ اللسان منه على حسن الاستعمال ، فوِزانُه وزانُ القواميس ، وهؤلاء مثل العَجّاج وابنِه رُؤْبة ومثلُ ذِى الرُّمة وأبِى النَّجْم والرَّاعى . وصنفٌ من أهل الحَضَر ، مُزجتْ سعةُ علمهم فى العربية بجودة ذوقهم فى الاختيار والاستعمال ، فجاء من ذلك المَزِيج مركّبٌ هو كخمر بابلَ مزجت بصفوة الثلج ، وهؤلاء مثل عُمر بن أبى ربيعة وجَميل بن مَعْمَر وكُثيِّر و بشارٍ . وقد بذل أبو تمام جهدَه فى اللحاق بهم ، فاختار من شعر العرب أفصحَه وأدلّه على المعانى فيما اختار من كتابه المسمى بديوان الحماسة ، واجتهد أن يأتى فى شعره بمثل ذلك ، فأصاب الاختيار وأخطأ الابتكار ، حتى قيل : إن أبا تمام فى اختياره أجْوَدُ منه فى شِعْرِه .

وأفضل أهل هذه الطبقة بشارُ بن بُرد ، إذ كان قد نشأ فى بادية الفصاحة من مواطن عُقَيل ، ثم فى مصرِ تهذيب الفصاحة وهو البصرَة ، ثم فى عصر شبوب الحَضَارة و بلوغ الذوق العربى نهايةَ مُرتقاه قبل التدلّى إلى ما تدلّى إليه الذوق العربى بعد ذلك بسبب الاختلاط .

ومن أجل هذا عُدَّ بشارٌ آخِرَ المتقدمين وأولَ المحدَثين ، ذلك الوصف الذى جَلاَّه به أيِمّةُ الأدب ، وتفسيرُه أنَّ بشارا قد جمع فى شعره أفضلَ معانى الشعر العربى القديم ومعانىَ القرآن وكلامِ الفصحاء والذين جاءوا عقب ظهور الإسلام وأجودَ ألفاظ العربية الفصيحة ، وتطرق إلى وصف الحضَارة الجديدة فى أجلَى مظاهرها ، فلم يفُته المتقدمون ولم يَفضُله المتأخرون ، على أنك تجد فى شعره صورا من حالة العرب فى الجاهلية ومن حالة الحضارة الإسلامية الأولى ومن حضارة الأمويين العربية الإسلامية المتهذبة ومن حضارة الدولة العباسية العربية الإسلامية الفارسية . وفى العلم مايحتويه شعره على ذلك من الألفاظ الصالحة للدلالة على المعانى التى تخطر فى نفوس أصحاب هذه الحضارات الكبيرة وما كان لأهلها من الأفكار والخواطر الكثيرة . وفى سعة علم بشار بالعربية ومُستَعمَلها عَونٌ لمطالع شعره على التملّى من فصيح اللغة .

قال ابن منظور فى كتابه لسان العرب : بَرِئَ المريضُ (بفتح الباء وكسر الراء) و بَرَأَ (بفتح الراء) يَبْرَأُ و يَبْرُؤُ (بفتح الراء وضمها) وأهل الحجاز وأهلُ العالية يقولون : بَرَأْتُ (بفتح الراء فى الماضى ، أى : و بضمها فى المضارع [1]) و بقية العرب يقولون : بَرِئت (بكسر الراء فى الماضى وفتحها فى المضارع) قال ابن بَرِّىّ : ولم يذكر الجوهرى بَرَأتُ أبْرُؤُ (بفتح الماضى وضم المضارع) وقد ذكَره سيبويه والمازنى وغيرُهما من البصريين ، قال : و إنما ذكرتُ هذا لأن بعضَهم لَحّن بشار بن بُرد فى قوله :

نَفَر الحَيُّ مِن مكانى فقالوا فُزْ بصَبْرٍ لَعلَّ عَينَكَ تبْرُو

فأنتَ ترى كيف اقتصر بشار على الفصيح ، وكيف تناساه الناسُ حتى أهمله الجوهرى، وحتّى اجترأ من اجترأعلى تلحين بشار فى حين استعمال الأفصح ، وسيجىء ذكر هذا البيت فى جزء الملحقات .

---

(١) [ليس فى لسان العرب أن « يبرؤ » بضم الراء لغة أهل الحجاز والعالية] .

مكان شعر بشار من حفظ التاريخ فى الجاهلية والإسلام

لقد عرفتُ شعراً كثيراً لشعراء العرب فى الجاهلية والإسلام ، وعُنيت بتتبع مافى خِلاله من أحوال العرب وتاريخهم ، فما رأيت شاعرا أوفى ذكراً لها و إشارة إليها مثل بشار ، ذلك أن شعراء الجاهلية ما كانوا يحتفُون بذكر أحوال حياتهم ومعتقداتهم عدا أحوال الغرام والضيافة والحرب ، لأن تمثل تلك الأحوال نُصْبَ أعيُنهم يجعلهم يستسمجون الحديث عنها لرواة أشعارهم ، إذ يرونه فى الإخبار بالمعلوم ، وقد قفى على أثرهم فى ذلك شعراء العصر الأول الإسلامى ، أمثال ذى الرُّمَّة والعَجّاج والفرزدق وجرير ، لقربهم من بَدَاوة شعراء الجاهلية أو لاشتغالهم بأبواب الهجاء من الشعر .

وقد كانت نشأة بشار عقب ذلك فى عصر طُوِى فيه بساط الحياة الجاهلية ، وشبَّ فى النفوس الوَلَعُ بأخبار العرب وحالِ حياتهم ، ليكون ذلك عَوناً لهم على فهم أدبهم ، وكان بشار أول من نشأ على معرفة أحوال العرب ، وأدرك بقية من حياتهم فى مواليه بنى عُقيل حول البصرة ومَلأَ وِطابه من محض أدبهم كما قدمناه ، وقد خوَّله تغلغلُه بينهم معرفة خفىِّ أحوالهم ومشهورها وتلقن أخبارهم المحفوظة على ألسُنِ بقيتهم ، فكان فى ذلك مثل ابن القِرِّيَّة وفوق الأصمعى ، فبعثه وَلَعُه بهم على التمثل بها والحديث عنها والتشبيه بها فى شعره ، إذا كان هو شاعرا ، ولم يكن ابن القِرِّيَّة ولا الأصمعى بشاعرين .

ومن بعد بشار أخذ ذلك الولَعُ يتضاءل ، والبعدُ عن مخالطة العرب يتسع عند شعراء الحضر ، فلم يُتَح لأحد من معاصرى بشار بلْه من جاء بعده مثل ما أُتيح لبشار .

ثم إن مُطالع شعر بشار يجده مماسًّا للحوادث التاريخية من أواخر الدولة الأموية إلى أواخر عصر المهدى بالله العباسى . ولقد وَسَم بعضُ المؤرخين حوادثَ من تاريخ العصر العباسى بأبيات من شعر بشار ، مثلما يقولون فى سبب تنكر المهدى على وزيره يعقوب ابن داود بأن أوَّله قولُ بشار فيه :

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمُوا   إِنَّ الخلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاود
ضَاعَتْ خِلاَفَتُكُمْ يَاقَوْمِ فَالْتَمِسُوا   خَلِيفَةَ اللهِ بينَ الزِّقِّ والعُودِ

وإذا ذكروا عُمر بنَ العلاء قائدَ المنصور عرَّفوه بأنه الذى قال فيه بشار :

إذَا أيقظَتْكَ حُرُوبُ العِدَا ... فَنَبِّهْ لهـا عُمَراً ثُمَّ نَمْ

ودُون ماذ كروه قد اشتمل شعره على وصف حوادث مهمة ، وربما وُجد فيه من الإشارة إلى حوادث أو بِقاعٍ أورجال ماأهمل التاريخ بعضه . وكان شعر بشار فريداً بحوز الخصلتين فى تقييد كثير من تاريخهم .

شهادة الأيِمَّة لبشار بجزالة الشعر

وسلامة الذوق

ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى ترجمة أبى العَتاهِيَة أن بشارا قال لأبى العتاهية : أنا والله أستحسن اعتِذارَك من دَمْعِكَ حيث تقول :

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لى أُسا ... رِقُهُ البُكاء من الحَياء
فإذا تأمَّلَ لامنى ... فأقول مابى من بكاء
لـكِنْ ذَهَبْتُ لأرْتَدِى ... فَطرَفْتُ عَيْنِى بالرِّداء

فقال أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، مالُذتُ إلا بمعناك ، ولا اجْتنيت إلا من غَرْسك ، إذ تقول :

شَكَوْتُ إلى العَوَاذِلِ ما أُلاقى ... وقلْتُ لَهُنَّ : مايَوْمِى بَعِيدُ
فقُلْن : بَكَيْتَ ، قُلْتُ لَهُنَّ : كلا ... وهل يَبْكى من الطَّرَب الجَلِيدُ
ولـكِنِّى أصابَ سَوادَ عَيْنى ... عُوَيْدُ قَذًى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدُ
فقُلْنَ : فما لدَمْعِهِما سَوَاءٌ ... أكِلتَا مُقْلَتَيْكَ أصابَ عُودُ ؟

وذكر أبو الفرج الأصبهانى والشيخ عبد القاهر فى فصل من فصول نظم الكلام من كتابه دلائل الإعجاز : قال الأصمعى : [كنت أسير] مع أبى عمرو(١) بن العلاء وخلَفٍ الأحمر ، وكانا يأتيان بشاراً فيسلِّمان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان : ياأبا مُعاذ ، ما أحدثتَ ؟ فيخبرهما ويُنشدهما ويسألانِه ويكتُبان عنه متواضِعَين له حتى يأتىَ وقتُ

---

(١) [كذا المذكور فى دلائل الإعجاز ، وأما الذى ذكره أبو الفرج الأصبهانى فهو : خلف ابن أبى عمرو بن العلاء] .

الزَّوال ، ثم ينصرفان ، فأتياه يوماً فقالا : ماهذه القصيدة التي أحدثتَها في سَلْم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغَتْكم ؛ قالوا : بلغَنا أنك أكثرتَ فيها من الغريب ، قال : نعَمْ ، بلغني أن سَلْم بن قتيبة يتَباصر بالغريب ، فأحببتُ أن أُوردَ عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشِدْناها ياأبا مُعاذ ، فأنشدَهما :

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قبلَ الهَجِيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ في التَّبْكيرِ

حتى فرغ منها ، فقال له خَلَف : لو قلتَ ياأبا مُعاذ مكان « إنَّ ذاكَ النجاحَ في التبكيرِ » : « بَكِّرَا فالنجاحُ في التبكيرِ » كان أحسنَ ، قال بشار : إنما بَنَيْتُها أعرابيَّة وحْشيةً ، فقلتُ « إن ذاكَ النجاحَ في التبكيرِ » كما تقول الأعرابُ البَدَوِيُّون ، ولو قلتُ « بَكِّرَا فالنجاحُ في التبكيرِ » كان هـذا من كلام المولَّدين ولا يُشْبِه ذلك الـكلامَ ولا يدخُلُ في معنى القصيدة ، قال : فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بين عَينيه . قال عبد القاهر : فهل كان هذا القولُ من خَلَف والنقدُ على بشار إلا للُطْفِ المعنى وخَفَائه . ثم شرَح الشيخُ ماأوْمأ إليه بشَّار وعلَّلَه بطريقة علمية فقال : واعْلَمْ أنَّ من شأن « إنَّ » إذا جاءتْ على هذا الوجه أن تُغْنِيَ غَناءَ الفاءِ العاطِفَة ، وأنْ تفيدَ من ربط الجملة بما قبلَها أمرًا عجيباً ، فأنْتَ ترَى الـكلام بها مستأنفاً غيرَ مستأنفٍ مَقْطُوعًا مَوْصُولاً مَعًا ، أفلاَ ترَى أنَّك لو أسْقَطْتَ « إنَّ » من قوله « إنَّ ذاكَ النجاحَ في التبكيرِ » لم ترَ الـكلامَ يَلْتَئِمُ حتَّى تجيء بالفاءِ فتقولَ : « فَذَاكَ النجاحُ في التبكيرِ » ونظيره قول بعض العرب :

فَغَنِّهَا وهي لك الفِـداءُ إنَّ غِناءَ الإبِلِ الحُداءُ

وفي أمالي الشريف المرتضى الموسوى عن على بن هارون قال : مافي الدنيا شيء لقديم ولا محدَث من منثور ولا منظوم في صفة الغِناء واستحسانه مثل أبيات بشار :

ورائحةٍ للعَيْنِ فيها مُخِيـلَةٌ إذَا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ

فذكر أبياتاً عشرة هي من القصيدة التي في ورقة ١٣٩ .

وذكر الخطيبُ البغدادي في تاريخ بغداد عن على بن يحيى بن أبي منصور أحدأصحاب إسحاق المَوْصلي قال : ماعُرِف بشار بسرقة شعرٍ جَاهِلِيٍّ ولاَ إسْلاَمِيٍّ .

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (ج ١ ص ٤٥) : المطبوعون عَلَى الشعر من

المولدين بشار العُقيلي والسَّيِّد الحِمْيَرِى وأبو العتاهية وابن أبى عيينة ، وقد ذكر الناسُ فى هذا الباب يحيى بنَ نوفل ، وسَلْمًا الخاسِرَ ، وخَلَفَ بنَ خليفة . قال الجاحظ : وأبانُ بن عبد الحميد اللاحقِىُّ أولَى بالطبع من هؤلاء ، و بشار أطبعهم كلِّهم .

وفى المجموعة الأدبية العتيقة : قال المازنى : سألتُ الأصمعىَ عن بشار ، فقال : غوّاص نَظّار ، يصِفُ الشىءَ لم يَرَهُ وكأنه رآه ، ويجمع فى البيت الواحِد مافرّقته الشعراء فى عِدّة . فقلت له : مِثْلَ إيش ؟ فقال : مثلَ قوله :

كأنها روضــــة مُنَوَّرَةٌ   تَجْمَعُ طِيبًا ومنظرًا حَسَنا

وقوله :

أنا واللهِ أشْـتَهِى سِحْرَ عَيْنَيْـــكِ وأَخْشَى مَصارِعَ العُشّاقِ

وقال أبو العيناء عن الأصمعى : دخلْتُ على الرشيد فقال : أنْشِدْنِى أفخر بيتٍ قالته العرب ، فقلتُ : بيتُ جرير :

إذَا غَضِبَتْ عَليْكَ بنُو تَميمٍ   وَجَدْتَ النّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

فقال الرشيد : بشّارٌ أفْخَر منه حيث يقول :

إذَا ماغَضِبْنَا غَضْـــبَةً مُضَرِيَّةً   هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أوْ تَقْطِرِ الدَّمَا

ثُم قال : أنشِدْنى أمدحَ بيتٍ قالته العرب ، فأنشدته قولَ جَرير :

ألَسْتُمْ خَيْرَ من رَكِبَ المَطَايَا   وأنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

فقال : بشّار أمْدَحُ حيثُ يقول :

لَيْسَ يُعْطِيكَ للرَّجاءِ ولاَ الخَوْ   فِ ولـكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العطَاءِ
يَسْقُطُ الطَّيْرُ حيْثُ يَنْتَثِرُ الحَبُّ   وتُغْشَى مَنــازِلُ الـكُرَمَاءِ

ثم قال : أنشِدْنى أهْجَى بيتٍ قالته العرب ، فأنشدتُه :

قَوْمٌ إذَا اسْتَنْبَحَ الأضْيافُ كَلْبَهُمُ   قالوا لأُمِّهِمُ بُولِى عَلَى النَّـــارِ

فقال : بشارٌ أهْجَى منه حيث يقول :

إذا أنـكَرْتَ نِسْبَةَ باهِلِيٍّ   فـكَشِّفْ عنهُ حاشِيَةَ الإزَارِ

على أمتاهِ سَادَتِهِمْ كِتَابٌ مَوالِي عامِرٍ وَسْماً بِنَارِ

وفى أمالى المرتضى (ص ٩٨ جزء ١) : قيل لأبى حاتم : مَن أشعرُ الناسِ ؟ قال : الذى يقول (يعنى بشاراً) :

ولها مَبْسِم كثَغْرِ الأقاحِى وحديثٌ كالوَشْى وَشْى البُرُودِ
نَزَلَتْ فى السَّوادِ من حَبَّةِ القلـبِ ونالَتْ زيادةَ المُسْتَزِيدِ
عِنْدَها الصَّبْرُ عَنْ لِقائِى وعِنْدِى زَفَراتٌ يأْكُلْنَ صَبْرَ الجليدِ

وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : لم يكن فى المولدين أصْوَبُ بديعاً من بشار وابن هَرْمَةَ والعتَّابى ، وكان العتَّابى[1] يحتذى حَذْوَ بشارٍ فى البديع ، قال : والمطبوعون على الشعر من المولدين بشّار والسيِّد الحِمْيَرِى وأبو العتاهية وابن أبى عُيينة وسَلْم الخاسر ويحيى بن نوفل وخَلَف بن خليفة وأبان بن عبد الحميد ، وبشار أطبعهم كلهم ، فهو من أصحاب الإبداع والاختراع المتقنين للشعر القائلين أكثر أجناسه وضروبه .

وسئل الأصمعى عن بشار ومَرْوان بن أبى حَفْصة أيُّهما أشعر ؟ فقال : بشار ، فقيل : لِمَ ؟ قال : لأن مَرْوان سلك طريقاً كثُرَ مَنْ يَسْلكه ، فلم يلحَقْ بمن تقدمه وشَرِكه فيه من كان فى عصره ، وبشارٌ سلك طريقاً لم يُسْلَكْ وأحْسَنَ فيه وتفرَّد به ، وهو أكثرُ تصرُّفاً وفُنُونَ شعر وأغزرُ وأوسعُ بديعاً ، قال : وقد وجدتُ أهلَ بغداد قد ختموا الشعراء بمروانَ ، وبشارٌ أحقُّ بذلك من مرْوَان ، وما كان مروانُ فى حياة بشار يقول شِعْراً حتى يصْلحَه [له] بشارٌ ويقوِّمَه ، فبشّار مطبوع لايكلَّف طبيعته شيئاً متعذِّراً لا كمن يقول البيتَ ويحككه أياماً . وكان الأصمعى يشبه بشاراً بالأعشى والنابغة ، ويشبِّه مروانَ بزُهَير ، وَالُحطَيْئةِ ، ويقول : هو متكلِّف ، وكان أبو عبيدة يفضل بشاراً على مروانَ أيضاً .

وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان قُبيل القول فى النيران (ص ٤٧ جزء ٤) : وما ينبغى لبشار أن يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلق بالشعر ، لأن حماداً فى الحضيض ،

---

(١) العتابى اسمه عمرو بن كلثوم بن عمرو ، وهو من ذرية عمرو بن كلثوم شاعر المعلقة [والمذكور فى البيان ومعجم الشعراء ومعجم الأدباء والفهرست والوفيات وغيرها : أن العتابى اسمه كلثوم بن عمرو وكنيته أبو عمرو] .

و بشاراً مع العَيُّوقِ ، وليس فى الأرض مولد قروى يُعَدُّ شعرهُ فى المُحْدَث إلا و بشار أشعر منه ، ثم قال : ومع هذا فإنا لا نعرف بعد بشارٍ أشعرَ منه .

ولم يشِذ عن الأئمة الشاهدين بسُمُوِّ مرتبة بشار سوى إسحاقَ الموصلى ، فكان يغُضُّ من بشار ، ويقول هو كثير التخليط فى شعره ، أى أشعارُه مختلفة ، لا يشْبه بعضُها بعضاً . وكان يقدِّم عليه مروانَ بن أبى حَفْصة ، ويقول : هو أشدُّ استواءَ شِعرٍ منه ، وكلامُه ومذهبُهُ أشبه بكلامِ العرَب [ومذاهبها] أليس بشار القائل :

إنما عَظْمُ سُلَيْمَى خُلَّتى ... قَصَبُ السُّكر لا عَظْمُ الجَمَلْ
وإذا أدنَيْتَ منها بَصَلاً ... غَلَبَ المِسْكُ عَلَى ريح البَصَلْ

فلو قال : كلُّ شىء جيِّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيفه . اه ، وسيأتى الجواب عن هذا ونحوه .

وفى ص ١٤٠ من رسالة الغفران للمعَرِّى أن أصحاب بشار يروُون بيتاً لبشار وهو :

وما كلُّ ذِى لُبٍّ بمؤتيكَ نُصْحَهُ ... ولا كلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بلَبيبِ

وقد استشهد سيبويه فى كتابه بالنصف الثانى من هـذا البيت فى باب الإدغام . وقد قيل إن البيت لأبى الأسْوَد الدُّؤَلى . اه . قالوا : وكان سيبويه إذا سئل عن شىء فوجد له شاهداً من كلام بشار احتجَّ به ، فزعموا أن ذلك استكفاف لشرِّ بشار ، وأنا أحسب سيبويه أرفَعَ من أن يفعلَ ذلك لمصانعة بشار ، إذ قد كان بشار راضياً بأن يَسْلَمَ من نقدِ سيبويه ومن انتصاره ، وقد احتجَّ علماء النحو وعلماء المعانى على جواز تجريد الجملة الحالية عن الواو إذا كانت جملة اسمية وكان مبتدؤها ضميراً[1] ولم يكن ضمير صاحب الحال يقول بشار : « خرَجتُ مع البازى عَلَىَّ سَوَادُ » قاله الرضى فى شرح الكافية وصاحب المفتاح .

اهتمام أهل الصناعة بشعر بشار

احتوت دواوين المختارات وكتبُ المحاضرات على اختيار كثير من شعر بشار كانَ هو الوحيدَ فى أغراضه .

---

(١) [ليس المبتدأ هنا ضميراً ، وقد قال الرضى (ج ١ س ١٩٤) : « . . . فإن كان الضمير فيما صدر به الجملة ، سواء كان مبتدأ نحو : جاءنى زيد يده على رأسه ، أو خبراً نحو : خرجت مع البازى علىَّ سواد فلا يحكم بضعفه مجرداً عن الواو »] .

وقد اختار أبو تمام فى ديوان الحماسة من شعر بشار فى مواضع ، ومن العجب أنه لايصرح باسمه ، فهو يُعَنْوِن ماياتى به من شعر بقوله : « وقال آخرُ » كقوله فى باب الأدب[1] : « وقال آخر :

إن يحسُدُونى فإنى غـــيرُ لائمهم   قبلِى من الناس أهلُ الفضل قد حُسِدُوا »

. . . الأبيات الثلاثة .

وقال فى باب الأدب أيضا : « وقال آخر :

وأعرِضُ عن مَطَاعِمَ قدْ أراها   وأترُكُها وفى بَطْنِى انطواء »

. . . الأبيات الثلاثه .

وقال أبو تمام فى باب الأدب أيضا : « وقال آخر :

تثاقَلْتُ إلاّ عنْ يدٍ أستفيدُها   وخَلّةِ ذى وُدٍّ أشُدُّ به أزْرِى »

وهو بيت مفرد من جملة القصيدة المثبتة فى الديوان التى أولها :

« تجالَلت عن فهر وعن جارَتَىْ فِهر »

إلا أنه برواية مخالفة كما سنذكره .

وقال فى باب الأضياف والمديح : « وقال آخر :

لَمَسْتُ بكفّى كفَّه أبتغِى الغِنَى   ولم أدْرِ أنّ الجودَ مِن كفّه يُعْدِى »

. . . البيتين .

ولم أعرف وجهَ التزامِه هذا العنوان ، ولعله كان قد عَلِق بحفظه من شعر بشار ما اختار إثباتَه ، ولم يتحقق نسبتَه إلى بشار ، إذ كان ديوانُه غيرَ مجموع ، أو لم يتصل بروايته . ألا تراه يُعَنْوِن بقوله : « وقال آخر » فى مواضع كثيرة لغير شعر بشار .

وفى زهر الآداب (ص ٢١ جزء ٢) أن أبا تمام روى لبشار قوله :

أنا واللهِ أشتهى سِحْرَ عينيـكِ   وأخشَى مَصارعَ العُشّاق

وقال : ما رأيتُ شعراً أغزل من هذا .

وصنَّف الأديب هارون بن على بن يحيى المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ كتابَ البارع فى أخبار الشعراء المولدين ، وجمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار

---

(١) [المعروف لنا أن الأبيات الثلاثة الدالية مذكورة فى الباب الأول : باب الحماسة] .

ابنِ بُرْد ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونَه ، وقال ابن خلكان : « وهو من الكتب النفيسة ، يُغنى عن دواوين الذين ذكرهم ، فإنه اختصر أشعارَهم وأثبتَ منها زُبْدَتَها وترك [زَبَدَها] ، وإن كتاب الخريدة للعماد الكاتب وكتاب الحظيرى والباخَرْزِىّ [والثعالبى] فروع عنه ، وهو الأصل الذى نسجوا على منواله » .

وعنى أبو الفرج الأصبهانى بشعر بشار وأخباره ، نخصه بترجمة ذكر فيها معظم مايرويه أهل الأدب والفكاهة عن بشار ، ثم خصّه بترجمة فى أخباره مع عبدة خاصة ، وتعرّض فى ترجمة حمّاد عجرد لكثير من أخبار بشار .

ولم يزل أصحاب كتب المحاضرات والمختارات والأمالى يزينون كتبهم بمختارات بشار ، مثل الراغب الأصفهانى والحُصْرى والشريف المرتضى وغيرهم ، ثم جاء الأديبان الفاضلان الأخوان الخالديان فاختارا من شعره كثيراً ، وسنذكر ذلك عند الكلام على ديوانه .

من نَقد بشاراً ومن أجاب عنه

فى شرح المعرى على ديوان المتنبى (١) قال خلادُ بن مَهْرُويَه لبشار : إنك تجىء بالشىء الهَجِينِ المتفاوت ؛ بينما تقول شعراً يُثير النَقْعَ ويَخْلَعُ القلوبَ ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أو تُمْطِرَ الدَّما

إذا بك تقول :

رَبَابَةُ رَبَّةُ البَيْتِ ... تَصُبُّ الخَلَّ فى الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دُجَاجَات ... ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال له بشار : لِكلِّ وجهٍ مَوْضعٌ (٢) ، فالقول الأول جِدٌّ ، وهذا قلتُه فى جاريتى رَبَابَة ، وأنا لا آكلُ البيضَ من السُّوق ، ورَبَابة تجمع لى البيضَ ، فإذا أنشدتُها هذا حَرَصَتْ على جمع البيض ، فهذا عندها أحسنُ من « قِفَا نَبْكِ » ولو أنشدتُها من النمط الأول مافهمتْه .

وقال الحُصْرى فى زهر الآداب : قيل لبشار : كم بين قولك :

---

(١) هو المسمى معجز أحمد ، وذكر ذلك عند قول أبى الطيب : « ما أنصف القوم ضبه » .
(٢) [فى الأغانى : لكل وجه وموضع] .

قد زُرْتِنا مرّةً فى الدَّهْرِ وَاحِدةً   عُودِى ولاَ تَجْعَلِيها بَيْضَةَ الدِّيكِ

و بين قولك :

إنّما عَظْمُ سُلَيْمَى خُـلَّتِى   قَصَبُ السُّكرِ لَا عَظْمُ الجَمَلْ

وإذَا قَرَّبْتَ مِنْها بَصَـلاً   غَلَبَ المِسْكُ عَلَى رِيحِ البَصَلْ

فقال : إنمـا الشاعر المطبوعُ كالبحر مرة يقذف صَدَفَة ومرة يقذفُ جيفة . اهـ . فكأنه اعترف بسخافة ذلك ، وذلك لايقدح فى حصافة شعره ، إذ قد تَعرِض للشاعر مقاماتٌ يرتـكب فيها السخيفَ لمناسبة المقام .

و بعدُ ، فـكفَى المرْءَ نُبلا أنْ تُعَدّ معايبُهُ .

عَلَى أنّ لبشّارٍ فى بعض شعره معانىَ سخيفة وضُعفاً فى بعض أبياته ، وذلك لا يقدح فى فحولته ، مثل قوله :

هى الرَّوْحُ من نفسى ولِلعَيْنِ قُرَّةٌ   فدًى لها نفسى وعينى وحاجبى

فقوله « وحاجبى » زيادة ركيكة ما أتى بها إلا لتكلف القافية ، وذلك من العِىّ .

وأما انتقاد بعض شعر بشار من جهة مافيه من المفاحشة فى الهجاء فذلك انتقاد راجع إلى الأخلاق لا إلى الصناعة ، وقد كانوا فى عصرهم ذلك يستبيحون مثله فى الإقذاع بالهجاء ، ولـكن بشاراً أفرط فيه وجاء بشىء ركيك .

وأما انتقادهم من جهة السرقة الشعرية ، فنى البيان والتبيين للجاحظ (ص ٥٤ جزء ١) أن قول بشار :

وصَـاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ   حَمَلْتُهُ فى رُقْعَةٍ مِن جِلْدِى

ذهب إلى قول الشاعر

يَوَدُّون لَوْ خَاطُوا عليكَ جُلُودَهُمْ   ولا تَدْفَعُ المَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحَائحُ

وأنت خبير بأن بين المعنيين بَوْناً يُعَدّ ادعاء سرقة بشار منه ظلماً لبشار ، فإن كان لمجرد ذكر لفظ الجِلْد فيجب أن يكون من قال لفظاً فى شعره يُعدّ على من يستعمل مثله سرقة .

وقال الإمام المرزوقى فى شرح الحماسة عند قول الأحوص الأنصارى :

إنّي إذا خفِيَ الرِّجالُ رأيتَنِي كالشمس لا أخفَى بأىِّ مكانِ

إن بشاراً أخذه فى قوله :

أنا المُرعّثُ لا أخفى على أحَدٍ ذَرَّتْ بى الشَّمْسُ للقاصى وللدَّانِي

ومثل هذا المعنى مما تتوجه إليه قرائح الشعراء كثيراً ، فلا حَظَّ لواحدٍ منهم دون آخر إلا بمقدار حسن تصرفه فى التعبير عنه ، والأديبُ اللبيب لا يَمْتَرِى فى حسن تصرف بشار فيه لعدوله عن تشبيهه بالشمس إلى جعل الشمس تطلع به ، فسلك طريقة التجريد المتضمنة للتشبيه ، وهى أدق ، لاسيما إذا كان التشبيه مطروقا .

والتحقيق أنه لايخلو شاعر عن أن يلم فى شعره ببعض معانى الشعراء و بعض تراكيبهم، ولا يُعدّ ذلك سرقة ، وقد صدر ذلك من العرب ومَنْ بعدهم حتى قال عنترة :

« هَلْ غادر الشعَراء من مُتَرَدَّمِ »

وذلك أن بعض التراكيب قد تصير مشتهرة فى الاستعمال فيتناقلها الناس وتسير مَسِيرَ الأمثال ، و بعضها قد يصير معروفا بين الشعراء ، فيصير كلغة خاصة بهم ، و بعضها قد يبتكره بعض الشعراء فيستجاد منه و يشتهر فيأخذه من يجىء بعده ولا يُعدُّ ذلك سرقة لشهرته ، وقد وقع الافتتاح بجملة « بانَتْ سعاد » لِعدَّة من شعراء العرب ، ذكرهم ابن هشام فى شرح قصيدة كعب .

وقد قال بشار :

من كل لَذّاتِ الفـتى قد نِلْتُ نائلةً وعُرفا

فألَمَّ بقول [زهير بن جناب الكلبى] :

مِنْ كل ما نالَ الفتى قَدْ نِلْتُه إلا التَّحيَّـه

وقال أيضا :

وكُنا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إليْهِ بالسُّيُوفِ نُخَاطِبُهْ

أخذه من قول الفرزدق :

وكُنَّا إذا الجبّار صَعَّرَ خَدَّهُ ضربناهُ حتى تَسْتَقِيمَ الأخادِعُ

وقال بشار :

فإنْ شئت حرَّمْتُ وصل النساء وإن شئت لم أطْعَم البـاردا

أخذه من قول العرجيّ :

فإنْ شئتِ حرّمتُ النساء سِواكُمُ   وإنْ شِئْتِ لم أطعَمْ نُقاخاً ولا بَرْدَا

وقال بشار :

هَيْفَــاء مُقْبِلَةً عجْزَاء مُدْبِرَةً   لم تجْفُ طولاً ولا أزرى بها القِصَرُ

أخذه من قول كعب بن زهير :

هَيْفَاء مقبلةً عجْــزاء مُدْبِرَةً   لا يُشْتكى قِصَرٌ منها ولا طول

وفى محاضرات الراغب الأصفهانى : قال أبو عمرو بن العلاء : شعر بشار سُباطةُ الملوك فيها قطعة ذهب وما شئته من رماد (والسُّباطة : الكُناسة) . وأبو عمرو بن العلاء ممن يشهدون لبشار كما تقدم ، فتعين أن مراده بهذا الكلام إنما ينظر إلى ما فى كلامه من المفاحشات لا إلى صناعة شعره .

وأما سرقة بيت أو أبيات باللفظ ووضعها فى شعره ففى الأغانى : أخبرنى يحيى بن على قال حدثنى أبى قال : كان إسحاق الموصليُّ يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول :

إذا كنتَ فى كل الأمور مُعــاتباً   صديقك لم تلقَ الذى لا تُعاتِبُهْ

فعِشْ واحِداً أو صِــلْ أخاكَ فإنه   مُقارِفُ ذَنْبٍ مرّةً ومُجانِبُــهْ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القَذَى   ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه

وهذا الكلامُ الذى ليس فوقهُ كلامٌ من الشِّعر ولا حشْوَ فيه ، فقال لى إسحاقُ : أخبرنى أبو عُبيدة أن شُبَيْل بن عَزْرَةَ الضبعيّ أنشده هذه الأبيات للمتلمس ، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من ضُبَيْعَة ، فقلتُ له : أفليس قد ذكر أبو عُبيدة أنه قال لبشار : إن شُبَيْلاً أخبره أنها للمتلمس ، فقال بشار : كذَبَ والله شُبَيْلٌ ، هذا شعرى ، ولقد مدحتُ به ابنَ هُبيرةَ فأعطانى عليه أربعين ألفاً[1] ، ثم قلتُ لإسحاق : أخبرنى عن قول بشار فى هذه القصيدة :

فلما تولَّى الحَــرُّ واعتصر الثَّرَى   لَظَى الصيفِ من نجم توقد لاهِبُه

---

(١) يريد بشار أن مثل ابن هبيرة وأدباء مجلسه لا يخفى عليهم شعر المتلمس .

وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ واكتَسَى   من الآلِ أمثالَ المَجَرَّةِ نَاضِبُـــهْ
غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدَى   إلى الجَأْبِ إلاّ أنها لاتُخَاطِبُهْ(١)

وهذا من أحسن ما وُصف به الحمارُ والأُتُنُ . أفهذا للمتلمس أيضاً ؟ قال : لا ، فقلتُ : أفما هو فى غاية الجودة وشبيهٌ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصّة ؟ وكيف خص المتلمسَ بالسرقة من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويل ؟ وقد رَوَى الرواةُ شعره ، وعلم بشارٌ أن ذلك لا يخفَى ، ولم يُعثر على بشار أنه سَرق شعراً قط جاهليًا ولا إسلاميا . فلم يرُدَّ ذلك بشيء .

نقده للشعر والشعراء

تكلم بشار فى نقد الشعر كلامَ مَن يُعَدُّ من أئمة النقد والبلاغةِ ولا يقتصر على قول الشعر بالسجية .

ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى ترجمة أبى العتاهية أن المهدىَّ جلس للشعراء ، وفيهم بشار وأشجعُ وأبو العتاهية ، فأنشد أبو العتاهية قصيدته التى أولها :

أَلاَ مالِسَيِّدَتى مالهَا   تُدِلُّ فأحمِـــلُ إدلالَهَا
أَلاَ إنَّ جاريةً لِلإمَا   مِ قد أسْكَنَ الحُبُّ سِرْبالَهَا

فقال بشار لأشْجَع : ماأدرى من أىّ الأمْرَيْنِ أعجبُ : أمِنْ ضُعْف شِعره ، أم من تشبيبه بجارية الخليفة ؟ حتى أتى أبو العتاهية على قوله :

أَتتهُ الخــلافةُ مُنقَادةً   إليـــه تُجَرِّرُ أذيالَهَا
فلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلّا لَهُ   ولا يَكُ يَصْلُحُ إلاّ لَهَا

قال بشار لأشجع : انظرُ : أترَى الخليفةَ لم يَطِرْ عن فرشه طرَباً لما يأتى به هذا الكوفى !

وفى زهر الآداب للحُصْرى(٢) قال بشار : مازال فتى [من] بنى حنيفة (يعنى العباس

---

(١) [فى الأغانى : العانة : القطيع من الحمير ، والجأب : ذكرها ، ومعنى شكواها الصدى بأبصارها : أن العطش قد تبين فى أحداقها فغارت] .

(٢) انظر ص ٢٦١ جزء ٣ .

ابن الأحنف) يُدخل نفسه فينا (يعني الشعراء) ، ويُخرجها [1] منّا (يريد أنه يتكلف فيأتي بشعر مختلط الجيد بالرديء) حتى قال :

نَزَفَ البُكاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فاسْتَعِرْ ... عَيْناً لِغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَه تَبْكِي بِهَا ؟ ... أَرَأَيْتَ عَيْناً للبُكاءِ تُعَارُ ؟

(يعني أنه لما قال هذا صار يقول الشعر المطبوع المتين) .

وقال أبو عُبيدة : أُنْشِدَ بحضرة بشار بيتٌ للأعشى :

وأَنْكَرَتْنِي وما كانَ الذي نَكِرَتْ ... من الحَوادِثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا

فأنكره بشار ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشْبِه كلامَ الأعشى ، فعجبتُ لقوله ، فلمّا كان بعد ذلك بعشر سنين كنتُ جالساً عند يونس ، فقال : حدثنا أبو عمرو بنُ العلاء أنه صنع هذا البيتَ وأدخلَه في شعر الأعشى ، فجعلتُ حينئذٍ أزدادُ عجباً من فِطنة بشار وصحّة قريحته وجودة نقده للشعر .

وقال الرِّياشي : أنشدنا [2] بشار قولَ كُثَيِّرِ عَزَّةَ (أو هو قول المجنون ، كما قال الراغب في المحاضرات [3]) :

وقد جَعَلَ الأعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَهَا ... وتَطْمَعُ فيها أَلْسُنٌ وعُيُونُ
ألا إنَّما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانَةٍ ... إذا غَمَزُوهَا بالأَكُفِّ تَلِينُ

فقال بشار : قاتَلَ اللهُ أبا صَخْر ، يزعُمُ أنها عصًا ويَعتَذِرُ بأنها خَيْزُرانة ، والله لو جعَلَها عصَا زُبْد أو عصا مُخٍّ لقد كان جعلها جافيةً خَشِنةً بعد أن جعلها عصاً ، فكان قد هجن كلامه بذكر العصا ، ألاّ قال كما قلتُ :

ودَعْجَاءِ المَحاجِرِ من مَعَدٍّ ... كأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الجِنَانِ
إذا قامَتْ لِمِشْيَتِهَا تَثَنَّتْ ... كأَنَّ عِظَامَهَا من خَيْزُرَانِ

---

(١) ووقع في كتاب الذخيرة لابن بسام في ترجمة أبي بكر بن قزمان من أثناء كتاب لأبي بكر ذكر فيه كلام بشار فقال « ونخرجها » بنون الجماعة (أي ونحن الشعراء ندفعه ولا نقبله) .

(٢) [في بعض نسخ الأغاني : « أُنشد بشار » بالفعل المبني للمجهول ، وذلك الموافق لروايتي الأصمعي والمبرد في الموشح ص ١٥٦] .

(٣) [انظر ص ١٣٧ ج ٢] .

وقال بشار : ما قالت امرأةٌ شعراً إلا وَظهر الضّعف فيه ، قيل له : والخنساء ؟ قال : تلك غلبت الفحول .

ورأيت فى مجموعة عتيقة يظهر أنها من منتخبات أبى القاسم الأصفهانى صاحب كتاب الواضح فى شرح مشكل المتنبى أنّ بشاراً سئل عن الفرزدق وجرير والأخطل ، فقال : لم يكن الأخطل مثل جرير والفرزدق ، ولكنّ ربيعةَ تعصّبَتْ لهوأفْرطَتْ فيه ، وكان جرير يُحْسنُ ضروبا من الشعر لايُحْسنها الفرزدق ، فجرير خيرٌ منه .

مكانته من النثر

لم يكن انقطاع بشار إلى الشعر وإجادته فيه بالذى يقصر به عن سمو المنزلة فى الترسل والخطابة .

قال الجاحظ فى البيان (١) : ومن خطباء الأمصار وشعرائهم المولدين بشار ، فقد كان خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ، وله رسائل معروفة ، وهو من المطبوعين .

ومن فقراته الفائقة ما ذكره صاحب معاهد التنصيص فى ترجمة ابن الرومى : أن بشاراً مدح المهدى بقصيدة ، فحرمه الجائزة ، فقيل لبشار : حرمك أميرُ المؤمنين ، فقال : واللهِ لقد مدحْته بشعر لو مُدح به الدهرُ ما خُشِيَ صرْفُهُ على أحَد ، ولكننى كذَبْتُ فى العمل ، فكُذِبْتُ فى الأمل .

وقال له الأصمعى : [ياأبا معاذ] إن الناس يعجَبون من أبياتك فى المَشُورة ، فقال له : يا أبا سعيد ، إن المُشاور بين صوابٍ يفوزُ بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه ، قال : فقلت له : أنت واللهِ فى قولك هذا أشعرُ منك فى شعرك .

وفى تاريخ بغداد للحافظ البغدادى فى ترجمة بشار أنه دخل على المهدى يعزيه على البانوقة (٢) فقال له : « يابْنَ مَعدِنِ الملك وثمرة العلم ، إنما الخلق للخالق ، وإنما الشكر للمنعم ،

(١) انظر ص ٥٣ جزء ١ .

(٢) [لما ماتت البانوقة بنت المهدى وجد عليها أبوها ، وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فدخل الناس يعزونه ، وممن عزاه بالنثر شبيب بن شبة ، وممن عزاه بالشعر أبو العتاهية وسلم الخاسر . وفى كتابة كلمة « البانوقة » اختلفت الكتب] .

ولا بد مما هو كائن ، كتاب الله عِظتنا ، ورسول الله أسوتُنا ، فأية عِظَةٍ بعد كتاب الله ، وأية أسوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات فما أحسن الموت بعده » .

ومن سجعه فى كتاب غرر الخصائص الواضحة: « قال بشار : لقدعشت فى زمان وأدركت أقواما لواحتفلت الدنيا ماتجمّلتْ إلا بهم ، وإنى الآن لفى زمان ماأرى فيه عاقلا حَصِيفا ، ولا فاتكا [ظريفا[1]] ولا ناسكا عفيفاً ، ولا جواداً شريفاً ، ولا خادماً نظيفاً ، ولاجليسا خفيفا ، ولا من يساوى على الخبرة رغيفا . وأنشد :

فما الناسُ بالناس الذين عرفتهم ولا الدار بالدار التى كنت أعرف[2] »

وحسبك من مكانته فى النثر أنه مع كونه أعمى لم يستغن الأمراء عن جعله فى زمرة الكتاب ، ذكر ابن رشيق فى كتاب العمدة فى الباب الأول أن بشاراً كان من كتاب الأزمة ، وقد تقدم ذلك فى ذكر مكانته لدى الأمراء .

علاقة بشار بإفريقية

إن ولاية يزيدَ بن حاتم وابنيه داود وروح أمراء على القيروان وهم من أشهر ممدوحى بشار بالقصائد الغرّ لهو أوثقُ سبب يصل شعرَ بشار بأرض إفريقية ، إذ يكون شعره قدأنشد بالقيروان : إمّا مرسَلاً من الشاعر إليهم أو إلى بعضهم ، وإما مَروِيًّا فى جملة [ما] يفخر هؤلاء الأمراء الثلاثة به على أقرانهم ورعاياهم .

ثم كانت لشعر بشار صلةٌ أخرى بإفريقية ، وذلك حين ورد إليها مااختاره الأخوان محمد وسعيد الخالديان ، فأُولِعَ به إسماعيل بن أحمد التُجيبى القَيروانى من أهل أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، واختار منه هو مااستجاده ، وكتب شرحا على مختاره سماه : « الرائق بأزهار الحدائق » وهو الذى نشره العلاّمة محمد بدر الدين العلوى من جامعة عليكره بالهند ، ثم هاهى [ذى] إفريقية اليوم تختص بالقطعة الوحيدة من ديوان بشار ، وهى التى بخزانتى ، وها أنا [ذا] الآن بصدد إبرازها لعصابة الأدب .

---

(١) [الزيادة من نسخة الكتاب المطبوعة] .

(٢) [فى نسخة الكتاب المطبوعة : « عهدتهم » بدل : « عرفتهم »] .

أعلام شعر بشار

أعلام الناس الواردة فى شعر بشار ثلاثة أقسام :

قسم هو أعلام حقيقة معروفة ، مثل أعلام الممدوحين من الخلفاء والوزراء ومن شملتهم حوادثهم من قواد وثوار ، وكذلك أعلام معاصريه ممن هاجاه أو عرّض به أو نحو ذلك ، وأعلام حبائبه المعروفات مثل عبدة وخاتم الملك .

القسم الثانى : أعلام شعرية تضمنها النسيب فى بعض قصائده ، فمنها ماقد يكون له مسمًّى فى نفس الأمر ، ومنها ماليس كذلك .

القسم الثالث : أعلام مشكوك فى أن لها مسميات أولا ، مثل أسماء رجال يذكرهم فى شعره من مساعدين وعذال ونحوهم ، والظاهر أنه أراد التعمية فى أسمائهم ، لأنهم من أهل مجالس سره .

ومن هؤلاء من سماه بأبى مجلز فى قوله :

بعثتُ إليها أبا مَجْلزٍ   وأيّ فتى إن أصاب اعتزمْ

فقال رجل لبشار : من أبو مجلز هذا يا أبا مُعاذ ؟ فقال له : وما حاجتك إليه ؟ ألك عليه دين أو تطالبه بطائلة ؟ هو رجل يتردَّد بينى و بين معارفى فى رسائل .

وأنشد بشار يوما : « غننى للغريضِ يابْنَ قَنانِ » فقال له بعض الحاضرين : لسنا نعرف ابنَ قنان هذا من مغنّى البصرة ، فقال : وماعليكم منه ؟ ألكُم قِبلَه دَين فتطالبوه به أوثأر تريدون أن تدركوه أو كفلتُ لكم به فإذا غاب طالبتمونى بإحضاره ؟ فقالوا : ليس بيننا و بينه شىء من هذا ، و إنما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يغنّى لى ولا يخرُج من بيتى ، فقالوا : إلى متى ؟ قال : مُذْ يومَ وُلِدَ إلى يوم يموت .

ومن الأعلام المراد بهــا التعمية أسماء وكنى لبعض حبائبه ، يُعَمّي بها المقصود ، وقد ذكر ذلك فى قوله :

يتغنّى إذا خلا باسمك الحقّ   ويكْنيكِ فى العِدا أمّ وهب

وهذه سُنَّة غرامية سلكها كثير من الشعراء المحبين .

ديوانه

إن طرائق الرواة فى جمع الدواوين مختلفة :

فمنهم من يبعثه وَلَعُه بالشاعر أو بانتقاده إلى مصاحبته فى حياته ورواية شعره عنه ، فيجمع كلَّ مايصدُر عنه من الشعر ، وهذه الطريقة أدْعَى وأثبتُ للصحة ، وهى التى نشاهدها كثيرا فى دواوين الشعر المكللة طوالعها بسلسلة رُواتها . و يمثل هذه الطريقة جمع شعر كثير من الشعراء الذين لايكتبون ، مثل العجّاج وجرير وذى الرُّمّة ، وبها أيضا جُمع ديوان أبى الطيب المتنبى بما رواه ابن جنى والصاحب بن عباد والحاتمى والثعالبى وخلق كثير.

ومنهم من يجمع الديوان من أوراق الشاعر وتقييداته ، وهذه طريقة يختلف حالها فى استقصاء الجمع على حسب اختلاف أحوال شعرائها فى الاهتمام بتقييد آثارهم الشعرية بالانتخاب فى التقييد أو بالتعميم ، وتفاوتهم فى حسن الضبط وانتظامه ووجود أعوان لهم على الكتابة ، و بمثل هذه الطريقة جُمعتْ دواوين المتأخرين ، و بمثلها جُمع ديوان المعرّى المسمى بسقط الزّند ولزومياته . وقد كان شعر المتنبى مجموعا عنده ، فلما قتلته الأعراب تلاشت أوراقه فى جملة مافى رحاله ، وقد رام ابنهُ التقاطَها من مصرعه بعد أيام من قتله ، فكانت محاولته هذه سببا فى اعتداء أعداء أبيه عليه فى موضع مصرع أبيه ، على أن الواحدى فى آخر شرحه لشعر المتنبى قال : « هذا آخر مااشتمل عليه ديوانه الذى جمعه بنفسه » .

ومنهم من تخطر له العناية بجمع شعر أحد الشعراء بعد انقراض عصر ذلك الشاعر ، فيذهب يستخلص مايجده من شعره من أفواه الرواة وأوراق التقاييد والمختارات ومن كتب اللغة وشواهد النحو والبلاغة ، وهذه الطريقة تتفاوت أيضاً فى استقصاء شعر الشاعر بحسب تفاوت العصور وتباعدها ، و بمثلها جُمعتْ دواوين شعراء الجاهلية وما قاربها من صدر الإسلام ، مثل امرئ القيس وزهير والأعشى وحسّان والشمّاخ ، و بمثلها جَمَع أبو تمام ديوانَ الحماسة وأبو الفرج الأصفهانى فيما تضمنه كتاب الأغانى ، وهذه الطريقة أبعد الطرق عن الاستيعاب وعن المحافظة على ترتيب أبيات القصائد وعلى تحقق اتحاد الأبيات الكائنة من بحر واحد وقافية واحدة فى أنها من قصيدة واحدة .

وطريقة جمع شعر بشار كانت مزيجا من الطريقتين الأولى والثانية ، فإن عناية الناس

بشعر بشار فى حياته كانت تُغريهم على الاستكثار من حفظه وتقييده ، وقد كان له رُوَاةٌ يَرْوُون شعره كما أسلفته فى المقدمة ، وكان مع ذلك فَقَدْ بصره مانعًا له من التقييد ، فكان يعتمد على حافظته أو على من يكتب له ، كما أن مافى طبعه من الانغماس فى اللهو والاستهتار بمحاسن النساء والشراب يصرفه عن شدة اليقظة لحفظ أوراقه وقماطيره ، فلا ريب فى أن ذلك كان سببًا قويا لتلاشى معظمها ، ولكن من المحقق أن كثيراً منها كان محفوظاً فى أوراق الناس ومحفوظاتهم ، وقد حدّثنا الرواةُ لأخباره أنه لما قتل فُتِشَتْ أوراقه وتقاييده ووُجد بها شعر له ، ووجد منها بيتان فى هجو آل سليمان لم يعرفهما الناس فى حياته .

وإنَّ عُقْبَى هذه الطريقة فى الجمع بادية على الموجود من ديوانه ، فإنك ترى قصائده موعبة طويلة دالة عَلَى تمكن جامعها من وسائل جمعها ، ونجد من جهة أخرى كثيراً منها غير واضح الترتيب ولا تام الأغراض ولا جامعًا لكل مايرويه الرواة من تلك القصائد ، إذ نجد أبياتا من قصائده منثورة فى كتب الأدب ، وقد عرى عنها ديوان شعره ، ونجد مايرويه أيمة الأدب أنه من قصيدة واحدة نجده تارة موزعاً بين قصيدتين ؛ كما فى القصيدة التى أولها : « طَرِبتَ إلى حَوْضَى وأنتَ طروبُ » فى الورقة ٣٠ ، فإن أبياتا منها ذُكرت مفردة فى آخر الورقة ٢٨ .

وقد اتفق الرواة عَلَى أن لبشار ديوانا عظيما ، وأنه أكثر الشعراء شعراً ، قال الحصْرى فى زهر الآداب[١] : « قال بشار : أنا أشعر الناس لأن لى اثنىْ عشرَ ألف قصيدة ، فلوا خُتِيرَ من كل قصيدة بيتٌ لاستُنْذِر ومن نَدرت له اثنا عشر ألفَ بيتٍ فهو أشعر الناس » .

وقد كان شعر بشار مجتمعًا عقب موت بشار ، ففى الموشح للمرزبانى عن عمرو بن شَبَّة[٢] أنه قرأ شعر بشار عَلَى محمد بن بشار بن برد[٣] .

ومع شهرة بشار ورغبة الناس فى شعره فى كل عصر فقد كان ديوانه عزيز الوجود يُنزَل منزلة المفقود ، ويوصف بأنه مفقود منذ العصور القديمة ، فقد قال عنه ابنه النديم فى

(١) انظر ص ١٣ جزء ٣ طرة العقد الفريد .

(٢) [المعروف أنه عمر بن شبة] .

(٣) انظر ص ٢٩٢ فى ترجمة عباس بن الأحنف .

الفهرست[1] : « ولم يجتمع شعره لأحد ، ولا احتوى عليه ديوان . وقد رأيت منه ألف ورقة منقطع ، وقد اختار شعره جماعة » .

لكنا نجزم بأن ديوانه وإن كان عزيز الوجود لم يكن مفقوداً ، فقد ذكر أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى[2] أن محمد بن حبيب وهو من أهل القرن الثالث له رواية فى شعر بشار ، وذكر الشهاب الخفاجى وهو من أهل القرن الحادى عشر فى شرحه على درة الغواص للحريرى عند الكلام على لفظ المشورة أنه نقل أبياتَ بشار فى المشورة من ديوانه ، إذ قال مانصه بعد أن ذكر قولَه :

إذا بلغ الرَّأْيُ المَشُورَةَ فاسْتَعِنْ   بِرَأْيِ لَبِيبٍ أو نَصِيحَةِ حَازِمِ :

« هذا بيت من نتفة له كما طالعتُه فى ديوانه وهى برمتها . . . الخ »

وقال بعض المطلعين من علماء العصر[3] : « إن ديوان بشار لايُعرف أنَّ أحداً ذكره بعد القرن السابع للهجرة » .

وقال الأستاذ زيدان فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية : « وليس منها (أى قصائد بشار) الآن إلا نتف متفرقة فى كتب الأدب ، وليس لبشار ديوان شعر مجموع » .

وإن أكبر دليل على عزة وجود ديوانه هو قلة المطلعين على عينه ، وذلك سبب مانراه فى كتب المحاضرات والمختارات والمعانى والبديع من قلة التعرض لأبيات بشار وندرة الزيادة على بيت مفرد أو بيتين ، مع التكثر من إنشاد أشعار الشعراء ، ومع التنافس فى الظفر بشىء من شعر بشار فى الأغراض المختلفة ، ومع ما لبشار من الشعر فى كل غرض .

وإن أكثر دواوين الأدب جمعاً لشعر بشار هو كتاب الأغانى ، فإنه جمع له فى الأجزاء الثالث والخامس والسادس والسابع والثالث عشر مايبلغ ستمائة بيت ، وكذلك كتاب المختار من مختار شعر بشار للخالديين الذى انتقاه وشرحه أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التجيبى القيروانى من أهل القرن الخامس فى منتصفه ، وقد كان كتابه مجهولا فنشره الشيخ السيد

---

(١) انظر ص ٢٢٧ .

(٢) انظر ص ٥٦ جزء ٢ .

(٣) هو العلامة الأستاذ كرنكو الملقب بسالم الكرنكوى المستشرق الشهير ببلاد الانجليز فى مكتوب كتبه إلى فى هذا الغرض .

محمد بدر الدين العلوى من أهل عليكره بالهند ، فإنه جمع من مختار شعر بشار نحو ثلاثمائة وثلاثين بيتاً ، وقد لاحظت أن ديوانه كان أروج فى [بيت] مفرد أو بيتين منه . ثم ترى ذلك أخذ يقل من كتبهم بمقدار تزايد العصور ، وتراه بين أهل المشرق أشيع منه فى بلاد المغرب .

وإن تلاشى ديوانه أو عزّة وجوده لما يدعو إلى العجب ، وكيف أضاعه المولّعون بأفانين الأدب مع تنافسهم فى تحلية مختاراتهم ومحاضراتهم بمختارات منه ، ولقد يتطلب المتفكر فى هذا سبباً لتلاشى الديوان من أيدى أهل الأدب ، فيخال أن مارُمى به من الزندقة هو الذى صرف الناس عن الاهتمام بشعره ، وهـذا خيال باطل ، إذ لم ينصرف الناس عن رواية شعره والعناية به فى أقوى العصور نفوراً من الزندقة ، وهو عصر المهدى العباسى وما يليه كما تقدم ، على أنهم لم ينصرفوا عن العناية بشعر أبى نواس والأخطل وصالح بن عبد القدوس . وربما تخيل متخيل أن مالصق ببشار من وشايات عند أهل الدولة فى خلافة المهدى هو الذى أحجم بالناس عن إظهار العناية بشعره ، وهذا التخيل مثل التخيل السابق ، لأنا نرى أشد العصور فى العناية بشعره هو ذلك العصر بعينه ، على أنهم لم يحجموا عن رواية شعر أبى عطاء السندى فى الدولة العباسية ، وهو من شيعة بنى أمية ، ولا عن شعر السيد الحميرى وهو من شيعة العلويين ، ولا عن شعر الفرزدق فى الدولة الأموية وهو من شيعة العلويين .

أما أنا فأعلل تلاشى ديوان بشار بسبب أنه أول المولدين الذين كانوا على طريقة العرب المتقدمين فى العناية بفصاحة الكلام وحسن التعبير عن المعانى بأسلوب عربى حسبما قدمته فى ذكر حديثه مع خلف بن أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر فى قصيدته التى طالعها : « بكّرا صاحِبَيَّ قبل الهَجير » فزها شعره وتناقلته الرواة وأعجبوا به أيام كان الذوق العربى لم يزل ماؤه يترقرق فى النفوس ، وأيام كان القرب من أساليب العرب موضع إعجاب المتأدبين ، وقد وجد فيه كل ذى نزعة من الشعر رغبته وطِلبته ، فمن علماء البلاغة وأيمة المعانى وأساطين المفسرين إلى الشعراء وأهل المجون والخلاعة والدعارة ، وذلك مالم يدانِه فيه أحد من الشعراء عدا الحسن بن هانئ أبا نُواس الحَكَمى ، فلذلك وجدوا فى شعر بشار غُنْية عمن سبقه ، فعكف الناس عليه ، وصرفوا كلَّ هممهم إليه ، فلما ضعفت الملكة العربية فى أذواق المتأدبين فى أواخر الدولة العباسية ، وأُولع الأدباء بالمحسنات اللفظية واللطائف المعنوية ، ثقل عليهم

الشعر الفَحْل والمذهبُ الجزْل ، فأنساهم إيّاه وَلَعُهم بالمذهب الأدبى الجديد ، كما أنساهم شعرَ مثل طرَفَة وزُهير ولَبيد ، فتوزع الشعراء معانى بشار بالسرقة والتصرف وصوغه فى قوالب لفظية تناسب أذواق عصورهم ، وأقبل الناس على شعر أبى تمام والبحترى زمانا ، وقد ذكروا أن أبا الطيب كان يحفظ ديوانَي أبى تمام والبحترى ويجحدهما ، على أن ظهور ديوان أبى الطيب المتنبى وإقبال أهل الأدب عليه من نواحٍ كثيرة قد كانت له يدٌ قوية فى التعفية على دواوين الشعراء الذين قبله ، مثل بشار وابن الرومى ومهيار وأبى العتاهية وأبى تمام وغيرهم من المكثرين ، وقد قال الواحدى فى ديباجة شرحه لديوان أبى الطيب : « وإن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الأشعار صَفحة الإعراض ، مقتصرين على شعر أبى الطيب المتنبى ، نائين عما يُرْوَى لسِوَاه ، وإنْ فاته وجاوز فى الإحسان مَدَاه » . وقال فى خاتمة الشرح : « إنّ مادعانى إلى تصنيف هذا الكتاب هو اجتماع أهل العصر قاطبة على هذا الديوان وشغفهم بحفظه وروايته وانقطاعهم عن جميع أشعار العرب جاهلياً وإسلامياً إلى هذا الشعر واقتصارهم عليه فى تمثلهم ومحاضراتهم وخطبهم ومقاماتهم ، حتى كأنّ الأشعار كلها فُقدت » وهذا السبب هو الذى لأجله أعرض معظم المتأدبين عن شعر شعراء الجاهلية ، ولولا الحاجة إليه من ناحية الاحتجاج للغة العربية والنحو والبلاغة لمُنى شعر الجاهلية بمثل ما مُنى به شعر بشار من الإعراض عنه والزهادة فيه .

فتلاشى شعر بشار قد توارد عليه من هذه العلة سببان للتلاشى ، هما : زهد المتأدبين وهو مفض إلى التلاشى غيرمقصود به ، وكثرةُ السارقين وهو نشأ عن قلة تداوله بين الناس ، والسرقة مما يُتعمّد معها الإتلاف ، فإن السرقة تُحْدث ضَراوةً فى نفس صاحبها بتعمد إخفاء سرقته بكل وسيلة ، فإذا علم قلة أصول ما أخذ منه سرقاته عمد إلى اضمحلالها ، فقد يصادف أن يضمحل كله ، بمصادفة آخر نسخة منهْ ، وقد تنجو نسخة ضئيلة أو أوراق قليلة .

ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمة سَلْم الخاسر أنه أنشد الرشيد قصيدته التى أولها : « حضر الرحيلُ وشُدّتِ الأحْدَاجُ » . فلما انتهى إلى قوله :

نزَلَتْ نجومُ الليلِ فوقَ رُءوسهم ... ولكل قَوْمٍ كوكَبٌ وهّاجُ

قال جعفر بن يحيى البرمكى — وكان يكره سَلما — أمِنْ قِلّةٍ حتى تمدح أمير المؤمنين

بشعر قيل فى غيره ؟ هذا البيت لبشار فى فلان التميمى ، فقال الرشيد : ماتقول ياسلم ؟ فقال : صدقَ ياسيدى ، وهل أنا إلا جُزْءٌ من محاسن بشار ؟ وهل أنطِقُ إلا بفضل منطقه ؟ وحياتك ياسيدى إنى لأرْوِى له تسعة آلاف بيت مايعرف أحد غيرى منها شيئاً ، فضحك الرشيد وقال : ما أحسن الصدق !

وذكر أبو الطاهر التُجيبى فى شرح مختار المختار(١) أن سلما وأبا نواس وداود بن رزين وغيرهم كانوا يصبون على قوالب معانى بشار ، وربما نبه بعضهم على بعض فى الأخذ منه واتباع طريقته ، قال أبو نواس فى داود بن رزين :

إذا أنشد داود فقل أحسن بشارُ
له من شعره الجمّ إذا ما شاء أشعارُ
وما منها له شىء ألاَ هذا هو العارُ

وذكر يوسف البديعى فى كتاب الصبح المنبّى، عن على الجرجانى أن البحترى أحرق خمسمائة ديوان للشعراء حسداً لئلا تشتهر أشعارهم . إهـ . وغير بعيد عندى أن يكون ديوان بشار فى جملة ما أحرق البحترى ، لأن شعر البحترى يشبه لهجة شعر بشار فى طريقة انسجامه وفصاحته .

وقد عز ديوان بشار فى أنحاء العالم فيما علمنا وعلمه النقابون عن المآثر الأدبية العربية من علماء الشرق والغرب ، فلا يُلْفَى من شعره إلا قصائد قليلة مبتورة منثورة فى مجاميع الأدب أو مقاطيع أو مفردات ؛ وأكثرها هو مافى الأغانى للأصفهانى فى الأجزاء الثالث والخامس والسادس والسابع والثالث عشر ، وبعضها فى أمالى الشريف المرتضى الموسوى ، وما عدا ذلك فهو أوْزَاعٌ فى كتب الأدب ، ولم يزل المتأدبون عالة عليها وهم متعطشون إلى مايشفى الغلة ويملأ العين زائداً على جمع القلة ، ولذلك لقبوا ديوان بشار بحلقة الأدب المفقودة .

وقد انتدب الأديب الفاضل الوَرَّاق السيد أحمد حسنين القرنى المصرى صاحب المكتبة العربية بالقاهرة إلى التقاط ماهو متناثر من شعر بشار ، وضمه فى كتيِّب فى زهاء مائة صفحة ، سماه : « بشار بن برد : شعره وأخبارُه » ، ورتّب ما انتهى إليه جمعه على

---

(١) انظر ص ٤٧ .

حروف المعجم ، وحلّى طوالعه بالرمز إلى الأغراض التى قيلت فيها أشعاره بيانا لطيفا ، وكان اعتماده فى جمعه على ما هو فى الجزءين الثالث والثالث عشر من كتاب الأغانى ، على أنه لم يبين مستنداته فيما جمعه ، وطبع هذا الكتاب بمطبعة الشباب بمصر سنة ١٣٤٣ .

ثم قفاه الأديب الأستاذ حسين منصور المصرى بتأليف سماه : « بشار بن برد بين الجد والمجون » بسط فيه أخبار بشار ونوادره ، ورصّعها بما قاله فى مناسباتها من الشعر ، وما قاله معاصروه فى مساجلاته أو هجائه ، فجاء جامعا لمعظم ما هو منشور من شعر بشار فى أوراق الأدب ، ولم يبين مستنداته فى منقولاته ، وكان حقا عليه أن يبين مراجعه ، وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ بدون فهارس . ثم هو خلط تخليطا كثيراً فى ضم بعض أبيات إلى غيرها اغتراراً بكونها من بحر واحد وقافية واحدة ، وربما اعتمد على مجرد كونها من قافية واحدة فقط ، على أن معانى بعضها كثيراً ما تجدها تبرأ من معانى ما ضُم إليه ، وما كان ينبغى له الاجتراء على هذا الصنيع بدون سند . وهذا مثل تخليطه الأبيات التى على قافية الراء المضمومة من بحر الطويل فى صفحة ٣٩ وصفحة ٤٠ ، وضمّنه بيتا على قافية النون المكسورة إلى أبيات من قافية النون المضمومة على ما بين غرضيهما من منافاة واضحة فى صفحة ٣٨ ، وأبيات على القاف المكسورة إلى أبيات على القاف المضمومة فى صفحة ٢١٥ وربما تجاوز إلى خلط أبيات من بحور مختلفة كما خلط فى صفحة ٢٥٢ قوله :

والآنَ أقْصَرَ عن سُمَيَّة باطِلى وأشارَ بالوَجَلى عَلَىَّ مشِيرُ

وهو من بحر الكامل بأبيات هى من بحر الطويل أولها :

ومُرْتجَّة الأردافِ مهضومة الحَشَا تمورُ بِسحْرٍ عينُها وتَدورُ

وكما خلط فى صفحة ٢٥٣ قوله :

وإذا قلتُ لهـا جُودِى لنا خرجتْ بالصمتِ عن لا و نعمْ

وهو من بحر الرمل بأبيات من بحر المتقارب أولها :

وبيضاء يضحكُ ماء الشبا بِ فى وجهها لك إذ تبتسم

وكما ضم فى صفحة ٧٣ بيتا من البسيط وهو قوله :

أنا المرعّثُ لا أخفى على أحـد ذرّت بى الشمس للقاصى وللدانى

إلى أبيات من بحر الكامل أولها :

إنْ أُمسِ مُنقبضَ اليدين عن النَّدَى وعن العدوِّ مُخَيَّسَ الشيطانِ

وهو مع ذلك قد استوعب ما يتعلق بحوادث بشار ، وذكر شعراً كثيراً منه .

وفى أواخر عام ١٣٥٣ ظهر كتاب اسمه : « مختار المختار من شعر بشار » اختاره الأديب أبو الطاهر إسماعيل التجيبي القيرواني مما اختاره الأديبان الأخوان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد الخالديان الموصليان ، وشرح له لأبى الطاهر إسماعيل التجيبي القيرواني ، نشره وعلق عليه العَلاَّمة السيد محمد بدر الدين العلوى الهندى معلم العربية فى جامعة عليكرة ، بإعانة المستشرق الأستاذ كرنكو والعلامة الشيخ عبد العزيز الميمنى ، وذلك فى أواسط سنة ١٣٥٣ وقد طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . غير أن ناشر الكتاب يظنه كتاب المختار للخالديين، ويَظن أن التجيبي شرح ذلك الكتاب ، وليس الأمر كما ظن ، فإن الكتاب الذى نشره هو مختار المختار وهو ما اختاره إسماعيل التجيبي من مختار الخالديين وشرحه ، وضم إليه ما عثر عليه من شعره حسبما يفصح عن ذلك كلامُه فى أواخر الشرح صفحة ٣٤١ وكلامه فى صفحة ٢٠١ .

* * *

وقد كان من منن الله تعالى أن اشتملتْ خزانةُ كتبى على جزء عظيم من ديوان بشار ، يظهر أنه نصف الديوان ، يبتدئ من أوله وينتهى أثناء حرف الراء ، قال فى آخره : « تم الجزء الأول من ديوان بشار ، ويتلوه الجزء الثانى منه « ذكرت والشوق لمن تذكرا » يشتمل على قوافى : الهمزة ، والألف ، والباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، ومعظم الراء ، وقصائده ومقاطيعه مائتان وخمس وخمسون ، وفيه من الأبيات ستة آلاف وستمائة وثمانية وعشرون بيتا ، باعتبار أبيات الرجز مشطورةً بناء على المشهور عند العرب ، وأوراقه مائتان وخمس وسبعون ورقة بصفحات ٥٥٠ ، ويوجد فى الورقة الأخيرة منه رقم حروف مقطعة فوق مطة وتحتها رقم ٢٧٩ ، والمظنون أنه عدد أوراقه وأنه قد تلاشى من أوراقه ٤ ورقات ، فلعلها من أثناء حرف الباء .

وهو بخط مصرى عتيق لم يؤرخه ناسخه ، وصورة كتابته ترجع إلى أسلوب أواخر القرن السادس ، وكتب على الورقة الأولى منه بخط كوفى بالمداد الأسود : « ديوان بشار

ابن برد » وأُدِيرَ حول هذا العنوان تزويق بالذهب واللازَوَرْد ، وتحته كتابة بالذهب بالخط المسمى بقلم الرِّقاع نصها : « خدمة المملوك عبد القوى المصرى الكتبى » . وهو مكتوب على ورق عتيق فاختى اللون ، والمظنون أن عبد القوى هذا هو ناسخه .

وكان هذا الجزء من كتب الحاج مصطفى صدقى من أهل المشرق فى سنة ١١٢٩ ، وعلامة كتبه توجد على كثير من الكتب النفيسة منها عدد ٤٧٩٩ وعدد ٤٥٣٤ وعدد ٤٥٤٣ من كتب خزانة جامع الزيتونة ، وهذه العلامة هى ختمٌ شكلُه إهليلجى فى حجم ظُفُر الإبهام الكبيرة ، مكتوب فيه : « من متملكات الفقير الحاج مصطفى صدقى غفر له سنة ١١٢٩ » وختم آخر صغير مستدير فى حجم العدسة الكبيرة ، مكتوب فيه ما نصه : « من متملكات الفقير » مكتوب فيه بالخط الكوفى : « ماشاء الله لاقوة إلا بالله » يَضَع هذا أعلى الختم الذى فيه اسمه ، والختم الكبير فى هذا الديوان مطموس ، استدللت عليه بالختم الصغير ، وقد وجدت بخط العلامة الأديب الشيخ عمر المحجوب قاضى حضرة تونس مايدل على أنه اشترى كتبا سماها فى عام ١٢١٤ ، وقد وقع بيدى بعض تلك الكتب ، فإذا عليه ختم الحاج مصطفى صدقى .

والديوان يظهر أن أصل جمعه وقع بقرب زمان المهدى العباسى ، لأن جامع الديوان يذكر فى أوائل القصائد التى مدحه بشار بها ثناء ودعاء لأمير المؤمنين المهدى من نوع ماتحلَّى به الخلفاء فى حياتهم ، كقوله : « وقال يمدح الإمام المهدى القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه » انظر ورقة ٢٦٢ . ولم يذكر الأغراض التى قيلت فيها القصائد إلا نادراً .

والظاهر أنه مجموع من رواية يحيى بن الجَوْن العَبْدِى المعدود من رواة بشار ، إذ قد وقع فى الورقة ١٠٧ من الديوان مانصه : « وقال أيضا ، ويقال لأبى همام الباهلى ، زعم يحيى بن الجَوْن » .

وهذه النسخة يظهر أنها نقلت عن أصل صحيح ، إلا أن خطه غير واضح تمام الوضوح ، ويظهر أن ناسخها تثبت غاية جهده ومبلغ علمه . إلا أنه لم يكن له حظ قوى فى اللغة والأدب العربى ، فلذلك كان يوقع تحريفا ولحنا فى غريب الألفاظ ، فيكتبها على مبلغ علمه وما يسبق إلى فهمه من صور الألفاظ الغريبة ، وقد أخطأ فى ضبط الكلمات خطأ يدل على ضعفه فى

النحو ، وفى كثير من الأخطاء مايوقع حيرة للناظر ، ولولا ممارستى لأدب العرب والشعور بمآخذ بشار ومراميه فى شعره لعسر علىّ إصلاح كثير من تلك الأغلاط. وقد يترك فى البيت موضع كلمة أو أكثر بياضا ، وهو ملازم لوضع نقطتين تحت الإمالة ، وكثيراً ما يكتب بالألف ماحقه أن يكتب إمالة والعكس .

وقد كنت منذ سنين طويلة عزمت على نشر هذا المقدار من الديوان ، ورأيت أن ألحق به ماوجدته فيما طالعته من كتب الأدب مما نسب إلى بشار ، فجمعت ذلك ، فتحصل لى من من ملحقات الديوان مايقارب ألف بيت ، وأفردت تلك الملحقات بجزء ، وأشرت إلى مستندى فى نسبة تلك الملحقات إلى بشار .

النسخة المستخرجة من هذا الجزء من الديوان

ولما رأيت جزء الديوان مشتملا على تحريف وأخطاء وصح عزمى على نشره ، أبيت أن أنشره على علاته ، فاستخرجت منه نسخة أعددتها ليقع الطبع عليها ، وقد بذلت الجهد فى تصحيحها و إصلاح أخطاء أصلها على نحو مابينته فى الشرح من التصحيح والتصويب ، فإن كان الخطأ والتحريف فى الأصل واضحا وكان إصلاحه متبادراً مثل أخطاء الرسم وأخطاء الضبط وأخطاء السهو بقلب الحروف أو وضع النقط جعلت النسخة على الصواب ولم أنبه فى الشرح على ماوقع فى الأصل إلا نادراً ، وإن كان الإصلاح راجحاً جعلت النسخة أيضا على الوجه الراجح ونبهت على مافى الأصل فى الشرح ، وإن كان الإصلاح محتملا جعلت النسخة على نحو أصلها ونبهت على الاحتمال فى الشرح ، وقد توليت مقابلة هذه النسخة وضبطها .

ومماينبغى التنبيه عليه أن بعضاً من أهل الأدب فى عصرنا هذا قد استحسنوا أن يتصرفوا فيما ينشرونه فى الكتب بحذف مايلوح لهم من الألفاظ التى قد يستحيي من ذكرها فى المحادثات الموقرة ، وفى ديوان بشار من هذا النوع شىء ليس بقليل ، ولما عزمت على نشر هذا الديوان فرضت فى نفسى التردد بين طريقة إثبات شعر الشاعر على ماهو عليه و بين طريقة حذف ما قد يستحيي منه ، ثم جزمت بسلوك الطريقة الأولى ، لأن فيها أداء أمانة النقل على ماهى عليه ، إذ لا ينبغى أن يصور الشاعر أو الكاتب على حسب مايشتهيه

الناقل أو القارئ ، بل ينبغي أن يظهره كما هو بأخلاقه وألفاظه وأخلاق أهل عصره وعاداتهم ، كما قيل : « صحيفة لب المرء أن يتكلما » . ولسنا بالذين نصلح من الشاعر ما أفسده طبعه ، ولا نشعب ما تشقق به نبعه ، على أن أهل الأدب قد اغتفروا الممازحة فى مثل هذا الباب ، وقد سلك الحريرى ذلك فى المقامة العشرين . ثم القارئ والمنتخب والمدرس أمراء أنفسهم فى الاختيار .

ولو ذهبنا ننتخب من خلق الشاعر مالا يروق لدينا من صورة حاله وعقله لكثرت للشاعر الواحد صور بكثرة الناحتين واختلاف أذواق الناشرين ، فإن هذا لا يضبط بحد ، فيوشك أن نعمد إلى الشعر فنحذف منه غزله ، إذ معظمه لا يخلو من عروض الاستحياء لقارئيه بمحضر مختلفى الصنف والسن ، فلو نفرض أن وَلد ابن الوردى حين قال له أبوه فى لاميته : « اعتزل ذكر الأغانى والغزل » أراد أن ينشر ديوان بشار أو ديوان عمر بن أبى ربيعة على طريقة وصية والده لما أبقى من شعر هذين إلا أبياتاً قليلة . وأيضاً الهجاء معظمه مما يكره أن يباشر به الناس بعضهم بعضاً ، فلو أراد أحد من هؤلاء نشر ديوان الفرزدق أو جرير أو الأخطل لما بقى من شعر هؤلاء إلا قصائد قليلة ، وقد رأينا من بعض المتأدبين العصريين من يكره المديح ، وفى الناس من يرى الفخر ذميا ، وميادين النفوس شتّى ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون .

وأمانة العلم والنشر توجب إثبات ما تركه القائلون كما هو ، وتَعُدّ الإقدام على إماتة كثير من بنات الأفكار ضربًا من الوأد ، وإن الاعتذار له بمثل تلك الأعذار هو كما تنتحل أهل الجاهلية لأنفسهم معاذير لوأد بناتهم . وربما اعتذر بعض الناس لحذف ما يحذفونه بأنه مما لا يحسن أن يُدرس فى المدارس للصغار ، وهو عذر واهٍ ، إذ ليس من الواجب تدريس الكتاب كله ، وإنما المدرس ينتخب ما يراه حسنا ، ويترك ما يراه قبيحاً ، وكم من عائب قولا صحيحا .

من أجل ذلك كله أثبتّ ديوانه على ما هو عليه ، وألحقت ملحقاته كلها كما نسبت إليه .

فهرس مقدمة ديوان بشار

صفحة

كَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عَلَيْنَا وَفِينَا وَأَيَادٍ بِيضٍ عَلَى الأَكْفَاء
أَسَدٌ يَقْضِمُ الرِّجَالَ وَإِنْ شِئْـــتَ فَغَيْثٌ أَجَشُّ ثَرُّ السَّمَاءِ [(١)]
قَائِمٌ بِاللِّوَاءِ يَدْفَعُ بِالمَـــوْتِ رِجَالاً عَنْ حُرْمَةِ الخُلَفَاءِ
فَعَلَى عُقْبَةَ السَّلَامُ مُقِيماً وإِذَا سَارَ تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ

وقال أيضا (*) :

رِيقُ سُعْدَى يَابنَ الدُّجَيْلِ الشِّفَاءُ فَاسْقِنِيهِ ، لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءُ [(٢)]
نَامَ عَنِّى صَحْبِى ولاَ أَعْرِفُ النَّوْ مَ ، بِعَيْنِى قَذًى وبِالقَلْبِ دَاءُ
ويَقُولُ الوُشَاةُ : أَحْبَبْتَ سُعْدَى صَــدَقُوا والجَلِيلِ حُبِّى عَيَاءُ
لا أَرَانِي أَعِيشُ ، قَدْ ظَعَنَ الحُبُّ وحَفَتْ بُيُوتِيَ الأَعْـــدَاءُ
ذَهَبَ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ وأَمْسَى جَارَ بَيْتِى البَغِيضُ ، هٰذَا البَلَاءُ
جَاوَرَتْنَا كَمَاءِ حِيناً فَلَمَّا فَارَقَتْ لَمْ يَكُنْ لِحَرَّانَ مَاءُ
فَصِلِ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ إِلَى أَحْوَرَ فِيهِ تَعَرُّضٌ والْتِوَاءُ [(٣)]
واسْتَرِحْ بِالحَبِيبِ فِيمَا تُلَاقِى كُلُّ شَىْءٍ سِوَى الحَبِيبِ عَنَاءُ
ويَقُولُ الطَّبِيبُ : فِى رَحْمَةِ اللّـــهِ غَنَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدِى غَنَاءُ [(٤)] ٦

= بـ « يقرع » بالقاف ، يظن ذلك من قرع المنبر بالعصا التى بيد الخطيب ، وهو خطأ .
[قلنا : لعل « بالفضل » محرفة عن « بالفصل » بالصاد المهملة ، أى بالقول الفصل] .

(١) الثر (بفتح الثاء) : الكثير الماء ، ومنه الثرثار : الكثير الكلام ، والأجش : السحاب الذى فيه صوت الرعد ، يقال : سحاب أجش ورعد أجش ، ووصف به هنا الغيث على حذف السبب ، يعنى : أجش سحابه ، فهو من إيجاز الحذف للقرينة ، والسماء هنا بمعنى المطر .

(*) وقال أيضا (فى الغزل من بحر الخفيف) .

(٢) الدجيل (كزبير) : القطران ، والظاهر أن « ابن الدجيل » هنا اسم مصنوع .

(٣) أى صل سير الليل بالنهار قاصداً الحبيب .

(٤) يعنى أن الطبيب أيس من معالجة دائه ، فوكل الأمر إلى رحمة الله به ، وقال : إن فيها غناء (بفتح الغين) أى مايكفى المهم ، على حد قول عروة بن حزام :

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

أَمَمٌ مَا سَلِمَتْ فَقْدُ فَقِيدٍ أَىُّ نَفْسٍ صَفَا لَهَا مَا تَشَاءُ ؟[١]
لَيْسَ يَبْلَى بِالصَّبْرِ عَنْهُ وَفِى طو لِ زَمَانٍ يَأْتِى عَلَيْكِ عَزَاءُ
نُصُبُ الحَادِثَاتِ غَيْرُ سَلِيمٍ كُلُّ كَأْسٍ لَهُ بِهَا أَقْذَاءُ

وقال أيضا (*) :

طالَ انْتِظارِى عَهْدَ أَبَّاءِ وَجاوَرَتْ فى الشُّوسِ مِنْ حَاءِ[٢]
وَبِتُّ كالنَّشْوَانِ مِنْ حاجَةٍ ضاقَتْ بِها نَفْسِى وَأَحْشائى
أَقُولُ لَمَّـــا ابْتَزَّها خاطِبٌ مِنْ بَيْنِ أَعْمَـــامٍ وَآبَاءٍ :
أَرُحْتِ فى الرَّائحِ يَوْمَ اللَّوَى ؟ لا تَبْعَدِى يا بِنْتَ وَرْقَاءِ[٣]
إِنْ كُنْتِ حَرْبًا لَهُمُ فَانْظُرِى شَطْرِى بِعَيْنٍ غَيْرِ حَوْلَاءِ[٤]
يا حُسْنَها يَوْمَ تَرَاءَتْ لَنَا مَكْسُورَةَ الطَّرْفِ بِإِغْضَاءِ[٥]

---

(١) الأمم (بفتح الهمزة) : اليسير ، أى أن هلاكه وهلاك غيره أمر يسير إذا سلمت حبيبته .

[لعل هذا البيت والبيتين بعده بقية قول الطبيب . والخطاب فى « سلمت » و « عليك » لمذكر ، وهو بشار . ولعل « يبلى » محرفة عن « تبلى » . والمعنى : أن الطبيب يعزيه عن فقد حبيبته ، أى غيبتها عنه ، وضياعها من يده] .

(*) وقال أيضا فى حبيبة له فارقت بلده حين تزوجت ، ولعلها عبدة أو سلمى التى سيجىء ذكرها فى الورقة ١٢٠ . من بحر السريع وعروضه وضربه مطوية مكشوفة [نرى أن عروضه مطوية مكشوفة وأن ضربه أصلم] .

(٢) كتب فى الديوان « اباى » والصواب أنه « أبّاء » بوزن فعّال للمبالغة من أبى يأبى ، أى كثير الإباء وأراد به المحبية ، فذكر باعتبار الشخص بقرينة قوله « وجاورت » ، والشوس جمع الأشوس وهو الذى إذا نظر ضيق نظره من الغضب أو الكبر . و « حاء » قبيلة من عرب اليمن ، كما تقدم فى البيت . ١ فى الورقة ٢ ، وأراد بذلك أنها ممنعة يبعد أرضها وشراسة قومها ، ولعله يريد بهم أهل عمان .

(٣) كتب اللوى بلامين ، ولعله النوى بنون بعد اللام .

(٤) الحرب هو العدو بمعنى المحارب ، تقول العرب : أحرب أنت أم سلم ؟

[ويقول نصيب : وقولا لها يا أم عثمان خلتى أسلم لنا فى حبنا أنت أم حرب ؟]

وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى : سلام أنت . والشطر (بفتح الشين) : الجهة ، وقوله : « بعين غير حولاء » أى انظرى جهتى بطرف العين نظراً عن قصد لاعن حول .

وهذا البيت والبيتان بعده مكررة فى القصيدة التى أولها « قد لعب الدهر على هامتى » فى الورقة ١١ ، فهذا البيت هو ٢٣ منها .

(٥) هذا البيت مكرر وهو ٢٤ من الورقة ١١ [مع تغيير لبعض الألفاظ] .

كأنَّما ألبَسْتَها رَوْضَـــةً مِنْ بَيْنِ صَفْراءَ وخَضْراءِ (١)

وقال أيضا (*) :

عَلِّلِيني يا عَبْدَ أنْتِ الشِّفَاءُ واتْرُكِي مايَقُولُ لِي الأعْـدَاءُ (٢)
كلُّ حَيٍّ يُقالُ فيهِ ، وذُو الحِلْمِ مُرِيحٌ ، ولِلسَّفِيهِ الشَّـــقَاءُ
لَيْسَ مِنَّا مَنْ لا يُعابُ فأغْضِي رُبَّ زَارٍ بَادٍ عَلَيْـهِ الزِّرَاءُ (٣)
أنا مَنْ قَدْ عَلِمْتِ لا أنْقُضُ العَهْـــدَ ولاَ تَسْتَخِفُّنِي الأهْوَاءُ
وعَجِيبٌ نَكْثُ الكَرِيمِ ، ولِلنَّفْـــسِ مَعَادٌ ، ولِلْحَيَاةِ انْقِضَاءُ
فاذْكُرِي حَلْفَتِي : أقارِفُ أُخْرَى يَوْمَ زَكَّى تِلْكَ اليَمِينَ البُكاءُ (٤)
يَوْمَ لا تَحْسَبِي يَمِيني خِلاَباً بِيَمِيني تُوَقَّرُ الأحْشَـــاءُ
فتَصَدَّتْ بَعْدَ الصُّدُودِ وقالَتْ : قتَلَتْنِي أنْفاسُكَ الصُّعَدَاءُ ! (٥)

(١) هذا البيت مكرر وهو أول الورقة ١٢ . أراد اصفرار وجهها من ألم الفراق [ربما كان بشار يعني بهذا البيت وصف الحبيبة يوم خرجت لخاطبها في زينتها الشبيهة بالروضة في صفرتها وخضرتها]

(*) وقال أيضا (ينسب بعبدة ، والقصيدة من الخفيف) .

(٢) عبدة هذه هي أشهر خليلات بشار وأكثرهن ذكراً في شعره ولذلك خصها أبو الفرج الأصفهاني بأخبار بشار معها في ترجمة خاصة في الجزء السادس من الأغاني زيادة على أخبار بشار التي ذكرت في الجزء الثالث . وهي عبدة الباهلية من بني مالك بن وهبان من باهلة ، والظاهر أن اسم أبيها العلاء [لقول بشار : « نماها إلى العلاء العلاء »] ، وتكنى بأم العلاء كما تقدم في طالع قصيدة عقبة بن سلم ، وكناها بشار مرة بأم عمر ومرة بأم الوليد ، وسماها أيضاً عبيدة وعبادة ، ووصفها بالذلفاء في ورقة ٥٧ ، ووصفها مرة بابنة المحمود . وهي من أهل البصرة ، وتزوجت برجل سماه بشار « ابن فائد » في البيت ٩ من الورقة ١٥٨ وخرج بها زوجها إلى عمان وكان بشار قد تعشقها من سماع لطف حديثها ، إذ زارته في مجلسه مع نسوة وكاشفها في حبه لها بواسطة غلامه فبثت له ، وكانت دائبة على زيارته ، وفيها قال :

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(٣) [لم تثبت كتب اللغة كلمة « الزراء »] .

(٤) قوله : « أقارف » هو على حذف [لا] النافيـة ، أي اذكري حلفتي لاأقارف ، وحذف [لا] النافيـة مع القسم شائع ، قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح قاعدا » . وأقارف بمعنى أقارب وأواصل .

(٥) الصعداء (بضم الصاد وفتح العين) : التنفس الطويل كالتنهد .

قُلْتُ : نَفْسِي الفِدَا عَلَى عَادَةٍ مِنِّـــى جَرَى ما جَرَى وقلبي بَرَاءُ[(١)]
فاعْذِرِينى يا شِـقَّةَ النَّفْسِ إِنِّي تُبْتُ مِمَّا مَضَى وعِنْدِى وَفَاءُ[(٢)]
وجَوَارٍ إذَا تَحَلَّيْنَ لَمْ تَدْ رِ : أَشَاءُ فى حَلْيِهَا أَمْ نِسَاءُ[(٣)] ،
يَوْمَ سِلْوَانَ إِذْ يُنَا (دِينَنِى أَقْـــبِلْ) إِلَيْنَا فعِنْدَنَا ما تَشَاءُ[(٤)]
يَتَعَرَّضْنَ لِي بِفَاتِرَةِ الطَّرْ فِ إِذَا أَقْبَلَتْ ثَنَاهَا الحَيَاءُ
٧ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ لاَ نَمَاهَا إِلَى العَلاَءِ العَـــلاَءُ[(٥)]
كَمَهَاةِ الـكِنَاسِ تَطْوِ لَنَا النَّفْـــسَ عَلَى وُدَّةٍ وفِينَـــا جَفَاءُ[(٦)]
رُحْنَ يَدْعُونَنِي إِلَيْهَا فأَمْـسَكْــــتُ بِسَمْعِى فَضَاعَ ذَاكَ الدُّعَاءُ
ضَامَهُنَّ الذِى تَمَنَّيْنَ شُغْــــلِي بِفَتَاةٍ مِنْهَا التُّـــقَى والحَيَاءُ[(٧)]
نَعِمَتْ فِي الصِّبَا فَلَمَّا اسْبَكَرَّتْ خَفَّ قُدَّامُهَا وَجَـــلَّ الوَرَاءُ[(٨)]

---

(١) أى جرى ماجرى منى من الصـدود ولـكن قلبي لم يتغير عن الحب . وبراء (بفتح الباء) وصف بالمصدر يستوى فيه الواحد والجمع ، وقرىء : إنا براء منكم . [فى المخطوطة : غادة ، بدل : عادة]

(٢) الشقة (بكسر الشين) : الشقيقة ، يقال : رجل شق وامرأة شقة .

(٣) رواه فى المختار : « أجوار فى حليها أم ظباء » .

(٤) [فى وسط البيت] بياض ، ولعله كان هكذا :

يوم سلوان إذ ينادينى أقـــبل إلينا فعندنا ما تشاء

(٥) قوله : « من بنات الملوك » تشبيه بليغ ، وفى البيت بياض ، وقوله : « نماها إلى العلاء العلاء » معناه نسبها إلى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ، فاكتسبت من اسم أبيها علوا إذ هى ابنة العـلاء ، وهذا يدل على أن عبدة ابنة رجل اسمه العلاء .

(٦) [لعل « ودة » بفتح الواو ، اسم مرة من ود] .

(٧) « ضامهن » أى منعهن ما تمنين شـغلى ، فشغلى فاعل ضامهن ، و « ضام » يتعدى لمفعولين [لعل « منها » محرفة عن « فيها »] .

(٨) « نعمت » أى نشأت فى نعمة ورفاهية عيش ، قال عروة بن أذينة من شعراء الحماسة :

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها

واسبكرت : استطالت وتمددت قامتها ، أى شبت . وقدام بضم القاف وتشديد الدال ضد وراء ، وهو من أسماء الجهات ، وأراد به هنا مايحل فى الجهة وهو بدنها المقدم ، وقد استعمل قدام هنا غير منصوب على الظرفية ، لأنه من الظروف المتصرفة ، أى التى تلازم النصب على الظرفية ، وأسماء الجهات من الظروف المتصرفة إلافوق وتحت فتصرفهما نادر ، ووقع رواية فى الحديث : وفوقه عرش الرحمن ، وفى الحديث :يتوقد تحته ناراً . =

وَرَآهَا النِّسَاءُ تَغْلُو فَسَبَّحْنَ غَلَاءً لَمَّا اسْتَبَانَ الغَلَاءُ !(١)
هِى كَالشَّمْسِ فِى الجَلَاءِ وَكَالبَدْرِ إِذَا قُنِّعَتْ عَلَيْهَا الرِّدَاءُ(٢)
أُنْسِيَتْ قَرْقَرَ العَفَافِ وَفِى العَيْنِ دَوَاءٌ لِلنَّاظِرِينَ وَدَاءُ(٣)
فَخْمَةٌ فَعْمَةٌ بَرُودُ الثَّنَايَا صَعْلَةُ الجِيدِ غَادَةٌ غَيْدَاءُ(٤)

= واعلم أن الظروف المتصرفة من أسماء الأزمنة والأمكنة ثلاثة أقسام : الأول كثير التصرف كيوم وشهر ويمين وشمال وذات اليمين وذات الشمال . والثانى متوسط التصرف وهو أسماء الجهات عدا الأربعة المذكورة آنفاً وعدا فوق وتحت . الثالث نادر التصرف وهو [فوق وتحت من] أسماء الجهات ومثل الآن وحين ودون [لعل « حين » فى كلام الشارح محرفة عن « حيث »] .

ومعنى قوله : « خف قدامها وجل الوراء » أنها مجدولة الكشح أى غير سمينة البطن وأنها وثيرة العجز ، وذلك من محامد خلقة المرأة عندهم ، قال كعب بن زهير : « هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة » .

(١) تغلو أى تشب شبابا سريعاً فى أول الشباب والمصدر الغلو بضمتين واسم المصدر الغلاء بفتح الغين وبالمد والغلواء بضم فسكون أو ففتح وبالمد، يقال : غلواء الشباب أوله وسرعته وغلواء الغصن سرعة امتداده. وقوله : فسبحن غلاء أى تسبيحاً كثيراً متجاوز الحد لما ظهر لهن من سرعة شباب المرأة ، والتسبيح للتعجب من جمالها .

(٢) ذكر وجه شبهها بالشمس لئلا يتوهم السامع أنها مثل الشمس فى كل الصفات ، فإن من صفات [الشمس] ألا تستطيع العين التملى من النظر إليها ، ولذا احتاج إلى تشبيهها ثانياً بالبدر فى الحسن ، وقيد ذلك بوقت تقنعها ، أى وضع القناع على رأسها ، لأن القناع أسود فى عرفهم ، فكان وجهها فيه كالبدر فى سواد الأفق ، والتقنع : لف الرأس فى القناع ، وقد ورد فى صفة عمامة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن : مقنعى رءوسهم ، وأسند قنعت إلى المجهول ليدل على أنها مخدومة لها وصائف يلبسنها ثيابها .

(٣) القرقر بفتح القافين والراءين ، ويقال « القرقل » بلام فى آخره هو ثوب تلبسه النساء مثل القميص لا كمين له ، قيل والصحيح فيه قرقل بلام فى آخره وأما الراء فى آخره فخطأ ، وسيأتى له فى البيت ١٨ من الورقة ١٠ ، وأضافه إلى العفاف لأنه يلبس للستر ويخلع فى التجرد ، ووقع فى النسخة « أنسيت قرقر العفاف » بهمزة ثم نون ثم سين من النسيان ، وهو لا يستقيم له معنى ، والصواب « ألبست » بهمزة ولام وباء وسين من اللباس ، لأنه ذكر قبل أنها شبت واكتملت ، ثم ذكر الآن أنها ألبست لباس الشواب المستحييات العفيفات ، فإنهم إذا شبت البنت ستروها ، ولأنه بصدد وصف لبستها ، وسيقول : أزرت دعصة . . . الخ ، وهذا موجود فى شعر العرب ، قال الأعشى :

وورادعة بالطيب صفراء عندنا لجس الندامى فى يد الدرع مفتق

وورد فى خبر قصى بن كلاب : أنه لا تدرع فتاة إلا فى بيته ، وقوله : وفى العين دواء . . . الخ أى وعينها لم يستطيعوا سترها [من الناظرين فوقع منظرها منهم موقع الداء والدواء] .

(٤) الفخمة : الضخمة ، والفعمة : الممتلئة لحما ، والفعل فخم وفعم بضم العين فيهما [وبرود : باردة ، وصيغة « فعول » يستوى فيها المذكر والمؤنث] وصعلة الجيد : دقيقة العنق ، والغادة : المرأة المتثنية لينا ، والغيداء : فعلاء من غيدت (كفرحت) غيدا إذا أمالت عنقها فى المشى تدللا واسترخاء .

أَزَّرَتْ دِعْصَةً وَتَمَّتْ عَسِيبًا   مِثْلَ أَيْمِ الغَضَا دَعَاهُ الأَبَاءُ (١)

وَثِقَالُ الأَوْصَالِ سَرْبَلَهَا الحُسْـــنُ بَيَاضًا ، وَالرَّوْقَةُ البَيْضَاءُ (٢)

زَانَهَا مُسْـــفِرٌ وَثَغْرٌ نَقِيٌّ   مِثْلُ دُرِّ النِّظَامِ فِيهِ اسْتِوَاءُ

وَقَوَامٌ يَعْـلُو القَوَامَ وَنَحْرٌ   طَابَ رُمَّانُهُ عَلَيْـــهِ الأَيَاءُ (٣)

وَبَنَانٌ يَاوَيْحَهُ مِنْ بَنَـــانٍ   كَنَبَاتٍ (سَقَاهُ) حَمٌّ رَوَاءُ (٤)

---

(١) الدعصة (بكسر الدال وسكون العين) : القطعة المستديرة من الرمل ، وهو منصوب على الحال على معنى التشبيه البليغ ، كقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بان   وفاحت عنبرا ورنت غزالا

أى ألبست الإزر كدعصة ، أراد تشبيه ما تأزرت عليه ، والعسيب : جريدة من النخل [مستقيمة دقيقة يكشط خوصها] ونصبها على الحال للتشبيه البليغ أيضاً ، أى تمت قامتها كالعسيب فى استقامة ودقة ، وكلا الوصفين محمود فى النساء عندهم ، قال عمر بن أبى ربيعة :

أسيلات أبدان دقاق خصورها   وثيرات ماالتفت عليه المآزر

والأيم (بفتح الهمزة وسكون المثناة) : ذكر الحية الأبيض اللطيف ، وقديما شبهوا بشرة المرأة بلون الأيم . قال العجاج : « وبطن أيم وقواما عسلجا » . والأباء : القصب ، جمع أباءة (كعباءة) : القصبة ، والمعنى أنها تمشى فى تثن وسرعة كالحية البيضاء أرادت أن تدخل أجة القصب ، وجعل رؤية الحية لأجمة القصب ومحبتها الدخول فيه مشبهة بكون القصب يدعوها لأن تدخله كقول المتنبى [فى الإبل] :

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه   كرعن بسبت فى إناء من الورد

فجعل شهوتها الماء كأنه يعرض نفسه عليها وهى تستحي أن ترده مبالغة فى حسن صفات المشتهاة [قال شارحوا ديوان المتنبي : « إنه يصف كثرة الأمطار وأنه أين يذهب يرى الماء فى الغدران »] .

(٢) ثقال بفتح أوله من صيغ اسم الفاعل المشتق من فعل بضم العين عند ابن مالك وهو من الأفعال الدالة على الثبوت ولذلك يعد الوصف بها صفة مشبهة عند كثير من الصرفيين والنحاة ، فمن ذلك وزن فعال مثل : جبان ، وحصان للمرأة الحصينة ، ورزان كذلك للمرأة [ذات الرزانة] ، وثقال كما هنا [للمرأة ذات الكفل العظيم ولذات الرزانة ، ولعل المراد بـ « ثقال الأوصال » أنها ممتلئة الأعضاء ، كما يقال : فلان فعم الأوصال] ، والأوصال : المفاصل ، والروقة بفتح الراء الجمال الرائق ، [ولعل « الروقة » هنا بضم الراء بمعنى الجميلة الرائقة] .

(٣) الأياء (كسحاب) : شعاع الشمس ، ويقال : إياء بكسر الهمزة والمد وبهاء عوض المد ، قال طرفة :

سقته أياة الشمس إلا لثاته   أسف ولم تكدم عليه بإثمد

[والمراد فى قوله : « وقوام يعلو القوام » بالقوام الأول : الاعتدال ، وبالقوام الثانى : القامة] .

« ياويحه » النداء للتعجب ، وكلمة ويح ونحوها من كلمات الدعاء بالشر تكون فى مثل هذا المقام للتعجب ، مثل : ويلك وتربت يمينك وثكلتك أمك . « وحم » كتب بالحاء المهملة ، والصواب أنه بالجيم ، أى كثير ، ورواء (بفتح الراء) : الذى يروى لكثرته ، ووقع فى الديوان موضع لكلمة ياضا ، ولعله « سقاه » . [قلنا : « حم » بضم الحاء كما فى الديوان يمكن أن تكون صحيحة ، بمعنى سود ، أى سحب حم ، كما يقال : سحب سحم] .

وَلَهَا وَارِدُ الغَدَائِرِ كَالْكَرْ ... مِ سَوَادًا قَدْ حَانَ مِنْهُ انْتِهَاءُ(١)

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ... ضِ زَهَتْهُ الصَّفْرَاءُ وَالحَمْرَاءُ(٢)

لَمْ يُعَلِّلْ بِهَا سِوَايَ وَلَمْ تَبْـ ... ـدُ لِنَارِ ... الصِّلَاءُ(٣)

وَإِذَا أَقْبَلَتْ تَهَادَى الْهُوَيْنَى ... اشْرَأَبَّتْ ثُمَّ اسْتَنَارَ الفَضَاءُ

لَمْ تَنَلْهَا يَدِي بِحَوْلِي، وَلَكِنْ ... قُضِيَتْ لِي، وَهَلْ يُرَدُّ القَضَاءُ ؟(٤)

كَانَ وُدِّي لَهَا خَبِيًّا فَأَسْرَعْـ ... ـتُ إِلَيْهَا وَالأَمْرُ فِيهِ الْتِوَاءُ

وَسَأَلْتُ النِّسَاءَ : أَبْصَرْنَ مَا أَبْـ ... ـصَرْتُ مِنْ حُسْنِهَا ؟ فَقَالَ النِّسَاءُ :(٥)

دُونَ وَجْهِ البَغِيضِ وَحْشَةُ هَوْلٍ ... وَعَلَى وَجْهِ مَنْ تُحِبُّ البَهَاءُ

وقال أيضا يهجو الباهلي (*) :

يَفْخَرُ البَاهِلِيُّ أَنْ جَعَلَ اللَّـ ... ـهُ لَهُ وَحْدَهُ حِرًا مِنْ وَرَاءِ

---

(١) الوارد من [الشعر و] الشجر : الطويل المسترسل ، وتشبيه الشعر بالنبت والشجر قديم من عهد امرىء القيس فى قوله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقوله : « كالكرم سوادا » شبهه بالعنب فدل على أن عنبهم كان الأسود .

(٢) زهته : حسنته وزينته الأنوار الصفراء والحمراء ، والصفراء : النرجس ، والحمراء : الشقائق.

(٣) فى عجز هذا البيت بالمخطوطة بياض .

(٤) يريد أنه أحبها اضطرارا دون اختيار منه ، كقول النابغة :

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت ... يوما وتوفيق أقدار لأقدار

(٥) يعنى أن النساء حسدنها فأبين أن يقررن بحسنها ، وهذا مأخوذ من عمر بن أبى ربيعة :

أكما ينعتنى تبصرننى ... عمركن الله أم لايقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها : ... حسن فى كل عين من تود !

حسدا حملنه من أجلها ... وقديما كان فى الناس الحسد

(*) وقال يهجو الباهلى ، (من بحر الخفيف من الضرب الأول والعروض الأولى) . والباهلى هو أبو هشام عمرو بن عبدالرحمن بن الخلق الباهلى الظالمى ، كذا فى [معجم الشعراء للمرزبانى] ص ٢١٦ ،وذكر أبو الفرج فى الأغانى أنه بصرى ، قال [المرزبانى] : هو شاعر مكثر ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشيد . وذكر أنه يسكن بغداد ، وأنه هاجى بشار بن برد فانتصف منه ، وأنه فيه يقول :

بذلة والديك كسبت عزا ... وباللؤم اجترأت على الجواب

ويصفه بابن خليق ، ويظهر أنه كان أسود اللون وأمه أمة ، كما قال بشار ، فوصفه بالزنجى فى البيت ١٦ من الورقة ٩٠ وبزنجى خالد فى البيت ٢٤ من الورقة ٢٠٦ وكان يلقبه بالقزر ، وكان معلما ، أى معلم صبيان له كتاب . وقد قال فيه بشار فى البيت ١٧ من الورقة ٩١ : « وما كان فى كتابه بكسوب » ، ولقبه =

٨ ولقدْ قُلتُ يومَ زافَ لِمسْعُو ... دٍ وألْقَى عَنْهُ قِناعَ الْحَيَاءِ :(١)

خَبَّرَتنِي الْفَنْفاه عنكَ بشيء ... فاتّقِ اللهَ فى أُسْتِكَ الْبَخْرَاء

لا تَدَعْ زِنيَةً وَدَعْ زُبَّ يَحْيَى ... واسْأَلْ أُخْتَيكَ عنْ لَذيذِ الزِّنَاء

وقال فيه أيضاً (*) :

أفَرْخَ الزِّنجِ طَالَ بِكَ الْبَلاءُ ... وساءَ بِكَ الْمُقَــدَّمُ والْوَرَاءُ

تَنِيــكُ وَتَنْتَنِيكُ ، وَمَا لِهَذَا ... وهـــذَا إذْ جَمَعْتَهُمَا دَوَاءُ

بَكَيْتَ خِلافَ كِنْدِيرٍ عَلَيْهِ ... وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْحَرَبِ الْبُكَاءُ (٢)

فَحَدِّثْنِي فَقَدْ نَقَضْتَ عُمراً ... وَكِنْدِيرًا أَقِلَّ فَتًى تَشَاءُ (٣)

كَفَى شُغْلاً تَتَبُّعُ كُلِّ أيْرٍ ... أصابَكَ فِي أُسْتِكَ الدَّاءُ الْعَيَاءُ

أمَا فِي كُرْبُجٍ ونَوَى لَقَاطٍ ... وأَبْمَارٍ تُجَمِّعُهَا عَــزَاءُ (٤)

تُشَاغِلُ آكِلَ التَّمْرِ انْتِجَاعًا ... وتُكْدِي حِينَ يَسْمَعُكَ الرِّعَاءُ (٥)

= فى بعض شعره بأبى كشكش وبفرخ الزنج . وعاش الباهلى بعد بشار ، وله شعر فى موت بشار وفى موت حماد عجرد ، ذكره أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمة بشار وفى ترجمة حماد عجرد ، ولم يذكر فى الأغانى اسمه ولا اسم أبيه .

(١) [زاف : مشى مسترخى الأعضاء] .

(*) وقال فيه أيضاً ، أى فى هجاء الباهلى ، وهى من بحر الوافر .

(٢) « كندير » ضبطه فى الديوان بكسر الكاف ، والظاهر أنه علم مشتق من « الكندر » بضم الكاف والدال ، وهو الحمار الغليظ ، وقد نبز به الباهلى مرات ، وقد مات كندير كما أشار إليه بشار فى البيت ٥ من الورقة ٩٢ وسيذكره فى البيت ٢٠ من الورقة ٢٦١ .

والحرب بفتح الحاء وفتح الراء جمع حربة [المذكور فى كتب اللغة أن الحرب (بفتح الراء) طلع النخل ، مفرده « حربة » (بزيادة التاء) . ولعل المراد هنا من « الحرب » مصدر : حربه ، أى سلبه ماهو عزيز عليه] و « خلاف » هنا بمعنى « بعد » كقوله تعالى : فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله . وأراد بشار بعد موت كندير .

(٣) [يجوز أن تكون الهمزة فى « أقل » للاستفهام] .

(٤) ضبط فى الديوان « كربج » بضم الكاف ، وفى اللغة : الكربجة ضرب من العدو ، ولم يذكروا فيها وزن فعلل [ربما كان محرفا عن الكربج (بضم الكاف وسكون الراء وفتح الباء بمعاجيم) قال اللغويون : إنه الحانوت أو متاع حانوت البقال ، وذكر ياقوت أنه موضع قريب من الأهواز من جهة البصرة] . « واللقاط » بفتح اللام السنبل الذى تخطئه مناجل الحصاد . والمعنى أنه من فقراء أهل البادية.

(٥) كتب فى الديوان يشاغل بتحتية ، والصواب أنه بفوقية .

وعِندِى مِنْ أَبِيكَ الْوَغدِ عِلْمٌ ... ومِنْ أُمٍّ بِهَا جَمَحَ الْفَتَاه
أَبُوكَ إِذَا غَدَا خِنْزِيرُ وَحْشٍ ... وأُمُّكَ كَلْبَةٌ فِيهَا بَذَاه
فَمَا يَأْتِيكَ مِنْ هٰـذَا وهذَا ... إِذَا اجْتَمَعَا وضَـمَّهُمَا الفضَاء
أَلاَ إِن اللَّئِـيمَ أَبَا قَدِيمًا ... وَأُمَّاتٍ إِذَا ذُكِرَ النِّسَاء(١)
نَتِيـجُ بْنَ خِنْزِيرٍ وكَلْبٍ ... يَرَى أَنَّ الكِمَارَ لَهُ شِـفَاء(٢)
أَفَرْخَ الزِّنج كَيْفَ نَطَقْتَ بِاسْمِى ... وَأَنْتَ مُخَنَّثٌ فِيـكَ الْتِوَاء
رَضِيتَ بِأَنْ تُنَاكَ أَبَا بَنَاتٍ ... وَلَيْسَ لِمَنْ يُنَاكُ أَبًا حَيَـاء
وقَدْ قَامَتْ عَلَى أُمٍّ وأُخْتٍ ... شُهُودٌ حِـينَ لَقَّاهَا الزِّنَاء
إِذَا نِيكَتْ حُشَيْشَةُ صَاحَ دِيكٌ ... وصَوَّتَ فِى اُسْتِ أُمِّكَ بَبْغَاء
وَدَعْ شَتْمَ الأَكَارِمِ، فِيهِ لَهْوٌ ... وَلٰكِنْ غِبُّـــهُ أَبَهٌ وداء(٣)
لِأُمِّكَ مَضْرَعٌ فى كُلِّ حَىٍّ ... وَحُشَّـــةُ هَمُّهَا فِيكَ الْكِرَاء(٤)
وَقَدْ تَجِرَتْ بِأُخْتِكُمُ «غَنِيٌّ» ... فَمَا خَسِرَ التُّجَارُ وَلاَ أَسَاءوا
أَصَـابُوا صِهْرَ زِنْجِيٍّ دَعِيٍّ ... بِبَرْصَاءِ العِجَانِ لَهَا ضَـنَاء(٥)
فَمَا اغْتَبَطَتْ فَتَاةُ بَنِى «غَنِيٍّ» ... ولاَ الزِّنْجِىُّ، إِنَّهُمَا سَـوَاء

(١) قوله «أبا» تميز للئيم، وكذلك قوله «وأمات»، وقوله «قديما» أى من قديم الزمان، وجمع «أما» على «أمات» وهو قليل، والمشهور فى جمعه: أمهات بناء على أن أصل أم أمهة، وقيل: إن «أمات» لجمع الأم من الحيوان.

(٢) [الكمار كأنه جمع كمرة، ولم تذكر كتب اللغة التى بين أيدينا هذا الجمع، ويمكن أن تكون الكلمة محرفة عن «الكمر» بضم الكاف والميم وتشديد الراء].

(٣) [الأبه: التهمة. وفى المخطوطة ضبطت الباء مفتوحة، ولعلها ساكنة].

(٤) [حشة كتبت فى المخطوطة بالخاء المعجمة، وقد مرت فى البيت الأسبق «حشيشة» بالحاء المهملة].

(٥) [الضناء، بفتح الضاد: كثرة الولد، وربما كان الضناء بكسر الضاد: مصدر ضانى الأمر: قاساه وعاناه].

٩ وقال أيضاً يهجو يحيى بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس (*) :

لَاتَبْغِ شَرَّ ٱمْرِئٍ شَرًّا مِنَ ٱلدَّاءِ ... وَٱقْدَحْ بِحِلْمٍ وَلَا تَقْدَحْ بِشَحْنَاءِ (١)
مَالِى وأَنْتَ ضَعِيفٌ غَيْرُ مُرْتَقِبٍ ... أُبْقِى عَلَيْكَ وتَفْرِى غَيْرَ إِبْقَاءِ (٢)
مَهْلاً فإِنَّ حِيَاضَ الْحَرْبِ مُتْرَعَةٌ ... مِنَ الذُّعَافِ مِرَارٌ تَحْتَ حَلْوَاءِ (٣)
أَحِينَ طُلْتَ عَلَى مَنْ قَالَ قَافِيَةً ... وطَالَ شِعْرِى بِحَىٍّ بَعْدَ أَحْيَاءِ (٤)
أَلْزَمْتَ عَيْنَكَ مِنْ بَغْضَائِنَا حَوَلاً ... لَوْ قَدْ وَسَمْتُكَ عَادَتْ غَيْرَ حَوْلَاءِ (٥)
اُطْلُبْ رِضَاىَ وَلَا تَطْلُبْ مُشَاغَبَتِى ... لَا يَحْمِلُ الضَّرِعُ الْمُقْوَرُّ أَعْبَائِى (٦)

(*) وقال يهجو يحيى بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس (من بحر البسيط وعروضه مخبونة وضربه مقطوع : مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن . . . فعلن) ويحيى بن صالح هذا لم أقف عليه ، ولكن أباه صالح بن على كان أمير مصر والشأم فى خلافة أبى جعفر المنصور وأمير الحج فى سنة ١٤١ ، قال ابن حزم : وكانت فى أولاد صالح ثروة ورئاسة [وولاية فى] منبج وأعمال حمص وقنسرين ، وعقبه كثير فى تلك الجهات . والظاهر أن سبب هذه القصيدة أن يحيى هذا كان قد انتصر لحماد عجرد فجعل بشار ذلك لصلة بين حماد وأم يحيى .

(١) يقول : إنك تقدح فى ، فأنت بفعلك هذا تطلب شر رجل هو أشد شرا من الداء ، واقدح فى بحلم ولا تقدح ببغض فيحملك البغض على أن تتجاوز فى الحد فى القدح ، فقوله « شر » الأول اسم جامد وهو ضد الخير ، و « شر » الثانى أفعل تفضيل نائب عن أشر ، وقد ثبت فى النسخة منصوبا على الحال وإن كان صاحبها نكرة ، لأنه لما كان نكرة معروفة نزل منزلة المعرفة ، والأحسن أن يضبط بالجر .

(٢) قوله « وأنت ضعيف غير مرتقب » جملتان معترضتان [والظاهر أنه جملة معترضة] بين « مالى » و « أبقى عليك » أى مالى لاأتعرض لك بالهجاء مع أنك ضعيف غير مرتقب ، أى غير مشرف ولا عالى الحظ ، وقوله « وتفرى » أى تكذب ، فرا يفرى أى كذب ، وقوله « غير إبقاء » أى من دون أن تبقى من شرك وأذاك شيئاً ، ورواه فى المختار « وتأتى غير إبقاء » أى تفعلن مالا إبقاء فيه [لعل « تفرى » هنا ، بمعنى : تقطع] .

(٣) الذعاف (بضم الذال) : السم ، وأراد بالحرب حرب المهاجاة ، [ومرار جمع مرة — من المرارة — كما فى مستدرك التاج] .

(٤) [فى المخطوطة : طلمت بفتح التاء ، وضبطها الشارح بالضم] .

(٥) يريد أنك تنظر إلينا بطرف عينك كنظر الأحول ، ولو كنت هجوتك لكنت كالأحول يوسم بالشىء المحمى بالنار فيذهب حوله ، فجعل الأذى الحاصل من الهجاء كالوسم بالميسم ، وجعل حصول الارتداع به عن الشر كزوال الحول بالوسم بالنار . [ورواية المختار : « من بغض لنا »] .

(٦) المشاغبة : تداول الشر وتهييجه ، والضرع ككتف : الضعيف ، والمقور بمعنى المقور ، وهو المطلى بالقار ، وهو القطران أو مايشبهه من الزفت لمرضه ، ويكون ضعيفاً لايستطيع العراك ، وقد أتى بصيغة مفعل كمخضر ومصفر وهو اسم فاعل من افعل ، فكأنه بنى له وزن أقور بمعنى صار مطليا بالقار ، فانظر فى صحة سماع هذا من العرب ، والمعروف : المقير ، كما فى حديث الأنبذة . [الرأى عندنا : أن =

أنا المُرَعَّثُ لاأخـــفى على أحدٍ ... ذَرَّتْ بِىَ الشَّمسُ لِلدَّانِي ولِلنَّائى (١)

يَغدُو الخليفةُ مِثلِي فى محاسِـنِهِ ... ولستَ مِثلِى فنَمْ ياماضِـغَ الماءِ (٢)

إنِّى إذا شَـغَلتْ قوْمًا فِقاحُهُمُ ... رَحْبُ المَسالِكِ نَهَّاضٌ بِبزْلاءِ (٣)

يَثْوِى الوُفُودُ وأُدْعَى قَبْلَ يَوْمِهِمُ ... إلى الحِبـاءِ ولَمْ أُحْضِرْ برَقَّاءِ (٤)

لوْ كانَ « يَحْيَي » تميميًّا أسأتُ بهِ ... لٰكنَّـهُ قُرَشِىٌّ فَرْخُ بَطْحاءِ (٥)

« يَحْيَي » فَتًى هاشِمِىٌّ عَـزَّ جانِبُهُ ... فلا يُلامُ وإنْ أجْـرَى مَعَ الشَّاءِ (٦)

= « المقور » هو المنحنى المهزيل المتغير ، وقد ذكر اللغويون ذلك فى كتبهم ، وبينوا الفعل « اقور » (بتشديد الراء) والمصدر « اقورارا » . يقول بشار : لايستطيع الضعيف الذى تبالغ فيه الضعف بالانحناء والهزال أن يحمل أعبائى] والأعباء جمع عبء ، وهو الثقل .

(١) المرعث بالعين المهملة . تقدم وجه تلقيب بشار بالمرعث فى المقدمة .

(٢) [فى المخطوطة : فتم ، وقد كتبها الشارح : فقم] الظاهر أنه أراد بماضغ الماء الكناية عن الحمق وسوء وضع الأشياء موضعها ، [وقريب من ذلك قول العرب فى أمثالهم : أحمق من لاعق الماء] .

(٣) [قد استشهد بهذا البيت الزمخشرى فى أساس البلاغة ، قال : « وهو نهاض ببزلاء ، أى بخطة عظيمة ، قال :

إنى إذا شغلت قوماً فروجهم ... رحب المسالك نهاض ببزلاء »

وكذلك استشهد الجوهرى فى الصحاح بهذا البيت ، قال : وفلان نهاض ببزلاء ، إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام ، قال الشاعر : إنى إذا شغلت قوما فروجهم . . . إلخ ، ومثله فى اللسان والتاج ، وجاء فى أمالى القالى (ج ١ س ٥٢) نقلا عن الأصمعى قول الأعرابى يصف نفسه : « حمال أعباء ، نهاض ببزلاء » ثم شرح أبو على البزلاء فقال : « والبزلاء : الرأى الجيد الذى يبزل عن الصواب ، أى الذى يشق عنه »]

(٤) أى يقيم الوفود ينتظرون العطاء ويعجل عطائى ، يريد ماله من القبول عند الخلفاء ، و « الرقاء » أراد به هنا الشفيع والمتوسل به [ولعل ذلك مبنى على أن « الرقاء » النافث فى الرقية ، أى أن بشارا ليس بحاجة إلى رقية تفتح له باب الخليفة . وربما كانت كلمة « الرقاء » محرفة عن « الرفاء » بالفاء . من : رفأه حاباه ، أو من رفأ بينهم : أصلح ، أو مجاز من رفأ الثوب ورفاه] .

(٥) فى الديوان « أسأت به » والظاهر أنه « أسأت له » [التعدية بالباء معروفة لنا فى قول كثير عزة :

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

كما فى أمالى القالى ج ٢ س ١٠٩ والأغانى ج ٩ س ٣٠ والخزانة ج ٢ س ٣٨٠ وغيرها ، وكذلك فى قول ابن الرومى كما فى زهر الآداب ج ٢ س ٦٥ :

ما للحسان مسيئات بنا ، ولنا ... إلى المسيئات طول الدهر تحنان]

(٦) [يبدو لنا أن « أجرى » هنا ، أى أتى بجرو ، ومنه كلبة مجرية : لها جراء ، أى كلاب صغار . والشاء جمع : شاة] .

نِعْمَ الفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لا نُدَافِعُهُ … عَنِ النَّبِيِّ وإنْ كَانَ ابْنَ كَلَّاءِ (١)

مَازَالَ فى سُرَّةِ البَطْحَاءِ مَنْبِتُهُ … مُقَابَلًا بَيْنَ بَرْدِيٍّ وحَلْفَاءِ (٢)

يَا أَسَدَ الحَىِّ إنْ رَاحُوا لِمَأْدُبَةٍ … وَثَعْلَبَ الحَىِّ إنْ ذَافُوا لأَعْدَاءِ (٣)

لاتَحْسَبَنِّى كَأَرْبِتٍ تَمْسَحُهُ … كَيْمَا يَقُومُ وَيَأْبَى غَيْرَ إغْفَاءِ

قَدْ سَبَّحَ النَّاسُ مِنْ وَسْمِى «أبَا عُمَرٍ» … فَهَلْ رَبَعْتَ عَلَى تَسْبِيحِ قُرَّاءِ (٤)

كَوَيْتُ قَوْمًا بِمِكْوَاتِي فَمَا صَبَرُوا … على العِقَابِ وقَدْ دَبُّوا بِدَهْيَاءِ

وَرُبَّمَا أغْرَقَ الأدْنَى فَقُلْتُ لَهُ … إنْ كَانَ مِنْ نَفَرِى أوْ نَجْلَ آبَائِى

---

(١) الكلاء (فعلاء) أنثى الكل (بفتح الكاف) وهو البعيد فى النسب ، مشتق من كل كلا إذا عيي ، والإعياء يستلزم البعد ، ومنه سميت الكلالة فى الميراث حين لايكون للميت أصول ولا فروع أحياء ، وأراد بها هنا من لايشبه نسبها نسب زوجها ، فهو تعريض بالمهجو بأن اللؤم جاءه من قبل أمه ، كقول حسان فى هجاء أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

وان سنام المجد من آل هاشم … بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أى وجدك للأم عبد [صيغة كلاء ، بوزن فعلاء ، لاوجود لها فيما بين أيدينا من كتب اللغة ، إلا فيما نسب إلى ثعلب فى « الكلاء » بمعنى مرفأ السفن ، إذ يرى أنه فعلا لا : فعال ، لأن الريح تكل فيه . ولعل المراد بكلاء : سوق بالبصرة ، كما فى ياقوت . أنه سوقى وإن كان كريم المنبت] .

(٢) مقابلا (بفتح الباء) : كريم النسب ، وهو اسم مفعول من قولهم « قوبل نسبه » أى كرم ويقال : مقابل مدابر ، بفتح الباء فيهما ، بمعنى كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه ، والبردى نبات قصبي رقيق ينبت على المياه ويكثر فى نيل مصر وهو يدق فيخرج من قصبه مثل القطن كان القبط يتخذون منه ورق الكتابة . والحلفاء نبت تتخذ منه الحبال ، وأراد أن أباه شريف وأمه ذميمة ، فهو كالبردى من جهة الأب وكالحلفاء من جهة الأم .

(٣) هذا من سوق الذم فى صورة المدح ، يقول : إن دعى القوم للمأدبة فأنت شجاعهم ، وإن مشوا للقتال فأنت ثعلبهم ، والثعلب جبان كثير المراوغة ، وقوله « ذافوا » بذال معجمة بمعنى مشوا مشيا بتثبت [فى اللغة : ذاف مشى فى تقارب وتفرج بين رجليه ، ولعلها — كما هى أظهر فى المخطوطة — : زاف أى أسرع فى تمايل] .

(٤) أبو عمر هو حماد عجرد ، وقد كناه بذلك فى قصيدة تأتى فى الورقة ٢١٠ . وربعت معناه حبست ، ومفعوله محذوف فى كلامهم ، أى ربع نفسه أى حبسها ، بمعنى استبق راحته ، يقال أربع على نفسك بمعنى ارفق ، كما ورد فى حديث الدعاء بالجهر : أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا . والمعنى هنا فهل رحمت لابتهاج الناس وتسبيحهم حتى هجوت أنا أبا عمر فلذلك غضبت له . [الظاهر أن قوله « سبح الناس من وسمى ... » معناه : تعجب الناس من هجائى المشبه بالكى ، وقالوا : سبحان منه . فالتعبير بـ « سبحان الله » و « سبحان من هذا » مما استعمله العرب فى التعجب ، والظاهر كذلك أن قوله « ربعت على تسبيح ... » هو من قولهم « ربعت على فعل فلان » إذا لم تتجاوزه واقتديت به فيه . ومعنى البيت : لما رأى الناس أنى قد وسمت وكويت أبا عمر بهجائى تعجبوا منه وقالوا : سبحان من هذا الكى ، فهل اقتديت بأيمى بهم فى هذا التعجب ولم تتجاوزه إلى مشاغبتى ؟ ! وفى المخطوطة : قراء ، بفتح القاف ، وقد ضبطها الشارح بالضم] .

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ ... حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ
يَنْزُو اللَّئِيمُ وَلَوْ أَلْقَيْتَ مِبْرَزَهُ ... لَاحَتْ بِوَجْنَاتِهِ آثَارُ كَوَّاءِ
مَازِلْتَ تَطْعُنُ بِالْمَلْعُونِ فِي دُبُرٍ ... حَتَّى اشْتَرَيْتَ حِلَاقًا فِي اسْتِ خَرَّاءِ (١)
هَلَّا مَنَعْتُمْ « بَنِي وَأْدَانَ » أُمَّكُمُ ... مِنَ الْمُوسَّمِ إِذْ يَسْرِي بِقَنْفَاءِ
بِتُّمْ نِيَامًا وَبَاتَ الْعِلْجُ يَنْفُضُهَا ... فِي لَيْلَةٍ مِثْلِ ضَوْءِ الصُّبْحِ قَمْرَاءِ
وَيْلُ امِّهِ نَبَطِيًّا فَصُّ خَاتَمِهَا ... بِفَيْشَةٍ مِثْلِ رَأْسِ الْكَلْبِ جَوْفَاءِ

وقال أيضاً (*) :

مَنَّيْتَنِي بِشْرًا وَبِشْرٌ فَتًى ... لَا يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِإِعْطَاءِ (٢)
عِلْجٌ بِعِلْجٍ مِنْ بَنِي « دَابِقٍ » ... صَاحِبُ تَقْدِيرٍ وَإِبْقَاءِ (٣)
فِي نَفْسِهِ شُغْلٌ وَفِي بَيْتِهِ ... فُضُولُ إِخْوَانٍ وَآبَاءِ (٤)
يَا بِشْرُ مَا بَالُ الَّتِي وَقَفَتْ ... بِالْفَتْحِ تَبْكِي بَيْنَ أَعْدَاءِ
يَا بِشْرُ حَمَّامُ بَنِي يَشْكُرٍ ... حَدَّثَنِي عَنْهَا بِأَشْيَاءِ

وقال أيضاً : (*)

أَجَارَتَنَا مَا بِالْهَوَانِ خَفَاءُ ... وَلَا دُونَ شَخْصِي يَوْمَ رُحْتُ غِطَاءُ (٥)

---

(١) [تطعن : لعل ضبطها بالبناء للمجهول] .

(*) وقال أيضاً (فى هجاء من اسمه بشر من أهل دابق ، من بحر السريع وعروضه وضروبه مكشوف [نرى أن عروضه مطوية مكشوفة وضربه أصلم] .

(٢) منيتنى بشرا : جعلته لى أمنية ، وهو يعنى وعدتنى ما أعطاه ، قال كعب « فلا يغرنك ما منت وماوعدت » وجعل بشراً نفس الأمنية ، والمراد عطاء بشر .

(٣) دابق : بلدة بحلب [والتقدير : التقتير والتضييق فى النفقة] .

(٤) [فى المخطوطة : « وآباء » وقد كتبها الشارح : « وآراء »] .

(*) وقال أيضا : هذه القصيدة قالها فى شىء جرى بينه وبين حماد وكان نزى به فى مجلس عقبة ابن سلم . وقد ذكره فى القصيدة الآتية فى الورقة ١١٩ وفيها غزل وفيها أيضاً تعريض بتقصير عقبة فى حقوق الصداقة ، وهذه القصيدة من بحر الطويل وفى عروضها وضروبها اضطراب بين قبض وحذف مماهو غير معهود ، وتفصيله يطول بنا فعلى الناظر تحريره [يقتضى النظر أن هذه القصيدة من الطويل وعروضها مقبوضة وضربها محذوف ، وذلك المعهود فى الضرب الثالث من هذا البحر] .

(٥) [فى المخطوطة : « رحت » بضم التاء ، وضبطها الشارح بالكسر] .

أَحِنُّ لِمَا أَلْقَى وَإِنْ جِئْتُ زَائِراً دُفِعْتُ كَأَنِّي وَالعَدُوُّ سَوَاءُ
وَمَنَّيْتِنَا جُوداً وَفِيكِ تَثَاقُلٌ وَشَتَّانَ أَهْلُ الجُودِ وَالْبُخَلَاءُ[1]
عَلَى وَجْهِ مَعْرُوفِ الكَرِيمِ بَشَاشَةٌ وَلَيْسَ لِمَعْرُوفِ البَخِيلِ بَهَاءُ
كَأَنَّ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنْ رَاحَتَيْهِمَا عَرُوسٌ عَلَيْهَا الدُّرُّ، وَالنُّفَسَاءُ[2]
وَقَدْ لُمْتُ نَفْسِي فِي الرَّبَابِ فَسَامَحَتْ مِرَارًا وَلَكِنْ فِي الفُؤَادِ عِصَاءُ[3]
تَحَمَّلَ وَالِي «أُمِّ بَكْرٍ» مِنَ اللِّوَى وَفَارَقَ مَنْ يَهْوَى وَبُتَّ رَجَاءُ
فَأَصْبَحْتُ مَخْلُوعاً وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا بِأَيْدِي الأَعَادِي، وَالبَلَاءُ بَلَاءُ
خَفِيتُ لِعَيْنٍ مِنْ «ضَنِينَةَ» مَاعَفَتْ وَمَا كَانَ مِنِّي لِلْحَبِيبِ خَفَاءُ
وَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا يَوْمَ أَقْبَلَتْ تَهَادَى عَلَيْهَا قَرْقَرٌ وَرِدَاءُ[4]
عَشِيَّةَ قَامَتْ بِالوَصِيدِ تَعَرُّضًا وَقَامَ نِسَاءٌ دُونَهَا وَإِمَاءُ[5]
مِنَ البِيضِ مِعْلَاقُ القُلُوبِ كَأَنَّمَا جَرَى بِالرُّقَى فِي عَيْنِهَا لَكَ مَاءُ[6]
إِذَا أَسْفَرَتْ طَابَ النَّعِيمُ بِوَجْهِهَا وَشُبِّهَ لِي أَنَّ المَضِيقَ فَضَاءُ
مَرِيضَةُ مَا بَيْنَ الجَوَانِحِ بِالصِّبَا وَفِيهَا دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَدَاءُ[7]
فَقُلْتُ لِقَلْبٍ جَاثِمٍ فِي ضَمِيرِهِ وَدَائِعُ حُبٍّ مَا لَهُنَّ دَوَاءُ :

---

(١) رواه فى المختار : « ومنيتنا جوداً وأنت بخيلة » والتثاقل المطل فى العطاء فهو بمعنى البخل [ضبط الشارح التاء فى « ومنيتنا » والكاف فى « وفيك » مفتوحتين ، والظاهر — كما يلوح فى المخطوطة — أنهما مكسورتان ، ليناسب ذلك البيتين السابقين ويناسب الرواية الثانية] .

(٢) شبه عطايا الكريم بالعروس فى حسنها وبزها ، وعطايا اللئيم بالنفساء فى شحوبها وتلطخها ، وإن كانت كلتا هما امرأة كما أن كلتا العطيتين عطية .

(٣) [عصاء : مصدر عاصاه ، أى عصاه وخالفه] .

(٤) [القرقر : لباس المرأة ، وقد سبق ذكره فى صفحة ١١٧ من هذه المطبوعة] .

(٥) [الوصيد : فناء الدار] .

(٦) [معلاق القلوب : أى أن القلوب تتعلق بها] .

(٧) روى فى المختار المصراع الأخير « وفيها دواء للعيون وداء » فيكون المراد بدواء العيون حسن المنظر وبالداء ماتجره العين إلى القلب من الحسرة ، فكأن الداء جاء من العيون ، قال النظام :

إن العيون على القلوب إذا جنت كانت بليتها على الأجساد

أو أراد ماتقاسيه العين فى الحب من السهر . وروى فى الزهرة (٣٣) « بالضنى » عوض « بالصبا » .

تَعَزَّ عَنِ الْحَوْرَاءِ إِنَّ عِدَاتِهَا ... وَقَدْ نَزَلَتْ « بِالزَّابِيَيْنِ » لَفَاءُ[(١)]
يَمُوتُ الْهَوَى حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ هَوًى ... وَلَيْسَ لِمَا اسْتَبْقَيْتُ مِنْكِ بَقَاءُ 11
وَكَيْفَ تُرَجَّى أُمُّ بَكْرٍ بَعِيدَةً ... وَقَدْ كُنْتَ تُجْفَى وَالْبُيُوتُ رِئَاءُ ؟[(٢)]
أَبِي شَادِنٌ « بِالزَّابِيَيْنِ » لِقَاءَنَا ... وَأَكْثَرُ حَاجَاتِ الْمُحِبِّ لِقَاءُ
فَأَصْبَحْتُ أَرْضَى أَنْ أُعَالَ بِالْمُنَى ... وَمَا كَانَ لِي لَوْلَا النَّوَالُ جَزَاءُ[(٣)]
فَيَا كَبِدًا فِيهَا مِنَ الشَّوْقِ قَرْحَةٌ ... وَلَيْسَ لَهَا مِمَّا تُحِبُّ شِفَاءُ[(٤)]
خَلَاهُمْ مَنْ لَا يَتْبَعُ اللَّهْوَ وَالصِّبَا ... وَمَا لِهُمُومِ الْعَاشِقِينَ خَلَاءُ
تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَى الرَّبَابَ وَرُبَّمَا ... تَمَنَّى الْفَتَى أَمْرًا وَفِيهِ شَقَاءُ
لَعَمْرُ أَبِيهَا مَا جَزَتْنَا بِنَائِلٍ ... وَمَا كَانَ مِنْهَا بِالْوَفَاءِ وَفَاءُ

---

(١) العدات : جمع عدة ، اللفاء (كسماء ، بقاء) هو القماش على وجه الأرض ، وهو كل مايرى به الأرض من فتات وغيره [وكل خسيس يسير حقير ، أو هو : الشيء القليل ومادون الحق] ، وهو خبر « إن » ، وقوله « وقد نزلت بالزابيين » جملةمعترضة ، والزابيان : اسم نهر بين واسط وبغداد [قال فى القاموس : الزابيان : نهران أسفل الفرات] والمعنى : تسل إن حلولها بالزابيين جعل لقاءها سهلا، فهذا قول زهير « فهن ووادى الرس كاليد للفم » أى فى سهولة الحصول [الذى نراه فى معنى البيت هو أنه يأمر قلبه بالتصبر عن تلك المرأة الحوراء وألا ينظر بعين الرجاء والاهتمام إلى وعدها لأن عداتها صارت قليلة أو حقيرة فهى لاتهتم بها بعد أن نزلت بالزابيين وأصبحت بعيدة آيبة للقاء لايرتجى منها لحبه شفاء . الخ : انظر الأبيات الآتية بعد] .

(٢) « رئاء » بكسر الراء ، أى والبيوت متقابلةمتناظرة ، ويقال حى حلال ونظر أى متجاورون ينظر بعضهم بعضا ، وقد فسر به قوله تعالى : وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ، ينظر بعضهم بعضا ، فى الصحاح : « يقال قوم رئاء ، أى يقابل بعضهم بعضا ، وكذلك : بيوتهم رئاء » .

(٣) [فى معنى البيت غموض ، ولعل عجزه : « وما كان لى إلا النوال جزاء »] .

(٤) نصب « كبدا » على أنه نكرة غير مقصودة ، والمراد كبده ، وهى معروفة ، ولكنه أراد نداءه بصفة التنكير لابصفة القصد ، ومثله كثير فى كلام العرب ، إذ ليس المراد بالنكرة غير المقصودة أنها مجهولة ، بل المراد أن المنادى لايقصد إليها من جهة التعريف ، بل يقصدها من حيث إنها واحدة من جنسها [الظاهر فى قوله « فيا كبدا » — إذا كان منونا — أنه منادى منصوب لأنه نكرة موصوفة بالجملة بعده فهو شبيه بالمضاف ، أما إذا كان غير منون فربما كانت الألف مبدلة من ياء المتكلم ، وأقرب منه أنه متوجع له جاءت فى آخره ألف الندبة مثل قول مجنون ليلى :

فوا كبدا من حب من لايحبنى ... ومن زفرات ما لهن فناء

وقول قيس بن ذريح :

وأهجركم هجر البغيض وحبكم ... على كبدى منه كلوم صوادع
فوا كبدا من من شدة الشوق والأسى ... ووا كبدا إنى إلى الله راجع]

وَخَيْرُ خَلِيلَيْكَ ٱلَّذِى فِى لِقَائِهِ   رَوَاحٌ وَفِيهِ حِينَ شَطَّ غَنَاءُ(١)

وَمَا القُرْبُ إلاَّ لِلْمُقَرَّبِ نَفْسُهُ   وَلَوْ وَلَدَتْهُ جُرْهُمٌ وَصَلَاءُ(٢)

ولا خَيْرَ فِى وُدِّ امْرِئٍ مُتَصَنِّعٍ   بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَالْوِدَادُ صَفَاءُ

سَأُعْتِبُ خُلاَّنِي وأعْذِرُ صَاحِبِي   بِمَا غَلَبَتْهُ النَّفْسُ والغُلَوَاءُ(٣)

وَمَالِىَ لا أعفُو وَإنْ كَانَ سَاءنِي   ونَفْسِى بِمَا تجْنِى يَدَاىَ تُسَاءُ

عِتَابُ الفَتَى فى كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ   وتَقْوِيمُ أضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ

صَبَرْتُ عَلَى الْجُلَّى ولَسْتُ بِصَابِرٍ   عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ عَلَىَّ زَرَاءُ(٤)

وَإنِّي لَأَسْتَبْقِي بِحِلْمِي مَوَدَّتِي   وعِنْدِى لِذِى الدَّاءِ الْمُلِحِّ دَوَاءُ

قَطَعْتُ مِرَاءَ القَوْمِ يَوْمَ مَهَايِلٍ   بِقَوْلِى وَمَا بَعْدَ البَيَانِ مِرَاءُ(٥)

وقَدْ عَلِمَتْ عليَا رَبِيعَةَ أنَّنِي   إذَا السَّيْفُ أكْدَى كَانَ فِىَّ مَضَاءُ(٦)

---

(١) يريد خير نوعى الأصحاب الخليل الذى ترتاح عند لقائه ويحفظ ودك عند مغيبه وهو معنى قوله غناء بفتح الغين وهو كفاية الأمر المهم ، وضده الخليل الذى يمتنك حاضرا وينساك غائبا ، وهذا البيت هو ابتداء التخلص إلى المقصود من القصيدة .

(٢) جرهم من العرب البائدة ، وهم بنو جرهم بن قحطان ، كانت منازلهم بجبل قيقعان بأعلى مكة وكانت لهم قوة وملك بمكة ، وصاهرهم إسماعيل عليه السلام ، ثم غلبتهم خزاعة على مكة ، فخرجت جرهم من الحجاز قاصدة اليمن فى حدود سنة ٥٥٠ قبل الهجرة ، فأصابهم فى طريقهم رعاف وبائى . فانقرضوا بطريق اليمن بموضع يقال له « إضم » بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة . وأما « صلاء » فبفتح الصاد وبالمد ، وهو ترخيم صلاءة لضرورة الشعر ، وأحسن الترخيم ترخيم ذى التاء ، وهم بنو صلاءة بن عمرو ابن خويلفة من بنى الحرث بن نمير من قيس عيلان ، وفى بنى الحرث بن نمير شرف بنى نمير وعددهم ، ومن بطونهم بنو صلاءة وبنو شريح ، ويلقبان بالقلمين (بكسر القاف) . وقد أراد بشار أن القريب هو المقرب نفسه ولو بعد نسبه ، فتمثيله بجرهم فى ذلك ظاهر ، وأما تمثيله بصلاء فلم أدر وجهه [ولعل « صلاء » الوارد فى البيت محرف عن « صداء » بضم الصاد ، وهم حى باليمن] .

(٣) أعتب (بضم الهمزة) : أزيل عتبهم ، أى أعذرهم، قال تعالى : « وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين » وهذا مثل أعذر إليه إذا أزال عذره .

(٤) الجلى فعلى مؤنث الأجل ، وأراد بها الواقعة العظيمة كالمصيبة ونحوها [استعمل بشار كلمة «زراء» فى هذا البيت وفى بيت آخر فى ص ١١٥من هذه المطبوعة . وهذهالكلمة لم تذكر فى كتب اللغة]

(٥) كتب فى الديوان «مهابل» بالموحدة ، وذكر فى البيت ١ من الورقة ١٢٠ [بياء] بعد الألف فهى الصواب ، والمهايل جمع مهيل كمجلس مصب الرمال ، مشتق من هال عليه التراب إذا صبه ، والرمل كذلك ، ومن أسماء الأماكن الأهيل فلعله فيه رمل كثير .

(٦) عليا ربيعة أى أفاضلهم ، كقول زهير : « عظيمين فى عليا معد هديتما » أو سكان السروات منها ، وفى رواية « عليا معد » كما فى المختار ، وكتب فى الديوان « عينا » وهو تحريف .

كَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عَلَيْنَا وَفِينَا … وَأَيَادٍ بِيضٍ عَلَى الأَكْفَاءِ
أَسَدٌ يَنْقَضُّ الرِّجَالَ وَإِنْ شِئْـــتَ فَغَيْثٌ أَجَشُّ ثَرُّ السَّمَاءِ[١]
قَائِمٌ بِاللِّوَاءِ يَدْفَعُ بِالْمَــوْ … تِ رِجَالاً عَنْ حُرْمَةِ الْخُلَفَاءِ
فَعَلَى عُقْبَةَ السَّلَامُ مُقِيماً … وَإِذَا سَارَ تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ

وقال أيضا (*) :

رِيقُ سُعْدَى يَابْنَ الدُّجَيْلِ الشِّفَاءُ … فَاسْقِنِيهِ ، لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءُ[٢]
نَامَ عَنِّي صَحْبِي وَلاَ أَعْرِفُ النَّوْ … مَ ، بِعَيْنِي قَذًى وَبِالْقَلْبِ دَاءُ
وَيَقُولُ الْوُشَاةُ : أَحْبَبْتَ سُعْدَى … صَـــدَقُوا وَالْجَلِيلِ حُبِّي عَيَاءُ
لاَ أَرَانِي أَعِيشُ ، قَدْ ظَعَنَ الْحِبُّ … وَحَفَّتْ بُيُوتِيَ الأَعْـــدَاءُ
ذَهَبَ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ وَأَمْسَى … جَارَ بَيْتِي الْبَغِيضُ ، هٰذَا الْبَلاَءُ
جَاوَرَتْنَا كَالْمَاءِ حِيناً فَلَمَّا … فَارَقَتْ لَمْ يَكُنْ لِحَرَّانَ مَاءُ
فَصِلِ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ إِلَى أَحْوَ … رَ فِيــهِ تَعَرُّضٌ وَالْتِوَاءُ[٣]
وَاسْتَرِحْ بِالْحَبِيبِ فِيمَا تُلاَقِي … كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الْحَبِيبِ عَنَاءُ
وَيَقُولُ الطَّبِيبُ : فِي رَحْمَةِ اللَّـــهِ غَنَاءٌ … وَلَيْسَ عِنْدِي غَنَاءُ[٤] ٦

= بـ « بقرع » بالقاف ، يظن ذلك من قرع المنبر بالعصا التي بيد الخطيب ، وهو خطأ .
[قلنا : لعل « بالفضل » محرفة عن « بالفصل » بالصاد المهملة ، أي بالقول الفصل] .

(١) الثر (بفتح الثاء) : الكثير الماء ، ومنه الثرثار : الكثير الكلام ، والأجش : السحاب الذي فيه صوت الرعد ، يقال : سحاب أجش ورعد أجش ، ووصف به هنا الغيث على حذف السبي ، يعني : أجش سحابه ، فهو من إعجاز الحذف للقرينة ، والسماء هنا بمعنى المطر .

(*) وقال أيضا (في الغزل من بحر الخفيف) .

(٢) الدجيل (كزبير) : القطران ، والظاهر أن « ابن الدجيل » هنا اسم مصنوع .

(٣) أي صل سير الليل بالنهار قاصداً الحبيب .

(٤) يعني أن الطبيب أيس من معالجة دائه ، فوكل الأمر إلى رحمة الله به ، وقال : إن فيها غناء (بفتح الغين) أي ما يكفي المهم ، على حد قول عروة بن حزام :

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا … بما ضمنت منك الضلوع يدان

أَمَمٌ مَا سَلِمْتِ فَقَدُ فَقِيدٍ | أَيُّ نَفْسٍ صَفَا لها ما تَشاء ؟(١)
لَيْسَ يَبْلَى بالصَّبْرِ عَنْهُ وَفِى طو | لِ زَمَانٍ يَأْتِى عَلَيْكِ عَزَاء
نُصُبُ الحَادِثَاتِ غَيْرُ سَلِيم | كُلُّ كَأْسٍ لَهُ بها أقْذَاء

وقال أيضا (*) :

طالَ انْتِظارِى عَهْدَ أَبَّاءِ | وجَاوَرَتْ فى الشُّوسِ مِنْ حَاءِ(٢)
وبِتُّ كالنَّشْوَانِ مِنْ حاجَةٍ | ضاقَتْ بها نَفْسِى وأحْشَائى
أقُولُ لَمَّا ابْتَزَّها خاطِبٌ | مِنْ بَيْنِ أعْمَامٍ وآبَاءِ :
أرُحْتِ فى الرَّائحِ يَوْمَ اللَّوَى ؟ | لا تَبْعَدِى يا بِنْتَ وَرْقَاءِ(٣)
إنْ كُنْتِ حَرْباً لَهُمُ فانْظُرِى | شَطْرِى بِعَيْنٍ غَيْرِ حَوْلاَءِ(٤)
يا حُسْنَها يَوْمَ تَرَاءَتْ لَنَا | مَكْسُورَةَ الطَّرْفِ بِإغْضَاءِ(٥)

---

(١) الأمم (بفتح الهمزة) : اليسير ، أى أن هلاكه وهلاك غيره أمر يسير إذا سلمت حبيبته .

[لعل هذا البيت والبيتين بعده بقية قول الطبيب . والخطاب فى « سلمت » و « عليك » لمذكر ، وهو بشار . ولعل « يبلى » محرفة عن « تبلى » . والمعنى : أن الطبيب يعزيه عن فقد حبيبته ، أى غيبتها عنه ، وضياعها من يده] .

(*) وقال أيضا فى حبيبة له فارقت بلده حين تزوجت ، ولعلها عبدة أو سلمى التى سيجىء ذكرها فى الورقة ١٢٠ . من بحر السريع وعروضه وضربه مطوية مكشوفة [نرى أن عروضه مطوية مكشوفة وأن ضربه أصلم] .

(٢) كتب فى الديوان « اباى » والصواب أنه « أبّاء » بوزن فعال للمبالغة من أبى يأبى ، أى كثير الإباء وأراد به الحبيبة ، فذكر باعتبار الشخص بقرينة قوله « وجاورت » ، والشوس جمع الأشوس وهو الذى إذا نظر ضيق نظره من الغضب أو الكبر . و « حاء » قبيلة من عرب اليمن ، كما تقدم فى البيت ١ فى الورقة ٢ ، وأراد بذلك أنها ممنعة ببعد أرضها وشراسة قومها ، ولعله يريد بهم أهل عمان .

(٣) كتب اللوى بلامين ، ولعله النوى بنون بعد اللام .

(٤) الحرب هو العدو بمعنى المحارب ، تقول العرب : أحرب أنت أم سلم ؟

[ويقول نصيب : وقولا لها يا أم عثمان خلتى | أسلم لنا فى حبنا أنت أم حرب ؟]

وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى : سلام أنت . والشطر (بفتح الشين) : الجهة ، وقوله : « بعين غير حولاء » أى انظرى جهتى بطرف العين نظراً عن قصد لاعن حول .

وهذا البيت والبيتان بعده مكررة فى القصيدة التى أولها « قد لعب الدهر على هامتى » فى الورقة ١١ ، فهذا البيت هو ٢٣ منها .

(٥) هذا البيت مكرر وهو ٢٤ من الورقة ١١ [مع تغيير لبعض الألفاظ] .

كأنما ألبستها روضة من بين صفراء وخضراء (١)

وقال أيضا (*) :

علليني يا عبد أنت الشفاء واتركى مايقول لى الأعداء (٢)
كل حى يقال فيه ، وذو الحلم مريح ، وللسفيه الشقاء
ليس منا من لا يعاب فأغضى رب زار بادٍ عليه الزراء (٣)
أنا من قد علمت لا أنقض العهـد ولا تستخفنى الأهواء
ويجيب نكث الكريم ، وللنفس معاد ، وللحياة انقضاء
فاذكرى حلفتى : أقارف أخرى يوم زكى تلك اليمين البكاء (٤)
يوم لا تخشى يمينى خلابا بيمينى توقر الأحشاء
فتصدت بعد الصدود وقالت : قتلتنى أنفاسك الصعداء ! (٥)

---

(١) هذا البيت مكرر وهو أول الورقة ١٢ . أراد اصفرار وجهها من ألم الفراق [وربما كان بشار يعنى بهذا البيت وصف الحبيبة يوم خرجت لخاطبها فى زينتها الشبيهة بالروضة فى صفرتها وخضرتها]

(*) وقال أيضا (ينسب بعبدة ، والقصيدة من الخفيف) .

(٢) عبدة هذه هى أشهر خليلات بشار وأكثرهن ذكراً فى شعره ولذلك خصها أبو الفرج الأصفهانى بأخبار بشار معها فى ترجمة خاصة فى الجزء السادس من الأغانى زيادة على أخبار بشار التى ذكرت فى الجزء الثالث . وهى عبدة الباهلية من بنى مالك بن وهبان من باهلة ، والظاهر أن اسم أبيها العلاء [لقول بشار : « نماها إلى العلاء العلاء »] ، وتكنى بأم العلاء كما تقدم فى طالع قصيدة عقبة بن سلم ، وكناها بشار مرة بأم عمر ومرة بأم الوليد ، وسماها أيضاً عبيدة وعبادة ، ووصفها بالذلفاء فى ورقة ٥٧ ، ووصفها مرة بابنة المحمود . وهى من أهل البصرة ، وتزوجت برجل سماه بشار « ابن قائد » فى البيت ٩ من الورقة ١٠٨ وخرج بها زوجها إلى عمان وكان بشار قد تعشقها من سماع لطف حديثها ، إذ زارته فى مجلسه مع نسوة وكاشفها فى حبه لها بواسطة غلامه فهشت له ، وكانت دائبة على زيارته ، وفيها قال :

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(٣) [لم تثبت كتب اللغة كلمة « الزراء »] .

(٤) قوله : « أقارف » هو على حذف [لا] النافية ، أى اذكرى حلفتى لاأقارف ، وحذف [لا] النافية مع القسم شائع ، قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح قاعدا » . وأقارف بمعنى أقارب وأواصل .

(٥) الصعداء (بضم الصاد وفتح العين) : التنفس الطويل كالتنهد .

قُلْتُ : نَفْسِي الفِدَا عَلَى عَادَةٍ مِنِّـــي   جَرَى ما جَرَى وقلبي بَرَاء(١)

فاعذِرِيني يا شِــقَّةَ النَّفْسِ إنِّي   تُبْتُ مِمَّا مَضَى وعِنْدِي وَفَاء(٢)

وجَوَارٍ إذَا تَجَلَّيْنَ لَمْ تَدْ   رِ : أشاء فى حَلْيِها أمْ نِسَاء(٣)

يَوْمَ سِلْوَانَ إذْ يُنَا (دِينَني أقْــبِلْ) إلَيْنَا   فعِنْدَنَا ما تَشَاء(٤)

يَتَعَرَّضْنَ لِي بِفَاتِرَةِ الطَّرْ   فِ إذَا أقبلَتْ ثَنَاهَا الحَيَاء

٧ مِنْ بَنَاتِ الملوكِ لاَ   نَمَاهَا إلَى العَلاَءِ العَـــلاَء(٥)

كَمَهَاةِ الــكِنَاسِ تَطْوِ لَنَا النَّفْـــسَ عَلَى وُدَّةٍ   وفِينَـــا جَفَاء(٦)

رُحْنَ يَدْعُونَنِي إلَيْهَا فأَمْسَــكْـــتُ بِسَمْعِي   فَضَاعَ ذَاكَ الدُّعَاء

ضَامَهُنَّ الذِي تَمَنَّيْنَ شُغْـــلِي   بِفَتَاةٍ مِنْهَا التُّــقَى والحَيَاء(٧)

نَعِمَتْ فِي الصِّبَا فَلَمَّا اسْبَكَرَّتْ   خَفَّ قُدَّامُهَا وَجَـــلَّ الوَرَاء(٨)

---

(١) أى جرى ماجرى منى من الصـدود ولـكن قلبى لم يتغير عن الحب . وبراء (بفتح الباء) وصف بالمصدر يستوى فيه الواحد والجمع ، وقرىء : إنا براء منكم . [فى المخطوطة : غادة ، بدل : عادة]

(٢) الشقة (بكسر الشين) : الشقيقة ، يقال : رجل شق وامرأة شقة .

(٣) رواه فى المختار : « أجوار فى حليها أم ظباء » .

(٤) [فى وسط البيت] بياض ، ولعله كان هكذا :

يوم سلوان إذ ينادينى أقــبل إلينا فعندنا ما تشاء

(٥) قوله : « من بنات الملوك » تشبيه بليغ ، وفى البيت بياض ، وقوله : « نماها إلى العلاء العلاء » معناه نسبها إلى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ، فاكتسبت من اسم أبيها علوا إذ هى ابنة العـلاء ، وهذا يدل على أن عبدة ابنة رجل اسمه العلاء .

(٦) [لعل « ودة » بفتح الواو ، اسم مرة من ود] .

(٧) « ضامهن » أى منعهن ماتمنين شـغلى ، فشغلى فاعل ضامهن ، و « ضام » يتعدى لمفعولين [لعل « منها » محرفة عن « فيها »] .

(٨) « نعمت » أى نشأت فى نعمة ورفاهية عيش ، قال عروة بن أذينة من شعراء الحماسة :

بيضاء باكرها النعيم فصاغها   بلباقة فأدقها وأجلها

واسبكرت : استطالت وتمددت قامتها ، أى شبت . وقدام بضم القاف وتشديد الدال ضد وراء ، وهو من أسماء الجهات ، وأراد به هنا مايحل فى الجهة وهو بدنها المتقدم ، وقد استعمل قدام هنا غير منصوب على الظرفية ، لأنه من الظروف المتصرفة ، أى التى تلازم النصب على الظرفية ، وأسماء الجهات من الظروف المتصرفة إلافوق وتحت فتصرفهما نادر ، ووقع رواية فى الحديث : وفوقه عرش الرحمان ، وفى الحديث : يتوقد تحته ناراً . =

وَرَآهَا النِّسَاءُ تَغْـلُو فَسَبَّحْـنَ غَلَاءً لَمَّا اسْتَبَانَ الْغَلَاءُ !(١)
هِىَ كَالشَّمْسِ فِى الْجَلَاءِ وَكَالْبَدْ رِ إِذَا قُنِّعَتْ عَلَيْهَا الرِّدَاءُ(٢)
أُنْسِيَتْ قَرْقَرَ الْعَفَافِ وَفِى الْعَيْـنِ دَوَاءٌ لِلنَّـاظِرِينَ وَدَاءُ(٣)
فَخْمَةٌ فَعْمَةٌ بَرُودُ الثَّنَايَا صَعْلَةُ الْجِيدِ غَادَةٌ غَيْدَاءُ(٤)

= واعلم أن الظروف المتصرفة من أسماء الأزمنة والأمكنة ثلاثة أقسام : الأول كثير التصرف كيوم وشهر ويمين وشمال وذات اليمين وذات الشمال . والثانى متوسط التصرف وهو أسماء الجهات عدا الأربعة المذكورة آنفاً وعدا فوق وتحت . الثالث نادر التصرف وهو [فوق وتحت من] أسماء الجهات ومثل الآن وحين ودون [لعل « حين » فى كلام الشارح محرفة عن « حيث »] .

ومعنى قوله : « خف قدامها وجل الوراء » أنها مجدولة الكشح أى غير سمينة البطن وأنها وثيرة العجز ، وذلك من محامد خلقة المرأة عندهم ، قال كعب بن زهير : « هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة » .

(١) تغلو أى تشب شبابا سريعاً فى أول الشباب والمصدر الغلو بضمتين واسم المصدر الغلاء بفتح الغين وبالمد والغلواء بضم فسكون أو ففتح وبالمد، يقال : غلواء الشباب أوله وسرعته وغلواء الغصن سرعة امتداده. وقوله : فسبحن غلاء أى تسبيحاً كثيراً متجاوز الحد لما ظهر لهن سرعة شباب المرأة ، والتسبيح للتعجب من جمالها .

(٢) ذكر وجه شبهها بالشمس لئلا يتوهم السامع أنها مثل الشمس فى كل الصفات ، فإن من صفات [الشمس] ألا تستطيع العين التملى من النظر إليها ، ولذا احتاج إلى تشبيهها ثانياً بالبدر فى الحسن ، وقيد ذلك بوقت تقنعها ، أى وضع القناع على رأسها ، لأن القناع أسود فى عرفهم ، فكان وجهها فيه كالبدر فى سواد الأفق ، والتقنع : لف الرأس فى القناع ، وقد ورد فى صفة عمامة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن : مقنعى رءوسهم ، وأسند قنعت إلى المجهول ليدل على أنها مخدومة لها وصائف يلبسنها ثيابها .

(٣) القرقر بفتح القافين وراءين ، ويقال « القرقل » بلام فى آخره هو ثوب تلبسه النساء مثل القميص لا كمين له ، قيل والصحيح فيه قرقل بلام فى آخره وأما الراء فى آخره فخطأ ، وسيأتى له فى البيت ١٨ من الورقة ١٠ ، وأضافه إلى العفاف لأنه يلبس للستر ويخلع فى التجرد ، ووقع فى النسخة « أنسيت قرقر العفاف » بهمزة ثم نون ثم سين من النسيان ، وهو لا يستقيم له معنى ، والصواب « ألبست » بهمزة ولام وباء وسين من الالباس ، لأنه ذكر قبل أنها شبت واكتملت ، ثم ذكر الآن أنها ألبست لباس الشواب المستحيات العفيفات ، فإنهم إذا شبت البنت ستروها ، ولأنه بصدد وصف لبستها ، وسيقول : أزرت دعصة . . . الخ ، وهذا موجود فى شعر العرب ، قال الأعشى :

ورادعة بالطيب صفراء عندنا لجس الندامى فى يد الدرع مفتق

وورد فى خبر قصى بن كلاب : أنه لا تدرع فتاة إلا فى بيته ، وقوله : وفى العين دواء . . . الخ أى وعينها لم يستطيعوا سترها [من الناظرين فوقع منظرها منهم موقع الداء والدواء] .

(٤) الفخمة : الضخمة ، والفعمة : الممتلئة لحما ، والفعل فخم وفعم بضم العين فيهما [وبرود : باردة ، وصيغة « فعول » يستوى فيها المذكر والمؤنث] وصعلة الجيد : دقيقة العنق ، والغادة : المرأة المتثنية لينا ، والغيداء : فعلاء من غيدت (كفرحت) غيدا إذا أمالت عنقها فى المشى تدللا واسترخاء .

أَزَّرَتْ دِعْصَةً وتَمَّتْ عَسِيبًا ... مِثْلَ أَيْمِ الغَضَا دَعَاهُ الأَبَاء(١)
وثَقَالُ الأَوْصَالِ سَرْبَلَهَا الحُسْـــنُ بَيَاضًا ، والرَّوْقَةُ البَيْضَاء(٢)
زَانَهَا مُسْــفِرٌ وثَغْرٌ نَقِيٌّ ... مِثْلُ دُرِّ النِّظَامِ فِيهِ اسْتِوَاء
وَقَوَامٌ يَعْلُو القَوَامَ ونَحْرٌ ... طَابَ رُمَّانُهُ عَلَيْـــهِ الأَيَاء(٣)
وَبَنَانٌ يَاوَيْحَهُ مِنْ بَنَـــانٍ ... كَنَبَاتٍ (سَقَاهُ) جَمٌّ رَوَاء(٤)

---

(١) الدعصة (بكسر الدال وسكون العين) : القطعة المستديرة من الرمل ، وهو منصوب على الحال على معنى التشبيه البليغ ، كقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا

أى ألبست الإزر كدعصة ، أراد تشبيه ماتأزرت عليه ، والعسيب : جريدة من النخل [مستقيمة دقيقة يكشط خوصها] ونصبها على الحال للتشبيه البليغ أيضاً ، أى تمت قامتها كالعسيب فى استقامة ودقة ، وكلا الوصفين محمود فى النساء عندهم ، قال عمر بن أبى ربيعة :

أسيلات أبدان دقاق خصورها ... وثيرات ماالتفت عليه المآزر

والأيم (بفتح الهمزة وسكون المثناة) : ذكر الحية الأبيض اللطيف ، وقديما شبهوا بشرة المرأة بلون الأيم . قال العجاج : « وبطن أيم وقواما عسلجا » . والأباء : القصب ، جمع أباءة (كعباءة) : القصبة ، والمعنى أنها تمشى فى تثن وسرعة كالحية البيضاء أرادت أن تدخل أجمة القصب ، وجعل رؤية الحية لأجمة القصب ومحبتها الدخول فيه مشبهة بكون القصب يدعوها لأن تدخله كقول المتنبى [فى الإبل] :

إذا ماالستحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت فى إناء من الورد

فجعل شهوتها الماء كأنه يعرض نفسه عليها وهى تستحي أن ترده مبالغة فى حسن صفات المشتهاة [قال شارحوا ديوان المتنبي : « إنه يصف كثرة الأمطار وأنه أين يذهب يرى الماء فى الغدران »] .

(٢) ثقال بفتح أوله من صيغ اسم الفاعل المشتق من فعل بضم العين عند ابن مالك وهو من الأفعال الدالة على الثبوت ولذلك يعد الوصف بها صفة مشبهة عند كثير من الصرفيين والنحاة ، فمن ذلك وزن فعال مثل : جبان ، وحصان للمرأة الحصينة ، ورزان كذلك للمرأة [ذات الرزانة] ، وثقال كما هنا [للمرأة ذات الكفل العظيم ولذات الرزانة ، ولعل المراد بـ « ثقال الأوصال » أنها ممتلئة الأعضاء ، كما يقال : فلان فعم الأوصال] ، والأوصال : المفاصل ، والروقة بفتح الراء الجمال الرائق ، [ولعل « الروقة » هنا بضم الراء بمعنى الجبلة الرائقة] .

(٣) الأياء (كسحاب) : شعاع الشمس ، ويقال : إياء بكسر الهمزة والمد وبهاء عوض المد ، قال طرفة :

سقته أياة الشمس إلا لثاته ... أسف ولم تكدم عليه بإثمد

[والمراد فى قوله : « وقوام يعلو القوام » بالقوام الأول : الاعتدال ، وبالقوام الثانى : القامة] .

« ياويحه » النداء للتعجب ، وكلمة ويح ونحوها من كلمات الدعاء بالشر تكون فى مثل هذا المقام للتعجب ، مثل : ويلك وتربت يمينك وثكلتك أمك . « وحم » كتب بالحاء المهملة ، والصواب أنه بالجيم ، أى كثير ، ورواء (بفتح الراء) : الذى يروى لكثرته ، ووقع فى الديوان موضع لكلمة بياضا ، ولعله « سقاه » . [قلنا : « حم » بضم الحاء كما فى الديوان يمكن أن تكون صحيحة ، بمعنى سود ، أى سحب حم ، كما يقال : سحب سحم] .

وَلَهَا وَارِدُ الغَدَائِرِ كَالْكَرْ م سَوَادًا قَدْ حَانَ مِنْهُ انتهاءُ(١)
وحَدِيثٌ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ زَهَتْهُ الصَّفْراءُ والحَمْرَاءُ(٢)
لمْ يُعَلَّلْ بها سِوَايَ ولم تَبْـ ـدُ لِنَارِ الصَّلَاءُ(٣)
وإذَا أقْبَلَتْ تَهَادَى الهُوَيْنَى اشرَأَبَّتْ ثُمَّ اسْتَنَارَ الفضَاءُ
لم تَنَلْهَا يَدِى بحَوْلِى ، ولَـكِنْ قُضِيَتْ لى ، وهَلْ يُرَدُّ القَضَاءُ ؟(٤)
كَانَ وُدِّى لهَا خَبِيًّا فأسْرَعْـ ـتُ إلَيْهَا والأمْرُ فيهِ الْتِوَاءُ
وَسَأَلْتُ النِّسَاءَ : أبْصَرْنَ ما أبْـ ـصَرْتُ مِنْ حُسْنِهَا ؟ فقَالَ النِّسَاءُ :(٥)
دُونَ وَجْهِ البَغِيضِ وَحْشَةُ هَوْلٍ وعَلَى وَجْهِ مَنْ تُحِبُّ البَهَاءُ

وقال أيضا يهجو الباهلى (*) :

يَفْخَرُ البَاهِلِىُّ أنْ جَعَلَ اللَّـ ـهُ لَهُ وَحْدَهُ حِرًا مِنْ وَرَاءِ

---

(١) الوارد من [الشعر و] الشجر : الطويل المسترسل ، وتشبيه الشعر بالنبت والشجر قديم من عهد امرىء القيس فى قوله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقوله : « كالكرم سوادا » شبهه بالعنب فدل على أن عنبهم كان الأسود .

(٢) زهته : حسنته وزينته الأنوار الصفراء والحمراء ، والصفراء : النرجس ، والحمراء : الشقائق.

(٣) فى عجز هذا البيت بالمخطوطة بياض .

(٤) يريد أنه أحبها اضطرارا دون اختيار منه ، كقول النابغة :

فريع قلبى وكانت نظرة عرضت يوما وتوفيق أقدار لأقدار

(٥) يعنى أن النساء حسدنها فأبين أن يقررن بحسنها ، وهذا مأخوذ من عمر بن أبى ربيعة :

أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها : حسن فى كل عين من تود !
حسدا حملنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

(*) وقال يهجو الباهلى ، (من بحر الخفيف من الضرب الأول والعروض الأولى) . والباهلى هو أبو هشام عمرو بن عبدالرحمن بن الحلق الباهلى الظالمى ، كذا فى [معجم الشعراء للمرزبانى] ص ٢١٦ ، وذكر أبو الفرج فى الأغانى أنه بصرى ، قال [المرزبانى] : هو شاعر مكثر ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشيد . وذكر أنه يسكن بغداد ، وأنه هاجى بشار بن برد فانتصف منه ، وأنه فيه يقول :

بذلة والديك كسبت عزا وباللؤم اجترأت على الجواب

ويصفه بابن خليق ، ويظهر أنه كان أسود اللون وأمه أمة ، كما قال بشار ، فوصفه بالزنجى فى البيت ١٦ من الورقة ٩٠ وبزنجى خالد فى البيت ٢٤ من الورقة ٢٠٦ وكان يلقبه بالقزر ، وكان معلما ، أى معلم صبيان له كتاب . وقد قال فيه بشار فى البيت ١٧ من الورقة ٩١ : « وما كان فى كتابه بكسوب » ، ولقبه =

٨ وَلقَدْ قُلْتُ يَوْمَ زَافَ لِمَسْعُو دٍ وأَلْقَى عَنْهُ قِنَاعَ الْحَيَاءِ :(١)
خَبَّرَتْنِي الْقَنْفَاء عَنْكَ بِشَيْء فَاتَّقِ اللهَ فِي أُسْتِكَ الْبَخْرَاء
لا تَدَعْ زِنْيَةً وَدَعْ زُبَّ يَحْيَى واسْأَلْ أُخْتَيْكَ عَنْ لَذِيذِ الزِّنَاء

وقال فيه أيضاً (*) :

أَفَرْخَ الزِّنْجِ طَالَ بِكَ الْبَلَاءُ وسَاءَ بِكَ الْمُقَدَّمُ والْوَرَاءُ
تَنِيكُ وَتُسْتَنَاكُ ، وَمَا لِهَذَا وهَذَا إِذْ جَمَعْتَهُمَا دَوَاءُ
بَكَيْتَ خِلَافَ كِنْدِيرٍ عَلَيْهِ وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْحَرَبِ الْبُكَاءُ(٢)
فَحَدِّثْنِي فَقَدْ نُقِّصْتَ عُمْراً وَكِنْدِيرًا أَقَلَّ فَتًى تَشَاءُ(٣)
كَفَى شُغْلاً تَتَبُّعُ كُلِّ أَيْرٍ أَصَابَكَ فِي أُسْتِكَ الدَّاءُ الْعَيَاءُ
أَمَا فِي كُرْبُجٍ وَنَوَى لَقَاطٍ وأَبْعَارٍ تُجَمِّعُهَا عَزَاءُ(٤)
تُشَاغِلُ آكِلَ التَّمْرِ انْتِجَاعًا وتُكْدِي حِينَ يَسْمَعُكَ الرِّعَاءُ(٥)

= فى بعض شعره بأبى كشكش وبفرخ الزنج . وعاش الباهلى بعد بشار ، وله شعر فى موت بشار وفى موت حماد عجرد ، ذكره أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمة بشار وفى ترجمة حماد عجرد ، ولم يذكر فى الأغانى اسمه ولا اسم أبيه .

(١) [زاف : مشى مسترخى الأعضاء] .

(*) وقال فيه أيضاً ، أى فى هجاء الباهلى ، وهى من بحر الوافر .

(٢) « كندير » ضبطه فى الديوان بكسر الكاف ، والظاهر أنه علم مشتق من « الكندر » بضم الكاف والدال ، وهو الحمار الغليظ ، وقد نبز به الباهلى مرات ، وقد مات كندير كما أشار إليه بشار فى البيت ٥ من الورقة ٩٢ وسيذكره فى البيت ٢٠ من الورقة ٢٦١ .

والحرب بفتح الحاء وفتح الراء جمع حربة [المذكور فى كتب اللغة أن الحرب (بفتح الراء) طلع النخل ، مفرده « حربة » (بزيادة التاء) . ولعل المراد هنا من « الحرب » مصدر : حربه ، أى سلبه ماهو عزيز عليه] و « خلاف » هنا بمعنى « بعد » كقوله تعالى : فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله . وأراد بشار بعد موت كندير .

(٣) [يجوز أن تكون الهمزة فى « أقل » للاستفهام] .

(٤) ضبط فى الديوان « كربج » بضم الكاف ، وفى اللغة : الكربجة ضرب من العدو ، ولم يذكروا فيها وزن فعلل [وربما كان محرفا عن الكربج (بضم الكاف وسكون الراء وفتح الباء بعدها جيم) قال اللغويون : إنه الحانوت أو متاع حانوت البقال ، وذكر ياقوت أنه موضع قريب من الأهواز من جهة البصرة] . « واللقاط » بفتح اللام السنبل الذى تخطئه مناجل الحصاد . والمعنى أنه من فقراء أهل البادية .

(٥) كتب فى الديوان يشاغل بتحتية ، والصواب أنه بفوقية .

وعِندى مِنْ أبيكَ الوَغدِ عِلْمٌ ... ومِنْ أمٍّ بِها جَمَحَ الفَتاهْ
أبُوكَ إذا غدَا خِنزيرُ وَحْشٍ ... وأمُّكَ كَلْبَةٌ فِيها بَذاهْ
فَمَا يأتيكَ مِنْ هٰذا وهٰذا ... إذا اجْتَمَعا وضَمَّهُما الفضاء
ألاَ إن اللَّئيمَ أبَا قَدِيمًا ... وَأمَّاتٍ إذا ذُكِرَ النِّسَاء[1]
نَتِيجُ بَيْنَ خِنزِيرٍ وكَلْبٍ ... يَرَى أنَّ الكُمَّارَ لَهُ شِفَاء[2]
أفَرْخَ الزِّنْجِ كيفَ نَطَقْتَ بِاسْمِى ... وَأنْتَ مُخَنَّثٌ فِيكَ التِوَاء
رَضِيتَ بِأنْ تُنَاكَ أبَا بَنَاتٍ ... وَلَيْسَ لِمَنْ يُنَاكُ أبًا حَيَاء
وقَدْ قَامَتْ عَلَى أمٍّ وأخْتٍ ... شُهُودٌ حِينَ لَقَّاهَا الزِّنَاء
إذا نِيكَتْ خُشَيْشَةُ صَاحَ دِيكٌ ... وَصَوَّتَ فى اسْتِ أمِّكَ بَبَّغَاء
وَدَعْ شَتْمَ الأكارِمِ، فيهِ لَهْوٌ ... وَلٰكِنْ غِبُّهُ أبَهٌ ودَاء[3]
لأمِّكَ مَصْرَعٌ فى كُلِّ حَىٍّ ... وَخُشَّةُ هَمُّهَا فِيكَ الكِرَاء[4]
وَقَدْ تَجِرَتْ بِأخْتِكُمُ «غَنِىٌّ» ... فَمَا خَسِرَ التِّجَارُ وَلاَ أسَاءُوا
أصَابُوا صِهْرَ زِنْجِىٍّ دَعِىٍّ ... بِبَرْصَاءِ العِجَانِ لَهَا ضَنَاء[5]
فَمَا اغْتَبَطَتْ فَتَاةُ بَنِى «غَنِىٍّ» ... ولاَ الزِّنْجِىُّ، إنَّهُمَا سَوَاء

---

(١) قوله «أبا» تمييز للئيم، وكذلك قوله «وأمات»، وقوله «قديما» أى من قديم الزمان، وجمع «أما» على «أمات» وهو قليل، والمشهور فى جمعه: أمهات بناء على أن أصل أم أمهة، وقيل: إن «أمات» لجمع الأم من الحيوان.

(٢) [الكمار كأنه جمع كمرة، ولم تذكر كتب اللغة التى بين أيدينا هذا الجمع، ويمكن أن تكون الكلمة محرفة عن «الكمر» بضم الكاف والميم وتشديد الراء].

(٣) [الأبه: التهمة. وفى المخطوطة ضبطت الباء مفتوحة، ولعلها ساكنة].

(٤) [حشة كتبت فى المخطوطة بالخاء المعجمة، وقد مرت فى البيت الأسبق «حشيشة» بالحاء المهملة].

(٥) [الضناء، بفتح الضاد: كثرة الولد، وربما كان الضناء بكسر الضاد: مصدر ضانى الأمر: قاساه وعاناه].

٩ وقال أيضاً يهجو يحيى بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس (*) :

لَاتَبْغِ شَرَّ أمرِئٍ شَرًّا مِنَ الدَّاءِ ... وَاقْدَحْ بِحِلْمٍ وَلَا تَقْدَحْ بِشَحْنَاءِ (١)
مَالِي وأَنْتَ ضَعِيفٌ غَيْرُ مُرْتَقِبٍ ... أُبْقِي عَلَيْكَ وتَفْرِي غَيْرَ إِبْقَاءِ (٢)
مَهْلاً فَإِنَّ حِيَاضَ الْحَرْبِ مُتْرَعَةٌ ... مِنَ الذُّعَافِ مِرَارٌ تَحْتَ حَلْوَاءِ (٣)
أَحِينَ طُلْتَ عَلَى مَنْ قَالَ قَافِيَةً ... وطَالَ شِعْرِي بِحَيٍّ بَعْدَ أَحْيَاءِ (٤)
أَلْزَمْتَ عَيْنَكَ مِنْ بَغْضَائِنَا حَوَلاً ... لَوْ قَدْ وَسَمْتُكَ عَادَتْ غَيْرَ حَوْلَاءِ (٥)
أُطْلُبْ رِضَايَ وَلَا تَطْلُبْ مُشَاغَبَتِي ... لَايَحْمِلُ الضَّرِعُ الْمُقْوَرُّ أَعْبَائِي (٦)

(*) وقال يهجو يحيى بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس (من بحر البسيط وعروضه مخبونة وضربه مقطوع : مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن . . . فعلن) ويحيى بن صالح هذا لم أقف عليه ، ولكن أباه صالح بن على كان أمير مصر والشأم فى خلافة أبى جعفر المنصور وأمير الحج فى سنة ١٤١ ، قال ابن حزم : وكانت فى أولاد صالح ثروة ورياسة [وولاية فى] منبج وأعمال حمص وقنسرين ، وعقبه كثير فى تلك الجهات . والظاهر أن سبب هذه القصيدة أن يحيى هذا كان قد انتصر لحماد عجرد فجعل بشار ذلك لصلة بين حماد وأم يحيى .

(١) يقول : إنك تلدح فى ، فأنت بفعلك هذا تطلب شر رجل هو أشد شرا من الداء ، واقدح فى بحلم ولا تقدح ببغض فيحملك البغض على أن تتجاوز فى الحد فى القدح ، فقوله « شر » الأول اسم جامد وهو ضد الخير ، و « شر » الثانى أفعل تفضيل نائب عن أشر ، وقد ثبت فى النسخة منصوبا على الحال وإن كان صاحبها نكرة ، لأنه لما كان نكرة معروفة نزل منزلة المعرفة ، والأحسن أن يضبط بالجر .

(٢) قوله « وأنت ضعيف غير مرتقب » جملتان معترضتان [والظاهر أنه جملة معترضة] بين « مالى » و « أبق عليك » أى مالى لاأتعرض لك بالهجاء مع أنك ضعيف غير مرتقب ، أى غير مشرف ولا عالى الحظ ، وقوله « وتفرى » أى تكذب ، فرا يفرى أى كذب ، وقوله « غير إبقاء » أى من دون أن تبق من شرك وأذاك شيئاً ، ورواه فى المختار « وتأتى غير إبقاء » أى تفعل مالا إبقاء فيه [لعل « تفرى » هنا ، بمعنى : تقطع] .

(٣) الذعاف (بضم الذال) : السم ، وأراد بالحرب حرب المهاجاة ، [ومرار جمع مرة — من المرارة — كما فى مستدرك التاج] .

(٤) [فى المخطوطة : طلعت بفتح التاء ، وضبطها الشارح بالضم] .

(٥) يريد أنك تنظر إلينا بطرف عينك كنظر الأحول ، ولو كنت هجوتك لكنت كالأحول يوسم بالشىء المحمى بالنار فيذهب حوله ، فجعل الأذى الحاصل من الهجاء كالوسم بالميسم ، وجعل حصول الارتداع به عن الشر كزوال الحول بالوسم بالنار . [ورواية المختار : « من بغض لنا »] .

(٦) المشاغبة : تداول الشر وتهييجه ، والضرع ككتف : الضعيف ، والمقور بمعنى المقور ، وهو المطلى بالقار ، وهو القطران أو مايشبهه من الزفت لمرضه ، ويكون ضعيفاً لايستطيع العراك ، وقد أتى بصيغة مفعل كمخضر ومصفر وهو اسم فاعل من افعل ، فكأنه بنى له وزن أقور بمعنى صار مطليا بالقار ، فانظر فى صحة سماع هذا من العرب ، والمعروف : المقير ، كما فى حديث الأنبذة . [الرأى عندنا : أن =

أنا المُرَعَّثُ لاَأَخْــــفَى عَلَى أَحَدٍ ... ذَرَّتْ بِىَ الشَّمْسُ لِلدَّانِي وَلِلنَّائِى (١)

يَغْدُو الْخَلِيفَةُ مِثْلِي فى مَحاسِــنِهِ ... وَلَسْتَ مِثْلِي فَنَمْ يامَاضِغَ الْمَاءِ (٢)

إِنِّى إِذَا شَــغَلَتْ قَوْمًا فِجَاجُهُمُ ... رَحْبُ الْمَسَالِكِ نَهَّاضٌ بِبَزْلَاءِ (٣)

يَثْوِى الْوُفُودُ وَأُدْعَى قَبْلَ يَوْمِهِمُ ... إِلَى الْحِبَــاءِ وَلَمْ أَخْضَرْ بِرَقَّاءِ (٤)

لَوْ كَانَ «يَحْيَى» تَمِيمِيًّا أَسَأْتُ بِهِ ... لٰكِنَّــــهُ قُرَشِيٌّ فَرْخُ بَطْحَاءِ (٥)

«يَحْيَى» فَتًى هَاشِمِىٌّ عَــزَّ جَانِبُهُ ... فَلاَ يُلاَمُ وَإِنْ أَجْــرَى مَعَ الشَّاءِ (٦)

= «المقور» هو المنحنى الهزيل المتغير ، وقد ذكر اللغويون ذلك فى كتبهم ، وبينوا الفعل «اقور» (بتشديد الراء) والمصدر «اقورارا» . يقول بشار : لايستطيع الضعيف الذى تبالغ فيه الضعف بالانحناء والهزال أن يحمل أعبائى] والأعباء جمع عبء ، وهو الثقل .

(١) المرعث بالعين المهملة . تقدم وجه تلقيب بشار بالمرعث فى المقدمة .

(٢) [فى المخطوطة : فنم ، وقد كتبها الشارح : فقم] الظاهر أنه أراد بماضغ الماء الكناية عن الحمق وسوء وضع الأشياء موضعها ، [وقريب من ذلك قول العرب فى أمثالهم : أحمق من لاعق الماء] .

(٣) [قد استشهد بهذا البيت الزمخشرى فى أساس البلاغة ، قال : «وهو نهاض ببزلاء ، أى بخطة عظيمة ، قال :

إنى إذا شغلت قوماً فروجهم ... رحب المسالك نهاض ببزلاء »

وكذلك استشهد الجوهرى فى الصحاح بهذا البيت ، قال : وفلان نهاض ببزلاء ، إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام ، قال الشاعر : إنى إذا شغلت قوما فروجهم . . . إلخ ، ومثله فى اللسان والتاج ، وجاء فى أمالى القالى (ج ١ س ٥٢) نقلا عن الأصمعى قول الأعرابى يصف نفسه : «حمال أعباء ، نهاض ببزلاء» ثم شرح أبو على البزلاء فقال : «والبزلاء : الرأى الجيد الذى يبزل عن الصواب ، أى الذى يشق عنه»]

(٤) أى يقيم الوفود ينتظرون العطاء ويعجل عطائى ، يريد لما لهم من القبول عند الخلفاء ، و «الرقاء» أراد به هنا الشفيع والمتوسل به [ولعل ذلك مبنى على أن «الرقاء» النافث فى الرقية ، أى أن بشارا ليس بحاجة إلى رقية تفتح له باب الخليفة . وربما كانت كلمة «الرقاء» محرفة عن «الرفاء» بالفاء . من : رفاه حاباه ، أو من رفأ بينهم : أصلح ، أو مجاز من رفأ الثوب ورفاه] .

(٥) فى الديوان «أسأت به» والظاهر أنه «أسأت له» [التعدية بالباء معروفة لنا فى قول كثير عزة :

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

كما فى أمالى القالى ج ٢ س ١٠٩ والأغانى ج ٩ س ٣٠ والخزانة ج ٢ س ٣٨٠ وغيرها ، وكذلك فى قول ابن الرومى كما فى زهر الآداب ج ٢ س ٦٥ :

ما للحسان مسيئات بنا ، ولنا ... إلى المسيئات طول الدهر تحنات]

(٦) [يبدو لنا أن «أجرى» هنا ، أى أتى بجرو ، ومنه كلبة مجرية : لها جراء ، أى كلاب صغار . والشاء جمع : شاة] .

نِعْمَ الفَـــتَى مِنْ قُرَيْشٍ لا نُدَافِعُهُ ... عَنِ النَّـــبِيِّ وإِنْ كَانَ ابْنَ كَلاَّءِ (١)

مَازَالَ فى سُرَّةِ البَطْحَـــاءِ مَنْبِتُهُ ... مُقَابَلاً بَيْنَ بَرْدِيٍّ وحَـــلْفَاءِ (٢)

يَاأَسَـــدَ الحَىِّ إنْ رَاحُوا لِمَأْدُبَةٍ ... وَثَعْلَبَ الحَىِّ إنْ ذَافُوا لأَعْـداءِ (٣)

لاَتَحْسَبَنِّى كَأَبْرِبَتٍ تَمْسَــحُهُ ... كَيْمَا يَقُومَ وَيَأْبَى غَـــيْرَ إغْفَاءِ

قَدْ سَبَّحَ النَّاسُ مِنْ وَسْمِى «أبَا عُمَرٍ» ... فَهَلْ رَبَعْتَ عَلَى تَسْــبِيحِ قُرَّاءِ (٤)

كَوَيْتُ قَوْمًا بِمِكْوَاتِي فَمَاصَبَرُوا ... على العِـــقَابِ وقَدْ دَبُّوا بِدَهْيَاءِ

وَرُبَّمَا أغْـــرَقَ الأَدْنَى فَقُلْتُ لَهُ ... إنْ كَانَ مِنْ نَفَرِى أوْ نَجْلَ آبَائِى

---

(١) الـكلاء (فعلاء) أنثى الـكل (بفتح الـكاف) وهو البعيد فى النسب ، مشتق من كل كلا إذا عيى ، والإعياء يستلزم البعد ، ومنه سميت الـكلالة فى الميراث حين لايكون للميت أصول ولا فروع أحياء ، وأراد بها هنا من لايشبه نسبها نسب زوجها ، فهو تعريض بالمهجو بأن اللؤم جاءه من قبل أمه ، كقول حسان فى هجاء أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

وان سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أى وجدك للأم عبد [صيغة كلاء ، بوزن فعلاء ، لاوجود لها فيا بين أيدينا من كتب اللغة ، إلا فيا نسب الى ثعلب فى « الـكلاء » بمعنى مرفأ السفن ، إذ يرى أنه فعلا لا : فعال ، لأن الريح تـكل فيـه . ولعل المراد بكلاء : سوق بالبصرة ، كما فى ياقوت . أنه سوق وان كان كريم المنبت] .

(٢) مقابلا (بفتح الباء) : كريم النسب ، وهو اسم مفعول من قولهم « قوبل نسبه » أى كرم ويقال : مقابل مدابر ، بفتح الباء فيهما ، بمعنى كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه ، والبردى نبات قصبى رقيق ينبت على المياه ويكثر فى نيل مصر وهو يدق فيخرج من قصبه مثل القطن كان القبط يتخذون منه ورق الـكتابة . والحلفاء نبت تتخذ منه الحبال ، وأراد أن أباه شريف وأمه ذميمة ، فهو كالبردى من جهة الأب وكالحلفاء من جهة الأم .

(٣) هذا من سوق الذم فى صورة المدح ، يقول : إن دعى القوم لمأدبة فأنت شجاعهم ، وإن مشوا للقتال فأنت ثعلبهم ، والثعلب جبان كثير المراوغة ، وقوله « ذافوا » بذال معجمة بمعنى مشوا مشيا بتثبت [فى اللغة : ذاف مشى فى تقارب وتفريج بين رجليه ، ولعلها — كما هى أظهر فى المخطوطة — : زاف أى أسرع فى تمايل] .

(٤) أبو عمر هو حماد عجرد ، وقد كناه بذلك فى قصيدة تأتى فى الورقة ٢١٠ . وربعت معناه حبست ، ومفعوله محذوف فى كلامهم ، أى ربع نفسه أى حبسها ، بمعنى استبقى راحته ، يقال أربع على نفسك بمعنى ارفق ، كما ورد فى حديث الدعاء بالجهر : أربعوا على أنفسكم فإنـكم لاتدعون أصم ولا غائباً . والمعنى هنا فهل رحمت لابتهاج الناس وتسبيحهم حتى هجوت أنا أبا عمر فلذلك غضبت له . [الظاهر أن قوله « سبح الناس من وسمى ... » معناه : تعجب الناس من هجائى المشبه بالـكى ، وقالوا : سبحان منه . فالتعبير بـ « سبحان الله » و « سبحان من هذا » مما استعمله العرب فى التعجب ، والظاهر كذلك أن قوله « ربعت على تسبيح ... » هو من قولهم « ربعت على فعل فلان » إذا لم تتجاوزه واقتديت به فيه . ومعنى البيت : لما رأى الناس أنى قد وسمت وكويت أبا عمر بهجائى تعجبوا منه وقالوا : سبحان من هذا الـكى ، فهل اقتديت بأيمن بهم فى هذا التعجب ولم تتجاوزه إلى مشاغبتى ؟ ! وفى المخطوطة : قراء ، بفتح القاف ، وقد ضبطها الشارح بالضم] .

قُلْ مَابَدَا لكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ ... حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ
يَنْزُو اللَّئِيمُ وَلَوْ أَلْقَيْتَ مِبْزَرَهُ ... لاحَتْ بِوَجْعَائِهِ آثَارُ كَوَّاءِ
مَازِلْتَ تَطْعُنُ بِالْمَلْعُونِ فِي دُبُرٍ ... حَتَّى اشْتَرَيْتَ حُلاَقًا فى اسْتِ خَرَّاءِ (١)
هلاَّ مَنَعْتُمْ « بَنِى وَأْدَانَ » أُمَّكُمُ ... مِنَ الْمُوسَّمِ إِذْ يَسْرِى بِقَنْفَاءِ
بِتُّمْ نِيَامًا وَبَاتَ الْعِلْجُ يَنْفُضُهَا ... فى لَيْلَةٍ مِثْلِ ضَوْءِ الصُّبْحِ قَمْرَاءِ
وَيلُ امِّهِ نَبَطِيًّا فَضَّ خَاتَمَهَا ... بِفَيْشَةٍ مِثْلِ رَأْسِ الْكَلْبِ جَوْفَاءِ

وقال أيضاً(*) :

مَنَّيْتَنِى بِشْرًا وَبِشْرٌ فَتًى ... لاَيَشْتَرِى الْحَمْدَ بِإِعْطَاءِ (٢)
عِلْجٌ بِعِلْجٍ مِنْ بَنِى « دَابِقٍ » ... صَاحِبُ تَقْدِيرٍ وَإِبْقَاءِ (٣)
فى نَفْسِهِ شُغْلٌ وفى بَيْتِهِ ... فُضُولُ إِخْوَانٍ وَآبَاءِ (٤)
يَابِشْرُ مَا بَالُ الَّتِى وَقَفَتْ ... بِالْفَتْحِ تَبْكِى بَيْنَ أَعْدَاءِ
يَابِشْرُ حَمَّامُ بَنِى يَشْكُرٍ ... حَدَّثَنِي عَنْهَا بِأَشْيَاءِ

وقال أيضاً :(*)

أَجَارَتَنَا مَا بِالْهَوَانِ خَفَاءُ ... وَلاَ دُونَ شَخْصِى يَوْمَ رُحْتُ غِطَاءُ (٥)

---

(١) [تطعن : لعل ضبطها بالبناء للمجهول] .

(*) وقال أيضاً (فى هجاء من اسمه بشر من أهل دابق ، من بحر السريع وعروضه وضروبه مكشوف [نرى أن عروضه مطوية مكشوفة وضربه أصلم] .

(٢) منيتنى بشرا : جعلته لى أمنية ، وهو بمعنى وعدتنى ما أتمناه ، قال كعب « فلا يغرنك ما منت وماوعدت » وجعل بشراً نفس الأمنية ، والمراد عطاء بشر .

(٣) دابق : بلدة بحلب . [والتقدير : التقتير والتضييق فى النفقة] .

(٤) [فى المخطوطة : « وآباء » وقد كتبها الشارح : « وآراء »] .

(*) وقال أيضا : هذه القصيدة قالها فى شىء جرى بينه وبين حماد وكان نزرى به فى مجلس عقبة ابن سلم . وقد ذكره فى القصيدة الآتية فى الورقة ١١٩ وفيها غزل وفيها أيضاً تعريض بتقصير عقبة فى حقوق الصداقة ، وهذه القصيدة من بحر الطويل وفى عروضها وضروبها اضطراب بين قبض وحذف مماهو غير معهود ، وتفصيله يطول بنا فعلى الناظر تحريره [يقتضى النظر أن هذه القصيدة من الطويل وعروضها مقبوضة وضربها محذوف ، وذلك المعهود فى الضرب الثالث من هذا البحر] .

(٥) [فى المخطوطة : « رحت » بضم التاء ، وضبطها الشارح بالكسر] .

أَحِنُّ لِمَا أَلْقَى وَإِنْ جِئْتُ زَائِراً ... دُفِعْتُ كَأَنِّي وَالعَدُوُّ سَوَاءُ
وَمَنَّيْتِنَا جُوداً وَفِيكِ تَثَاقُلٌ ... وَشَتَّانَ أَهلُ الجُودِ وَالْبُخَلَاءُ(١)
عَلَى وَجْهِ مَعْرُوفِ الكَرِيمِ بَشَاشَةٌ ... وَلَيْسَ لِمَعْرُوفِ الْبَخِيلِ بَهَاءُ
كَأَنَّ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنْ رَاحَتَيْهِمَا ... عَرُوسٌ عَلَيْهَا الدُّرُّ ، وَالنُّفَسَاءُ(٢)
وَقَدْ لُمْتُ نَفْسِي فِي الرَّبَابِ فَمَا تَحِتْ ... مِرَاراً وَلَكِنْ فِي الفُؤَادِ عِصَاءُ(٣)
تَحَمَّلَ وَالِي « أُمِّ بَكْرٍ » مِنَ اللِّوَى ... وَفَارَقَ مَنْ يَهْوَى وَبُتَّ رَجَاءُ
فَأَصْبَحْتُ مَخْلُوعاً وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا ... بِأَيْدِي الأَعَادِي ، وَالبَلَاءُ بَلَاءُ
خَفِيتُ لِعَيْنٍ مِنْ « ضَنِينَةَ » مَاعَفَتْ ... وَمَا كَانَ مِنِّي لِلْحَبِيبِ خَفَاءُ
وَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا يَوْمَ أَقْبَلَتْ ... تَهَادَى عَلَيْهَا قَرْقَرٌ وَرِدَاءُ(٤)
عَشِيَّةَ قَامَتْ بِالْوَصِيدِ تَعَرُّضاً ... وَقَامَ نِسَاءٌ دُونَهَا وَإِمَاءُ(٥)
مِنَ الْبِيضِ مِعْلَاقُ القُلُوبِ كَأَنَّمَا ... جَرَى بِالرُّقَى فِي عَيْنِهَا لَكَ مَاءُ(٦)
إِذَا أَسْفَرَتْ طَابَ النَّعِيمُ بِوَجْهِهَا ... وَشُبِّهَ لِي أَنَّ المَضِيقَ فَضَاءُ
مَرِيضَةُ مَا بَيْنَ الجَوَانِحِ بِالصِّبَا ... وَفِيهَا دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَدَاءُ(٧)
فَقُلْتُ لِقَلْبٍ جَاثِمٍ فِي ضَمِيرِهِ ... وَدَائِعُ حُبٍّ مَا لَهُنَّ دَوَاءُ :

---

(١) رواه فى المختار : « ومنيتنا جوداً وأنت بخيلة » والتثاقل المطل فى العطاء فهو بمعنى البخل [ضبط الشارح التاء فى « ومنيتنا » والكاف فى « وفيك » مفتوحتين ، والظاهر — كما يلوح فى المخطوطة — أنهما مكسورتان ، ليناسب ذلك البيتين السابقين ويناسب الرواية الثانية] .

(٢) شبه عطايا الكريم بالعروس فى حسنها وبزها ، وعطايا اللئيم بالنفساء فى شحوبها وتلطخها ، وإن كانت كلتا هما امرأة كما أن كلتا العطيتين عطية .

(٣) [عصاء : مصدر عاصاه ، أى عصاه وخالفه] .

(٤) [القرقر : لباس المرأة ، وقد سبق ذكره فى صفحة ١١٧ من هذه المطبوعة] .

(٥) [الوصيد : فناء الدار] .

(٦) [معلاق القلوب : أى أن القلوب تتعلق بها] .

(٧) روى فى المختار المصراع الأخير « وفيها دواء للعيون وداء » فيكون المراد بدواء العيون حسن المنظر وبالداء ماتجره العين إلى القلب من الحسرة ، فكأن الداء جاء من العيون ، قال النظام :

إن العيون على القلوب إذا جنت ... كانت بليتها على الأجساد

أو أراد مانقاسيه العين فى الحب من السهر . وروى فى الزهرة (٣٣) « بالضنى » عوض « بالصبا » .

تَعزَّ عَنِ الْحَوْرَاءِ إِنَّ عِدَاتِهَا ... وَقَدْ نَزَلَتْ « بالزَّابِيَيْنِ » لَفَاءُ[1]
11 يَمُوتُ الهوَى حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ هوًى ... وَلَيْسَ لِمَا اسْتَبْقَيْتُ مِنْكَ بَقَاءُ
وَكَيْفَ تُرَجِّي أُمَّ بَكْرٍ بَعِيدَةً ... وقدْ كُنْتَ تُجْفَى وَالْبُيُوتُ رِثَاءُ ؟[2]
أَبِي شَادِنٌ « بالزَّابِيَيْنِ » لِقَاءَنَا ... وأَكْثَرُ حَاجَاتِ الْمُحِبِّ لِقَاءُ
فَأَصْبَحْتُ أَرْضَى أَنْ أُعَلَّلَ بالْمُنَى ... وَمَا كَانَ لِي لَوْلَا النَّوالُ جَزَاءُ[3]
فَيَا كَبِدًا فِيهَا مِنَ الشَّوْقِ قَرْحَةٌ ... وَلَيْسَ لَهَا مِمَّا تُحِبُّ شِفَاءُ[4]
خَلَاهُمْ مَنْ لا يَتْبَعُ اللَّهْوَ والصِّبَا ... وَمَا لِهُمُومِ الْعَاشِقِينَ خَلَاءُ
تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَى الرَّبَابَ وَرُبَّمَا ... تَمَنَّى الْفَتَى أَمْرًا وفيهِ شَقَاءُ
لَعَمْرُ أَبِيهَا مَا جَزَتْنَا بِنَائِلٍ ... وَمَا كَانَ مِنْهَا بالوَفَاءِ وَفَاءُ

---

(١) العدات : جمع عدة ، اللفاء (كسماء ، بفاء) هو القماش على وجه الأرض ، وهو كل مايرى به الأرض من فتات وغيره [وكل خسيس يسير حقير ، أو هو : الشيء القليل ومادون الحق] ، وهو خبر « إن » ، وقوله « وقد نزلت بالزابيين » جملةمعترضة ، والزابيان : اسم نهر بين واسط وبغداد [قال فى القاموس : الزابيان : نهران أسفل الفرات] والمعنى : تسل إن حلوها بالزابيين جعل لقاءها سهلا ، فهذا قول زهير « فهن ووادى الرس كاليد للفم » أى فى سهولة الحصول [الذى نراه فى معنى البيت هو أنه يأمر قلبه بالتصبر عن تلك المرأة الحوراء وألا ينظر بعين الرجاء والاهتمام إلى وعدها لأن عداتها صارت قليلة أو حقيرة فهى لاتهتم بها بعد أن نزلت بالزابيين وأصبحت بعيدة آيسة للقاء لايرتجى منها لحبه شفاء . الخ : انظر الأبيات الآتية بعد] .

(٢) « رثاء » بكسر الراء ، أى والبيوت متقابلةمتناظرة ، ويقال حى حلال ونظر أى متجاورون ينظر بعضهم بعضا ، وقد فسر به قوله تعالى : وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ، ينظر بعضهم بعضا ، فى الصحاح : « يقال قوم رثاء ، أى يقابل بعضهم بعضا ، وكذلك : بيوتهم رثاء » .

(٣) [فى معنى البيت غموض ، ولعل عجزه : « وما كان لى إلا النوال جزاء »] .

(٤) نصب « كبدا » على أنه نكرة غير مقصودة ، والمراد كبده ، وهى معروفة ، ولكنه أراد نداءه بصفة التنكير لابصفة القصد ، ومثله كثير فى كلام العرب ، إذ ليس المراد بالنكرة غير المقصودة أنها مجهولة ، بل المراد أن المنادى لايقصد إليها من جهة التعريف ، بل يقصدها من حيث إنها واحدة من جنسها [الظاهر فى قوله « فيا كبدا » — إذا كان منونا — أنه منادى منصوب لأنه نكرة موصوفة بالجملة بعده فهو شبيه بالمضاف ، أما إذا كان غير منون فربما كانت الألف مبدلة من ياء المتكلم ، وأقرب منه أنه متوجع له جاءت فى آخره ألف الندبة مثل قول مجنون ليلى :

فوا كبدا من حب من لايحبنى ... ومن زفرات ما لهن فناء

وقول قيس بن ذريح :

وأهجركم هجر البغيض وحبكم ... على كبدى منه كلوم صوادع
فوا كبدا من من شدة الشوق والأسى ... وواكبدا إنى إلى الله راجع]

وَخَيْرُ خَلِيلَيْكَ الَّذِى فى لِقَائِهِ ... رَوَاحٌ وَفِيهِ حِينَ شَطَّ غَنَاءُ (١)

ومَا القُرْبُ إلا لِلْمُقَرِّبِ نَفْسَهُ ... وَلَوْ وَلَدَتْهُ جُرْهُمٌ وَصَلَاءُ (٢)

ولا خَيْرَ فِى وُدِّ امْرِئٍ مُتَصَنِّعٍ ... بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَالْوِدَادُ صَفَاءُ

سَأُعْتِبُ خُلَّانِى وأَعْذِرُ صَاحِبِى ... بِمَا غَلَبَتْهُ النَّفْسُ والغُلَوَاءُ (٣)

وَمَالِىَ لا أعفُو وَإِنْ كَانَ سَاءَنِى ... ونَفْسِى بِمَا تَجْنِى يَدَاىَ تُسَاءُ

عِتَابُ الفَتَى فى كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ ... وتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ

صَبَرْتُ عَلَى الْجُلَّى ولَسْتُ بِصَابِرٍ ... عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ عَلَىَّ زَرَاءُ (٤)

وَإِنِّى لَأَسْتَبْقِى بِحِلْمِى مَوَدَّتِى ... وعِنْدِى لِذِى الدَّاءِ الْمُلِحِّ دَوَاءُ

قَطَعْتُ مِرَاءَ القَوْمِ يَوْمَ مَهَايِلٍ ... بِقَوْلِى ومَا بَعْدَ البَيَانِ مِرَاءُ (٥)

وقَدْ عَلِمَتْ عَلْيَا رَبِيعَةَ أَنَّنِى ... إذَا السَّيْفُ أَكْدَى كَانَ فِىَّ مَضَاءُ (٦)

---

(١) يريد خير نوعى الأصحاب الخليل الذى ترتاح عند لقائه ويحفظ ودك عند مغيبه وهو معنى قوله غناء بفتح الغين وهو كفاية الأمر المهم ، وضده الخليل الذى يعتك حاضرا وينساك غائبا ، وهذا البيت هو ابتداء التخلص إلى المقصود من القصيدة .

(٢) جرهم من العرب البائدة ، وهم بنو جرهم بن قحطان ، كانت منازلهم بجبل قيقعان بأعلى مكة وكانت لهم قوة وملك بمكة ، وصاهرهم إسماعيل عليه السلام ، ثم غلبتهم خزاعة على مكة ، فخرجت جرهم من الحجاز قاصدة اليمن فى حدود سنة ٥٥٠ قبل الهجرة ، فأصابهم فى طريقهم رعاف وبائى . فانقرضوا بطريق اليمن بموضع يقال له « إضم » بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة . وأما « صلاء » فبفتح الصاد وبالمد ، وهو ترخيم صلاءة لضرورة الشعر ، وأحسن الترخيم ترخيم ذى التاء ، وهم بنو صلاءة بن عمرو ابن خويلفة من بنى الحرث بن نمير من قيس عيلان ، وفى بنى الحرث بن نمير شرف بنى نمير وعددهم ، ومن بطونهم بنو صلاءة وبنو شريح ، ويلقبان بالقلعين (بكسر القاف) . وقد أراد بشار أن القريب هو المقرب نفسه ولو بعد نسبه ، فتمثيله بجرهم فى ذلك ظاهر ، وأما تمثيله بصلاء فلم أدر وجهه [ولعل « صلاء » الوارد فى البيت محرف عن « صداء » بضم الصاد ، وهم حى باليمن] .

(٣) أعتب (بضم الهمزة) : أزيل عتبهم ، أى أعذرهم ، قال تعالى : « وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين » وهذا مثل أعذر إليه إذا أزال عذره .

(٤) الجلى فعلى مؤنث الأجل ، وأراد بها الواقعة العظيمة كالمصيبة ونحوها [استعمل بشار كلمة «زراء» فى هذا البيت وفى بيت آخر فى ص ١١٥ من هذه المطبوعة . وهذه الكلمة لم تذكر فى كتب اللغة]

(٥) كتب فى الديوان «مهابل» بالموحدة ، وذكر فى البيت ١ من الورقة ١٢٠ [بياء] بعد الألف فهى الصواب ، والمهايل جمع مهيل كمجلس مصب الرمال ، مشتق من هال عليه التراب إذا صبه ، والرمل كذلك ، ومن أسماء الأماكن الأهيل فلعله فيه رمل كثير .

(٦) عليا ربيعة أى أفاضلهم ، كقول زهير : « عظيمتين فى عليا معد هديتما » أو سكان السروات منها ، وفى رواية « عليا معد » كما فى المختار . وكتب فى الديوان « عينا » وهو تحريف .

تَرَكْتُ ٱبْنَ نِهْيَا بَعْدَ طُولِ هَدِيرِهِ ... مُصِيخًا كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْهُ خَلَاءُ[(١)]
ومَا رَاحَ مِثْلِي فِى الْعِقَابِ ولا غَدَا ... لِمُسْتَكْبِرٍ فى نَاظِرَيْهِ عِدَاءُ
تَزِلُّ الْقَوَافِى عَنْ لِسَانِى كَأَنَّهَا ... حُمَاتُ الأَفَاعِى رِيقُهُنَّ قَضَاءُ[(٢)]

وقال أيضاً[(*)] :

قَدْ لَعِبَ الدَّهْرُ عَلَى هَامَتِى ... وذُقْتُ مُرًّا بَعْدَ حَلْوَاءِ
إِنْ كُنْتِ حَرْبًا لَهُمُ فَانْظُرِى ... شَطْرِى بِعَيْنٍ غَيْرِ حَوْلَاءِ[(٣)]
يَا حُسْنَهَا حِينَ تَرَاءَتْ لَنَا ... مَكْسُورَةَ العَيْنِ بِإِغْفَاءِ
كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا رَوْضَةً ... مَا بَيْنَ صَفْرَاءَ وَخَضْرَاءِ ١٢

---

(١) ابن نهيا هو حماد عجرد ، ونهيا (بكسر النون) : اسم بلد بين الرصافة والقريتين فى طريق الشام ، وهو بلد به آثار وعمارة ، والظاهر أن حماداً كان نزلها ، قال فى الأغانى : نسبه بشار إلى أنه ابن نهى (بدون ألف) .

وحماد هذا هو قريع بشار وأشد الناس مهاجاة له وهو حماد بن يحيى بن عمرو مولى بنى عقيل من عامر بن صعصعة مثل بشار ، ويقال إنه نبطى الأصل ويكنى أبا عمرو كما هو فى تاريخ بغداد للخطيب ، وفى ابن خلكان ، ووقع فى الأغانى أنه يكنى أبا عمر ، وكذلك كناه بشار فى البيت ٣ من الورقة ٢٦١ وفى البيت ١٨ من الورقة ٢٦٢ . وفى ابن خلكان قيل يكنى أبا يحيى ، فلعله كانت له ثلاث كنى . ويلقب بعجرد ، لأن أعرابيا مر به فى يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان فقال له : تعجردت ياغلام ، فسمى عجرداً ، والمعجرد المتعرى . ولد حماد بالكوفة ، وقيل بواسط ، نشأ بها ، وكان يتكسب ببرى النبال مثل أبيه وجده ، وكان شاعرا ماجنا من مخضرمى الدولتين ، إلا أنه لم يشتهر فى أيام بنى أمية ، وكان يتهم بالزندقة ، وقد تقدم فى المقدمة أنه فى عداد الزنادقة المعروفين ، ويقال إنه نادم الوليد بن يزيد الأموى . وقدم بغداد فى زمن المهدى وقتل سنة ١٦١ ، قتله محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عامل البصرة ، وكان قتله بظاهر الكوفة على الزندقة ، وكان قتله قبل بشار ، وقد ذكر بشار قتله ، ولقبه بشار بألقاب ، فلقبه بابن نهى والظاهر أنه بكسر النون ، وأصله اسم بلد بطريق الشام بين الرصافة والقريتين ، ولعل سبب ذلك أن تلك الجهة جهة الأنباط ، ولقبه بابن شبيرا ، ونبزه بأنه نبطى ، وقيل إن ذلك من مختلقات بشار ، ولقبه بابن سيمين فى البيت ١٢ من الورقة ٢١٠ .

(٢) الحمات جمع حمة (بضم الحاء وتخفيف الميم) وهى ما يلدغ به ذو السم كالناب للأفعى والشوكة للزنبار .

(*) وقال أيضاً (فى الشكاية من العذال والحساد) من بحر السريع وعروضه وضربه مخبول مكشوف. [نرى أن عروضه مطوية مكشوفة وأن ضربه أصلم ، مثل القصيدة التى سبقت (فى الورقة ٦) ولذلك اشتركتا فى بعض الأبيات] .

(٣) هذا البيت والبيتان بعده تقدمت فى ورقة ٦ ، فيحتمل أنها تكررت فى هذه القصيدة أو فى الأخرى ، وقد يبقى فى ذهن الشاعر شىء من شعره السابق وهو يحسبه لم يصدر منه ويخاله مما بدا له حينئذ.

يَلُومُنِى « عَمْرُو » عَلَى إِصْبَعٍ   نَمَّتْ عَلَى السِّرِّ خَرْسَاءِ

لِلنَّاسِ حَاجَاتٌ وَمِنِّي الْهَوى   شَىْءٌ بَعْدَ أَشْيَاءِ (١)

بَلْ أَيُّهَا الْمَهْجُورُ مِنْ رَأْيِهِ   أَعْتِبْ أَخًا وَأُخْرُجْ عَنِ الدَّاءِ

مَنْ يَأْخُذِ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ   يَنْضَحْ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

أَنْتَ امْرُؤٌ فِى سُخْطِنَا نَاصِبٌ   وَمِنْ هَوَانَا نَازِحٌ نَاءِ

كَأَنَّمَا أَقْسَمْتَ لَا تَبْتَغِى   بِرِّى وَلَا تَحْفِلْ بِإِيتَائِى (٢)

وَإِنْ تَعَلَّلْتُ إِلَى زَلَّةٍ   أَكَلْتُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءِ (٣)

حَسَدْتَنِى حِينَ أَصَبْتُ الْغِنَى   مَا كُنْتَ إِلَّا كَابْنِ حَوَّاءِ

لَاقَى أَخَاهُ مُسْلِمًا مُحْرِمًا   بِطَعْنَةٍ فِى الصُّبْحِ نَجْلَاءِ (٤)

---

(١) [فى عجز البيت] بياض من محو .

(٢) [« تحفل » فى البيت مجزومة بغير جازم ، ويجوز أن تكون « بإيتائى » محرفة عن « إيتائى » بلا باء ، وفى اللغة : ماحفل الشىء وما حفل به . ويجوز أن تكون « تحفل » هى الكلمة المحرفة ، وأصلها « تحفى » أى : تبالغ فى إكرامى .] .

(٣) التعلل : التشاغل أو التلهى بأمر ، وعداه هنا بإلى لأنه ضمنه معنى الميل ، وقوله « أكلت فى سبعة أمعاء » كناية عن الكفر ، لما ورد فى الحديث الصحيح : الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، أى إذا زلت عن غفلة كفرتنى [ربما كانت التاء فى « تعللت » و « أكلت » للمخاطب] .

(٤) المحرم هو الملتبس بإحرام الحج ، والساكن أيضا فى الحرم ، قال الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما   ودعا فلم أر مثله مخذولا

ولعل بشارا أراد به أنه كان حينئذ يقرب القربان لله ، فهو متلبس بالقصد إلى النسك فهو كالمحرم ، إذ لم يكن يومئذ حج ، وأراد أنه معصوم الدم . وأشار إلى قصة أبنى آدم قابيل وهابيل [القصة مذكورة فى القرآن (فى سورة المائدة) ، ويتبين فيها أن هابيل كان محرما قتل أخيه لايجيز أن يبسط يده إليه ، فلعل ذلك وجه قول بشار « محرما » ويجوز أن يكون معنى « محرما » : داخلا فى البلد الحرام ، لقول ابن عباس : كان ذلك فى جبل بمكة] .

[ثم نقول :

وقد جاء فى عيون الأخبار ج ٢ ص ١١ مايأتى :

« أنشدنى شيخ لنا عن أبى زيد الأعرابى :

لاتقبل الرشد ولا ترعوى   ثانى رأس كابن عواء

حسدتنى حين أفدت الغنى   ماكنت إلا كابن حواء

عادى أخاه محرما مسلما   بطعنة فى الصلب نجلاء

وأنت تقلينى ولا ذنب لى   لكننى حال أعباء

من يأخذ النار بأطرافه   ينضح على النار من الماء »

=

وَأَنْتَ تَلْحَانِي وَلَا ذَنْبَ لِي ... لَكُمْ يُرَى حُمَّالَ أَعْبَائِي(١)

كَأَنَّمَا عَايَنْتَ بِي عَائِفًا ... أَزْرَقَ مِنْ أَهْلِ حَرُورَاءِ(٢)

فَارْحَلْ ذَمِيمًا أَوْ أَقِمْ عَائِذًا ... مُلِّيتَ مِنْ غِلٍّ وَأَدْوَاءِ

لَا رَقَأَتْ عَيْنُ امْرِئٍ شَامِتٍ ... يَبْكِي أَخًا لَيْسَ بِبَكَّاءِ(٣)

لَوْ كُنْتَ سَيْفًا لِي أُلَاقِي بِهِ ... طِبْتُ بِهِ نَفْسًا لِأَعْدَائِي(٤)

أَوْ كُنْتَ نَفْسِي جُمِعَتْ فِي يَدِي ... أَلْقَيْتُنِي سَمْحًا بِإِلْقَاءِ(٥)

= وهذه الأبيات منها أربعة جاءت فى قصيدة بشار مع بعض تغيير فى الألفاظ .

وأما أبو زيد الأعرابى المنسوبة إليه رواية تلك الأبيات فلم نعرفه ، ولعله أبو زيد اللغوى المعروف ، ولعل كلمة « الأعرابى » محرفة عن « لأعرابى » أى رواها أبو زيد لذلك الأعرابى ، وزيدت الألف خطأ فى نسخة عيون الأخبار ، أو لعل التحريف فى « أبى زيد » فيكون المراد أبا زياد الكلابى الأعرابى ، وقد كان معاصراً لبشار ، وله ترجمة فى « الفهرست »] .

(١) [لعل « لكم » مركبة من لام القسم وكم الخبرية ، أو تكون اللام محرفة عن الفاء ، والأصل : « فكم » ، ولعل « يرى » محرفة عن « ترى » وبذلك يستقيم معنى البيت على هذه الرواية] .

(٢) أراد بالعائف الكاره المعادى ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة فى عداوته للناس ، فإن الأزرق من الأوصاف الغالبة إتباعا للعدو ، قال الحريرى « حتى رثى لى العدو الأزرق » أو أراد به الواحد من الأزارقة ، وأصله أزرق ، كقولهم أعجمى أعجمى ، قال تعالى « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » فهو جمع أعجم ، أراد الأعجميين [قال شارح القاموس : الأزارقة : قوم من الخوارج ، واحدهم : أزرق صنف من الحرورية ، نسبوا إلى ابن الأزرق] وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه بحروراء ناحية من نواحى الكوفة ، وهم أول الخوارج ، وكان رأسهم عبد الله بن الكواء ، وكان من أصول مذهبهم تكفير الذين خالفوهم واستباحة دماء المخالفين لهم فى المذاهب وأموالهم ، ولذلك كرههم الناس كلهم وقاتلوهم ، وكان الصحابة رضى الله عنهم قد أمروا بقتالهم ، فضرب بشار المثل فى العداوة بواحد منهم ، وهو يدل على ما كان لهم من سوء السمعة تلك العصور .

(٣) رواه فى المختار « امرىء أنوك » ومعنى « رقأت » جف دمعها . والأنوك اسم تفضيل ، وصف لمن كان به نوك ، وهو خلل فى الرأى [بينا فى شرح قصيدة سابقة ص ١٠٢ من هذه المطبوعة أن « الأنوك » صفة مشبهة باسم الفاعل ، كالأحمق] .

(٤) رواه فى المختار « لو كنت لى سيفاً غداة الوغى » والوغى (بالمعجمة) أصوات المحاربين فى الحرب ، ويقال الوعى (بالمهملة) وقد غلب الوغى (بالمعجمة) فصار اسما للحرب .

(٥) رواه فى المختار : « ألقيتها سمحا بالقائى » .

[قافية الألف]

وقال أيضاً على قافية الألف فى الزهد(*)

ذَهَبَ الدَّهْرُ بِسِمْطٍ وَبُرَا … وَجَرَى دَمْعِىَ سَحًّا فى الرِّدَا(١)
وَتَأَيَّيْتُ لِيَوْمٍ لاحِقٍ … وَمَضَى فى المَوْتِ إِخْوَانُ الصَّفَا(٢)
فَفُؤَادِى كَجَنَاحَىْ طَائِرٍ … مِنْ غَدٍ لا بُدَّ مِنْ مُرِّ القَضَا(٣)
ومِنَ القَوْمِ إِذَا نَامَتُّهُمْ … مَلِكٌ فى الأَخْذِ عَبْدٌ فى العَطَا(٤)
يَسْأَلُ النَّاسَ ولاَ يُعْطِيهِمُ … هَمُّهُ « هَاتِ » وَلَمْ يَشْعُرْ بِـ« هَا »(٥)
وَأَخٍ ذِى نِيقَةٍ يَسْأَلُنِى … عَنْ خَلِيطَىَّ ، ولَيْسَا بِسَوَا(٦)
قُلْتُ : خِنْزِيرٌ وَكَلْبٌ حَارِسٌ … ذَاكَ كالنَّاسِ وهٰذَا ذُو نِدَا(٧)
فَخُذِ الكَلْبَ عَلَى مَا عِنْدَهُ … يُرْعِبُ اللِّصَّ ويُقْعِى بِالفِنَا(٨)

(*) وقال أيضاً فى الزهد . لاحظ لهذه القصيدة ولا لبشار فى الزهد ، وإنما هى فى الفخر وذم الزمان وأهله ثم هجاء الباهلى ، والقصيدة من بحر الرمل وعروضه محذوفة وضربه كذلك .

(١) السمط : الخيط المنظوم فيه الدر والمراد أن نثر سلك صاحبته [ولعل المراد : أن الدهر قد نثر السمط الذى ينتظم فيه إخوان الصفا] ، وقوله « برا » الظاهر أنه [بضم الباء] جمع « برة » وهى الحلقة التى تلبسها المرأة فى اليد أو فى الساق مثل الخلخال ، أى ذهب بنفائس أصحابه وزينتهم ، وضبطه فى الديوان بفتح الباء ، فإذا صح ذلك وجب تقدير مفعول ، أى وبرا عود أصحابى ، أى انتقضهم .

(٢) تايبت : تأخرت ، يقال : تأيى بالمكان [إذا تلبث عليه وتوقف] .

(٣) [مر : ضبطت بضم الميم ، ويجوز أن تكون بالفتح ، بمعنى المرور] .

(٤) [نامتهم : قاربتهم وساررتهم . وفى المخطوطة ضبطت التاء مضمومة] .

(٥) « ولم يشعر بها » أى بكلمة « ها » وهى اسم فعل بمعنى خذ ، وفى الحديث : « الذهب بالذهب ربا إلا ها وها » أى خذ وخذ ، أى يدا بيد ، والمعنى : أنه لاحظ له فى الإعطاء .

(٦) [يقال تنيق أو تأنق أو تنوق فى الأمر إذا تجود وبالغ ، والاسم النيقة ، وفى المثل « خرقاء ذات نيقة » للجاهل الذى يدعى المعرفة ويتأنق فى الإرادة] وأراد بخليطيه النوعين من الأصحاب ، وهما الأصحاب الصادقون والأصحاب المخادعون ، ولكون تلك قسمة مشهورة اكتفى بقوله : « عن خليطى » .

(٧) ذو ندا أى نباح .

(٨) [« يرعب » بفتح الياء والعين ، مضارع رعبه (كمنعه) أى خوفه ، وفى جواز « أرعب » خلاف بين العلماء ، فلا موجب لضبط « يرعب » بضم الياء وكسر العين كما فى المخطوطة . و « الفنا » بكسر الفاء وقصر الممدود ، يقال « فناء الدار » لما اتسع من أمامها وما امتد من جوانبها ، وقد ضبط فى المخطوطة كذلك ، ولكن الشارح ضبطه بفتح الفاء . و « يقعى » : يقعد على عقبيه وينصب ساقيه] .

١٣ قَلَّ مَنْ طَابَ لَهُ آبَاؤُهُ وَعَلَى أُمَّاتِهِ حُسْنُ الثَّنَا(١)
اُدْنُ مِنِّي تَلْقَنِي ذَا مِرَّةٍ نَاصِحَ الْحُبِّ كَرِيمًا فِى الْإِخَا(٢)
مَا أَرَاكَ الدَّهْرَ إِلَّا شَاخِصًا دَائِبَ الرِّحْلَةِ فِى غَيْرِ عَنَا
فَدَعِ الدُّنْيَا وَعِشْ فِى ظِلِّهَا طَلَبُ الدُّنْيَا مِنَ الدَّاءِ الْعَيَا !
رُبَّمَا جَاءَ مُقِيمًا رِزْقُهُ وَسَعَى سَاعٍ وَأَخْطَا فِى الرَّجَا !
وَفَنَاءُ الْمَرْءِ مِنْ آفَاتِهِ قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ عِيِّ الْفَنَا !
وَأَرَى النَّاسَ يَرَوْنِي أَسَدًا فَيَقُولُونَ بِقَصْدٍ وَهُدَى(٣)
فَارْضَ بِالْقِسْمَةِ مِنْ قَسَّامِهَا يُعْدِمُ الْمَرْءُ وَيَغْدُو ذَا ثَرَا
أَيُّهَا الْعَانِي لِيَكْفِي رِزْقَهُ هَانَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْعَنَا
تَرْجِعُ النَّفْسُ إِذَا وَقَّرْتَهَا وَدَوَاءُ الْهَمِّ مِنْ خَمْرٍ وَمَا
وَالدَّعِيُّ ابْنُ خَلِيقٍ عَجَبٌ حُرِمَ الْمِسْوَكَ إِلَّا مِنْ وَرَا !

---

(١) الأمات جمع أم ، وهو جمع نادر وإن كان قياسيا ، والأفصح فى جمع أم أمهات ، فهو اسم جمع إذا لم يسمع مفرده أمهة ، وقيل سمع نادرا ، ووقع جمع الأمات فى قول المتنبى :

بأبى وأبى شادنا قلنا له نفـديك بالأمات والآباء

(٢) « ذا مرة » أى ذا قوة ورباطة جأش ، قال تعالى : « ذو مرة فاستوى » و « ناصح الحب » أى ليس حبه مشوبا بخديعة ومكر .

(٣) قوله : « يرونى » أصله « يروننى » جزم للضرورة ماليس بمجزوم ، كقول عنترة :

يخبرك من شهـد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

على رأى . [قلنا : يجوز أن يكون الفعل مرفوعا ، لامجزوما للضرورة ، ولـكن حذفت نون الرفع لاتصالها بنون الوقاية ، وقد نص على جواز ذلك بعض النحاة] .

[قافيـــة الباء]

وقال بشار أيضا على حرف الباء يمدح داود بن يزيد (*) :

عُوجَا خَلِيـــلَيَّ لَقِينَا حَسْبَا ⁂ مِنْ زَمَنٍ أَلْقَى عَلَيْنَا شَـغْبَا (١)

مَا إِنْ يَرَى النَّاسُ لِقَلْبِي قَلْبَا ⁂ كَلَّفَنِي سَـــلْمَى غَدَاةَ أُتْبَا (٢)

وَقَدْ أَجَازَتْ عِـــيرُهَا الأَجَبَّا ⁂ أَصْبَحْتُ بَصْرِيًّا وحَلَّتْ غَرْبَا (٣)

فَالْعَـيْنُ لاَ تُغْـفِي وَفَاضَتْ سَكْبَا ⁂ أَمَّلْتُ مَا مَنَّيْـــتَمَانِي مُعْجَبَا (٤)

بِالْخِصْبِ لَوْ وَافَقْتُ مِنْهُ خِصْبَا ⁂ فَلاَ تَغُرَّانِي وغُـــرَّا الْوَطْبَا (٥)

إِنِّي وَحَمْلِي حُبَّ سَـــلْمَى تَبًّا ⁂ كَحَامِلِ الْعِبْءِ يُرَجِّي كَسْبَا (٦)

(*) وقال بشار أيضا على حرف الباء يمدح داود بن يزيد :

(من الرجز [ولعلها من مشطور الرجز] وعروضه كضربه مقطوعة : مستفعلن مستفعلن مفعولن).

وداود بن يزيد هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، كان داود مع أبيه يزيد في إفريقية حين وليها يزيد بن حاتم سنة ١٥٤ ، وولي داود بن يزيد إفريقية سنة ١٧٠ بعد مقتل أبيه باستخلاف من أبيه ، فبقي أميرا تسعة أشهر حتى وليها عمه روح بن حاتم ، وسار داود إلى بغداد سنة ١٧١ ، فلقي الرشيد أمير المؤمنين ، فاستعمله وولي لمارة جيش وجه مددا لخراسان لقتال معين الخارجي سنة ١٧٥ ، ثم ولي على السند سنة ١٨٤ فبقي عاملا بها حتى مات سنة ٢٠٥ .

تنبيه : اعلم أني اصطلحت في وضع الأعداد لأبيات أراجيز الديوان أن أعتبر كل شطرين بيتا على مصطلح جمهور المتأخرين ، وإن كان القدماء يعتبرون كل شطر بيتا ، ولذلك كانوا يجعلون أرجوزاتهم مفردة الأشطار فتختم بشطر مفرد .

(١) حسبا : أي كافيا يكفينا هموم الزمان [والشغب تهييج الشر ، ولعل المراد : لقينا من شغب الزمان الكفاية ، كما يقال : حسبنا ما لقينا ، وانظر أيضاً قوله الآتي قريبا « . . . . دعي لي لبا ، أو ساعفينا قد لقينا حسبا »] .

(٢) [لعل « لقلبي » محرفة عن « كقلبي »] . أتبا : أدعى ، لأن تبا بمعنى دعا [قلنا : ليس بمعروف أن « تبا » بمعنى « دعا » وإنما المعروف في اللغة أن « تبا » التي على وزن « دعا » بمعنى : غزا وغنم . وعبارة القاموس : تبا يتبو « كدعا » : غزا وغنم . ولعل « أتبا » محرفة عن « أنبا » بالبناء للمجهول من معنى الإخبار أو معنى الإبعاد أو نحو ذلك] .

(٣) عيرها (بعين مهملة مكسورة) وهي الركب المسافرون ، ووقع في النسخة بالغين المعجمة ، وهو تحريف ، والأجب : مكان ، ولم أقف على تعيينه .

(٤) وهو « معجبا » كتب في الديوان بدون نقط للحرفين الأولين ، والظاهر أنه « معجبا » بضم العين ، أي معجبا به .

(٥) الوطب : الرجل الجافي .

(٦) [تبا : خسرانا] .

فَخَـــابَ مِنْ ذَاكَ وَلاَقَى تَعَبَا   وَقَدْ أَرَانِى أَرْيَحِيًّا نَدْبَا (١)
أَرْوِى النَّدَامَى وَأَجُرُّ الْعَصْبَا   أَزْمَانَ أَغْدُو غَـــزِلاً أَقَبَّا (٢)
لا أَتَّـقِى دُونَ سُلَيْمَى خَطْبَا   وَمَا أُبَالِى الدَّهْيَانَ الصَّـــقْبَا (٣)
يَا سَـــلْمَ يَا سَلْمَ دَعِى لِى لُبَّا   أَوْ سَاعِفِينَا ، قَدْ لَقِينَا حَسْـــبَا !
مَاهَـكَذَا يَجْزِى الْمُحِبُّ الْحِبَّا   وَصَاحِبٍ أَغْـلَقَ دُونِى دَرْبَا
قُلْتُ لَهُ وَلَمْ أُجَمْجِمْ رُعْبَا :   إِنَّ لَنَا عَنْـــكَ مَسَاحًا رَحْبَا (٤)
فَأُمَّ جَنْبًا سَوْفَ تَرْعَى جَنْبَا   وَفِتْيَةٍ مِثْلِ السَّعَالِى شُـــزْبَا (٥)

---

(١) (الأريحى) تقدم أنه الذى يهتز للكرم ، والندب (بفتح النون وسكون الدال) : الرجل الخفيف عند الطلب النجيب ، وجمعه ندوب [وفى المخطوطة وفى نسخة الشارح : « تعبا » (بسكون العين المهمله) ولم نره فى كتب اللغة . ولعله « تغبا » بسكون الغين المعجمة ، أى : هلاكا] .

(٢) العصب ضرب من ضروب اليمن ، والأقب : الذى به قبب ، أى دقة قامة وضمور [يريد الخفة والنشاط] .

(٣) الدهيان : فعلان من دهاه ، إذا أصابه بداهية ، وهى المصائب العظيمة ، وحركه لضرورة الشعر . والصقب (بفتح الصاد وسكون القاف) : الطويل ، أراد به هنا المقتدر ، وقد جمع فى هذا المصراع غرابتين : غرابة اللفظ فى الدهيان إذ لم يذكروا هذا الوزن فى هاته المادة وغرابة المعنى المراد من الصقب [وربما كان فى البيت تحريف عن « وما أبالى الرهبان الصعبا » ، والرهبان (بتحريك الهاء) الرهبة والمخافة] .

(٤) [« أججم » كان فى المخطوطة « أحمحم » بحاءين مهملتين ، والحمحمة : صوت البرذون عند طلب الشعير وصوت الفرس دون الصهيل كأنه حكاية صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه المألوف ، ذلك المعنى بعيد عما هنا ، والصواب « أجمجم » بجيمين ، يقال « جمجم » إذا لم يبن كلامه ، و « جمجم شيئا فى صدره » إذا أخفاه ، ومعنى البيت : قلت للصاحب الذى أغلق دونى باب مسكنه قولا صريحا غير مرتعب : إن لنا متحولا عنك . . . الخ] المساح : اسم مكان ساح يسيح ، وهو خلاف القياس إذ القياس مسيح ، لـكنه يلتبس بالمسيح ، فلعل بشارا اطلع على وروده فى كلام العرب ، فإنه كان كثير الاطلاع ، أو لعله رأى اللبس موجبا للعدول عن القياس ، فإنه كان فى القياس ذا اتساع [قلنا : لعل « مساحاً » بكسر الميم جمع « مسحاء » ، وهى أرض مستوية ذات حصى صغار ، وقد ذكر اللغويون ذلك الجمع ، وربما كانت « مساحا » بضم الميم اسم مكان من : « أساحه »] .

(٥) « السعالى » بفتح السين وتخفيف العين وكسر اللام ، ولا يجوز فتح اللام ، لأن هذا مما انفرد فى السماع بالـكسر ، وإن كان فى الأصل أن كل « فعل » بعد [لامه] ألف زائدة بعدها حرف كتاء تأنيث أو همزة أو نون ، سواء كان اسماً أم صفة يجوز فيه فتح اللام وكسرها فى الجمع ، نحو صحراء وعذراء ، إلا ماانفرد فيه أحد الوزنين ، مثل سعلاء فى الجمع على سعالى ومرداة فى الجمع على مرادى ، بالـكسر فيهما ، ومثل سكران فى الجمع على فعالى بالفتح ، والسعالى : جمع سعلاة بكسر السين وبهاء التأنيث ويقال سعلاء بالمد وبالقصر ، وهى الغول أو ساحرة الجن ، ثم أطلقت على المرأة القبيحة الوجه =

مِنَ الْحُمَاةِ الْمَانِعِينَ السِّرْبَا   تَلْقَ شَبَا الْكَأْسِ بِهِمْ وَالْحُرْبَا(١)

كَلَّفْتُهُمْ ذَا حَاجَةٍ وَإِرْبَا   عِنْدِي يُسْرٌ فَعَيِينَا عَبَّا(٢)

مِنْ مَقَدِيٍّ يُرْهِقُ الْأَطِبَّا   أَصْفَرَ مِثْلِ الزَّعْفَرَانِ ضَرْبَا(٣)

كَأْسُ امْرِئٍ يَسْمُو وَيَأْبَى جَذْبَا   مَالَ عَلَيْنَا بِالْغَرِيضِ ضَهْبَا(٤)

١٤ وَالرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ غَضًّا رَطْبَا   وَالْقَيْنَةِ الْبِكْرِ تُغَنِّي الشَّرْبَا

= السيئة الخلق و « شبا » كتب فى الديوان كذلك ، وضبط بضم ففتح ، فهو بالتشديد جمع شاب ، ولم يرد عن العرب ، والظاهر أن بشاراً قاس فأثبت الأشب بمعنى القوى الشباب ثم جمعه على شب ، فيكون حالا من « فتية » ويحتمل أنه بفتح الشين اسم جمع شبة ، وهى المرأة التى فى شبابها . فيكون حالا من السعالى. [لعل « شبا » (بفتح الشين) تمييز لقوله « مثل . . . » لبيان وجه المماثلة ، وربما كان منصوباً على نزع الخافض ، والمعنى : هؤلاء الفتية مثل السعالى فى اعتلاء النشاط وتوقد القلوب ، وقد شرح الزمخشرى قول أبى ذؤيب» : أسعلته . . . بقوله « أى جعلته كالسعلاة وأجنته نزواً ونشاطا] . وقوله « فأحم » بهمزة قطع ، أمر من أحمى المكان مثل حماه ، إذا جعله حمى لايقربه أحد ، والجنب : الجانب ، كقوله تعالى «على مافرطت فى جنب الله » ، وقوله « سوف نرعى جنبا » أى إن تمنعنا مودتك فلنا فى ودك غير سعة .

(١) [« السرب » هنا معناه العيال والحرم (بضم الحاء وفتح الراء) مستعار من سرب الظباء والبقر والقطا] ، « شبا الكأس » جمع شباة ، وأصل الشباة حد السيف ، ثم استعيرت لقوة كل شىء ، فشبا الكأس : شدة خمرها .

(٢) [لعل «ذا حاجة » فى موضع الحال من تاء المتكلم ، ولعل « إربا » : أربى : أى زاد ، ولعل « يسر » محرفة عن « بسر » بفتح الباء الموحدة وهو الإعجال ، والمعنى أنى كلفت أولئك الفتيه ، وأنا ذو حاجة ، وقد زاد إعجالى لهم . وربما كانت « فعيينا » محرفة عن « فعببنا » . والنقط فى المخطوطة أقرب إلى الدلالة على ذلك] .

(٣) المقدى (بفتح الميم وفتح القاف المخففة) صفة للخمر المنسوبة إلى مقدية قرية من قرى الشام ينسب إليها الشراب ، وربما شددوا الدال فقالوا مقدى [التسوية بين تخفيف الدال وتشديدها فى «مقدى» رأى لبعض اللغويين ، ويرى بعضهم أن المقدى (بتخفيف الدال) : شراب من العسل ، وأن المقدى (بتشديد الدال) : الخمر (منسوب إلى المقد بتشديد الدال . وهى قرية بالأردن) ، قال صاحب القاموس : الشراب المقدى بتخفيف الدال غير المقدى بتشديد الدال ووهم الجوهرى . ولعل بشارا يريد هنا شراباً من العسل ، وسيذكر الخمر بعد ذلك فى قوله « والراح والريحان ... » واستعمال شراب العسل معروف عندهم (دون الخمر ومعها) قال منذر الثورى : رأيت محمد بن على يشرب المقدى الأصفر (يعنى شراب العسل) وذكر الزمخشرى « الراح بالضرب » ثم بين الضرب بأنه العسل الغليظ] .

(٤) الغريض (بالغين المعجمة) : اللحم الطرى ، والضهب : مصدر ضهب اللحم إذا شواه ولم يبالغ فى نضجه ، وذلك ألذ طعما ، والموجود فى كتب اللغة « ضهب » بالتضعيف . لكن التضعيف يدل على وجود المجرد [وفى اللغة : ضهبه (بفتح الهاء المخففة ، كمنعه) بالنار ، أى لوّحه (والتلويح الإحماء بالنار) والظاهر أنه أراد بقوله « يأبى جذبا » أنه يأبى اللؤم [الذى فى اللغة : الجذب : العيب والذم] أو يأبى الجذب من الخمر ، أى حريص على الشرب .

وَالعِرْقُ لَانَدْرِى إِذَا مَا انْصَبَّا ... أَضَاحِكاً يَحْكِى لَنَا أَمْ كَلْبَا(١)

يَسْجُدُ لِلْكَأْسِ إِذَا مَا صُبَّا ... كَقَارِئِ السَّجْدَةِ حِينَ انْكَبَّا(٢)

حَتَّى إِذَا الدِّرْيَاقُ فِينَا دَبَّا ... وَجَنَّ لَيْلٌ وَقَضَيْنَا نَحْبَا(٣)

رُحْنَا مَعَ اللَّيْلِ مُلُوكاً غُلْبَا ... مِنْ ذَا وَمِنْ ذَاكَ أَصَبْنَا نَهْبَا(٤)

وَحَلَبَتْ كَفِّى لِقَوْمٍ حَلْبَا ... فَلَمْ أُرَشِّحْ لِعَشِيرٍ ضَبَّا(٥)

وَرُبَّمَا قُلْتُ لِعَمْرِى نَسْبَا ... الْعَضْبُ أَشْهَى فَأَذِقْنِى الْعَضْبَا(٦)

فَالْآنَ وَدَّعْتُ الْفُتُوَّ الْحِزْبَا ... أَعْتَبْتُ مَنْ عَاتَبَنِى أَوْ سَبَّا(٧)

وَرَاجَعَتْ نَفْسِى حِجَاهَا عُقْبَا ... فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَهَبَّا(٨)

---

(١) العرق (بكسر العين) : الماء القليل تمزج به الخمر ، يقال : أعرقت الخمر [اذا جعلت فيها عرقا من الماء ، أى قليلا ، و] خمر معروقة [، بفتح الراء] وهو أحسن لكسر سورتها إذ قد وصفها من قبل بالشدة ، وعليه فيكون معطوفا على الراح والريحان والقينة فهو فى عداد محاسن مجلس شرابهم ، وقوله « لاندرى إذا ماانصبا » استئناف ؛ أى إذا صب هذا الخمر المعرق من الإبريق لاندرى بماذا نصفه: أيحكى ضاحكا أم يحكى كلبا ، أى صوتيهما .

(٢) يسجد هو أى الإبريق المفهوم من قوله « إذا ماانصبا » [ومن قوله « أضاحكا . . . » لأنهم يشبهون صوت الأباريق حينئذ بالضحك ، كقول الشاعر :

ومجلسنا فى الجو يهوى ويرتقى ... وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

وقول الآخر :

تضحك فى الكأس أباريقنا ... وحسب ما يضحكن يبكينا]

وهذا كقول ابن المعتز :

وحان ركوع إبريق لكأس ... ونادى الديك حى على الصبوح

وكتب فى الديوان « إذا ماجبا » بجيم ، وهو تحريف ، والصواب « إذا ماصبا » بصاد مفتوحة [ولكن الشارح نفسه ضبطها بصاد مضمومة] .

(٣) الدرياق بكسر الدال وتفتح من أسماء الخمر [« وقضينا نحبا » يجوز فيه أن يراد بالنحب الحاجة ، أو يراد به الوقت] .

(٤) [« غلبا » أى غلاظ الرقاب منتفخى الأوداج والأعصاب] .

(٥) « حلبت كفى » أى جادت بالعطاء ، والضب : الحقد والغضب ، هكذا كتب وضبط المصراع الأول.

(٦) العضب من أسماء السيف [نسبا : الظاهر أنه تخفيف : نسبأ ، أى : نشترى الخمر لشربها . والمعنى : أقسمت لاأشتريها ، و « لا » محذوفة بعد القسم ، ولعل « العضب » فى الموضعين من البيت محرفة عن الغصب » . ولعل « بشارا » يعكس بهذا قول مالك بن أبى كعب :

بعثت الى حانوتها فاستبأتها ... بغير مكاس فى السوام ولا غصب]

(٧) الفتو : جمع فتى ، والحزب (بكسر الحاء) يعنى حزبى ، أى أصحابى . [قلنا : فى المخطوطة : الحزبا ، بضم الحاء ، وهو الأصوب ، فالحزب جمع الحزيب ، أى الشديد . يعنى : الفتية الأشداء .]

(٨) [العقب : آخر كل شىء] أهب : نبه ، والمراد أنه نبهه من غشاوة الصبا فثاب إلى رشده .

مِنْ فِرْقَةٍ كَانَتْ عَلَيْنَا قَضْبَا أَتَى بِهَا الغَيُّ فَأَغْضَى الرَّبَّا (١)
وَمَلِكٍ يَجْبِى القُرَى لا يُجْبَى نَزُورُهُ غِبًّا ونُؤْتَى رَهْبَا (٢)
ضَخْمِ الرِّوَاقَيْنِ إذَا اجْلَعَبَّا يَخَافُهُ النَّاسُ عِدًا وصَحْبَا (٣)
كَمَا يَخَافُ الصَّيْدَنُ الأَزَبَّا صَبَّ لَنَا مِنْ وُدِّهِ واصْطَبَّا (٤)
وُدًّا فَمَا خُنْتُ ولاَ أَسَبَّا ثَبَّتَ عَهْدًا بَيْنَنَا وَتَبَّا (٥)
حَتَّى افْتَرَقْنَا لَم نُفَرِّقْ شَعْبَا كَذَاكَ مَنْ رَبَّ كَرِيمًا رَبَّا (٦)
والنَّاسُ أَخْيَافٌ نَدًى وزَبًّا فَصَافِ ذَا وُدٍّ وجَانِبْ خَبَّا (٧)

---

(١) القضب : القطع ، وقوله : « من فرقة » متعلق بأهنا ، أى أيقظنى من فرقة قطعتنا عما يرضى الله ، وقوله « فأغضى الربا » لعله أراد أن تلك الفرقة أنسته الله [قلنا : لعل « أتى » محرفة عن « أنى » أى : بلغ غايته ، والمعنى أن الغى بلغ بالفرقة منتهاه . ولعل « فأغضى » محرفة عن « فأعصى » وفى المخطوطة: فرقة ، بضم الفاء] .

(٢) يجبى : يأخذ الجباية ، وهى من شعار الملك ، قال الأعشى :

وتجبى إليه السيلحون وعنده صريفون فى جناتها والخورنق

والقرى : جمع قرية ، وهى الأرض المعدة للحرث [والغب فى الزيارة : أن تكون فى كل أسبوع مرة ، قاله الحسن ، وقال أبو عمرو : غب الرجل : إذا جاء زائراً بعد أيام] .

(٣) الرواق (بكسر الراء) : مايجعل فى متقدم البيت ومدخل القصر ، وهو سقف مرفوع على أعمدة دون حائط ويسمى فى تونس بيرطال فى الدور ، وفى المساجد مجنبة واجلعب : اضطجع .

(٤) الصيدن : الضبع [أو الثعلب ، أو دويبة تعمل لنفسها بيتاً فى الأرض وتغطيه ، أو نوع من الذباب] والأزب هو كثير شعر الوجه ، والزبب (بالتحريك) شعر الحاجبين والأذنين ، ومنه جمل أزب كثير شعر الوجه ، ولعله أراد به فى البيت الأسد لأنه كثير شعر الرأس ، وهو غريب . [والأزب من أسماء الشياطين أيضاً] . وقوله « صب ...] واصطب » أى أخذ لنفسه من ودى كما أعطانى من وده .

(٥) « أسب » الظاهر أنه قصد ما قطع السبب أى علاقة المودة فهو بمعنى ولا قطع الود ، فالهمزة للإزالة مثل أعجم الكتاب وأعذر إليه ، وبشار يرى مثل هذا يتقاس وإن كان المسموع أن يقولوا قطع السبب ، قال تعالى : وتقطعت بهم الأسباب ، وقال لبيد « وتقطعت أسبابها ورمامها » [الذى نراه أن « أسبا » محرفة عن « أشبا » (بالشين المخففة والباء المشددة) وأصلها « أشب » دون تشديد ، على وزن « أخذ » و « ضرب » ، يقال : « أشب فلان فلاناً » إذا عابه ولامه ، ولكن بشاراً شدد الباء هنا كما شدد الباء أيضا فى هذه القصيدة فى لفظ « الذهب » وسنبين ماقاله علماء النحو فى مثل ذلك] وقوله « تب » أى تمكن فى مقامه على الود ، وأصله الجلوس [مع التمكن] .

(٦) [الشعب هنا : الجمع] « رب » : استبعد [لعلها : استعبد » أو اصطنع ، وهو متعد ، وأراد بالكريم نفسه وقوله « رب » فعل قاصر [لعله متعد أيضا] أى صار ربا ، أى مالكا .

(٧) الأخياف (بالخاء المعجمة) : المختلفون فى الهيئة والأخلاق [قال الشاعر « الناس أخياف وشتى فى الشيم »] ومنه « فرس أخيف » إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء ، أى الناس يختلفون=

يَاصَاحِ قَدْ كُنْتَ زُلاَلاً عَذْبَا ثُمَّ انْقَلَبْتَ بَعْدَ لِينٍ صَعْبَا ! (١)
مَالِي وَقَدْ كُنْتُ لَكُمْ مُحِبَّا أُقْصَى وَمَا جَاوَزْتُ نُصْحًا قَضْبَا ؟ (٢)
يَاصَاحِ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي ذَنْبَا وَهَـــلْ عَلِمْتَ خَاتِقِي مُنْكَبًّا ؟
وَهَلْ رَأَيْتَ فِي خِلاَطِي عَتْبَا ؟ أَلَمْ أُزَيِّنْ تَاجَكَ الذَّهَبَّـــا (٣)
بِالبَـــاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تُحْبَى أَصَانَ فِى الحُبِّ وَجُزْنَ الخَبَّا (٤)
مِثْلَ نُجُومِ اللَّيْلِ شُبَّتْ شَبَّا أَحِينَ شَاعَ الشِّـــعْرُ وَاتْلأَبَّا (٥)

= فى الندى ، فقوله « ندى » تمييز . و « زبا » بفتح الزاى مصدر زب القربة : ملأها ، أى مختلفون فى البذل والسخاء فيه [وربما كان « زبا » محرفا عن « ذبا » (بالذال) من قولهم : « ذب البخيل سائله ذبا » أى رده وطرده طرداً ، أو من قولهم « ذب الغدير ذبا » أى جف جفافا ، ومعنى البيت : الناس مختلفون جوداً وبخلا . و « الخب » (بفتح الخاء وكسرها) الخبث الخداع الذى يسعى بين الناس بالفساد] .

(١) قوله « ياصاح » خطاب للممدوح على سبيل العتاب والتبرى مما وشى به إليه [فى كلمة « لين » لم تضبط اللام فى المخطوطة ، وضبطها الشارح بالفتح ويجوز أن تكسر] .

(٢) القضب : القطع ، والمراد به هنا الفراق .

(٣) الذهب ضبط فى الديوان بفتح الذال وفتح الهاء وتشديد الباء وهذا لا يعرف [قلنا : نعرف أن مثل « الذهب » (المخفف الآخر) قد شدد فى قافية الشعر ، وقد ورد عن العرب مثل قول بشار ، لإعطائهم الوصل حكم الوقف ، ذكر ذلك سيبويه والجرمى وابن عصفور والزمخشرى وابن يعيش والرضى وابن هشام وابن عقيل والأشمونى ، قال الرضى فى شرح الشافية (ج ٢ ص ٣١٦) « جوزوا فى القوافى خاصة بعد تضعيف الساكن أن يحركوا المضعف ، لقصد الإتيان بحرف الإطلاق ، أى الألف والواو والياء . . . »
وقد استشهد العلماء بأرجوزة بائية (تشبهها أرجوزة بشار) :

لقد خشيت أن أرى جدبّا فى عامكم ذا بعد ما أخصبّا
إذا الدبا فوق المتون دبّا وهبت الريح بمور هبّا
تترك ما أبقى الدبا سبسبّا أو كالحريق وافق القصبّا
والتبن والحلفاء فالتهبّا . . . . الخ

فى هذه الأرجوزة نرى « القصب » (وهو اسم معروف) و « التهب » (وهو فعل ماض معروف) وغيرهما مما هو مخفف الآخر فى الأصل قد شدد هنا ، وكذلك صنع بشار فى تشديد لفظ « الذهب » المعروف وفعل « أشب » السابق فى هذه الأرجوزة] .

(٤) أراد [بالباقيات] المدائح الباقيات ، و « الصالحات » جمع صالحة ، وهى النافعة ، كقوله تعالى : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً ، أى الحسنات النافعات للنفس وللناس ، وقول بشار هنا كقول الحطيئة :

كيف الهجاء ولا تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

(٥) اتلأب : استقام ، اتلئبابا وتلأبيبة (بضم التاء) .

وَنَظَرَ النَّـــــــاسُ إِلَيَّ أَلْبَا   أَبْدَلْتَنِى مِنْ بَعْدِ إِذْنٍ حَجْبَا(١)
بِئْسَ جَزَاءُ المَرْءِ يَأْتِى رَغَبَا   لَمَّـــــا رَأَيْتَ زَائِراً مُرِبَّا(٢)
بَاعَدْتَهُ وَكَانَ يَرْجُو القُـــــرْبَا   فَزَارَ غِبًّا كَىْ يُزَادَ حُبَّـــــا(٣)
كَذَلِكَ المَحْفُوظُ يَطْوِى سَرْبَا(٤)

١٥ وقال أيضاً يمدح عُقبة(*)

يَادَارُ بَيْنَ الفَرْعِ والجِنَابِ   عَفَا عَلَيْهَا عُقَبُ الأَعْقَـــــابِ(٥)
قَدْ ذَهَبَتْ وَالْعَيْشُ لِلذَّهَابِ   لَمَّا عَرَفْنَاهَا عَلَى الخَـــرَابِ
نَادَيْتُ هَلْ أَسْمَعُ مِنْ جَوَابِ   وَمَا بِدَارِ الحَيِّ مِنْ كَرَّابِ(٦)
إِلا مَطَايَا المِرْجَلِ الصَّخَّابِ   وَمَلْعَبَ الأَخْبَابِ والأَحْبَابِ(٧)

---

(١) الألب (بفتح الهمزة وبكسرها أيضاً) : الجماعة المجتمعة على الظلم والعداوة ، قال أبو براس :
وأنت على والأيام ألب .
والمعنى نظر الناس إلى فى حال كونهم ألباً ، أى مجتمعين على العداء .

(٢) « رغباً » : كتب فى الديوان بالعين المهملة وضبط بضمة على الراء ، والصواب أنه بالغين المعجمة وبفتح الراء [أو ضمها] و « مزبا » كتب بالزاى المعجمة ، والمزب الكثير المال ، كالمزيب ، ولا معنى له هنا ، والصواب أنه بالراء ، والمرب : المقيم بالمكان ، ويطلق على المحب مجازاً [ولعل المعنى الحقيق هو المراد هنا .

(٣) [« فزار غبا كى يزاد حبا » هذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم « زر غبا تزدد حبا » كما ذكره العسكرى فى مثل هذا] .

(٤) السرب (بفتح السين وسكون الراء) : الطريق ، والمحفوظ هنا من الحفيظة ، وهى الغضب ، يقال أحفظه إذا أغضبه ، وقياسه المحفظ ، والمعنى أن الغاضب يفارق الناس الذين أغضبوه ويطوى الطريق بالسير [لعل « المحفوظ » محرفة عن « المجفو » أو نحوها] .

(*) وقال أيضاً يمدح عقبة بن سلم وفيها وصف معالم البادية .
(من بحر الرجز [ولعلها من مشطور الرجز] وعروضه كضربه مقطوعة ، كالأرجوزة التى قبل هذه) .

(٥) [الفرع والجناب : موضعان ، والعقب : جمع العقبة ، وهى : النوبة أو الليل والنهار لأنهما يتعاقبان ، و « الأعقاب » لعله محرف عن « الأحقاب »] .

(٦) « كراب » بمعنى أحد ، وأصله من كرب الأرض إذا حرثها ، وهو من الأسماء الملازمة للنفى .

(٧) مطايا المرجل هى الأثافى لأن المرجل يعتلى عليها فكأنه يركبها [المرجل : القدر (بكسر القاف) ، والأثافى : الحجارة التى توضع عليها القدر ، وقد جعل بشار هذه الحجارة « مطايا المرجل » كما تكون الدواب مطايا الراكبين] . والصخاب : الكثير الغليان .

فِى سَامِرٍ صَابٍ إلَى التَّصَابِى ... كَانَتْ بِهَا سَلْمَى مَعَ الرَّبَابِ (١)
فَانْقَلَبَتْ وَالدَّهْرُ ذُو انْقِلَابِ ... ما أَقْرَبَ العَامِرَ مِنْ خَرَابِ !
وقَدْ أَرَاهُنَّ عَلَى المَثَـابِ ... يَلْهُونَ فِى مُسْتَأْسِدٍ مُجَـابِ (٢)
سَهْلِ المَجَارِى طَيِّبِ التُّرَابِ ... نَوْرٌ يُغَنِّيـهِ رُغَا الذُّبَابِ (٣)
فِى نَاضِرٍ جَعْدِ الثَّرَى كُبَابِ ... يَاْقَى التِهَابَ الشَّمْسِ بِالْتِهَابِ (٤)
مِثْلَ المُصَلِّى السَّاجِدِ التَّوَّابِ ... أَيَامَ يَبْرُقْنَ مِنَ القِبَـابِ (٥)
حُورَ العُيُونِ نُزَّهَ الأَحْبَابِ ... مِثْلَ الدُّمَى أَوْ كَمَهَا العِذَابِ (٦)
فَهُـنَّ أَتْرَابٌ إلَى أَتْرَابِ ... يَمْشِينَ زُوراً عَنْ مَدَى الحِرَابِ (٧)

---

(١) [السامر : مجلس السمر ، ويسمى من فيه سامراً أيضاً ، و « صاب » : اسم فاعل بمعنى مائل ، من « صبا إليه » إذا مال وحن إليه] .

(٢) المثاب : المسكن ، لأنه يثوب إليه ، أى يرجع ، ويلهون : فيه نون النسوة ، والواو التى فيه هى لام الكلمة ، ولم يحذف منه شىء ، بخلاف قولك : الرجال يلهون ، فالواو فيه ضمير الجماعة والنون علامة الرفع ولام الكلمة وهى الواو حذفت لالتقاء الساكنين .

[الذى نراه أن « المثاب » هنا هو الموضع الذى يثوب منه الماء ، فذلك هو الموافق لقوله « مستأسد » و « سهل المجارى » و « نور يغنيه . . . » . . . الخ ، والمستأسد هو النبت الذى طال والتف] .

(٣) [النور : الزهر ، و « رغى الذباب » : صوته ، ووقع فى المخطوطة « رغا » بدل « رغى » وقول بشار هنا قريب من قول أبى النجم فى أرجوزته الطويلة :

حدائق النور التى لم تحلل ... مستأسـدا ذبابه فى غيطل
يقلن للرائد : أعشبت انزل ... لعباً كتغريد النشاوى الـمُـيَّل]

(٤) [بين أبو هلال العسكرى « الثرى الجعد » فى ديوان المعانى (٢ ص ١٤) بقوله : « الثرى الجعد ، الذى قد كثر نداه ، فإذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه فى بعض » ، والكباب : الثرى الندى الجعد الكثير الذى قد لزم بعضه بعضا] .

(٥) [يبرقن : يظهرن فى تزينهن وتحسنهن] .

(٦) [النزه جمع نازه أو نازهة ، والنازه . العفيف البعيد عن السوء الذى لا يخالط البيوت بنفسه ولا ماله ، ولم يذكر كثير من اللغويين هذا الجمع ، لكنه معروف فى جمع « فاعل » و « فاعلة » إذا كانا وصفين صحيحى اللام . و « الدمى » : جمع دمية (بضم الدال ، والدمية : الصورة المنقشة من العاج والرخام ونحوهما وقد تنوق فى صنعتها وبولغ فى تحسينها . و « المها » : اسم جنس جمعى ، واحده : مهاة ، والمهاة : البقرة الوحشية والبلورة ، والعرب يشبهون المرأة بهما ، فإذا شبهوا المرأة بالمهاة فى البياض فإنما أرادوا صفاء لونها كالبلورة ، وإذا شبهوها بالمهاة فى العينين فإنما أرادوا البقرة فى حسن عينيها ، والتشبيه الثانى عندهم أكثر ، و « العذاب » لعله محرف عن « العداب » (بفتح العين والدال المهملتين) وهو موضع]

(٧) [« فهن أتراب » أى أمثال فى السن ، والمفردة من هذا الجمع : ترب (بكسر التاء وسكون الراء) . و « إلى أتراب » متعلق بـ « يمشين » . و « زور » : جمع زوراء . مثل « سود » جمع =

١٦

فِي ظِلِّ عَيْشٍ مُتْرَعِ الحِلابِ ... فَابْكِ الصِّبَا فِي طَلَلٍ يَبَابِ (١)
بَلْ عُدْهُ لِلْمَشْهَدِ الجَوَّابِ ... وَصَاحِبٍ يُدْعَى « أَبَا الأَبْلابِ »
قُلْتُ لَهُ وَالنُّصْحُ لِلصِّحَابِ : ... لا تَخْذُلِ الهَاتِفَ تَحْتَ الهَابِ (٢)
وانْبِضْ إِذَا حَارَبْتَ غَيْرَ نَابِ ... يَا عُقْبَ يَا ذَا القُحَمِ الرِّعَابِ (٣)
وَالنَّائِلِ المَبْسُوطِ لِلْمُنْتَابِ ... فِي الشَّرَفِ الْمُوفِي عَلَى السَّحَابِ
بَيْنَ رِوَاقِ المُلْكِ وَالحِجَابِ ... مِثْلَ الهُمَامِ فِي ظِلالِ الغَابِ (٤)
أَصْبَحْتَ مِنْ قَحْطَانَ فِي النِّصَابِ ... وَفِي النِّصَابِ السِّرِّ وَاللُّبَابِ (٥)
مِنْ نَفَرٍ مُوَطَّإِ الأَعْقَابِ ... يُرْبِي عَلَى القَوْمِ بِفَضْلِ الرَّابِي (٦)
وَأَنْتَ شَغَّابٌ عَلَى الشَّغَّابِ ... لِلْخُطَّةِ الفَقْمَاءِ آبٍ آبِ (٧)
مِنْ ذِي حُرُوبٍ ثَاقِبِ الشِّهَابِ ... إِذَا غَدَتْ مُفْتَرَّةً عَنْ نَابِ (٨)

= « سوداء » والزوراء : الناظرة بمؤخر عينيها . و « عن مدى الحراب » متعلق بـ « يمشين » فيصير المعنى : يمشين عن قرب بمقدار الحراب ناظرات بمؤخر عيونهن (والتقدير بالحربة يشبه التقدير بالرمح والقوس والسوط) .

(١) [مترع : مملوء . الحلاب : الإناء الذى يحلب فيه . يباب : خراب] .

(٢) الهاتف : الصائح ، أراد به المستنجد ، و « الهاب » زجر الخيل بصوت هاب هاب ، والمعنى : انصر الفارس .

(٣) انبض : مضارع نبض ، أى تحرك ، والمراد هنا أسرع إلى الحرب ولا تثاقل ، [لعل « انبض » محرفة عن « اقبض » أى : واقبض سيفاً غير ناب إذا حاربت ، يقال : نبا السيف عن الضريبة فهو ناب ، إذا كل وارتد عنها ولم يقطع] . وقوله « ياعقب . . . » اقتضاب إلى مدح المقصود ، والقحم (بضم القاف) جمع قحمة ، وهى (بضم القاف) : الاقتحام فى الشىء والمهلكة ، أى الاقتحام فى أمر خطير ، وكتب « الرغاب » بزين معجمة ، ولعله بعين مهملة [لعل الرغاب بالغين المعجمة جمع رغيب . وهو الواسع ، أى : قحم كبيرة واسعة] .

(٤) الهمام (بضم الهاء) من أسماء الأسد .

(٥) [النصاب : الأصل] .

(٦) « موطأ الأعقاب » أى راسخ الأقدام [لعل معنى « موطأ الأعقاب » كثير الأتباع ، فقد شرح العلماء « وطئوا عقب فلان » بـ « مشوا فى أثره » ثم شرحوا فلان موطأ العقب ، بـ « كثير الأتباع »]

(٧) الفقماء : العوجاء ، والأفقم من الأمور : الأعوج : أى العوج المجازى ، وهو الذى فيه ضرر وفساد . وقوله « آب » الثانى تأكيد للأول .

(٨) « من ذى حروب » بيان للشغاب ، أو متعلق بقوله بعد « صبحته » ... الخ ، وكتب فى الديوان « خروب » بخاء معجمة ، وهو تصحيف .

وَعَسْكَرٍ مِثْلِ الدُّجَا دَبَّابِ ... يَعْصِفُ بِالشَّيْبِ وبِالشَّبَابِ (١)

جُنْدٍ كأُسْدِ الغابَةِ الصِّعَابِ ... صَبَّحْتَهُ والشَّمْسُ فى الجِلْبَابِ

بِغَارَةٍ تَحْتَ الشَّفا أَسْرَابِ ... بِالمَوْتِ والخُرْسِيَّةِ الغِضَابِ (٢)

كالجِنِّ ضَرَّابِينَ للرِّقَابِ ... دَأْبَ امْرِئٍ لِلْوَجَلى رَكَّابِ (٣) ١٧

لارَعِشِ القَلْبِ وَلاَ هَيَّابِ ... جَوَّابِ أَهْوَالٍ عَلَى جَوَّابِ

يُزْجِى لِوَاءً كَجَنَاحِ الطَّابِ ... فى جَحْفَلٍ جَمٍّ كَعَرْضِ اللاَّبِ (٤)

حَتَّى اسْتَبَاحُوا عَسْكَرَ الكَذَّابِ ... بِالطَّعْنِ بَعْدَ الطَّعْنِ والضِّرَابِ (٥)

ثُمَّتَ آبُوا أَكْرَمَ المآبِ ... نِعْمَ لِزَازُ المُتْرَفِ المُرْتَابِ (٦)

وَنِعْمَ جَارُ العَيِّلِ السَّغَابِ ... يَهْوُونَ فى المُحْمَرَّةِ الغِلاَبِ (٧)

رَحْبُ الفِنَاءِ مُمْرِعُ الجَنَابِ ... يَلْقَاكَ ذُو الغُصَّةِ لِلشَّرَابِ

---

(١) « يعصف » أى يرى كما تعصف الريح [معنى يعصف بهم : يذهب بهم ويهلكهم] .

(٢) كتب « الشفا » بفاء بعد الشين ، والصواب أنه بباء موحدة ، جمع شباة السيف [قلنا : ربما كانت كلمة «الشفاء» غير محرفة ، فهى حرف كل شىء كالشباة . ومن معانى «الشفا» : البقية والقليل،ومنه قولهم : أشفى إذا سار فى شفا القمر ، وهو آخر الليل . فلعل المراد : تحت بقية الليل] .

(٣) « الوجلى » اشتقه بشار من الوجل ، كما اشتق الغزلى ، وأراد موضع الخوف ، وقد تقدم مافيه فى الورقة ٣ .

(٤) قوله « كجناح الطاب » لايصلح الطاب هنا لمعنى من معانيه فى اللغة . واللاب : جمع لابة ، وهى الحرة الواسعة [قلنا : من معانى الطاب أنه اسم قرية بالبحرين ، ويلاحظ أن الحرب التى يصفها بشار كانت هناك] .

(٥) أراد بالكذاب هنا سليمان بن حكيم العبدى ، من عبد القيس أهل البحرين ، وكان قد ثار على أبى جعفر ، فسير إليه عقبة بن سلم أمير البصرة ، فقتل سليمان بن حكيم وسبى أهل البحرين ، وذلك سنة ١٥١ .

(٦) التاء فى قوله « ثمت » زائدة ، تزاد مع « ثم » العاطفة ، وتزاد مع « ثم » بفتح المثلثة الذى هو اسم مكان ، وتزاد بعد « رب » . واللزاز : مايلز به ، أى يشد به ، والمعنى أنهم يكفون مهم القوم ، قال لبيد :

إنا إذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز كريهة جشامها

[قال الخطيب التبريزى : « اللزاز : الذى يلزم الشىء ويعتمد عليه فيه ، ومنه سميت الخشبة التى يشد بها الباب لزازا ؛ وهى المترس ، ولز فلان بفلان إذا لزمه »] ومثله السداد كقوله : ليوم كريهة وسداد ثغر .

(٧) أراد بالمحمرة الرايات التى بأعالى الرماح تكون محمرة من دم العدو ، والغلاب بكسر الغين . [تقول : معنى البيت : ونعم مجير المفتقرين الجياع وهم يسقطون فى محمرة الغلاب ، أى فى حال تشتد مغالبتها] .

بَلْجَ الْمُحَيَّا مُحْصَدَ الْأَسْبَابِ   يَجْرِى عَلَى الْعِلَّاتِ غَيْرَ كَابِ (١)
مُسْتَفْزِعًا جَرْىَ ذَوِى الأَحْسَابِ   مَا أَحْسَنَ الْجُودَ عَلَى الْأَرْبَابِ (٢)
وَأَقْبَحَ الْمَطْلَ عَلَى الْوَهَّابِ !   أَبْطَأْتُ عَنْ أَصْهَارِىَ الْحِبَابِ (٣)
وَالشَّهْدُ مِنَّا وَلَقَةُ الْغُرَابِ   وَأَنَا مِنْ عَبْدَةَ فِى عَذَابِ (٤)
قَدْ وَعَدَتْ وَالْوَعْدُ كَالْكِتَابِ   فَأَنْتَ لِلْأَدْنَيْنَ وَالْجِنَابِ (٥)
كَالْأُمِّ لَا تَجْفُو عَلَى الْعِتَابِ   فَأَنْضِهَا مِنْ بَحْرِكَ الْعُبَابِ
بِالنَّجْنَجِيَّاتِ مَعَ الثِّيَابِ   فَدَاكَ كُلُّ مَلِقٍ خَيَّابِ (٦) ١٨
دَانِي الْمُنَى نَاءٍ عَنِ الطُّلَّابِ   إِنِّى مِنَ الْحَبْسِ عَلَى اكْتِئَابِ
فَاخْيِمْ تَبَيَّا أَوْ تَنِيلُ مَابِي   وَلَا يَكُنْ حَظِّى انْتِظَارَ الْبَابِ (٧)

---

(١) [بلج المحيا : طلق الوجه] . محصد بمعنى قوى . والعلات (بكسر العين) : الأحوال ، أى يجيب من استنجده على كل حال ، وهذا كقول الحماسى :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم   لأية حرب أم لأى مكان

(٢) [مستفزعاً : كذا فى نسخة الديوان وفى نسخة الشارح . والرأى عندنا أنها محرفة عن : مستفرغاً . والمستفرغ : باذل غاية الجهد . وفى اللغة : المستفرغة : الخيل لا تدخر شيئاً من حضرها ، أى من عدوها وجريها] . وفى المخطوطه كتبت الجور بالراء وضبطت الجم بالفتح .

(٣) الحباب : كأنه جمع حبيب أو حب بكسر الحاء ، ولا ذكر لهذا الجمع فى كتب اللغة . ولو جعلت الكلمة « الأحباب » ما اختل بها الوزن] .

(٤) ضبط فى الديوان (الغراب) بفتح الغين المعجمة ، ولم يظهر له معنى ، والغراب بضم الغين . والولقة : من الولق وهو السرعة ، والغراب يضرب به المثل فى الاختطاف .

(٥) الجناب جمع جانب ، وهو الأجنبى ، وقد ضبطت « الجناب » فى المخطوطة وفى نسخة الشارح بكسر الجيم] .

(٦) النجنجيات بنونين وجيمين الإبل التى تتجنج عن الحوض أى ترد ، ذلك لشدة نشاطها ومرحها ، حتى أنها تغالب راعيها تريد أن تريد من الشرب ، منسوبة إلى النجنجة وهى الرد عن الماء .

(٧) تبيا : أصلها تبيا ، أى تتبين ، أو يقال : بياك الله ، أى قربك إليه وأنعمك .

وقال أيضاً يمدح ابن هُبَيرة (*)

سَلِّمْ عَلَى الدَّارِ بِذِي تَنْضُبِ ... فَشَطِّ حَوْضَى فَلِوَى قَعْنَبِ (١)
وَاسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ عَلَى رَسْمِهَا ... بَلْ حُلَّ بِالرَّسْمِ وَلاَ تَرْكَبِ
لَمَّا عَرَفْنَاهَا جَرَى دَمْعُـــهُ ... مَا بَعْدَ دَمْعِ الْعَانِسِ الْأَشْيَبِ
طَالَبْ بِسُـــعْدَى شَجَنًا فَائِتًا ... وَهَلْ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْ مَطْلَبِ ؟
وَصَاحِبٍ قَدْ جُنَّ فِي صِحَّـــةٍ ... لَا يَشْرَبُ التِّرْيَاقَ مِنْ عَقْرَبِ (٢)

(*) وقال يمدح ابن هبيرة (من بحر السريع ، وعروضه وضربه كلاهما مطوى مكشوف) .
ابن هبيرة هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، أصله من الشام ، ولد سنة سبع وثمانين ، وتوفى بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، كان جسيما طويلا ، أكولا شجاعاً ، سخيا حسوداً . وكان يلقب شيخ العرب ، ولى قنسرين فى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم ولى العراق لمروان بن محمد سنة ١٢٨ ليقاتل من بالعراق من الخوارج ، وجمع له [مروان] العراقين البصرة والكوفة ، وكانت له مواقف عظيمة فى قتال الثوار مدة مروان بن محمد وفى مقاومة أصحاب الدعوة العباسية ، فقاتل قحطبة بن شبيب الطائى صاحب الدعوة العباسية والمثنى بن عمران العائذى ومحمد بن خالد بن عبد الله القسرى وشيبان الحرورى وأبا حمزة الخارجى ، وكان مع مروان بن محمد يوم غلب على دمشق عند ظهور جيش الدعوة العباسية ، ولما غلبت الجيوش العباسية وقتل مروان خرج يزيد من الكوفة واستعصم بواسط ، ولما بويع السفاح وجه أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة بواسط ، فنزل أبو جعفر لحصار واسط ، وجرت السفراء بينه وبين يزيد بن هبيرة ، وطلب ابن هبيرة الأمان فأمنه أبو جعفر وأرسل إليه ليأتيه ، فأتاه فى فرسانه وخاصة قومه ، وبقى أياما يجالس أبا جعفر ويأكل عنده ، وقد أعجب المنصور بابن هبيرة ، ولكن أبا مسلم الخراسانى كان يغرى الخليفة السفاح بقتل ابن هبيرة ، حتى أمر بقتله مكرها ، ومن كلام ابن هبيرة للمنصور : « أيها الأمير ، إن دولتكم بكر ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها ، تصل محبتكم إلى قلوبهم ، ويعذب ذكركم على ألسنتهم » ، وكان أهل مجلسه الفقهاء ووجوه الناس وأهل البيوت ، وكان قاضيه عبد الله بن شبرمة الفقيه ، ولما قتل رثاه أبو عطاء السندى بقصيدته التى أولها :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجارى دمعها لجمود !

وهى مذكورة فى الحماسة وفى كتب البلاغة . ووالد يزيد هو عمر بن هبيرة كان أميرا على العراق من قبل يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكان مقره البصرة ، وكان يستنصح الحسن البصرى والشعبى ، كما وجدته فى مجموعة الجد الوزير ، قدس الله روحه ، نقلا عن محاضرات الحاتمى . وانظر ورقة ٢٥٩ .

(١) قعنب من أسماء الأسد والثعلب ، ولم تفهم الكلمة الثانية ولم يظهر المعنى . وحوضى (بفتح الضاد) : مكان ، انظر تفسير البيت ١ فى الورقة ٣ [قلنا : اللوى : منقطع الرمل ، يقال : قد ألويتم فانزلوا ، إذا بلغوا منقطع الرمل ، وقد يضاف « لوى » إلى غيره ليدل على موضع من المواضع ، مثل : لوى طفيل ، ولوى النجيرة ، ولوى الأرطى ، ولوى المجنون . . . الخ . و « تنضب » شجر حجازى ، وهو موضع أيضا] .

(٢) الترياق (بكسر التاء) : دواء السموم ، وقوله « من عقرب » أى من أجل عقرب ، أى من أجل سمها ، وكنى بذلك عن قوته وصلابة قلبه .

جَافٍ عَنِ الْبِيضِ إِذَا مَا غَـدَا   لَمْ يَبْكِ فِى دَارٍ وَلَمْ يَطْرَبِ (١)
صَادَيْتُهُ عَنْ مُرِّ أَخْـلَاقِهِ   بِحُلْوِ أَخْلَاقِى وَلَمْ أُشْـغَبِ (٢)
حَتَّى إِذَا أَلْقَى عَلَيْنَا الْهَوَى   أَظْفَارَهُ وَارْتَاحَ فِى الْمَلْعَبِ (٣)
أَصْـفَيْتُهُ وُدِّى وَحَدَّثْتُهُ   بِالْحَقِّ عَنْ سُعْدَى وَعَنْ زَيْنَبِ
أَقُولُ وَالْعَيْنُ بِهَا غُصَّـةٌ   مِنْ عَبْرَةٍ هَاجَتْ وَلَمْ تَسْكُبِ :
إِنْ تَذْهَبِ الدَّارُ وَسُكَّانُهَا   فَإِنَّ مَا فِى الْقَلْبِ لَمْ يَذْهَبِ
لَا غَرْوَ إِلَّا دَارُ سُكَّانِنَا   تَمْشِى بِهَا الرُّبْدُ مَعَ الرَّبْرَبِ (٤)
تَنْتَابُهَا سُـعْدَى وَأَتْرَابُهَا   فِى ظِلِّ عَيْشٍ حَافِلٍ مُعْجِبِ
مَرَّ عَلَيْنَـا زَمَنٌ مُصْعِبٌ   بَعْدَ زَمَانٍ لَيْسَ بِالْمُصْعِبِ
فَاجْتَذَّ سُعْدَى بِحَذَافِـيرِهَا   غَيْرَ بَقَايَا حُبِّهَا الْمُصْحِبِ
قَدْ قُلْتُ لِلسَّائِلِ فِى حُبِّهَا   لَمَّا دَنَا فِى حُرْمَةِ الْأَقْرَبِ :
يَا صَاحِ لَا تَسْأَلْ بِحُبِّى لَهَا   وَانْظُرْ إِلَى جِسْمِى ثُمَّ اعْجَبِ
مِنْ نَاحِلِ الْأَلْوَاحِ لَوْ كِلْتَهُ   فِى قَلْبِهَا مَرَّ وَلَمْ يَنْشَـبِ
شَـتَّانَ مَجْدُودٌ وَمَنْ جَدُّهُ   كَالْـكَعْبِ إِنْ تَرْحَلْ بِهِ يَرْتَبِ (٥) ١٩

---

(١) [البيض : يريد النساء] .

(٢) [صاديته : داريته . أشغب : أهيج الشر عليه] .

(٣) لعله « حتى إذا ألقى عليه » و « إلقاء الأظفار » استعارة تخييلية ، شبه نشوب الهوى فى فؤاده بنشوب الأظفار فى الفريسة على طريقة المكنية ، كقول أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

(٤) الغرو : العجب ، عروت . عجبت ، والربد : جمع الأربد ، وهو الذى لونه الربدة ، وهى الغبرة ، يطلق على الأسد وعلى النعام ، وأراد هنا الأسود مجازا ، أى رجال الحى . والربرب القطيع من بقر الوحش ، وأطلقه مجازا على نساء الحى أو ليستقيم العجب .

(٥) [المجدود : المحظوظ ، والجد : الحظ] . قوله « كالكعب » كذا فى الديوان ، ولعله تحريف صوابه « كالكلب » [تقول : الظاهر أن « الكعب » غير محرف ، وأن « يرتب » بفتح الياء وضم التاء (إن لم يكن للمجهول) . فقد ذكر اللغويون «رتب» مع « الكعب » لا « الكلب » فقالوا : « رتب الكعب رتوبا » إذا ثبت وانتصب ، وقالوا : « أرتب الغلام الكعب إرتابا » إذا أثبته ، وجاء فى حديث لقمان « رتب رتوب الكعب » . . . الخ ، و « الكعب » هو مايلعب به (مثل كعب النرد المسمى عندنا « الزهر ») وقد ذكر العلماء أن اللاعبين يرمون بالكعاب لينظروا أيهم يخرج فائزا ، =

أغْرَى بِسُعْدَى عِنْدَنَا فِي الكَرَى ... مَنْ لَيْسَ بِالدَّانِي ولا المُصْقِبِ (١)
مَكِّيَّــةٌ تَبْدُو إذَا مَابَدَت ... بِالمِيثِ مِنْ نَعْمَانَ أَوْ مَغْرِبِ (٢)
عُيِّقْتُ مِنْهَا حُلُمًا كَاذِبًا ... يَالَيْتَ ذَاكَ الحُلْمَ لَمْ يَكْذِبِ
وَمَلْعَبِ النُّونِ يُرَى بَطْنُهُ ... مِنْ ظَهْرِهِ أَخْضَرَ مُسْتَصْعِبِ (٣)
عَطْشَانَ إِنْ تَأْخُذْ عَلَيْهِ الصَّبَا ... يَفْحُشْ عَلَى البُوصِيِّ أَوْ يَصْخَبِ (٤)
كَأَنَّ أَصْوَاتًا بِأَرْجَائِهِ ... مِنْ جُنْدُبٍ فَاضَ إِلَى جُنْدُبِ (٥)
رَكِبْتُ فِي أَهْــوَالِهِ ثَيِّبًا ... إِلَيْكَ أَوْ عَذْرَاءَ لَمْ تُرْكَبِ (٦)

= وأن الصبيان يرمون كعبا بكعب حتى يزيله عن موضعه ، وأن المتقامرين يحيلون الكعاب في القمار ... الخ، وحظوظ الدنيا مثل الكعاب : فمن الناس محظوظ فائز ومنهم من يقف الكعب دون فوزه ولو أكثر إجالته ورميه] .

(١) المصقب : القريب ، والصقب (بالتحريك) : القرب ، وأصقب : قرب .

(٢) [تبدو : تخرج من الحضر إلى البادية ، وقوله « مكية » يشير إلى أنها حضرية ، و « الميث » (بكسر الميم) جمع ميثاء ، مثل « بيض » جمع « بيضاء » ، قال ياقوت : « ميث بكسر الميم وسكون ثانيه ، والميثاء : الرملة اللينة ، وجمعها ميث » وليس في المخطوطة ضبط الميم ، ولكن الشارح ضبطها بالفتح . و « نعمان » (بفتح النون ، كما في المخطوطة ، وكذلك ضبط في القاموس ومعجم ياقوت ، وضبطه الشارح بضم النون) : واد وراء عرفة بين مكة والطائف] .

(٣) « ملعب النون » مجرور بواو « رب » لأنه نكرة ، وقوله « ركبت في أهواله » خبر عن « ملعب » ، يدل لذلك أنه جر قوله « مستصعب » على الصفة لملعب ، وملعب النون هو النهر ، لأنه فيه يلعب الحوت أراد به الفرات حين ركبه من البصرة قاصدا الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط في خلافة مروان بن محمد .

(٤) كتب « عطشان » ولعله « غضبان » ، والبوصي : الملاح ، يريد أن الفرات إذا هبت عليه ريح الصبا اشتد على الملاح ، والإفحاش [والفحش] : مجاوزة الحد ، وهذا كقول الأعشى :

مثل الفراتي إذا ماطما ... يقذف بالبوصي والماهر

أي يرمي الملاح ويغرقه ، وقيل البوصي ضرب من السفن والزوارق ، وهو لايصلح هنا ، و « يصحب» كتب في الديوان بالحاء المهملة ، والصواب أنه بالخاء .

(٥) قوله «من جندب» صفة لموصوف محذوف ، تقديره : أصوات من جندب ، وهو المشبه به، والجندب : ذكر البوم الصغير ، أراد أن أصوات الموج بأرجاء الفرات كأصوات الجنادب إذا جاوب بعضها بعضاً ، والجندب أيضاً : الحرباء [قلنا : لعله يريد الجراد ، وقد سبق أن أوردنا مثل هذه الملاحظة] .

(٦) أراد بالثيب والعذراء السفينة ، على وجه الإلغاز ، أي ركبت سفينة مستعملة أو سفينة جديدة، فقوله « ثيبا . . . أو عذراء » تشبيه ، ودل على وجه التشبيه قوله « لم تركب » ، وكأنه أراد أنه ركب إليه من البصرة بلده إلى الكوفة مقر الأمير الممدوح .

لَمَّا تَيَمَّمْتُ عَلَى ظَهْرِهَا ... لِمَجْلِسٍ فى بَطْنِهَا الْحَوْشَبِ (١)
هَيَّأْتُ فِيهَا حِينَ خَيَّسْتُهَا ... مِنْ حَالِكِ اللَّوْنِ وَمِنْ أَصْهَبِ (٢)
فَأَصْبَحَتْ جَارِيَةً بَطْنُهَا ... مَلْآنُ مِنْ شَتَّى فَلَمْ تُضْرَبِ (٣)
لَا تَشْتَكِى الْأَيْنَ إِذَا مَا انْتَحَتْ ... تُهْدَى بِهَادٍ بَعْدَهَا قُلَّبِ (٤)
رَاعِى الذِّرَاعَيْنِ لِتَحْرِيزِهَا ... مِنْ مَشْرَبٍ غَارَ إِلَى مَشْرَبِ (٥)
إِذَا انْجَلَتْ عَنْهَا بِتَيَّارِهِ ... وَارْفَضَّ آلُ الشَّرَفِ الْأَحْدَبِ (٦)
ذَكَرْتُ مِنْ هِقْلٍ غَدَا خَاضِبًا ... أَوْ هِقْلَةٍ رَبْدَاءَ لَمْ تَخْضِبِ (٧)

---

(١) [الحوشب : العظيم المنتفخ] .

(٢) خيستها أى ذللتها وهيأتها ، وأراد أنه فرش فى بطن السفينة بسطا وزرابى ذوات ألوان للجلوس عليها .

(٣) أى فأصبحت تجرى بدون ضرب لا كما تركب الرواحل ، وقوله « بطنها ملآن من شتى » أراد أنواع الراكبين وما يتبع كل راكب ، وارتكب التورية فى لفظ « جارية » وفى قوله « بطنها ملآن » فزاد فى الإلغاز .

(٤) أى لاتشتكى التعب من السير ، وقوله « تهدى بهاد » أى يسيرها ملاح عارف متقلب فى الأمور ، والقلب : الرجل مارس الأمور وتقلب فى الأحوال .

(٥) كتب « راعى » ولعله « عارى » [والتحريز : المبالغة فى الحفظ ، وغار : ذهب فى الغور . ثم نقول : مشرب — فى الموضعين — لعله محرف عن : مسرب ، أى : مذهب فى البحر ومجرى ، ومنه قوله تعالى : فاتخذ سبيله فى البحر سربا] .

(٦) التيار : عظيم الماء وارفض بمعنى اتسع ، والآل هو السراب الذى فى أول النهار ، والشرف : الجبل المرتفع ، وذلك أن السراب يبدو للماشى فى الماء فيرى على الجبال المحيطة به أمثال المياه فى أول النهار . ومعنى انجلت عنها انجلت عن نفسها فى مكانها وتخلفها غيرها فى مكان آخر ، أى لايكاد الرائى يصدق أنها هى التى كانت فى المكان الأول ، وهذا ضرب من المبالغة المبنية على التجريد ، نحو لقيت من فلان أسدا ، [قلنا : لعل « انجلت » محرفة عن « انجلى » ، ومعنى « ارفض » : تفرق وذهب ، «وآل الشرف » : نواحى الموج العالى كالجبل ، و « الأحدب » من قولهم « حدب الموج » وهو حدوره فى صبب ، فيكون معنى البيت متصلا بما بعده : إذا انجلى الموج وتفرق عن السفينة رأيتها كذكر النعام أو كأنثاه . . . الخ]

(٧) الهقل (بكسر الهاء وسكون القاف) : الفتى من النعام ، والخاضب هو أحمر الرجلين ، وذلك أن ذكر النعام تحمر رجلاه فى آخر الربيع ، فشبهوه بالخاضب بالحناء ، قال النابغة يصف خيلا فى سرعة عدوها . « كالخاضبات من الزعر الظنابيب » (جمع ظنبوب وهو عظم الساق) والهقلة : الأنثى ، والربداء (بفتح الراء) : وصف من الربدة (بضم الراء) وهو لون بين السواد والغبرة ، وهو لون النعام ، والأنثى لاتحمر رجلاها ، ومعنى ذكرت : تذكرت هقلا ، أى تخيلت ، والمراد التشبيه .

تَصِرُّ أَحْيَانًا بِسُكَّانِهَا صَرِيرَ بَابِ الدَّارِ فِي الْمِذْنَبِ (١)
بِمِثْلِهَا يُجْتَازُ فِي مِثْلِهِ إِنْ جَدَّ جَدَّتْ ثُمَّ لَمْ تَلْعَبِ
دُعْمُوصُ نَهْرٍ أَنْشَبَتْ وَسْطَهُ إِنْ تَنْعَبِ الرِّيحُ لَهَا تَنْعَبِ (٢)
إِلَى إِمَامِ النَّاسِ وَجَّهْتُهَا تَجْرِي عَلَى غَارٍ مِنَ الطُّحْلُبِ (٣)
إِلَى فَتًى تَسْقِي يَدَاهُ النَّدَى حِينًا وَأَحْيَانًا دَمَ الْمُذْنِبِ
إِذَا دَنَا الْعَيْشُ فَمَعْرُوفُهُ دَانٍ بِعَيْشِ الْقَانِعِ الْمُتْرِبِ (٤)
زَيْنُ سَرِيرِ الْمُلْكِ فِي الْمُغْتَدَى وَغُرَّةُ الْمَوْكِبِ فِي الْمَوْكِبِ
كَأَنَّ مَبْعُوثًا عَلَى بَابِهِ يُدْنِي وَيُقْصِي نَاقِدًا يَجْتَبِي
إِذَا رَمَاهُ النَّقَرَى بِامْرِئٍ لَانَ لَهُ الْبَابُ وَلَمْ يُحْجَبِ (٥)

---

(١) سكان السفينة (بضم السين وتشديد الكاف) هو مؤخرها ، قال طرفة : كسكان بوصى بدجلة مصعد » وقوله « فى المذنب » متعلق بتصر ، والمذنب (بكسر الميم) : أسفل الوادى ، والمراد به هنا شاطىء النهر حين يقصر الماء فتسمع للسفينة صريرا كصرير الباب ، ولا جرم أن ختم أوصاف السفينة بآخر أحوالها عند مقاربة الإرساء . ولذلك قال : بعده بمثلها يجتاز فى مثله .

(٢) الدعموص (بضم الدال وسكون العين) : دودة سوداء لها رأسان تكون فى الماء القليل ، شبه السفينة بها ، وهو تشبيه بديع والنعيب صوت الريح وصوت الغراب أراد أن اشتداد الريح يجعل للسفينة صوتا فى الماء من شدة سيرها فيه .

(٣) [الغار : نوع من الشجر ، وورق الكرم ، وربما كانت كلمة « غار » — هنا — اسم فاعل ، من غراه بمعنى لزق به وغطاه] .

(٤) [دنا العيش ، أى ضعف وضاق . وفى اللغة : أدنى الرجل : عاش عيشا ضيقا : ودان : قريب .]

(٥) النقرى (بفتح النون والقاف) : الدعوة التى ينتقى لها المدعوون ، مأخوذ من انتقر بمعنى انتق لأن الطير إذا انتقر الحب انتقاه بمنقاره ، والدعوة للطعام عند العرب نوعان . الجفلى (بالتحريك) وهى التى لايختار لها المدعوون ، والنقرى وهى التى يختار لها . والكرماء يجعلون النوعين ، لأنهم يأدبون للسادة وللعامة ، وكانوا يتمدحون بالجفلى ، قال طرفة .

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

وقوله « رماه » هكذا ولعل الصواب « رمته » أو أراد يوم النقرى [أو أنه لم يؤنث الفعل لأن الفاعل مجازى التأنيث مفصول من الفعل ، أو الفاعل ضمير عائد على « مبعوثا » . والنقرى مفعول مطلق] وإنما وصف مأدبة الممدوح هنا بالنقرى لأنه كان أميراً ، فلا يزوره إلا خاصة الناس ، فقد صارت مدحا لأمثاله بحسب العادة ، لدلالته على أنه محجب بعيد عن الناس ، وهذا لاينافى أن يكون يطعم الفقراء فى غير مآدبه الخاصة ، كما قال فيما تقدم فى مدح عقبة : « عقبة الخير مطعم الفقراء » . =

دَأَبْتُ حَتَّى جِئْتُـــهُ زَائِراً ثُمَّ تَعَنَّيْتُ وَلَمْ أَدْأَبِ (١)
مَا انْشَقَّتِ الْفِتْنَةُ عَنْ مِثْلِهِ فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَلَا مَغْرِبِ (٢)
أَطَبَّ لِلـــدِّينِ إِذَا رَنَّقَتْ عَيْنَاهُ مِنْ طَاغِيَـــةٍ مُجْرِبِ (٣)
أَلْقَى إِلَيْهِ « عُمَرٌ » شِيمَةً كَانَتْ مَوَارِيثَ أَبٍ عَنْ أَبِ (٤)
قَوْدَ الْمَطَايَا بِعَمَى مَارِقٍ عُوتِبَ فِي اللهِ فَلَمْ يُعْتِبِ (٥)

= انظر البيت ٢٣ من الورقة ٤ ، وقوله « بامرىء » أى من غير أهل النقرى ، أى ضعيف غير مدعو للنقرى لم يحجبه عنها ، وبذلك تم له المدح .

[قلنا : لعل المراد أنه متى وقع الاختيار على امرىء لان له الباب ولم يحجب وكأن بشارا يريد أن مجيئه إلى الممدوح كان بطريق النقد والاجتباء والاختيار من الممدوح له ؛ ولا نرى داعياً لتكلف « الجفلى » هنا ، وإن كانت مما يتمدح به فى غير هذا المقام]

(١) تعنيت — هنا — قصدت] .

(٢) « ماانشقت الفتنة عن مثله » أى لاتنتهى الفتنة ولا تزول إلا به ، وليس غير يقوم مقامه فيها رأيا وشجاعة ، وهذا كقوله فى البيت ١١ من الورقة ٤ : « مالكى تنشق عن وجهه الحرب ... الخ » . وقد أشار بشار إلى مواقف الممدوح فى نصر الدولة الأموية ومحاربته الخوارج عنها مثل قحطبة وغيره .

[قلنا : لعل المقصود أن الفتنة لم تخرج رجلا مثله فى شجاعته وحسن بلائه] .

(٣) « أطب » منصوب على الحال من الضمير المجرور فى قوله « مثله » ، ورنق البصر : ضعف . والطاغية: الطاغى الشديد فى الباطل . ومجرب (بالجيم) بمعنى ذى الجرب ، والجرب إذا أصاب العين يضعف بصرها . جعل الخوارج وأهل الباطل مفسدين للدين على طريق التخيلية ، إذ شبه الهيئة الحاصلة من ضررهم للدين بالهيئة الحاصلة من عدوى أجرب البصر لذى البصر الصحيح ، وجعل مقاومة الممدوح إياهم وذبه عن الدين كمعالجة الطبيب لذى الجرب والرمد ، وقد أشار بهذا إلى موقف يزيد بن هبيرة فى نصر الخلافة والذب عن الحوزة ، أيام اختلال الأمور بظهور الخوارج والفتن فى اخر الدولة الأموية من سنة ١٢٦ ، مثل خروج سليمان بن هشام بن عبد الملك على يزيد بن الوليد بعمان ، وخروج أهل حمص ، وخروج أهل فلسطين ، وظهور الخوارج بالعراق ، وظهور شيعة بنى العباس ، وهؤلاء كلهم الذين قاتلهم اليزيد بالعراق وبواسط وفى خراسان .

(٤) أراد بعمر أبا الممدوح وقد تقدم ذكره .

(٥) « قود المطايا » بدل من « شيمة » فى البيت قبله ، أى قود الجيوش ، وقود المطايا فى لسان العرب بمعنى خروج الجيوش ، قال النابغة :

مخافة عمرو أن تكون جياده يقدن إلينا بين حاف وناعل

وقوله « بعمى مارق » كتب بالزاى فى الديوان ، والمأزق (بكسر الزاى) : مضيق الحرب ، والعمى : استبهام الأمر ، أى قود الجيوش للمأزق الذى لايهتدى فيه الناس إلى مايصنعون ، والظاهر أن « مازق » تحريف ، وأن صوابه « مارق » بالراء ، والمارق هو الخارج عن الملة ، والعمى حينئذ هو الضلال ، أى يسوق الجيوش بسبب ضلال مارق ، وبذلك يستقيم موقع المصراع الثانى ، فيكون صفة لمارق ، أى لام أهل الحق هذا المارق ووعظوه ، و « فى » للتعليل ، أى لأجل الدين ، فلم يرعو عن مروقة . يقال : أعتب إذا عمل بالعتاب ، وقد أشار بشار إلى ماهو المعروف فى أحكام الإسلام من تقديم الاستتابة قبل =

إنَّ يَزِيداً فَاذْنُ مِن بَابِهِ ... فِي الضِّيقِ إنْ كَانَ أَوِ المَرْحَبِ
أَجْدَى عَلَى النَّاسِ إِذَا أَمْحَلُوا ... يَوْمًا وَأَكْفَى لِلثَّأَى المُنْصِبِ (١)
دِعَامَةُ الأَرْضِ إِذَا مَا وَهَتْ ... سَمَاؤُه عَنْ لَاقِحٍ مُقْرِبِ (٢)
الجَالِبُ الأُسْدَ وأَشْبَالَهَا ... يَزُرْنَ مِنْ دُورَيْنِ فِي المَجْلَبِ (٣)
بِعَسْكَرٍ ظَلَّتْ عَنَاجِيجُهُ ... فِي القَوْدِ مِنْ طِرْفٍ ومِنْ سَلْهَبِ (٤)
مَجْنُوبَةَ العَصْرَيْنِ أَوْ عَصْرَهَا ... بِسَيْرٍ لَا وَانٍ وَلَا مُتْعَبِ (٥)

— قتال المحاربين والمرتدين ونحوهم . وعلى ماق أصل الديوان يكون المصراع الثانى استئنافا لبيان تصميم الممدوح ، أى عاتبه المعاتبون على قتال الأعداء ، فتكون « فى » للظرفية المجازية ، كما فى قوله تعالى : يجادلنا فى قوم لوط ، وقوله : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، أى شأنهم ، وقول الحديث : مر على رجل من الأنصار يعاتب أخاه فى الحياء ، أى فى شأن الحياء ، أو على الحياء . والمراد بالعتاب فى الله : العتاب فى دين الله أو خلافته ، فلا بد من تقدير مضاف من باب دلالة الاقتضاء ، وهكذا كل فعل تعلق بذات وليس من شأنه أن يتعلق بالذوات ، نحو : حرمت عليكم الميتة .

ومعنى لم يعتب : [لم يزل عتاب العاتبين ولم يؤثر رضاهم] .

(١) [« أجدى على الناس » خبر « إن يزيدا » فى البيت السابق ، وما بينهما اعتراض ، والظاهر أن « أجدى » هنا : اسم تفضيل ، يقال : جدا فلان على فلان : أذا أعطاه الجدوى ، أى العطية ، وكذلك يقال : أجداه ، وأمحلوا : أصابهم الجدب والشدة . والثأى : الأمر العظيم الذى يقع بين القوم ، ويطلق « الثأى » على مايكون فيه فساد وخرم ، والمنصب : المتعب المعيي] .

(٢) [« وهت سماؤه عن . . . . » أى انشقت وانبثقت عن حرب ، كما يقال « وهت عزالى السماء بمائها » و « وهى السحاب » أى انبثق بالمطر . و « لاقح » و « مقرب » هنا صفتان للحرب التى تنشق عنها سماء الممدوح ، يقال « حرب لاقح » وذلك على المثل بالأنثى الحامل ، وكذلك قال « مقرب » على المثل بالحامل التى قربت ولادتها . ولاقح بالقاف فى المخطوطة ، ولكن الشارح كتبها بالفاء] .

(٣) « الأسد وأشبالها » استعارة لكهول الشجعان وشبابهم . ودورين (بفتح الدال المهملة) اسم بلد ، سمى بصيغة المثنى ، فلذلك يجرى على لفظه فى مواقعه على حكم إعراب المثنى [قلنا : فى المخطوطة ضبطت « دورين » بضم الدال ، وفى القاموس وشرحه « دوران » بالضم : موضع خلف جسر بالكوفة] . وكتب « يزون » [فى المخطوطة] ، ولعله « يزأرن » .

(٤) العناجيج جمع عنجوج (كعنقود) هى جياد الخيل ، والقود [نقول : هو بفتح القاف ، مصدر قاد الخيل قوداً وقيادة ومقادة ، ويطلق « القود » بفتح القاف أيضاً على الخيل التى تقاد بمقاودها ولا تركب وتكون معدة لوقت الحاجة إليها ، يقال : هذه قود فلان القائد ، وما ذكرناه من فتح القاف فى « قود » هو المضبوط فى المخطوطة ، ولكن الشارح ضبطه بضم القاف] جمع الأقود ، وهو طويل العنق ، والطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل ، والسلهب من الخيل : ما عظم وطالت عظامه .

(٥) مجنوبة اسم مفعول جنبه جنباً (بالتحريك) أى قاده سائراً إلى جنبه ، وذلك أن الخيل تنقاد لا يركبون عليها لئلا يتعبوها ، لأنها تساق إلى ميدان الحرب فيركبها الفرسان حين الحرب . والعصران : =

يَتْبَعْنَ مَخْــذُولاً وَأَشْيَاعَهُ ... بالعَــيْنِ فالرَّوْحَاء فالمَرْقَبِ (١)
حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَنَّ مِن كَبْوَةٍ ... وَكُنَّ مِنْــهُ لَيْلَةَ المِذْبِ (٢)
خَرَجْنَ من سَــوْدَاء فى غِرَّةٍ ... يَرْدِينَ أَمْثَالَ القَنَا الشُّرَّبِ (٣)
لَمَّا رَأَوْا أَعْنَاقَهَا شُرَّعًا ... بالمَوْتِ دُونَ العلَقِ الأَغْلَبِ (٤)
كَانُوا فَرِيقَيْنِ فَمِنْ هَارِبٍ ... ومُقْعِسٍ بالطَّعْنِ لَمْ يَهْرُبِ (٥)
مِثْل الفَزَارِىِّ الَّذِى لَمْ يَزَلْ ... جَــدَاهُ يَكْفِى غَيْبَةَ الغُيَّبِ (٦)
أَنْزَلْنَ عَبْدَ اللهِ مِن حِصْنِهِ ... إِذْ جِئْنَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَرْهَبِ (٧)
وانْصَعْنَ لِلْمَخْدُوعِ عَنْ نَفْسِهِ ... يُذُقْنَ ما ذَاقَ فَلَمْ يُصْلَبِ (٨)

= الليل والنهار ، وقوله : « أو عصرها » أو يسيرون بها فى أحد الوقتين إذا اشتد الحر . وقوله : « بسير » اسم مجرور بالباء ، ووقع فى النسخة [يسير] فعلا مضارعا ، وهو تحريف . وقوله : « لا وان ولا متعب » اسمان مضاف إليهما سير ، وقد جعلت « لا » جزءا من الكلمة على حد « إنها بقرة لا فارض ولا بكر » وقول النابغة :

وشيمة لاوان ولا واهن القوى ... وجد إذا خاب المفيدون صاعد

ويجوز أن تجعل « لا » بمعنى غير ، فتكون مضافة لوان ومتعب .

(١) أراد بالمخذول المثنى بن عمران العائذى عامل الخوارج على العراق ، إذ لاقاه ابن هبيرة بعين التمر فهزمه ، وهى مراد بشار بالعين ثم لحق به وبجمعه فى جهات متعددة لعلها هى التى أرادها بشار بقوله « فالروحاء فالمرقب » وذلك سنة ١٢٩ .

(٢) [استيقن : ضبطت فى المخطوطة وفى نسخة الشارح بفتح النون دون تشديد] .

(٣) يردين ، أى يمشين الرديان ، وهو بين العدو والمشى ، وفعله ردى (كرمى) ، والشرب : جمع شاربة ، وهى الفتاة التى شربت الماء حتى استكملت وغلظت وصحت . [قلنا : ربما كانت « الشرب » محرفة عن « الشزب » بالزاى وهى الضامرة اليابسة] .

(٤) [شرعا : رافعة الرءوس ، والعلق : الدم .] .

(٥) [مقعس : لعل الصواب : مقعص ، بفتح العين بعدها صاد ، وهو المقتول مكانه لا يستطيع الهرب]

(٦) قوله « الفزارى » هو ابن هبيرة . وموقع هذا البيت فى غير هذا الموضوع من القصيدة ، فينبغى أن يضم إلى الأبيات التى فيها صفات الممدوح .

(٧) الضمير من « أنزلن » للعسكر ، [لعله راجع إلى الخيل والمراد فرسانها] أراد بعبد الله : عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكان من عمال بنى أمية على العراق ، ثم خرج بعد بيعة مروان بن محمد ، واعتصم بواسط ، فسار إليه ابن هبيرة ، وأخذه أسيرا فحبسه (انظر الورقة ٢٣٤) .

(٨) أراد بالمخدوع عن نفسه : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فإنه كان من المطيعين لمروان بن محمد ، فلما خرج مروان من الرصافة قاصدا قرقيسيا ليلحق بابن هبيرة عامله هناك فيقاتلا الضحاك استأذن سليمان مروان ، أن يقيم بالرصافة فيستريح مدة ويلحق به ، فهنالك أتاه جماعة من المخالفين فى جند مروان ، وحسنوا له خلع طاعة مروان . وقالوا له أنت أولى منه بالخلافة ، فأجابهم ونزل بقنسرين ودعا أهل الشام ، =

وَلَوْ تَرَى الأَزْدِىَّ فى جَمْعِهِ   كَانَ كَضِلِّيلِ بَنِى تَغْلِبِ (١)

أَيَّامَ يَهْزُزْنَ إِلَيْهِ الرَّدَى   بِكُلِّ مَاضِى النَّصْلِ وَالثَّعْلَبِ (٢)

حَتَّى إِذَا قَرَّبَهُ حَيْنُهُ   مِنْهَا وَلَوْلَا الحَيْنُ لَمْ يَقْرُبِ (٣)

خَاضَ ابْنَ جُمْهُورٍ وَلَوْ رَامَهَا   مُطَاعِنُ الأُسْدِ عَلَى المَشْرَبِ (٤)

= فأجابوه ، ورجع إليهم مروان يقاتلهم قتالاشديداً ، وقتل جماعة من قرابة سليمان وذوى رحمه ، وصار سليمان ينتقل من موضع إلى آخر فرارا من مروان ، ومروان يلحقه إلى أن لحق فى آخر الأمر بعبد الله ابن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وفى أثناءهاته الحوادث ذاق سليمان الأمرين ، وقتل ابن أخيه بمرأى من سليمان ، قطعت يداه ثم ضربت عنقه ، ثم كان من آخر أمر سليمان أن ركب البحر إلى السند ، فبقى هناك إلى ظهور الدعوة العباسية ، وذلك بين سنة ثمان وعشرين وتسع وعشرين ومائة ، فلذلك قال بشار : وانصعن للمخدوع عن نفسه (وسيأتى ذكر سليمان فى الورقة ٦٩ مفصلا) وقد ضبط «يذقن» بفتح الياء وضم الذال ، والظاهر أنه بضم الياء وكسر الذال ، أى يذقنه ماذاق . وقوله « فلم يصلب » ضبط بضم الياء ، فالمعنى أنه نجا إذ فر إلى السند ولولا ذلك لصلب ، ويحتمل أن يكون بفتح الياء وضم اللام أى فلم يقو ويشتد ، بل هزم ووهن بالفرار .

(١) الأزدى هو أبو حمزة بلج بن عقبة وربما سموه المختار بن عوف الأزدى البصرى الخارجى من الإباضية ، كان فيمن خلع طاعة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وكان يوافى مكة كل عام فى الموسم يدعو الناس إلى الخروج على مروان ، وكان يطوف على أحياء العرب يدعوهم للخروج ومتابعته ، إلى أن ورد حضرموت وبايع هنالك لرجل من حضرموت يقال له : عبد الله بن يحيى الحضرمى الملقب بطالب الحق ، كان مطاعا فى قومه ، ولقبوه بطالب الحق ، ثم دخل أبو حمزة المدينة فوجه إليه مروان عبد الملك بن عطية السعدى ، فندب جيشا لقتاله من قومه ، منهم أبو وجزة مولى بنى سعد القائل :

قل لأبى حمزة هيد هيد   أتاك بالعادية الصنديد

فقاتله هنالك حتى قتل أبو حمزة ، وكفى الله المسلمين شره ، وقوله « كضليل بنى تغلب » أراد به امرأ القيس ، وهو الملقب بالملك الضليل ، بوزن سكين . لأنه ضل له ملك أبيه ، ولم يزل فى طلبه فلم ينله حتى مات ، فلعل هذا وجه التشبيه ، وإنما أضافه إلى بنى تغلب لأن بنى تغلب أخواله ، وهم الذين استنصر بهم ؛ ووقع فى النسخة « بنى ثعلب » بالثاء المثلثة ، وهو تحريف .

[قلنا : ذكر الشارح فى أول هذا التعليق أن بلج بن عقبة ربما سموه المختار بن عوف ، وفى مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٠٣) : « ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى ؛ وبلج بن عقبة الأزدى ، وهما فيمن معهما يدعون . . . الخ » فهذا يدل على أنهما اثنان] .

(٢) الثعلب : طرف الرمح الداخل فى السنان .

(٣) قوله « حتى إذا قربه حينه » الحين (بفتح الحاء) : الهلاك ، وحذف جواب « إذا » لظهوره أى قتل بأدنى وقعة ؛ كما حذف فى قوله تعالى : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ... الآية ، ونكتة حذف الجواب فى مثله التهويل أو التعظيم .

(٤) الضمير فى « خاض » عائد على جيش الممدوح ، أو على الممدوح نفسه ؛ و « ابن جمهور » مفعول . والتقدير : خاض قتال ابن جمهور ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ؛ كقوله تعالى : واسأل القرية ؛ أى أهلها ، وقول حسان : =

وَزُرْنَ شَيْبَانَ فَنَامَتْ بِهِ عَيْنٌ وَلَمْ تَأْرَقْ عَلَى مُذْنِبِ (١)
أَجْلَى عَنِ الْمَوْصِلِ مِنْ وَقْعِهَا أَوْ خَرَّ مِنْ خُنْحُوشِهَا الْمُطْنِبِ (٢)
هُنَاكَ عَادَ الدِّينُ مُسْتَقْبِلاً وَانْتَصَبَ الدِّينُ عَلَى الْمَنْصِبِ (٣)

= يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

أى ماء نهر بردى ، وهو نهر دمشق . وابن جمهور هو منصور بن جمهور ، كان أولاه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك عاملا على العراق وعلى خراسان فى سنة ست وعشرين ومائة ، وتركه شهراً ، ثم صرفه عن العمل ، وأولى بعده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسكن منصور بن جمهور الشام ، ولم يوله مروان بن محمد مدة خلافته ولاية ، فكان منصور بن جمهور مع الخوارج الذين خرجوا على بنى أمية ، فبايعهم منصور سنة ١٢٧ ، وأغرى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالخروج ، ولما نزلت الخوارج لقتال يزيد بن هبيرة الممدوح بعين التمر كان منصور معهم ، ثم كان معهم فى واقعة الموصل سنة تسع وعشرين ومائة ، وإلى ذلك أشار بشار بهذه الأبيات ، ثم صار منصور عاملا لأبى العباس السفاح على السند فى عام ١٣٢ . و « مطاعن الأسد » فاعل «رامها» ، وجواب «لو» محذوف ، كقوله تعالى : ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ... الآية ، فلم يذكر للو جوابا ، وقد مرت نكتة ذلك آنفاً ، والتقدير هنا لخاس إليه وظفر به ، و « مطاعن الأسد » لم يرد به شخصاً معينا ، بل أراد الجنس ، ويجوز أن يريد به بشر بن عوانة المعروف بقتال الأسود ، وهو صاحب القصيدة :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

أو أراد عروة السباع الذى كان يصيح بالأسد يزجره فيموت الأسد فيشق بطنه فيوجد قلبه زال عن موضعه ، وفى أحاديث العرب أساطير كثيرة عمن قاتلوا الأسد ، مثل ماذكره الجاحظ فى المحاسن والأضداد عن جحدر بن مالك الحنفى وقتله الأسد المحبوس بمرأى من الحجاج بن يوسف ، وعرب بادية تونس يتسامرون بمثل هذه الأخبار ، وممن كان يؤثر عنه أنه قتل الأسد الناصر المسعودى البوبكرى وهو أخو الكاتب الشاعر الشيخ محمد الباجى المسعودى رحمه الله .

(١) هو شيبان بن عبد العزيز أبو دلف الحرورى من الخوارج ، كان رئيس الخوارج ، بعد الخيبرى، وكان سليمان بن هشام معه ، فنزل الموصل لقتال مروان ، فهزمهم مروان ، وانضم إليه ابن هبيرة ، فأجلى الخوارج عن الموصل ، وهو ماأشار إليه بشار بالبيت بعده ، ولحق شيبان بفارس ، ثم خرج إلى عمان ، فقتله هنالك جلندى بن مسعود الأزدى عامل بنى أمية سنة ١٣٤ ، وهو معنى قوله فنامت به عين ، أى لم ينظر شيبان فى الأمور فنامت عين بصيرته عن الحذر ، وقوله «ولم تأرق على مذنب » يريد أن المذنب يقع فى سوء عواقب ذنبه فيعمى الله بصيرته حتى يؤخذ ، وهذا عكس البر إذ تكون له عين ساهرة ، كما قال النابغة :

فلما وقاها الله ضربة فأسه وللبر عين لاتغمض ناظره

(٢) الخثحوث بخاء مضمومة ثم ثاء مثلثة ثم حاء مهملة ثم واو فثاء مثلثة هو الكثير السريع ، وأراد به الجيش ، ووقع فى النسخة بجيم بعد الثاء الأولى ، وهو تحريف ، إذ لاوجود له [قلنا : والمطنب (بكسر النون) : اسم فاعل من قولهم : أطنب فى عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة ، أو من قولهم : أطنبت الإبل ، إذا اتبع بعضها بعضــا فى السير ، وقد ضبط الشارح « المطنب » بفتح النون ، ولم تضبط النون فى المخطوطة] .

(٣) أراد أن يزيد خضد شوكة كل الخارجين عن الخلافة وأسقطهم واحدا بعد واحد ، فعاد أمر جامعة المسلمين ، وتم الأمر لبنى أمية ، وكذلك كان . إلا أن أمر بنى أمية اختل إثر ذلك بظهور الدعوة =

وَعَاقِدِ التَّـــاجِ عَلَى رَأْسِهِ ... يَبْرُقُ وَالبَيْضَةُ كَالكَوْكَبِ (١)

لاَ يَضَعُ اللأْمَةَ عَنْ جِلْدِهِ ... وَمَحْمَلَ السَّيْفِ عَنِ المَنْكِبِ

٢١ جَــلاَّبُ أَتْلاَدٍ بِأَشْيَاعِهِ ... قُلْتُ لَهُ قَوْلاً وَلَمْ أَخْطُبِ (٢)

لَوْ حَلَبَ الأَرْضَ بِأَخْلاَفِهَا ... دَرَّتْ لَكَ الحَرْبُ دَمًا فَاحْلُبِ (٣)

يَـٰأَيُّهَا النَّـــازِى بِسُلْطَانِهِ ... أَدْلَلْتَ بِالحَرْبِ عَلَى مِحْرَبِ (٤)

الغَىُّ يُعْدِى فَاجْتَنِبْ قُرْبَهُ ... وَاحْذَرْ بُغَى مُعْتَزِلِ الأَجْرَبِ (٥)

= العباسية ، وقوله «مستقبلا» كناية عن النجاح ، لأنه يقال: أدبر واستدبر ، إذا ساءت حاله ، فكذلك يقال : أقبل وأمر مقبل وأمر فى إقبال ومستقبل (بكسر الباء) إذا حسنت حاله . وقوله « وانتصب الدين » أى ظهر وقوى ، لأن الانتصاب من القوة ، كما يقال قام الأمر إذا قوى وظهر ، يقال قامت السوق إذا غلت أسعارها ، وقامت الحرب : اشتدت . وقام الملك أى غلب وظهر ، قال جزء بن كليب الفقعسى :

غذا الناس مذ قام النبىء الجواريا

والانتصاب فى معنى القيام [قلنا : وقد يكون «انتصب» بمعنى : ارتفع ، والمنصب: المقام والعلو والرفعة]

(١) الواو لعطف الجملة ، وعاقد التاج مبتدأ ، وقوله فى البيت الثالث « قلت له » هو الخبر .

(٢) [الأتلاد : كل مال قديم . وقد يكون المراد بالأتلاد — هنا — بطون عبد القيس] قوله : « ولم أخطب » أى ليس فى قولى خطابة ، بل هو حقيقة [قلنا : لعل الصواب : ولم أحطب بالحاء المهملة ، أى لم أخلط فى كلامى . ومثله قول بعضهم — كما فى عيون الأخبار ج ١ ص ٢٩ — : إن القاش لك الحاطب عليك من مد لك فى الاغترار . اهـ] .

(٣) [الأخلاف : جمع خلف (بكسر الخاء وسكون اللام) وهو ضرع الناقة أو حلمة الضرع . والمجاز فى در الحرب وحلبها يشبه المجاز فى در الرزق فى قولهم : «أدر الله لك أخلاف الرزق »] .

(٤) خاطب كل من همت نفسه بالخروج عن طاعة ابن هبيرة ، فهو خطاب لغير معين ، نحو « ولو ترى إذ المجرمون » والنازى : اسم فاعل من نزا ينزو نزوا ونزوانا ، إذا وثب ، وأصله أن يتعدى بعلى ، لكنه عداه بالباء لما ضمنه من معنى الواثب المستخف بسلطان الممدوح [قلنا: وربما كانت الباء فى قوله « بسلطانه » للسببية ، ومعنى « السلطان » القدرة ، أى أنه ينزو بسبب مايظنه فى نفسه من القدرة التى جعلها أتباعه له، لذلك يدل بالحرب] والإدلال : الجرأة الناشئة عن إعجاب صاحبها بنفسه واعتقاده الفواق على غيره فى شىء فلا يتوخى فى معاملته الصواب والحزم ، فمنه يقال : دل عليه : انبسط واستخف ، وأدل على أقرانه : أخذهم من فوق . والمحرب (كمنبر) : الشجاع ، جعله كالآلة للحرب ، وهذا كقولهم : مسعر حرب ومحش حرب [قال الفيروزابادى : رجل محرب ومحراب : شديد الحرب شجاع . وقال الصاغانى : رجل محراب ومحرب : صاحب حرب . وقال ابن الأثير : (حديث على رضى الله عنه « فابعث عليهم رجلا محرابا » أى معروفا بالحرب عارفاً بها ، وهو من أبنية المبالغة ، ومنه حديث ابن عباس : مارأيت محربا مثله) .]

(٥) أراد أن هؤلاء الخارجين كان يتابع بعضهم بعضا غرورا ، فحذر المخاطب غير المعين من أن يصغى لمن يغره ، فإن الغى والضلال يعدى فيوقع المهدى فى الغى ، وهذا من عدوى الأخلاق ، وقال أبو تمام فى عدوى الفضائل : =

أَنْهَاكَ عَنْ عَاصٍ عَدَا طَوْرَهُ ... وأَلْهَبَ القَصْدَ عَلَى المُلْهَبِ (١)
لاَ تَعْجَلِ الحَرْبَ لَهَا رَحْبَةٌ ... تُغْضِبُ أقوامًا وَلَمْ تَغْضَبِ (٢)
إِنْ سَرَّكَ المَوْتُ لَهَا عَاجِلاً ... فاسْتَعْجِلِ المَوْتَ وَلاَ تَرْقُبِ (٣)
مَاأُحْرِمَتْ عَنْكَ خَطَاطِيفُهُ ... فَارْقَ عَلَى ظَلْعِكَ أَوْ قَبْقِبِ (٤)
إِنَّ الأُلَى كَانُوا عَلَى سُخْطِهِ ... مِنْ بَيْنِ مَنْدُوب وَمُسْتَنْدِبِ (٥)
لَمــاَّ دَنَا مَنْزِلُهُ أَطْرَقُوا ... إِطْرَاقَةَ الطَيْرِ لِذِى المِخْلَبِ (٦)

= ولو لم يزعني عنك [للحلم] وازع ... لأعديتني بالحلم ، إن العلا تعدي

والبغى (بضم الباء والقصر) : مصدر بغيته أبغيه ، بمعنى طلبته ، ومعتزل : محل اعتزاله ، أى محل إبعاده عن الإبل ، فإنه قد يحل فيه البعير فيجرب ، ومن شعر العرب : « تعدى الصحاح مبارك الجرب »

(١) [عدا طوره : جاوز حده . والملهب (بكسر الهاء) : مهيج غيره ، والملهب (بفتح الهاء) : المقصود بالتهييج . والمعنى على الفتح : أنهاك عن متابعة عاص جاوز حده واجتهد فى إثارة الناس . وربما كان الملهب بكسر الهاء وألهب فعل أمر ، والمراد بالقصد الاعتدال ، والمعنى : قابل التهييج باعتدال] .

(٢) الكلمة الأخيرة من المصراع الأول غير واضحة ولعلها « رجة » براء وجيم ، أى لاتعجل الى الحرب فإن لها اضطرابا ، أو هى « رحبة » أى متسع [قلنا أو هى : رجفة ، ولعل المراد هنا بالرجفة التهيؤ والاستعداد للحرب ، كما فى القاموس . والأظهر أن تكون « الحرب » مرفوعة فى قوله : « لاتعجل ، الحرب لها رجفة »] .

(٣) [لاترقب : لاتنتظر] .

(٤) « أحرمت » بضم الهمزة مبنيا للمفعول ، أى ماجعلت خطاطيفه ممنوعة عنك ، يقال : أحرم الشىء : جعله حراماً ، ووقع فى الديوان بفتح الهمزة ، وخطاطيفه نائب فاعل ، جمع خطاف ، وهى أعواد معوجة تناط بالحبال ليجذب بها الدلاء من البئر ، وأراد بها أسباب الموت ، وهى الجيوش والعدة . وقوله: « ارق على ظلعك » مثل جاء على ألفاظ كثيرة : قالوا : أربع على ظلعك وق على ظلعك (أمر من وقى) وارق على ظلعك (بفتح القاف وبكسرها) وارق على ظلعك أن يهاض وارقأ على ظلعك (بهمزة فى آخره) وكلها تفيد معانى متقاربة ، والذى أراد بشار بها هو أن يكون « ارق » فعل أمر من رقى يرقى ، إذا صعد السلم ونحوه ، والظلع : العرج ، والمعنى ارق رقيا مناسباً لعرجك ولا تتجاوز حدك ، يضرب مثلا للذى يريد أن يتجاوز حده إلى ما لايطيق . وقوله « قبقب » [فعل أمر] من قبقب إذا هذر وكذب ؛ يقول : ضع نفسك عند حدها أو كن كذابا لايعبأ بالفخر الكاذب ؛ أى خذ لنفسك ماتريد منهما ؛ فإن كليهما لايضر الممدوح .

(٥) [سخطه : كراهته والغضب عليه . والمندوب : المدعو للأمر ؛ والذى وجهه النادب إلى الحرب . ولعل المراد بالمستندب طالب الدعوة إلى الحرب ؛ ولم نره فى كتب اللغة] .

(٦) [منزله : مكان نزوله] .

وقال أيضاً (*) :

يَامَالِكَ النَّاسِ فِي مَسِيرِهِمُ وَفِي الْمُقَامِ الْمُطِيرِ مِنْ رَهَبِهْ (١)
لاَ تَخْشَ غَدْرِي وَلاَ مُخَالَفَتِي كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ إِلَى حَسَبِهْ (٢)
كَشَفْتَ عَنْ مَرْتَعٍ دُجُنَّتَهُ عَوْدًا وَكُنْتَ الطَّبِيبَ مِنْ وَصَبِهْ (٣)
وَلَسْتَ بِالْحَازِمِ الْجَلِيلِ إِذَ أُغْتَرَّ وَلاَ بِالْمُغْتَرِّ فِي نَسَبِهْ (٤)
وَرُبَّمَا رَابَنِي النَّذِيرُ فَمَمَّيْتُ رَجَاءَ الأَصَمِّ عَنْ رِيَبِهْ
عِنْدِي مِنَ الشُّبْهَةِ الْبَيَانُ وَمَا تَطْلُبُ إِلاَّ الْبَيَانَ مِنْ حَلَبِهْ (٥)

(*) وقال أيضا :

الظاهر أنه قصد من هذه الأبيات حكاية نهى الخليفة المهدى إياه عن مغازلة النساء مرة بعد أخرى ووصف حال وفائه وأنه لايحتاج إلى تأكيد النهى ولايتهم بعدم الامتثال . والقصيدة من بحر المجتث ، لكنه استعمله تاما : مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين ، وكذلك وزنه فى الدائرة الرابعة وهى دائرة المشتبه ، لكنه لم يسمع عن العرب تاما ، وإنما سمع مجزوا : مستفعلن فاعلاتن مرتين ، وقد شذ استعماله تاما عند المولدين ، ومن ذلك قول بعضهم :

يا من على الحب يلحى مستهاما لا تلحنى إن مثلى لن يلاما

وقد استعمله بشار فى هذه القصيدة تاما على الشذوذ ، وارتكب فيه زحافين ليخففه ، وهما الكف فى فاعلاتن الأول فصار فاعلات ، والقبض فى فاعلاتن الثانى فصار فاعلتن [ذكر الشارح هذا الرأى الذى يراه فى وزن هذه القصيدة فى مقدمته لديوان بشار من (ص ٦٣ من هذه المطبوعة) وقد قلنا هناك : « الرأى عندنا أن القصيدة من بحر المنسرح ، بعروض مطوية وضرب مطوى كذلك ، جريا على أسلوب بشار فى غير هذه القصيدة ، وإذن فلا محل للاستشهاد بها على أنها وضع جديد فى بحر المجتث]

(١) [المطير : لم تضبط الميم فى المخطوطة ، فان كانت بالضم فهى من أطاره أى جعله يطير ، وإن كانت بالفتح فهى من المطر ، أى المكان الذى أمطر نحونا . وقد أورد الشارح هذا البيت فى مقدمة الديوان (ص ٦٣ من هذه المطبوعة) وفيه : « الخطير » بدلا من « المطير »]

(٢) « عذرى » كتب فى الديوان بالعين المهملة ثم الذال المعجمة ، والظاهر أنه بالغين المعجمة ثم دال مهملة ، يقول : يمنعنى حسبى أن أغدرك فيما عاهدتك عليه أو أن أخالفك

(٣) أراد أن الخليفة كرر عليه النهى وعاود تحذيره ، والدجنة : الظلمة. [وتقول : لعل«المرتع» بضم الميم وكسر التاء ، قال ابن الأنبارى : فلان مرتع ، أى مخصب لا يعدم شيئا يريده ، والمعنى أنه كان متقلبا فى ملذاته لايتحاش من شىء ، فكشف عنه الخليفة ظلمة هذه الحال . أو لعل «مرتع» محرفة عن «مربع» بضم الميم وفتح الباء الموحدة ، وهو المحموم ، ويشعر بهذا قوله فى البيت : « وصبه » أى مرضه] .

(٤) ضبط تاء « لست » بفتحة ، وجعل همزة « اغتر » همزة وصل على أنه فعل مضى ، فيكون خطابا للملك ، ويظهر لى أن التاء مضمومة والهمزة مقطوعة همزة مضارعة ، والحديث عن نفسه .

(٥) قوله « من الشبهة » متعلق بالبيان قدمه عليه للضرورة [قلنا : ربما كان هذا البيت والبيتان قبله للتعريض برجل تعرض لبشار وأنذر بأمره ، فغمز فيه بشار ، وطعن عليه فى نسبه وعرضه ، وفى رأينا أن =

إنْ كُنْتَ تنوِى بِهِ الْهلاكَ فَمَا تَعرِفُ رَأْسَ الْهَلاكِ مِنْ ذَنَبِه(١)
وَإنْ يُدَافِعْ بِكَ الْخُطُوبَ فَمَا دَافَعْتَ خَطْباً بِمِثْلِهِ ملبـــه(٢)
سَـيفُكَ لَا تَنْثَنِى مَضَارِبُهُ يَهْتَزُّ مِنْ مَائِهِ وفى شُطَبِه(٣)
تَرْنُو إلَيْهِ العَـرُوسُ عَائِذَةً فَلَا يَمَلُّ الْحُدَّاثُ مِنْ عَجَبِه(٤)

= التعبير بـ « الشبهة » و « البيان » و « حلبه » يتصل بذلك الطعن فى النسب . فقد روى ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ٢ س ٦٨ عن الأصمعى : إذا رأيت المولود قبل أن يغتذى من لبن أمه فعلى وجهه مصباح من « البيان » ، يريد أن ألبان النســاء تغيره ، ولذلك قولهم : اللبن « يشتبه » عليـه ، يراد أنه ينزع بالمولود فى شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أرضع الدهر إلا ثدى واحدة لواضح الوجه يحمى ســاحة الدار

هذا وقد ذكر ابن الأثير وغيره ما فى الحديث من النهى عن استرضاع الحمقاء ، فان اللبن « يتشبه » أى أن المرضعة إذا أرضعت غلاما فانه « يشبهها » ومنه حديث عمر : اللبن « يشبه » عليه] .

(١) حق هذين البيتين أن يقعا بعد البيت التاسع من هذه القصيدة .

[قلنـا : الظاهر أن البيتين فى موضعهما . وهما متعلقان بذلك التعريض الســابق ، فليس فيهما مدح يناسب ما بعدهما] .

(٢) الظاهر أن قوله « بك » تحريف ، وأن صوابه « به » وهو يعود إلى السيف الواقع فى البيت التاسع ، وقد كتبه فى الديوان هاء ، ثم رسم هو أو مصحح آخر على الهاء كافا ، والصواب ما كتب أولا . والـكلمة الأخيرة هكذا كتبت ، ولم أفهم لها ضبطا ولامعنى .

(٣) حق هذا البيت التقديم على البيتين الســابع والثامن . والظاهر أن قوله « سيفك » تحريف ، صوابه : سيق ، وأنه أراد بسيفه لسانه ، وبذلك تنتظم الضمائر فى الأبيات بعده ، الشطب (بضم الشين المعجمة وفتح الطاء) : جمع شطبة (بضم فسـكون) : الطريقة التى فى حديدة السيف ، وهى مثل التموج يكون فى الحديد ، وهذا كقولهم جراح اللسان ، وقول ابن سناء الملك :

ولى قلم فى راحتى إن هززته فـا ضرنى ألا أهز المهنـدا

[قلنا : الظاهر أن هذا البيت ينتقل به بشار إلى الحديث عن نفسه بعد أن فرغ من التعريض بغيره . وبذلك تتبين الموازنة بينهما . فقد وصف غيره بأنه كل لايصلح لمدافعة الخطوب ، ووصف نفسه بأنه سيف لا تنثنى مضاربه ، فالمراد بـ « سيفك » بشـار نفسه مضافا إلى الخليفة ، وبذلك تتسق معانى الأبيات الآتية وتستقيم ضمائرها ، انظر الى قوله فيها : لله ما راح فى جوانحه ، و : يخرج من فيه ... الخ] .

(٤) كتب فى الديوان « الحداب » بموحدة ، وهو تحريف ، وصوابه « الحداث » بالمثلثة ، وهذا البيت فى عيون الأخبار لابن قتيبة (س ١٨٢ جزء ٢) هكذا :

ترنو إليه الحـداث غادية ولا تمل الحديث من عجبه

[قلنا : ذكر ابن قتيبة ســتة أبيات مما وصف به بشار شـعره وأحاديثه وأحواله ، وروايته لهذه الأبيات تخالف رواية الديوان فى ترتيبها وبعض ألفاظها ، قال ابن قتيبة : « قال بشار يصف نفسه :

زور ملوك عليـه أبهة يعرف من شعره ومن خطبه
لله ما راح فى جوانبـه من لؤلؤ لا ينام عن طلبه
يخرجن من فيه فى الندى كما يخرج ضوء السراج من لهبه =

يَصْدُقُ فِي دِينِهِ وَمَوْعِدِهِ نَعَمْ وَيُعْطِي النَّدَى عَلَى كَذِبِهْ(١)
لِلَّهِ مَارَاحَ فِي جَوَانِحِهِ مِنْ لُؤْلُؤٍ لاَ يُنَامُ عَنْ طَلَبِهْ(٢)
يَخْرُجْنَ مِنْ فِيهِ لِلنَّدِيِّ كَمَا يَخْرُجُ ضَوْءُ السِّرَاجِ مِنْ لَهَبِهْ(٣)
زَوْرُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُبَّهَةٌ تَعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطَبِهْ(٤)
يَقُومُ بِالْقَوْمِ يَوْمَ جِئْتَهُمُ وَلاَ يَخِيبُ الرُّوَّادُ فِي سَبَبِهْ(٥)

= ترنو إليه الحداث غادية ولا تمل الحديث من عجبه
تلعابة تعكف الملوك به تأخذ من جده ومن لعبه
يزدحم الناس كل شارقة ببابه مسرعين فى أدبه »

وذكر عبد القاهر فى دلائل الإعجاز (ص ٢٠٨) ثلاثة أبيات ، قال : « وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله وإدلالهم به ... بشار :

زور ملوك عليه أبهة يعرف من شعره ومن خطبه
لله ماراح فى جوانحه من لؤلؤ لا ينام عن طلبه
يخرج من فيه للندى كما يخرج ضوء السراج من لهبه »]

(١) أى مع كونه يكذب فهو يعطى الندى على كذبه ، وأراد به جزائى الخليفة على الشعر ، لأن الشعر فيه تشبيهات ومبالغات تلحقه بالكذب . قال تعالى : وانهم يقولون ما لا يفعلون ، وقالوا : أحسن الشعر أكذبه ، وكتب فى الديوان « يعطى » بالياء ، وهذا المعنى ينظر إلى قولهم : أحسن الشعر أكذبه .

(٢) قوله « لاينام عن طلبه » بضم ياء « ينام » أى لا يفتأ الناس يطلبونه فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة ، ذكره الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز ص ٣٦٨ فى الذين وصفوا الشعر وأدلوا به [قلنا : جاء فى إحدى نسخ الدلائل : « راج » بالجيم ، ومعنى راج تهيأ وتزين ، ومنه قولهم: راج الطعام إذا نضج وتهيأ] .

(٣) الندى (بفتح النون وكسر الدال) : منتدى القوم [الذى] يجتمعون فيه ، وهو النادى .

(٤) « زور ملوك » الزور : الزائر ، وهو فى الأصل مصدر زاره ، فلذلك استوى فى الوصف به الواحد وغيره ، وفى الحديث « وإن لزورك عليك حقا » فإذا وصف الجماعة به فليس من باب الوصف باسم الجمع كصحب وركب وشرب وسفر ، لأن تلك لاتجىء وصفا للمفرد . وإنما يزور الملوك من كان قريبا من مراتبهم ، وقد كان فى العرب أهل الوفادة (بالواو) أى الذين لهم وفادة على النعمان أو على كسرى فى كل عام ، وذلك من شعار السؤدد ، يقولون : له وفادة على كسرى . والأبهة (بضم الهمزة وفتح الباء المشددة وفتح الهاء) : العظمة والكبرياء . وقوله « تعرف من شعره » بتاء الخطاب ، أى اشتهر شعره فى الحسن وخطبه ، يقول العرب : تعرف من فلان وتنكر ، أى تعرف له محاسن وتنكر منه مساوى ، ومنه سمى الخبر معروفا والشر منكرا [قلنا : فى المخطوطة : تعرف بالبناء للمجهول ، والمعنى يستقيم به أيضا] .

(٥) ضبط « جئتهم » بصيغة الماضى المسند إلى المخاطب على أن ضمير الغائبين مفعول به ، ولا تظهر له مقايسة ، ولعل الصواب « جيئتهم » بوزن اسم الهيئة من المجىء أى يوم تجيئهم [قلنا : لعل المعنى « يوم مجيئهم » بناء على ما قدمه الشارح . والمراد بالرواد : طالبوه ، وسببه : طريقه وما يتوصلون به اليه] .

٢٢ مُؤْبَدُ البَيْتِ وَالقَرَارَةِ وَالتَّلْعَةِ فى عُجْمِهِ وفى عَرَبِهْ(١)
لَوْ قَامَ بِالحَادِثِ العَظِيمِ لَمَا عَىَّ بِمُعْزَائِهِ وَلاَ خَرِبِهْ(٢)
لاَ يَعْبُدُ المَالَ حِينَ يَجْمَعُهُ وَلاَ يُصَلِّى لِلْبَيْتِ مِنْ صُلُبِهْ(٣)
تِلْعَابَةٌ تُوكَفُ النِّسَاءُ بِهِ يَأْخُذْنَ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهْ(٤)
يَزْدَحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ بِبَابِهِ مُشْرِعِينَ فى أَدَبِهْ(٥)
شَابَ وَقَدْ كَانَ فى شَبِيبَتِهِ شَهْماً يَبُولُ الرِّئْبَالُ مِنْ غَضَبِهْ(٦)

(١) كتب « مؤبد » بباء موحدة ، ولعله بمثناة تحتية [والقرارة (فى الأصل) : القاع ، والمستقر المطمئن من الأرض] والتلعة : المكان المرتفع ، أراد به رفعة الشأن .

[قلنا : المراد بالقرارة هنا : ما رسخ واستقر من أصوله ومناسبه والمراد بالتلعة هنا كذلك : ما أشرف وتفرع من ذوى قرباه . وانظر قول العرب : « ماأخاف إلا من سيل تلعتى أى من بنى عمى وأقاربى » فكأن بشاراً يقول : إنه مؤبد النسب من مسيل القرابة فى العرب إلى مستقرها فى العجم]

(٢) « عى » أصله « عيي » فأدغمه للتخفيف ، والإدغام فى مثله جائز ، والفك أفصح .

(٣) قوله : « ولا يصلى للبيت من صلبه » انظر ماذا يراد بهذا المصراع [نقول : هل يصلح تخريج عجز البيت على هذا الوجه : أن تكون « البيت » بكسر الباء بمعنى القوت ، وأن تكون «صلبه» بفتح الصاد واللام بمعنى الحال الشديدة المشبهة للأرض المتحجرة ، فيكون المراد أن بشاراً لايصلى مستغيثاً من ضنك عيش ووعورة حال ، فهو فى صدر البيت وعجزه يترفع عن اثنتين : التعبد للمال إذا اجتمع له ، والصلاة للقوت إذا اشتد عليه مناله] .

(٤) « تلعابه » ضبط فى الديوان بفتح التاء وضبط الباء الموحدة بفتحة . وجعل تنويناً على هاء التأنيث ، وهذا اضطراب ، لأن التلعاب (بفتح التاء) : اللعب ، مصدر على وزن التفعال ، انظر البيت ١٨ من الورقة ١٩٩ ، وذلك يقتضى ضمة على الموحدة وضمة واحدة على هاء التأنيث ، فالوجه أنه بكسر التاء ، والتلعابة : الكثير اللعب ، يعنى نفسه ، وهذا هو المناسب لقوله بعده « من جده ومن لعبه » لأنه لو كان التلعاب مصدراً بمعنى اللعب لم يستقم أن يكون للعب جد ، بخلاف اللاعب يكون له جد تارة ولعب أخرى . وتوكف بفتح الكاف مبنيا للمجهول من وكف يوكف كوجل إذا مال ، أى تمال النساء به . وفى رواية عيون الأخبار : تلعابة تعكف الملوك به . تأخذ الخ . فهو بكسر التاء صفة . [قلنا : فى المخطوطة يمكن أن تقرأ الكلمة تعكف ، وضبطت فيها التاء مفتوحة] .

(٥) « كل شارقة » ظرف ، أى كل صباح ، تقول العرب : كلاذر شارق وكل شارق . قال عمرو ابن معد يكرب :

لحا الله جرما كل ماذر شارق

وقال النابغة :

سوى أسد يحمونها كل شارق بألفى كمى ذى سلاح ودارع

[و « مشرعين » رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار : مسرعين »] .

(٦) الرئبال : الأسد .

حَـــتَّى إِذَا دَرَّتِ الدَّرُورُ لَهُ　　وَرَغَّثَتْهُ الرُّوَاةُ فِى نَسَبِـــهْ[(١)]

قَضَى الْإِمَامُ الْمَهْدِىُّ طَعْنَتَـــهُ　　عَنْ رَأْسِ أُخْرَى كَانَتْ عَلَى أَرَبِهْ[(٢)]

فَالْحَمْـــدُ لِلّٰهِ لَا أُسَاعِفُ بِالْـــلَّهْوِ وَلَا أَنْتَهِى بِمُـــكْتَئِبِهْ

وقال يعاتب يعقوب بن داود[(*)] :

طَالَ الْمُقَامُ عَلَى تَنَجُّـــزِ حَاجَةٍ　　عِنْدَ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَكَرْتُ إِيَابِى[(٣)]

---

(١) [يقال : ناقة درور ، أى كثيرة الدر] ، رغثته : أرضعته ، يقال رغث كمنع : رضع ، [قلنا: ضبط الشارح « ورغثته » بتشديد الغين ، وليس فى المخطوطة تشديد ، وقد ذكر اللغويون « رغث » بمعنى رضع ، كما ذكروا معنى آخر : رغثه الناس ، أى أكثروا سؤاله حتى نفد ماعنده] ، والنسب هنا مصدر نسب بفتح السين بالمرأة ، أى شبب بها فى شعره .

(٢) أراد أنه نهاه مرة بعد أخرى ، وقوله « كانت » صفة لطعنة أى كانت واقعة على أربه فأعدمته.

(*) وقال يعاتب يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد بن خازم السلمى ، كان والده داود كاتباً لنصر بن سيار من عمال بنى أمية الذى كان خارجا على بنى العباس ، وكان قد اعتنى بأولاده ، فعلمهم وأدبهم ، وكان يعقوب منهم ، ولما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب على المنصور وخرج يعقوب مع عبد الله بن الحسن وقتل إبراهيم سنة ١٤٥ أخذ يعقوب فحبسه المنصور واستخفى إخوة يعقوب ، ولما توفى المنصور أطلق المهدى يعقوب مع من أطلقهم سنة ١٥٨ ، واتصل يعقوب بالمهدى بسبب سعايته بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله إلى المهدى ودلالته اياه عليه ، وإن كان قد أخذ له الأمان من المهدى ، ودخل الحسن فى طاعة المهدى ، فلم يزل يعقوب يرتفع عند المهدى حتى استوزره وكتب له توقيعاً بأنه اتخذه أخاه ، وكان يعقوب على مذهب الزيدية ، ثم سعى به الساعون لدى المهـدى وخوفوه عاقبته ، وقال بشار فيه :

بنى أميـة هبوا طال نومكم　　إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا　　خليفة الله بين الرق والعود

وكان ذلك سنة ١٦٦ ، فتنكر المهدى عليه مراراً كانت أخراها أن سجنه فى جب ، فبقى هنالك حتى ذهب بصره إلى أن ولى الرشـيد الخلافة فأذن بسراحه وخـيره ماذا يريد ، فطلب الإقامة بمكة ، فأذن له ، فلم تطل مدته بمكة حتى مات سنة ١٨١ . وقد ذكرنا فى مقدمة الديوان أن يعقوب بن داود هو الذى ألح فى ضرب بشار ، وكان بشار يمدح يعقوب بن داود ، حتى ظهر منه التنكر لبشار ، والظاهر أن هذه القصيدة مبدأ ذلك التنكر ، وقد ذكر أهل الأدب أن بشاراً كان فى مجلس يعقوب وقد طال انتظاره الجائزة ، فقال بشار ليعقوب :

طال الثواء على رسوم المنزل　　... ... ...

فأجابه يعقوب : ... ...　　فإذا تشـاء أبا معاذ فارحل

والمصراع الأول من بيت قديم ، تمثل بشار بمصراع منه ، وهو من شعر عنترة ، وبعده :

بين اللـكيك وبين ذات الحرمل

وبعض الناس يظنه من شعـر بشار . والأبيات هذه تدل على أن بشاراً كان ينتظر جائزة الخليفـة المهدى ، واتهم يعقوب بأنه المتعرض له فى إعطائها .

وهذه القصيدة من بحر الـكامل .

(٣) المراد بالإمام : الخليفة المهدى [تنجز حاجة : طلب إنجازها] .

فَجَرَتْ دُمُوعِي مِنْ تَذَكُّرِ مَا مَضَى ... وَكَأَنَّ قَلْبِي فِي جَنَاحِ عُقَابِ

وَأَحُولُ مِنْ شَرَفِ الْعَشِيرَةِ مُبْسِقٌ ... قَوْمًا وَأُمْسِكُ عَنْ هُمَامِ الْغَابِ (١)

« يعقُوبُ » قَدْ وَرَدَ الْعُفَاةُ عَشِيَّةً ... مُتَعَرِّضِينَ لِسَيْبِكَ الْمُنْتَابِ (٢)

فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسِبْتَنِي كَمُّونَةً ... نَبَتَتْ لِزَارِعِهَا بِغَيْرِ شَرَابِ (٣)

مَـــهْ لَا أَبَا لَكَ إِنَّنِي رَيْحَانَةٌ ... فَاشْمُمْ بِأَنْفِكَ وَاسْقِهَا بِذِنَابِ (٤)

---

(١) كذا كتب فى الديوان وضبط ، ولم ينتظم له معنى ، ولعله هكذا :

وأحول من شرب العشيرة مبسق ... قوماً وأمسك عن همام الغاب

والمعنى تحول ماء العشيرة فسق قوماً فأبسقهم ، أى جعلهم باسقين ، وأمسك الماء عن الأسد ، وهو همام الغاب ، يعنى أن الخليفة أفاض سيبه على أقوام فأعفاهم وترك عشيرته وذويه الذين منهم أسد الغاب وهو بشار ، يمت بأنه من شيعة العباسيين ، لأن أصله من الفرس .

[قلنا : استخراج هذا الشرح من ألفاظ البيت فيه نظر . وربما كان البيت محرفاً ، وأصله هذا أو نحوه :

وأحول من شِرْب العشيرة قد سقى ... قوماً وأمسك عن همام الغاب]

(٢) أضاف السيب إلى يعقوب هنا لأنه الواسطة فيه ، وإن كان قد ذكر أن الحاجة عند الخليفة [قلنا : العفاة : طالبو الفضل ، واحدهم : عاف ، ومتعرضين : متصدين طالبين ، وسيبك : عطائك ، والمنتاب : إن أن يكون الذى يقصده الناس مرة بعد مرة ، وإما أن يكون الذى يصل إلى الناس مرة بعد مرة أيضاً ، فهو اسم مفعول أو اسم فاعل]

(٣) يزعم الناس بأن الكمون ينبت بالأمانى ، يقول له زارعه يومه : غداً أسقيك ، غداً أسقيك ، [قال الثعالبي : إن الكمون لا يسق ، بل يوعد بالسق ، فيقال : غداً تسقيك وبعد غد يكفيك ، فهو ينمو على المواعيد الكاذبة] ، وقيل فى المثل : مواعيد الكمون ، يضرب للوعد الكاذب ، قال الشاعر :

فأصبحت كالكمون ماتت عروقه ... وأغصانه مما يمنونه خضر

وقال بشار أيضاً فيما سيأتى (فى آخر الورقة ١٦٤) :

ليس المحب كمون بمزرعة ... إن فاته الماء أغنته المواعيد

وقال ابن الرومى وأجاد فى جمع النظير [إذ جمع الفلفل والكمون] :

كم شامخ باذخ بثروته ... أصله قبلى المصلونا

جعلته بالهجاء فلفلة ... إذ جعلتنى مناه كمونا

ومن أمثال عامتنا « عيش بالمنايا كمون » وهو من الزراريع التى يصلح بها الطعام كالتوابل .

(٤) قوله « مه لا أبالك » كذا فى الديوان وفى المختار للخالديين ، وفى الأغانى . مهلا لديك ، فإننى . . الخ ، وهو أحسن ؛ وعلى ما فى الديوان يكون المقصود التعجب ؛ ولكنه من العجرفه بمكان ، والذناب : جمع ذنوب ، وهو الدلو . [قلنا : ومعنى « مه » : اكفف عن منعى ؛ لاتمنعى حاجتى ، وفى شرح هذا البيت قال التجيبي : « يقول له : إن منع المهدى الجائزة لى أنت سببه واللوم عليه ، لأنك قد أعطيت غيرى وقضيت حاجته وأزحت علته ؛ وقصدتنى بالمنع ؛ وخيل إليك أنى مع ذلك أمدحك وأثنى عليك من غير إحسان منك إلى ، وأنى أكون فى ذلك كالكمونة التى تصبر على العطش وتنمى وتعطى جناها بغير سق ، فما أنا كذلك ؛ وإنما أنا بمنزلة الريحانة التى لا يوصل إلى شمها والانتفاع بها إلا بسقيها وتعهدها ، فاسقنى تشمم جناى ، ضرب له ذلك مثلا »] .

تُعْطِى الغَرِيزَةُ دَرَّهَا فَإِذَا أَبَتْ   كَانَتْ مَلَامَتُهَا عَلَى الحُلَّابِ (١)
طَالَ الثَّوَاءُ بِحَاجَةٍ مَحْبُوسَــةٍ   شَمِطَتْ لَدَيْكَ ، فَمَنْ لَهَا بِخِضَابِ (٢)

وقال أيضاً (*) :

طَالَ لَيْلِى مِنْ حُبِّ مَنْ   لَا أَرَاهُ مُــقَارِبِى
أَبَدًا مَـا بَدَا لِعَيْـنِكَ ضَوْءُ الْكَوَاكِبِ
أَوْ تَغَنَّتْ قَصِيـدَةً   قَيْنَةٌ عِنْـدَ شَارِبِ
فَتَعَـزَّيْتُ عَنْ « عُبَيْـدَةَ » وَالْحُبُّ غَالِبِى
تِلْكَ لَوْ بِيعَ حُبُّهَا أَبْـتَغِيهِ بِالْحَـرَائِبِ (٣)
وَلَوْ اسْـطَعْتُ طَائِعًا   فِى الأُمُـورِ النَّوَائِبِ
٢٣ لَفَـدَاهَا مِنَ الرَّدَى   هَارِبِى بَعْـدَ قَارِبِى (٤)
عَتَبَتْ خُلَّـتِى وَذُو الْـحُبِّ جَمُّ الْمَعَاتِبِ (٥)
مِنْ حَـدِيثٍ نَمَى إِلَيْـهَا بِهِ قَوْلُ كَاذِبِ
فَتَقَلَّبْتُ سَـاهِرًا   مُقْشَـعِرَّ الذَّوَائِبِ

---

(١) الغزيرة : الناقة الحلوب ، قال فى الأغانى : يقول ليعقوب أنت من المهدى بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التى إذا لم يوصل إلى درها فليس ذلك من قبلها إنما هو من صنع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس البخل من قبله لسعة معروفه ؛ إنما هو من السبب إليه .

(٢) [الثواء : المقام ، ومحبوسة : ممنوعة القضاء] شمطت كفرحت : شابت ، وهو كناية عن طول مدتها .

(*) وقال أيضاً فى الشكاية من هجر عبدة .
والقصيدة من بحر الخفيف وعروضها كضربها مجزوءة صحيحة .

(٣) الحرائب : جمع حريبة ؛ وهى مال الرجل الذى يعيش به ويقوم به أمره ، وهو مراد بشار : وقيل : الحريبة المال الذى يسلب منه ؛ يقال حربه يحربه إذا سلب ماله ، وكان هذا هو الأصل ؛ ثم سمى المال الذى به عيش المرء حريبة ؛ لأنه لو سلب منه لبقى محروباً ، كما يسمى المال بالتركة .

(٤) الهارب : الذى صدر عن الماء ؛ والقارب (بالقاف) : ضده : الذى يطلب الماء ؛ والمقصود هنا التعميم ، يقال « ماله هارب ولا قارب » أى ليس له أحد ؛ وهكذا شأن اسمى الضدين إذا جاءا فى الخبر فالمقصود التعميم ، كقولهم : أهل الشرق والغرب ، ولله ملك السموات والأرض .

(٥) [خلتى : خليلتى] .

عَجَبًا مِنْ صُـــدُودِهَا وَالْهَـــوَى ذُو عَجَائِبِ
وَلَقَـــدْ قُلْتُ وَالدُّمُـــوعُ لِبَـــاسُ التَّرَائِبِ (١)
لَوْ بَدَا اليَأْسُ مِنْ « عُبَيْـــدَةَ » قَدْ قَامَ نَادِبِى
« عَبْدَ » بِاللهِ أَطْلِـقِى مِنْ عَـــذَابٍ مُوَاصِبِ (٢)
رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَاهِبًا أَوْ كَرَاهِبِ (٣)
يَسْهَرُ اللَّيْـــلَ كُلَّهُ نَظَرًا فِى الْعَوَاقِبِ
فَثَنَاهُ عَنِ الْعِبَـــادَةِ وَجْـدٌ بِكَاعِبِ
شَـــغَلَتْهُ بِحُبِّهَا عَنْ حِسَابِ الْمُحَاسِبِ
عَاشِـــقٌ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ هَـــوَاهَا بِتَائِبِ
يَشْتَـكِى مِنْ فُؤَادِهِ مِثْـــلَ لَسْعِ الْعَقَارِبِ
وَكَذَاكَ الْمُحِبُّ يَلْـــقَى بِذِكْرِ الْحَبَائِبِ
وَلَقَـــدْ خِفْتُ أَنْ يَرُو حَ بِنَعْـــشِى أَقَارِبِى
عَاجِـــلاً قَبْلَ أَنْ أَرَى فِيكُمُ لِينَ جَانِبِ
فَإِذَا مَاسَمِـــعْتِ بَا كِيَةً مِنْ قَرَائِـبِى
نَدَبَتْ فِى الْمُسَلِّبَا تِ قَتِيـــلَ الْكَوَاعِبِ (٤)
فَاعْـــلَمِى أَنَّ حُبَّكُمْ قَادَنِى لِلْمَعَـــاطِبِ !

---

(١) [الترائب : عظام الصدر ، يعنى أن دموعه سالت غزيرة على صدره حتى صارت فوق صدره كأنها لباس الصدر] .

(٢) مواصب (بالصاد المهملة) : اسم فاعل من أوصب ، بمعنى دام ، يقال وصب وأوصب . [قلنا : المواصب : اسم فاعل من « واصب » ، وفى اللغة : واصب كأوصب ووصب : دام] .

(٣) كتب « ذاهبا أو كذاهب » بالذال المعجمة ، ولامعنى له ؛ والصواب أنه بالراء فيهما : « راهباً أو كراهب » بدليل البيت السابع عشر من هذه القصيدة الآتى قريبا .

(٤) [يقال : إن المرأة قد سلبت (بتشديد اللام) على ميتها ، إذا لبست ثياب الحداد السود ، فهى مسلب أو مسلبة (بتشديد اللام المكسورة) ، والجمع : مسلبات ؛ ولم تضبط فى المخطوطة حركة اللام فى « المسلبات » وضبطها الشارح بالفتح والمعروف فيها الكسر ، لما بينا ، قال شارح القاموس : « مسلب : مضبوط عندنا كمحدث وهو الصواب] » .

وقال أيضاً (*):

عَدِمْتُكَ عَاجِلاً يَا قَلْبُ قَلْباً ... أَتَجْعَلُ مَنْ هَوِيتَ عَلَيْكَ رَبَّا ؟ (١)
بِأَىِّ مَشُورَةٍ وَبِأَىِّ رَأْيٍ ... تُمَلِّكُهَا وَلاَ تَسْقِيكَ عَذْبَا ؟
تَحِنُّ صَبَابَةً فى كُلِّ يَوْمٍ ... إِلَى « حُبَّى » وَقَدْ كَرَبَتْكَ كَرْبَا
وَتَهْتَجِرُ النِّسَاءَ إِلَى هَوَاهَا ... كَأَنَّكَ ضَامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبَا (٢)
أَمِنْ رَيْحَانَةٍ حَسُنَتْ وَطَابَتْ ... تَبِيتُ مُرَوَّعاً وَتَظَلُّ صَبَّا ؟
تَرُوعُ مِنَ الصِّحَابِ وَتَبْتَغِيهَا ... مَعَ الوَسْوَاسِ مُنْفَرِداً مُكِبَّا (٣) ٢٤
كَأَنَّكَ لاَ تَرَى حَسَناً سِوَاهَا ... وَلاَ تَلْقَى لَهَا فِى النَّاسِ ضَرْبَا (٤)
وَكَمْ مِنْ غَمْرَةٍ وَجَوَازِ فَيْنٍ ... خَلَوْتَ بِهِ فَهَلْ تَزْدَادُ قُرْبَا ؟ (٥)
بَكَيْتَ مِنَ الهَوَى وَهَوَاكَ طِفْلٌ ... فَوَيْلَكَ ثُمَّ وَيْلَكَ حِينَ شَبَّا !
إِذَا أَصْبَحْتَ صَبَّحَكَ التَّصَابِي ... وَأَطْرَابٌ تُصَبُّ عَلَيْكَ صَبَّا

(*) وقال أيضاً فى خليلته « حبى » العامرية ، الملقبة بخاتم الملك ، وبنى القصيدة على مخاطبة قلبه ، والقصيدة من بحر الوافر ، من العروض الأولى المقطوعة وضربها مقطوف أيضاً : مفاعلتن مفاعلتن فعولن .

(١) « عدمتك » دعاء على قلبه ، ولما تضمن الدعاء معنى التعجب من حاله المنبىء عنه قوله : « أتجعل من هويت عليك ربا » نصب قوله « قلبا » على التمييز المفسر لنسبة تعلق الدعاء بالمدعو عليه ، فهو تمييز محول عن المفعول ، مثل قوله تعالى :.وفجرنا الأرض عيونا . وقوله : أتجعل من هويت . . . الخ هو مأخوذ من معنى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : قال أتعبدون ماتنحتون .

(٢) كتب « سواها » ولا معنى له ، فهو تحريف ، صوابه « هواها » والنحب : الموت .

(٣) كتب « تروع بعين مهملة » ولا تستقيم تعديته بحرف « من » ، فلعله تصحيف « تروغ » بالغين المعجمة ، أى تنزوى من الصحاب غيرها [قلنا : المعروف فى تعدية « يروغ » (بالغين المعجمة) بحرف الجر هو « يروغ عن ... » و « يروغ الى ... » و « يروغ على ... » ، وأما تعدية « يروع » « بالعين المهملة » بـ « من » فليست منكرة عندنا ، لأن الروع والارتياع : الفزع ، وقد جاء فى لسان العرب « فزع منه » وقال النابغة الذبيانى يصف ثوراً « فارتاع من صوت كلاب ... » وقال الراجز فى إبل متفرقة « شذانها رائعة من هدره » أى مرتاعة . ولعل « تروع » (بالعين المهملة) مناسبة لقوله فى البيت السابق : « تبيت مروعا »] .

(٤) [الضرب : المثل والشبيه ، قال ابن الأعرابى : الضرب : الشكل فى القد والخلق] .

(٥) الجواز (كسحاب) صك المسافر ليمر به فى البلاد فلا يتعرض له أحد ، وجمعه : أجوزة . والفين (بفتح الفاء وسكون الياء) المجىء ، يقال : فان فينا ، وأراد به إذنها له بالزيارة ، أو أراد الكناية عن تمكنه من زيارتها دون معارض .

وَتُمْسِى وَالْمَسَاءُ عَلَيْكَ مُرٌّ … يُقَلِّبُكَ الْهَوَى جَنْبًا فَجَنْبَا
أَظُنُّكَ مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ يَوْمًا … بِدَاءِ الْحُبِّ سَوْفَ تَمُوتُ رُعْبَا
أَتُظْهِرُ رَهْبَةً وَتُسِرُّ رَغْبًا … لَقَدْ عَذَّبْتَنِى رَغْبًا وَرَهْبَا[1]
فَمَا لَكَ فِى مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ … سِوَى عِدَةٍ فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَا
إِذَا وُدٌّ جَفَا وَأَرَبَّ وُدٌّ … فَجَانِبْ مَنْ جَفَاكَ لِمَنْ أَرَبَّا[2]
وَدَعْ شَغْبَ الْبَخِيلِ إِذَا تَمَادَى … فَإِنَّ لَهُ مَعَ الْمَعْرُوفِ شَغْبَا
وَقَالَتْ : لَا تَزَالُ عَلَىَّ عَيْنٌ … أُرَاقِبُ قَيِّمًا وَأَخَافُ كَلْبَا
لَقَدْ خَبَّتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَاهٍ … فَكُنْ خِبًّا إِذَا لَاقَيْتَ خِبًّا[3]
وَلَا تَغْرُرْكَ مَوْعِدَةٌ « لِحُبِّى » … فَإِنَّ عِدَاتِهَا أُنْزِلْنَ جَدْبَا
أَلَا يَا قَلْبِ هَلْ لَكَ فِى التَّعَزِّى ؟ … فَقَدْ عَذَّبْتَنِى وَلَقِيتُ حَسْبَا
وَمَا أَصْبَحْتَ تَأْمُلُ مِنْ صَدِيقٍ … يَعُدُّ عَلَيْكَ طُولَ الْحُبِّ ذَنْبَا ؟
كَأَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا … بِحُبِّكَ أَوْ جَنَيْتَ عَلَيْهِ حَرْبَا !
رَأَيْتُ الْقَلْبَ لَا يَأْتِى بَغِيضًا … وَيُؤْثِرُ بِالزِّيَارَةِ مَنْ أَحَبَّا

وقال أيضاً (*) :

خَفِّضْ عَلَى عُقَبِ الزَّمَانِ الْعَاقِبِ … لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الْحَرِيصِ النَّاصِبِ[4]

---

(١) كتب فى الديوان « رعبا » فى الموضعين بعين مهملة .

(٢) أرب بمعنى لزم وقرب ، ومنه قول أبى خراش الهذلى :

فلا وأبى الطير المربة فى الضحى … على خالد لقد وقعت على لحم

[قلنا : والود — هنا — بمعنى المحب ، يقال : هو ودك] .

(٣) الخب (بفتح الخاء وبكسرها) : المخادع الكثير الخداع .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بحبيبته حمدة المكناة بأم محمد ، والظاهر أنها كانت ببغداد ، ثم انتقلت إلى الشام ، ولعل عبد الواهب رجل تزوجها وخرج بها إلى الشام . وهى التى رثاها بالقصيدة التى فى الورقة ٢١٥ . والقصيدة من بحر الكامل .

(٤) الناصب : الناعب ، يقال نصب ينصب من باب تعب ومعناه . وروى فى المختار الدائب .

[قلنا : وفى استعمال « الناعب » كـ « الناصب » نظر وتأويل] .

[ونقول : قد ضبط فى المخطوطة « عقب » بضم العين وفتح القاف ، وهو ظاهر المعنى ، إذ هو جمع « عقبة » وهى النوبة ، ويقال الليل والنهار لأنهما يتعاقبان ، وفى شعر المهلبى : « وماذا الذى يبقى على الدهر ؟ » (بضم العين ، فى الكامل ج ٢ ٢ س ١١٩) وانظر ماسبق فى ص ١٤٠ من هذه المطبوعة]

تَأتِي الْمُقِيمَ — وَما سَعَى — حَاجَاتُهُ ... عَدَدَ الحصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الخَائِبِ (١)
فَاتْرُكْ مُشَاغَبَةَ الحَبِيبِ إِذَا أَبَى ... لَيْسَ الْمُحِبُّ عَلَى الحَبِيبِ بِشَاغِبِ (٢)
غَلَبَتْكَ « أُمُّ مُحَمَّدٍ » بِدَلَالِهَا ... وَالْمُلْكُ يُمْهَدُ لِلْأَعَزِّ الغَالِبِ
وَاهًا « بِأُمِّ مُحَمَّدٍ » وَرَسُولِهَا ... وَرُقَادِ قَيِّمِهَا وَسُكْرِ الحَاجِبِ
لَمْ أَنْسَ قَوْلَتَهَا : أَرَاكَ مُشَيَّعًا ... عَبِثَ اليَدَيْنِ مُوَلَّعًا كَالشَّارِبِ (٣)
أَحْسِنْ صَحَابَتَنَا فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ ... بَعْضَ اللُّبَانَةِ بِاصْطِنَاعِ الصَّاحِبِ (٤)
وَإِذَا جَفَوْتَ قَطَعْتُ عَنْكَ مَنَافِعِي ... وَالدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحَالِبِ (٥)
لِلَّهِ دَرُّ مَجَالِسٍ نُقِّصْتُهَا ... بَيْنَ الجُنَيْنَةِ وَالخَلِيجِ النَّاكِبِ (٦)
أَيْنَ الَّذِينَ تَزُورُ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... يَأْتِيكَ آدِبُهُمْ وَإِنْ لَمْ تَأْدِبِ (٧)
ذَهَبُوا وَأَمْسَى مَا تَذَكُّرُ مِنْهُمُ ... هَيْهَاتَ مَنْ قَدْ مَاتَ لَيْسَ بِذَاهِبِ (٨)
مَنَعَتْكَ « أُمُّ مُحَمَّدٍ » مَعْرُوفَهَا ... إِلَّا الخَيَالَ ، وَبِئْسَ حَظُّ الغَائِبِ (٩)

---

(١) كتب فى الديوان : سعي الخائب ، والموجود فى المختار وبعض كتب الأدب: سعى الطالب ، وهى الرواية الصحيحة لأنه مقابل قوله تأتى المقيم، وعلى رواية الديوان فالمعنى : ويخيب سعى من قدرت له الخيبة .

(٢) [كتب الشارح عجز البيت على هذا النحو : ليس المحب على المحب بشاغب ، وقد آثر ما فى المخطوطة] .

(٣) المشيع : الشجاع الجرىء ، وعبث بكسر الباء : أى كثير العبث بيديك أى الملاعبة بهما .

(٤) رواه فى المختار : أحسن صحابتنا ولا تك جافيا ... فالدر يقطعه جفاء الحالب
وأسقط المصراعين اللذين بينهما .

(٥) نسب فى لباب العباب فى شرح أبيات الآداب هذا البيت لابن الرومى وهو سهو منه . ورواه فى المختار : أحسن صحابتنا ولا تك جافيا ... فالدر يقطعه جفاء الحالب
فلفق مصراعه الثانى من البيت الموالى .

(٦) الجنينة : اسم مواضع بالعقيق وبنجد وفى وادى القرى ، والجنينات : موضع ببغداد ، ولعله المراد هنا . والخليج : خليج من دجلة [نقصتها : ضبطت فى المخطوطة بضم التاء ، وقد ضبطها الشارح بالفتح]

(٧) [ضبطت « تادب » فى المخطوطة ونسخة الشارح : بفتح الدال ، ونراها بالكسر ، مضارع « أدب » أى عمل مأدبة أو دعا إليها] .

(٨) كذا كتب فى الديوان : « من قد مات ليس بذاهب » ، والصواب : «من قد فات » بفاء ، إذ لا معنى لمات هنا ، « ليس بآيب » [قلنا : ربما كان المراد بقوله : « ليس بذاهب » أنه غير ذاهب عن الذكر وإن مضى . وعلى ذلك يكون آخر البيت على ما فى المخطوطة صواباً لاتحريف فيه] .

(٩) كتب فى الديوان : « العائب » ولعله : « الغائب » .

نَزَلَتْ عَلَى بَرَدَى وَأَنْتَ مُجَاوِرٌ حَفْرَ البُصَيْرَةِ كالغَرِيبِ المَاتِبِ (١)
لا تَشْتَهِي طَرَفَ النَّعِيمِ وَتَشْتَهِي طَيَّ البِلَادِ بِأَرْحَبِيٍّ شَاحِبِ (٢)
وَإِذَا أَرَدْتَ طِلَاعَ « أُمِّ مُحَمَّدٍ » غَلَبَ القَضَاءُ وَشُؤْمُ « عَبْدِ الوَاهِبِ » (٣)
عِلَلُ النِّسَاءِ إِذَا اعْتَلَلْنَ كَثِيرَةٌ وَسَمَاحُهُنَّ مِنَ العَجِيبِ العَاجِبِ
فَاصْبِرْ عَلَى زَمَنٍ نَبَا بِكَ رَيْبُهُ لَيْسَ السُّرُورُ لَنَا بِحَتْمٍ وَاجِبِ
وَلَقَدْ أَزُورُ عَلَى الهَوَى وَيَزُورُنِي قَمَرُ المَجَرَّةِ فِي مَجَاسِدِ كَاعِبِ (٤)
أَيَّامَ أَتْبَعُ الصِّبَا وَيَقُودُنِي صَوْتُ المَزَاهِرِ وَاليَرَاعِ القَاضِبِ (٥)
سُقْيًا « لأُمِّ مُحمد » سُقْيًا لَهَا إِذْ نَحْنُ فِي لَعِبِ الشَّبَابِ اللَّاعِبِ
بَيْضَاءُ صَافِيَةُ الأَدِيمِ تَرَعْرَعَتْ فِي جِلْدِ لُؤْلُؤَةٍ وَعِفَّةِ رَاهِبِ

---

(١) [حفر : ضبطها الشارح بسكون الفاء ، ونرى أنها بالفتح وفقاً لما ذكره صاحب القاموس وصاحب معجم البلدان فى المواضع القريبة من البصرة] كتب فى الديوان لفظ « العاتب » بدون نقط ، ولعله « العائب » أى كالقريب المغاضب لقومه ، كقول امرىء القيس :

فراق الخليط ذى الأذاة المزايل

[قلنا : لعل المراد من العاتب : الذى شأنه الانتقال من مكان إلى مكان ، وذلك أنسب بمجال الغريب وانظر البيت التالى] .

وبردى (بثلاث فتحات) : نهر دمشق ، وحفر البصرة قرب البصرة لباهلة يقال الحفير بالتصغير

(٢) الأرحبي : المنسوب الى « أرحب » قبيلة من همدان عرفت بنجائب الإبل ، وقيل نسبة إلى « أرحب » فحل لهم . قال [الأزهرى : ربما تنسب اليه النجائب لأنها من نسله ، وقيل : النسبة إلى « أرحب » مكان باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان وهو على ساحل البحر] .

(٣) [قلنا المراد بالطلاع — هنا — النظر إليها والاطلاع عليها ، وهو مصدر ، يقال : طالعها مطالعة وطلاعا] انظر من الذى أراده بعبد الواهب الذى ضرب المثل بشؤمه ، ولعله رجل تزوج « حمدة »

(٤) المجاسد : جمع مجسد كمنبر ، وهو الثوب الذى يلى الجسد ، قال طرفة :

« تروح إلينا بين برد ومجسد »

[والمجرة : البياض المعترض فى السماء] .

(٥) [المزاهر : جمع المزهر (كالمنبر) وهو العود الذى يضرب به ، واليراع — هنا — : القصب الذى ينفخ فيه فيكون له صوت وحنين ، قال الشاعر :

أحن إلى ليلى وإن شطت النوى بليلى كما حن اليراع المثقب

ونقول فى « القاضب » : لعله محرف عن « القاصب » (بالصاد المهملة) أى المصوت ، ومنه وصفهم السحاب والرعد بالقاصب ، ويقال للنافخ فى القصب : قصاب وقاصب] .

فَإِذَا امْتَرَيْتَ لَبُونَ «أُمِّ مُحَمَّدٍ» رَجَعَتْ يَمِينُكَ بِالحِلَابِ الخَائِبِ (١)
فَارْجِعْ كَمَا رَجَعَ الكَرِيمُ وَلَا تَكُنْ كَمُقَارِفٍ ذَنْبًا وَلَيْسَ بِتَائِبِ
وَرَضِيتَ مِنْ طُولِ الرَّجَاءِ بِيَأْسِهِ وَاليَأْسُ أَمْثَلُ مِنْ عِدَاتِ الكَاذِبِ

وقال أيضاً (*) :

بَلَغَ المُرَعَّثَ فِى الرَّحِيلِ خَرَائِدٌ مِنْهُنَّ نَحْبُهْ (٢)
فَجَفَتْ يَدَاهُ عَنِ النُّسُوعِ وَشَدَّ بِالأَنْسَاعِ صَحْبُهْ (٣)
وَثَنَاهُمَا عَنْ رَحْلِهِ دَمْعٌ يَبُلُّ الجَيْبَ سَكْبُهْ
وَنَحِيبُ مَطْرُوفِ الفُؤَادِ ثَوَى مَعَ الأَحْبَابِ لُبُّهْ (٤)
فَالدَّمْعُ مُنْحَدِرُ النِّظَامِ إِذَا تَرَقْرَقَ فَاضَ غَرْبُهْ
وَعَقَارِبُ الحُبِّ الَّذِى يُخْفِى مِنَ الوَسْوَاسِ قَلْبُهْ (٥)
فَإِذَا أَرَادَ النَّوْمَ أَرَّقَهُ وَسَاوِسُ تَسْتَهِبُّهْ (٦)
مِنْ ذِكْرِ مَنْ تَبَلَ الفُؤَادَ فَحَسْبُهُ مِنْ ذَاكَ حَسْبُهْ (٧)

---

(١) امتريت بمعنى مريت ، أى مسحت الضرع ، واللبون : الناقة ذات اللبن ، وهى هنا استعارة . والخائب : الذى لم يحصل مراده .

(*) وقال أيضا فى النسيب بعبدة والقصيدة من بحر الكامل ، وضربه [قلنا : هو مجزوء مرفل ، يصير إلى متفاعلاتن ، وعروضه مجزوءة صحيحة] .

(٢) أى جاءه خرائد لتوديعه عند عزمه على الرحيل . فقوله « خرائد » فاعل « بلغ » وكتب ناسخ الديوان : أن فى نسخة منه « باع » عوض « بلغ » ولا يظهر لها معنى [قلنا : النحب هنا : أشد البكاء ، وقد ذكر بشار النحيب والدمع فى الأبيات الآتية] .

(٣) « جفت يداه » أى لم تستطيعا شد انساع رحله [والنسوع والانساع جمعان لنسع ، وهو سير تشد به الرحال] .

(٤) المطروف : الذى لاينظر إلا إلى جهة واحدة [والمراد : مصروف الفؤاد غير الأحباب] .

(٥) أى الذى يخفيه قلبه ، فحذف العائد من الصلة ، لأنه ضمير متصل منصوب بفعل ، وحذفه كثير ، وقوله « من الوسواس » متعلق بيخفى ، و « من » تعليلية .

(٦) [قلنا : تستهبه : تجعله يهب] .

(٧) تبله (كضربه) بمعنى أسقمه الحب أو ذهب بعقله ، فهو متبول ، والمصدر التبل (بسكون الباء) كضرب .

سَقَطَ النِّقَـــابُ فَرَاقَنِى ـ إِذْ رَاحَ ـ قُرْطَاهُ وَقُلْبُهْ (١)

٢٦ وَمُؤَشَّرُ أَلْمَى اللِّثَـــا تِ شَهِىُّ طَعْمِ الرِّيقِ عَذْبُهْ (٢)

أَحْبِبْ إِلَىَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ الوِصَـــالُ لِمَنْ يَرُبُّهْ (٣)

مِنْ نَازِحٍ حَسَـنِ الدَّلَا لِ أَبَى لَكَ التَّغْمِيضَ حُبُّهْ (٤)

شَـحَطَ المَزَارُ بِهِ وَلَوْ يَدْنُو إِلَيْكَ شَـفَاكَ قُرْبُهْ (٥)

---

(١) « قرطاه » فاعل راقنى . « وقلبه » (بضم القاف وسكون اللام) لسوار المرأة ، ووجه ذكره هنا أنها لما سقط النقاب ظهر القرطان فسترت وجهها بيدها فظهر السوار ، كما قال النابغة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولتـه واتقتنا باليـد

(٢) « مؤشر » معطوف على « قرطاه » لأن الثغر بدا لما سقط النقاب ، والمؤشر (بفتح الشين مشددة على زنة اسم المفعول من الرباعى) هو بمعنى المرقق الأسنان ، أى ليست شديدة الغلظ ، قال ابن خميس التلمسانى :

نظرت إليك بمثل عينى جؤذر وتبسمت عن مثل سمطى جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

واسم رقة الأسنان الأشر (بضمتين) وأصله مشتق من أشر الخشب (بالتخفيف) بمعنى شقه بالمنشار ، والمئشار (بالهمز) هو المنشار (بالنون) فكأنهم شققوه من « أشر » المضاعف الدال على شدة التشقيق المستلزم للرقة ، قال عنترة يصف جملا :

كأن مؤشر العضدين حجلا هدوجا بين أقلبة ملاح

وإلا فهم يقولون : أشرت المرأة أسنانها (بالتخفيف) ، بمعنى حددت أطراف أسنانها وفلجتها للحسن ، والمستأشرة هى المرأة التى تدعى لصنع ذلك كالماشطة .

والألمى : اسم تفضيـل مصوغ للمبالغة لا للمفاضلة ، وفعله : لمى (كرضى) ، واللمى : سمرة فى اللثة أو فى الشفة ، ومن اقتصر من اللغويين على أنه سمرة فى الشفة فقد قصر ، قال طرفة :

وتبسم عن ألمى كأن منورا تخلل حر الرمل دعص له ندى
سقته إياة الشمس إلا لثاته أسف ولم تكدم عليه بإثمد

فإنه أراد تبسم عن ثغر ألمى ، أى أسمر اللثات ، كذا فسره التبريزى ، فجعل اللمى صفة الثغر ، ولم يرد أنه صفة الشفة ، لأنها ليست من الثغر ، ولأنه قال « تبسم عن ألمى » ولم يقل « تبسم بألمى » ولأنه قال فى وصفه باللمعان « سقته إياة الشمس إلا لثاته » فاستثنى اللثات لأنها منه ، قال التبريزى : « وهم يمدحون سمرة اللثة لأنها تبين بياض الأسنان » فلقد أصاب بشار فى تصريحه بالمضاف إليه فى قوله « ألمى اللثات »

وقد دل بيت طرفه وغيره من شعر العرب على أن نساءهم كن يتصنعن لتسمير اللثتين بوضع الإثمد على اللثة لتزيد سمرة ، كأنهن يتشبهن بأجمل الحيوان ، وهى الظباء ، وهو معنى قول طرفة : أسف بإثمد ، أى ذر عليه الإثمد .

[قلنا : ليس « الألمى » اسم تفضيل ، وإنما هو صفة مشبهة باسم الفاعل ، ومؤنثه : لمياء ، فهو من باب « أفعل فعلاء » ، مثل أحمر حمراء وأبيض بيضاء وأحوى حواء . . . الخ] .

(٣) أراد بمن يربه من يملكه ، وهو زوج عبدة ، كما يتبين من البيت السابع من هذه الورقة ٢٦

(٤) النازح : البعيد ، « نزح » من بابى منع وضرب ، و« من » بيان للابهام الذى فى ضمير به .

(٥) [شحط : بعد] .

أَنْكَرْتَ عَيْشَكَ بَعْدَهُ ... وَالدَّهْرُ ضَاقَ عَلَيْكَ رَحْبُهْ
وَكَذَاكَ دَهْرُكَ لِلمُحِبِّ ... يَرُوحُ إِذْ لَمْ يَغْدُ شَغْبُهْ(١)
أَحْبَبْتَهُ وَنَأَى بِهِ ... وُدٌّ لِآخَرَ لَا يُحِبُّهْ(٢)
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ ... فِي غَيْرِ شَعْبِكَ كَانَ شَعْبُهْ!(٣)
وَغَوِيُّ قَوْمٍ هَرَّنِي ... - دُونَ الَّذِي أَحْبَبْتُ - كَلْبُهْ(٤)
فَصَفَحْتُ عَنْهُ لَعَلَّهُ ... فِيمَا أُرِيدُ يَذِلُّ صَعْبُهْ
وَأَخُو النِّسَاءِ مُوَارِبٌ ... يَوْمًا إِذَا لَمْ يَصْفُ شِرْبُهْ(٥)
فَدَعِ الغَوِيَّ وَذَنْبَهُ ... فَمَلِيُّهِ لَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبُهْ
وَسَلِ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا ... إِنْ كَانَ ذَاكَ عَرَاكَ حَرْبُهْ(٦)
مَا تَأْمُرِينَ بِعَاشِقٍ ... عَيِيَ الطَّبِيبُ بِهِ وَطِبُّهْ
قَدْ مَاتَ أَوْ هُوَ مَيِّتٌ ... إِنْ لَمْ يُعَافِ اللهُ رَبُّهْ

---

(١) [قلنا : الرواح : الوقت الذى يكون من الزوال إلى الليل ، ويطلق أيضاً على مايكون فى ذلك الوقت من سير أو عمل ، والغدوة : البكرة ، وتطلق أيضاً على التبكير . ومعنى البيت : أن من عادة الدهر أن يشغب على المحبين ، فإن لم يبكر شغبه جاء فى الرواح . وربما كانت « إذ » محرفة عن « إن »] .

(٢) هذا البيت تضمن قول الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلا غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

ولكن بيت بشار أعذب لفظا وأوجزه وأكثر معنى بقوله « ونأى به ود » إذ فيه ذكر أن هذه الحبيبة تباعدت عنه لطلب لقاء من لايحبها .

(٣) [قلنا : الشعب : ضبطه الشارح بالفتح فى الموضعين ، وهو بالكسر فى المخطوطة ، ونراه صوابا . ومعنى : الشعب : الطريق فى الجبل وما انفرج بين الجبلين ، كالوادى . والمعنى أن بشاراً فى شعب وحبيبه فى شعب آخر ، فهما مختلفان ، وهذا مثل قولهم : أنا فى واد وأنت فى واد] .

(٤) كتب « هزنى » بالزاى ، والصواب بالراء ، والمراد بالغوى : الرقيب ، وبالكلب : اللسان عند الهجاء أو النميمة به ، قال النابغة يخاطب النعمان :

سأكعم كلبي أن يريبك نبحه

يريد به لسانه وهجاءه .

(٥) [الموارب : المخادع . والشرب : المشرب والمورد] .

(٦) اسم الإشارة راجع إلى « الغوى » . وكتب فى الديوان « عدال » وهو تحريف ، إذ لامعنى له ، والظاهر أنه « عراك » [قلنا : لعل « عدال » محرفة عن « عداك » بمعنى : تجاوزك ، فيكون معنى البيت : ن تجاوزك حرب الغوى واستطعت أن تصل إلى التى أحببتها فاسألها : ماتأمرين . . . . . الخ]

غَضِبَتْ « عُبَيْـدَةُ » قَلْبَهُ أَيَحِلُّ فِي الإِسْلَامِ غَضْبُهْ ؟
صَبٌّ إِلَيْهَـــا لَوْ تَنِي مِنْهَا الرِّسَـــالَةُ أَوْ تَغِبُّهْ (١)
لَعَدَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّـــةٌ وَلَمَاتَ أَوْ لَازْدَادَ كَرْبُهْ ! (٢)

وقال أيضا (*) :

أَلَا قُلْ لِتِلْكَ المَالِكِيَّةِ أَصْـحِبِي وَإِلَّا فَمَنِّينَا لِقَاءَكِ وَاكْذِبِي (٣)
عِدِينَـا فَإِنَّ النَّفْسَ تُخْدَعُ بِالْمُنَى وَقَلْبُ الفَتَى كَالطَّائِرِ المُتَقَلِّبِ
وَقَدْ تَامَنِي مَنْ لَا يَزَالُ مُبَـاعِدًا عَلَى قُرْبِ مَنْ يَدْنُو بِسَهْلٍ وَمَرْحَبِ (٤)
فَإِنَّكِ لَوْ تَجْفُوكِ أُمٌّ قَرِيبَـةٌ تَجَافَيْتَ عَنْهَا لِلْبَعِيـدِ المُقَرَّبِ
إِذَا يَئِسَتْ نَفْسُ امْرِئٍ مِنْ قَرِيبَةٍ تَبَدَّلَ أُخْرَى مَرْكَبًا بَعْدَ مَرْكَبِ (٥)
فَلَا تُمْسِكِينِي بِالْهَـوَانِ فَإِنَّنِي عَنِ الْهُونِ ظَمْآنٌ لِقَصْـدِ المُلْحَبِ (٦)

---

(١) تنى : مضارع ونت ، أى أبطأت .

(٢) كتب « لغدت » بالغين المعجمة ، والصواب أنه بالمهملة ، بدليل قوله « عليه » . [قلنا : لاضرورة لتخطئة المخطوطة فى « غدت » بالغين ، وليس قوله « عليه » دليلا على « عدت » بالعين . فى اللغة : غدا عليه : بكر . والمعنى : لو تأخرت الرسالة أو الزيارة لوافته المنية عاجلة] .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة ، والقصيدة من بحر الطويل .

(٣) المالـكية : عبدة ، وقوله : « أصحبى » بهمزة قطع : إما مكسورة على أن أصلها همزة وصل قطعت للضرورة فيـكون مضارع « صحب » فهو بفتح الحاء ، وإما مفتوحة (كما ضبطه الديوان) فيـكون مضارع « أصحب » المهموز إذا جعل غيره صاحبا . أى أصحبينا نفسك ، فتـكون الحاء مكسورة .
[قلنا : الظاهر هو ضبط الديوان ، إذ لاضرورة فيه ، ولا موجب لتكلف المفعول فى قوله : « أصحبى نفسك » ، بل معنى « أصحبى » : انقادى وادخلى فى صحبتى ودعى النفور والجفاء ، وقد ذكر العلماء هذا المعنى ، قال أبو عبيد : « أصحبت : أى انقدت » ، وقال ابن الأثير : « أصحبت الناقة : أى انقادت واسـترسلت وتبعت صاحبها » ، وقال الزمخشرى : « أصحب له الرجل والدابة : إذا انقاد له ومعناه دخل فى صحبته بعد أن كان نافراً عنه ، أو صار ذا صاحب وهو الانقياد بعد خلوه منه ، تقول : استصعب ثم أصحب »] .

(٤) [تامنى بمعنى تيمنى ، أى عبدنى وذللنى] .

(٥) [كتب الشارح « قريبة » بالباء ، وهى فى المخطوطة : قرينه بهاء ، ولعلها : قرينة بتاء التأنيث أى صاحبة] .

(٦) الملحب (بفتح الحاء المشددة) : الطريق اللاحب الواسع ، وكتب « طمان » بطاء مهملة ، والصواب أنه بظاء معجمة .

حَبَسْتُ عَلَيْكِ النَّفْسَ حَوْلَيْنِ لاَ أَرَى ... نَوَالاً وَلاَ وَعْدًا بِنَيْلٍ مُعَقَّبِ (١) ٢٧
وَمَا كُنْتُ ـ لَوْ شَمَّرْتُ ـ أَوَّلَ ظَاعِنٍ ... بِرَحْلِيَ عَنْ جَدْبٍ إِلَى غَيْرِ مُجْدِبِ
وَلَـكِنَّنِي أُغْضِي جُفُونًا عَلَى القَذَا ... وَأَحْفَظُ مَا حَمَّلْتِنِي فِي المُغَيَّبِ
وَأَنْتِ بِمَا قَرَّبْتِنِي وَاصْطَفَيْتِنِي ... خَلاَءٌ وَقَدْ بَاعَدْتِنِي بُعْدَ مُذْنِبِ
كَقَائِلَةٍ : إِنَّ الحِمَارَ ـ فَنَحِّهِ ... عَنِ القَتِّ ـ أَهْلُ السِّمْسِمِ المُتَهَذِّبِ (٢)
وَمَا الحُبُّ إِلاَّ صَبْوَةٌ ثُمَّ دَنْوَةٌ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ كَانَ الهَوَى رَوْغَ ثَعْلَبِ!

وقال أيضاً (*) :

وَمَرِيضَةٍ مَرَضَ الهَوَى ... بَكَرَتْ بِعَبْرَتِهَا تَعِيبْ (٣)
وَرَفَعْتُ عِنْدَ جَوَابِهَا ... صَوْتِي ، وَقَدْ سَكَتَ المُرِيبْ
إِنَّ الهُمُومَ تَعَلَّقَتْ ... حَوْرَاءَ كَالرَّشَإِ الرَّبِيبْ (٤)
وَيْلِي عَلَى رَوَغَانِهَا ... وَلِسَانِهَا المَلِقِ الخَلُوبْ !

---

(١) [قلنا : لعل « معقب » بكسر القاف المشددة ، يعنى أن الوعد بنيل يجىء بعقب ذلك الوعد]

(٢) أى كالتى حاولت إكرام الحمار فقطعت عنه أكل القت وأطعمته السمسم وهو لا يريده ، والقت : (بقاف مفتوحة) : الفصفصة ، وهى نبت حضرى شهى للدواب ، وتعرف فى تونس بالفصة . والسمسم : الجلجلان ، وبذلك ظهر وجه التشبيه ، فالفاء فى قوله : « فنحه عن القت » فاء الفصيحة ، أى إن كان أهل السمسم فنحه عن القت ، كالفاء فى قول عباس بن الأحنف :

قالوا : خراسان أقصى مايراد بنا ... ثم القفول ، فقد جئنا خراسانا

وقد أتى بجملة « فنحه » مقدمة على دليل شرطها للضرورة ، كما قال فى البيت ٢١ من هذه الورقة:

إن الحبيب — فلا أكافئه — ... بعث الخيال على واحتجبا

ونظيره تقديم المعطوف على المعطوف عليه بالفاء عند هشام فى ضرورة الشعر .

(*) وقال أيضا فى النسيب ، والقصيدة من مجزوء الكامل ، وضربها معرى متفاعلن متفاعلن .
[قلنا : عروض هذه القصيدة مجزوءة صحيحة ، وضربها مجزوء مذيل ، فيكون وزن البيت :

متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلان]

(٣) [قلنا : « بكرت بعبرتها » مثل قوله فيما سبق (ص١٠٩ من هذه المطبوعة): « فاستهلت بعبرة » ثم قالت . . . إلخ] .

(٤) الرشأ : الظبى الصغير اذا مشى مع أمه . والربيب : فعيل بمعنى مربوب ، أى محضون ، أى الصغير الذى لم يزل فى رعاية أمه [ويشبه عجز هذا البيت عجز البيت الذى رواه القالى فى أماليه وأبو تمام فى حماسته :

. . . . غزال أحم المقلتين ربيب

فَلَقَدْ شُغِفْتُ بِحُبِّهَا شَغَفَ النَّصَارَى بِالصَّلِيبْ!(١)
عَهِدَتْ إِلَيَّ وَأَدْبَرَتْ عَهْدًا تَذَكُّرُهُ يُشِيبْ!
وَكَأَنَّهَا لَمَّا مَشَتْ أَيْمٌ تَأَوَّدَ فِي كَثِيبْ(٢)
وَكَأَنَّنِي مِنْ حُبِّهَا ظَارٍ أَهَابَ بِهِ مُهِيبْ(٣)
خُلِقَ النِّسَاءُ خِلَافَهَا ضَرْبًا وَلَيْسَ لَهَا ضَرِيبْ(٤)
زَيْنُ الْمَجَاسِدِ مِثْلُهَا يُشْفَى بِهِ ضِغْنُ الْقُلُوبْ
لَمَّا شَمَبْتُ عَلَى الْوُشَاةِ وَغُضْنُ نَاظِرِكَ الشَّعُوبْ(٥)

---

(١) [قلنا : « شغفت ... شغف » كتبهما الشارح بالغين المعجمة ، وهما فى المخطوطة بالعين المهملة ، ولا مقتضى للتغيير ، فالشعف بالمهملة أن يغشى الحب القلب من فوقه] .

(٢) الأيم [هو : الحية الأبيض اللطيف ، وهم يشبهون به بشرة المرأة] انظر البيت ١٠ من الورقة ٧ ، والكثيب : الرمل . [وتأود : انعطف وانثنى] .

(٣) أهاب : زجر بقوله « هاب هاب » كما فى القاموس ، أو « هوب هوب » كما فى التبريزى على معلقة طرفة ، وهو من أسماء الأصوات للإبل والخيل ، ثم توسع فيه فاستعملوه فى النداء القوى ، قال فى اللسان : أهاب الراعى بغنمه أى صاح بها لتقف أو لترجع . وقوله « ظار » كتبه بظاء مشالة وهمزة وضبط الراء بكسرتين تحتها ، ولا يلتئم له معنى ، لأن الظأر هكذا هو المثل يقال : عدو ظأر أى مثله معه كذا فى القاموس ، فصوا به : ضأن [قلنا : لعل الكلمة محرفة عن « صاد » بمعنى ظامىء . ومن معانى أهاب : دعا] .

(٤) ضبط فى النسخة قوله « ضربا » بفتح فسكون ، وهو خطأ ، والصواب أنه بضم الضاد والراء جمع ضريب ، فإن « فعلا » بضمتين يطرد جمعا لكل اسم رباعى ممدود ما قبل اللام وليس لامه حرف علة كقضيب وقضب وعماد وعمد ، ويدل لذلك قوله بعده « وليس لها ضريب » والضريب هو المشابه والمشاكل ، ووقع لصاحب القاموس فيه غلط ، إذ جعله بمعنى الصنف ، وإنما ذلك الضرب بفتح فسكون [قلنا : لا نرى مدعاة للعدول عن ضبط كلمة « ضربا » فإنها كما فى المخطوطة بفتح الضاد وسكون الراء يستقيم بها معنى البيت ، والضرب : الصنف ، فمعنى البيت أن النساء صنف آخر ، وأما حبيبته فصنف وحدها ليس له ضريب ، أى مثيل . وهذا الأسلوب مستعمل فى الشعر ، ومنه ماروى عن ثعلب :

أراك من الضرب الذى يجمع الهوى وحولك نسوان لهن ضروب]

(٥) كتب « وغصن ناظرك الشعوب » والظاهر أن صوابه « وغض ناظرك الشعوب » ، شعب : صرف وكف ، وعداه بعلى لتضمينه معنى أغلظ . ومعنى « وغض ناظرك » أى إعراضك عنهم وعدم الالتفات إلى أحوالهم ، والشعوب : الموت ، وهو علم جنس للموت ، فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوى ، وقد دخلت عليه الألف واللام على رأى من رأى من أهل اللغة دخولها على « شعوب » بمعنى الموت ، فيقال : الشعوب ، وهذا رأى الجمهور ، وعليه ورد فى القاموس ، بناء على أن التعريف للمح أهل الصفة ، لأن « شعوب » مشتقة من الشعبة وهى الفرقة ، وقيل : لا تدخلها الألف واللام ، وهذا رأى الجوهرى فى الصحاح ، وصف ناظرها بالموت عوض أن يقول « الميت » مبالغة ، كقول رويشد الطائى : قولا يبرئكم إنى أنا الموت =

رَجَعَ الوُشَــاةُ كأَنَّهُمْ عُرَفاءُ لَيْسَ لَهُمْ نَقِيبُ ![1]

وقال أيضاً[*] :

طَرِبَ الحَمَامُ فَهاجَ لِي طَرَبَا رُبَّمَا يَكُونُ تَذَكُّرِي نَصَبَا[2]
إذْ لامَنِي «عَمْرٌو» فَقُلْتُ لَهُ غُلِبَ العَزَاءُ وَرُبَّمَا غُلِبَــا[3]
إنَّ الحَبِيبَ ـ فَلاَ أُكَافِئُهُ ـ بَعَثَ الخَيَــالَ عَلَيَّ وَاحْتَجَبَا[4]
فاعْذِرْ أَخَاكَ وَدَعْ مَلاَمَتَهُ إِنَّ المَلاَمَ يَزِيدُهُ تَعَبَــا
لاَ تَنْهَبَنْ عِرْضِي لِتَقْسِمَهُ مَا كَانَ عِرْضُ أَخِيكَ مُنْتَهَبَا
وَانْحُ الفَــدَاةَ عَلَى مُقَابِلِهِمْ لِخَلِيلِكَ المَشْغُوفِ إِنْ طَلَبَا[5]

= [قلنا : الذى نراه أن فى البيت تصحيفا فى « شعبت والشعوب » والصواب « شغبت » (بالغين المعجمة ، وقد سبق فى شعر بشار ذكره) و « الشغوب » (بالغين المعجمة أيضا مع فتح الشين ، وهو الذى يشغب الخصومة) وذلك لأن من المعروف فى مواقف الحبيبين مع الوشاة قيام « الشغب » (بالغين المعجمة) قال ابن الدمينة :

وكونى على الواشين لداء شغبة كما أنا بالواشى ألد شغوب
وكونى إذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا على صليب

(انظر العمدة ج ٢ ص ٢٧ وعبث الوليد ص ٤٥)] .

(١) العرفاء : جمع عريف ، وهو كبير الحى ، والنقيب : وهو كبير القبيلة كلها ، فهو يجمع تحت نظره عرفاء كثيرين ، قال تعالى : وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ، ومنه سمى نقيب العلويين ونقيب الهاشميين ونقيب النقباء فى الدولة العباسية . ووجه الشبه المراد فى البيت هو التفرق والانحلال .

[قلنا : العريف والنقيب من ألقاب من يتولون أمر الجيش كما فى الأحكام السلطانية للماوردى ونهاية الأرب للنويرى ، والنقيب : هو الرئيس الأكبر كما فى التاج . وقد ذكروا فى تدبير أمر الجيش أنه لابد أن يعرف العرفاء وينتقب النقباء ، فالجيش إذا لم يكن لعرفائه نقيب تفكك وتفتت] .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة ، ويذكر مراسلته إياها مع جارية ظريفة ، وما أجابت عبدة . والقصيدة من بحر الكامل وعروضها [حذاء] وضربها أحذ .

(٢) الطرب : التأثر من استحسان أو إساءة ، فهو من الأضداد ، وكتب « وبما يكون » بالواو ، وهو تحريف ، صوابه « ربما . . » [قلنا : يجوز أن يكون الطرب فى هذا البيت بمعنى الشوق كما فى اللغة ، وذلك دائر فى الشعر ، ومنه قول على الجرمى : « وما هاج هذا الشوق إلا حمامة »] .

(٣) قوله : « غلب العزاء » هو بالزاى المعجمة ، أى الصبر ، أى ضعف الصبر .

(٤) قوله : « فلا أكافئه » عطف مقدم ومعترض بين اسم إن وجملة خبرها ، كقوله فى البيت الخامس من هذه الورقة :

كقائلة : إن الحمار فنحه . . . الخ

(٥) كتب « الفداة » بغين معجمة مفتوحة ، ولعله بعين مهملة مضمومة .

٢٨ الطُّرْقُ مُقْبِلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ   هَوِّنْ عَلَيْكَ لِأَيِّهَا رَكِبَا
لَوْلَا الحَمَامُ وَطِيفُ جَارِيَةٍ   مَاشَفَّنِي حُبٌّ وَلَا كَرَبَا(١)
إِنَّ الَّتِي رَاحَتْ مَوَدَّتُهَا   رَغْمًا عَلَيَّ فَبِتُّ مُكْتَئِبَا
حَوْرَاءُ لَوْ وَهَبَ الإِلٰهُ لَنَا   مِنْهَا الصَّفَاءَ لَحَلَّ مَاوَهَبَا(٢)
خُلِقَتْ مُبَاعِدَةً مُقَارِبَةً   حَرْبًا وَتَمَّتْ صُورَةً عَجَبَا
فِي السَّابِرِيِّ وَفِي قَلَائِدِهَا   مُنْقَادُهَا عَسِرٌ وَإِنْ قَرُبَا(٣)
كَالشَّمْسِ إِنْ بَرَقَتْ مَجَاسِدُهَا   تَحْكِي لَنَا اليَاقُوتَ وَالذَّهَبَا

---

(١) يريد لولا هديل الحمام يذكرنى الحبيبة ، وهذه شنشنة غرامية فى التذكر بالحمام كثرت فى كلام القدماء والمولدين ، وذلك أن العرب تزعم فى خرافاتها أن الحمام إذا غنى فإنما هو ينوح على « هديل » ، وهو حمام مات فى زمن نوح ، ولذلك سموا نواحه هديلا ، فضربوا به المثل فى الشوق والتحسر ، قال النابغة :

إذا تغنى الحمام الورق ذكرنى   ولو تصبرت عنها أم عمار

وقال المعرى يصف إبلا تشتاق لمواطنها :

أشبهن فى الشوق الحمام وإنما   طيرانهن ترقص وذميل

فلم يزل صوت الحمام من مذكرات الأحبة . وقوله : « ولا كربا » أى ولا قارب أن يشفنى ، فكرب من أفعال المقاربة ، وحذف خبرها هنا لقيام الدليل عليه بقوله ماشفنى ، كما حذف خبر « كاد » فى الحديث : من تأنى أصاب أو كاد [قلنا : ولعل « كرب » هنا بمعنى : شق عليه واشتد ، كما فى اللغة] .

(٢) [قلنا : ربما كانت كلمة « لحل » محرفة عن « لجل » أى : لعظم] .

(٣) السابرى : الثوب الرقيق الذى يشف عما تحته من الثياب ، قال بعض أهل اللغة : هو منسوب إلى سابور ، كورة من كور فارس ، نسبة على غير قياس ، قال فى المشارق : لما استثقلوه خففوه ، وقال بعض علماء اللغة : أصله الدرع السابرية ، وهى دروع مشهورة بدقة صنعها ، فلعلها منسوبة إلى سابور ملك الفرس العظيم ، كما شهر بعض الدروع بالنسبة إلى داود ، أو إلى سليمان ، وبعضها بالنسبة إلى تبع ، وكل هؤلاء من مشاهير الملوك الغزاة ، فشبهوا الثوب الشفاف بالدرع فى الشدة والشفوف . واعلم أن السابرى ضبط فى نسخة الديوان بكسرة تحت الباء ، وكذلك ضبط فى جميع ماوقفت عليه من الكتب المضبوطة ، مثل مواضع من لسان العرب طبع بولاق مصر ومخصص ابن سيده طبع بولاق ونسخة من ديوان ذى الرمة مخطوطة ، ولم يضبطه صاحب القاموس ولا فى شرحه تاج العروس ، ووقع فى لب اللباب فى الأنساب للسيوطى التصريح بأنه بفتح الباء ، وكذلك وقع فى شرح الزرقانى على موطأ مالك فى البيع على البرنامج ، ولعل ذلك حملهما على مصطلح صاحب القاموس : أنه إذا أطلق كلمة عن الضبط فضبطها الفتح ، ولم أقف على من صرح أنه بالفتح غير هذين ، على أن صاحب القاموس قد اشترط أنه لايريد الفتح ، إلا إذا لم تكن الكلمة مشهورة بغيره . فلعله رأى أن السابرى مشهور عند الناس بكسر الباء ، وهذا قصارى ماتحصل لى فى ضبطه الخ ، وهو لباس الترف ، وقوله « فى السابرى » حال من قوله « وتمت » وقوله « منقادها » استئناف كلام ، والمنقاد : مصدر ميمى من انقاد ، بمعنى لان وخضع .

أَطْوِى الشَّكَاةَ ولاَ تُصَدِّقُنِى   وَإِذَا اشْتَكَيْتُ تَقُولُ لِى : كَذِبَا
عَسُرَتْ خَلاَئِقُهَا عَلَى رَجُلٍ   لَعِبَ الهَوَى بِفُؤَادِهِ لَعِبَا
وَلَقَدْ لَطُفْتُ لَهَا بِجَارِيَةٍ   رَوَتِ القَرِيضَ وَخَالَطَتْ أَدَبَا(١)
قَالَتْ لَهَا : أَصْبَحْتِ لاَهِيَةً   عَمَّنْ يَرَاكِ لِحَتْفِهِ سَبَبَا
لَوْ مُتُّ مَاتَ وَلَوْ لَطُفْتِ لَهُ   لَرَأَى هَوَاكِ لِقَلْبِهِ طَرَبَا(٢)
تَأْتِيكِ نَازِحَةً مَنَاسِبُهُ   وَيَحُوطُ غَيْبَكُمُ وَإِنْ غَضِبَا(٣)
وَإِذَا رُفِعْتِ إِلَى مُخَيِّلَتِهِ   مَطَرَتْ عَلَيْكِ سَمَاؤُهُ ذَهَبَا(٤)

---

(١) لطف له بكذا (كنصر) بمعنى أوصل إليه شيئاً برفق ، ويتعدى لطف باللام ، كما يتعدى بالباء ، لطف به وله .

(٢) لطفت له بمعنى رفقت لأجله ، [ولمعنى آخر] يقال : لطف فهو لطيف ، أى رق [بضم الطاء ، وضبط بالضم فى المخطوطة ، وهو أنسب فى هذا البيت] .

(٣) « نازحة » حال من كاف الخطاب ، والنازحة : [البعيدة] تقدم فى البيت ٣ من الورقة ٢٦ . والمناسب : جمع منسبة (بفتح الميم وكسر السين) وهى اسم مصدر نسب بالمرأة كضرب ونصر ، بمعنى ذكر محاسنها ، والاسم منه أيضاً : النسيب ، يعنى يأتيك شعره ذاكراً محاسنك . وقوله : « ويحوط غيبكم » بمعنى يحوطكم أى يحفظكم فى الغيبة ، فجعل الغيب مفعول يحوط ، وهو فى الحقيقة ظرفه ، على طريقة المجاز العقلى فى إيقاع الفعل على غير مفعوله الذى هو له ، ونكتته أن المحافظة على السر والوداد فى زمن الغيبة لما كان هو أقوى أحوال الحفاظ علقه بذلك الزمن ، قال عمر بن أبى ربيعة :

أسكنى ما ماء الحياة وبرده   منى على ظمأ وحب شراب
بأحب منك وإن نأيت ، وقلما   يرعى النساء أمانة الغياب

ولو ذهبنا نقدر هذا منصوباً على نزع الخافض لخرجنا إلى كلام مغسول يفيت هذا المقصد البليغ . وقوله « غيبكم » جاء بضمير الجمع المذكر لتعظيم المخاطبة ، وتلك طريقة العرب فى تعظيم الأنثى : لايأتون به ضمير جماعة الإناث ، كما قال جعفر بن علبة الحارثى :

فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم   لشىء ولا أنى من الموت أفرق

وانظر البيت ٨ من الورقة ٤٢ والبيت ٢ من الورقة ٢٢٣ .

وقوله : « وإن غضبا » مبالغة « وإن » فيه وصلية ، وهى التى تدل على شرط معطوف على شرط محذوف ، وذلك الشرط المعطوف أولى بالحكم من الشرط المحذوف ، وتستعمل فى هذا المعنى إن ولو ، أى ويحوط غيبكم إن كان راضياً وإن غضبا ، لأن حالة الغضب قلما يبق معها حفظ العهد إلا إذا كان عهداً مكيناً ، ونظيره قول عمرو بن معد يكرب فى الحماسة :

ليس الجمال بمئزر   فاعلم وإن رديت بردا

وقوله تعالى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به .

(٤) المخيلة (بضم الميم وبفتحها مع تخفيف الخاء) هى السحابة التى يعرف منها أنها ماطرة ، والمعنى إذا ذكرك فى ذهنه الذى هو مفيض الشعر أنشأ ذهنه فيك قصائد الذهب .

ذَهَبَ الهوى بفُؤادِهِ عَبَثًا ... وَأَفادَهُ مِنْ قَلْبِهِ جَرَبًا(١)
فَارْثِي لَهُ مِمَّا تَضَمَّنَهُ ... مِن حَرِّ حُبِّكُمُ فَقَدْ نَشِبَا!(٢)
قالَتْ «عُبَيْدَةُ»: قَدْ وَفَيْتُ لَهُ ... بالوُدِّ حَتَّى مَلَّ فانقَلَبَا
وَصَغَا إلى أُخْرَى يُراقِبُها ... فِينَا وَكُنْتُ أَحَقَّ مَنْ رَقَبَا(٣)
قُولِي لَهُ: ذَرْ مِنْ زِيارَتِها ... لِلِقائِنا إنْ جِئْتَ مُرْتَقِبَا(٤)
وَاجْهَدْ يَمِينَكَ لا تُخالِفُنِي ... فِيما هَوِيتُ وَكانَ لِي أَرَبَا
وَإذا بَكَيْتَ فَلا عَدِمْتَ شِفاً ... وَأَكَلْتَ لَحْمَكَ جِنَّةً كَلَبَا(٥)
سَأَلَتْ لِأُعْتِبَها وَأَطْلُبَها ... مِمَّا تَخافُ فَقُلْتُ: قَدْ وَجَبَا(٦)
ولَقِيتُها كالخَمْرِ صافِيَةً ... حَلَتْ لِشارِبِها وَمَا شَرِبَا

وقال أيضاً(*):

لَقَدْ زادَنِي ما تَعْلَمِينَ صَبابَةً ... إلَيْكِ فَلِلْقَلْبِ الحَزِينِ وَجِيبُ

---

(١) كتب «جرباً» بجيم، والجرب: مرض يعترى الجفن، فلعل قوله «من قلبه» صوابه «من جفنه» أو لعله «حرباً» بالحاء المهملة وهو ذهاب المال، ورجل محروب بمعنى مسلوب المال.

(٢) لقد أبدعت هاته الجارية فى طرق الخلابة اللفظية لترقيق عبيدة، وفى المثل: أرسل حكيما ولا توصه، ولذلك نجحت فى رسالتها، كما أنبأ عنه قوله آخر القصيدة: ولقيتها كالخمر صافية ... الخ.

(٣) صغا بمعنى مال، ومنه «فقد صغت قلوبكما»، وأما صغى فبمعنى أصاخ سمعه.

(٤) كتب «زيارتها» على حكاية كلام الجارية لاحكاية كلام عبدة، كقول عيسى فى حكاية أمر الله: ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم، ولم يقل: ربك وربهم، وقوله «للقائنا» التفات، وأحسن من ذلك أن يقول «من زيارتنا»، والمعنى اترك من زيارتنا عند وجود الرقباء لأن سبب إعراضها عنه خيفة الرقباء. [قلنا لعل قوله «من زيارتها» حكايه كلام عبيدة نفسها، والضمير راجع إلى المرأة الأخرى، التى كان يراقبها بشار. والمعنى أن عبيدة تأبى أن يزور بشار غيرها إذا كان يريدها وينتظرها].

(٥) [قلنا: قوله: «لاعدمت شفا» يشعر فى ظاهره بالدعاء له، مع أن المقصود هو الدعاء عليه كما يقتضى سياق البيت. فلعل المراد بكلمة الشفاء هنا هو استمرار البكاء، واعتبار البكاء شفاء مما يجرى فى الشعر، كما قال امرؤ القيس: «وإن شفائى عبرة مهراقة» فهى تدعو عليه باستمرار البكاء].

(٦) [قلنا: لعل قوله «مما تخاف؟» هو السؤال، وإثبات الألف فى «مما» من سنة بعض العرب، كما فى شرح الرضى للشافية، وقوله «لأعتبها وأطلبها» اعتراض. والمعنى: أن الحبيبة تطلب إلى بشار ألا يخشى شيئا، وأن يزيل عتبها ويترضاها، وأن بشاراً قد أجابها إلى ذلك].

(*) (وقال أيضا) فى الأغانى ص ٣٨ جزء ٣ عن أبى عبيدة: كان بشار يهوى عبدة فخرجت عن البصرة =

وَمَا تَذْكُرِينَ الدَّهْرَ إلا تَهَلَّلَتْ ... لِعَيْنَيَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكِ غُرُوبُ
أَبِيتُ وَعَيْنِي بِالدُّمُوعِ رَهِينَةٌ ... وَأُصْبِحُ صَبًّا وَالفُؤَادُ كَئِيبُ ٢٩
إِذَا نَطَقَ القَوْمُ الجُلُوسُ فَإِنَّنِي ... أُكِبُّ كَأَنِّي مِنْ هَوَاكِ غَرِيبُ (١)
يَقُولُونَ : دَاءُ القَلْبِ جِنٌّ أَصَابَهُ ... وَدَائِي غَزَالٌ فِي الحِجَالِ رَبِيبُ
إِذَا شِئْتُ هَاجَ الشَّوْقَ وَاقْتَادَهُ الهَوَى ... إِلَيْكِ مِنَ الرِّيحِ الجَنُوبِ هَبُوبُ (٢)
هَوَى صَاحِبِي رِيحُ الشَّمَالِ إِذَا جَرَتْ ... وَأَهْوَى لِقَلْبِي أَنْ تَهُبَّ جَنُوبُ (٣)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا حِينَ تَنْتَهِي ... تَنَاهَى وَفِيهَا مِنْ « عُبَيْدَةَ » طِيبُ
وَإِنِّي لَمُسْتَشْفٍ « عُبَيْدَةَ » إِنَّهَا ... بِدَائِي ـ وَإِنْ كَاتَمْتُهُ ـ لَطَبِيبُ
كَقَارُورَةِ العَطَّارِ أَوْ زَادَ نَعْتُهَا ... تَلِينُ إِذَا عَاتَبْتُهَا وَتَطِيبُ (٤)
لَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي « عُبَيْدَةُ » فِي الهَوَى ... فَلَيْسَ لِأُخْرَى فِي الفُؤَادِ نَصِيبُ
أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ ... لَهُ حِينَ يُمْسِي زَفْرَةٌ وَنَحِيبُ
يُقَطَّعُ مِنْ أَهْلِ القَرَابَةِ وُدُّهُ ... فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا هَوَاكِ نَسِيبُ
تُمَنِّينَنِي حُسْنَ القَضَاءِ بَعِيدَةً ... وَتَلْوِينَنِي دَيْنِي وَأَنْتِ قَرِيبُ (٥)

= إلى عمان مع زوجها فقال بشار فيها أبياتا خمسة وهى على ترتيب الأغانى ٥ — ٦ من ورقة ٢٩ من الديوان ثم ٦ — ٧ من ورقة ٣١ ، ثم ٢ — من ورقة ٢٩ . وحيث كانت ٦ — ٧ فى ورقة ٣١ لبشار فأبيات الأغانى ملفقة من قصيدتين وهى فى حبيبته سعدى وليست فى عبدة ، فالظاهر أن أبا عبيدة اختلطت عليه لاتحاد البحر والقافية . والأبيات من بحر الطويل .

(١) روى فى الأغانى المصراع الثانى : « مكب كأنى فى الجميع غريب » .

(٢) [نقول : ضبط « الشوق » فى المخطوطة وفى نسخة الشارح بالضم ، ونراه بالفتح ، والفاعل « هبوب » وجملة « واقتاده الهوى » معترضة] .

(٣) روى فى الأغانى « وأشفى لقلبى » وإنما أحب الجنوب لأن عمان بالجنوب من البصرة ولعله أراد بصاحبه زوج عبدة ، لأن بشارا يصاحب ذكره ، والحديث عنه كقول الحجاج فى خطبته بعد يوم ذى الجماجم : « ألستم أصحابى بالأهواز » ، أى الذين قاتلتمونى ، وإنما كان هوى صاحبه ريح الشمال لأنها تهب من ورائهم فى السير إلى عمان ، لاسيما أن كل السير فى النهر والبحر ، وقد نسب فى شرح مختار المختار ص ٨٤ هذا البيت والذى بعده إلى غير بشار وغير اسم « عبيدة » فى البيت الموالى باسم « أميمة » .

(٤) كتب فى الديوان : كفى زورة العطار ، وهو تحريف ، وأصله لامحالة : « كقارورة العطار » القارورة : إناء مستطيل متسع الوسط ضيق الأعلى تجعل فيه الخمر والعطور ملون من الزجاج ، ولذلك سمى الزجاج القوارير ، وفى حديث حداء أنجشة حادى ركب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له : رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير . وقال بشار : فإنه عربى من قوارير ، أى ضعيف النسب للعرب . وقد تكون من فضة أو ذهب ، وهى مشتقة من القرار .

(٥) [لواه دينه : مطله] .

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى : أَتَجْحَدُ حُبَّنَا ... « عُبَيْدَةُ » أَمْ تَجْزِى بِهِ فَتُثِيبُ ؟
وَإِنِّى لَأَشْقَى النَّاسِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا ... خَصِيبًا وَمُرْتَادُ الْجَنَابِ جَدِيبُ[١]
وَقَائِلَةٍ : إِنْ مُتَّ فِى طَلَبِ الصِّبَى ... فَلَا بُدَّ أَنْ تُحْصَى عَلَيْكَ ذُنُوبُ[٢]
فَرُمْ تَوْبَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ فَإِنَّنِى ... أَخَافُ عَلَيْكَ اللهَ حِينَ تَؤُوبُ
تَكَلَّفُ إِرْشَادِى وَقَدْ شَابَ مَفْرِقِى ... وَحَمَّلَنِى أَهْلِى فَلَيْسَ أَرِيبُ[٣]
فَقُلْتُ لَهَا : لَمْ أَجْنِ فِى الْحُبِّ بَيْنَنَا ... أَثَامًا عَلَى نَفْسٍ ، فَمِمَّ أَتُوبُ ؟
أَرَانَا قَرِيبًا فِى الْجِوَارِ وَنَلْتَقِى ... مِرَارًا وَلَا نَخْلُو ، وَذَاكَ عَجِيبُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَزُورُكِ مَرَّةً ... وَلَيْسَ عَلَيْنَا يَا « عُبَيْدُ » رَقِيبُ ؟
فَتَشْفِى فُؤَادَيْنَا مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى ... فَإِنَّ الَّذِى يَشْفِى الْمُحِبَّ حَبِيبُ
وَمَا أَنْسَ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لِلْفَتَى ... وَأَيَّامُهُ اللَّاتِى عَلَيْهِ تَنُوبُ
فَلَسْتُ بِنَاسٍ مِنْ رُضَابِكِ مَشْرَبًا ... وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ[٤]
فَبِتُّ لِمَا زَوَّدْتِنِى وَكَأَنَّنِى ... مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ التِّلَادِ حَرِيبُ[٥]
إِذَا قُلْتُ يُنْسِينِيكِ تَغْمِيضُ سَاعَةٍ ... تَعَرَّضَ أَهْوَالٌ لَكُمْ وَكُرُوبُ

---

(١) كتب « الجناب » بموحدة فى آخره ، ولعله بنون ، والمرتاد : اسم مكان من ارتاد إذا ذهب يطلب الـكلأ ، أى إذا كان حبها فى نفسى خصيبا أى كثيرا ومحل ارتياد قلبى منها جديب [قلنا : لعل كلمة « الجناب » غير محرفة ، فإنهم يقولون « جناب فلان » يقصدون فناءه ومحلته ، ، وهم يصفون « الجناب » بالخصب وبالجدب ، وبشار يريد — هنا — أن حبها خصيب موفور ، ولـكن المـكان الذى يرتاد من جنابها جديب مما يرجوه المحبون] .

(٢) كتب فى الديوان « منت » أى [كذبت] فهو معنى الـكذب ، ولامعنى له هنا ، إذ لا يناسب مابعده ، فلعله « إن مت . . . . » .

(٣) « تـكلف » أى تتـكلف ، أى القائلة ، وقوله : وحملنى أهلى ... الخ لم يتضح له معنى .
[قلنا : الرأى عندنا أن المعنى فى قوله : « وحملنى أهلى » أنه حمال أعباء عشيرته ، يصرف أمورهم ، وقد قال بشار (انظر ص ١٣١) من هذه المطبوعة) يصف نفسه « ... لـكننى حمال أعباء » وأما قوله : « فليس أريب » فمعناه أنه لايصم نفسه بريبة ، فمثله فى شيبته ومكانته وحسن تصريفه لا يقف مواقف التهم] .

(٤) « فلست بناس » جواب « ما » الشرطية فى قوله قبله . وما أنس ... الخ .

(٥) [حريب بمعنى محروب ، أى مسلوب] .

٣٠ وقال أيضاً(*) :

طَرِبْتَ إِلَى « حَوْضَى » وَأَنْتَ طَرُوبُ   وشاقَكَ بَيْنَ « الْأَبْرَقَيْنِ » كَثِيبُ(١)
وَنُؤْىٌ كَخَلْخَالِ الفَتَاةِ وَصَائِمٌ   أَشَجُّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رَقُوبُ(٢)
وَمَسْجِدُ شَيْخٍ كُنْتَ فِي سَنَنِ الصِّبَا   تُحَيِّيهِ أَحْيَانًا وفِيهِ نُكُوبُ(٣)

(*) وقال أيضا فى النسيب بسعدى بنت صقر بن قعقاع المالكية من بنى بكر ، كما يؤخذ مما هنا ومن الورقة ١١٨ والورقتين ١٨٤ — ١٨٥ والورقة ٢٢٣ ، ويؤخذ من البيت الخامس عشر فى الورقة ٣٥ أنها من بنى سعد بن بكر ، وربما سماها سعاد تلطفا كما فى الورقة ١٤١ ، وبنو سعد بن بكر هم من هوازن كانت منازلهم بين مكة وحنين ، ولغتهم من أفصح لغات العرب ، وهى إحدى اللغات السبع التى نزل بها القرآن ، ومنهم كانت حليمة مرضعة رسول الله ، وفى الحديث : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش واسترضعت فى بنى سعد ، وبنو مالك : بطن منهم ، وهم بنو مالك بن الحطيط (بوزن زبير وبطاءين) ابن جشم .

والقصيدة من بحر الطويل وعروضها مقبوضة وضربها محذوف ، إلا أنه جاء فى البيت الأول بالعروض أيضا محذوفة لأجل التصريع ، لأنهم إذا صرعوا ساووا العروض بالضرب ، حتى إنهم يأتون بالعروض معه صحيحة إذا كان الضرب صحيحا ، مع أن العروض لا تكون صحيحة فى الطويل ، كقول امرئ القيس :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى   وهل يعمن من كان بالعصر الخالى ؟

ثم قال :

وهل يعمن إلا سعيد مخلد   ... ...

(١) « طربت » بفتح التاء خطاب لنفسه على طريقة التجريد ، وحوضى اسم مكان ورد ذكره فى شعر النابغة ، « والأبرقان » بفتح الهمزة وفتح الراء : تثنية أبرق ، جبل فيه لونان من رمل وحجارة فيكون أسود وأبيض ، والأبرقان : اسم غلب على أبرق حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى من طريق البصرة للقاصد إلى مكة .

وقد نسج قصيدته هذه على منوال قصائد العرب ، فلذلك ذكر النؤى والأطلال ، وكان الشعراء وخاصة بشاراً يتنافسون فى محاكاة شعر العرب ، لتظهر مقدرتهم البلاغية بالموازنة بين شعرهم وشعر فحول الجاهلية ، وقد ذكرنا ذلك فى مقدمة شرح الديوان ، ولم يخالف الطريقة الجاهلية إلا فى قوله « مسجد شيخ » أى محل سجوده ، فذلك معنى إسلامى .

(٢) [النؤى : الحفير حول الخباء أو الحاجز يمنع السيل ، ويكون مستديراً] أراد بالصائم الوتد ، بدليل قوله أشج ، لأن الوتد يدق من أعلاه فهو كالأشج ، والأشج هو المجروح فى رأسه ، ووصفه بالصائم لأنه ثابت فى مكانه ، ومن قولهم : خيل صيام ، أى واقفة ، وسلك فى قوله « وصائم » طريقة المحاجاة بالتورية .

(٣) « مسجد شيخ » أى محل سجوده ، أى سقوطه ، سلك طريقة المحاجاة بالتورية ، والشيخ : الجمل ، ومنه كتاب سيبويه :

مالك من شيخك إلا عمله   إلا رسيمه وإلا رمله

واستعمال بشار هذا اللفظ فى معنى الجمل على طريقة التورية يقوى روايته فى كتاب سيبويه (بالياء =

غَدَا بِثَلَاثٍ مَا يَنَامُ رَقِيبُهَا ... وَأَبْقَى ثَلَاثًا مَا لَهُنَّ رَقِيبُ (١)

أَوَاجِيُّ حُزْنٍ لِلْمُحِبِّ يَهِجْنَهُ ... إِذَا اجْتَازَ فِيمَا يَغْتَدِي وَيَؤُوبُ (٢)

فَلَا بُدَّ أَنْ تَغْشَاكَ — حِينَ غَشِيتَهَا ... هَوَاجِدُ أَبْكَارٍ عَلَيْكَ وَثَيِّبُ (٣)

= والحاء) ورد على من زعم أنه تحريف أصله شنجك (بنون فجيم) بناء على أن اللغويين لم يذكروا أن الشيخ يستعمل بمعنى الجمل ، بدليل قوله : غدا بثلاث ... الخ . والسنن : العادة ، ورأيت فى مجموعة أظنها لأبى القاسم الأصفهانى لفظ « الضحى » عوض « الصبى » [وأريد به] ترشيح التورية للسجود ، لأن وقت الضحى وقت صلاة نافلة الضحى .

[قلنا : لانرى مقتضيا لإبعاد المعنى عن ظاهر الكلام فى قوله « مسجد شيخ » فلعل المراد بهذين اللفظين ماهو المعروف فى معناهما ، وليس : مسقط جمل ، وقد ذكر بشار المسجد بمعناه الحقيقى فى مطالع شعره التى جاءت على طريقة الجاهليين ، فقال فى مطلع قصيدة دالية (فى الورقة ١٥٨) : يا دار أقوت بالأجالد ... الخ ثم قال :

تمشى النعام بأرضها ... مشى النساء إلى المساجد

ولعل هذا الشيخ هو القيم على حبائب بشار حينئذ ، وقد رحل بهن ، فيكون المراد بقوله « فيه نكوب » أنه القيم الذى يُعتمد عليه ، والنكوب لعلها هنا مصدر : نكب على قومه إذا كان منكبا لهم يعتمدون عليه] .

(١) الضمير فى غدا عائد إلى الشيخ أى الجمل ، أى رحل . أراد بالثلاث التى ما ينام رقيبها حبائبه من بنات الحى [وسيأتى ذكر هؤلاء الثلاث مع شوقه إلى « حوضى » فى القصيدة الدالية التى فى الورقة ٢٠٢] ، ولك أن تجعل فاعل غدا محذوفا وتقديره غدا غاد ، كقوله فى الحديث : ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، أى الشارب ، وهذا كقول المثوب : أصبح ولله الحمد أى الصباح ، وقريب منه قوله تعالى : حتى توارت بالحجاب ، أى الشمس ، ولما كانوا قد يأتون بالفاعل اسما مشتقا من لفظ فعله نحو سأل سائل وقال قائل ساغ لهم التوصل بذلك إلى حذفه ، وللعرب فى التوصل إلى الحذف للايجاز مسالك لطيفة . وأراد بالثلاث التى ما لهن رقيب : النؤى والوتد ومبرك الجمل .

[قلنا : ربما كان المراد بقوله : « ... ثلاثا ما لهن رقيب » ماذكره فى أول القصيدة مما شاقه ، أى الكثيب والنؤى والوتد ، وربما كان المراد « ثلاث الأثافى » لأن الشعراء يذكرونها فى مثل هذا المجال ، وقد سماها بشار « مطايا المرجل » فى قوله (ص ١٤٠ من هذه المطبوعة) :

ناديت هل أسمع من جواب ... وما بدار الحى من كراب

إلا مطايا المرجل الصخاب ... وملعب الأحباب والأحباب]

(٢) الأواجى جمع واجية ، وأصله وواجى (بوزن فواعل) فقلبت الواو الأولى همزة للتخفيف ، كما قالوا أواق جمع واقية ، والواجية : فاعله الوجى ، وهو الألم ، وأراد بالأواجى هذه الثلاث : النؤى والوتد ومسجد الشيخ ، لأنها تهيج آلام وجده .

[قلنا : ربما كانت « أواجى » محرفة عن « أواخىّ » جمع آخية ، وهى هنا بمعنى الأسباب] .

(٣) الضمير المنصوب فى قوله « غشيتها » عائد إلى الأواجى ، وهواجد : فاعل تغشاك ، والمعنى أنه تخيل الحال التى كانت تلك المنازل آهلة وهو يغشاها فتتلقاه الأبكار والثيبات ، فتوهم ذلك واقعا ، فقال : فلا بد أن تغشاك ، كقول مالك بن الريب :

دعانى الهوى من أهل ودى وجيرتى ... بذى الطبسين فالتفت ورائيا

[قلنا : الرواية : « من أهل أود » و « أود » مكان ببلاد مازن]

والهواجد : الساهرات ، يريد أنهن يسهرن الليل ليزرنه ، وقوله « عليك » متعلق بهواجد ، أى =

ظَلِلْتَ تُعَنِّى العَيْنَ عَيْنَكَ بَعْدَمَا ... جَرَتْ عَبْرَةٌ مِنْهَا وَعَزَّ نَحِيبُ (١)

وَيَوْمَ التَّقِى شَرْقِىَّ جِزْعِ مُتَالِعٍ ... تَقَنَّعْتَ مِن أُخْرَى وَأَنْتَ مُرِيبُ (٢)

تُسَارِقُ « عَمْراً » فِى الرِّدَاءِ صَبَابَةً ... بِعَيْنَيْكَ مِنْهَا حَاشِكٌ وَحَلِيبُ (٣)

إِذَا زُرْتَ أَطْلَالاً بَقِينَ عَلَى الْلِّوَى ... مَلَأْنَكَ مِنْ شَوْقٍ وَهُنَّ عُذُوبُ (٤)

= ساهرات لأجلك ، فعلى للتعليل ، مثل قوله تعالى : ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، والثيب (بكسر الثاء) : جمع ثيب ، بدليل مقابلته بالأبكار ، ولم يسمع جمع ثيب على ثيب ، لأنه فى الأصل بوزن فعل بضم فسكون فقلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء كما قالوا شيب وهيم ، وحيث لم يسمع امرأة ثيباء فلا وجه لجمعه على ثيب ، وهذا من قياس بشار فى اللغة ، أو مما يثبت على سبيل الندور .

[قلنا : فى عجز البيت مايحتاج إلى نظر ، فربما كان المراد بالمواجد : الأحوال والهموم الهواجد ، و « أبكار » (بالرفع) صفة ، ووصف الهموم بالأبكار والثيبات (ومثل الثيبات : العون) مما جاء فى الشعر ، نحو :

سمين الضواحى لم تؤرقه ليلة ... — وأنعم — أبكار الهموم وعونها

قال صاحب اللسان وشارح القاموس (فى مادة : نعم) « أبكار الهموم : ما فجئك ، وعونها : ما كان هما بعدهم » وربما كانت « هواجد » محرفة عن « هواجس » أو نحوها ، و « أبكار » مرفوعة أيضا وهذا الوجه قريب من الوجه السابق] .

(١) عز : تعذر ، والنحيب : الصوت فى البكاء ، وإنما يعز النحيب إذا ضعفت القوة ، ووقع فى النسخة « نجيب » بالجيم ، وهو سهو . وقوله « تعنى » كتب فى الديوان بغين معجمة ، ولا وجه له ، وهو بعين مهملة ، أى تكلفها البكاء .

[قلنا : لعل « عز » فى هذا البيت بمعنى : غلب ، فذلك أولى بالسياق] .

(٢) كتب فى الديوان «التقى» بالإمالة ، فهو فعل ، وفاعله غير مذكور ، وتقديره : التقى الملتقون ، كما تقدم قريبا فى قوله : غدا بثلاث ، ولعل الصواب أن يكتب بالألف على أنه مقصور للضرورة ، وأصله : التقاء ؛ أى يوم التقائنا بشرقى جزع ... الخ ؛ فأضاف المصدر إلى ظرف مكانه ، والجزع بكسر الجيم) : مااتسع من وسط الوادى . ومتالع (بضم الميم) : اسم سميت به جبال كثيرة ، والتقنع : تغطية الرأس وبعض الوجه ، قال تعالى : مهطعين مقنعى رءوسهم ، والمقصود أن لاتعرف تسترا من امرأة أخرى .

[قلنا : لعل « التقى » محرفة ، عن « النقى » بفتح النون . قال القالى : يكتب بالياء والألف . وهو الكثيب من الرمل . وقد ذكر بشار فى مطلع القصيدة أنه شاقه كثيب ، يعنى : النقى] .

(٣) الصبابة : الشوق ، وأراد به هنا البكاء من الشوق ، فقوله « صبابة » هو مفعول ثان لتسارق وقوله « فى الرداء » حال من فاعل تسارق ، أى تسارق رقيبا اسمه عمرو ، والحاشك : المتتابع من اللبن ، وأصله من حشك الناقة إذا ترك حلبها ليكثر اللبن ، فإذا كثر صار دافقا ، ولعل هذا من صيغة فاعل التى هى بمعنى مفعول ، وأمثلته قليلة ، والحليب : المحلوب ، أى النازل بكلفة .

[قلنا : لعل المراد هنا بالحاشك : ماتجمع من الدمع فى العين متحيرا فيها ، شبهه باللبن المتجمع فى الضرع ، والماء المتجمع فى السحاب ، فكلاهما يقال له : حاشك . وأما الحليب فالمراد به ماتصبب من الدمع ، شبهه باللبن المحلوب . وذلك نهج الشعراء فى صفة الدمع ، كقول زهير بن جناب وذى الرمة : فماء الهوى يرفض أو يترقرق] .

(٤) العذوب (بضم العين المهملة وبذال معجمة) : جمع عاذب ، وهو الفارغ من الطعام والذى لايستطيع الأكل من شدة العطش [قلنا : فى المخطوطة : « عدوب » بالدال المهملة ، ومعناه الرمل الكثير]

وَنَمَّتْ عَلَيْكَ العَيْنُ فى عَرَصَاتِها   سَرَائِرَ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ عَرِيبُ (١)

مَتَى تَعْرِفِ الدَّارَ التى بَانَ أَهْلُهَا   «بِسُعْدَى» فَإِنَّ الدَّمْعَ مِنْكَ قَرِيبُ (٢)

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إِذْ أَنْتَ يَافِعٌ   غُلامٌ فَمَغْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ (٣)

لَيَالِيَ تَشْتَاقُ الجِوَارَ غَرِيبَةً   إِلى قَوْدِ أَسْرَارٍ وَهُنَّ غُيُوبُ (٤)

وإذْ يُصْبِحُ الغَيْرَانُ تَغْلِي قُدُورُهُ   عَلَيْنَا وَإِذْ غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيبُ (٥)

وإذْ نَحْنُ بالأَدْعَاصِ أَمَّا نَهَارُنَا   فَصَعْبٌ وَأَمَّا لَيْلُنَا فَرَكُوبُ (٦)

---

(١) نصب « سرائر » على أنه مفعول نعت بنزع الخافض الذى هو الباء . وعريب (بعين مهملة مفتوحة) : اسم بمعنى واحد من الناس ؛ وهو من الأسماء التى لاتستعمل إلا فى النفى ، وله نظائر ، منها : أحد وديار ، وقد أنهيتها إلى أربعين اسما ، وكتب فى الديوان بغين معجمة .

(٢ — ٣) فى رواية صاحب زهر الآداب :

... . فإن العهد منك قريب

تذكرك الأهواء إذا أنت يافع   لديها فغناها الخ

فعلى رواية الديوان يكون معنى البيت الأول منهما منفصلا عن معنى الثانى ، وعلى رواية زهر الآداب يكون بينهما تضمين ، والمتأخرون يعدونه من العيوب ، والعرب يستكثرون منه ، وهو أحسن عندى ، وعليه فقوله « تذكرك » جواب متى ، ومتى هنا مهملة غير عاملة فى فعل الشرط وجوابه ، وإهمالها نادر ، ومنه ماوقع فى حديث عائشة : « وأنه متى يقوم مقامك لايسمع الناس » .

والمعنى متى رأيت الدار بكيت وتتذكر من أحببته فيها وأنت شاب فلذلك تجد منزله محبوبا لك ، وهذا معنى بديع سبق به بشار ، وأخذه منه ابن الرومى على بن العباس وأحسن فى قوله :

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

(٤) كذا كتب ، ولم يظهر له معنى ، ولعل به تحريفاً صوابه : « ليالى تستاق الحوار غريرة » أى تسوق إلى المحادثة حال كونها غريرة ، وقوله إلى قود متعلق بتستاق ، أى فتظهر من ذلك أسرار مكتومة ، أى تظهر لى لأنها غريرة .

(٥) كتب فى الديوان « وإن » وهو تحريف صوابه وإذ . والغيران : الشديد الغيرة ، ومعنى تغلى قدوره تمثيل لشدة الغضب والحقد فى النفس ، ومثله قولهم : يجيش مرجله ، قال النابغة جامعا بينهما :

يسير بها النعمان تغلى قدوره   تجيش بأسباب المنايا المراجل

(٦) الأدعاص جمع دعص بكسر الدال وسكون العين : كثيب الرمل . ومعنى « نهارنا صعب » أنه متعاس عن الغزل خشية الرقيب ، شبه النهار بفرس صعب لايركب ، ولذلك قابله بقوله : وأما ليلنا فركوب ، وهو بفتح الراء ، أى ممكن من الركوب ، ويجوز ضم الراء أى فأمرنا ركوب ، أى لأجل الزيارة ، كقول حميد بن ثور :

ومطوية الأقراب أما نهارها   فسير وأما ليلها فذميل

وإذْ نَلتقِي خَلْفَ العُيُونِ كأنَّنَا ... سُلافُ عُقَارٍ بالنُّقَاخِ مَشُوبُ (١)
وإنْ شَهِدَتْ عَيْنٌ صَفَحْتُ وأَعْرَضَتْ ... إلَى عَيْنِه العَيْنُ التِي سَتَغِيبُ (٢)
يَرَى النَّاسُ أنَّا فِي الصُّدُودِ وَتَحْتَه ... مَدَاخِلُ تَحْلَوْلِي لَنَا وتَطِيبُ (٣)
فَكَدَّرَ ذَاكَ العَيْشَ بَعْدَ صَفَائِهِ ... أَحَادِيثُ قَتَّاتٍ لَهُنَّ دَبِيبُ (٤)
وَسَعْيُ وُشَاةِ النَّاسِ بَيْنِي وبَيْنَهَا ... بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِلوُشَاةِ نَصِيبُ
ونَظْرَةُ عَيْنٍ لَمْ تُخَالِطْ عَبَاءَةً ... رَأَتْ مَجْلِسِي فَرْدًا وفِيَّ عُزُوبُ (٥)
فَقَالَتْ : خَلاَ بالنَّفْسِ إذْ عِيلَ صَبْرُهُ ... يُشَاوِرُهَا أيَّ الأُمُورِ تَجُوبُ (٦)

---

(١) النقاخ (بضم النون وبخاء معجمة) : الماء البارد ، وقد عد هذا اللفظ من المتنافر المخل بكمال الفصاحة ، والتشبيه هنا لشدة الاتصال فى العناق ونحوه بامتزاج الماء والراح .

(٢) [قلنا : لعل المراد هنا بقوله « صفحت » : أعرضت عن المحبوبة ووليتها صفحة وجهك كأنكما فى صدود لكيلا تفطن العين الشاهدة] .

(٣) أراد أن يظهر الصدود ليخفى حبه ، وهذا معنى قديم ، قال الأحوص :

يا بيت عاتكة الذى أتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
إنى لأمنحك الصدود وإننى ... قسما إليك على الصدود لأميل

(٤) القتات (بقاف وتاءين) هو النمام وفى الحديث : لا يدخل الجنة قتات ، ووقع فى نسخة الديوان بياء موحدة بعد القاف تحريفا .

(٥) معنى لم تخالط عباءة أن تلك العين لم تعتد أن تعلوها العباءة إذ العباءة لبسة الأقيف من النساء قالت ميسون بنت بحدل (بموحدة ومهملتين) ابن أنيف الكلبية التى تزوجها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وهى أم يزيد :

للبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف

أو أراد أنها لا تحتجب ببقية غطاء جسدها ، بل تجعل لرأسها ووجها خمارا وقناعا ، لأن سود الملابس من شيم أهل الترف ، قال جرير :

لم تتلفع بفضل مئزرها ... دعد ولم تسق دعد فى العلب

[قلنا : هل تكون كلمة « عباءة » محرفة عن « هباءة » واحدة الهباء ، وهو الغبار ، والمعنى على ذلك أن هاته العين التى نظرت إليه فى معتزله كانت صافية لم يطرفها شىء] .

وقوله « فردا » حال من المضاف إليه وهو ياء المتكلم ، وصح مجىء الحال منه لأن المضاف كالجزء من المضاف إليه ، كقوله تعالى : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وكتب فى الديوان « غروب » بغين معجمة وراء ، والصواب أنه بعين مهملة وزاى . والعزوب : البعد .

[قلنا : لا ضرورة لتغيير ما فى المخطوطة من كلمة « غروب » بالغين المعجمة ، فهى بمعنى العزوب بالعين المهملة]

(٦) « خلا بالنفس » أى انفرد متفكرا فى أمر نفسه ، لأن الذى يخلو بشخص يريد أن يسر له بجد أو مشورة . وتجوب [أى تقطع] السكك والمسافات ، يقال : جاب البلاد إذا سار فيها ، ورجل جواب آفاق .

٣١ أَصَابَتْ بِظَنٍّ سِرَّ مَا فِي جَوَانِحِي ... وَمَا كُلُّ ظَنِّ القَائِلِينَ يُصِيبُ

فَأَصْبَحْتُ مِن «سُعْدَى» قَصِيًّا بِحَاجَةٍ ... أَرَى كَبِدِي مِن حَرِّهَا سَتَذُوبُ(١)

وَنُبِّئْتُ نِسْوَانًا عَرَضْنَ بِحَاجَتِي ... عَلَيْهَا فَقَالَتْ: دُونَ ذَاكَ شَعُوبُ(٢)

تَعَــذَّرَ مَأْتَاهُ فَمَا نَسْتَطِيعُهُ ... عَلَى قَوْلِ مَنْ يَغْتَابُنَا وَيَعِيبُ

سَقَى اللهُ «سُعْدَى» مِن خَلِيطٍ مُبَاعِدٍ ... عَلَى أَنَّنِي فِيمَا تُحِبُّ وَهُوبُ

عَذِيرِي مِنَ العُذَّالِ لَا يَتْرُكُونَنِي ... بِغَمِّي، أَمَا فِي العَاذِلِينَ لَبِيبُ؟(٣)

يَقُولُونَ: لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَارْعَوَى ... فَقُلْتُ: وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ؟

يَعُدُّونَ لِي قَلْبًا وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ ... هَوَانًا وَلَا يَرْضَى الهَوَانَ أَرِيبُ

وَمَا القَلْبُ إِلَّا لِلَّذِي إِنْ أَهَنْتَهُ ... بَغَى مَشْرَبًا يَصْفُو لَهُ وَيَطِيبُ

أَقُولُ لِقَلْبٍ لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنَّهُ ... لِمَا شِئْتُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيَّ جَلُوبُ:(٥)

أَلَا أَيُّهَا القَلْبُ الَّذِي أَدْبَرَتْ بِهِ ... سُعَادُ بَنِي بَكْرٍ أَلَسْتَ تُنِيبُ؟(٦)

تُؤَمِّلُ «سُعْدَى» بَعْدَ مَا شَعَبَتْ بِهَا ... نَوًى بَيْنَ أَقْرَانِ الخَلِيطِ شَعُوبُ(٧)

---

(١) قوله « فأصبحت » تفريع على قوله « رأت مجلسي » وقوله : « فقالت » أي فكان ذلك داعيا لها إلى الهجر تدللا ، إذ تحققت أنه معنى بحبها .

[تقول : ربما أصبح قصيا من « سعدى » لأجل مافعله الوشاة وأصحاب الغيبة والنميمة (انظر الأبيات السابقة واللاحقة)] .

(٢) شعوب : علم جنس للموت ، اشتق لها من الشعب على وزن فعول بمعنى فاعل ، والشعب : التفريق ، لأن الموت يفرق بين الناس ، ومن أجل كونه علما منقولا صح دخول اللام عليه ، فيقال الشعوب للمح الأصل (كما تقدم في شرح البيت ١٧ من الورقة ٢٧) .

(٣) رواه في الأغاني هكذا :

عذيرى من العذال إذ يعذلوننى ... سفاها وما في العاذلين لبيب

(٤) قوله : يعدون لى قلبا الخ دليل على الإنكار الذى تضمنه قوله : وهل للعاشقين قلوب ؟ أى كيف يعدون لى قلبا مع أنى أتحمل الهوان ولا يرضى بالهوان عاقل ، فذلك دليل على أنى لاقلب لى .

(٥) أثبت أن له قلبا يخاطبه لكنه لايملكه كما يملك الناس قلوبهم ، وبذلك ظهر وجه الجمع بين إثبات القلب هنا ونفيه في الأبيات الثلاثة المتقدمة .

(٦) [تنيب : ترجع عما أنت عليه إلى أمرى] .

(٧) [نوى : بعد وتحول] شعوب : هنا صفة لنوى ، من أمثلة المبالغة ، أى شديد التفريق ، وليس هو شعوب الذى هو علم جنس للموت .

تُمَنِّيكَ « سُعْدَى » كُلَّ يَوْمٍ بِكَذْبَةٍ   جَدِيدٍ ولاَ تُجْدِى عَلَيْكَ كَذُوبُ(١)
إِذَا النَّاصِحُ الأَدْنَى دَعَاكَ بِصَوْتِهِ :   «دَعِ الجَهْلَ» لَمْ تَسْمَعْ وأَنْتَ كَئِيبُ(٢)
تَمَنَّى هَوَى « سُعْدَى » مُشِيداً لِحُبِّهَا   كَأَنْ لاَ تَرَى أَنَّ المَفَارِقَ شِيبُ

وقال أيضا(*) :

أَلاَ حَيِّ ذَا البَيْتَ الذِى لَسْتُ نَاظِراً   إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ إِلَى صَحْبِى
أَزُورُ سِوَاهُ والهَوَى عِنْدَ أَهْلِهِ   إِذَا مَا اسْتَخَفَّتْنِى تَبَارِيحُ مِنْ حُبِّى(٣)
وإِنْ نَالَ مِنِّى الشَّوْقُ وَاجَهْتُ بَابَهَا   بِإِنْسَانِ عَيْنٍ مَا يُفِيقُ مِنَ السَّكْبِ
كَمَا يَنْظُرُ الصَّادِى أَطَالَ بِمَنْهَلٍ   فَحَلأَهُ الوُرَّادُ عَنْ بَارِدٍ عَذْبِ(٤)
تَصُدُّ إِذَا مَا النَّاسُ كَانَتْ عُيُونُهُم   عَلَيْنَا وكُنَّا لِلْمُشِيرِينَ كَالنُّصْبِ(٥)
عَلَى مُضْمَرٍ بَيْنَ الحَشَا مِن حَدِيثِنَا   مَخَافَةَ أَنْ تَسْعَى بِنَا جَارَةُ الجَنْبِ(٦)
يُفَنِّدُنِي « عَبْدُ العَزِيزِ » بِأَنَّنِي   صَبَوْتُ إِلَى «الذَّلْفَاءِ» حِينَ صَبَا تِرْبِى(٧)

---

(١) « جديد » وصف لكذبة ، وجرده من تاء التأنيث لأنه بمعنى مجدودة ، لأنها تختلقها كل يوم وفعيل بمعنى مفعول إذا جرى على موصوف يلازم التذكير ، وقد يقولون : جبة جديدة ، على معاملة جديد معاملة الصفة المشبهة .

(٢) « دع الجهل » مقول دعاك لتضمنه معنى القول : « ولم تسمع » جواب إذا .
[قلنا : و « الجهل » هنا بمعنى طيش التعشق وحماقة الصبوة] .

(*) وقال أيضا : فى النسيب بعبدة ، والقصيدة من بحر الطويل .

(٣) تقدم معنى ذلك فى البيت التاسع عشر من الورقة ٣٠ .

(٤) الصادى : العطشان ، وقوله « أطال » صفة ، أى الذى طال مكثه على المنهل ينتظر الورود [قلنا : الظاهر أن جلة « أطال ... » حال لا صفة] وقوله : فحلأه » مضاعف ، حلأه عن الماء تحليئاً وتحلئة بالهمزة بمعنى طرده ومنعه ، وقد استعمله مضاعفا كما استعمله النابغة فى قوله :

ليهنىء لكم أن قد نفيتم بيوتنا   مندّى عبيدان المحلىء باقره

أشار النابغة إلى قصة قديمة ، وذلك أن بنى سود بن عاد كان منهم رجل هو أعز قوم عاد، وكان له بقر وله راع اسمه عبيدان ، فكان عبيدان يسق فلا يزاحمه أحد ، فلما كبر لقمان بن عاد صار أعز قومه فصار يحلىء عبيدان ، أى يمنعه من الماء ، فضرب مثلا لكل من كان قريبا فبعد . والباقر : اسم جمع لبقرة .

(٥) [النصب : ما نصب وجعل علماء ، فالناس يشيرون إليه ويتوجهون] .

(٦) جارة الجنب ، الجارة القريبة ، كقوله تعالى والصاحب بالجنب .

(٧) قوله « حين صبا تربى » كذا فى الديوان ، ولعله « حين صحا تربى » . « وعبد العزيز » لم أقف على مراده .

وَمَا ذَنْبُ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ ... مِنَ الحُبِّ عِنْدَ اللهِ فِي سَابِقِ الكُتْبِ
لَقَدْ أُعْجِبَتْ نَفْسِي بِهَا فَتَبَدَّلَتْ ... فَيَا جَهْدَ نَفْسِي قَادَهَا لِلشَّقَا عُجْبِي (١)
٣٢ وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَقُودَ مَنِيَّتِي ... مَوَدَّتُهَا، وَالخَطْبُ يَنْمِي إِلَى الخَطْبِ
إِذَا قُلْتُ يَصْفُو مِنْ «عُبَيْدَةَ» مَشْرَبٌ ... لِحَرَّانَ صَادٍ كَدَّرَتْ فِي غَدٍ شِرْبِي
وَقَدْ كُنْتُ ذَا الْبٍ صَحِيحٍ فَأَصْبَحَتْ ... «عُبَيْدَةُ» بِالهِجْرَانِ قَدْ أَمْرَضَتْ لُبِّي
وَلَسْتُ بِأَحْيَى مِنْ «جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ» ... وَ«عُرْوَةَ» إِنْ لَمْ يَشْفِ مِنْ حُبِّهَا رَبِّي (٢)
تَعُدُّ قَلِيلاً مَا لَقِيتُ مِنَ الهَوَى ... وَحَسْبِي بِمَا لَاقَيْتُ مِنْ حُبِّهَا حَسْبِي
إِذَا عَلِمَتْ شَوْقِي إِلَيْهَا تَثَاقَلَتْ ... تَثَاقُلَ أُخْرَى بَانَ مِنْ شِعْبِهَا شِعْبِي (٣)
فَلَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا عَذَرْتُهَا ... بِهَجْرِي وَلَكِنْ قَلَّ فِي حُبِّهَا ذَنْبِي

---

(١) [معنى قوله : « فتبدلت » : اتخذت حالا أخرى غير حالها ، وهو معنى مقبول ، ولكن السياق يصف ما تعانيه نفس الشاعر من مذلة وهوان ، فلعل كلمة « فتبدلت » محرفة عن «فتبذلت» بذال معجمة ، أى : تركت تصونها واحتشامها] .

(٢) جميل بن معمر بن عبد الله العذرى ، ويقال جميل بن عبد الله بن معمر ، صاحب بثينة ، أحد عشاق العرب من شعراء صدر الدولة الأموية ، عشق بثينة وهما غلامان ، فلما كبر خطبها ، فرد عنها ، فقال فيها شعرا ولم يزل مشغوفا بها حتى مات بحبها فى مصر زمن معاوية أو زمن يزيد بن معاوية .

[قلنا : فى أخبار «جميل» مايدل على أنه عاش بعد عهد معاوية وابنه إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، وقد جاء فى ترجمة جميل من وفيات الأعيان أنه قدم مصر على عبد العزيز بن مروان فما أقام قليلا حتى مات هناك فى سنة اثنتين وثمانين] .

وأما عروة فهو عروة بن حزام (بحاء مهملة مكسورة فزاى) بن مهاصر العذرى ، شاعر إسلامى ، أحد المتيمين الذين قتلهم العشق ، عشق عفراء ابنة عمه عقال بن مهاصر ، وكانا نشآ معا غلامين حتى شبا ، وكانت جميلة ظريفة ، فلما بلغ مبلغ الرجال خطب عمه فى عفراء ، فوعده خيرا ، ولكن أم عفراء أبت أن تزوجها إلا من ذى مال ، فزوجوها رجلا من أنساب بنى أمية ، وكان من شأن عروة أنه منذ علم بتزويج عفراء لم يزل كئيبا حزينا حتى هلك فى محبتها ، وقصته طويلة فى كتاب الأغانى وغيره ، وله فيها شعر كثير .

وأما قول بشار « فلست بأحيى » فهو تفضيل من حى ، وأراد بالتفضيل طول الزمان ، أى لست باقيا أكثر من بقائهما ، أى إنى هالك بحب عبدة كما هلكا .

(٣) « الشعب هنا » ينبغى أن يكون بكسر الشين ، وهو ما انفرج منخفضاً بين قطعتى الجبل يسيل فيه الماء ، أى بعد مسلكى من مسلكها . وليس المراد بان قومها من قومى ولا بانت محبتها من محبتى . بل المراد الكناية عن التخالف وعدم المحبة . [قلنا : بمثل هذا القول جرينا فى ضبط قول بشار : فى غير شعبك كان شعبه . وشرحنا المراد منه . « انظر ص ١٧١ من هذه المطبوعة »] .

وَقَدْ مَنَعَتْ مِنِّى زِيَارَتَهَا الَّتِى ... إِذَا كُرِبَتْ نَفْسِى شَفَيْتُ بِهَا كَرْبِى (١)
فَأَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا أُكَفْكِفُ عَبْرَةً ... كَذِى العَتْبِ مَهْجُورًا وَلَيْسَ بِذِى عَتْبِ (٢)
كَأَنَّ فُؤَادِى حِينَ يَذْكُرُ بَيْنَهَا ... مَرِيضٌ وَمَا بِى مِن سَقَامٍ وَلَا طِبِّ (٣)
أُحَاذِرُ بُعْدَ الدَّارِ وَالقُرْبُ شَاعِفٌ ... فَلَا أَنَا مَغْبُوطٌ بِبُعْدٍ وَلَا قُرْبِ (٤)

وقال أيضاً (*) :

يَا صَاحِ دَعْنِى فَإِنَّنِى نَصِبُ ... حُبِّى « سُلَيْمَى » وَتَرْكُهَا عَجَبُ (٥)
جَانَبْتُ شَيْئًا أُحِبُّ رُؤْيَتَهُ ... لِلَّهِ دَرِّى أَهْوَى وَأَجْتَنِبُ (٦)
هَجَرْتُ بَيْتَ الحَبِيبِ مِنْ حَذَرِ الْـ ... ـعَيْنِ وَنَفْسِى إِلَيْهِ تَضْطَرِبُ

---

(١) « كريت » يجوز فيه ضم الكاف وكسر الراء ، من قولهم : رجل مكروب ، أى كربه الهم ، وهو ما اقتصر عليه صاحب القاموس ، ويجوز فتح الكاف وكسر الراء أيضاً ، يقال : كرب الرجل كسمع إذا أصابه الكرب والتعب .

(٢) [قلنا : العتب هو : اللوم والإنكار للفعل ، فقول بشار : « كذى العتب مهجوراً وليس بذى عتب » يريد به أن حاله كحال من تقع عليه الملامة ، ويتوجه إليه الإنكار لما يفعله ، على حين أنه ليس بذى عتب [أى ليس بذى فعل يستوجب ذلك العتب] .

(٣) [« بينها » : بعدها وفراقها . والطب — هنا — : السحر ، ويقال للمسحور : مطبوب ، وانظر قوله فى قلبه فى القصيدة الآتية : إن كان سحراً ... الخ] .

(٤) شاعف بعين مهملة ، أى مغش على قلبى ، والجملة حالية لقصد التعجب ، أى أحاذر البعد مع أن القرب متعب للقلب ، وبذلك ظهر وجه التفريع فى المصراع الثانى ، وشعاف القلب لغة فى الشغاف ، وقد قرئ بهما قوله تعالى : قد شغفها حباً ، بالعين والغين .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بسلمى ، وهى جارية كان يحبها بشار ، وكانت تسكن الروحاء بجوار بشار ، فوهبها سيدها لصاحب له يقال له واهب من أهل الشام ، ففارقت بشاراً ، وسيأتى ذكرها فى الورقة ٤٥ مرتين ، وهى غير سليمى التى تزوجت عثمان التى سيذكرها فى ورقة ١١٩ .
والقصيدة من بحر السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف .
[قلنا : الذى نراه أن هذه القصيدة من بحر المنسرح ، وقد دخل الطى عروض القصيدة وضربها] .

(٥) [« نصب » مثل « تعب » وزنا ومعنى »] .

(٦) قوله « لله درى » تعجب ، وأصله أن الناقة إذا كثر لبنها قالوا : لله درها خشية عليها من العين ، ثم نقل هذا التركيب إلى مطلق التعجب من شىء ، ويتغير ضميره بحسب المتعجب منه . وقيل أرادوا منه نسبة اللبن الذى غذى به المتعجب منه إلى الله ، كقولهم . لله أبوه ، وقد ينشأ من التعجب المدح والثناء بحسب القرينة ، والتعجب هنا من شدة عزمه وثباته أن يجمع بين الحب واجتناب المحبوب بدليل البيت بعده .

أُرَاقِبُ النَّفسَ فِي الحَيَــاةِ وَقَدْ ... أَيقَنْتُ أَنِّي بِتَرْكِهَــا عَطِبُ (١)
وَاللهِ مَالِي مِنهَــا إِذَا ذُكِرَتْ ... إِلَّا اسْتِنَــانُ الدُّمُوعِ وَالطَّرَبُ (٢)
زَادَتْ عَلَى النَّاسِ فِي الجَفَــاءِ وَقَدْ ... تَعْلَمُ أَنِّي بِحُبِّهَا نَشِــبُ (٣)
تَنْأَى فَنَسْلَى وَإِنْ دَنَتْ بَخِلَتْ ... سِيَّــانِ بُعْدُ البَخِيلِ وَالقُرُبُ (٤)
يَا كَاهِنَ المِصْرِ هَلْ تُحَدِّثُنِي : ... مَابَالُ قَلْــبِي بِذِكْرِهَا نَخِبُ (٥)
إِنْ كَانَ سِحْرًا دَعَوْتُ رَاقِيَــةً ... أَوْ كَانَ سُقْمًا فَحَسْــبِيَ الوَصَبُ (٦)
إِنِّيَ وَمَنْ لَبَّتْ الرِّفَاقُ لَهُ ... شُــعْثًا أَسَارِيبَ خَلْفَهَا سُرُبُ (٧)
مَاجِئْتُ « سَلْمَى » طَوْعًا لِتَجْعَلَنِي ... ذِبْحًا وَلَـكِنْ أَطَاعَــنِي النُّجُبُ (٨)

---

(١) [قلنا : المراد بقول بشار : « أراقب النفس فى الحياة » أى أراعى حقها فى الحياة ، كما تقول : أراقب النجوم أى أراعيها . والمعنى أن بشاراً يخشى الذهاب إلى محبوبته إبقاء على نفسه ، مع أنه واثق أن اجتنابه للمحبوبة يعرض نفسه للهلاك ، كما أوضح ذلك فى عجز البيت] .

(٢) استنان الدموع (بسين مهملة) : صبها ، لأن السن (بالمهملة) هو الصب السهل ، وبالمعجمة : النضح

[قلنا : والطرب فى هـذا البيت معناه : الحزن ، والهم . ومنه قول النابغة الجعدى : طرب الواله أو كالمختبل ، والواله : الثاكل ، والمختبل : من جن عقله] .

(٣) [نشب : متعلق] .

(٤) تنساه إذا نأت وتبخل عنه إذا قربت ، فالبعد والقرب سـواء عندها ، ولم يرد بهـذا البيت نفسه ، وكتب « بعد الخليل » وصوابه : « بعد البخيل » وهذا كقوله فيما يأتى : إن البخل بعيد غير مقروب .

وقوله « فنسلى » بفتح اللام مضارع « سلى » ، وهو كقول بشار فى الملحقات :

وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها . وقد بسطناه فى حرف الألف .

(٥) نخب (بنون ثم بخاء معجمة مكسورة) : جبان ضعيف .

[قلنا : لعل « نخب » محرفة عن « يجب » من : وجب القلب إذا خفق ، وذلك هو الملائم لحـال القلب عند ذكر المحبوبة . وأما « نخب » فلها موضع فى البيت الحادى عشر من هذه القصيدة] .

(٦) [قلنا : لعل « راقية » محرفة عن « راقيه » بهاء ضمير راجع إلى السحر]

(٧) الأساريب : جمع أسراب الذى هو جمع سرب ، وهو الجماعة من النـاس والسرب : جمع سربة بمعنى سرب ، وقيل يختص السرب بجماعات العجلوات ، يسمع فى جماعة الرجال إلا رجز العجاج :

ورب أسراب حجيج كظم ... عن اللغـا ورفث التـكلم

وبيت بشار هنا موافق للعجاج [وبشار فى هذا البيت يقسم بالله الذى يحج بيته الأفواج] .

(٨) أطاعنى : جعلنى طائعا ، وكتب فى الديوان « النجب » بنون فجيم ، وهو جمع نجيب ، ولا يظهر له معنى ، فلعله بنون فحاء مهملة مفتوحة ، جمع نحبة بوزن غرفة ، بمعنى القرعة ، أى طوعنى إلى المجئ إليها البخت والمصادفة ، كقول النابغة :

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت ... يوماً وتوفيق أقـدار لأقدار

=

فَرَّغْتُ قَلْبِي لَهَا لِتَسْكُنَهُ … حِينًا فَأَمْسَى فِيهِ لَهَا شُعَبُ ٣٣

وَقَائِلٍ: « خَلِّهَا » وَقَدْ عَقَدَتْ … نَفْسِي إِلَى نَفْسِهَا فَلَا هَرَبُ

أَلْآنَ إِذْ قَامَتِ الرُّوَاةُ بِنَا … وَإِذْ تَغَنَّتْ بِحُبِّنَا العَرَبُ (١)

أَصْرِفُ نَفْسِي عَنْهَا وَقَدْ غَلِقَتْ … هَيْهَاتَ [دُونِي] دَوِّيَّةٌ أَشِبُ (٢)

يَا « سَلْمَ » هَلْ تَذْكُرِينَ مَجْلِسَنَا … أَيَّامَ رَأْسِي كَأَنَّهُ عِنَبُ (٣)

إِذْ نَحْنُ بِالمِيثِ لَا نَرَى أَحَدًا … يُزْرِي وَإِذْ شَأْنُنَا بِهِ اللَّعِبُ (٤)

يَا « سَلْمَ » جُودِي بِمَا رَأَيْتِ لَنَا … مَا عِنْدَ أُخْرَى سِوَاكِ لِي أَرَبُ

وَصَاحِبٍ ضَامَنِي وَضِمْتُ لَهُ … نَفْسِي لِيَرْضَى فَرَاحَ يَلْتَهِبُ

وَافَقَ ظُلْمِي حُلْوًا فَأَعْجَبَهُ … وَالظُّلْمُ حُلْوٌ كَأَنَّهُ جَرَبُ (٥)

أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَالحِلْمُ مِنْ خُلُقِي … وَلَيْسَ مِنِّي التَّثْرِيبُ وَالصَّخَبُ

يَا « سَلْمَ » أَنْتِ الهَوَى إِذَا شَهِدَ النَّاسُ وَأَنْتِ الهَوَى إِذَا ذَهَبُوا

عُودِي عَلَى سَقْطَةٍ جَهِلْتُ بِهَا … مَا كُلُّ ذَنْبٍ فِيهِ الفَتَى يَثِبُ (٦)

= [قلنا : لعل « نجب » محرفة عن « نخب » بمعنى ضعيف ، وهو هنا صفة للقلب المفهوم من المقام ، والمعنى أن قلبه الضعيف جعله طائعاً ، وذلك القلب للمحبوبة كما يتضح من البيت التالى] .

(١) الرواة جمع راو ، أى رواة الشعر ، والمراد أن حبه اشتهر فروى شعره الرواة وتغنى به المفتنون ، وقوله « ألآن » ظرف دخلت عليه همزة الاستفهام ، والظرف متعلق بقوله « أصرف » فى البيت بعده .

(٢) غلقت : أى تعذر فكاكها ، من « غلق الرهن » إذا استحقه المرتهن لعدم وفاء الراهن . وفى البيت بياض موضع كلمة . الدوية : الفلاة . وأشب : مختلط ، يقال أشب الشجر (كفرح) فهو أشب ، إذا التف ، ويجوز فتح الشين . [قلنا : لعل الكلمة المنقوصة فى هذا البيت هى «دونى» والمعنى : أن ذلك بعيد جداً ، دونه أهوال] .

(٣) أى كأنه عنب أسود ، ولعله كان أكثر عنب بلدهم .

(٤) [الميث : ضبطها الشارح بفتح الميم ، وليس فى المخطوطة ضبطها ، ونرى أنها بكسر الميم جمع ميثاء ، وهى الرملة اللينة . وانظر مثل هذا التصحيح فى ص ١٤٧ من هذه المطبوعة] .

(٥) أراد أن ظلم الصاحب العاذل حلو لدى العاشق وفيه ضرر كحلاوة حكّ الجرب .

(٦) السقطة : الغلط والفعلة الذميمة ، « وعلى » بمعنى مع ، يثب : يغضب للخصومة ، وهذا فى معنى قول بشار :

إذا كنت فى كل الذنوب معاتبا … صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه =

ظَلَمْتِنِي وَالْهوى مُقَارَضَــــةٌ   كَيْلاً بِكَيْلٍ فَكَيْفَ نَصْطَحِبُ ؟[١]
لا تَأْمَــنِى أن تَجُــورَ مَظْلِمَةٌ   بِرَبِّهَا وَالزَّمَانُ يَنْقَــلِبُ[٢]
فَارْضَىْ بِأَشْــبَاهِ مَاعَمِلْتِ بِنَا   لِكُلِّ نَفْسٍ مِنْ كَفِّهَا حَلَبُ[٣]

وقال أيضاً(*) :

مَنَعَ النَّوْمَ طَارِقٌ مِنْ « حُبَابَهْ »   وَهُمُومٌ تَجُــولُ تَحْتَ الرِّهَابَهْ[٤]
جلَبَتْ فى الحَشى إلى ثُغْرَةِ النَّحْـــرِ بِشَــوْقٍ كأنَّهُ نُشَّابَهْ
وَلَقَدْ قُلْتُ إذْ تلَوَّى بِىَ الْحُــبُّ وَفَوْقى من الهوَى كالصَّبَابَهْ
إنَّ قَلْبِى يَشُــكُّ فِيا تُمَنِّيــنِي وَنَفْسِى حَزِينَةٌ مُرْتَابَهْ

= [قلنا : قول بشار « عودى على سقطة » يعنى به اغفرى لى هذه السقطة ، وتعمديها ، ومن مثله ما فى الأساس : عاد عليهم الدهر : أتى عليهم ، وعادت الرياح والأمطار على الديار حتى درست . والمراد بالسقطة فى هــذا البيت إعراض بشار عن محبوبته الذى حكاه فى قوله من قبل : أعرضت عنه ... الخ . وأما قوله « ما كل ذنب فيه الفتى يثب » فمعنى يثب فيه : أى يجرؤ عليه ويقتدر ، ومن مثله قول الكميت :

وثبــة لك فى الأحســاب بالغة   كذاك إنك فى المعروف ذو وثب

والمراد أنه ما كل ذنب يقع فيه الفتى يكون عن جرأة واقتحام ، وإرادة وتدبير ، وإنما قد يكون عن جهل أى حماقة عارضة] .

(١) أى أنت ظلمتنى من قبل ، فكانت سقطتى معك جزاء عن ظلمك ، لأن أحوال المحبين كالسلف مثلا بمثل ، فلا يكون جزاء الجهل الفراق بل جهلا مثله ، كما قال الآخر :

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا   فما الذى أوجب جرح الصدود ؟

قالت علية بنت المهدى :

بى الحب على الجــور فلو   أنصف المعشوق فيــه لسمج

[قلنا : الواضح من معنى البيت أن بشارا ينكر على محبوبته أنها لا تلق إقباله بإقبال ، وأنها لا تقارضه هوى بهوى ، وذلك ظلم بين ، لا تتم به صحبة] .

(٢) قوله « أن تجور مظلمة بربها » هو فى التركيب كقول السموءل :

[ارفع] ضعيفك لا [يحر] بك ضعفه   يوما فتدركه العــواقب قد نما

[قلنا : يلوح لنــا فى شرح البيت أن بشارا يريد التــذكير بأن الــكيد قد يرتد إلى كائده ، وأن المظلمة قد تميل بمقترفها ، فذلك قوله « تجور بربها » أى تميل بصاحبها] .

(٣) [قلنا : يقصد بشار بهذا البيت أنه قابل صنيع محبوبته بمثله ، ويسترضيها عن ذلك بأن لــكل امرئ نصيبا مما حلبت كفه ، وجنت يده] .

(*) وقال أيضا فى النسيب بحبابة وهى حى العامرية وسماها فى بيت ٢ من الورقة ٩٨ حباء بالمد وهى أيضا خاتم الملك وسيذكرها فى الورقة ٩٨ . وفى ورقة ١٠٨ وورقة ٢٥٧ . والقصيدة من بحر الخفيف .

(٤) الرهابة كسحابة : عظم الصدر المشرف على البطن ، وجمعها رهاب كسحاب .

فَأْذَنِى لِى أَزُرْكِ أَوْ سَكِّنِينِى ... بِانْتِيَابٍ لَاشَىْءَ بَعْدَ انْتِيَابَهْ (١)

لَا تَكُونِى كَمَنْ يَقُولُ وَلَا يُو ... فِى ، كَذَاكَ الْمَلَاّقَةُ الْخَلَاّبَهْ

كَيْفَ صَبْرِى عُوفِيتِ مِمَّا أُلَاقِى ... بَيْنَ نَارِ الْهَوَى وَغَمِّ الصَّبَابَهْ

لَيْتَ شِعْرِى تَبْكِينَ إِنْ مُتُّ مِنْ حُبِّـ ... ـكِ أَوْ تَضْحَكِينَ يَاخَشَّابَهْ (٢)

إِنَّنِى وَالْمَقَامِ وَالْحَجَرِ الْأَسْـ ... ـوَدِ وَالْبَيْتِ مُشْرِفًا كَالسَّحَابَهْ

أَشْتَهِى أَنْ أُدَسَّ قَبْلَكِ فِى التُّرْ ... بِ لِكَىْ تُصْبِحِى بِنَا كَالْمُصَابَهْ (٣)

وَعَسَى ذَاكِ أَنْ يَحِينَ فَتَبْكِى ... لَاتَقُولِى بُعْدًا لِمَنْ فِى الْغَيَابَهْ (٤)

٣٤

وقال أيضاً (*) :

يا « طَيْبَ » سِيَّانِ عِنْدِى أَنْتِ وَالطِّيبُ ... كِلَاكُمَا طَيِّبُ الْأَنْفَاسِ مَحْبُوبُ

لَوْ قَدْ لَقِيتُكِ خَلْفَ الْعَيْنِ خَالِيَةً ... أَصْلَحْتِ مِنِّى الَّذِى لَايُصْلِحُ الطِّيبُ (٥)

لَوْ كُنْتِ غَيْرَ فَتَاةٍ كُنْتِ لُؤْلُؤَةً ... غَالَى بِهَا مَلِكٌ بِالتَّاجِ مَعْصُوبُ

يا « طَيْبَ » جُودِى بِنَيْلٍ مِنْكِ نَأْمُلُهُ ... وَأَطْمِعِينَا فَمَا فِى مَطْمَعٍ حُوبُ (٦)

لِلّٰهِ « طَيْبَةُ » لَا تُبْقِى عَلَى رَجُلٍ ... بِقَلْبِهِ هَاجِسٌ كَالنَّارِ مَشْبُوبُ

---

(١) انتيابة : مرة من الانتياب ، وهو الزيارة عقب الزيارة ، أراد : أو كررى زيارتى .

(٢) الخشابة مبالغة من خشبه يخشبه إذا خلطه ، والمعنى أنها لخفة شبابها وطيش دلالها تختلط أحوالها فربما أحبت وربما كرهت ، فلذلك يردده فى حالها .

(٣) أدس أى أدفن ، قال تعالى : أم يدسه فى التراب . كتب فى الديوان « لنا » وصوابه « بنا » وقوله كالمصابة ، بمعنى أن قساوة قلبها عليه فى حياته جعلته لايثق بأنها تكون مصابة بوفاته ، بل غايتها أنها تقارب المصابة .

(٤) كتب : إن أجن ، ولا معنى له وصوابه أن يحين ، أى وعسى أن يحين دسى فى التراب ، والغيابة بغين معجمة مفتوحة مايستر الشىء عن النظر ، وأكثر مايستعمل فى الساتر المنخفض كغيابة الجب وغيابة الوادى وأراد به هنا القبر . ووقع فى نسخة الديوان بعين مهملة ، ولا يستقيم له معنى .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بمن اسمها طيبة بفتح الطاء ، وقد نسب بها أيضاً فى ورقة ٣٨ . وطيبة اسم عربى .

والقصيدة من بحر البسيط .

(٥) العين : الرقيب ، وخلف : هنا ، بمعنى فى غيبته .

(٦) الحوب : الإثم .

أُسَاوِرُ الهَمَّ تَحْتَ اللَّيْـلِ مُجْتَنِحًا ... قَدْ شَـفَّنِي قَمَرٌ فِي السِّتْرِ مَحْجُوبُ (١)
يَغْشَانِيَ المَوْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا دِيَمًا ... وَالشَّوْقُ تَأْخُذُنِي مِنْـهُ أَهَاضِيبُ (٢)
لِلْقَلْبِ رَاعٍ إِلَيْهَا لَا يُفَـارِقُهُ ... وَفِي الضَّـمِيرِ مِنَ الحُبِّ الأَعَاجِيبُ
لَهْفَانَ قَدْ يَشْتَهِي رَوْحًا يَعِيشُ بِهِ ... بَادِي الصَّبَابَةِ ، وَالهِجْرَانُ تَعْذِيبُ (٣)

وقال أيضاً (*) :

يَاطِيبَ «عَبْدَةَ» وَيْلِي مِنْكَ يَاطِيبِي ... قَطَعْتَ قَلْبِي بِشَـوْقٍ غَيْرِ تَعْتِيبِ (٤)
قُلْ لِلَّتِي نَفْسُهَا نَفْسِي وَمَا شَـعَرَتْ ... مُنِّي عَلَيَّ بِنَوْمٍ مِنْـكِ مَوْهُوبِ
إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي أَرْسَلْتِ غَادَرَنِي ... بِغُلَّةٍ مِثْـلِ حَرِّ النَّارِ مَشْبُوبِ
أُسَاوِرُ اللَّيْـلَ تَحْتَ الهَمِّ مُجْتَنِحًا ... مِنْ طُولِ صَفْحِكِ عَنِّي فِي أَعَاجِيبِ (٥)

---

(١) مجتنحاً : أى ساهراً جنح الليل ، بكسر الجيم وسكون النون ، أى طائفة منه بعد طائفة .
[قلنا : الرأى عندنا أن «مجتنحاً» بمعنى باسط جناحيه ، أى منكب عليه . وانظر فى النهاية واللسان معنى الاجتناح والتجنح فى السجود] . وكتب فى الديوان « قمر فى السر » وصوابه « فى الستر » .
[قلنا : من معانى «السر» مايناطب حجب القمر ، فهو مستهل الشهر أو آخره كالسرار والسرر . ويقال : استسر الهلال فى آخر الشهر ، إذا استتر ، وبهذا التوجيه يصح مافى المخطوطة] .
(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى فعلة من دام يدوم ، وفى الحديث كان يحب من العمل ما كان ديمة . والأهاضيب : جمع هضاب الذى هو جمع هضبة وهى الجبل الطويل ، وأراد هنا الكثرة .
[قلنا : يظهر لنا فى لفظتى الديم والأهاضيب توجيه آخر ، فالديم هنا جمع ديمة ، وهى المطرة تدوم ، والأهاضيب جمع أهضوبة أو هضاب التى هى جمع هضبة ، ومعناها المطرة الدائمة العظيمة ، فمفاد البيت أن «بشاراً» قد تغشاه من الموت بسبب الوجد أمثال المطر الدائم ، وأخذه من الشوق أمثال المطر الدائم أيضا].
(٣) [المراد بالروح — هنا — الراحة من عذاب الهجوان] .
(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة وذكر أنها أرسلت إليه طيباً مع رسولها .
والقصيدة من بحر البسيط .
(٤) كتب فى الديوان « ... ياطيب » بموحدة فى آخره ، فاقتضى أن تكون الموحدة مضمومة . لأنه منادى مقصود ، وحينئذ يفوت التصريع فى أول القصيدة ، وذلك قبيح ، فالصواب أن يكتب بموحدة بعدها تحتية على أنه أضافه إلى نفسه ، لأن عبدة أهدته إياه ، فصار طيبه ، وبذلك يتم التصريع ، وقد أثبته فى نسخى المستخرجة بياء بعد الباء .
[قلنا : وردت كلمة « تعتيب » فى المخطوطة غير منقوطة ، ويمكن نقطها على أوجه مختلفة يحتملها معنى البيت ، كالتغييب ، والتغبيب ، والتعييب . ومعنى التعتيب — المناسب لما هنا — الإبطاء ، كما فى التاج]
(٥) الصفح (بفتح الصاد) : الإعراض ، قال تعالى : أفنضرب عنكم الذكر صفحاً . ومجتنحاً تقدم فى القصيدة السابقة .
=

كَأَنَّ بِي مِنْـــكِ طِبًّا لاَ يُفَارِقُنِى   وَإِنْ غَدَوْتُ صَحِيحًا غَيْرَ مَطْبُوبِ(١)
لَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالفَوْقَانُ يَأْخُذُنِى   وَمَا نَسِيتُكِ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالْكُوبِ(٢)

= [قلنا : قد تكرر صدر هذا البيت فى هذه القصيدة والتى قبلها ، ولكننا نرى اختلافا فى مواضع الألفاظ ، فى هذه القصيدة : «أساور الليل تحت الهم مجتنحاً» وفى القصيدة السابقة : « أساور الهم تحت الليل مجتنحاً »] .

(١) انظر البيت ١٠ من الورقة ٣٢ .

[قلنا : الطب — هنا — السحر، والمطبوب — هنا — المسحور . هذا ولم يذكر الشارح فى الموضع الذى يشير إليه شيئاً . وقد وردت فى البيت هنالك كلمة « طب » فشرحناها بأنها السحر . انظر ص ١٨٩ من هذه المطبوعة] .

(٢) الفوقان أراد به الفواق (كغراب) اسم للريح التى تعترض فى الصدر لها صوت تكون عند الاحتضار أو من شدة المرض ، لأنه هو المناسب من معانى هاته المادة لبيت بشار ، إلا أنه لم ينقل بوزن فعلان ، فلعله أراد أن يشتق منه وزن فعلان مصدراً دالا على الاضطراب كالغليان ، وسكنه للضرورة ، فتأمل . والكأس والكوب كلاهما إناء للخمر ، فالكأس : إناء واسع الفم مستطيل له عروة ، والكوب : إناء ضيق الفم لا عروة له ولا خرطوم .

وأراد بالبيت أنه يذكرها فى حالتى الشدة والرخاء ، وهما حالتان لذكرى الحبيب ، وقد ذكرت فى كتاب تشريف الغرام أن مذكرات الحبيب نوعان : أحدهما : مشابهاته وملابساته كنسيم جهته وبرقها وأطلال منازله . قال أبو الطيب :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه   يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

الثانى : مهيجات سواكن النفس ، فإن النفس عند انتقالها من حالها المعتاد إلى حالة تأثر غير معتاد تذكر أعز شىء عليها ، فمن ذلك تذكر الأحبة بالحوادث المزعجة ، كقول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى

وقال ابن رشيق القيروانى :

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى   متوقع بتلاطم الأمواج

... الأبيات الثلاثة

وقول أبى عطاء السندى :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا   وقد نهلت منى المثقفة السمر

ومن الذكر فى حال الرخاء بيت بشار هذا وقول الصفدى :

ذكرتكمو وكاسات الندامى   تدور على بدور مثل شمس
وأضواء الشموع نجوم أفق   قضت بالأنس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثانى   علت ولها خفضنا كل حس
فنفس كل ما أنا فيه ذكرى   لكم فقضى السرور وغاب أنسى

[قلنا : نرى فى بيت « بشار » غير ما اتجه إليه الشارح . وذلك أن كلمة « الفوقان » لعلها محرفة واوها عن الراء ، فهى «الفرقان» أى القرآن . والمراد أن « بشاراً » يذكر حبيبته فى كلتا حاليه من تعبد ولهو ، فهو يذكرها فى مجلس قراءة القرآن وإن كان مأخوذاً به ، وهو كذلك يذكرها فى مجلس شرابه . ويؤيد ذلك المراد أن «بشارا» نفسه قال فى قصيدة أخرى (فى الورقة ٤١ من المخطوطة) : =

وَقَائِلٍ إِذْ رَأَى شَوْقِي وَصَفْحَكُمُ: ... دَعْهَا فَمَالَكَ مِنْهَا غَيْرُ تَنْصِيبِ (١)
لاَ شَيْءَ أَبْعَدُ مِمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ ... إِنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ غَيْرُ مَقْرُوبِ !
فَقُلْتُ : كَلاَّ سَيَجْزِي مَنْ لَهُ كَرَمٌ ... شَوْقًا بِشَوْقٍ وَتَقْرِيبًا بِتَقْرِيبِ
يَهُزُّنِي النَّاسُ مِنْ وَاشٍ وَمُنْتَصِحٍ ... وَاللَّيْثُ يَفْرِسُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالذِّيبِ (٢)
لاَ خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُنَا ... مِمَّا نُحِبُّ عَلَى رَغْمِ الأَقَارِيبِ (٣)
يَزِيدُ فِي الدَّاءِ مَنْ تُقْلَى زِيَارَتُهُ ... إِذَا الْتَقَيْنَا ، وَشَافٍ كُلُّ مَحْبُوبِ (٤)
يَا « عَبْدَ » حَتَّامَ لاَ أَلْقَاكِ خَالِيَةً ... وَلاَ أَنَامُ ؟ لَقَدْ طَوَّلْتِ تَعْذِيبِي !
أَهْدَيْتِ لِي الطِّيبَ فِي رَيْحَانِ سَاحِرَةٍ ... يَا «عَبْدَ» رِيقُكِ أَشْهَى لِي مِنَ الطِّيبِ
أَهْدِي لَنَا شَرْبَةً مِنْهُ نَعِيشُ بِهَا ... إِنْ كُنْتِ مُهْدِيَةً رَوْحًا لِمَكْرُوبِ
إِنَّ الْبَغِيضَ إِلَيْنَا لاَ نُطَالِبُهُ ... ذَاكَ الْهَوَى ،وَحَبِيبٌ كُلُّ مَطْلُوبِ
أَمَّا النِّسَاءُ فَإِنِّي لاَ أُعِيجُ بِهَا ... قَدْ صُمْتُ عَنْهَا بِنَحْبٍ مِنْكِ مَنْحُوبِ (٥)

= إنى أكب إذا ذكرتكم ... من مجلس القراء والشرب

وقد قال الشارح هنالك : القراء : أهل القرآن والعلم ، والشرب : جمع شارب للخمر ، وأراد أنه يغلبه التأثر لذكرها ولو كان فى مجلس جد] .

(١) [قلنا : التنصيب : مصدر نصب بالتشديد ، وهو فى اللغة بمعنى الوضع أو الرفع . ولا نرى له فى هذا البيت وجهاً ، فلعله من النصب بمعنى التعب ، أى : فليس لك منها غير إتعابك ، فالتنصيب هنا معدى بالتضعيف ، وقد ذكر اللغويون « الإنصاب » معدى بالهمزة] .

(٢) قوله : « والليث يفرس » يريد أن ضعيفين يغلبان قويا ، وأراد إظهار ثباته على حبها فى حالة يتغير فيها غالب الناس . وكتب « يهزنى » بالزاى ، ولعله « يهرنى » بالراء .

[قلنا : ضبط الشارح «منتصح» بكسر الصاد ، والظاهر أنها بفتح الصاد ، اسم مفعول من انتصحه: أى عده ناصحاً . فالمنتصح من هو أهل لإخلاص النصح] .

(٣) [فى المخطوطة : تقض بضم التاء وفتح الضاد . وفيها: حاجتنا بضم التاء . والمعنى يستقيم بذلك].

(٤) قوله : « إذا التقينا » ظرف متعلق بيزيد ، وقوله : « وشاف » الجملة عطف على جملة «يزيد فى الداء » .

(٥) لا أعيج أى لا أنتفع بها ، يقال : ماعاج فلان بالدواء ، أى لم ينتفع به ، وما عاج بالماء : لم يرو ، وهذا هو المناسب لقوله قبله :

أهدى لنا شربة منه نعيش بها

وقوله بعد :

وهن عندى كماء غير مشروب =

أَنْتِ الَّتِي تَشْتَفِي عَيْنِي بِرُؤْيَتِهَا ... وَهْىَ عِنْدِي كَمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ
وفى الْمُحِبِّينَ صَبٌّ لاَ شِفَاءَ لَهُ ... دُونَ الرِّضَى بَيْنَ مَرْشُوفٍ وَمَصْبُوبِ
إِنِّى وَإِنْ كُنْتُ حَمَّالاً أُجَاوِرُهُ ... صَرَّام حَبْلِ التَّمَنِّى بِالأَكَاذِيبِ (١)
لاَ يَخْرُجُ الْحَمْدُ مِنِّى قَبْلَ تَجْرِبَةٍ ... وَلاَ أَكُونُ أُجَاجًا بَعْدَ تَجْرِيبِ

وقال أيضاً (*) :

يَا خَلِيلاً نَبَا بِنَا فِى الْمَشِيبِ ... لَمْ يُعَرِّجْ عَلَى مَشَارِ الطَّبِيبِ (٢)
لَيْسَ مَنْ قَابَلَ الأُمُورَ وَحِيدًا ... بِحَلِيمٍ فِيهَا وَلاَ بِمُصِيبِ
إِنَّ الْبَغِيضَ إِلَيْنَا لاَ نُطَالِبُهُ ... يَتَجَلَّى عَنْ بَاطِلٍ مَكْذُوبِ (٣)
فَاسْتَشِرْ نَاصِحاً أَرِيبًا فَإِنَّ الْـ ... ـحَظَّ فِى طَاعَةِ النَّصِيحِ الأَرِيبِ
قَدْ يُصِيبُ الفَتَى أَطَاعَ أَخَاهُ ... وَمُطِيعُ النِّسَاءِ غَيْرُ مُصِيبِ
وَكَعَابٍ مِنْ آلِ « سَعْدِ بن بَكْرٍ » ... رَعَمَتْنِى جُفُونُهَا فِى المَغِيبِ (٤)

= ويجوز أن معناه لا أعبأ بها ، من قولهم : ما أعيج به : ما أعبأ به . وروى قول النابغة :

فما رأيت بها شيئاً أعيج به ... إلا الثمام وإلا موقد النار

وهو من الأفعال التى لا تستعمل فى كلامهم إلا منفية أو فى سياق نفى . والنحب : الحاجة ، والمنحوب : المحصل .

(١) « حمالا » مفعول لفعل محذوف يفسره « أجاوره » المشتغل عنه بضميره ، والظاهر أن الحمال عندهم مثل فى الكذب والخساسة ، ولذلك فقوله «صرام» ينبغى أن يكون منصوبا نعتاً لحمالا ، ولم يضبطه فى الديوان ، وقوله لا يخرج الحمد فى البيت بعده هو « إن » فتأمل .

[قلنا : لعل « أجاوره » محرفة عن « أخا وده » أى محتملا صاحب حق]

(*) وقال أيضاً فى سعدى المالكية . والقصيدة من الخفيف .

(٢) مشار الطبيب أى إشارة العليم ، فإن الطبيب بمعنى الخبير والمجرب ، قال عبدة بن الطبيب :

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... خبير بأدواء النساء طبيب

[قلنا : ضبط الشارح « مشار » بفتح الميم ، وعريت عن الضبط فى المخطوطة ، ونراها بضم الميم مصدراً ميميا من أشار]

(٣) المصراع الأول ثبت هنا غلطا ، إذ هو من القصيدة السابقة عدد ٤ من هذه الورقة ، وهو من بحر البسيط ، وهذه القصيدة من بحر الخفيف .

(٤) سعد بن بكر قبيلة من هوازن تقدم ذكرها فى الورقة ٣٠ ، ورعم (بعين مهملة ، كمنع) : رقب الشمس وقت مغيبها . وحق البيت أن يقول : رعمتها جفوننا .

[قلنا : ربما كان فى عجز البيت تحريف عن : « زعمتنى جفونها فى المغيب » أى ادعت أنى كنت لها جافيا حين غابت عنى]

وَتَقُولُ : اتَّقَيْتَ فِينَـــا أُنَاسًا ‏ ‏ لَمْ أَكُنْ أَتَّقِيهِمُ فِي الْعُرُوبِ (١)
لاَ وَمَنْ سَبَّحَ الْحَجِيجُ لَهُ مَا ‏ ‏ كَانَ ظَنِّي اتِّقَاءَ عَيْنِ الرَّقِيبِ (٢)
غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَمْسَكَنِي عَنْـــكِ فَقَوْلِي فِي ذَنْبِهِ لاَ ذُنُوبِي (٣)
إِنَّ قَلْبِي مِثْلُ الْجَنَاحِ إِلَى مَنْ ‏ ‏ بَاتَ يَدْعُو وَأَنْتَ غَيْرُ مُجِيبِ (٤)
لَوْ يَطِيرُ الْفَتَى لَطِرْتُ مِنَ الشَّوْ ‏ ‏ قِ مُنِيبًا إِلَى الْحَبِيبِ الْمُنِيبِ (٥)
لَوْ أُلاقِي مَنْ يَحْمِلُ الشَّوْقَ عَنِّي ‏ ‏ رُحْتُ بَيْنَ الصَّبَا وَبَيْنَ الْجَنُوبِ
فَبَكَتْ بَكْيَةَ الْحَزِينِ وَقَالَتْ : ‏ ‏ كُلُّ عَيْشٍ مُوَدَّعٌ عَنْ قَرِيبِ (٦)
كُنْتَ نَفْسِي الْفِدَا فَبِنْتَ فَقِيدًا ‏ ‏ ازْعَ وُدِّي — نَعِمْتَ — غَيْرَ مُرِيبِ (٧)
لَوْ سَأَلْتَ الْعُلاَّمَ عَنِّي لَقَالُوا : ‏ ‏ تُبْ إِلَى اللهِ مِنْ جَفَاءِ الْحَبِيبِ (٨)
غَلَبَتْنِي نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنْ كُنْـــتَ مَسَاكًا فِي ظِلِّ مُلْكٍ قَشِيبِ (٩) ٣٦
كَيْفَ أَرْجُو يَوْمًا كَيَوْمِي عَلَى الرَّ ‏ ‏ سِّ وَأَيَّامِنَا بِحِقْفِ الْكَثِيبِ (١٠)

---

(١) العروب : جمع عرب .
(٢) كتب فى الأصل « لنا » وصوابه « له »
(٣) أراد بالإمام : المهدى الخليفة العباسى .
(٤) الخطاب فى قوله « وأنت » لنفسه .
(٥) [المنيب : المقبل الراجع] .
(٦) كتب فى الأصل «فقالت» . وأحسن منه «وقالت» .وقوله : كل عيش ... إلى منتهى القصيدة هو مقول قولها .
(٧) كتب فى الديوان : « كنت نفسى الفدا فبنت فقيداً » وهو لايخلو من تحريف ، فلعل الصواب : كنت نفسى الفا ... الخ
(٨) أى لو سألت الذين يعلمون حبى لك لفندوا وهمك أنى أجفوك .
[قلنا : ربما كان المراد : لو سألتهم عنى لطلبوا منك ألا تجفونى] .
(٩) المساك (كسحاب) : البخل ، وصفه بالمصدر ، أى : وإن كنت مسيكا . وقوله : فى ظل ملك قشيب ، أى فى جوار الخليفة المهدى ، وهذا من تشوق الحبيبة إليه فيما تزعم .
[قلنا : ذكر اللغويون « المساك » اسماً بمعنى الإمساك ، ومنه قول جرير : عمرت مكرمة المساك ... فلعل المقصود هنا استعمال اسم المصدر فى معنى اسم المفعول ، أى المسك بفتح السين ، كما تقول « العطاء » فى معنى الشىء المعطى] .
(١٠) [الرس : البئر المبنية بالحجارة ، وهو اسم واد أيضا ، والحقف : ما اعوج من الكثيب واستطال] .

إِذْ نَسُوقُ الْمُنَى وَنَغْتَبِقُ الرَّا ... حَ وَيَأْبَى الْهَوَى عَلَى تَغْيِيبِ (١)
قدرانا مِثْلَ الْيَدَيْنِ تَلَقَّى ... هَـــذِهِ هَذِهِ بِوُدٍّ وَطِيبِ (٢)
تَتَعَاطَى جِيـدًا وتَلمِسُ حُقًّا ... حِينَ نَخْلُو نَرَاهُمَا غَيْرَ حُوبِ (٣)
فَانْقَضَى ذَلِكَ الزَّمَانُ وَأَبْقَى ... زَمَنًا رَاعَنَا بِأَمْرٍ عَجِيبِ
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ خَيَّمْتَ فِي الْمُلْـ ... ـكِ وَغُودِرْتَ كَالْمُصَابِ الْغَرِيبِ (٤)

وقال أيضا (*) :

أَعَاذِلَ إِنَّ لَوْمَكِ فِي تَبَابِ ... وإِنَّ الْمَرْءَ يَلْعَبُ فِي الشَّبَابِ (٥)
أَعَاذِلَ لَا أُمُرُّكِ فِي «سُلَيْمَى» ... وَلَا أُعْفِيكِ مِنْ عَجَبِ التَّصَابِي
أَبَى لِي أَنْ أُفِيقَ مُشَـوِّقَاتٌ ... يُقَدْنَ إِلَيَّ كَالْخَيْلِ الْعِرَابِ (٦)
وَشَوْقِي فِي الصَّبَاحِ إِلَى «سُلَيْمَى» ... أَتَانِي حُبُّهَا مِنْ كُلِّ بَابِ (٧)
وَقَالَتْ : فِي النِّسَاءِ مُلَفَّفَـاتٌ ... يَضَعْنَ الْمَشْيَ فِي وَرَقِ الشَّبَابِ (٨)

---

(١) [تغتبق الراح : تشرب الخمر فى العشى . والتغييب : الإبعاد . وربما كانت الكلمة محرفة عن « تغبيب » وهو تعدية بالتضعيف كالإغباب بالهمز ، وفى اللغة : أغب القوم : جاءهم يوماً وتركهم يوماً]

(٢) كذا كتب فى الديوان « قد راتا » ، ولعله « قد أراتا »

(٣) كتب فى الديوان « حيدا » بالحاء المهملة ، و « خفا » بالفاء ، والظاهر أنه تصحيف ، أصله « جيدا » بالجيم ، و « حقا » بالقاف ، والحق (بضم الحاء وبالقاف) : علبة صغيرة من عاج ومن رفيع الخشب يوضع فيه دهن الطيب ، وأراد به هنا الثدى ، وهو تشبيه شائع ، قال عمرو بن كلثوم :

وثديا مثل حق العاج رخصا ... حصانا من أكف اللامسينا

(٤) [خيمت : أقمت] .

(*) وقال أيضاً فى سليمى وعواذله فيها .
والقصيدة من بحر الوافر ، وعروضه كضربه مقطوفة ، إذ الوافر لايستعمل تاما .

(٥) [تباب : خسران] .

(٦) الخيل العراب : العربية الكريمة .

(٧) « من كل باب » كناية عن شدة الإحاطة ، كقوله تعالى : وجاءهم الموت من كل مكان .

(٨) « وقالت » أى العاذلة لتدخل إلى تبغيضه فى سليمى بطريق التشكيك لما علمت أنه لايقبل فيها لوماً صريحاً ، فقالت له إن فى النساء ملففات فى البراقع والمعاجر يتكلفن المشى فى المعاجر كأنهن شواب وما هن إلا شهلات ، فعبر عن اللاحف والمعاجر بورق الشباب ، لأنها لبسة الشواب يحتجبن فيها ، فشبهها بورق الأغصان .

فَقُلْ فى حَاسِرٍ ذَمًّا وَحَمْـدًا ... ولاَ تَغْرُرْكَ عَيْنٌ فِى النِّقَابِ (١)
فَمِلْءُ العَيْـنِ قَصْرٌ قَدْ تَرَاهُ ... جَدِيدَ البَابِ دَاخِلُهُ خَرَابُ (٢)
فَقُلْتُ لهَا : دَعِى قَلْبِى « لِسَلْمَى » ... وَقُولِى فِى النِّسَاءِ ولاَ تُحَابِى
لَقَدْ قَرَفَ الوُشَاةُ عَلَى « سُلَيْمَى » ... وَقَالُوا فِى البُعَادِ وَفِى الصِّقَابِ (٣)
فَمَا صَدَرُوا بِقَرْفِهِمُ « سُلَيْمَى » ... وَلاَ أَعْتَبْتُهُمْ عِنْدَ العِتَابِ (٤)
إِذَا نَصَبُوا لهَا ذَبَّبْتُ عَنْهَا ... وَرُبَّتَمَا أَعِنْتُ عَلَى الصَّوَابِ (٥)

---

(١) كتب «خاسر» بخاء معجمة وبراء فى آخره ، والصواب أنه : بحاء مهملة ، والحاسر : المرأة التى تكشف وجهها ، وهو وصف لايؤنث لاختصاصه بالمرأة ، والمعنى : صف المرأة الحاسر بما فيها من حسن وضده ، ولا تغتر بالمتنقبات ، أى لا تجزم بمدح من ترى قدها فى البرقع ، والمراد التعريض بأن سلمى ليست شابة ؛ فإنك لو كشفت [عن] وجهها لعلمت أنها غير جديرة بالحب ، وهذا كقول ذى الرمة:

جزى الله البراقع من لباس ... عن الفتيان شراً ما بقينا
يوارين الملاح فلا نراها ... ويخفين القباح فيزدهينا

(٢) هذا كقول ذى الرمة :

على وجه « مى » مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب العار لو كان باديا

وفى بيت بشار إقواء حيث جاء لفظ « خراب » مرفوعاً مع أن القافية مكسورة .

[قلنا : ربما كان « بشار » غير مرتكب للاقواء ، ولعل كلمة « خراب » محرفة عن « خوابى » جمع خابية وهى الجرة الكبيرة ، أو محرفة عن «حزابى» جمع حزباة ، وهى المكان الغليظ ، ومحرفة عن « حرابى » جمع حرباءة ، أو نحو ذلك . والمراد أن هذا الباب الجديد يحجب وراءه ماليس معهوداً فى داخل القصور مما لايسر العين] .

(٣) « قرف » : بغى ، والبعاد (بضم الباء) : البعيد ، والصقاب جمع صقب (بفتحتين) : القريب ، والمفرد والجمع هنا سواء ، لأن المقصود الجنس واللام لتعريف الجنس إذا دخلت على جمع تبطل منه معنى الجمعية ، والوشاة هم بنو الحباب وسيد كرهم .

[قلنا : ربما كان « البعاد » بكسر الباء و « الصقاب » بكسر الصاد مصدرين لباعد وصاقب . أى : قالوا : فى المباعدة والمواجهة ؛ وليس فى المخطوطة ضبط الباء والصاد] .

(٤) ما أعتبتهم : ما أزلت عتبهم ، فالهمزة فيه للسلب ، مثل أعجم الكتاب . أى : ماقبلت عذرهم

[قلنا : يحتمل قوله « فما صدروا » معانى مختلفة . منها أنهم مارجعوا باتهامهم سليمى . إذ فقدوا ذلك الاتهام بدفاعى عنها كما يدل على ذلك البيت التالى . ومنها أنهم ماصدرونى أى ما أرجعونى عن سليمى على الرغم من اتهامهم إياها . وفى اللغة : صدره أرجعه . فصدر هو أى رجع . ومن المعانى المحتملة أنهم ماصدروا أى ماأصابوا صدرى بذلك الاتهام لسليمى . وفى اللغة : صدره : أصاب صدره] .

(٥) « ربتما » هى « ربما » لحقت التاء « رب » كما لحقت « ثم » فى قولهم « ثمت » لقصد تأنيث اللفظ لا غير . وذببت (بباءين) : دافعت عنها بذبابة السيف .

فيا عَجَبًا مِنَ الحُبِّ المُؤَتِّى ! وَحَسْبُكَ بالغَيُورِ من القِحَابِ ! (١)
يُضِيعُ نِسَاءَهُ وَيَظَلُّ يَحْمِى نِسَاءَ العَالَمِينَ مِنَ اللِّعَابِ (٢)
وَكَمْ مِنْ مِثْلِهِ نَصِبٍ مُعَنًّى بِلَا تِرَةٍ يُطَالِبُهَا مُصَابِ (٣)
مَلَأْتُ فُؤَادَهُ غَيْظًا وَغَمًّا فَيَا وَيْحَ المُحِبِّ مِنَ الطِّلَابِ
إِذَا مَاشِئْتُ نَغَّصَنِى نَعِيمِى وَأَجْرَى عَبْرَتِى جَرْىَ الحَبَابِ (٤)
غِضَابٌ يَكْذِبُونَ عَلَى « سُلَيْمَى » وَهَلْ تَجِدُ الصَّدُوقَ مِنَ الغِضَابِ
فَقُلْتُ « لِوَاقِدٍ » و « ابْنَيْ يَزِيدٍ » وَقَدْ صَدَعَا لِقَوْلِ « بَنِى الحُبَابِ » (٥)
وَرَبِّ مِنًى لَقَدْ كَذَبُوا عَلَيْهَا كَمَا كَذَبَ الوُشَاةُ عَلَى الغُرَابِ (٦) 37
دَعَوْا عَوَرًا بِمُقْلَتِهِ وَيَغْدُو صَحِيحَ المُقْلَتَيْنِ مِنَ المَعَابِ
فَلَا كَانَ الوُشَاةُ وَلَا الغَيَارَى لَعَلَّ العَيْشَ يَصْفُو لِلْحِبَابِ (٧)

---

(١) كتب فى الديوان « الحب » بحاء مهملة ، ولعل صوابه بالخاء المفتوحة ، أى المخادع ، المؤتى (بهمزة وياء تحتية فى آخره) : اسم فاعل من أتيت على وزن فعلت مضاعف أتى ، تقول العرب : أتيت للماء تأتية ، أى سهلت له سبيله ليخرج ، فالمعنى التعجب من الوشاة المخادعين ، والقحاب جمع قحبة ، وهى فى الأصل العجوز ، ثم شاعت فى المرأة الفاجرة المتصنعة .

[قلنا : إن بشاراً يستعجب ويستكى إذا أصيب فى حبه بطائفتين : الطائفة الأولى من الوشاة المخادعين الذين يتعبون أنفسهم فيما لا يعنيهم من شؤون غيرهم ويحسبون أنهم يحمون نساء العالمين وهم لا يحمون نساءهم بل يسهلون لهن سبيل الخروج . والطائفة الثانية من الغيارى اللاتى يلمنه على حبه ويعبن محبوبته ويتهمنها وهن ذوات العيب والفساد ، انظر قوله : فلا كان الوشاة ولا الغيارى] .

(٢) [اللعاب : الملاعبة] (٣) [نصب : تعب . ترة : ثأر وظلم] .

(٤) الحباب (بفتح الحاء) : معظم الماء .

(٥) يظهر أن واقداً وابنى يزيد من أخلائه ، وبنو حباب من الوشاة .

(٦) قوله « كما كذب الوشاة على الغراب » أشار به إلى ما كان فى خرافات العرب من التشاؤم بالغراب ، فلذلك يلقبونه بالأعور ، قال الميدانى فى « أشأم من غراب البين » فلشؤمه لقبوه بالأعور تطيراً مع أنهم يقولون أصفى من عين الغراب ، فاضطربوا فى وصفهم إياه . وفى ثمار القلوب للثعالبى : يقولون : أبصر من غراب ، قال أبو الطمحان :

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين غراب صفوها لم يكدر

(الوقيعة كل مكان صلب يمسك الماء) وإنما يقال للغراب « أعور » لأنه يغمض إحدى عينيه مقتصراً على الأخرى من قوة بصره ، ويقال : إنما سموه أعور على طريق التفاؤل عليه ، قال الشاعر :

لقبونى الشحيح من سوء حالى مثلما سمى الغرابيب عوراً

والظاهر أن تلقيبه بالأعور دعاء عليه بإفساد أحسن شىء فيه لأنه كان يؤذنهم بالبين .

(٧) الحباب جمع أحباب كصحاب جمع أصحاب الذى هو جمع صاحب ، وذلك أنه يقال حب فيجىء اسم فاعله حاب فيجمع على أحباب ثم على حباب .

=

وقال أيضاً (*) :

أَلاَ « يَاصَنَمَ » الأَزْدِ الــذِى يَدْعُونَهُ رَبَّا (١)
سُقِيتَ العَذْبَ مِنْ وُدِّى وَإِنْ لَمْ تَسْقِنِى عَذْبَا
أَرَانِى بِكَ مَكْرُوبَاً وَلاَ تَكْشِفُ لِى كَرْبَا
أَلاَ تَرْزُقُنِى مِنْكَ سُلُوَّ القَلْبِ أَوْ قُرْبَا
فَإِنَّ الشَّوْقَ يَدْعُونِى وَإِنِّى مَيِّتٌ حُبَّــا
إِذَا مَاذَكَرَتْكَ العَيْــنُ لَمْ تَمْلِكْ لَها غَرْبَا (٢)
كَأَنِّى بِكَ مَطْبُوبٌ وَمَا أَحْدَثْتَ لِى طَبَّا (٣)
وَلكِنْ حُبُّكَ الدَّاخِــلُ فِى الأَحْشَاءِ قَدْ دَبَّا
أَفِى شَوْقٍ تَرَى جِسْمِى صَبَبْتَ الهَمَّ لِى صَبَّا (٤)

= [قلنا : جاء فى بيت بشار كلمة « الحباب » ولم يعلق الشارح عليها ، فذكرنا فى موضع البيت (ص ١٤٤ من هذه المطبوعة) أن الحباب كأنه جمع حبيب أو حب بكسر الحاء ، ولا ذكر لهذا الجمع فى كتب اللغة ، وأشرنا إلى أن الكلمة لو غيرت بالأحباب ما اختل بها الوزن ، وسياق البيت هنالك يستدعى الجمع . وأما هنا فيمكن أن تكون كلمة « الحباب » جمعاً على التوجيه الذى أسلفناه ، ويحتمل أن تكون مفردة بمعنى الحب ، وذلك مذكور فى اللغة ، أو تكون بضم الحاء بمعنى الحبيب كما فى اللغة أيضاً]

(*) وقال أيضاً فى النسيب بامرأة من الأزد معروفة ، قال فى الأغانى : قال يونس النحوى : العجب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم — يعنى بشاراً — ويقول :

ألا ياصنم الأزد الـ ذى يدعونه ربا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه ! .

وهذه القصيدة من بحر الهزج .

(١) صنم الأزد فى عهد الجاهلية اسمه « باجر » بفتح الجيم ، ولم يرده بشار ، إنما أراد أن الحبيبة كانت من الأزد ، وكانت أجل نسائهم صورة ، وكان قومها يدعون النظر إليها كأنهم يعبدونها ، وقوله « الذى يدعونه ربا » استعارة تمثيلية ، إذ ليس ثمة دعوتها بالرب ، ولكنه مثل حالهم فى الإقبال على التملى من النظر إليها ومدحها بإقبال عبدة الصنم على عبادته والدعاء له ، وأطلق المركب المؤذن بهيئة عبادة الصنم على هيئة المحبين والعاشقين ، وقوله « الذى » جاء بموصول المذكر رعياً لقوله « صنم » وإن كانت المعنية امرأة ، وقد جرى فى بقية القصيدة على اعتبار التذكير .

(٢) [غربا : دمعا]. (٣) تقدم تفسير مطبوب فى بيت ١٠ ورقة ٣٢ .

[قلنا : سبقت كلمة « الطب » فى ص ١٨٩ من هذه المطبوعة ، فشرحناها بأنها السحر ، وانظر أيضاً ص ١٩٥ من هذه المطبوعة] .

(٤) [قلنا لعل « ترى » محرفة عن « برى » أى هزل جسمى وأضعفه] .

وَهَبْنِي كُنْتُ أَذْنَبْتُ   أَمَا تَغْفِرُ لِي ذَنْبَـــا
تَرَكْتَ الْقَلْبَ قَدْ مَاتَ   وَمَا أَبْقَيْتَ لِي لُبَّـا
أَبِيتُ اللَّيْـلَ مَحْزُونًا   وَأَغْدُو هَائِمًا صَـبَّا
كَذِي الْوَسْوَاسِ لَا يُعْـتِبُ مَنْ عَاتَبَ أَوْ سَبَّا
وَطِفْلُ الْحُبِّ أَضْنَـانِي   فَوَيْلٌ لِي إِذَا شَبَّا(١)
فَإِنِّي لَيْسَ لِي قَلْبٌ   وَإِنْ كُنْتَ تَرَى قَلْبَا
كَذَا نُمْسِي وَمَا يُمْسِي   لَنَا سِلْمًا وَلَا حَرْبَا(٢)
فَحَدِّثْنِي بِمَا أَدْعُو   كَ طُولَ اللَّيْلِ مُنْكَبَّا
أَتَشْفِينِي مِنَ الْأَسْقَا   مِ أَمْ تُورِدُنِي نَحْبَـا(٣)
فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ طَابَ   لِمَنْ أَوْرَدْتَهُ جَدْبَا(٤)
يُلَبِّي قِبْلَةَ « الْأَزْدِ »   وَلَوْلَا أَنْتَ مَا لَبَّى(٥)

وقال أيضاً(*) :

ذَهَبْتَ وَلَمْ تَلْمِمْ بِبَيْتِ الْحَبَائِبِ   وَلَمْ تَشْفِ قَلْبًا مِنْ طِلَابِ الْكَوَاعِبِ(٦)
نَعَمْ إِنَّ فِي الْأَبْعَادِ لِلْقَلْبِ رَاحَةً   إِذَا غَلَبَ الْمَجْهُودُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ(٧) ٣٨
وإِنِّي لَصَرَّافٌ لِقَلْبِي عَنِ الْهَوَى   وَإِنْ حَنَّ تَحْنَانَ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ(٨)

---

(١) طفل الحب : أوله والصغير منه .

(٢) وقوله « وما يمسى » كتب فى الديوان بالياء المثناة تحت ، ولعل الصواب أنه « وما تمسى » بالمثناة فوق ، وقوله « لنا سلما ولا حربا » أى لم تسعفنا بالرضى ولم تعرض عنا .

(٣) [النحب — هنا — : الموت] .

(٤) [يستعمل بشار « الجدب » أو « الجديب » فى مقام الحب إذا وجد المحب جناب محبوبته ممحلا من صلات المحبة ، فقراً مما يغذى الألفة ويطفىء اللوعة] .

(٥) كتب فى الديوان « قتلة » بمثناة فوقية بعد القاف ، وهو تحريف ، صوابه « قبلة » بباء موحدة

(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة . وهى من بحر الطويل .

(٦) [لم تلمم : لم تنزل] .

(٧) [قلنا : لعل « الإبعاد » بكسر الهمزة ، مصدر « أبعد » بمعنى تبعد وأمعن فى الذهاب بعيداً]

(٨) التحنان (بفتح التاء) : الحنين . والمخاض : النوق التى قاربت الولادة . والضوارب : التى تضرب =

تـكلّفني مِنْ حُبِّ « عَبْدَةَ » زَفْرَةٌ وَفِي زَفَرَاتِ الحُبِّ كَرْبٌ لِـكَارِبِ (١)
وَلِلْحُبِّ حُمًّى تَعْـتَرِيني بِزَفْرَةٍ لَهَا فِي عِظَامِي نَافِضٌ بَعْدَ صَالِبِ (٢)
فَوَيْلِي مِنَ الحُمَّى وَوَيْلِي مِنَ الهَوَى لِأَيِّهِمَا أَبْغِي دَوَاءَ الطَّبَائِبِ ؟
لَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنِي « بِعَبْدَةَ » غَادِياً ودَبَّتْ لِقَتْلِي مِنْ هَوَاهَا عَقَارِبِي (٣)
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَبِي مِنْ طِلَابِهَا جُنُونٌ أَمِ اسْتَحْدَثْتُ إِحْدَى العَجَائِبِ ؟
إِذَا ذُكِرَتْ دَارَ الهَوَى بِمَسَامِعِي كَمَا دَارَتِ الصَّهْبَاءُ فِي رَأْسِ شَارِبِ
هِيَ الرُّوحُ مِنْ نَفْسِي وَلِلْعَيْنِ قُرَّةٌ فِدَاءٌ لَهَا نَفْسِي وعَيْنِي وحَاجِبِي (٤)
فَإِنْ يَكُ عَنِّي وَجْهُهَـا اليَوْمَ غَائِباً فَلَيْسَ فُؤَادِي مِنْ هَوَاهَا بِغَائِبِ

وقال أيضاً (*) :

أَلَا يَا « طَيْبَ » قَدْ طِبْتِ وَمَا طِيبُـكِ الطِّيبُ
وَلَـكِنْ نَفَسٌ مِنْكِ إِذَا ضَمَّـكِ تَقْرِيبُ

= بأرجلها إذا أرادها الفحل ، فالظاهر أنه أراد من تحنانها أنها تحن على ولدها حين تضعه ، فإطلاق المخاض عليها مجاز باعتبار ما كان ، كقوله تعالى : وآتوا اليتامى أموالهم ، والمعنى أنه قادر على الإعراض عمن يحبه .

(١) [قلنا : لعل كلمة « تـكلفني » تضبط بضم التاء وكسر اللام المشددة ، من كلفه : جاء بما يشق عليه ، والمراد أن الزفرة تجشمه وتشق عليه . وكارب اسم فاعل من كرب الرجل كسمع : أصابه الـكرب] .

(٢) الصالب الرعدة التي تأخذ المحموم قبل الحمى ، والنافض شدة البرد قبل الحمى .

[قلنا : في فقه اللغة للثعالبي : « إذا اشتدت حرارة الحمى ولم يكن معها برد فهي صالب ، فإذا أرعدت فهي النافض » . ولعل المراد بالزفرة في هذا البيت : النفس الحار ، تشبيهاً له بزفير النار ، والمراد بالزفرة في البيت السابق : التنفس مع مد النفس] .

(٣) شرقت العين (بكسر الراء) : احمرت ، وأراد بشار أنها احمرت من البكاء .

[قلنا : ومن معاني « شرق » أيضاً ، قولك: شرق الجرح بالدم : امتلأ ، وشرق الموضع بأهله : امتلأ فضاق . ونرى أن « بشاراً » يريد امتلاء عينه بمحبوبته ، وهو غاد] .

(٤) زيادة « وحاجبي » هنا من العي بالقافية ، وهو في غاية السماجة .

(*) وقال أيضاً في حبيبته طيبة :

والقصيدة من بحر الهزج وفي كثير من أبياتها زحاف العصب وهو حذف الساكن السابع أعني نون مفاعيلن فيصير مفاعيل .

[قلنا : الزحاف المستعمل في كثير من أبيات القصيدة ، وهو حذف الساكن السابع ، إنما يسمى « زحاف الـكف » ولا يسمى « زحاف العصب » ، لأن العصب تسكين الخامس المتحرك] .

وَثَغْرٌ بَارِدٌ عَذْبٌ   جَرَى فِيهِ الأَعَاجِيبُ
وَوَجْهٌ يُشْبِهُ البَدْرَ   عَلَيْهِ التَّاجُ مَعْصُوبُ
وَعَيْنٌ تَسْحَرُ العَيْنَ   وَمَا فِي سِحْرِهَا حُوبُ(١)
وَوَحْفٌ زَانَ مَتْنَيْكِ   وَزَانَتْهُ التَّقَاصِيبُ(٢)
وَجِيدٌ يُشْبِهُ الدُّرَّ   كَجِيدِ الرِّيمِ سُلْهُوبُ(٣)
وَنَحْرٌ بَيْنَ حُقَّيْنِ   يَشُفُّ العَيْنَ مَشْبُوبُ(٤)
عَلَيْهِ الجَوْهَرُ الأَخْضَـ   ـرُ وَاليَاقُوتُ مَنْصُوبُ
وَشَيْءٌ بَيْنَ فَخْذَيْنِ   كَقَعْبِ الشَّرْبِ مَكْبُوبُ(٥)
وَحُبٌّ لَكِ قَدْ شَاعَ   وَبَيْتٌ لَكِ مَنْسُوبُ(٦)
فَلَوْ سَاعَفَنَا وَجْهُـ   ـكِ وَالدِّرْيَاقُ وَالطِّيبُ(٧)
أَعِشْنَاكِ وَعِشْنَا بِـ   ـكِ إِنَّ العَيْشَ مَحْبُوبُ
قَضَى لِي طَاعَةَ الحُبِّ   وَقِرْنُ الحُبِّ مَغْلُوبُ
تَهَزَّنَ بِهِ القَلْبَ   كَمَا اهْتَزَّ العَسَابِيبُ(٨)

٣٩

---

(١) [حوب : إثم] .

(٢) الوحف (بفتح الواو وسكون الحاء) : الشعر الكثيف الأسود ، وكان النساء يسدلن شعورهن على ظهورهن . والتقاصيب : جمع تقصيبة ، وهى الخصلة [الملتوية] من الشعر ، ويقال لها : قصبة .

(٣) « السلهوب » لم يذكره أهل اللغة بهذا الميزان ، والموجود هو السلهب للطويل من الناس والخيل ، واسلهب الفرس : طال .

(٤) [قلنا : يشف العين : يوهنها ، من شفه الهم والمرض : أوهنه . ولعل « يشف » محرفة عن « يشب » من شب النار : أوقدها ، أى أن نحرها يثير الناظر . وقوله : « مشبوب » صفة للنحر ، لعل « بشاراً » يريد أنه مشرب بحمرة كأنه يلتهب ، أو هو كقولهم : رجل مشبوب الوجه : حسن ، كما فى الأساس] .

(٥) [القعب : إناء غليظ يشرب فيه قدر مايروى الرجل . المكبوب : المقلوب على وجهه] .

(٦) [« منسوب » يجوز أن يكون من النسب ، والمراد بالبيت إذن : مايضم شرف القبيلة ، ويجوز أن يكون «منسوب» من النسيب وهو التشبيب بالمرأة فى الشعر ، والمراد بالبيت إذن : بيت الشعر ، والوجه الثانى هو المناسب لقصيدة بشار] .

(٧) [الدرياق — هنا — الخمر] .

(٨) كتب « العسابيب » ولعله اليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو سلطان النحل .

وَوَعْدٌ كَجَنَى النَّحْلِ ... وَلٰكِنْ ذَاكَ مَثْلُوبُ [١]
فَعَيْنِي تَسْكُبُ الدَّمْعَ ... وَقَلْبِي بِكَ مَكْرُوبُ
وَلَوْ شِئْتِ تَمَتَّعْنَا ... وَإِنْ سَبَّحَ «يَعْقُوبُ» [٢]

وقال أيضاً [*] :

مِنَ الْمَشْهُورِ بِالْحُبِّ ... إِلَى قَاسِيَةِ الْقَلْبِ
سَلَامُ اللهِ ذِي الْعَرْشِ ... عَلَى وَجْهِكِ يَا حِبِّي [٣]
فَأَمَّا بَعْدُ يَا قُرَّ ... ةَ عَيْنِي وَمُنَى قَلْبِي
وَيَا نَفْسِي الَّتِي تَسْكُنُ ... بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْجَنْبِ
لَقَدْ أَنْكَرْتُ يَا «عَبْدَ» ... جَفَاءً مِنْكِ فِي الْكُتْبِ
أَعَنْ ذَنْبٍ وَلَا وَاللّٰـ ... ـهِ مَا أَحْدَثْتُ مِنْ ذَنْبِ
وَلَا وَاللهِ مَا فِي الشَّرْ ... قِ مِنْ أُنْثَى وَلَا الْغَرْبِ
سِوَاكِ الْيَوْمَ أَهْوَاهَا ... عَلَى جِدٍّ وَلَا لِعْبِ [٤]

---

(١) [مثلوب : معيب] .

(٢) قوله « إن سبح يعقوب » يريد به رجلا ، ومعنى « سبح » يحتمل أنه قال « سبحان الله » إنكاراً للتمتع منها ، فيكون يعقوب عاذلا ، ويحتمل أنه اشتغل بالنوافل عن التلذذ بالحبائب فيكون يعقوب صاحبا صالحاً لايشارك بشاراً فى لهوه .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة على صورة رسالة جواباً عن كتب وردت إليه .
[وانظر ماذكره الشارح فى مقدمة الديوان (ص ٤٠ من هذه المطبوعة)] .
وهى من بحر الهزج وفيها زحاف العصب .
[قلنا : فيها زحاف الكف لا العصب كما قدمنا فى القصيدة السابقة] .

(٣) [حبى : محبوبتى ، والمعروف فى الاستعمال للمؤنثة : حبتى] .

(٤) اللعب : بكسر اللام وسكون العين لغة فى اللعب .

وقال أيضاً (*) :

يَاصَاحِ قُمْ فَاسْقِنِي بِالكَأْسِ إِعْرَابَا ... وَلاَ تُطِعْ عَاقِباً فِينَا وَعَقَّابَا (١)
إِنَّ الهَوَى حَسَنٌ حَتَّى تُدَنِّسَهُ ... فَاطْلُبْ هَوَاكَ سَتِيرًا وارْعَ أَحْبَابَا (٢)
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ فِي الوَاشِينَ إِنَّ لَهُمْ ... عَيْنًا تَرُودُ وتَنْفِيرًا وإِلْهَابَا (٣)
لاَ تُفْشِ سِرَّ فَتَاةٍ كُنْتَ تَأْلَفُهَا ... إِنَّ الكَرِيمَ لَهَا رَاعٍ وإِنْ تَابَا
واسْعَدْ بِمَا قَالَ فِي الحُلْمِ ابْنُ «ذِي يَزَنٍ» ... يَلْهُو الكِرَامُ ولاَ يَدْنُونَ أَحْسَابَا (٤)
جَدُّ امْرِئٍ جَارُهُ مِنْ كُلِّ فَاضِحَةٍ ... فَانْهَضْ بِجَدِّكَ تَنَلْ جَاهًا وأَكْسَابَا (٥)
قَدْ شَفَّنِي حَزَنٌ ضَاقَ الفُؤَادُ بِهِ ... وسَرَّنِي زَائِرٌ فِي النَّوْمِ مُغْتَابَا (٦)

(*) وقال أيضاً فى أسماء ابنة الأشد من بنى جشم ، كانت حبيبته ثم تزوجت ، وذكر اسمها فى ورقة ١٥٥ .

والقصيدة من البسيط ، وعروضها وضربها مقطوعان بتسكين عين فعلن .

[قلنا : إن عروض القصيدة ليست مقطوعة ، بل هي مخبونة ، بحذف الألف من « فاعلن » إلا أن التصريع وقع فى البيت الأول الذى افتتحت به القصيدة ، فأصبحت فيه العروض مقطوعة كالضرب ، وليس ذلك القطع عاما لأبيات القصيدة] .

(١) كتب « عاقبا » و « عقابا » بقاف فيهما ، فالظاهر أنه أراد بالعاقب : المغتاب ، أخذه من قولهم : عقبه يعقبه إذا ضرب عقبه ، والعقاب : مبالغة فيه .

[نقول : ربما كان المراد بالعاقب ، السيد أو خلفه الذى ينهى عن الشراب . و « عقاب » بفتح العين إذا أريد به المبالغة وبضم العين إذا كان جمعاً لعاقب ، هذا إذا لم يكن « عاقب » و « عقاب » اسمى رجلين] .

[ثم نقول : من المعروف استعمال « الإعراب » بمعنى الإبانة والإفصاح ، فهل استعمل بشار « الإعراب » لذلك ، يريد : اسقنى جهرة ؟ ولعل بشاراً استعمل « الإعراب » فى الشراب مأخوذاً من «الإعراب» فى سقى القوم والإبل ، وذلك إذا كان مرة غبا ومرة خمسا ثم قام على وجه واحد ، والمراد أن بشاراً يطلب من صاحبه أن يسقيه على طريقة واحدة غير مضطربة بكلام الناس وطاعتهم] .

(٢) [ستيراً : عفيفاً] .

(٣) [ترود : تتفقد وتردد النظر طالبة مايتهيأ للوشاية . وإلهاباً : تهييجاً] .

(٤) « ابن ذى يزن » هو سيف بن ذى يزن ملك العرب باليمن ، وهو الذى أخذ اليمن من سلطة الحبشة وطرد الحبشة بإعانة الفرس ، وملك خمس عشرة سنة بعد الحبشة ، وتوفى قبل البعثة ، وهذا الكلام الذى ضمنه بشار بيته لعله مثل منسوب لسيف لم أقف عليه .

(٥) [قلنا : ظاهر معنى الجد : الحظ ، وربما كان المراد بالجد — هنا — العظمة . ولعل «جار» اسم مرفوع بمعنى مجير] .

(٦) [شفنى : آلمنى وأضعفنى] .

بَاتَتْ عَرُوسًا وبِتْنَا مُعْرِسِينَ بِهَا ... حَتَّى رَأَيْنَا بَيَاضَ الصُّبْحِ مُنْجَابَا(١)
وقَائِلٍ: نَامَ عَنْ «أَسْمَاءَ» شَاكِيَةً ... لَا نَوَّمَتْ عَيْنُهُ إِنْ كَانَ كَذَّابَا
مَازِلْتُ فِي الهَمِّ مِنْ وِرْدٍ يُقَلِّبُهَا ... كَأَنَّنِي فِيهِ لَا أَلْقَى لَهُ بَابَا(٢)
بَلْ كَيْفَ أُسْقَى عَلَى الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا ... وَقَدْ تَعَلَّقْتُ مِنْ «أَسْمَاءَ» أَسْبَابَا
عَادَ الْهَوَى بِلِقَاءِ الْغُرِّ مِنْ «جُشَمٍ» ... يَمْشِينَ تَحْتَ الْغَمَامِ الغُرِّ أَتْرَابَا(٣)
عُلِّقْتُ مِنْهُنَّ شَمْسَ الدَّجْنِ أَوْ قَمَرًا ... غَدَا لَنَا لَابِسًا دِرْعًا وَجِلْبَابَا
لَا أَشْتَهِي بِهَوَاهُ جَنَّةً أُنُفًا ... وَلَوْ تَدَلَّتْ لَنَا تِينًا وَأَعْنَابَا(٤)
لِلّٰهِ دَرُّ فَتَاةٍ مِنْ بَنِي «جُشَمٍ» ... مَا أَحْسَنَ العَيْنَ والخَدَّيْنِ وَالنَّابَا! (٥)
تُرِيكَ فِي القَوْلِ جَشَّابًا وإِنْ ضَحِكَتْ ... أَرَتْكَ مِنْ ثَغْرِهَا المَثْلُوجِ جَشَّابَا(٦)
بَدَا لَنَا مَنْظَرٌ مِنْهَا اعْتَبَرْتُ بِهِ ... وَشَاهِدُ المِسْكِ يَلْقَى الأَنْفَ مَاغَابَا(٧)

---

(١) [منجابا : من : انجاب الصبح : انفلق] .

(٢) ورد (بكسر الواو وسكون الراء) : اسم للحمى ، ويطلق على يوم نوبة الحمى . وقوله « كأنني فيه» أي كأنني أنا المحموم « ولا ألق له بابا » للنجاة منه .

(٣) «جشم» بضم ففتح : اسم لأحياء : فمن مضر بنو جشم بن قيس بن سعد بن عجل من لجيم بن بكر بن وائل . ومن تغلب بنو جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، ومن اليمن من همدان ، والظاهر أن بشاراً أراد بني جشم بن قيس من بكر بن وائل ، لأن مواطنهم كانت بالعراق . والغر : جمع غراء . وهي البيضاء ، والغمام الغر ، جمع الغمامة الغراء ، وهي البيضاء ، وإنما تكون كذلك إذا كانت ذات مطر ، قال أبو تمام :

كأن السحاب الغر غيبن تحتها ... حبيباً فما ترقا لهن مدامع

(٤) ضمن «أشتهي» معنى أستبدل ، فلذلك علقه بالباء بمفعول ثان ، كقول بشامة بن حزن النهشلي :

إنا بني نهشل لاندعي لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

فعدى « ندعي » بعن مع أنه لايتعدى به لأنه ضمنه معنى نعدل أو نرغب .
[أنفا : لم ترع ولم توطأ] .

(٥) قوله : ما أحسن العين الخ أراد عينها وخديها ونابها ، واللام عوض عن المضاف إليه على رأي الكوفيين كقوله تعالى : فإن الجنة هي المأوى ، أو التقدير : العين منها والخدين منها . الخ على رأي البصريين.

(٦) الجشاب (بالجيم المفتوحة والشين المعجمة) : صفة للندى ، وهو الندى المتساقط كأنه المطر صباحاً، شبه كلامها في الحسن والانقشاب بقطر الندى كقول بعض العرب ، أنشده الفراء :

وحديثها كالقطر يسمعه ... راعي سنين تتابعت جدبا

وشبه ثغرها بقطر الندى في النظافة وصفائه وتبرده . وكتبه في الديوان بالخاء المعجمة المضمومة خطأ.

(٧) يعني ومسكها تبقى رائحته بالأنف لايغيب عنه .

قَدْ زَيَّنَتْ بِالْمُحَيَّا صُورَةً عَجَبًا   وَزَانَهَا كَفَلٌ رَابٍ وَمَا عَابَا
إِذَا رَآهَا نِسَاءُ الْحَيِّ قُلْنَ لَهَا :   سُبْحَانَ مَنْ صَاغَهَا ! يُغْرِقْنَ إِطْنَابَا(١)
كَأَنَّمَا خُلِقَتْ مِنْ جِلْدِ لُؤْلُؤَةٍ   نَفْسًا مِنَ الْعِطْرِ إِنْ حَرَّكْتَهَا ثَابَا(٢)
يَطِيبُ مِسْوَاكُهَا مِنْ طِيبِ رِيقَتِهَا   وَإِنْ أَلَمَّ بِجِلْدٍ جِلْدُهَا طَابَا(٣)
تِلْكَ الَّتِي أَرْجَلَتْنِي بِالْهَوَى سَنَةً   وَكُنْتُ لِلْمُهْرَةِ الْحَسْنَاءِ رَكَّابَا(٤)
لَمْ أَنْسَهَا طَالَعَتْ مِنْ تَحْتِ كِلَّتِهَا   فَأَعْلَقَتْ عَامِرِيًّا بَعْدَ مَا شَابَا

يَا « أَسْمَ » جُودِي بِمَعْرُوفٍ نَعِيشُ بِهِ
وَلَا تَكُونِي لَنَا حَرْبًا وَأَوْصَابَا
وَاللَّهِ أَنْسَاكِ يَا « أَسْمَاءُ » مَا طَرَفَتْ
عَيْنِي وَمَا قَرْقَرَ الْقُمْرِيُّ إِطْرَابَا(٥)

---

(١) قوله : « قلن لها » أى لأجلها ، كقوله تعالى : وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا ، وليس المراد أنهن يخاطبنها بذلك ، لقوله : من صاغها ، ولأن قولهن ذلك فى حديثهن فى غيبها أقرب إلى الصدق لعدم المصانعة . وقوله « يغرقن إطنابا » الإطناب (بكسر الهمزة) التطويل فى الكلام مع زيادة المعانى ، وقوله « يغرقن » بضم الياء ، يقال : أغرق إذا طلب أو جعل الشىء غارقا ، وأطلق مجازاً على تجاوز الحد والغلو فيه ، وقوله : « إطنابا » يجوز أن يكون تمييزاً ويجوز أن يكون مفعول يغرقن .

(٢) كتب فى الديوان « نفسا » بالنصب ، فيكون حالا من ضمير خلقت ، وقوله « من العطر » صفة نفسا أى هى العطر نفسه ، وثاب : رجع ، أى نفحت منها رائحته مرة أخرى .

(٣) الضمير فى قوله « طاب » عائد إلى « جلد » النكرة ، وإن كان أبعد من الجلد المضاف لضمير المرأة ، والقرينة ظاهرة .

(٤) أرجلته : جعلته يمشى على رجليه غير راكب ، وهو استعارة تمثيلية لعناء سوء معاملتها ، فهو كمن يقود فرسه ، ولذلك قابل هذه الاستعارة بضدها فى قوله :

« وكنت للمهرة الحسناء ركابا »

فكان دالة على استمرار الفعل فى الماضى ، كقول مالك بن رقبة (شاعر إسلامى فى عهد ابن الزبير) :

أماتوا من دمى وتوعدونى   وكنت وما ينهنهنى الوعيد

أى وكان شأنى ركوب المهرة الحسناء ، استعارة لمواتاة حبائبه السوابق .

[قلنا : الرواية : « أقادوا من دمى »] .

(٥) قوله « والله أنساك » أى والله لا أنساك ، وحذف « لا » النافية مع القسم كثير فى كلامهم . قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح قاعدا » أى لا أبرح .

وقال أيضاً (*) :

أ « حَارِثَ » عَلِّنِي وَإِنْ كُنْتَ مُسْهِبًا ... وَلَا تَرْجُ نَوْمِي قَدْ أَجِدُّ لِيَذْهَبَا (١)
دَنَا بَيْتُ مَنْ أَهْوَى وَشَطَّ بِبَيْنِهِ ... حَبِيبٌ فَأَصْبَحْتُ الشَّقِيَّ الْمُعَذَّبَا (٢)
إِذَا شِئْتُ غَادَانِي وَخِيمٌ مُلَعَّنٌ ... وَحَبَّبْتُ مِنْ وُدِّي لَهُ فَتَحَبَّبَا (٣)
أ « حَارِثَ » مَا طَعْمُ الْحَيَاةِ إِذَا دَنَا ... بَغِيضٌ وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا ؟
وَقَائِلَةٍ : مَالِي رَأَيْتُكَ خَاشِمًا ... وَقَدْ كُنْتَ مِمَّا أَنْ تَلَذَّ وَتَطْرَبَا
فَقُلْتُ لَهَا : مَشَّى الْهَوَى فِي مَفَاصِلِي ... وَرَامِي فَتَاةٍ لَيْتَهُ كَانَ أَصْوَبَا (٤)

(*) وقال أيضا فى حبيبته « خشابة » وهى امرأة فارسية كانت تغشى مجلس بشار بالبصرة ، وكان إليها مائلا ، ثم تزوجت وخرجت من البصرة ، قاله فى الاغانى ، ولبشار فيها قصيدته التى أولها :

أخشاب حقا أن دارك تزعج

وتسميتها خشابة مشتقة من الخشاب (بضم الخاء وتشديد الشين المعجمة) وهى كلمة فارسية بمعنى الماء الطيب الرائحة ، ذكر ذلك ياقوت فى معجم البلدان فى ذكر قرية خشاب من قرى الرى ، وأهمله أصحاب اللغة .

والقصيدة من الطويل .

(١) « أحارث » الهمزة للنداء ، وحارث منادى مرخم أصله حارثة لأنه فى الديوان ضبط بفتح الثاء ، ويجوز أن يكون المقصود مسمى بحارث فيكون ضم الثاء ، وهو أليق بأسلوب الشعر العربى ، فإن العرب تكنى عن الإنسان بالحارث ، وفى الحديث : كلكم حارث ، وكلكم همام ، وقال النابغة :

أقول والنجم قد مالت أوائله ... إلى الغروب تثبت نظرة حار

وهو هنا غير الحارث المهرى الذى هجاه فى ورقة ١١٦ لأن المخاطب هنا ودود . و « عللنى » أصله اسقنى العلل ، وهو الشرب الثانى بعد شرب أول ، والأول يسمى النهل ، وأطلقه على إعادة الحديث لأنه يرتاح بسماعه كراحة الظمآن للشراب ، والإسهاب التطويل فى الكلام ، وقوله « قد أجد ليذهبا » أى قد اجتهد فى الذهاب ، وأجد : مشتق من الجد (بكسر الجيم) : الاجتهاد .

[فى المخطوطة « كنت » بضم التاء ، ويناسبه كون « مسهبا » بفتح الهاء ، أى : ذاهب العقل]

(٢) أى كان بيت الحبيب قريبا ولكن بعده الحبيب بهجره ، فهو فى معنى قوله :

قرب الحبيب وما إليه وصول

(٣) الوخيم : الرجل الثقيل ، والملعن : الذى يكثر الناس تلعينه ، والتلعين : مبالغة فى اللعن .

[قلنا : لعل فى عجز البيت تحريفا عن « وجنبت » « من » (بفتح الميم) « فتجنبا »] .

(٤) « مشى » بمعنى مشي ليدل على التكثير ، مثل موت وبين الصبح ، قالت كبشة بنت معديكرب :

فإن أنتم لم تثأروا واتديتموا ... فمشوا بآذان النعام المصلم

فى رواية فتح اللم ، أى فاذهبوا أذلاء كالنعام ، قاله المرزوقى فى شرح الحماسة ، وإثبات الآذان تخييل للمكنية ، وقوله « ورامى فتاة » جملة معطوفة على جملة مشى الهوى . . الخ وهو مقول القول ، أى وقلت رامى فتاة ليته كان أكثر صوابا فى رميه حتى لا يقع فى صيد مايتلفه ، كقول المتنبى :

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه ... تصيده الضرغام فيما تصيدا

تَرَقَّبُ فِينَا العَاذِلِينَ عَلَى الْهَوَى ... وَمَا نَالَ عَيْشًا قَبْلَنَا مَنْ تَرَقَّبَا
إذَا نَحْنُ لَمْ نَنْعَمْ شَبَابًا فَإنَّمَا ... شَقِينَا وَلَمْ يَحْزَنْ لَنَا مَنْ تَشَيَّبَا
وَمَا اسْتَفْرَغَ اللَّذَاتِ إلاَّ مُقَابِلٌ ... إذَا هَمَّ لَمْ يَذْكُرْ رِضَى مَنْ تَغَضَّبَا (١)
فَلاَ تَرْقُبِي فى عَاشِقٍ أنْتِ هَمُّهُ ... قَرِيبًا وَلا تَسْتَأذِنِي فِيهِ أجْنَبَا
لَعَلَّكُمَا تَسْتَعْهِدَانِ مِنَ الْهَوَى ... بِنَظْرَةِ عَيْنٍ أوْ تُرِيدَانِ مَلْعَبَا (٢) ٤١
يَلُومُكِ فى الْحُبِّ الْخَلِيُّ وَلَوْ غَدَا ... بِدَاءِ الْهَوَى لَمْ يَرْعَ أُمًّا وَلاَ أبَا
أ « خُشَّابَ » قَدْ طَالَ انْتِظَارِى فأنْعِمِى ... عَلَى رَجُلٍ يَدْعُو الأطِبَّاءَ مُتْعَبَا
أُصِيبَ بِشَوْقٍ فاسْتُخِفَّتْ حَصَاتُهُ ... وَلاَ يَعْرِفُ التَّغْمِيضَ إلاَّ تَقَلُّبَا (٣)
يَرَى الهَجْرَ أحْيَانًا من الهَمِّ عَارِضًا ... وَإنْ هَمَّ بالهِجْرَانِ هَابَ وَكَذَّبَا
بِهِ جِنَّةٌ مِنْ صَبْوَةٍ لَعِبَتْ بِهِ ... وَقَدْ كَانَ لاَ يَصْبُو غُلاَمًا مُشَبَّبَا
تَمَنَّاكِ حَتَّى صِرْتِ وَسْوَاسَ قَلْبِهِ ... وَعَاصَى إلَيْكِ الصَّالِحِينَ تَجَنُّبَا
وَبَيْضَاءَ مِعْطَارٍ يَرُوقُ بِعَيْنِهَا ... عَلَى جَسَدٍ (٤)

---

(١) المشيع بضم الميم وفتح التحتية مشددة : الشجاع ، قال الشنفرى :

ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع

[قلنا : لم ترد كلمة « المشيع » فى هذا البيت ، ولا فى القصيدة كلها ، فلعل الشارح أثبتها مريداً أن يجعلها فى موضع كلمة « مقابل » ومعنى البيت يستقيم بكلمة « مشيع » فأما كلمة « مقابل » فلا يظهر لمناها اللغوى صلة بسياق البيت] .

وهذا البيت أعاده بشار فى قصيدة آتية . انظر البيت ١٣ من الورقة ٥٢ .

[قلنا وصدر البيت هنالك : وما استفرغ اللذات إلا مشيع . فالشارح هنا يشرح البيت على مقتضى روايته هنالك] .

(٢) قلنا : الخطاب فى هذا البيت : لعلكما تستعهدان . . . الخ لمخاطبين اثنين ، وليس فيما سبق من هذه القصيدة ولا فيما يأتى منها ما يناسب ذلك من تثنية الخطاب . ونحن نرى أن هذا البيت ليس حق وضعه هنا ، وأنه يناسب القصيدة الأخرى (فى الورقة ٥٢) التى سبقت الإشارة إلى أنها خالطت هذه القصيدة فى البيت الأسبق ، فيكون وضع البيت هناك هكذا :

خليلىّ قوما فاعذرا أو تعتبا ... ولا تعذلانى أن ألذ وأطربا
لعلكما تستعهدان من الهوى ... بنظرة عين أو تريدان ملعبا

واستعهد منه : شرط عليه ، وأخذ عهده] .

(٣) الحصاة : العقل ، لأن به إحصاء الأشياء وتمييزها ، أى إصابة الأشياء ، ومعنى « استخفت حصاته » وجد عقله خفيفاً ، أى ضعف رأيه ، فالسين والتاء للحسبان .

(٤) [معطار : من عادتها العطر . وفى آخر البيت بياض بالأصل] .

رَأَتْ بِي كَبِيرًا مِنْ هَوَاكِ فَسَبَّحَتْ ... وَأَكْبَرُ مِمَّا قَدْ رَأَتْ مَا تَغَيَّبَا
أ «خُشَّابَ» قَدْ كَانَتْ عَلَى القَلْبِ قُرْحَةٌ ... مِنَ الشَّوْقِ لا يَسْطِيعُهَا مَنْ تَطَبَّبَا
إِذَا قُدِحَتْ مِنْهَا الصَّبَابَةُ نَتَّجَتْ ... عَقَارِبَ فِيهَا عَقْرَبًا ثُمَّ عَقْرَبَا(١)
وَحَتَّى مَتَى لَا نَلْتَقِي لِحَدِيثِنَا ... وَمَكْنُونِ حُبٍّ فِي الحَشَا قَدْ تَشَعَّبَا
تَقَطَّعُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... إِلَيْكِ مَنُوطًا بِالأَمَانِيِّ خُلَّبَا(٢)

وقال أيضاً(*) :

أَفِدَ الرَّحِيلُ وَحَثَّنِي صَحْبِي ... وَالنَّفْسُ مُشْرِفَةٌ عَلَى النَّحْبِ(٣)
لَمَّا رَأَيْتُ الهَمَّ مُجْتَنِحًا ... فِي القَلْبِ وَالعَيْنَانِ فِي سَكْبِ(٤)
وَالبَيْنُ قَدْ أَفِدَتْ رَكَائِبُهُ ... وَالقَوْمُ مِنْ طَرِبٍ وَمِنْ صَبِّ
نَادَيْتُ : إِنَّ الحُبَّ أَشْعَرَنِي ... قَتْلاً وَمَا أَحْدَثْتُ مِنْ ذَنْبِ(٥)

---

(١) [قلنا : ربما كان قوله « إذا قدحت منها » محرفا عن « إذا قدحت فيها » بفتح القاف والدال وفى اللغة : « قدحت » بمعنى أثرت] .

(٢) الخلب : البرق الذى لامطر معه . وأراد أن نفسه تقطع ضمائر ووسائل منوطة أى معلقة بالأمانى التى لا تحقق لها .

[قلنا : الرأى عندنا أن « تقطع » بالطاء المشددة المفتوحة — كما فى المخطوطة — وأصلها تتقطع ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، وأن « نفسى » فاعل تتقطع ، وأما « منوطا » فهى حال من الياء « فى نفسى » ولا بأس هنا بمجىء الحال من المضاف إليه ، لأن المضاف بعضه . والمعنى أن « بشاراً » تتمزق نفسه كل وقت وهو متعلق بالأمانى المكذوبة] .

(*) وقال أيضا فى عبدة ، وهذه القصيدة من بحر الكامل ، وعروضها حذاء ، وضربها أحذ مضمر . متفاعلن فعلن [متحركة العين] والضرب : فعلن [ساكنة العين] .

(٣) أفد (بفتح الهمزة و [كسر] الفاء) قرب ، والنحب : الحاجة ، ويكنى به عن الموت .

(٤) [مجتنحاً : مكباً] .

(٥) النداء : رفع الصوت لإسماع الكلام ، ومنه سمى الأذان النداء . [قال تعالى] : إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة . [وقال] : ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، وقال : فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى . وقال الحريرى : « فلما جلس كأنه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الأسماء : وحرمة ساسان الخ » وكثر استعماله فى رفع الصوت بطلب إقبال الشخص ، ثم فى مطلق طلب الإقبال ، ومنه سميت حروف النداء ، وليس ذلك بمراد هنا ، وقل أن يتفطن لأصل استعماله . وأشعر البعير : شق جلده حتى يظهر الدم ، أو طعنه كذلك ، ليكون ذلك علامة على أنه هدى ، وقوله « قتلا » تمييز لنسبة الإشعار أو مفعول لأجله . لقد أجاد فى هذه التمثيلية ، إذ جعل ابتداء علوق الحب به كجرح خفيف ، القصد منه =

أَهْدَى لِعَيْنِي ذِكْرُكُمْ سَهَدًا ... مِنْ غَيْرِ مَا سَقَمٍ وَلاَ طَبُّ
إلاَّ التَّمَنِّي أنْ أفُوزَ بِكُمْ ... فَتحَرَّجِي يَا « عَبْدَ » مِن غَضَبِي
لَوْ تَسْمَعِينَ وَكُنْتِ شَاهِدَةً ... مَا يَقْرَأُ الرُّهْبَانُ فِى الكُتُبِ[1]
لَوَجَدْتِ حُبَّكِ قَاتِلِي عَجِلاً ... إنْ لَمْ يُفَرِّجْ كَاشِفُ الكُرَبِ
وَعَلاَمَةٌ مِنْكُمْ مُبَيِّنَةٌ ... حَسْبِي بِهَا مِن حُبِّكُمْ حَسْبِي
أنِّي أُكِبُّ إذَا ذَكَرْتُكُمُ ... مِنْ مَجْلِسِ القُرَّاءِ والشَّرْبِ[2]
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ بَيْنَهُمُ : ... شَغَفُ « الْمُرَعَّثِ » دَاخِلُ الْحُبِّ[3]
مَا زِلْتُ أذْكُرُكُمْ وَلَيْلَكُمُ ... حَتَّى جَفَا عَنْ مَضْجَعِي جَنْبِي ٤٢
وَعلِمْتُ أنَّ الصَّرْمَ شِيمَتُكُمْ ... فِي النَّأْيِ والهِجْرَانَ فِي القُرْبِ
فَظَلِلْتُ لاَ أدْرِي : أُقِيمُ عَلَى الْـ ... ـهِجْرَانِ أوْ أغْدُو مَعَ الرَّكْبِ ؟
فَلَئِنْ غَدَوْتُ لَقَدْ أُصِبْتُ بِكُمْ ... وَلَئِنْ أقَمْتُ لَمُسْهَبُ اللُّبِّ[4]

= حصول النحر عقبه ، فلذلك قال لما رأيت الهم مجتنحا .. الخ ناديت ..الخ أى أنه رأى علامات هى ليست بالهلاك ولكنها مؤذنة به ، فإن نداءه دليل على بقاء الحياة فيه ، وأراد بالنداء رفع الصوت للاستغاثة والتفجع والتحسر ، لأن الشأن رفع الصوت فيهما ليفزع له من يعينه على الخلاص أو يتوجع له ، ويجوز فى همزة « أن الحب » الكسر على أنه حكاية للنداء ، والفتح على المصدرية والتأكيد .

(١) قوله : لو تسمعين . . . البيتين ، لا وجه للارتباط بين الشرط وجوابه فهو من التلفيق .

[قلنا : نرى أن الارتباط بين الشرط والجواب يتضح مما يبينه « بشار » فى الأبيات الآتية ، إذ قال إنه يكون مطرقا مكباً فى مجلس القراء ، وذلك لأنه يذكرها ثمة فيتأثر ولا يلتفت إلى ماحوله ، حتى يعجب الناس لذلك منه . ومعنى البيتين أن « بشاراً » قد يكون فى مجلس الرهبان الداعى إلى التأثر والإلتفات إليه ، ولكنه يظل مشغولا بحب « عبدة » فلو سمعت وشهدت لوجدت أن حبه إياها قاتله] .

(٢) أكب (بضم الهمزة وكسر الكاف) أى أسقط على وجهى ، والقراء : أهل القرآن والعلم ، والشرب (بفتح الشين) جمع شارب للخمر ، وأراد أنه يغلبه التأثر بذكرها ولو كان فى مجلس جد .

(٣) داخل الحب أى متمكنه ، والحب والشغف مترادفان ، فكأنه قال شغف المرعث شغف داخل ، قال النابغة :

تحرك داء فى فؤادى داخل

[قلنا : لعل « شغف » تضبط بفتح الفاء ، فعلا ماضياً . « والمرعث » تضبط بفتح الثاء ، مفعولا به . والمعنى : أصاب داخل الحب شغاف قلب « بشار »] .

(٤) كتب فى الديوان « لمسهب اللب » ولا معنى له ، فلعل أصله « لمتهب » بنون ثم هاء ، أو « لمسلب » بسين ثم لام . =

قَامَتْ تَرَاءَى لِى لِتَقْتُلَنِى ... فِى القُرْطِ والخَلْخَالِ والإِتْبِ (١)
فَدَعَوْتُ رَبِّى دَعْوَةً جَمَعَتْ ... رَغَبَ المُحِبِّ وشِدَّةَ الرَّهْبِ (٢)
أَلاَّ تَرَاكِ بِمَا مُتَيَّمَةً ... فَأَجَابَ دَعْوَةَ عَاشِقٍ رَبِّى (٣)
أَهْذِى بِكُمْ مَاعِشْتُ إِنَّكُمُ ... يَاحِبُّ وَافَقَ شَعْبُكُمْ شَعْبِى (٤)
وَرَأَتْ عُجَابًا شَيْبَتِى فَبَكَتْ ... جَزَعًا لَهَا والدَّهْرُ ذُو شَغْبِ
لاَ تُكْبِرَنَّ بِشَيْبَتِى عَجَبًا ... إِنَّ العَجَائِبَ فِى « أَبِى حَرْبِ » (٥)
وَلَقَدْ أَتَانَا أَنَّ غَانِيَةً ... أُخْرَى ، وَكُنْتُ بِهِنَّ كَالنَّصْبِ (٦)

= [قلنا : قد وجدنا فى الصحاح ولسان العرب والقاموس أن لـ « مسهب اللب » معنى ، وهو : الذاهب العقل . ثم نقول : المراد بقوله فى أول البيت : « غدوت » أى غدوت مع الركب ، أى ارتحلت . و « أصبت بكم » أى أصبت بقطيعتكم التى هى شيمتكم فى النأى] .

(١) الإتب (بكسر الهمزة وبتاء مثناة من فوق) : برد للمرأة مشقوق من غير جيب ولا كمين ، وروى المصراع الأول من هذا البيت فى ص ٣٥٠ من زهر الآداب : ولقد تعرض لى خيالكم .

(٢) كتب « رعب المحب » بعين مهملة ، وهو تصحيف ، إذ لاتصح مقابلته بقوله « الرهب » ، صوابه « رغب » بغين معجمة وبفتح الراء لتصح المقابلة .

(٣) أن لا ترى نفسها متيمة به إشفاقا عليها من آلام الحب ، وبذلك يظهر الارتباط بينه وبين قوله قبله : قامت تراءى لى لتقتلنى . وقوله « فأجاب دعوة عاشق ربى » يريد منه التعريض بأنها لا تحبه كما يحبها .

[قلنا : التركيب فى قوله : « ألا تراك » بالتاء لايستقيم هنا ، فلعله بالنون . وربما كانت « تراك » محرفة عن « تزال » والمعنى على هذا أن « بشاراً » يدعو أن تكون محبوبته متيمة به لتذوق مايذوق من عذاب الحب] .

(٤) خاطبها بضمير الجمع تعظيما لها (انظر البيت ١٣ فى الورقة ٢٨ وانظر البيت ٢٢ فى الورقة ٢٣١) وقوله « وافق شعبكم شعبى » يجوز فيهما فتح الشين على أن المراد القوم ، ويجوز كسرها أى مسيل الماء فى الجبل واستعاره للوفاق والمحبة بين الجانبين ، لأن الشعبين إذا اتفقا التقى الماء فى ملتقاهما فصار سيلا واحداً ، وذلك يشبه قول الشاعر (والأصح أنه على بن بدال) :

فلو أنا على حجر ذبحنا ... جرى الدميان بالخبر اليقين

وذلك من معتقد العرب أن المتحابين إذا سال دمهما التقى الدميان ، وبعكسهما المتباغضان .

(٥) الظاهر أنه قال « لا تكبرن بشيبة » دون إضافة إلى ياء المتكلم لتتم التورية بشيبة بن ربيعة ابن عبد شمس وبأبى حرب الذى هو أمية بن عبد شمس وهو والد حرب والد أبى سفيان ، وأراد هنا التورية ثم الكناية مع التلميح .

[قلنا : لعل « لا تكبرن » بكسر الراء ، ليكون الخطاب لمؤنثة] .

(٦) قوله : ولقد أتانا الخ هذا من إغاظة المحبوب ، فإنه لما ذكر الصرم شيمتها والهجر وعرض بأنها لا تحبه ذكر محبوبة أخرى ليغيظ هذه ، كما قال امرؤ القيس بعد قوله : فسلى ثيابى . . . الخ — فقال : =

يَأْمُلُنَنِي وَيَرَيْنَ مَنْقَصَتِي ... عِنْدَ الرِّضَا عَنْهَا وَفِي العَتْبِ (١)
لَمَّا مَرَرْتُ بِهَا مُسَتَّرَةً ... فِي الحَيِّ بَيْنَ خَرَائِدٍ عُرْبِ (٢)
قَالَتْ لِنِسْوَتِهَا عَلَى عَجَلٍ : ... أَنَّى لَنَا بِمُصَدِّعِ القَلْبِ ؟
لَسَمَاعُهُ — إِنْ كَانَ يُسْمِعُنَا — ... أَشْهَى إِلَى قَلْبِي مِنَ العَذْبِ (٣)
فَأَجَبْنَهَا : إِنَّ الفَتَى غَزِلٌ ... وَأَحَبُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى التُّرْبِ (٤)
لَا تَعْجَلِينَا أَنْ نُوَاعِدَهُ ... فَيَكُونَ مَجْلِسُنَا عَلَى خِصْبِ
وَنَنَالَ مِنْهُ غَيْرَ وَاحِدَةٍ ... إِنَّ السَّمَاعَ لَأَهْوَنُ الخَطْبِ

وقال أيضاً(*) :

أَأَرِقْتَ بَعْدَ رُقَادِكَ الأَوَّابِ ... بِهَوَاكَ أَمْ بِخَيَالِهِ المُنْتَابِ
نَعَقَ الغُرَابُ فَخَنَّقَتْنِي عَبْرَةٌ ... وَبَكَيْتُ مِن جَزَعٍ عَلَى الأَحْبَابِ
يَارُبَّ قَائِلَةٍ — وَغُيِّبَ عِلْمُهَا — : ... مَاذَا يُهِيجُكَ مِنْ نَعِيقِ غُرَابِ ؟(٥)

= فذلك حبلى قد طرقت ... الأبيات .

و « النصب » ضبط فى الديوان بفتح النون وسكون الصاد ، ويجوز فيه ضم النون ، وهو ماينصب للعبادة ، أى وكنت بهن مثل النصب المعبود فى إحاطتهن به وطوافهن حوله ، بدليل قوله بعده : يأملنى ... الخ .

(١) أى يرين نقصان عقلى فى محبتى إياها ، سواء رضيت عنها أو عتبت عليها .

(٢) قوله « لما مررت » هو خبر أن فى قوله « أن غانية » وما بينهما اعتراض . وقوله «عرب» سكن راءه للضرورة ، وكانت مضمومة جمع « عروب » .

[قلنا : ليس تسكين الراء فى « عرب » ضرورة ، بل هو سائغ معروف فى جمع « عروب » ، قال صاحب تاج العروس : جمع « عروب » « عرب » بضم فسكون وبضمتين . اهـ . وقوله تعالى فى سورة الواقعة « عربا » قرأه شعبة وحمزة بسكون الراء وقرأه غيرهما بضم الراء] .

(٣) أراد بالسماع سماع شعره .

(٤) قوله « وأحب » أى أشد عشقا . فهو مشتق من « حب » الذى هو بمعنى « أحب » .

(*) وقال أيضا فى الغزل من بحر الكامل .

(٥) أى رب سائلة عن سبب تهيجى من نعيب الغراب إذ قد فطنت إلى أنى أحذر فراقا

[قلنا : ليس فى البيت مايفيد أن القائلة قد فطنت إلى أمر بشار ، بل الظاهر أنها لم تفطن ، كما يدل عليه قوله : « وغيب علمها » وقوله فى البيت التالى : « كاتمتها أمرى وما شعرت به »] .

كَاتَمتُهَا أَمْرِى وَمَا شَـعَرَتْ بِهِ ... وَكَذَاكَ قَدْ كَاتَمتُهُ أَصْحَابِى
وَدَوَاهُ عَيْنِى — قَدْ عَلِمْتَ — وَدَاؤُهَا ... رَيَّا الْبَنَانِ كَدُمْيَةِ الْمِحْرَابِ (١)
فِى نَأْيِهَا وَصَبٌ عَلَىَّ مُبَرِّحٌ ... وَدُنُوُّهَا شَافٍ مِنَ الْأَوْصَابِ (٢)
تَمْشِى إِذَا خَرَجَتْ إِلَى جَارَاتِهَا ... مَشْىَ الْحُبَابِ مُعَارِضًا لِحُبَابِ (٣)
٤٣ خُودٌ إِذَا انتَقَبَتْ سَبَتْكَ بِنَظْرَةٍ ... وَأَغَرَّ أَبْلَجَ غَيْرَ ذَاتِ نِقَابِ (٤)
تَعْتَلُّ إِنْ شَهِدَ الْأَمِيرُ بِقُرْبِهِ ... وَإِذَا نَأَى وَجِلَتْ مِنَ الْحُجَّابِ (٥)
وعِتَابِ يَوْمٍ لَوْ أَجَبْتُكِ طَائِعًا ... قَصُرَ الوِصَالُ بِهِ وطَالَ عِتَابِى (٦)
لَكِنْ رَأَيْتُ مِنَ السُّكُوتِ بَدِيهَةً ... فَشَدَدْتُ وَصْلَكُمُ بِتَرْكِ جَوَابِى (٧)
إِنِّى عَلَى خُلْفِ الْمَوَاعِدِ مِنكُمُ ... صَابٍ إِلَيْكِ وَلَسْتُ بِالْمُتَصَابِى (٨)

---

(١) الدمية : الصورة من العاج ، والمحراب : موضع الصلاة من الكنيسة .
[قلنا : فى المخطوطة : « علمت » بضم التاء ، لا بفتحها كما ضبطها الشارح] .

(٢) [الوصب : الألم ، وجمعه : الأوصاب]

(٣) الحباب بضم الحاء : الحية ، وهى يشبه بها حسن التلوى فى المشى دون عجل .

(٤) قوله « إذا انتقبت » ظرف ، العامل فيه قوله « سبتك » ، وقوله « [وأغر] أبلج » عطف على نظرة ، أى وبوجه أغر أبلج إذا لم تكن منتقبة ، وقوله « غير ذات نقاب » حال من الضمير المرفوع فى « سبتك » .

[قلنا : الخود (بفتح الخاء) : الشابة الحسنة الخلق الناعمة ، والجمع : الخود (بضم الخاء) ، وقد ضبطت الخاء فى المخطوطة بالفتح ، ونراه الموافق لهذا البيت ، لأنه فى مقام المفردة لا الجمع ، وضبط الشارح الخاء بالضم] .

(٥) أراد أنها تكثر الأعذار الباطلة ، فتعتل عن عدم الزيارة إذا حضر الأمير فى البلد بأن الأمير يمر بالبلد فلا تستطيع الخروج ، وإذا لم يحضر الأمير تعتل بأنها تخشى من أهلها الذين يحجبونها .

(٦ و ٧) ذهب هنا مذهب الذين تركوا العتاب ، إلا أن بعضهم تركه قهراً ، وهو القائل :

وكنت معداً للعتاب دفاترا ... فلما التقينا ماوجدت ولا حرفا

ومنهم من تركه اختياراً لأسباب ، وأحسنها هـذا السبب الذى سلكه بشار ، وهو خشية ضياع وقت الوصال فى العتاب .

(٨) كتب فى الديوان « وليس بالمتصابى » وهو خطأ .

وقال أيضاً(*) :

بِأَبِى وَأُمِّى مَنْ يُقَــارِبُنِى ... فِيَا أَقُولُ وَمَنْ أُقَارِبُهُ(١)
عَجِلُ المَلَامَةِ حِينَ أُغْضِبُهُ ... فَإِذَا غَضِبْتُ يَلِينُ جَانِبُهُ
دَلاً عَلَىَّ وَعَادَةً سَــبَقَتْ ... أَنْ سَوْفَ إِنْ أُغْضِى أُعَاتِبُهُ(٢)
فَيَبِيتُ يَشْعَبُ صَدْعَ أُلْفَتِنَا ... فَأَبِيتُ بِالعُتْــبَى أُشَاعِبُهُ(٣)
إِنَّ المُحِبَّ تَلِينُ شَوْكَتُهُ ... يَوْمًا إِذَا مَاعَزَّ صَاحِبُــهُ(٤)
فَــلَهُ عَلَىَّ وَإِنْ تَجَنَّبَنِى ... مَاعِشْــتُ أَنِّى لَا أُجَانِبُهُ(٥)
رِيمٌ أَغَنُّ مُطَوَّقًا ذَهَبًا ... صِفْرُ الحَشَا بِيضٌ تَرَائِبُهُ(٦)

(*) وقال أيضا فى النسيب بعبدة .

والقصيدة من بحر السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف : مستفعلن مستفعلن فعلن .

[قلنا : نرى أن هــذه القصيدة من الكامل لا من السريع ، وعروضها حذاء ، وضربها أحذ :

متفاعلن متفاعلن متفا ... متفاعلن متفاعلن متفا]

(١) رواه فى بهجة المجالس « فيا هويت » .

(٢) كتب فى الديوان ذللا بذاى معجمة ولامين ولا معنى له ، فالصواب دلا بالدال المهملة المفتوحة .

(٣) كتب فأبيت فى المصراع الثانى بالفاء والأنسب أن يكون بالواو تفاديا من تكرير الفاء فيهما .

[قلنا : يشعب : يصلح ، وصدع : شق ، هذا وقد ذكر اللغويون لـ « شاعب » معانى لاتحسن فى هذا البيت ، والظاهر أن بشاراً يريد من « المشاعبة » المشاركة فى الشعب وإصلاح الصدع] .

(٤) عقد فى هذا البيت قول المثل : إذا عز أخوك فهن .

(٥) [لا أجانبه : لا أباعده] .

(٦) الريم (بكسر الراء وبهمزة ساكنة وربما خففوها ياء) هو الظبى الخالص اللون حتى يصير إلى البياض والجمع أرءام ، وربما قلبوه قلباً مكانيا فقالوا : أأرام توصلا لتسهيل إحدى الهمزتين ألفا [فيقال : آرام] ، وقد روى بالوجهين قول امرئ القيس :

ترى بعر الأرمام فى عرصاتها

والأغن : الذى يخرج صوته من خيشومه وهو صوت الظبى ، والصفر (بالصاد المهملة المضمومة ، وقد تفتح وتكسر ، وسكون الفاء) اسم بمعنى الخالى ، وقولهم « صفر » خلا ، وأراد فراغ البطن من السمن وهو من محاسن النساء ، ولذلك شبهن بالظباء ، لأن الظباء صفر البطون .

[قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح : مطوقا بالنصب ، ولعلها : مطوق بالرفع . والترائب : موضع القلادة من الصدر] .

آلَيْتُ لاَ أَسْلَى مَوَدَّتَهُ (لو) مَاتَسْلَى الْمَاءَ شَارِبُهُ(١)
أُخْفِي لَهُ — الرَّحْمٰنُ يَعْلَمُهُ — حُبًّا يُؤَرِّقُنِي غَوَارِبُهُ(٢)
مِنْ كُلِّ شَاعِفَةٍ إِذَا طَرَقَتْ طَرْقَ الْمُحِبِّ لَهَا طَبَائِبُهُ(٣)
تَقْضِي سَوَادَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا مَاتَنْقَضِي مِنْهَا عَجَائِبُهُ(٤)

---

(١) أسلى (بفتح اللام) لغة فى أسلو ، وهو واحد من عشرة أفعال من باب فعل (بفتح العين) الذى حق مضارعه ألا يكون مفتوح العين ، فجاء المضارع بفتح العين ، قال ابن خالويه فى كتاب ليس : « ليس فى كلام العرب فعل يفعل (أى بفتح العين فى الماضى والمضارع) مما ليس فيه حرف الحلق عيناً ولا لاماً إلا عشرة أحرف (أى أفعال) أبى وقلى وسلا وجبا الماء (جمعه) وخظا (سمن) وغضضت وبضضت وقنط وغسا الليل وركن ، ولم يذكر سيبويه إلا أبى ، لأنه متفق عليه، والبواقى مختلف فيها . اهـ » وهذه الأفعال بعضها لم يسمع فى مضارعه القياس وهى أبى وقنط وركن ، وبقيتها سمع فيه القياس والشذوذ . وبشار يلتزم فى مضارع سلى الفتح ، فقد قال فى البيت ٧ من الورقة ١٧٤ :

لعلك تسلى أو تساعفك النوى

وقال فى البيت ١ من ١٩١ :

ألم يأن أن تسلى مودة مهددا

وقال أيضاً فى الملحقات :

وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها

ووقع فى أول المصراع الثانى بياض ، لعله كلمة « لو » على أنها لو الوصلية بدون واو قبلها ، أى لو فرض أن شارب الماء يسلى عن شربه لما سليت .

[قلنا : لا نرى مقتضياً لارتكاب الشذوذ فى «يسلى» ، فإن «يسلى» (بفتح اللام) مضارع «سلى» بكسر اللام ، مثل : رضى يرضى . ثم إن القياس مسموع فى مضارع : أبى وقنط وركن] .

[ثم نقول : إن الشارح حين قدر أن تكون الكلمة الناقصة «لو» وعليها شرح معنى البيت ، لم يبين موقع « ما » ، فإن كانت للنفى انعكس المعنى الذى شرحه ، وإن كان يريد « لوما » كلمة واحدة فهى غير وصلية ، بل هى بمنزلة « لولا » . والرأى عندنا أن عجز البيت لعله : مهما تسلى ... الخ ، أو : إما تسلى ... الخ أو نحو ذلك] .

(٢) [قلنا : لم يكن هذا البيت فى نسخة الشارح ، فنقلناه من المخطوطة] قوله « الرحمن يعلمه » الجملة حال أصلها صفة لقوله حبا ، فلما قدمت عليها صارت حالا ، مثل قول ذى الرمة : « لمية موحشاً طلل » ، ويجوز أن تكون الجملة معترضة للقسم ، كقولهم : « علم الله » والضمير المنصوب صادق على الخبر المقسم عليه ، كعود اسم الإشارة فى قولهم « هذا ماعهد به فلان » والغوارب : جمع غارب ، وهو الكاهل ، أراد شدته [ويقال : بحر ذو غوارب ، وهى أعالى موجه] .

(٣) الشاعفة : النظرة التى تقع فى شعاف القلب (بالعين المهملة) لغة فى الشغاف ، وقد قرئ بهما قوله تعالى : قد شغفها حبا (وص فى البيت ١١ من الورقة ٣٢) .

(٤) [مرتفقاً — هنا — ثابتاً ، أو ممتلئاً ، وهو حال . والمعنى أنه ليل طويل ، أو شديد السواد]

يا أيُّها الآسِي كُلُومَ هَوًى بِالنَّأْيِ إذْ دَلَفَتْ كَتَائِبُهُ (١)
أنَّى نَوَالُكَ مِنْ تَذَكُّرِهَا والحُبُّ قَدْ نَشِبَتْ مَخَالِبُهُ (٢)
ألْمِمْ « بِمَبْدَةَ » قَبْلَ حَادِثَةٍ فَهِيَ الشِّفَاءُ وأنْتَ طَالِبُهُ
تَمْشِي الهُوَيْنَى بَيْنَ نِسْوَتِهَا مَشْيَ النَّزِيفِ صَفَتْ مَشَارِبُهُ (٣)
حَارَبْتَ صَبْراً إنَّ رُؤْيَتَهَا عَلَقٌ بِقَلْبِكَ لاَ تُحَارِبُهُ (٤)
جَلَبَتْ عَلَيْكَ وَأنْتَ مُعْتَرَكٌ والحَيْنُ تَجْلُبُهُ جَوَالِبُهُ (٥)

(١و٢) يخاطب نفسه [الآسى : المداوى . كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . النأى : البعد، دلفت : تقدمت . كتائبه : جماعاته] . وقوله بالنـأى يجوز أن يكون متعلقاً بالآسى ، أى يامن تظن البعد يشفيك من ألم الحب لقد أخطأت ، لقوله : أنى نوالك ؟ استفهام إنكارى، أى أين نوالك ؟ وقوله «من تذكرها» متعلق بمعنى استفهام كقول الحريرى فى المقامة [الثانية : الحلوانية] : أين أنت من البيت النادر . والمعنى أين يقع نوالك من كثرة تذكرى إياها ، أى لايقع نوالك مع كثرة تذكرى ، وجملة « والحب قد نشبت » حال من التذكر .

(٣) النزيف : المنزوف ، أى نزف ماء بئره ، أى نزح ، فخرج يطلب المـاء ، فإذا رأى مشارب صافية هرول إليها .

[قلنا : يؤخذ من صـدر البيت أنها تمشى الهوينى ، بخلاف مايؤخذ من شرح الشارح : أنها تمشى هرولة ، والذى نراه أن المراد بالنزيف —هنا— : السكران الذى لايقوى على السير لكثرة ماشرب من مشرب صاف أعجبه ، وتشبيه مشية المرأة بمشية النزيف بمعنى السكران هو المعروف فى لغة الشعراء ، قال امرؤ القيس :

رمتنى بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيـل فلم أنتصر
وإذ هى تمشى كمشى النزيـ ـف يصرعه بالكثيب البهر

قال العينى (ج ١ — ص ١٠٠) : « النزيف : هو السكران الذى نزف عقله، والكثيب ما اجتمع من الرمل ، والبهر من الانبهار وهو انقطاع النفس وعلوه من التعب » .

وقال شارح القاموس (ج ٦ — ص ٢٥٣) : « قال أبو عمرو : النزيف : السكران ، قال امرؤ القيس :

وإذ هى تمشى كمشى النزيـ ـف يصرعه بالكثيب البهر

وقال آخر :

بداء تمشى مشية النزيف »]

(٤) العلق (بفتح العين المهملة وفتح اللام) : مصـدر علق الشىء بالشىء ، إذا نشب به ولزمه ، فهو من الوصف بالمصدر .

(٥) حذف مفعول « جلبت » لظهوره بقرينة قوله : لا تحاربه ، أى جلبت جيشاً . والمعترك : محل الحرب ، شبه نفسه به .

فَكَأَنَّ لَيْلَكَ مِنْ تَذَكُّرِها ... لَيْلُ السَّلِيمِ سَرَتْ عَقَارِبُهُ(١)
فَتَرَكْنَهُ يُغْشَى أَخَا جَدَثٍ ... تَبْكِى لِفُرْقَتِهِ قَرَائِبُهُ(٢)
٤٤ رَجُلٌ تُصَاحِبُهُ صَبَابَتُهُ ... وَأَرَى الْجَلَادَةَ لَا تُصَاحِبُهُ
« أُعَيْبِدَ » قَدْ أَثْبَتَهُ بِهَوًى ... فِى مُضْمَرِ الْأَحْشَاءِ لَاهِبُهُ(٣)
وَالْبُخْلُ فِى الْقُلْيَانِ قَاتِلُهُ ... وَالشَّوْقُ فِى الْهِجْرَانِ كَارِبُهُ(٤)
مِيلِى إِلَيْهِ فَقَدْ صَغَا لَكُمْ ... يَا « عَبْدَ » شَاهِدُهُ وَغَائِبُهُ(٥)

وقال أيضاً(*) :

أَنْتِ يَا نَفْسُ أَنِيبِى ... آبَتِ الشَّمْسُ فَأُوبِى(٦)
مَا الْمُوسَى عِنْدَ صَبٍّ ... حَاجَةٌ فَاغْلِى وَذُوبِى(٧)

---

(١) [السليم : اللديغ] .

(٢) قوله « فتركنه » أى العقارب ، وفى الديوان « فتركته » بالمثناة الفوقية ، وهو خطأ ، وقوله « يغشى ، أخا جدث » حالان من الضمير المنصوب بتركنه أى يغشى عليه للعبادة ، والجدث القبر ، أى أوشك أن يكون ذلك .

[قلنا : ربما كانت « يغشى » بمعنى يغطى ويسجى (بالبناء للمجهول) أى يمد عليه ثوب ، وذلك مما يصنع بالميت] .

(٣) أثبته ، أى قيدته فى الثبات (بوزن كتاب) وهو سير من الجلد يشد به الأسير والمسجون ، وقال تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك .

(٤) [القليان (بضم اللام وكسرها) : القلاء] .

(٥) [صغا : مال ، وتكتب بالألف مع فتح الغين ، لأنها واوية ، وكذلك كتبت فى المخطوطة ، وكتبها الشارح بالياء] .

(*) وقال أيضا فى سلمى ، وسأذكر خبرها فى القصيدة بعد هذه ، والقصيدة من بحر الرمل وعروضه كضربه مجزوة .

(٦) [أنيبى : ارجعى ، آبت : رجعت ، ولعله يعنى بالشمس : محبوبته سلمى] .

(٧) كتب « المؤسى » بصيغة اسم مفعول من آساه ، أى ما للصحيح حاجة عند العليل ، وعبر عن الصحيح بالموسى ، ولعله « موس » بدون ألف فى آخره ، اسم فاعل ، أى ما للطبيب عند الصب حاجة ، والمقصود نفى أن ينفع فيه دواء ، والأمر للتعجيز ، أى اشتدى ثم اسكنى ، مثلما يغلى الشىء على النار فيرتفع ثم يذوب فيضمحل ، وهذا كقولهم : تنزو وتلين .

[قلنا : ما ذكره الشارح من جعل « موسى » (بفتح السين) اسم مفعول من « آساه » وجعل « موس » (بكسر السين) اسم فاعل من « آساه » أيضا — كل ذلك غير معروف ، والمعروف فى « آساه » =

وَاقْبَـلِي مَاطَابَ مِنْهَا ... وَإِذَا تَابَتْ فَتُوبِي[(١)]
بَعَثَتْ «سَلْمَى» عَلَيْنَا ... فِتْنَةً عِنْدَ الْمَشِيبِ
وَبَرَانِي الحُبُّ حَـتَّى ... كَثُرَتْ فِيهَا نُحُوبِي[(٢)]
أَنَا مَشْغُوفٌ «بِسَلْمَى» ... كَالنَّصَارَى بِالصَّلِيبِ
لَيْسَ مَاقَرَّبَ مِنِّي ... صَاحِبِي لِي بِالقَـرِيبِ
مِنْ هَوَى «سَلْمَى» سَبَتْنِي ... وَاحِدٌ مِثْـلُ الغَرِيبِ
لَا أُرَجِّي الرَّوْحَ إِلَّا ... عِنْـدَ غَيْبَاتِ الرَّقِيبِ
لَقِيَ القَلْبُ «بِسَلْمَى» ... عَجَبًـا فَوْقَ العَجِيبِ
أَخْصَبَتْ عِنْدِي وَإِنِّي ... عِنْـدَهَا غَيْرُ خَصِيبِ[(٣)]
مِنْ هَوَانٍ غَيْرِ فَانٍ ... أَنْزَلَتْنِي فِي الجُـدُوبِ
قَلَبَتْ لِي الرِّيحَ «سَلْمَى» ... شَمْأَلًا بَعْدَ الجَنُـوبِ[(٤)]
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ صَعْبٌ ... بَيْنَ خَفْضٍ وَرُكُوبِ

= أنه من المؤاساة ، فهو على وزن : فاعله (مثل : شاركه وآخذه) وليس على وزن : أفعله (مثل : أكرمه وآمنه) ، فاسم المفعول منه « مؤاسى » واسم الفاعل منه « مؤاس » . والذى نراه أن قول بشار « بالموسى » مأخوذ من قولهم « أوساه » بمعنى : قطعه ، فذلك ظاهر فى الاشتقاق ، واسم الفاعل منه « موس » (بعد الواو سين مكسورة منونة) أى : قاطع ، واسم المفعول منه « موسى » (بعد الواو سين مفتوحة منونة تكتب بعدها ألف على صورة الياء) أى : مقطوع . وليس فى المخطوطة ولا فى نسخة الشارح تنوين كلمة « موسى » . والتنوين مطلوب هنا بخلاف « موسى » العلم الأعجمى : ويلاحظ أنه ليس فى المخطوطة همز كلمة « موسى »] .

(١) [ربما أريد معنى التوبة المعروف ، وربما كان قوله : « تابت ... فتوبى » محرفا عن « ... ثابت فثوبى » بالثاء المثلثة فيهما ، ومعنى ثاب : رجع وعاد] .

(٢) النحوب جمع نحب بمعنى الموت ، أى مات موتات كثيرة .

(٣) [يستعمل بشار « الخصب » و « الجدب » فى مقام الحب . انظر ص ١٨٠ وص ٢٠٤ من هذه المطبوعة ، وكذلك انظر فيها ص ٢٢٢] .

(٤) المعنى : غيرت هجرها الأليم إلى الوصل اللذيذ ، فإن ريح الجنوب مذمومة عندهم لحرها ، والشمال محبوبة ببرودتها فى بلاد العرب ، وهذا مثل لتغير الحال ، كما يقال : قلب له ظهر المجن ، والعرب تستعير الريح لسهولة الحال ، قال تعالى : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقال سليك :

هل تنظران قليلا ريث غفلتهم ... أو تعدوان فإن الريح للعادى

وقال : إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن الخافقات لها سكون

لَوْ بِهَا مَا بِي إِلَيْهَــــا مِنْ حَنِــينٍ وَنَحِيبِ
أَقْبَلَتْ إِقْبَالَ صَــادٍ رَاعَهُ صَــوْتُ الْمُهِيبِ (١)
اسْلَمِي يَا « سَلْمُ » يَوْمًا وَاكْشِفِي بَعْضَ كُرُوبِي (٢)
لَا تَعُدِّي الحُبَّ ذَنْبًا لَيْسَ حُبِّي مِنْ ذُنُوبِي
إِنَّمَا الحُـــبُّ بَلَاءٌ وَشَكَاةٌ فِي القُــلُوبِ
فَإِذَا غُمَّ تَنَفَّسْـــتُ فَأَوْهَيْنَ جُنُوبِي (٣)
إِنَّ مَنْ لَامَ مُحِبًّــا فِي الهَوَى غَيْرُ مُصِيبِ
وَلَقَدْ قُلْتُ « لِسَلْمَى » إِذْ تَعَيَّانِي طَبِيبِي (٤)
لَيْسَ وَادٍ مِنْ « سُلَيْمَى » لِمُحِـــبٍّ بِعَشِيبِ (٥)
لَيْتَ لِي قَلْبًا بِقَلْبِي وَحَبِيبًــــا بِحَبِيبِي (٦)
فَلَعَلَّ القَلْبَ ... ... وَيُوَاتِينِي لَعِيــبِي (٧)

---

(١) الصادى : الظمآن ، والمهيب : الذى يزجر الإبل بصوت هاب‌هاب ، يعنى أنها أقبلت مسرعة كالبعير الظمآن له رغبة فى الماء وقد راعه صوت سائقه ، فله باعثان على السرعة .

(٢) [قلنا : « اسلمى » فى المخطوطة وفى نسخة الشارح بهمزة وصل ولام مفتوحة ، والمعنى بهما لايستقيم ، فليس يسوغ أن يقول « بشار » لمحبوبته « اسلمى يوما » . ولعل الصواب : إسلمى ، بهمزة قطع ولام مكسورة ، أى : أطيعى وانقادى لحبك] .

(٣) كتب « فأوهين » ولم يظهر معاد ضمير الجمع المؤنث ، ولا اتصال معناه بماقبله ، فلعل‌صوابه : فأهويت ، أى أدخلت إليها الهوى ، وهو المناسب لقوله : تنفست .

[قلنا : ربما كانت « فأوهين » محرفة عن « فأوهيت » أى أضعفت جنوبى من‌طول تنفسى‌وزفيرى حين يشتد بى الحب] .

(٤) [قلنا : لعل « تعيانى » محرفة عن « تعيابى » بالباء ، وفى اللغة : تعيا بالأمر : عجز منه . أى لم يهتد طبيبى لأمرى وعجز عن علاجه] .

(٥) [قلنا : فى المخطوطة « وادٍ » بكسرتين (مثل : قاض) وهو الصواب ، وضبطه الشارح بضمتين ، والوادى العشيب : هو ذو العشب ، واستعمال بشار تعبير « الوادى العشيب » فى مقام الحب يشبه استعماله « الخصيب » و « الجديب » فى هذا المقام ، وقد سبقت الإشارة إليه‌فى هذه القصيدة] .

(٦) [قلنا : الباء فى قوله « بقلبى » وقوله « بحبيبى » للبدل ، أى ليت لى قلباً سليما بدل قلبى المصاب وحبيباً مرضياً بدل حبيبى المضنى] .

(٧) قوله « فلعل القلب . . . » سقطت من المصراع الأول هنا كلمة ، ولعلها « يصحو » ، والمناسب أن يكون عوض واو العطف « أو » العاطفة ، أى يكون أحد الأمرين ، واللعيب : الملاعب ، =

فَلَقَدْ هَيَّجَ شَـوْقِي ... رِيحُ رَيْحَـانٍ وَطِيبِ
بِتُّ مِنْ نَفْحَـةِ عُودٍ ... شُبِّبَتْ لِي بِثُقُوبِ (١)
لَاهِيًا عن كلِّ سَاقٍ ... وَأَكِيـلٍ وَشَرِيبِ (٢)
أَبْتَغِي « سَلْمَى » وأَخْشَى ... نَظَـرَ الرَّائِي الْمُرِيبِ
أَشْتَهِي لَوْ أَنَّهـا كا ... نَتْ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي

وقال أيضاً (*) :

عَفَا بَعْدَ « سَلْمَى » حَاجِرٌ فَذُنَابُ ... فَأَحْمَادُ حَوْضَى نُؤْيُهُنَّ يَبَابُ (٣)

= ومجيء فعيل بمعنى مفعل قليل ، وبشار قاسه على قولهم « حكيم » وقول عمرو بن معديكرب :
أمن ريحانة الداعي السميع
وأراد به هنا شخصاً ، فلذلك جرده من علامات التأنيث .

[قلنا : ذكر الشارح أن « اللعيب » بمعنى اللاعب ، ثم ذكر مجيء فعيل بمعنى مفعل ، ومثل له بحكيم وسميع ، وبين أن بشاراً قاس « اللعيب » عليهما ، ولعل وجه الكلام أن يذكر مجيء فعيل بمعنى مفاعل ، وقياس بشار « اللعيب » بمعنى الملاعب على ماورد من الألفاظ كذلك ، مثل : الشريك والتبيع والأكيل والشريب ، بمعنى : المشارك والمتابع والمؤاكل والمشارب ، وسيذكر بشار « الأكيل » و « الشريب » فى هذه القصيدة ، وسيشرحهما الشارح بما قدمناه ، فلو مثل بهما هنا أيضاً لكان أولى] .

(١) [قلنا : الثقوب : ماتوقد به النار ، ولم تضبط الثاء فى المخطوطة ، وضبطها الشارح بالضم ، والمعروف أن الثقوب بفتح الثاء . قال صاحب القاموس : إنه على وزن « صبور » . ومعنى شبت : أوقدت] .

(٢) « الأكيل » بمعنى المؤاكل ، وقد سمع فى قول حاتم الطائى :
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له ... أكيلا فإنى لست آكله وحدى
و « الشريب » مثله ، وقد سمع فى قوله عامان بن كعب :
إذا الشريب أخذته الأكه ... فخله حتى يبك بكه

(*) وقال أيضا فى حبيبته سلمى (تقدم ذكرها فى ورقة ٣٢) وفى هجاء بعض الوزراء الآثام .
[قلنا : لايظهر لنا فى هذه القصيدة هجاء ، فلعل الشارح يعنى القصيدة الآتية بعد ، وهى فى « سلمى » أيضا] .
وهذه القصيدة من بحر الطويل .

(٣) أسماء أماكن ، والأحماد (بفتح الهمزة) جمع حمد (بفتح الحاء وسكون الميم) : وصف للمكان ، أى المكان المحمود لخصبه ، وحوضى : موضع .
[قلنا : فى المخطوطة « إحماد » بكسر الهمزة . ولعل « أحماد » محرفة عن « أجماد » : جمع جمد (بفتح الجيم والميم) وهو المكان المرتفع الغليظ ، وحوضى : اسم مكان مرتفع واسم ماء يضيفون إليه الهضب ، وسيذكر بشار فى البيت الثالث من هذه القصيدة « برقة حوضى » فأضاف « برقة » إلى « حوضى » كما أضاف « أجماد » إلى « حوضى » والبرقة : ماغلظ من الأرض . والنؤى : الحاجز أو الحفير حول الخيمة لئلا يدخلها ماء ، واليباب : الخراب لا أحد عنده ، ويقال : حوض يباب ، أى لا ماء فيه لأنه ليس له أرباب حتى يصلحوه ؛ وشعراء العرب يذكرون تهدم النؤى مع ذكرهم الأطلال] .

دِيارٌ خلَتْ مِن آبِدَاتٍ وَلَمْ يَكُنْ ... بهَا الوَحْش إلاَّ جَامِلٌ وقِبَابُ(١)
كأنَّ بَقَايَا عَهْدِهِنَّ بِمَحَاجِرٍ ... فَبُرْقَةِ حَوْضَى قَدْ دَرَسْنَ كِتَابُ(٢)
وَيَوْمَ صَفَحْتُ الرَّكْبَ بَعْدَ لحَاجَةٍ ... وَقَفْتُ بهَا قَصْراً وَهُنَّ خَرَابُ(٣)
ذَهَبْتُ وَخَلَّيْتُ المَنَازِلَ باللِّوَى ... وَمَا بِيَ يَوْمًا إنْ ذَهَبْنَ ذَهَابُ
وقَائِلَةٍ : طَالَبْتَ «سَلْمَى» حَزَوَّراً ... إلى أنْ خلَتْ سِنٌّ وزَالَ طِلاَبُ(٤)
تَصَبُّ إذَا شَطَّتْ وتَصْبُو إذَا دَنَتْ ... كأنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ لِدَاتِكَ شَابُوا(٥)
فَهَلْ أنتَ سَالٍ عَنْ «سُلَيْمَى» وَلَمْ يَزَلْ ... حِجَاكَ يُغَالُ تَارَةً وَسِقَابُ ؟(٦)

---

(١) الآبدات : الوحش ، أراد بها الظباء شبه بهن النساء الحسان ، فلذلك قال : خلت منهن ، وكتب فى الديوان « حامل » بحاء مهملة ، والصواب أنه بالجيم ، والاستثناء هنا منقطع و « إلا » بمعنى « لكن » .

(٢) كتب فى الديوان « عاجن » ولا معنى لهذا التشبيه ، فهو تحريف ، صوابه : بمحاجر ، وكتب « ببرقة » وهو تحريف ، والصواب : فبرقة ، وخبر « كأن » هو قوله : كتاب ، وقوله « قد درسن » حال من « بقايا » وهذا التشبيه كقول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

(٣) « قصرا » مفعول « وقفت » أراد ناقة كالقصر فى عظم الجثة ، كقول طرفة « كقنطرة الرومى ... » وقد أراد الشاعر إيهام التضاد بين قوله « قصراً وهن خراب » .

(٤) الحزور (بوزن عملس) : الغلام الذى قد شب وقوى ، وهو منصوب على الحال من التاء فى « طالبت » أى طالبتها منذ الشباب إلى أن خلت سن ، أى مضت سن ، أى مدة من العمر ، وقوله « وزال طلاب » هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب « وزال شباب » لأنه لو زال طلابه لها لما عذلته هذه العاذلة ، أو أراد : وزال وقت الطلاب .

(٥) تصب (بفتح الصاد) مضارع صب بكسر العين من باب قنع ، إذا صار ذا صبابة ، والصبابة : حرارة الشوق ، قال الكميت :

ولست تصب إلى الظاعنين ... إذا ماصديقك لم يصبب

وتصبو أى تلهو بالغزل ، من صبا يصبو صباء (بوزن سحاب) وصبا (بالكسر منقوصاً) ، واللدات: جمع لدة (كعدة وعدات) وهى الترب والقرين ، وأصله : لدو ، نظير سنة ، أصلها سنو ، فحذف لامها وعوض عنها الهاء ، وهذا الباب مما ألحق فى الجمع بجمع المؤنث السالم ، واللدات هنا مفعول أو لتعلم ، وجعل شيب القرناء كناية عن شيبه لما هو مشهور فى العرف من أخذ القرين حكم مقارنه ، ولذلك قال تعالى : وكونوا مع الصادقين ، وعلى هذا النحو جاء قولهم : مثلك لا يبخل .

(٦) [حجاك : عقلك] يغال أى يهلك ، غالته المحبة ، و « سقاب » كذا كتب ، والسقاب : قطنة تبل بدم خموش وجه المرأة التى مات زوجها وتوضع على رأس المرأة خارجة من قناعها ليعلم أنها مصابة ، وليس عطفه على يغال بصحيح ، لأنه اسم جامد ويغال فعل ، ولا له رشيق معنى ، ولعله تحريف « يشاب » أى يختلط ، فهو مرة مجنون مطبق ومرة مختلط ، بدليل البيت بعده .

فَقُلْتُ لَهَا : لاَ تَجْعَلِينِي كَمَنْ بِهِ ... إذَا مَادنَا عُرْضِيَّةٌ وخِلاَبُ(١)

وإنَّ « سُلَيْمَى » فِي اللِّقَاءِ لَحُرَّةٌ ... وإنى بِغَيِّي عِنْدها لَمُصابُ

أطَالَتْ عِنَانِي يَوْمَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا ... ...(٢)

وَمَا حُبُّ مَشْغُوفَيْنِ بُثَّ هَوَاهُمَا ... إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَثا وَعِتَابُ ؟(٣)

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ « سُعْدَى » مُبَاعِدًا ... وَلاَ مِثْلَ مَا يَلْقَى أخوكَ يُعابُ(٤)

بَدَا طَمَعٌ مِنْهَا لَنَا فَتَبِعْتُهُ ... وَلِلطَّمَعِ البَادِي تذِلُّ رِقَابُ

وقال أيضاً(*) :

لِلَّهِ « سَلْمَى » حُبُّهَا نَاصِبُ ... وأنَا لاَ زَوْجٌ وَلاَ خَاطِبُ(٥)

لَوْ كُنْتُ ذَا أوْ ذَاكَ يَوْمَ اللَّوَى ... أدَّى إلىَّ الْخَلَبَ الخَالِبُ(٦) ٤٦

أقُولُ وَالعَيْنُ بِهَا عَبْرَةٌ ... وَ باللِّسَانِ العَجَبُ العَاجِبُ :

يَاوَيْلَتِي أحْرَزَهَا « وَاهِبُ » ... لاَ نَالَ خَيْرًا بَعْدَهَا وَاهِبُ(٧)

---

(١) الخلاب (بكسر الخاء) : اختلاب العقل ، أى الجنون ، والعرضية (بضم العين وسكون الراء) : العجرفة والصعوبة ، والمعنى : لاتجعليني فى لومك وعذلك بمنزلة من أصابه حماقة أو جنون .

(٢) أطالت عنانى أى وسعت لى المجال فى اللهو أو العتاب ، كالفرس الذى يطال به العنان ، أى يرخى ، ويجوز أن يكون تحريف عناقى . وموضع المصراع الثانى بياض .

(٣) « ما » للاستفهام الإنكارى ، أى ليس هذا الحب حباً ، و « النثا » بتقديم النون على الثاء عكس الثناء فهو الذم ، والمعنى أن حلاوة الحب فى السخط واللوم لحصل عقبهما الرضى ، قالت علية بنت المهدى : بنى الحب على الجور فلو ... أنصف المحبوب فيه لسمج

وقال الآخر : إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى ... فأين حلاوات الرسائل والكتب ؟

[قلنا : فى اللغة : النثا : الإخبار بالحسن أو السيء ، و « بشار » يريد به تناقل الأحاديث والأخبار. وليس معنى النثا عكس معنى الثناء] .

(٤) قوله « مثل سعدى » صوابه « مثل سلمى » .

(*) وقال أيضاً فى التشوق إلى سلمى ، وقد تقدم خبرها فى ورقة ٣٢ ، وأشار فى هذه القصيدة إلى بعض العظماء من أهل الدولة حبس عنه معروفه ، ولعله يعنى يعقوب بن داود الوزير كما سيجيء فى البيت ٢٣ .

[والقصيدة من البحر السريع ، وعروضها مطوية مكشوفة ، وضربها كذلك] .

(٥) [ناصب : متعب] .

(٦) قوله « يوم اللوى » كذا فى الأصل بلام ولعله بالنون أى يوم الفراق كما يدل عليه ما يأتى .

(٧) « أحزرها » كتب بزايين . والصواب أنه براء فزاى ، وواهب الأول علم الرجل الذى أعطيت إليه سلمى كما تقدم فى ورقة ٣٢ ، وواهب الثانى اسم فاعل من وهب وهو سيدها لغيره فأرسلها للشام .

سِيقَتْ إلَى « الشَّامِ » وَمَا سَاقَهَا　　إلاَّ الشَّقَا وَالقَدَرُ الجَالِبُ
أَصْبَحْتُ قَدْ رَاحَ العِدَى دُونَهَا　　وَرُحْتُ فَرْدًا : لَيْسَ لِي صَاحِبُ
لاَ أَرْفَعُ الطَّرْفَ إلَى زَائِرٍ　　كَأَنَّنِي غَضْبَانُ أوْ عَاتِبُ
يَا كَاهِنَ المِصْرِ لَنَا حَاجَةٌ　　فَانظُرْ لَنَا : هَلْ سَكَنِي آيِبُ ؟(١)
قَدْ شَفَّنِي الشَّوْقُ إلَى وَجْهِهَا　　وشَاقَنِي المِزْهَرُ والقَاصِبُ(٢)
بَلْ ذَكَّرَتْنِي رِيحُ رَيْحَانَةٍ　　وَمُدْهُنٌ جَاءَ بِهِ عَاقِبُ
مَجْلِسُ لَهْوٍ غَابَ حُسَّادُهُ　　تَرْنُو إلَيْهِ الغَادَةُ الكَاعِبُ
إذْ نَحْنُ بِالرَّوْحَاءِ نُسْقَى الهَوَى　　صِرْفًا وإذْ يَغْبِطُنَا اللاَّعِبُ
وَقَدْ أرَى « سَلْمَى » لَنَا غَايَةً　　أيَّامَ يَجْرِى بَيْنَنَا الآدِبُ
يَا أيُّهَا اللاَّئِمُ فِى حُبِّهَا　　أمَا تَرَى أنِّى بِهَا نَاصِبُ(٣)
« سَلْمَى » ثَقَالُ الرِّدْفِ مَهْضُومَةٌ　　يَأْبَى سِوَاهَا قَلْبِيَ الخَالِبُ(٤)
غَنَّى بِهَا الرَّاكِبُ فِي حُسْنِهَا　　وَمِثْلُهَا غَنَّى بِهِ الرَّاكِبُ
لَيْسَتْ مِنَ الإنْسِ وَإنْ قُلْتَهَا　　جِنِّيَّةً قِيلَ : الفَتَى كَاذِبُ(٥)
لاَ بَلْ هِيَ الشَّمْسُ أُتِيحَتْ لَنَا　　وَسْوَاسُ هَمٍّ زَعَمَ النَّاسِبُ(٦)

---

(١) كاهن المصر : العالم بالحدثان من أهل البصرة ، انظر تفصيله فى البيت ٩ من ورقة ١٠٢ . [سكنى : من أسكن إليه وأستأنس به] .

(٢) « العاصب » كتب بعين مهملة ، ولعله بقاف عوض العين ، أى النافخ بالبراع . [انظر ماذكرناه فى شرح قول بشار « ... صوت المزاهر والبراع القاصب » (ص ١٦٨ من هذه المطبوعة)] .

(٣) [ناصب — هنا — : ذو نصب وتعب] .

(٤) ثقال (بفتح الثاء) أى ثقيلة ، كقولهم : حصان رزان ، أى حصينة رزينة ، وهم يصوغون وزن فعال لصفات الإناث ، كقولهم : امرأة صناع اليدين .

(٥) قوله « وإن قلتها » أى ظننتها ، فاستعمل القول بمعنى الظن فى غير سياق الاستفهام على لغة سليم ، وفى معنى البيت قول أبى تمام فى جارية :

إنسية إن حصلت أنسابها　　جنية الأبوين مالم تنسب

(٦) [قلنا : لعل « وسواس » منصوب على أنه حال من الضمير فى « أتيحت » ، ولعل «زعم» محرفة عن «رعم» (بالراء) ، فذلك يناسب قوله فى أول البيت « هى الشمس » ويناسب مغيبها فى =

لَوْ خَرَجَتْ لِلنَّـاسِ فِي عِيدِهِمْ   صَلَّى لَهَا الأَمْرَدُ والشَّـائِبُ(١)

تِلْكَ المُنَى لَوْ سَاعَفَتْ دَارُهَا   كَانَتْ «لِعَمْرٍو» هَمُّهُ عَازِبُ(٢)

أَرَاجِعٌ لِي بَعْضُ مَاقَدْ مَضَى   بالمَيْثِ أَمْ هِجْرَانُهَـا وَاجِبُ ؟(٣)

قَدْ كُنْتُ لَا أَلْوِى عَلَى خُـلَّةٍ   ضَنَّتْ وَلَا يُحْزِنُنِي الذَّاهِبُ(٤)

ثُمَّ تَبَـدَّلْتُ عَلَى حُبِّهَـا   يَا عَجَبَـا يَنْقَلِبُ الذَّاهِبُ(٥)

وَصَاحِبٍ لَيْسَ يُصَافِي النَّدَى   يَسُوسُ مُلْكًا وَلَهُ حَاجِبُ(٦)

= ارتحالها إلى الشام ، يقال : رعم فلان الشمس ، إذا رقب مغيبها ، ولعل المراد بالناسب هنا : المتغزل الواصف لجمالها وحالها] .

(١) [استعمل بشار لفظ « الشائب » لأنه جار على القياس فى اسم الفاعل من « شاب » ، وقد خطأ بعض اللغويين لفظ « شائب » لأنه لم يستعمل والمستعمل هو « أشيب » ، ولـكننا رأينا ابن سيده يقول فى الجمع على « شيب » ما نصه : وعندى أن شيبا إنما هو جمع شائب كما قالوا بازل وبزل ... الخ]

(٢) الظاهر أن « عمراً » اسم سيد « سلمى » أى ليتها بقيت دارها قريبة فكانت لعمرو الذى همه أمر رجل راحل .

(٣) الميث (بميم مفتوحة وياء ساكنة وثاء مثلثة) موضع ببلد الشام حيث ذهبت المحبوبة .

[قلنا : لم تضبط فى المخطوطة الميم فى قول بشار « بالميث » والموضع الذى فى الشام اسمه « الميثاء » كما فى القاموس . وظاهر بيت بشار رجع قوله « بالميث » إلى ما قد مضى قبل رحلة المحبوبة إلى الشام لا إلى ما انتهت إليه الرحلة . فلعل « الميث » بكسر الميم جمع ميثاء وهى الرملة اللينة كما بيناه فيما سبق (انظر ص ١٤٧ من هذه المطبوعة) .

(٤) لوى : رجع وعطف ، والخلة (بالضم) الخليلة ، وهى مؤنثة « الخل » بضم الخاء ، وهو الصديق المخلص ، وأما الخلة « بكسر الخاء » فهى الصداقة والمودة ، لأنها اسم الهيئة ، ويجوز فيها الضم ، وبعض الخاصة يغلطون فيعكسون ، قال كعب :

أكرم بها خلة لو أنها صدقت ... الخ

ومعنى البيت أنه عزيز النفس لا يرضى الهوان ولو من محبوبه ، وفى هذا المعنى قول أبى فراس :

ولـكننى والحمد لله حازم   أعز إذا ذلت لهن رقاب

(٥) الظاهر أنه أراد بالذاهب هنا اسم الفاعل من ذهب (بكسر الهاء ، كفرح) بمعنى الذى ذهب عقله إذا أصاب ذهبا كثيراً ، ومعنى التعجب أن العقل قد ينقلب إذا أبصر أمراً عظيما مبهتاً ، يريد أن عادته تحولت لأنه ذهب عقله ، وبذلك يندفع الإيطاء عن البيتين لاختلاف معنى « الذاهب » . وقوله « ياعجبا» يا للاستغاثة ، وصيغة الاستغاثة تأتى للتعجب مع لام داخلة على المنادى ومع ألف معوضة عن اللام ، ويكثر ذلك مع لفظ العجب « يا عجبا » . ومنه قول العرب : يا ماءا ويا عشبا ويا ماء ويا عشب .

(٦) قوله وصاحب تخلص من ذكر أنه لا يلوى على خلة ضنت ولا يحزنه الذاهب الدال على أنه عزيز النفس ، إلى ذكر مقابلته للأصحاب بمثل ما قابل به الحبائب ، ولم أدر من الذى يعنيه بهذا ، فلعله يعقوب ابن داود وزير المهدى الذى تقدم هجاؤه فى ورقة ٢٣ . وقوله « ليس يصاق الندى » كتب بمثناة تحتية فى أوله فيكون هجاء ، أى لا يخالط الـكرم ولعله تصحيف صوابه « بصاق » بالموحدة فى أوله ، أى =

كَالْمَأجَنِ الْمَسْتُورِ إِذْ زُرْتَهُ ... فِي دَارِ مُلْكٍ لَبْطُهَا رَاعِبُ(١)
ظَلَّ يُنَاصِي بُخْلُهُ جُودَهُ ... فِي حَاجَتِي أَيُّهُمَا الغَالِبُ(٢)
حَتَّى إِذَا طَالَ تَنَاصِيهِمَا ... وَانْهَزَمَ الْجُودُ لَهُ ثَائِبُ(٣)
٤٧ أَصْبَحَ عَبَّاسًا لِزُوَّارِهِ ... يَبْكِي بِوَجْهٍ حُزْنُهُ دَائِبُ(٤)
لَمَّا رَأَيْتُ الْبُخْلَ رَيْحَانَهُ ... وَالْجُودُ مِنْ مَجْلِسِهِ غَائِبُ(٥)
وَدَّعْتُهُ إِنِّي امْرُؤٌ حَازِمٌ ... عَنْهُ وَعَنْ أَمْثَالِهِ نَاكِبُ(٦)
أُصْفِي خَلِيلِي مَادَجَا ظِلُّهُ ... وَدَامَ لِي مِنْ وُدِّهِ جَانِبُ(٧)
لاَ أَعْبُدُ الْمَالَ إِذَا جَاءَنِي ... حَقُّ أَخٍ أَوْ جَاءَنِي رَاغِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَاسِبِ بَذْلَ النَّدَى ... إِنَّ الْبَخِيلَ الْكَاتِبُ الْحَاسِبُ(٨)

= كرمه يصفو مرة ويكدر أخرى ، أي يعطي ويمنع ، وقوله « وله حاجب » تنكير حاجب للتكبير ، أى اتخذ حاجباً لمنع الناس من العطاء ، وذلك مذموم ، قال مروان بن أبي حفصة :

له حاجب عن كل أمر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

(١) « كالمأجن المستور » المأجن (بميم ثم همزة) مفعل من أجن الماء (كضرب ونصر وفرح) إذا تغير طعمه من طول مكثه ، وهو اسم مكان الأجن ، ولم يسمع المأجن من العرب ، واستعمله المولدون لأن مثل هذا لايحتاج إلى سماع ، لأنه من الاشتقاق التصريفي ، وأما ما يذكره المؤلفون في المولد من لفظ « الماجل » باللام كما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل ووقع في شعر المولدين فهو غلط لا وجه له ، ولو قالوه بالنون كما فعل بشار لكان له وجه ، ووجه الشبه أن خيره مخزون لايصل إليه أحد ، واللبط (بالباء الموحدة) : الضرب باليد ، أراد به دفع الحجاب العتاة ، وراعب (بالعين المهملة) أي موجب للرعب [قلنا : ربما كان « المستور » محرفا عن « المسنون » بمعنى المنتن ، ومبعث التشبيه قوله السابق : ليس بصاف ...].

(١) [يقال : ناصى الرجل الرجل ، إذا أخذ كل منهما بناصية خصمه ، ويقال : ناصى الشيء الشيء : إذا اتصل به ، والمراد هنا أن بخله يجاذب جوده وينازعه ويباريه].

(٣) [قلنا : في الأساس : هذه بئر لها ثائب ، أي ماء يعود بعد النزع ، وقوم لهم ثائب : إذا وفدوا جماعة إثر جماعة . وربما كانت « ثائب » محرفة عن « ثالب » أي عائب ، أو عن « سائب » أي خانق ، أو نحو ذلك].

(٤) [عباساً : شديد العبوس والتقطيب] .

(٥) جعل البخل ريحانه كناية عن ملازمته لمجلسه ، لأن مجالس الكرماء توضع فيها الرياحين مبالغة في إكرام الوافدين ، فقال : إن ريحان هذا هو البخل ، كقولهم : أسود غابهم (أو غابها) الرماح ، وقوله « والجود » مبتدأ ، والجملة حالية .

(٦) [ناكب عنه وعن أمثاله : أي مائل وحائد] .

(٧) [أصفى خليلي : أخلص له ، ما دجا ظله : ماسبغ ظله واتسع لصداقتنا] .

(٨) قوله : « ولست بالحاسب » وصف نفسه بالكرم وأنه لا يحسب ما يجود به ، وجعل الحساب أمارة البخل ، قال النابغة : شجاها أن صاحبها بخيل ... يحاسب نفسه بكم اشتراها

كَذَاكَ يَلقَانِى ورُبَّ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ فَضْلٌ ولاَ طَالِبُ

وقال أيضاً يمدح سُلَيمانَ بنَ دَاوُدَ الهَاشِمىَّ(*) :

تَأَبَّدَتْ بُرْقَةُ الرَّوْحَاء فَالَّلبَبُ فالمُحْدَثَاتُ بِحَوْضَى أَهْلُهَا ذَهَبُوا(١)
فَأَصْبَحَتْ رَوْضَةُ المُكَّاء خَالِيَةً فَمَاخِرُ الفَرْعِ فالغَرَّافُ فالكُثُبُ
فأَجْرَعُ الضَّوعِ لاَتَرْعَى مَسَارِحُهُ كُلُّ المَنَازِلِ مَبْثُوثٌ بِهَا الكَآبُ(٢)
كَأَنَّهَا بَعْدَ مَاجَرَّ العَفَاءِ بِهَا ذَيْلاً من الصَّيْفِ لَمْ يُمْدَدْ لَهُ طُنُبُ(٣)
كَانَتْ مَعَايَا مِنَ الأَحْبَابِ فَانْقَلَبَتْ عَنْ عَهْدِهَا بِهِمُ الأَيَّامُ فَانْقَلَبُوا(٤)

(*) وقال أيضاً (يمدح سليمان بن داود الهاشمى) :

هو سليمان بن داود بن على بن عبد الله بن العباس ، ذكره ابن حزم فى كتاب جمهرة الأنساب فى عدد أبناء داود بن على بن عبد الله بن عباس ، ولم أقف له على ترجمة ، ويظهر من هذه القصيدة أنه كانت له إمارة ، ويؤخذ من البيت ٩ من الورقة ٤٩ أنه يكنى أبا أيوب ، أبوه داود بن على ، فهو عم السفاح والمنصور ، أولاه السفاح على الكوفة سنة ١٣١ ، وأولاه بعد ذلك على الحجاز واليمن واليمامة سنة ١٣٢ وتوفى سنة ١٣٣ .

والقصيدة من بحر البسيط .

(١) [قلنا : تأبد المكان : أقفر وألفته الوحوش ، و « برقة الروحاء » وما بعدها : أسماء مواضع ومياه ، وربما كان بعضها محرفا . فمن ذلك « برقة الروحاء » ، فإن « الروحاء » من أسماء المواضع ، ولكن لم تعهد إضافة « برقة » إليه ، والبرقة — فى الأصل — الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان ، وقد أضاف العرب « برقة » فى مواضع كثيرة ، وقد عد ياقوت منها مائة برقة ، وعد صاحب القاموس وشارحه برقا كثيرة ، ولكنهم لم يذكروا « برقة الروحاء » فربما كانت « الروحاء » محرفة عن « الروحان » (بالنون) ، وقد ذكر البكرى وياقوت ومرتضى أشعاراً جاءت فيها « برقة الروحان » كقول عبيد بن الأبرص :

لمن الديار ببرقة الروحان درست لطول تقادم الأزمان]

(٢) الكآب : مصدر قياسى لكئب (كفرح) إذا حزن واغتم .

(٣) الطنب (بضمتين) : حبل الخباء والسرادق .

(٤) معايا : جمع معيية ، وهو من العياء ، وهو العتب ، وفعله أعيي ، أى كل ، والعرب تقول : إبل معايا ، كأنهم اعتبروه جمع معي ، بمعنى تاعب أو كليل ، ونزلوا ميم « معي » منزل الأصل ، فجمعوه على معايا ، بوزن فعالى ، كما يقال فى جمع مدرى : مدارى ، قال سيبويه : سألت الخليل عن معايا ، فقال : الوجه معاى وهو المطرد ، وكذلك قال يونس اهـ . قلت يريد أن الوجه أن يجمع على مفاعل ، فتكون الميم زائدة والياء الأولى مكسورة ، ثم تحذف الياء الثانية فى حالة الرفع والجر ويعوض عنها التنوين ، فيصير معاى ، ولكنه فى النصب يقال معايي فتفتح الياء الثانية وتنقلب ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ، ووصف بشار الأماكن بالإعياء لأنها من كثرة السكان كأنها كليلة تاعبة ، وهى استعارة حسنة لانعرفها لغيره تدل على =

أَقُولُ إِذْ وَدَّعُوا نَجْـدًا وسَاكِنَهَ ... وَحَالَفُوا غُرْبَةً بِالدَّارِ فاغْتَرَبُوا
لَاغَرْوَ إِلاَّ حَمَامٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ ... تَدْعُو هَدِيلاً فَيَسْتَغْرِى به الطَّرَبُ،(١)
سَــقْيًا لِمَنْ ضَمَّ بَطْنُ الْخَيْفِ إِنَّهُمُ ... بَانُوا « بِأَسْمَاء » تِلْكَ الهَمُّ والأَرَبُ،(٢)
أَئِنُّ مِنْهَا إِلَى الأَدْنَى إِذَا ذُكِرَتْ ... كَمَا يَئِنُّ إِلَى عُوَّادِهِ الوَصِــبُ،(٣)
بِجَارَةِ البَيْتِ هَمُّ النَّفْسِ مُخْتَضَرٌ ... إِذَا خَلَوْتُ وَمَاءُ العَيْنِ يَنْسَكِبُ.
أَنْسَى عَزَائِي وَلاَ أَنْسَى تَذَكُّرَهَا ... كَأَنَّنِي مِنْ فُؤَادِي بَعْدَهَا حَرِبُ،(٤)
لاَ تَسْقِنِي الْكَأْسَ إِنْ لَمْ أَبْغِ رُؤْيَتَهَا ... بِالذَّاعِرِيَّةِ أَثْنِيهَا وَتَنْسَــلِبُ،(٥)

= تمكن بشار من التصرف فى اللغة ، ولعله أخذ ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم : أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها من موضع قدم إلا وملك راكع أو ساجد . فإن الأطيط هو أنين البعير من التعب

[قلنا : الذى نراه أن « معايا » محرفة عن « معانا » (بالنون) ، والمعان هو المنزل ، ويؤتى بعده بلفظ « من » كما فى بيت بشار ، وكما فى تاج العروس : « يقال : الكوفة معان منا ، أى منزل »]

(١) الغرو : العجب . يقول : لا عجب تلك الديار إلا بقاء الحمام بها وكان حقه أن يلحق أهلها ، فوجود الحمام يدل على أنها كانت قريباً آهلة بالسكان ، فإن الحمام يتبع مواقع الناس ليلتقط الحب ، ألا ترى قول طفيل يصف الرواحل فى الأسفار :

عوازب لم تسمع بنوح حمامة ... ولم تر ناراً منذ حول محرم
سوى نار بيض أو غزال بقفرة ... أغن من الخنس المناخر توأم

[قلنا : قد ذكر أبو على القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٨٣ — ٨٤ هذين البيتين اللذين ذكرهما الشارح لطفيل ، ولكنه روى البيت الأول هكذا :

عوازب لم تسمع نبُوحَ مقـامة ... ولم تر ناراً تِمَّ حول مجرَّم

وقال أبو على فى شرحه : « عوازب : بعيدات من البيوت ، والنبوح : أصوات الناس ، والمقامة : حيث يقيم الناس ، وتم : تمام ، والمجرّم : المكمل ، يقول : هذه الإبل عوازب لعز أربابها ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة تامة ... » . وعلى هذا ليس فى البيتين شاهد لما يريده الشارح] .

« فيستعرى » كتب بالعين المهملة ، ولا معنى له ، فلعله بغين معجمة ، أى يغريه الطرب على زيادة الهديل ، فالسين والتاء للتوكيد ، والياء لتوكيد لصوق الفعل به ، مثل « وامسحوا برءوسكم »

(٢) الخيف : ما انبسط من الوادى .

[قلنا : يعنى بالهم — فى هذا البيت — : المراد] .

(٣) [الوصب : المريض] .

(٤) الحرب : (بفتح الحاء وكسر الراء) : المحروب ، وهو الذى سلب ماله

[قلنا : والمراد — هنا — : أنه مسلوب الفؤاد] .

(٥) قوله « لا تسقنى الكأس » دعاء أو نذر ، فالكأس فاعل ، ولا ناهيـة ، والذاعرية : نسبة للذاعر ، وهوا لمخيف ، تصرف بشار فى اشتقاق هذا الوصف ، لأنه رأى أن النسب كاشتقاق الأفعال =

تَطْوِى الفَـلاَةَ   بِتَبْغِيلٍ إِذَا جَعَلَتْ   رُءُوسُ   أَعْلاَمِهَا بِالآلِ   تَعْتَصِبُ(١)

كَمْ دُونَ « أَسْمَاء » مِنْ تِيهٍ   مُلَمَّعَةٍ   وَمِنْ مَقَاصِيفَ مِنْهَا القَهْبُ   والخَرِبُ(٢)

تَمْشِى النَّعَامُ   بِهَا   مَثْنَى   وَمُجْتَمِعاً   كَأَنَّهَا   عُصَبٌ تَحْدُو بِهَا عُصَبُ(٣)

لاَ يَغْفُلُ القَلْبُ عَنْ « لَيْلَى » وَقَدْ غَفَلَتْ   عَمَّا يُلاَقِى شَجٍ   بِالحُبِّ   مُغْتَرِبُ

فِى كُلِّ   يَوْمٍ   لَهُ   هَمٌّ   يُطَالِبُهُ   عِنْدَ المُلُوكِ فَلاَ يُزْرِى بِهِ الطَّلَبُ ٤٨

يَا « سَعْدُ » إِنِّى عَدَانِى عَنْ زِيَارَتِكُمْ   تَقَاذُفُ   الهَمِّ   والمَهْرِيَّةُ النُّجُبُ(٤)

فِى كُلِّ   هَنَاقَةِ الأَضْوَاءِ   مُوحِشَةٍ   يَسْتَرْكِضُ الآلَ فى مَجْهُولِهَا الحُدُبُ(٥)

= والأوصاف لاتحتاج إلى سماع من العرب ، فالعرب قالت ناقة مذعورة ومذعرة ، أى مجنونة ، فاشتق هنا صيغة نسب مراداً بها اسم المفعول ، أى منسوبة لما يذعرها ، أراد شدة عدوها كأنها مجنونة ، وهى استعارة قديمة ، قال الأعشى :

وتصبح فى غب السرى وكأنها   ألم بها من طائف الجن أولق

[نقول : ضبطت «الكأس» فى المخطوطة ونسخة الشارح نفسه بفتحة على السين ، فتكون منصوبة على أنها مفعول ثان . وذلك خلاف ماصرح به الشارح أنها فاعل ، وإن كان حسناً .

ثم نقول : الذى نراه فى « الناعرية » أنهـا محرفة عن « الداعرية » (بالدال المهملة) فذلك هو المعروف فى العربية ، قال صاحب الصحاح : « داعر : اسم فحل منجب ، تنسب اليه الداعرية من الإبل » وقال صـاحب القاموس : « الإبل الداعرية منسوبة إلى فحل منجب أو إلى قبيلة من بنى الحرث بن كعب ، وهو داعر بن الحماس الحارثى » وكذلك جاء فى لسان العرب وغيره] .

(١) التبغيل : ضرب من مشى الإبل بين الهملجة والعنق ، لأنه يشبه مشى البغال ، قال كعب :

لها على الأين إرقال وتبغيل

وضمير « أعلامها » يعود إلى الفـلاة ، أى جبالها ، وجعـل الآل الذى يبدو على رءوس الجبال كالعصائب التى تعتصب بها السادة ، وهذا كما جعلها لبيد قمصاً فى قوله :

واجتاب أردية السراب إكامها

(٢) التيه (بكسر التاء) : المفازة ، والملمعة : التى تلمع بالسراب ، أى يشتد فيها لمع السراب ، فلمع مبالغة فى لمع ، والمقاصف : جمع مقصف لاتساعها ، والقهب (بفتح القاف) : الجبل العظيم ، والخرب (بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء) : المنخفض من الأرض ، وهو يقابل الجبل .

(٣) العصب (بضم ففتح) : جمع عصبة ، وهى الجماعة من الناس .

(٤) [الإبل المهرية منسوبة إلى قبيلة مهرة ، والنجب : جمع النجيب ، وهو — من الإبل — : القوى الخفيف السريع] .

(٥) الهناقة مشتقة من الهنق (محركة) وهو شبه الضجر يعترى الإنسان ، واستعمله هنا مجازاً عن التضاؤل والضعف .

[قلنا : لعل « هناقة » محرفة عن « خفاقة » والخفق فى اللغة : التحرك والاضطراب ، فالمعنى أن الضوء يخفق فى هذه الفلاة فيكون منه مابسطه « بشار » فى عجز البيت من لمعان السراب =

كأنَّ فى جانبيها مِنْ تغوّلِها ... بيضاءُ تحسِرُ أحيانًا وتنتقِبُ (١)

جرداء حوّاء مخشيٌّ متالفها ... جشّمتُها العيسَ والحِرباء مُنتصِبُ

عشرًا وعشرًا إلى عشرينَ يرقُبُها ... ظهرٌ ويخفضُها فى بطنِهِ صَبَبُ (٢)

لمْ يبقَ منها على التأويبِ ضائعةً ... ورحلةِ الليـلِ إلا الآلُ والعَصَبُ (٣)

وردّادةٌ كلَّ طامي الجمِّ عرمضُهُ ... فى ظلِّ عِقبانِه مُستأسِـد نَشِبُ (٤)

وسبعةٍ مِنْ بنى «البطّالِ» قيِّمُهمْ ... رِداؤُهُ اليومَ فوقَ الرَّحْلِ يضطرِبُ (٥)

جلّيتُ عنْ عينِهِ بالشِّعْرِ أُنشِدُهُ ... حتّى استجابَ بها والصُّبحُ مُقترِبُ (٦)

= هذا وقد بسط الشارح «الحدب» بضم الحاء والدال ، وفى المخطوطة ضبطت الدال مفتوحة وعريت الحاء عن الضبط ، ونراها بفتح الحاء والدال بمعنى المرتفع من الأرض] .

(١) التغول : التلون ، أراد به اختلاف مرأى الآل والسراب فى هاته المفازة ، فكأنه امرأة بيضاء تحسر اللثام مرة وتنتقب أخرى ، وهـذا تشبيه بديع جداً لمنظر خفقان الآل والسراب ، ونظير تشبيهه السراب هنا تشبيهه البرق فى قوله الآتى فى الملحقات :

وغيث إذا مالاح أومض برقه ... كما أومضت تحت الرداء خريع

(٢) « يرقبها » أراد يعلوها على مرقبة او مرتقب ، وقد ذكر أهل اللغـة ارتقب بمعنى ارتفع وأشرف ، ومنه اشتق المرتقب للمكان ، ولم يذكروا الفعل الماضى الذى جاء منه ارتقب الذى أصـله مطاوعة ، فلعله لم يحفظ ، والأظهر أنه مفتوح العين فى الماضى ، وقد ذكر بشار هنا مضارعاً له ، فالظاهر أنه يجوز فيه ضم العين وكسرها ، لقول أبى زيد : إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التى ماضيها على وزن فعل فأنت فى المستقبل بالخيار إن شئت قلت يفعل بضم العين وإن شئت قلت يفعل بكسرها ، وقد ضبطه فى الديوان بضم القاف [والصبب : ما انحدر من الأرض] .

(٣) [التأويب : سير النهار كله إلى الليـل ، ولذلك عطف عليه قوله « ورحلة الليل » ، وقوله «ضائعة» اسم فاعل ، إما من « ضاع الدابة يضوعها ، بمعنى هزلها » وإما من « ضاع الشيء يضيع ، بمعنى هلك وتلف » ، وهو على الأول حال من « رحلة الليل » وعلى الثانى حال من الضمير فى قوله « منها » والثانى راجح] الآل : ما ارتفع من البعير ، أى عظام ظهرها .

(٤) الطامى : الممتلىء ، والجم (بفتح الجاء) : معظم الشيء ، أراد كل ماء هذه صفته ، وكل هنا مراد بها الـكثرة ، والعرمض (كجعفر) : الطحلب ، وهو مرفوع مبتدأ ، والعقبان (بالـكسر) جمع عقاب (بالضم) مسيل الماء إلى الحوض [وهو أيضا الحجر يقوم عليه الساقى ، والراية . ومعنى «مستأسد» هنا : طويل ، ومعنى « نشب » : متعلق] .

(٥) أراد ببنى البطال أهل البطالة الذين وجدهم على الماء ، وذلك أن مواقع الماء هى منازل أحياء العرب فلما ذكر أن ناقته وردت ماء ذكر أهل الماء . وقوله رداؤه اليوم الخ أراد بيان اختلال انضباطه ، ولفظ اليوم استعانة محضة .

[قلنا : نرى أن كلمة « اليوم » محرفة عن « النوم » (مرفوعة) ، وأن كلمة «الرجل» محرفة عن «الرحل» ، والمعنى أن هذا القيم قد ارتدى النوم لباساً فاضطرب على ظهر المطية] .

(٦) أى أسهرته .

قَالَ «النُّعَيْمِىُّ» لماَّ زَاحَ بَاطِلُهُ وَافتضَّ خاتَمَ مَايَجْنِى بِهِ التَّعَبُ :(١)

مَاأَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَيْماً فقَدْ عَجِبَتْ مِنْكَ الرِّفَاقُ وَلِى فى فِعْلِكَ العجبُ(٢)

تَهْفُو إِلَى الصَّيْدِ إِنْ مَرَّتْ سَوانحه بِسَاقِطِ الرِّيشِ لَمْ يُخْلِفْ لَهُ الزَّغَبُ(٣)

إِنْ كُنْتَ أَصْبَحْتَ صَقْرًا لاَجَناحَ لَهُ فقدْ تَهَانُ بكَ الكَرْوَانُ والخربُ(٤)

لِلهِ دَرُّكَ لَمْ تَسْمُو بِقَادِمَةٍ أَوْ يُنْصِفِ الدَّهْرُ مَنْ يلوى فَيَعْتَقِبُ(٥)

إِلَى «سُلَيْمَانَ» رَاحَتْ تَغْتَدِى حزقًا وَالخيرُ مُتَّبَعٌ وَالشرُّ مُجْتَنَبُ(٦)

تَزُورُهُ مِنْ ذَوِى الأَحْسَابِ آوِنَةً وخيرُ مَنْ زُرْتَ سُلْطَانٌ لَهُ حَسَبُ

أَغَرُّ أَبلَجُ تَكْفِينَا مَشَاهِدُهُ فى القَاعِدِينَ وَفِى الهَيجَا إِذَا رَكِبُوا

أَمْسَى «سُلَيْمَانُ» مَرْؤُوماً نُطِيفُ بِهِ كَما تُطِيفُ بِبَيْتِ القِبْلَةِ العَرَبُ(٧)

تَرَى عَلَيْهِ جَلاَلاً مِنْ أُبُوَّتِهِ وَنَضْرَةً مِنْ يدٍ تَنْدَى وَتَنْتَهِبُ(٨)

يَبْدُو لَكَ الخَيْرُ فيهِ حِينَ تَنظُرُهُ كما بَدَا فى ثَنَايَا الكَاعِبِ الشَّنَبُ(٩)

---

(١) النعيمى من بنى نعيم بن مضر بن عدى من قبائل حمير ، فالظاهر أنه مر بهذا الحى حين أشرف على اليمن فإن سليمان كان أبوه داود أميراً على اليمن . وزاح باطله أى أفاق من سكره وافتض خاتم جرة الخمر [قلنا : لعل « يجنى » حقها أن تضبط بالبناء للمجهول . ولعل بشاراً يعنى بقوله « زاح باطله ... » أن النعيمى اشتغل بما أنشد من الشعر ونشط فانزاح عنه ما كان معروفا به أنه « من بنى البطال »] .

(٢) الأيم بفتح الهمزة وتخفيف الياء الساكنة : الحية اللطيفة ، وصفه بذلك لخطر أمره .

(٣) قلنا : قوله « لم يخلف له الزغب » أى أن الريش الساقط لم يعقب ريشاً مكانه . وفى اللغة : أخلف الطائر : خرج له ريش بعد ريشه الأول ، وأخلفه : جعله خلفه . وهذا البيت وما بعده من مدح « النعيمى » لبشار ، فهو يقول له : إنك ليتأتى لك الصيد وتذلل لك المغانم بلا ريش ولا جناح ، حتى إنك لتسطو على ذى الريش والجناح] .

(٤) الصقر : من سباع الطير ، والكروان بفتح الكاف : الحجل ، والخرب بفتح الخاء المعجمة وفتح الراء : ذكر الحبارى . [قلنا : لعل « تهان » بالياء ، أو « الكروان » بكسر الكاف جمعا]

(٥) قوله « لم تسمو » لم يجزم الفعل للضرورة كما قال قيس بن زهير العبسى :

ألم تأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

[قلنا : لعل « تسمو » محرفة عن « تسمق » أى : ترتفع . وبذلك يخلو البيت من الضرورة] .

(٦) الحزق : الجماعة ، وقد كتبه فى الديوان منصوبا ، ولعله مرفوع ، وهو فاعل راحت ، بدليل قوله بعده : تزوره من ذوى الأحساب الخ .

(٧) مرءوماً : أى محبوبا محبة شديدة ، ويقال : رئمت الناقة ولدها إذا أحبته وعطفت عليه .

(٨) كتب « ونصرة » ولعله « ونضرة » .

(٩) كتب « تنصره » والصواب « تنظره » [أو « تبصره » . والشنب : بياض الأسنان وحسنها]

فى هَامَةٍ مِنْ « قُرَيْشٍ » يُحْدِقُونَ بها — تُجْبَى وَيُجْبَى إليهَا الْمِسْكُ والذَّهَبُ

٤٩ عَالَى « سُلَيْمَانُ » فى عَلْيَاءِ مُشْرِفَةٍ — سَيْفٌ وَرُمْحٌ وآباءٌ لَهُ نُجُبُ(١)

يانُعْمَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فى مَحَلَّتِهِ — وَكَانَ يَشْرَبُ بالماءِ الَّذِى شَرِبُوا(٢)

كَانُوا ـ وَلَادِينَ إلاَّ السَّيْفَ ـ مُلْكُهُمُ — رَاسٍ وَأَيَّامُهُمْ عَادِيَةٌ غُلُبُ(٣)

تَطُولُ أَعْمَارُ قَوْمٍ فى أَكُفِّهِمُ — حِينًا وَتَقْصُرُ أَحْيَانًا إذَا غَضِبُوا

العَاقِدِينَ المَنَايَا فى مُسَوَّمَةٍ — تُزْجَى أَوَائِلَهَا الإيجَافُ والخَبَبُ(٤)

---

(١) « عالى » مبالغة فى علا ، وقوله « سيف ورمح » استئناف لبيان العلياء المشرفة .

[قلنا : الذى نراه أن «سليمان» يضبط بفتحة على النون ، مفعولا به لـ « عالى » ، وأن « عالى » فعل متعد بمعنى « أعلى » ، وفاعله قوله : سيف ... الخ ، والمعنى أن سليمان قد أعلاه سيفه ورمحه وآباؤه النجب فى علياء مشرفة ، وهذا أسلوب معروف . ومن مثله قول بشار (ص ١١٦ من هذه المطبوعة) : « نماها إلى العلاء العلاء »] .

(٣) قوله « يانعم » نداء مقصود منه التعجب ، والمنادى هو النعمة ، وقد رخمه مع كونه مضافا إلى اسم الموصول جريا على القياس فى جواز ترخيم المقترن بهاء التأنيث مطلقا ، وإن لم نعثر على شاهد مثله ، والقياس يقتضيه ، وضبط فى الديوان بضم النون ، ولا يصح ، لأنه يقتضى أن أصله « نعمى » بألف التأنيث ولا يجوز ترخيمه إلا بشروط مفقود أكثرها هنا .

[قلنا : يجوز — طوعاً لضبط المخطوطة — أن يكون « يا نعم » بضم النون ترخيم « نعمة » بضم النون أيضا ، وهى فى اللغة : المسرة . ويجوز — طوعاً لضبط المخطوطة كذلك — أن يكون « يانعم » منادى غير مرخم ، وفى اللغة : النعم (بالضم) : خلاف البؤس . والذى نراه أن «نعم» هو لفظ المدح المعروف ، ويجىء بعده « من » كما يجىء بعده « ما » ، ودخول « يا » قبل «نعم» يشبه دخول « يا » قبل « حبذا » (وهى مثل نعم) فى قول جرير :

ياحبذا جبل الريان من جبل — وحبذا ساكن الريان من كانا

وشاهد دخول « يا » قبل «نعم» ماذكره ابن يعيش فى شرح المفصل (ج ٧ ص ١٢٨) : « يانعم المولى ويا نعم النصير » ومما ذكره النحويون فى « يا » حينئذ أنها حرف تنبيه . والمعنى أن بشاراً يمدح « سليمان » بأن محله فى قومه خير محل ، فمن كان فى هذا المحل منهم فهو حقيق بالمدح] .

[ثم نقول : الباء فى قوله : « بالماء » للتبعيض أو للالصاق ، مثل قوله تعالى : « عيناً يشرب بها عباد الله » وقول أبى ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت — متى لجج خضر لهن نئيج]

(٣) قوله « ولا دين إلا السيف » جملة معترضة وقوله « ملكهم راس » جملة هى خبر « كان » [عادية : قديمة] .

(٤) المسومة : الخيل المعلمة بسمة ريش أو صوف لشهرتها فى الفرسان ، كانوا يعلمون شجعانهم بعلامة فيقال : فارس معلم ، قال طريف بن تميم العنبرى :

فتوسموني إننى أنا ذاكم — شاكى سلاحى فى الحوادث معلم

وقال (ص ٥٨ جزء ٣ البيان للجاحظ) درهم بن زيد :

بِيضٌ حِدَادٌ وأَشْرَافٌ زَبَانِيَةٌ يَغْدُو عَلَى مَنْ يُعَادِى الوَيْلُ والحَرَبُ(١)
أَقُولُ لِلْمُشْتَكِى دَهْراً أَضَرَّ بِهِ فِيهِ ابْتِذَالٌ وَفِى أَنْيَابِهِ شُعَبُ:(٢)
لاَجَارَ إلاَّ « سُلَيْمَانٌ » وأُسْرَتُهُ مِنَ العَدُوِّ وَمِنْ دَهْرٍ بِهِ نَكَبُ(٣)
إِذَا لَقِيتَ « أَبَا أَيُّوبَ » فِى قَعَدٍ أَوْ غَازِيًا فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَضْطَرِبُ(٤)
لاَقَيْتَ دُفَّاعَ بَحْرٍ لا يُضَعْضِعُهُ لِلْمُشْرِعِينَ عَلَى أَرْجَائِهِ شُرُبُ(٥)
فاشْرَبْ هَنِيئًا وَذَيِّلْ فى صَنَائِعِهِ وانْعَمْ فَإِنَّ قُعُودَ النَّاعِمِ اللَّعِبُ(٦)

= فأبد سيماك يعرفوك كما يبدون سيماهم فتعترف

وكان حمزة بن عبدالمطلب معلماً يوم بدر بريشة نعامة حمراء ، وقوله : « أوائلها الإيجاف » أى أول سيرها السير السريع .

[نقول : فى لسان العرب وتاج العروس : « سوم الفرس تسويما : جعل عليه سيمة ، أى علامة ، أى أعلم عليه بشىء يعرف به . . . والخيل المسومة : هى التى عليها السيماء ، وقيل هى المرسلة وعليها ركبانها ، وقيل : هى المطهمة الحسنة ، وقيل : هى الراعية » . ثم نقول : لعل ضبط « يزجى » بضم الياء وكسر الجيم و « أوائلها » بفتحة على اللام (مفعولا به مقدما على الفاعل) ، والمراد أن الخيل المسومة يدفع الحث والإسراع أوائلها] .

(١) زبانية : جمع زبنية ، وهو الشديد الصعب . وقوله « على من يعادى » أى يعاديهم ، فحذف عائد الموصول لأنه منصوب بفعل .

[قلنا : لعل « يعادى » محرفة عن « تعادى » والفاعل ضمير يعود على « أشراف » أى : « على من تعاديه الأشراف ... »] .

(٢) لم يضبط فى الديوان حروف «شعب» والظاهر أنه بضم الشين وفتح العين ، جمع شعبة ، وهى الفضاء بين شيئين ، أى وفى أنيابه تفرق ، وذلك من صفات أنياب الأسد ، ففى البيت استعارة مكنية .

(٣) [قلنا : « جار » فى هذا البيت بمعنى مجير ، والنكب : العدول عن الاستقامة ، وفى المثل : الدهر أنكب] .

(٤) قعد (بفتحتين) : جمع قاعد ، مثل حرس وخدم ، والقاعد هنا وفى مثله اسم فاعل من قعد عن الحرب : إذا لم يخرج إليها ، قال تعالى : فاقعدوا مع القاعدين ، وقال : فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، ومنه اشتق اسم شهر ذى القعدة ، لأنه أول الأشهر الحرم ، فكانوا إذا استهل يقعدون عن الغزو والقتال ، ومنه سمى قوم من الخوارج «القعدة» لأنهم لايرون قتال أئمة الجور . ومراد بشار : إذا لاقيته فى وقت السلم وفى وقت الحرب لقيت بحرا .

(٥) الدفاع (بضم الدال وتشديد الفاء) : الموج المندفع بقوة من البحر أو السيل ، استعاره هنا لكثرة الكرم ، والشرب بضم الشين وضم الراء لاتباع حركة الشين للضرورة وأصله بسكون الراء .

[قلنا : لعل ضبط « شرب » بفتح الشين والراء ، ومفرده شربة (بهذا الضبط أيضا) بمعنى كثرة الشرب ، والمراد بالمشرعين من أفضوا إلى الممدوح وانتهوا إلى بحره] .

(٦) ذيل : بمعنى طول وزد .

الهاشميُّ « ابنُ داوُدٍ » تَدارَكنَا وَمَا لَنَا عِنْـــدَهُ نُعْمَى وَلاَ نَسَبُ
أَحْيَا لَنَا العَيْشَ حَتَّى اهتَزَّ نَاضِرُهُ وجَارَنَا فَانْجَلَتْ عَنَّا بِهِ الكُرَبُ (١)
لَيثٌ لَدَى الحَرْبِ يُذْكِيها ويُخْمِدُهَا وَلاَ تَرَى مِثْلَ مَا يُعْطِي ومَا يَهَبُ
صَــعْبًا مِرَاراً وتَارَاتٍ نُوافِقُهُ سَهْلاً عَلَيْهِ رِوَاقُ المُلْكِ وَاللَّجِبُ (٢)
رَكَّابُ هَوْلٍ وَأَعْوَادٍ لِمَمْلَكَةٍ ضَرَّابُ أَسْبَابِ هَمٍّ حِينَ يَلْتَهِبُ (٣)
سَاقِي الحَجِيجِ أَبُوهُ الخَيْرُ قَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا « قُرَيْشٍ » لَهُ الغَايَاتُ وَالقَصَبُ (٤)
وَافَى « حُنَيْناً » بِأَسْــيَافٍ وَمُقْرَبَةٍ شُعْثِ النَّوَاصِي بَرَاهَا القَوْدُ وَالخَبَبُ (٥)
يُعْطِي العِدَا عَنْ رَسُولِ اللهِ مُهْجَتَهُ حَتَى ارْتَدَى زَيْنَهَا وَالسَّيفُ مُخْتَضِبُ (٦)
وكَانَ « دَاوُدُ » طَوْداً يُسْتَظَلُّ بِهِ وَفِي « عَلِيٍّ » لأَعْدَاءِ الهُدَى هَرَبُ
وَالفَضْلُ عِنْدَ « ابنِ عَبَّاسٍ » تَعُدُّ لَهُ فِي دَعْوَةِ الدِّينِ آثَارٌ وَمُحْتَسَبُ

---

(١) قوله « وجارنا » كذا ولم يظهر فعله ، فلعله « وجاءنا » .

[قلنا : أو لعله « جادنا » ، من قولهم : « جادنا الغيث » هـذا إذا لم يكن بشار استعمل « جار » بمعنى أجار ، كما استعمل العرب « الجارة » (كالقادة ، وهو من الثلاثى) بمعنى المجيرين] .

(٢) « مرارا » برامين ، بدليل مقابلته بقوله : وتارات ، وكتب فى الديوان بزاى بعد الميم وبفتح الميم ولا يستقيم مع المدح ، الرواق (بكسر الراء وضمها) : الفسطاط المحيط بالبيت ، وهو مبتدأ ، وقوله « عليه » خبره مقـدم ، واللجب (بفتح اللام وكسر الجيم) صفة للجيش الكثير ، مشتق من اللجب (بفتحتين) وهو الجلبة والصياح .

[قلنا . ولعل « اللجب » تضبط بفتح الجيم] .

(٣) الأعواد : المنبر ، انظر البيت ١٨ من الورقة ١٧٣ ، وقد جمع فى قوله « ركاب هول وأعواد » معنيين مجازيين ، وهو جائز عند أهل العربية .

(٤) « أبوه » أى أبوه الأعلى ، وهو جده ، وهو العباس بن عبد المطلب ، واسم الأب يطلق على الجد ، قال قصى « أمهتى خندف والياس أبى » كما يطلق الابن على الحفيد ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » . والقصب : جمع القصبة التى تجعل علامة لأهل سباق الخيـل ، يجعلون على القصبة راية يأخذها السابق بيده حين يصل إليها لتكون شهادة له بأنه السابق .

(٥) المقربة (بفتح الراء) : الأفراس التى تقرب بيت صاحبها وتكرم .

[والقود : مصدر قاد الخيل . والخبب : ضرب من سرعة السير] .

(٦) أشار الى خروج العباس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين انهزم جيش المسلمين ، وكان العباس آخذاً بحكمة بغلة الرسول عليه السـلام ينادى المسلمين بالثبات والتجمع ، وتلك ساعة خوف وفرار .

قُلْ لِلْمُبَاهِى « سُلَيْمَانًا » وَأُسْرَتَهُ   هَيْهَاتَ لَيْسَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الغَرَبُ[1]

رَشِّحْ أَبَاكَ لِأُخْرَى مِنْ صَنَائِعِهِ   وَاعْرِفْ لِقَوْمٍ بِرَأْسٍ دُونَهُ أَشَبُ[2]

أَبْنَاءُ أَمْلَاكِ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِنَا   فَكُلُّهُمْ مَلَكٌ بِالتَّاجِ مُعْتَصِبُ[3]

دَمُ النَّبِيِّ مَشُوبٌ فِى دِمَائِهِمُ   كَمَا يُخَالِطُ مَاءَ المُزْنَةِ الضَّرَبُ

لَوْ مُلِّكَ الشَّمْسَ قَوْمٌ قَبْلَهُمْ مَلَكُوا   شَمْسَ النَّهَارِ وَبَدْرَ اللَّيْلِ لَا كَذِبُ[4]

أَعْطَاهُمُ اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُمُ   فَهُمْ مُلُوكٌ لِأَعْدَاءِ النُّهَى رُكَبُ[5]

لَا يَحْدَبُونَ عَلَى مَالٍ بِمَبْخَلَةٍ   إِذَا اللِّئَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ حَدِبُوا[6]

لَوْلَا فُضُولُ « سُلَيْمَانٍ » وَنَائِلُهُ   لَمْ يَدْرِ طَالِبُ عُرْفٍ أَيْنَ يَنْشَعِبُ[7]

يَنْتَابُهُ الأَقْرَبُ السَّاعِى بِذِمَّتِهِ   إِذَا الزَّمَانُ كَبَا ، وَالخَابِطُ الجُنُبُ[8]

---

(١) النبعة : قصبة صلبة من قصب النبع تتخذ منها الرماح والقسى ، والغرب (بفتح الغين المعجمة وبفتح الراء) : شجر تتخذ من أغصانه القداح .

(٢) [قلنا : فى اللغة : عرف بكذا : أقر . وقوله « برأس » كتب فى المخطوطة بلا همز على الألف فلعل معناه بجبل راس . والأشب : كثرة الشجر حتى لايستطاع اجتيازه . والمعنى : اعترف لهؤلاء القوم بأن عظيمهم لا يطاوله أحد ، ولا يبلغ منزلته إنسان] .

(٣) أى أبناء أملاك المسلمين ، وأراد بالأملاك الخلفاء والأمراء ، فقد كان عبد الله بن عباس أميراً ، وكان داود بن على أميراً ، ومن أعمام الممدوح خلفاء [والمزنة : السحابة أو المطرة ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ] .

(٤) قوله : « لا كذب » أى لا كذب فى ذلك ، فحذف الخبر لظهوره ، كقوله صلى الله عليه وسلم أنا النبى لا كذب . [قلنا : ضبطت « ملك فى نسخة الشارح بفتح الميم واللام ، وهى فى المخطوطة بضم الميم وكسر اللام]

(٥) [قلنا : لم تضبط فى المخطوطة كاف « ركب » ، وضبطها الشارح فى نسخته بالفتح ونراها مضمومة ، فتكون « ركب » على وزن « رسل » جمع « ركوب » بفتح الراء ، أى كثير الركوب] .

(٦) مبخلة (بفتح الميم ثم الباء الموحدة ساكنة ثم خاء معجمة مفتوحة) : ما يحمل المرء على البخل ، وفى الحديث : « الولد مبخلة مجبنة » [وحدب عليه بمعنى : عطف وأشفق] .

(٧) [الفضول — هنا — جمع فضل ، وهو الإحسان أو الابتداء به بلا علة له ، والنائل : العطية ، والعرف : المعروف والجود ، وينشعب — هنا — بمعنى ينصلح] .

(٨) الخابط : طالب المعروف ، ويقال المختبط ، وأصله تمثيلية من خبط الشجر بالعصا ليتساقط ورقه ، قال عبدة بن الطبيب :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة   فحق لشأس من نداك ذنوب

والجنب : البعيد فى النسب .

[تقول : يرد « الخابط » فى اللغة بمعنى السائل للمعروف من غير قرابة ولا ذمة ، ويرده الخابط » =

كَمْ مِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الطَّرْفِ لَيْسَ لَهُ ... إلاَّ تناوُلَ كَفَّىْ ذِى الغِنَى أَشَبُ(١)

آخَى لَهُ عَرْوُهُ الأَثْرَى فَنَالَ بِهَا ... رَوَاحَ آخَرَ مَعْقُودٍ لَهُ سَبَبُ(٢)

بِنَائِلٍ سَـبِطٍ لاَ مَنٌّ يُردِفُهُ ... إِذَا مَعَاشِرُ مَنُّوا الفَضْلَ واحْتَسَبُوا(٣)

يا ابْنَ الأَكَارِمِ آبَاءً وَمَأْثَرَةً ... مِنْكَ الوَفَاءُ ومِنْكَ النَّائِلُ الرَّغَبُ(٤)

= فى اللغة أيضاً بمعنى المعطى النافع ، قال صاحب القاموس « خبط زيداً : سأله المعروف من غير آصرة ، فخبطه زيد بخير : أعطاه » وقال صاحب أساس البلاغة « خبطت فلانا : سألته بغير وسيلة ، قال زهير :

وليس مانع ذى قربى ولا رحم ... يوماً ولا معدماً من خابط ورقا

وخبط فى قومه بخير : إذا نفعهم ، قال :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب »

وقول بشار « والخابط » معطوف على « الأقرب » ، والمراد بالخابط — هنا — المعنى الأول ، وهو طالب المعروف ، كما ذكره الشارح ، ولكن البيت الذى استشهد به الشارح لا يناسب بيت بشار ، لأنه من المعنى الثانى لا الأول ، كما فى الأساس .

ثم نقول : إن الشارح قد نسب البيت الذى استشهد به إلى عبدة بن الطبيب ، والمعروف لنا أن هذا البيت لعلقمة بن عبدة ، وهو من قصيدة مذكورة فى ديوان علقمة وفى المفضليات] .

(١) « ضعيف الطرف » أى ضعيف فى نظره للناس ، لأنه ينظر عن مذلة واستحياء من حاجته إليهم . وقوله « أشب » اسم ليس ، والأشب : الكسب ، وهو بفتح الشين . وقوله : إلا تناول ... الخ استثناء مقدم على المستثنى منه ، فهو منصوب على الأفصح ، « وأشب » هو المستثنى منه .

(٢) آخى له (بهمزة ثم ألف ثم خاء معجمة) أى جعل له أخا ، وعروه (بفتح العين المهملة) : مصدر عراه ، أى نزل به ، أى إذا عرا « سليمان » نال الإثراء ، وكتب « الأثرى » فى الديوان بإمالة ، وهو خطأ . وقوله « رواح آخر » أى فراح رواحا مثل رجوع آخر غير يتيم له صلة بالأمير ، والمعنى أن الممدوح يكرم من لا يعرفه إكرام من يعرفهم .

[نقول : فى المخطوطة « عروة » بضم العين وفتح الواو ، فلعل المراد : العروة التى يعتمد عليها ، ولعل أخى بفتح الهمزة وتشديد الخاء ، من قولهم « أخى له آخية يربط إليها مهره » ، والآخية والعروة يستعملان مجازا فيما يوثق به ويعتمد عليه ، فيكون المراد بقول بشار : « أخى له عروة الأثرى » أن سليمان الممدوح قد جعل اليتيم مثريا إذ جعل له ما يعتمد عليه من الأسباب التى تكون للشخص المثرى .

ثم نقول : فى المخطوطة « الأثرى » بهمزة مفتوحة قبل الثاء وبياء مكتوبة فى آخره ، وليس ذلك خطأ ، لأن « الأثرى » بمعنى « المثرى » و « الثرى » كما فى كتب اللغة ، وقد أشرنا إلى ذلك المعنى .

ثم نقول : الظاهر أن الضمير فى قوله « بها » راجع إلى « عروة الأثرى » وفى هذا ما يؤيد أن الكلمة « عروة » المؤنثة ، لا « عرو » المصدر] .

(٣) « يردفه » أى يتبعه ، وهو من بابى : سمع ونصر ، ويقال « أردفه » أيضا ففى ضبطه ثلاثة وجوه .

(٤) المأثرة (بفتح الثاء وبضمها) : المكرمة الموروثة . الرغب : مصدر رغب ، وهو هنا بمعنى المفعول ، أى المرغوب فيه النفيس ، كالخلق بمعنى المخلوق .

فِي الْحَيِّ لِي دَرْدَقٌ شُعْثٌ شَقِيتُ بِهِمْ
لَايَكْسِبُونَ وماَ عِنْـــدِى لَهُمْ نَشَبُ(١)
عَزَّ الْمَضَاعُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ وَجْبَتِهِمْ فَمَا تَرَى فِي أُنَاسٍ عَيْشُهُمُ وَجَبُ ؟(٢)

وقال أيضاً(*) :

عَامَتْ « سُلَيْمَى » وَمَسَّهَا سَغَبُ بَلْ مَالَهَا لَاتَزَالُ تَكْتَئِبُ(٣)
تَذَكَّرَتْ عِيشَةً « بِذِى سَلَمٍ » عِشْـــنَا بِهَا نَجْتَنِى وَنَحْتَلِبُ
وَأَكْبَرَتْ بَذْرَةً شَرَيْتُ بِهَـــا عِرْضِى مِنَ الذَّمِّ ، وَالشِّرَا حَسَبُ(٤)

---

(١) الدردق : أطفال الإبل ، ثم أطلق على أطفال الناس ، قال الأعشى :

ترى القوم فيها شارعين ودونهم من القوم ولدان من النسل دردق

[والنشب : المال] .

(٢) كتب فى الديوان « المضاع » بعين مهملة فى آخره ، وضبطه بفتح الميم ، فهو مصدر ميمى من الضياع ، وهو الهلاك ، ويجوز أن يكون أصله « المضاء » بهمزة فى آخره ، وهو الاستمرار . يقال مضى على الأمر مضاء : استمر ، أى صعب عليهم الاستمرار على هـذه الخصاصة ، الوجبة (بفتح الواو وسكون الجيم) الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة إلى مثلها من الغد ، وأراد بقوله « فما ترى » الاستفهام . وقوله « وجب » أراد به الاسم من الوجبة ، أى أن يكون عيشهم بالوجبة ، ولم يذكر هذا المصدر أهل اللغة .

[قلنا : الذى نراه أن « المضاع » محرفة عن « المضاغ » بفتح الميم والضاد وبغين معجمة فى آخره ، وهو مايمضغ من الطعام ، ومنه قولهم : « ماذقت مضاغا » . والمراد بقوله « عز » هنا : أنه قل فكاد لايوجد ، يريد بشار أن أطفاله إذا أكلوا وجبتهم كادوا لايجدون عنـدهم بعدها مايمضغ من الطعام] .

(*) وقال أيضا فى الفخر على أعدائه والاستخفاف بهم ، وفى الغزل ، وابتدأها بذكر « سليمى » التى هى زوجه أو تخيلها زوجه على عادة العرب فى مثل هـذا المقام ، ثم ذكر حبيبة له وهى فى قوله : وغادة كالحباب ... الخ

وهذه القصيدة غير تامة فى الديوان ، وهى من بحر السريع وعروضها مخبولة مكشوفة وضربها كذلك ، وفى أبياتها زحافات .

[قلنا : الذى نراه أن هذه القصيدة من المنسرح لا من السريع ، ووزنها :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن

وقد دخلها الطى ، وهو حذف الرابع السا كن ، ودخوله حسن] .

(٣) كتب فى الديوان « غامت » بغين معجمة ، والصواب أنه بعين مهملة ، عامت : أصابتها العيمة ، وهى شهوة اللبن لبعد العهد بشربه ، يقال : سقاهم من العيمة ، ولذلك قال فى البيت بعده : ونحتلب .

(٤) استعمل « شرى » هنا بمعنى اشترى ، وهو وارد فى اللغة ، قيل : منه قوله تعالى : وشروه بثمن بخس ، وقوله « والشرا حسب » بكسر الشين المعجمة مصدر بمعنى الاشتراء ، وهو ممدود ، وقصره هنا للضرورة ، والتعريف فيه للعهد ، أى وهذا الشراء ، وكتب فى الديوان بالإمالة ، وهو خطأ . =

يَا « سَلْمَ » عِرْضِى حمًى سَأَمْنَعُهُ والعِرْضُ يُحْمَى ، ويُوهَبُ الذَّهَبُ
لا تذكُرِى مَامَضى وَشأنكِ بِى الْـــيَوْمَ فَإِنَّ الزَّمَانَ يَنْقَلِبُ[1]
حُلْوًا ومُرًّا وطَعْمَ ثالِثَةٍ فِى كُلِّ وَجْهٍ مِنْ صَرْفِهِ عَجَبُ
دِينِى لِدهْرٍ أصمَّ مُندلِثٍ يَهْرُبُ مِنْ رَيْبِهِ وَلاَ هَرَبُ[2]
أوْدَى بِأَهلِ الغَدِيرِ فَانْقَرَضُوا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رأسٌ ولاَ ذَنَبُ[3]
وَارْضَىْ بِمَا رَاعَكِ الزَّمَانُ بِهِ مَا كُلَّ يَوْمٍ يَصْفُو لكِ الحَلَبُ
جَرِّبْتِ مَاجَرَّبَ الحَلِيمُ فَهَلْ لاَقَيْتِ عَيْشًا لَمْ يَعْرُهُ نَصَبُ ؟
لا يَنفَعُ المَرْءَ مَالُ وَالِدِهِ غدا عَيِيًّا ، وَيَنفَعُ الأدَبُ
وغَادَةٍ كَالحَبابِ مُشْرِقَةٍ رُودٍ عَلَيْهَا السُّمُوطُ والقُضُبُ[4]
كَأنَّ يَاقُوتَهَا وعُصْـــفُرَهَا فِى الشَّمْسِ إذْ لَهَّبَتْهُمَا لَهَبُ

= [قلنا : لانرى خطأ فى كتابة « الشرى » بالياء كما فى المخطوطة ، فإن « الشرى » هنا ليس أصلها « الشراء » ثم قصرت للضرورة ، بل « الشرى » و « الشراء » لغتان ، الأولى لغة نجد ، والأخرى لغة الحجاز . ومن العلماء من يرى أن مصدر الفعل « شرى » هو « الشرى » لا « الشراء » . وأما « الشراء » فهو مصدر الفعل « شارى » والبدرة : كيس فيه ألف درهم أو أكثر . والحسب — فى هذا البيت — : هو ما اقتضى الفخر من حسن الصنيع وشرف الفعل] .

(١) « شأنك بى » يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الإغراء وهو أحسن ، وكتب المصراع الثانى : « اليوم فإن » وهو مختل الميزان ، فالصواب حذف الفاء .

[قلنا : ليس فى البيت اختلال وزن ، مع الفاء ، فهو كما أسلفنا من المنسرح دخله الطىّ ، وحذف الفاء يخل بوزنه] .

(٢) المندلث : الذى لاينفك فى الحرب عن القتال لاينهنهه شىء ، وقوله « دينى » أمر من دان يدين : إذا أطاع وامتثل ، وقوله « دينى » بمعنى سلمى واخضعى .

(٣) انظر من أراد بأهل الغدير .

(٤) كتب فى الديوان « كالجناب » بجيم ثم نون ، ولا معنى له ، والصواب « كالحباب » بحاء مهملة ثم موحدة ، والحباب (بضم الحاء) : الحية ، ووجه الشبه حسن المشية ، وقد تقدم فى البيت ٢٥ من الورقة ٤٢ .

[قلنا : ضبطت فى المخطوطة كلمة « القضب » بضاد معجمه مضمومة ، وكذلك فى نسخة الشارح ، ولم نستظهر لها معنى يستقيم به مساق البيت ، فلعل الكلمة محرفة عن « القصب » بصاد مهملة مفتوحة ، والقصب : الجوهر ، والزبرجد المرصع بالياقوت ، وفى ذلك مايناسب « السموط » فى البيت ، وهى قلائد اللؤلؤ] .

قَالَتْ : تَرَكْتَ الصِّبَا ، فَقُلْتُ لَهَا : لَا بَلْ تَجَالَلْتُ وَالصِّبَا لَعِبُ(١) ٥١
وَقَدْ نَهَانِي الإِمَامُ فَانْصَرَفَتْ نَفْسِي لَهُ وَالإِمَامُ يُرْتَقَبُ
آلَيْتُ يَأْبَى الصِّبَا وَأَتْبَعَهُ هَيْهَاتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَجَبُ(٢)
فَاسْتَبْدِ لِي أَوْقِرِي ، شَرَعْتُ إِلَى الْـحَقِّ ، وَبِئْسَ الْمَطِيَّةُ النُّغَبُ(٣)
يَا « سَلْمَ » إِنِّي امْرُؤٌ يُوَقِّرُنِي حِلْمِي إِذَا الْقَوْمُ فِي الْخَنَا وَثَبُوا
وَقَدْ أَتَانِي وَعِيدُ شِرْذِمَةٍ فِيهِمْ طِمَاحٌ وَمَا بِهِمْ صَلَبُ(٤)
مَهْلاً بِغَيْرِي أَعْرِكُوا شَذَاتَكُمُ لِلْحَرْبِ مِمَّنْ يَحُشُّهَا حَطَبُ(٥)
قَدْ أَذْعَرُ الْجِنَّ فِي مَسَارِحِهَا قَلْبِي مُضِيٌّ وَمِقْوَلِي ذَرِبُ(٦)

---

(١) تجاللت أى : اتصفت بجلال ، وهو العظمة والوقار ، وصيغة التفاعل مستعملة فى قوة الفعل كقولنا : تبارك الله وتعالى .

(٢) «يأبى» أى الإمام ، وضمير «أتبعه» للصبا ، أى لا تجتمع إباءته الصبا واتباعى الصبا ، فأتبعه منصوب بواو المعية بعد النفى المقدر . ونجب (بنون مفتوحة فجيم مفتوحة) : واد عظيم فى ديار محارب ، أراد بينى وبين الصبا واد ، أى حائل عظيم ، وكلمة « هيهات » معترضة .

(٣) [قرى : ضبطها الشارح بفتح القاف ، ونراها بالكسر ، والمعنى : اتئدى وتوقرى ، وقد استعمل « بشار » هذا اللفظ لمثل ذلك المعنى (انظر ص ١٠٤ من هذه المطبوعة)] . كتب فى الديوان «التعب» بمثناة فوقية ثم عين مهملة ، ولا معنى له ، والصواب «النغب» بنون ثم غين معجمة ، وهو بضم النون وفتح الغين ، جمع نغبة ، بضم فسكون ، وهى الفعلة القبيحة .

(٤) [الشرذمة : الجماعة القليلة من الناس] الطماح (بكسر الطاء) : النفور والجماح ، و «الصلب» ضبط بفتحتين ، والصلب يطلق على الأرض الصلبة التى يعسر السير فيها ، وأراد به هنا مطلق الشدة على سبيل الاستعارة .

(٥) كتب « بغربى » والصواب « بغيرى » وهو متعلق باعركوا ، والشذاة : بقية القوة .
قال زهير : « فتعرككم عرك الرحى بثفالها »

وقوله « ممن » بيان لغير ، أى اجمعوا من يعينكم على حربى ، يقولون : حش الحرب ، أى أوقدها مجازا ، ومنه قولهم : فلان محش حرب (بكسر الميم وفتح الحاء) أى يتسبب فيها كثيراً ، وأصله من حش النار إذا زاد فيها الحطب .

[قلنا : لا نرى مقتضياً لتغيير كلمة « بغربى » التى فى المخطوطة ، فسياق البيت بها مستقيم ، ومعناها مقصود ، وهو الحدة والقوة . يقول « بشار » فى صدر البيت لمتوعديه : اعركوا بقية قوتكم ، أو سوء خلقكم ، بقوتى وحدتى ، لتعلموا أينا أشد بأساً وقوة . ومعنى عجز البيت فيما نرى : أن الحرب لها وقود ممن يشعلها ، فمن يثيرها قد يكون لها حطبا ، وذلك على نحو مايقال : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها] .

(٦) [مقولى : لسانى . ذرب . حديد فصيح] .

خَصَيْتُ عَدَوَانَ بَعْدَ شَيْلَتِهِ وَاللَّيْثُ يُخْصَى وَيُجْدَعُ الشَّبَبُ[١]

لَا غَرْوَ إلَّا فَتَى الْعَشِيرَةِ عَا فَتْهُ الْمَنَـــايَا وَدُونَهُ أَشَبُ[٢]

بَاتَ يُغَنِّى وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَالْمَرْءُ يَلْهُو وَحَيْنُهُ كَثَبُ

فَالْآنَ أَسْمَحْتُ لِلْخُطُوبِ فَلَا تَلْقَى فُؤَادِى مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ[٣]

قَلَبَنِي الدَّهْرُ فِي قَوَالِبِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِكَوْنِهِ سَبَبُ[٤]

---

(١) عدوان (بفتح العين والدال) من أوصاف الذئب ، فإذا كان هو المراد هنا فقد سكن الدال ، للضرورة ، وانظر ما أراد بشيلته ، وقوله : « والليث » صوابه والذئب ليناسب ماقبله ، وهذا كناية عن تدبره وتحيله وشجاعته ، بدليل قوله قبله : قلبي مضيء ، والشبب (بالتحريك) : الشاب : ثور الوحش ، والمعنى أخصيه وأجدعه .

[قلنا : لعل « عدوان » محرفة عن . « غذوان » بالغين والذال المعجمتين ، وهو بسكون الذال ، ومعناه : السليط الفاحش . وعلى هذا لا تكون فى الكلمة ضرورة شعرية ، وربما كانت « شيلته » محرفة عن « شيكته » بكسر الشين ، والشيكة : الإصابة بالشوكة ، والمراد بها . لحاق الأذى . وفى الأساس « لاتشوكك منى شوكة : لايلحقك منى أذى »] .

(٢) « لاغرو » انظر البيت ١٥ من الورقة ١٨ [« دونه أشب » انظر البيت ٢٣ من الورقة ٤٩] .

(٣) أسمحت بمعنى سمحت ، أى لا أمنعهما من تطرق قلبي ، وقوله : « يجب » مضارع وجب بمعنى سقط .

[قلنا : المعروف فى اللغة عند إسناد « وجب» إلى القلب أن معنى وجب حينئذ : اضطرب وخفق ، وبها يتوضح مفاد البيت] .

(٤) [بعد هذا البيت] موضع صفحة تركت بياضاً فى الأصل .

[وقال أيضاً] (*) :

... ...

فَيَا حَزَنَا هَلاَّ بِنَا كَانَ مَا بِهِ ... مِنَ الوُدِّ إِذْ تَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ(١) ٥٢
وَمَمْسُوكَةٍ عَـذْرَاءَ يَحْمِلُهَا فَتًى ... وَلَمْ تَعْيَ كَفَّاهُ وَلَمْ يَدْمَ غَارِبُهْ(٢)
أَتَتْنِي بِهَا رَوَّاقَةٌ فِي نِفَاقِهَـا ... لِتُخْبِرَنِي عَنْ شَاهِدٍ لاَ أُقَارِبُهْ(٣)
خَلَوْتُ بِهَـا يَوْمًا فَلَمَّا افْتَضَضْتُهَا ... تَبَيَّنَ مَا فِيهَـا وَصَرَّحَ عَائِبُهْ(٤)
وَقَالَ بِمَا قَالَ الْمُحِبُّ نَصَـاحَةً ... وَهَلْ يَكْذِبُ الصَّبُّ الْمُحِبَّ حَبَائِبُهْ
أُعِيذُكَ بِالرَّحْمٰنِ مِنْ دَحْسِ حَاسِدٍ ... يَنَامُ وَمَا نَامَتْ بِلَيْـلٍ عَقَارِبُهْ(٥)
عَلَيْكَ سَمَاءٌ دُونَنَا تُمْطِرُ الرَّدَى ... وَسَوْرَةُ طَبٍّ لم تُقَلَّمْ مَخَالِبُهْ(٦)

(*) [زيادة رأينا أن المقام يتطلبها ، والظاهر أنها كانت موجودة ، ولكنها ذهبت فيما ذهب فى بياض النسخة . والقصيدة من الطويل ، وعروضها مقبوضة وكذلك ضربها] .

(١) فى أول هذه الورقة بقية من قصيدة ذهب أولها ، ولها بيض الناسخ .

(٢) « ممسوكة » أى مطيبة بالمسك ، يعنى أن الخمر موضوع فيها المسك ، والأبيات الأربعة سلك فيها طريقة الإلغاز .

[قلنا : الأبيات الأربعة التى يشير إليها الشارح ، ويجعلها وصفاً للخمر ، أقرب إلى أن تكون فى وصف رسالة وردت إليه ، فهى مطيبة بالمسك ، وهى عذراء ، أى مختومة مطوية ، وهى تكشف له ما خفى عليه من كيد حاسد يضمر الشر] .

(٣) الرواقة : الجارية التى تحضر الخمر للشرب ، منسوبة إلى الراووق ، وهو باطية الخمر ، وقد تكون وصفاً من قولهم « جارية روقة » وبذلك يأتى الإلغاز .

(٤) كتب « عائبه » بعين مهملة ، ولعله بغين معجمة .

(٥) الدحس : الإفساد ، وبين « دحس » و « حاسد » جناس ، وبشار يشير إلى شخص حاسد للممدوح ، والممدوح فى غفلة عنه .

[قلنا : « ينام » فى نسخة الشارح بالياء ، وهى فى المخطوطة بالتاء ، وهـذا أولى ، لأن المعنى سهر الحاسد مع نوم المخاطب .

(٦) المعنى : إنك كالسماء تمطر الغيث النافع وتمطر مطر السوء ، فأمطر على غيرنا الردى ، وهـذا إغراء بحاسده : والسورة : الشدة ، وقوله « طب » كتب بطاء مهملة وباء موحدة ، ولم يظهر له معنى ، فهو تحريف ، لعله « ليث » بقرينة قوله : لم تقلم مخالبه .

[قلنا : لعل « طب » فى هذا البيت محرفة عن « خب » أى مخادع . ومعنى البيت أنك قد أظلتك مكيدة مهلكة ، وخدعة خادع ناشبة أظفاره] .

فَلاَ يأْتِيَا مِنْكَ الْحَدِيثُ لَذَاذَةً   لِأَصْوِلَةٍ ، لاَ يَأْمَنُ الْهَوْلُ رَاكِبُهْ(١)
فَلِلّهِ مَحْزُونٌ يَرُوضُ هُمُومَـــهُ   عَلَى فَتْكَةٍ ، وَالْفَتْكُ صَعْبٌ مَرَاكِبُهْ(٢)
إِذَا هَمَّ لَمْ يَرْضَ الْهُوَيْنَى وَلَمْ يَكُنْ   كَلِيلاً كَسَيْفِ السَّوْءِ تَنْبُو مَضَارِبُهْ

وقال أيضاً(*) :

خَلِيلَـيَّ قُومَا فَاعْذِرَا أَوْ تَعَتَّبَا   وَلاَ تَعْـذُلاَنِي أَنْ أَلَذَّ وَأَطْرَبَا
إِذَا ذُكِرَتْ صَفْرَاءُ أَذْرَيْتُ عَبْرَةً   وَأَمْسَكْتُ نَفْسِي رَهْبَةً أَنْ تَصَبَّبَا(٣)
وَمَا اسْتَفْرَغَ اللَّذَّاتِ إِلاَّ مُشَيَّعٌ   إِذَا هَمَّ لَمْ يَذْكُرْ رِضَى مَنْ تَغَضَّبَا(٤)
تَغَنَّى رَفِيـــقِي بِاسْمِهَا فَكَأَنَّمَا   أَصَابَ بِقَلْبِي طَائِرًا فَتَضَرَّبَا(٥)

---

(١) « أصولة » صفة للمبالغة مشتقة من صؤل البعير (بالهمزة بعد الصاد المهملة) ، وقد انفرد بشار باشتقاق هذه الصفة ، وكأنه اعتبر قولهم : جمل صؤول ، ثم نزل صؤول منزلة الاسم فجمعه على أصولة ، ثم أطلقه على الواحد المبالغة ، ومعنى البيت : نهى المخاطب عن غفلته عن حاسده وانبساطه له بالحديث ، فشبه انبساطه بحاسده بحداء وراء جمل صؤول ، فتأمل .

[قلنا : ربما كانت كلمة « لأصولة » محرفة عن « لأصوله » على أنها اسم تفضيل مضاف إلى ضمير عائد على الحديث ، و « الأصول » : الأشد صولة . أو لعل الكلمة محرفة عن « لأهوله » أى لأشده هولا ، أو محرفة عن « لأهواله » جمع هول ، ويؤيد هذا قول « بشار » بعد : لايأمن الهول ... الخ]

(٢) كتب « محزون » بحاء مهملة ، ولعله بخاء معجمة ، أى لله مخزون سر يترقب به صاحبه فتكا بأعدائه .

[قلنا : الضمير فى « همومه » يدل على صحة « محزون » بالحاء المهملة ، لأنه يعود عليه ، وكذلك « فياحزنا »] .

(*) وقال أيضاً يشبب بصفراء ، ويتخلص إلى أخلاقه ، ويلوم يحيى بن زيد على قطع خلته ، ويحيى ابن زيد هذا من أظآر حماد عجرد ، وقد هجاه فى جملة من هجا من أنصار حماد فى القصيدة التى أولها : « الله أكبر والصغير صغير » ، وانظر هل هو من بنى زيد الذين قال فيهم القصيدة : شهدت على الزيدى أن نساءه الخ المذكورة فى ترجمته من الأغانى ص ٥١ ج ٣ ، والقصيدة من بحر الطويل .

(٣) [« تصببا » أصله « تتصببا » بمعنى : تنصب وتراق] .

(٤) هذا البيت سبق كله (انظر البيت ٢٣ من الورقة ٤٠) .

[قلنا : يعنى بشار أن رفيقه حين تغنى باسم المحبوبة وجد قلب بشار يخفق خفوقا شديداً ، كأنه طائر يخفق بجناحيه ، وهذا المعنى — الذى يصل خفوق القلب بخفوق الطير — قديم ، وقد ذكره بشار فيما سبق ، فقال (فى ص ١٧٢ من هذه المطبوعة) : وقلب الفتى كالطائر المتقلب .

وقال (فى ص ١٦٢ من هذه المطبوعة) :

فجرت دموعى من تذكر ما مضى   وكأن قلبى فى جناح عقاب

ومعنى تضرب : اضطرب وماج] .

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّ اجْتِنَابَنَا ... رَشَادٌ وَلَكِنْ لاَ نُطِيقُ التَّجَنُّبَا(١)

إِذَا حَنَّ مُشْتَاقٌ حَنَنْتُ عِرَاضَةً ... كَمَا عَارَضَ الْعُودُ الْيَرَاعَ الْمُثَقَّبَا(٢)

وَحَاجَاتِ نَفْسٍ كُنَّ مِنْ دَرَكِ الْهَوَى ... لَقِيتُ بِهَا ضَيْفًا وَلَمْ أَلْقَ مَرْحَبَا

أُقَلِّبُ فِي صَفْرَاءَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... هَوَايَ وَيَأْبَى الْقَلْبُ إِلاَّ تَقَلُّبَا

أُمَرَّ عَلَيَّ الْعَيْشَ يَوْمٌ عَدِمْتُهُ ... وَلاَ أَشْتَهِي لَيْلِي إِذَا مَا تَأَوَّبَا(٣)

فَقُلْ فِي فَتًى سُدَّتْ عَلَيْهِ سَبِيلُهُ ... فَضَاعَ وَقَدْ كَانَ الطَّلُوبَ الْمُطَلَّبَا(٤)

خَطَبْتُ عَلَى حَبْلِ الزَّمَانِ لَعَلَّهُ ... يُسَاعِفُنِي يَوْمًا وَقَدْ كَانَ أَنْكَبَا(٥)

---

(١) قوله : ولكن لانطيق التجنبا أى هذا خلق جميع الناس ، فلذلك أتى بنون الجماعة ، ورواه فى المختار : أن اجتنابها رشاد وأنى لا أطيق ... الخ .

(٢) العراضة (بكسر العين) المعارضة ، أى المقابلة ، يعنى قابلت حنينه بحنينى ، وكتب فى الديوان « حللت » ، بلامين ، والصواب أنه بنونين ، والعود : عود الأوتار ، واليراع المثقب : المزمار .

[قلنا : فى المخطوطة « عراضة » بضم الحاء وتراها صوابا ، والهاء ضمير عائد على « مشتاق » ، ومن المعروف أن « عراضا » هو المصدر القياسى لعارض . كمعارضة ، بخلاف « عراضة »] .

(٣) أى أن يوى جعل عيشى مراً ، فقوله «عدمته» دعاء على اليوم بالذهاب ، وقوله : ولا أشتهى ليلى ، أى لا أحب مجىء الليل ، وهذا كناية عن ضيق حياته ، كقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

ووقع فى الديوان خطأ فى ضبط هذا البيت ، وكتب لفظ القافية فى الديوان «تلوتا» سهواً .

[قلنا : لعل « يوم » محرفة عن « يومى » فذلك أقرب نسباً إلى « ليلى » فى عجز البيت ، وأكثر موافقة لشرح الشارح . وفى المخطوطة ضبطت « يوم » بفتح الميم ، فكأنها مبنية مضافة إلى قوله : « عدمته » . وهذا الضبط هو الذى أشار الشارح إلى أنه خطأ وقع فى نسخة الديوان] .

(٤) حذف مقول القول لظهوره فى مثل هذا المقام ، أى فقل قولك أى رأيك ، فالكلام أمر والمقصود منه الاستفهام .

(٥) المعنى كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها لممارسة أحوال الزمان ، وأنه تمكن منه حتى إنه يخطب على حبل الزمان ، أى زمامه ، إذ قد ذلله وطمع من ذلك أن يصير الزمان مساعفاً له مع علمه بأن الزمان بعير أنكب فى مشيته ميل فلا يساعف راكبه تمام المساعفة ، وروى هذا البيت فى المختار (ص ١١٨) بلفظ « على ظهر الزمان » ولفظ « وإن كان » وهو أوضح .

[قلنا : قد وقع فى المخطوطة بموضع الحرف الأول من كلمة « خطبت » خرق من أثر عثة ، وصورة الحرف أقرب إلى صورة الحاء المهملة المفتوحة ، ولعل الشارح قد اعتمد — فى جعلها خاء معجمة — على ما جاء فى المختار : « خطبت على ظهر الزمان ... » . والذى نراه أولى بسياق البيت أنها « حطبت » بالحاء المهملة ، فيكون معنى « حطبت على حبل الزمان لعله يساعفنى » : « وافقت الزمان وملت إلى هواه ونصرته ، لعله يساعدنى ويميل إلى هواى » ، وذلك قريب مما حكاه الزمخشرى : « إنك لتحطب فى حبله وتميل إلى هواه »] .

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِىَّ غَيْرَ مُخَـــيَّرٍ   هَوَاىَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهَذَّبَا(١)
٥٣ أُرِيدُ فَلاَ أُعْطَى وَأُعْطَى فَلَمْ أُرِدْ   وَقَصَّرَ عِلْمِى أَنْ أَنَالَ المُغَيَّبَا(٢)
وَأُصْرَفُ عَنْ قَصْدِى وحِلْمِىَ مُبْلِغِى   وَأُضْحِى ومَا أَعْقَبْتُ إِلاَّ التَّعَجُّبَا(٣)
وَمَا ٱلْبِرُّ إِلاَّ حُرْمَةٌ إِنْ رَعَيْتَهَـا   رَشَدْتَ وَإِنْ لَمْ تَرْعَهَا كُنْتَ أَخْيَبَا(٤)
أَ « يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ » فِيمَ تَقْطَعُ خُلَّتِى   لَقَدْ خُنْتَ وُدًّا بَلْ تَجَشَّمْتَ مُعْجَبَا(٥)
أَحِينَ أَشَارَتْ بِى الأَكُفُّ مُعِيدَةً   وَحَفَّتْ بِىَ الْحَمْرَاءُ خَرْقًا مُعَصَّبَا(٦)
وَقَامَتْ « عُقَيْلٌ » مِنْ وَرَائِىَ بِالقَنَا   حِفَاظًا وَعَاقَدْتُ الهُمَامَ المُحَجَّبَا(٧)

---

(١) قال فى الأغانى عن أحمد بن خالد قال حدثنى أبى قال : كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه ، فكان يقول : « لا أعرف إلا ماعاينته [أو عاينت مثله] » وطال الكلام بيننا ، فقال لى : ما أظن [الأمر] يا أبا خالد إلا كما تقول وأن الذى نحن فيه خذلان ولذلك أقول : طبعت على ماف غير مخير ... الأبيات الثلاثة .

[قلنا : « أحمد بن خالد » هكذا وقع فى الأغانى فى رواية هذه القصة ، ولعل الصواب « أحمد بن خلاد » فذلك هو المعروف فى رواة الأغانى فى مثل هذا المقام ، وأقرب شاهد يدل على ذلك قصة بشار التى وردت فى الأغانى عقب هذه القصة عن « أحمد بن خلاد بن المبارك قال حدثنى أبى ... »] .

(٢) رواه فى المختار بلفظ « ولم أرد » وبلفظ « ويقصر علمى » وهو أولى مما هنا ، إذ لا موقع للفاء فى قوله « فلم » ولأن قوله « وقصر علمى » لايعطى معنى إلا بتكلف .

(٣) رواه فى الأغانى :

وأصرف عن قصدى وعلمى مقصر   وأمسى ... ... الخ

ورواه فى المختار بلفظ :

... ... وعلمى ثاقب   فأرجع ماأعقبت ... ... الخ

[قلنا : ضبط « أعقبت » فى المختار وبعض نسخ الأغانى بضم الهمزة وكسر القاف ، ولعله أولى]

(٤) « رشد » من بابى نصر وفرح .

(٥) [قلنا : لعل « معجباً » بكسر الجيم ، والمراد : تجشمت أمراً عجباً يحمل على العجب منه]

(٦) الاستفهام إنكار : ليس هذا حين قطعك خلتى ، وقوله : « أشارت بى » عدى فعل « أشار » بالباء ، وحقه أن يعدى بإلى ؛ كأنه قصد قرب لصوق الأكف بذاته من كثرة الإشارة إليه وقوله : «معيدة» أى مكررة الإشارة ، وذلك كناية عن شهرته فى الناس . وقوله « وحفت بى الحمراء » كذا فى الديوان ، والظاهر أنه أراد بالحمراء العجم ، وهم قومه ، وقد أظهر الفخر بهم فى الدولة العباسية لأنهم أنصارها ، وقوله « خرقا » لعله تحريف «حزبا» . و «معصبا» أى يعصب بعضه بعضا ، أى يشد

(٧) « عقيل » مواليه ، وإليهم ينسب ، وهم بنو عقيل (بضم العين) ابن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهم من قيس عيلان من المضرية ، والهمام (بضم الهاء) : السيد والملك وجمعه همام (بكسر الهاء) ، والمحجب : كناية عن الملك ، أراد به المهدى .

تَنَحَّ أبَا فِعْلٍ لِأُمِّكَ حَاجَةٌ ... إِلَيْنَا وَلَا تَشْغَبْ فَمَا كُنْتَ مِشْغَبَا (١)
أَبُوكَ يَهُودِيٌّ وَأُمُّكَ عِلْجَةٌ ... وَأَشْبَهْتَ خِنْزِيرَ السَّوَادِ الْمُسَيَّبَا
وكُنْتَ تَرَى حَرْبِى كَحَرْبِ خَرَائِدٍ ... فُوَاقاً فَلَمَّا رُحْنَ رَاجَعْنَ مُلْعَبَا (٢)
وَهَيْهَاتَ ظَنُّ الجَاهِلِينَ مِنَ امْرِئٍ ... بَعِيدِ الرِّضَى سُقْمٍ عَلَى مَنْ تَحَزَّبَا
أَبَى اللهُ وُدِّى لِلْخَلِيلِ وَقُرْبَهُ ... إِذَا كَانَ خَوَّانَ الأَمَانَةِ نَيْرَبَا (٣)

وقال أيضاً (*) :

غَدَا سَلَفٌ فَأَصْعَدَ « بِالرَّبَابِ » ... وَحَنَّ وَمَا يَحِنُّ إِلَى صِحَابِ (٤)
دَعَا عَبَرَاتِهِ شَجَنٌ تَوَلَّى ... وَشَامَاتٌ عَلَى طَلَلٍ يَبَابِ (٥)
وَأَظْهَرَ صَفْحَةً سُتِرَتْ وَأُخْرَى ... مِنَ الْعَبَرَاتِ تَشْهَدُ بِالتَّبَابِ (٦)
كَأَنَّ الدَّارَ حِينَ خَلَتْ رُسُومٌ ... كَهَذَ الْعَصْبِ أَوْ بَعْضِ الْكِتَابِ (٧)

---

(١) تشغب (بفتح الغين) مضارع شغب ، من بابى منع وفرح ، إذا هيج الشر ، ومشغب : كثير المشاغبة .

(٢) الفواق (بضم الفاء) : أصله ما بين الحلبتين من الوقت ، يقال : سقاه فواقا ، أى غبا ، وأراد به هنا أن يجعل حربه مناوشة مرة يحاربه ومرة يسالمه كحرب الخرائد ، أى ألعب معهن فى صورة المضاربة

(٣) « وقربه » من إضافة المصدر إلى مفعوله ، أى وقربى منه ، والنيرب (بفتح النون) : الشرير الساعى بالنميمة .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بالرباب المكناة بأم بكر وفى الفخر . والقصيدة من الوافر .

(٤) السلف : من تقدمك ، يريد به الذين غدوا (أى سافروا) قبله ، أى فهو ينوى الالتحاق بهم ، وأصعد : ذهب فى الصعداء بالمد وهى العقبة الشاقة ، والعرب تجعل السفر عن الدار صعوداً والرجوع إليها نزولا ، ومنه قول جعفر بن علبة الحارثى اليمنى حين سجن بمكة .

هواى مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثمانى بمكة موثق

وأهل باديتنا يقولون إذا سافروا : طلعت إلى تونس ، فإذا رجعوا قالوا : حدرت ، أو : هبطت .

[فى اللغة : أصعد فى الأرض أو فى البلاد : ذهب وسار ، وفى معاهد التنصيص (فى شرح بيت جعفر بن علبة المذكور ج ١ ص ٤٣) : أصعد أى ذهب فى الأرض وأبعد] .

(٥) كتب « وسامات » بالسين المهملة ، ولا معنى له هنا ، والصواب أنه بالشين المعجمة ، جمع شامة ، وهى العلامة [يباب : خراب] .

(٦) [التباب : الخسارة والهلاك] .

(٧) كتب « كهذا العصب » والعصب : ضرب من البرود ، فتكون الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أجناس العصب ، ويحتمل أن « هذا » تحريف « هذ » وهو القطع ، أى كالعصب المخرق .

إذَا ذُكِرَ الحُبَابُ بِهَا أَضَرَّتْ ... بِهَا عَيْنٌ تَضُرُّ عَلَى الحُبَابِ (١)
دِيَارُ الْحَيِّ بِالرُّكْحِ الْيَمَانِي ... خَرَابٌ ، وَالدِّيَارُ إِلَى خَرَابِ (٢)
رَجَعْنَ صَبَابَةً وَبَعَثْنَ شَوْقاً ... عَلَى مُتَحَلِّبِ الشَّأْنَيْنِ صَابِ (٣)
وَمَا يَبْقَى عَلَى زَمَنٍ مُغَيِّرٍ ... غَدَا حَدَثَانُهُ عَدْوَ الذِّئَابِ؟ (٤)
وَدَهْرُ الْمَرْءِ مُنْقَلِبٌ عَلَيْهِ ... فُنُوناً ، وَالنَّعِيمُ إِلَى انْقِلَابِ (٥)
وَكُلُّ أَخٍ سَيَذْهَبُ عَنْ أَخِيهِ ... وَبَاقٍ مَا تُحِبُّ إِلَى ذَهَابِ
وَلَمَّا فَارَقَتْنَا « أُمُّ بَكْرٍ » ... وَشَطَّتْ غُرْبَةً بَعْدَ اكْتِئَابِ
وَبِتُّ بِحَاجَةٍ فِى الصَّدْرِ مِنْهَا ... تَحَرَّقُ نَارُهَا بَيْنَ الْحِجَابِ (٦)
٥٤ خَطَطْتُ مِثَالَهَا وَجَلَسْتُ أَشْكُو ... إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ عَلَى انْتِحَابِ (٧)

---

(١) الحباب : جمع أحباب الذى هو جمع حابات الذى هو اسم فاعل من حبك (بدون همزة) فهو كالصحاب ، وأضرت بمعنى دنت ، أى نظرت متوسمة ، وهذا كقول زهير : تبصر خليلى ... الخ ، وقوله تضر (بفتح الضاد) أى تعمى ، وقوله تضر لم أقف — فى الأساس واللسان والقاموس والنهاية ومفردات الراغب — على ذكر فعل الضرارة الذى اشتق منه الضرير بمعنى الأعمى ، غير أن مجىء مصدره على فعل فى قوله تعالى : أولى الضرر ، وهم أهل الزمانة والعميان ، يدل على أن فعله من باب فرح ، وهو الذى يقتضيه كونه من أفعال العاهات ، مثل مرض وعمى وعرج ، مضارعه بفتح العين .

[نقول : قد ذكرنا رأينا فى « الحباب » من قبل (ص ١٤٤ وص ٢٠١ من هذه المطبوعة) ، وأشرنا إلى أن الحباب كأنه جمع الحبيب كما يجمع ظريف وكريم وشديد وكليل على ظراف وكرام وشداد وكلال ، أو هو جمع الحب (بكسر الحاء) بمعنى الحبيب ، كما يكون الخف (بكسر الخاء) بمعنى الخفيف ويجمع على الخفاف ، وربما كان المراد بالحباب : الحب (بضم الحاء) ، وقد ذكر اللغويون ذلك المعنى ، وربما ضبط الحباب بضم الحاء فيكون بمعنى الحبيب ، وقد ذكر ذلك اللغويون أيضاً . ثم نقول : لعل كلمة « تضر » تضبط بضم التاء ، فيكون فعلا مبنياً للمجهول ، بمعنى : تصاب بالضرر] .

(٢) الركح (بضم فسكون وبالحاء المهملة) : ركن الجبل .

(٣) الشأنان هما العرقان اللذان يخرج منهما الدمع ، وقوله : « رجعن » أى أعدن ، و « صاب » اسم فاعل من صبا يصبو ، أى مال وأحب .

(٤) « ما » استفهامية للانكار ، أى لا يبقى شىء .

(٥) [« فنونا » : جمع فن ، والمراد به النوع من أنواع الانقلاب ، أو الحال ، أو العناء ، أو الغبن] .

(٦) [فى المخطوطة ضبطت « تحرق » براء مشددة مضمومة ، و « نارها » بكسر الراء ، من إضافة المصدر المبتدأ إلى فاعله ، والمراد بالحجاب — هنا — : حجاب القلب ، وهو لحمة رقيقة تحجب بين الفؤاد والبطن] .

(٧) « خططت مثالها » هو جواب « لما » ، وهذا من مبتكراته ، كما ذكرناه فى المقدمة ، يريد أنه خط صورتها فى الأرض وجلس يشكو إليها مالقى من تباريح الحب .

أُكَلِّمُ لَمْحَةً فِي التُّرْبِ مِنْهَا كَلاَمَ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الْعَذَابِ
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا هُمُومِي وَالشَّكَاةُ إِلَى التُّرَابِ (١)
سَقَى اللهُ الْقِبَابَ بِتَلِّ « عَبْدَى » وَبِالشَّرَفَيْنِ أَيَّامَ الْقِبَابِ (٢)
وَأَيَّاماً لَنَا قَصُرَتْ وَطَالَتْ عَلَى « فُرْعَانَ » نَائِمَةَ الْكِلاَبِ (٣)
لَقَدْ شَطَّ الْمَزَارُ فَبِتُّ صَبًّا يُطَالِعُنِي الْهَوَى مِنْ كُلِّ بَابِ
وَعَهْدِي بِالْفَرَاعِ وَأُمِّ بَكْرٍ ثِقَالِ الرِّدْفِ طَيِّبَةِ الرُّضَابِ (٤)
مِنَ الْمُتَصَيِّدَاتِ بِكُلِّ نَبْلٍ تَسِيلُ إِذَا مَشَتْ سَيْلَ الْحُبَابِ (٥)
مُصَوَّرَةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهَا كَأَنَّ حَدِيثَهَا سُكْرُ الشَّرَابِ (٦)

---

(١) رواه فى المجموعة الأدبية : « أشكو هواها » .

(٢) التل : (بفتح التاء) : الجبل الصغير من الرمل ، و « تل عبدة » قرية من قرى حران ، وبشار جمله بألف التأنيث عوض التاء ، ولعلها لغة فيه ، وقد ذكرنا فى المقدمة أن بشاراً سكن حران مدة ، ومعنى « سقى » أغاثها بالمطر ، فهو فعل متعد إلى مفعولين ينزله العرب منزلة المتعدى إلى مفعول واحد إذا دعوا به لسقيا الديار لظهور المراد ، وقوله « أيام القباب » أى سقاها الله حين كانت بها قباب الأحبة ، والدعاء هنا مسوق مساق التعجب والتذكر ، فلذلك قال : أيام القباب .

(٣) فرعان (بضم الفاء) : موضع ، وقوله « نائمة الكلاب » حال من « أيام » ، أى لم ينبحنا فيها كلاب ، ونوم الكلاب استعارة لغفلة الرقباء ، ومعنى قوله « قصرت » أنها أيام سرور ، لأن أيام السرور تمضى من غير ترقب فيخالها المسرور قصيرة ، وهذا المعنى كثير فى كلام المولدين .

(٤) تقدم « ثقال » فى البيت ١٤ من الورقة ٤٦ ، والرضاب (بضم الراء) : الريق ، وهو من ألفاظ الغزل ، إذ لا يطلق إلا على ريق الحبائب .

[قلنا : ضبط الشارح « أم » و « ثقال » و « طيبة » بكسرات فى آخرها ، وليس فى المخطوطة إلا كسرة « أم » . وربما كانت الكلمات الثلاث مضمومة الأواخر ، والجملة حالية ، والمعنى : عهدى بهذا الموضع فى حال اتصاف « أم بكر » بما ذكر] .

(٥) قوله « بكل نبل » يعنى بنبال كثيرة ، والعرب تستعمل كلمة « كل » فى الكثرة ، قال تعالى : إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، وقال النابغة :

بها كل ذيال وخنساء ترعوى إلى كل رجاف من الرمل فارد

و « الحباب » تقدم فى البيت ٢٥ من الورقة ٤٢ ، وروى فى [أمالى القالى ج ١ س ٨٤ ونقل عنه فى هامش] عيون الأخبار س ٨٢ ج ٤ : من المتصديات لغير سوء .

(٦) « مصورة » يراد به كاملة الصورة فى المحاسن ؛ قال تعالى : فعدلك فى أى صورة ، ورواه فى [أمالى القالى ج ١ س ٨٤ ونقل عنه فى هامش] عيون الأخبار س ٨٢ ج ٤ « منعمة » و « يحار » مضارع حار ، إذا نظر فتعب بصره ، ولا يقال : يحير ، فهو لحن ، ورأيت فى بعض دواوين الأدب هذا البيت بلفظ « تضيق العين عنها » عوض قوله « يحار الطرف فيها » فالمراد الضيق المجازى ، كقولهم : يملأ العين ، أى يعجب إعجابا شديداً ، وفى الحديث : ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، أى لا يقنعه . [وجاء فى الأمالى للقالى : « ... سكر الشباب »] .

لَيَالِيَ لاَ أُعُوجُ عَلَى الْمُنَادِى ... وَلاَ الْعُذَّالِ مِنْ صَمَمِ الشَّبَابِ
وقَائِلَةٍ رَأَتْنِي لاَ أُبَالِي ... جُنُوحَ الْعَاذِلاَتِ إِلَى عِتَابِ :
مَلِلْتَ عِتَابَ أَغْيَدَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَشَرٌّ مَادَعَاكَ إِلَى الْعِتَابِ (١)
إِذَا بَعَثَ الجوابُ عَلَيْكَ حَرْباً ... فَمَالَكَ لاَ تَكُفُّ عَنِ الْجَوَابِ ؟
أَصُونُ عَنِ اللِّئَامِ لُبَابَ وُدِّى ... وأَخْتَصُّ الأَكَارِمَ بِاللُّبَابِ
وَأَىُّ فَتًى مِنَ الْبَوْغَاءِ يُغْنِي ... مَقَامِى فِي الْمُخَاطَبِ والخِطَابِ ؟ (٢)
وَتَجْمَعُ دَعْوَتِى آثَارَ قَوْمِى ... هُمُ الأُسْدُ الْخَوَادِرُ تَحْتَ غَابِ (٣)

---

(١) قوله « وشر ما دعاك إلى العتاب » أراد : شر عظيم ، فالتنوين فيه للتعظيم ، و « ما » دالة على النوعية ، نحو قوله تعالى : إن الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما ، وقالت العرب : بعين ما أرينك ، وفى الإتيان بالمبتدأ نكرة مع كون الخبر فعلا — والفعل يتطلب أن يكون المبتدأ المذكور قبله فاعلا — إشارة إلى أن تقديم ما حقه أن يكون فاعلا هو لقصد الحصر ، كأنه قال : ما دعاك إلى العتاب إلا شر عظيم ، فالتنكير أفاد التعظيم ، والتقديم افاد الحصر ، وهو مثل قول العرب « شر أهر ذا ناب » كما فسره الإمام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز .

(٢) البوغاء (بفتح الباء) الحمق والطاشة من الناس .

[قلنا : فى المخطوطة ضبطت « المخاطب » بكسر الطاء ، ولعل الكلمة جمع مخطب : اسم مكان من « خطب » ، فتكون « المخاطب » بفتح الميم وكسر الطاء ، أى مواضع الخطابة] .

(٣) كتب الخوادر على أنه جمع خادر ، أى مختف ، قال كعب :

من خادر من ليوث الأسد مسكنه ... من بطن عثر غيل دونه غيل

إلا أنه لم يسمع جمعه على فواعل على الشذوذ ، وهو لاينقاس فيه ، فلعله مما حفظه بشار ، ويحتمل أنه تحريف « الحوارد » بحاء مهملة ثم واو فألف فراء فدال مهملة ، جمع حارد على غير قياس مما شذ كقولهم فوارس وعواذل ، والحارد : الغاضب ، وفعله كضرب وسمع ، ومصدره مسكن العين ، قال الأشهب بن رميلة :

أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود

وقيل يجوز تحريكها ، ووصف الأسود بالحوارد مشهور ؛ قال :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما ... بنى حوالى الأسود الحوارد

[قلنا : الذى نراه أن جمع « خادر » على « خوادر » مسموع ، وهو جار على القياس لا الشذوذ ، أما أنه مسموع فنى قول الفرزدق (ص ٣١٤ من ديوانه) :

أخاف من الحجاج سورة مخدر ... ضوارب بالأعناق منه خوادره

وأما أنه جار على القياس بلا شذوذ فلأنه جمع لخادر ، وهو وصف لما لا يعقل وهو الأسد ، وما كان على وزن « فاعل » لوصف غير العاقل يجمع قياساً على « فواعل » ، قال الرضى فى شرح الشافية (ج ٢ ص ١٥٨) مانصه : وإذا كان « فاعل » وصفاً لغير العقلاء جاز جمعه على « فواعل » قياساً ، لإلحاقهم غير العقلاء بالمؤنث فى الجمع ، فيقال : جمال بوازل وأيام مواض . اه ، وبذلك لا نرى وجهاً =

وُلَاةُ العِزِّ والشَّرَفِ المُعَلَّى ... يَرُدُّونَ الفُضُولَ عَلَى المُصَابِ
وَقَوْمٌ يُنْكِرُونَ سَحَابَ قَوْمِى ... رَفَعْنَا فَوْقَهُمْ غُرَّ السَّحَابِ
وَأَبْرَارًا تَعُودُ إِذَا غَضِبْنَا ... بِأَحْلَامٍ رَوَاجِحَ كَالهِضَابِ[1]
وَإِنْ نُسْرِعْ بِمَرْحَمَةٍ لِقَوْمٍ ... فَلَسْنَا بِالسِّرَاعِ إِلَى العِقَابِ[2]
نُرَشِّحُ ظَالِماً وَنَلُمُّ شَعْثَاً ... وَنَرْضَى بِالثَّنَاءِ مِنَ الثَّوَابِ[3]
تَرَانَا حِينَ تَخْتَلِفُ العَوَالِى ... وَقَدْ لَاذَ الأَذِلَّةُ بِالصِّعَابِ[4]
نَقُودُ كَتَائِباً وَنَسُوقُ أُخْرَى ... كَأَنَّ زُهَاءَهُنَّ سَوَادُ لَابِ[5]
إِذَا فَزِعَتْ بِلَادُ بَنِى مَعَدٍّ ... حَمَيْنَاهَا بِأَغْلِمَةٍ غِضَابِ[6]
وَكُلِّ مُتَوَّجٍ بِالشَّيْبِ يَغْدُو ... طَوِيلَ البَاعِ مُنْتَجَعَ الجَنَابِ[7]
مِنَ المُتَضَمِّنِينَ شَبَا المَنَايَا ... يَكُونُ مَقِيلُهُ ظِلَّ العُقَابِ[8]

= لتشبيه الخوادر والحوارد من الليوث بالفوارس من الناس العقلاء فى جعل الجمع على « فواعل » شاذا ، فالرأى أن ما فى المخطوطة وهو « خوادر » صحيح بلا شذوذ] .

(١) [فى المخطوطه : « وأبرار يعود »] ، كذا كتب ، والصواب : « وأبراراً نعود » أى نصير ، يريد أن الغضب لايصيرهم أشراراً ، ويؤيد هذا الإصلاح البيت بعده .

(٢) يريد إذا كنت ترانا سريعين فى المرحمة فلسنا مسرعين إلى العقاب ، فالشرط للمبالغة لا للتعليق ، أى ليست السرعة طيشاً فينا ولـكننا نضع كل شىء فى موضعه .

(٣) [قلنا : لم يستبن لنا وجه المعنى فى قوله : « نرشح ظالماً » فلعل « ظالماً » محرفة عن « ظالعا » . و « الظالع » المائل المعوج فى مشيته ، والترشيح من مدلوله فى اللغة : التقوية على المشى ، فالمعنى فى البيت : أننا نعين المعوج على تقويم مشيته ، وهذا المعنى يناسب ما بعده من قوله : ونلم شعثا] .

(٤) تختلف أى تتجه كل طائفة منها إلى جهة ، وذلك عنـد الطعان بين الفريقين ، يقال اختلفا ضربتين بالسيف ، وهذا كقولهم : تناوحت الرياح ، أى هبت من نواح مختلفة ، والصعاب : جمع صعب أو صعبة ، وهى العقبة المرتفعة ، أى حين يستعصم الخائفون بالمرتفعات خشية العدو .

(٥) اللاب : جمع لابة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، وتجمع على لوب ، ويقال لها : الحرة ، بفتح الحاء وراء مشددة ، ومنه لابتا المدينة حرتاها ، شبه كثرة الجيش من بعيد بسواد الحرة ، لأن وجه الأرض يسود بالأشباح ، [والزهاء : المقدار] .

(٦) [أغلمة : جمع غلام] .

(٧) « منتجع الجناب » بفتح الجيم من « منتجع » ، أى تنتجعه الناس لـكرمه [أى يأتونه طالبين معروفه] ، والجناب : الجهة [والمراد بقوله « طويل الباع » أنه كريم مقتدر] .

(٨) [قلنا : « المتضمنين » من قولهم : تضمن الشىء : اشتمل عليه . والشبا جمع شباة وهى الحد ، والعقاب — هنا — : الراية] .

٥٥ وقال أيضاً(*) :

كُلُّ امْرِئٍ نَصْبٌ لِحَاجَتِهِ ... وَعَلَيْهِ يَحْمِلُ أَوْ لَهُ نَصَبُهْ(١)
فَارْبَعْ عَلَى خُلُقٍ لَهُ خَطَرٌ ... فِي الصَّالِحِينَ يَفُوزُ مُحْتَسِبُهْ(٢)
عِيُّ الشَّرِيفِ يَشِينُ مَنْصِبَهُ ... وَتَرَى الْوَضِيعَ يَزِينُهُ أَدَبُهْ
وَحِرَاثَةُ التَّقْوَى لِمُحْتَرِثٍ ... كَرَمُ الْمَعَادِ وَمَالَهُ حَسَبُهْ(٣)
وَتَنَقُّصُ الْمَوْلَى مَوَالِيَهُ ... عَارٌ يَكُونُ بِوَجْهِهِ نَدَبُهْ(٤)
وَإِذَا نَسِيبُكَ غُلَّ سَاعِدُهُ ... وَنَأَى فَلَيْسَ بِنَافِعٍ نَسَبُهْ
وَمِنَ الْبَلَاءِ أَخٌ جِنَايَتُهُ ... عَلَقٌ بِنَا وَلِغَيْرِنَا نَشَبُهْ(٥)
خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ غَيْرَ مُتْعِبِهِ ... إِنَّ الْجَوَادَ يَؤُودُهُ تَعَبُهْ(٦)
وَاسْتَغْنِ بِالْوَحَيَاتِ عَنْ ذَهَبٍ ... لَمْ يَبْقَ قَبْلَكَ لِامْرِىءٍ ذَهَبُهْ(٧)
يَرِدُ الْحَرِيصُ عَلَى مَتَالِفِهِ ... وَاللَّيْثُ يَبْعَثُ حَتْفَهُ كَلَبُهْ

(*) وقال أيضاً ، وهذه الأبيات تضمنت وصايا وحكما .
وهى من السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف : مستفعلن مستفعلن فعلن مرتين .
[قلنا : الذى نراه أن هذه الأبيات ليست من السريع ، بل هى من الكامل ، وعروضها حذاء ، وضربها مثلها :
متفاعلن متفاعلن متفا ... متفاعلن متفاعلن متفا

(١) النصب (بسكون الصاد) : الشيء المنصوب [والمراد بقوله « نصبه » بفتح الصاد : سعيه وتعبه] .

(٢) [قلنا : اربع — هنا — بمعنى أقم ، والخطر : المنزلة والرفعة] .

(٣) الحراثة هنا بمعنى السعى ، قال تعالى : من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . وقول بشار « وماله حسبه » أى ولا ينفعه هنالك حسب ، وفى حديث مسلم : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

(٤) الندب (بفتحتين) : جمع ندبة (بفتحتين) وهى أثر الجرح على الجسد .

(٥) [علق : متعلقة ، نشبه : ماله] .

(٦) [يؤوده : يثقله ويشق عليه]

(٧) الوحيات (بتحتية بعد الحاء وبفتحات) جمع وحاة ، وهى الكتابة ، وتجمع على وحى .
[قلنا : الذى نراه أن « الوحيات » محرفة عن « الوجبات » ، وهى جمع «الوجبة» بمعنى الأكلة الواحدة فى اليوم ، وفى مثل معنى بيت بشار ماورد فى الحديث : إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ... الخ =

وقال أيضاً(*) :

أَلاَ مَا لِقَلْبِي لاَ يَزُولُ عَنِ الهَوَى ... وقَدْ زَعَمُوا أَنَّ القُلُوبَ تَقَلَّبُ
أ « صَفْرَاءُ » مَالِي فِي المُدَامَةِ سَلْوَةٌ ... فَأَسْلُو وَلاَ فِي الغَانِيَاتِ مُعَقَّبُ
إِذَا لَمْ تَرَ الذُّهْلِيَّ أَنوكَ فالتَمِسْ ... لَهُ نَسَباً غَيْرَ الَّذِي يَتَنَسَّبُ
وأَمَّا بَنُو قَيْسٍ فَإِنَّ نَبِيذَهُمْ ... كَثِيرٌ وَلَكِنْ دِرْهَمُ القَوْمِ كَوْكَبُ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللاَّتِ تَحْتَ غِذَائِهِ ... هِزَبْرٌ وَأَمَّا فِي اللِّقَاءِ فَثَعْلَبُ
وَقَدْ كَانَ فِي « شَيْبَانَ » عِزٌّ فَحَلَّقَتْ ... بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
وَحَيَّا « لُجَيْمٍ » فَوْرَانِ تَنَزَّعَتْ ... شَبَاتَهُمَا لَمْ يَبْقَ نَابٌ ومِخْلَبُ
وَأَنْذَلُ مَنْ يَمْشِي « ضُبَيْعَةُ » إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ
وَ « يَشْكُرُ » خِصْيَانٌ عَلَيْهِمْ غَضَارَةٌ ... وَهَلْ يُدْرِكُ المَجْدَ الخَصِيُّ المُجَبَّبُ
لَقَدْ زَادَ أَشْرَافَ العِرَاقِ « ابْنُ حَاتِمٍ » ... كَمَا سَادَ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ « المُهَلَّبُ »
صَفَتْ لِي يَدُ الفَيَّاضِ « رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ » ... بِمِلْكِ يَدٍ كَالمَاءِ يَصْفُو وَيَعْذُبُ
طَلُوبٌ ومِطْلاَبٌ إِلَيْهِ إِذَا غَدَا ... وَخَيْرُ خَلِيلَيْكَ الطَّلُوبُ المُطَّلَبُ

= وقول الشاعر :

إذا كان لى قوت بيوم وصحة ... فلا حال أرجو بعدها أن أنالها

وقول الآخر :

أرانى وقارونا سويَّين فى الغنى ... إذا كان عندى ما يزجّى به الوقت

(*) وقال أيضاً يهجو بعض قبائل العرب ويمدح بعضها ، ثم مدح روح بن حاتم وهذه الأبيات مذكورة فى أثناء وآخر قصيدة طويلة مدح بها روح بن حاتم أولها :

أصفراء ما فى العيش بعدك مرغب

وهى موزعة بين الورقتين ٨١ — ٨٢ وبين بعض الأبيات هنا وهناك بعض اختلاف ، وسنذكر تعليقها هنالك .

وقال أيضاً(*) :

لَاَ فَجْعَ إِلاَّ كَمَا فُجِعْتُ بِهِ مِنْ فَارِسٍ كَانَ دُونَنَا حَدِبَا(١)
٥٦ يَا صَفْحَهُ عَنْ جَوَابِ جَاهِلِنَا حِلْماً ! وَيَا عِزَّهُ إِذَا غَلَبَا !(٢)
وَيَا قِرَاهُ العَدُوَّ مُرْهَفَةً بِيضاً ! وَيَا لِينَهُ إِذَا صَحِبَا !(٣)
وَيَا جَدَاهُ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ يَوْماً ! وَيَا وَصْلَهُ لِمَنْ قَرُبَا !
لَوْ نَالَ خُلْدًا مِنْ قَبْلِهِ أَحَدٌ مَدَّتْ إِلَى الْخُلْدِ كَفُّهُ سَبَبَا

وقال أيضاً يَرْثِى إبناً له أُصِيبَ به(*) :

أَجَارَتَنَا لاَ تَجْزَعِي وَأَنِيبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطِلِّ نَصِيبِي

(*) وقال أيضاً ، هذه أبيات من قصيدة فى الرثاء .
وهى من بحر المنسرح وعروضها وضربها مطوى : مستفعلن مفعولات مفتعلن .
[وانظر ماذكره الشارح فى مقدمة ديوان بشار (ص ٦٣ من هذه المطبوعة)] .

(١) الحدب (بفتح الحاء وكسر الدال) مبالغة فى الحادب ، من حدب كفرح إذا عطف عليه والتف حوله .

(٢) النداء للتعجب ، أى ما أعجب صفحه ! وما أعجب عزه ! وذلك أن التعجب يجىء بصيغة الاستغاثة بياء وألف فى آخر الاسم المتعجب منه ، نحو قولهم : يا عجبا ويا ماءا ويا عشبا ، وقد تحذف الألف فيبقى كالمنادى .

(٣) القرى (بكسر القاف) طعام الضيف وما يتبعه من الإكرام ، جعل الضرب بالسيف قرى على وجه الاستعارة التهكمية ، لأن العدو ينزل بالقوم وعادة العرب قرى النزيل ، فأبوا أن يتناسوا عادتهم ، فسموا ملاقاتهم العدو بالسيوف قرى ، وأصل هذه الاستعارة لعمرو بن كلثوم إذ قال خطاباً للأعداء .

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

وقال القطامى :

تقريهم لهذميات نقربها ما كان خاط عليهم كل زراد

ونظيره فى التهكم قوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ... الآية ، فجعل العقوبة مثوبة ؛ وقال عمرو بن معديكرب :

تحية بينهم ضرب وجيع

وانظر بيت ٨ من ورقة ٧٦ .

(*) وقال أيضاً يرثى ابناً له أصيب به ، هذا الولد اسمه محمد .

بُنَيَّ عَلَى قَلْبِي وعَيْنِي كَأَنَّهُ ثَوَى رَهْنَ أَحْجَارٍ وجَارَ قَليبِ (١)
كأَنِّي غَرِيبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مُحَمَّدٍ» وَمَا المَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بِغَرِيبِ
صَبَرْتُ عَلَى خَيْرِ الفُتُوِّ رُزِئْتُهُ وَلَوْلاَ اتِّقَاءُ اللهِ طَالَ نَحِيبِي (٢)
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ «مُحَمَّدٍ» لَوْ أَنَّ المَنَايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ
وَمَا جَزَعِي مِنْ زَائِلٍ عَمَّ فَجْعُهُ وَمِنْ وِرْدِ آبَارِي وقَصْدِ شَعِيبِي ؟ (٣)
فَأَصْبَحْتُ أُبْدِي لِلعُيُونِ تَجَلُّدًا وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَئِيبِ !
يُذَكِّرُنِي نَوْحُ الحَمَامِ فِرَاقَهُ وإِرْنَانُ أَبْكَارِ النِّسَاءِ وَثَيِّبِ (٤)
وَلِي كُلَّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ لاَ أُفِيضُهَا لِأَحْظَى بِصَبْرٍ أَوْ بِحَطِّ ذُنُوبِ

= قال أبو الفرج : توفى ابن لبشار فجزع عليه ، فقيل له : أجر قدمته ، وفرط افترطته ، وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرته ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة ، وقال يرثيه : أجارتنا لا تجزعى .... الخ .

والأبيات من بحر الطويل ، وعروضه وضربه محذوفان ، بتصيير مفاعيلن فعولن .

[قلنا : هذه الأبيات من الطويل كما ذكر الشارح . فعروضها مقبوضة لأن الطويل لا يكون إلا كذلك ، وأما الحذف فى البيت الأول فلأجل التصريع] .

(١) فى رواية الأغانى بدل المصراع الأول : بنى على رغمى وسخطى رزئته » وهى الرواية المثلى ، إذ لا معنى لقوله « على قلبى وعينى كأنه » إلا أن يتأول بأن أراد على رغم عينى وقلبى ، لأنه كان يحرسه بهما ، ولا وجه للتشبيه فى قوله « كأنه ثوى » إلا أن يكون قال القصيدة قبل أن يدفن ابنه ، فتكون « كأن للتقريب » كقول النابغة :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

أو يجعل التشبيه من التحير فى المصيبة ، يخال الدفين غير دفين ، كقول بعض العرب (غير معروف) فى رثاء هشام بن المغيرة المخزومى :

فأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام

[قلنا : ربما كانت « كأنه » محرفة عن « مكانه » .

وفى الأغانى بدل المصراع الثانى هكذا :

« وبدل أحجاراً وجال قليب »

والجال : جانب البئر والقبر ، والقليب : القبر العميق .

(٢) [الفتو : جمع الفتى ، انظر ص ١٣٧ من هذه المطبوعة] .

(٣) « ما » استفهام إنكارى ، أى كيف أجزع من الموت وهو غايتى ولا يجزع أحد من ورد آباره ومن قصد شعيبه ، والشعيب : مزادة الماء .

(٤) الإرنان : الصياح .

[قلنا : سبقت كلمة « ثيب » فى شعر « بشار » ، وعلق عليها الشارح . انظر ص ٦٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ من هذه المطبوعة] .

إلَى اللهِ أشْكُو حَاجَةً قَدْ تَقَادَمَتْ   عَلَى حَدَثٍ فِى القَلْبِ غَيْرِ مُرِيبِ
دَعَتْهُ المَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا   فَلِلّٰهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبِ
أظَلُّ لِأحْدَاثِ المَنُونِ مُرَوَّعًا   كَأَنَّ فُؤَادِى فِى جَنَاحِ طَلُوبِ
عَجِبْتُ لِإسْرَاعِ المَنِيَّةِ نَحْوَهُ   وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّيتُهُ بِعَجِيبِ (١)
رُزِئْتُ بُنَيِّى حِينَ أوْرَقَ عُودُهُ   وَأَلْقَى عَلَىَّ الهَمَّ كُلُّ قَرِيبِ (٢)
وَقَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ يَكُونَ «مُحَمَّدٌ»   لَنَا كَافِيًا مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيبِ (٣)
وَكَانَ كَرَيْحَانِ العَرُوسِ بَقَاؤُهُ   ذَوَى بَعْدَ إشْرَاقِ الغُصُونِ وَطِيبِ (٤)
أغَرُّ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ سَمَيْذَعٌ   كَسَيْفِ الُمحَامِى هُزَّ غَيْرَ كَذُوبِ (٥)
غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وَهَجَّرَ رَائِحٌ   عَلَى أثَرِ الغَادِينَ قَوْدَ جَنِيبِ (٦)
وَمَا نَحْنُ إلَّا كَالخَلِيطِ الَّذِى مَضَى   فَرَائِسُ دَهْرٍ مُخْطِئٍ وَمُصِيبِ (٧)
نُؤَمِّلُ عَيْشًا فِى حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ   أضَرَّتْ بِأبْدَانٍ لَنَا وَقُلُوبِ ٥٧

---

(١) قوله « مليته » بضم الميم وياء بعد اللام ، يقال : ملاك الله حبيبك تملية : متعك به .

(٢) فى الأغانى :

أصيب بني حين أورق غصنه   ... ... الخ

(٣) قوله « من فارس وخطيب » تمييز مجرور بمن الزائدة ، ميز كافيا ، ولك أن تجعل « من » متعلقة بكافيا ، أى كافيا من كل فارس وخطيب ، أى يقابل الفرسان ويجيب الخطباء الذين يتطاولون علينا .

(٤) رواه الأغانى :

وكان كريحان العروس تخاله   ذوى بعد إشراق بسر وطيب

وقوله هنا « بعد إشراق الغصون » أى ارتفاعها .

[وفى بعض نسخ الأغانى :

وكان كريحان الغصون تخاله   ذوى بعد إشراق بسر وطيب]

(٥) السميذع (بسين وميم مفتوحتين وياء مثناة ثم ذال معجمة مفتوحة) السيد الشريف .

(٦) الغدو : السير صباحا ، والتهجير : السير فى نصف النهار وقت الهاجرة ، والرائح : الخارج فى المساء ، أى : وبكر رائح على آثار السلف ، يعنى أن الناس متلاحقون فى غمار الموت ، وقوله : « قود جنيب » مصدر منصوب على المفعول المطلق المقصود منه التشبيه ، والتقدير : يقادون متقاربين كما يقاد الفرس الجنيب ، وهو الذى يسير بجنب فرس آخر ويكون متأخراً عنه بقليل .

(٧) الفرائس : جمع فريسة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، التى يفترسها السبع ، ومخطئ ومصيب صفة لدهر ، أى إذا أخطأنا مرة فأصاب غيرنا فسوف يصيبنا [والخليط : المخالط أو المخالطون] .

وما خَيْرُ عَيْشٍ لايَزالُ مُفَجَّعًا بمَوْتِ نَعِيمٍ أوْ فِرَاقِ حَبِيبِ ؟
إذَا شِئْتُ رَاعَتْنِى مُقِيماً وظَاعِنًا مَصَارِعُ شُبَّانٍ لَدَىَّ وشِيبِ

وقال أيضاً(*) :

ألاَ تَتَّقِينَ اللهَ فِى وَصْلِ عَاشِقٍ لَهُ حِينَ يُمْسِى زَفْرَةٌ ونَحِيبُ
تَقَطَّعَ مِنْ أهْلِ القَرَابَةِ وُدُّهُ فَلَيْسَ لَهُ إلاَّ هَوَاكِ نَسِيبُ

وقال يمدح أمير المؤمنين المهْدِي(*) :

لِلّهِ « سَلْمَى » إذْ تُطِيعُ بِنَا الْـوَاشِى وإذْ لاَتطِيعُ مَنْ عَتَبَا
تَدْنُو مَعَ الذِّكْرِ كُلَّمَا نَزَحَتْ حَتَّى أرَى شَخْصَهَا وما اقْتَرَبَا
دَعْ عَنْكَ « سَلْمَى » شَجًا لِطَالِبِهَا لاَ يَسْبِقُ الرَّأْىُ دُونَ مَا كُتِبَا
إنَّ ابنَ سَاقِى الحَجِيجِ يَكْفِيكَ مَا حَلَّ مُقِيماً وَأيَّةً ذَهَبَا
فَتَى قُرَيْشٍ دِينًا وَمَكْرُمَةً وَهَبْتُ وُدِّى لَهُ بِمَا وَهَبَا
أعْطَى مِنَ الصَّمْتِ والوَلاَئِدِ والـمُبْدَانِ حَتَّى حَسِبْتُهُ لَعِبَا
يَزِينُ المِنْبَرَ الأشَمَّ بِعِطْفَيْهِ وأقْوَالِهِ إذَا خَطَبَا
وَتُشْرِقُ الأرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهِ كَأنَّ نُورًا فِى الشَّمْسِ مُجْتَلِبَا

وقال أيضاً(*) :

دَعَاكَ الحُبُّ بِالشَّعْبِ مِنَ الذَّلْفَاءِ بِالقَلْبِ(١)

(*) وقال أيضاً من بحر الطويل .
[نقول : هذان البيتان قد تقدما (فى ص ١٧٩ من هذه المطبوعة) من قصيدة قالها فى عبدة] .
(*) وقال يمدح أمير المؤمنين المهدى .
هذه الأبيات الثمانية ستأتى فى جملة قصيدة طويلة فى مدح المهدى فى الورقة ٧٦ . ويأتى تفسيرها هنالك
(*) وقال أيضاً فى عبدة ، والقصيدة من الهزج .
(١) الذلفاء (بالذال المعجمة) : وصف المرأة ذات الذلف (بالتحريك) وهو صغر الأنف مع استواء الأرنبة ، أى أن يكون صغيراً فى دقة واستواء ، ويسمون النساء بالذلفاء ، والظاهر أنه أراد هنا الوصف لا الاسم ، لقوله بعد : =

نَأَتْهُ وَنَأَى عَنْهـــا ... وَأَبْدَتْ قَالَةَ العُجْبِ(١)
فَقَدْ وَقَّفَنِي الهَجْـــرُ ... مِنَ المَوْتِ عَلَى جَنْبِ(٢)
وَقِــدْمًا ذَاكَ مَازَالَ ... مَحَلَّ اللَّهْوِ فِي القُرْبِ
رَهِينًـــا بالذِى لاَقَيْـ ... ـتُ بَيْنَ الرَّغْبِ والرَّهْبِ
فَرَغْبِي مِنْـــكِ فِي شَغْفِي ... وِمِنْ مَوْتِ الهَوَى رَغْبِي(٣)
لَقَدْ حَارَبَنِي صَبْرِى ... وَمَا سَـــالَمَنِي حُبِّي
فَلاَ يَقْـــرَبُنِي هٰذَا ... وَلاَ هَاذَاكَ مِنْ حِزْبِي
وَمَا أَذْنَسْتُ مِنْ ذَنْبٍ ... سِوَى حُبِّي ، فَمَا ذَنْبِي ؟(٤)
وَنَوْمُ العَـــيْنِ مَمْنُوعٌ ... وَمَاءُ العَيْنِ فِي سَكْبِ
أَلاَ لاَ لاَ أَرَى مِثْـــلِي ... وَمِثْلَ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي(٥)
أُدَنِّيهَا مِنَ الجَدْوَى ... وَتُدْنِينِي مِنَ الـكَرْبِ(٦)

= أما حسبك يا أسمـا ... ء أنى منك فى حسب

ولعل لهذه المرأة اسما ولقبا ، ويجوز أن يكون وقوع أسماء سهواً ، وأنه « ياذلفاء » على أنه سماها فى آخر القصيدة « عبادة » ، فالقصيدة فى عبدة .

[ضبط الشارح « الشعب » بفتح الشين ، ولعل معناه حينئذ : التفرق والتصدع] .

(١) كتب « ونأت عنها » وهو سهو ، والقالة : اسم بمعنى القول ، وفى الحديث : ففشت القالة ، وهى مؤنث القال ، وفى الحديث : « وينهاكم عن قيل وقال » ، وقد ذكروا أن القيل والقال والقالة تختص بالشر ، وأطلق فى بعض الأحاديث لفظ القالة على النميمة ، والظاهر أنها مصوغة على حكاية « قال وقيل » بمعنى الحديث والإخبار ، فصيغ منهما اسمان ، مثل ما صيغ « اللو » للتمنى من حكاية قول المتمنى : لو كان كذا ، وصيغ « الليت » بمعنى التمنى من قول المتمنى : ليت لى كذا ، فقالوا : « كثرة القيل والقال » ، ثم نكروهما فقالوا : قيل وقال ، كما نكر النابغة « الليت » فى قوله : وما يغنى من الحدثان ليت .

(٢) [معنى البيت أن الهجر جعلنى واقفاً بجانب الموت] .

(٣) [قلنا : لعل البيت هكذا :

فرغبى منك فى شــغفى ... ومن موت الهوى رهبى]

(٤) [قلنا : فى المخطوطة : « أذنبت » بدلا من « أذنست » التى فى نسخة الشارح ، وما فى المخطوطة هو الصواب] .

(٥) [تكرير « لا » لتوكيد النفى] .

(٦) [أدنيها : أقربها] .

وَقَدْ قُلْتُ لَهَا سِرًّا　　وَإِعْلاَنًا لَدَى صَحْبِي:

أَمَا حَسْبُكِ يَا أَسْمَا　　ءُ أَنِّي مِنْكِ فِي حَسْبِ (١)

كَفَتْكِ الغَايَةُ الدُّنْيَا　　مَعَ القُصْوَى الَّتِي تُسْكِبِي (٢)

وَفِي أَسْهَلِ مَا يَأْتِي　　بِهِ كَافٍ مِنَ الصَّعْبِ

فَلَمَّا لَمْ أَنَلْ حَظًّا　　بِمَا كَدَّرْتِ مِنْ شِرْبِي (٣)

شَكَوْتُ القَلْبَ وَالذُّلْفَا　　ءَ مَعْ وَجْدِي إِلَى رَبِّي

فَأَصْبَحْتُ بِمَا حَلِّئْتُ　　مِنْ مَشْرَبِيَ العَذْبِ (٤)

كَذِي الطِّبِّ تَعَنَّاهُ　　وَمَا بِالقَلْبِ مِنْ طِبِّ (٥)

وَسَاهِي النَّفْسِ مَحْزُونًا　　يُزَجِّي النَّفْسَ بِالغَلْبِ

وَلَوْ يَسْطِيعُ إِذْ شَطَّتْ　　عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَتْبِ

حَذَاهَا وَجْهَهُ نَعْلاً　　فَلَمْ تَمْشِ عَلَى التُّرْبِ

---

(١) قوله « يا أسماء » لعله سهو ، وصوابه : يا ذلفاء ، لأن القصيدة فى التشبيب بعبدة لا بأسماء

(٢) [تسكبى : تجعلنى كابى الوجه كمد اللون] .

(٣) [لم تضبط فى المخطوطة شين « شربى » ، وضبطها الشارح بالضم ، ولعلها بالكسر ، ومن معانى الشرب (بكسر الشين) : المشروب والنصيب منه والمورد ووقت الشرب] .

(٤) كتب « حليت » بالمهملة ، والصواب أنه بالخاء المعجمة ، أى أصبحت فى ترك خلو بالى من المحبة وفى اتباعى سبيل الحب وتطلبى الحظ عندك ...

[قلنا : الذى نراه أن الصواب ما فى المخطوطة ، وهو « حليت » بضم الحاء المهملة ، وأصله « حلئت » بضم الحاء وتشديد اللام المكسورة وسكون الهمزة وضم التاء ، ومعناه : طردت عن مشربى العذب ومنعت (بالبناء للمجهول فيهن) ، والتحلئة (بالحاء المهملة) هى المناسبة لما فى هذا البيت ، لا التخلية (بالخاء المعجمة) ، لأن التحلئة هى التى تذكر مع المشارب والمناهل ونحوها من سبل الماء ، كقول امرىء القيس : « أتان حلئت عن مناهل » ، وقول إسحاق الموصلى : « محلأ عن سبيل الماء مطرود » . . . ولعل « من » محرفة عن « عن » ، لأن الكثير تعدية حلأ بها ، يقال : حلأه عن الماء ، وقد قال « بشار » : « فحلأه الوارد عن بارد عذب » انظر ص ١٨٧ من هذه المطبوعة] .

(٥) الطب (مثلث الطاء) : علاج الجسم ، وقد حكى بالثلاثة قول الشاعر (من شواهد النحو) :

خليلى هل طب فإنى وأنتما　　وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

والأشهر الكسر فيه ، وأما بالفتح فالأشهر أنه السحر ، والظاهر أنه أراد هنا علاج البدن .

[قلنا : لعل المراد بالطب هنا السحر ، وقد استعمله « بشار » فى هذا المعنى كثيرا . انظر ص ١٨٩ و ١٩٥ من هذه المطبوعة] .

«أَعَبَّادَةُ» مِن حُبِّكِ فِي الأَحْشَاءِ كَاللَّهَبِ
إِذَا اسْتَغْفَيْتُ أَضْنَانِي ضَنَا المَحْمُولِ فِي الخُشُبِ
فَإِنْ حُدِّثْتِ يَوْمًا عَنْ فَتًى مَاتَ مِنَ الحُبِّ
فَقُولِي تَصْدُقِي : ذَا كُمْ صَفِيٌّ مِنْ بَنِي كَعْبِ
لَيَالٍ مِنْكِ أَهْوَاهَا هَوًى فِي الجِدِّ وَاللَّعِبِ
فَمِنْهَا لَيْلَةٌ بِالتَّاجِ أَشْهَتْ لِلْهَوَى لُبِّي (١)

وقال «بشار» أيضاً (*):

يَاصَاحِ لَاتَجْرِ فِي لَوْمِي وَتَأْنِيبِي مَا كُلُّ مَنْ لَمْ يُجِبْ قَوْمًا بِمَغْلُوبِ (٢)
هَبْ لِي انْتِقَاصَكَ عِرْضًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ فَمَا مَتَاعُكَ فِي الدُّنْيَا بِمَرْهُوبِ (٣)
إِنِّي وَإِنْ كَانَ حِلْمِي وَاسِعًا لَهُمُ لَاأَسْتَهِلُّ عَلَى جَارٍ بِشُؤْبُوبِ (٤)

---

(١) التاج : اسم موضع .

(*) وقال بشار أيضا .

أشكلت معانى معظم هذه القصيدة ، وغالب ظنى أنه قصد بها هجاء مقذعا ، ووصف فى خلاله تهتكه وفحشه الذى مس بعرض المهجو فى نسائه ، وأنه سلك فيها طريق الإلغاز والتورية والتوجيه والكناية تستراً ، فلعله أنشأها بعد نهى المهدى إياه عن الفحش بذكر النساء .

وهى من بحر البسيط وعروضها مخبونة وضربها مقطوع .

[قلنا : ليس فى هذه القصيدة مايدل على أنها قيلت بعد نهى المهدى بشارا عن الفحش ، ففيها إفحاش صريح . وكذلك لانرى أن طريق القصيدة إلغاز ، وإنما تكاثرت فى أبياتها الكلمات المحرفة فانغلقت معانيها ، وغم سياقها فى مجموعها] .

(٢) قوله « لاتجر » أى لاتكثر ، فجعل الإكثار فى اللوم كالجرى ، وهو يخاطب من أظهر له أنه عاجز عن جواب هجائه ، فقوله « ياصاح » ترخيم صاحب ، وهو هنا بمعنى المقارع ، كما تقدم فى البيت ٥ من الورقة ٢٩ .

(٣) « هب لى » بمعنى تفضل على واسمح ، قال عمر بن الخطاب : هبونى صمتا ، والمعنى أترك انتقاصك عرضى الموصوف بأنه لاينتقصه أحد ، فقوله « هب لى » تهكم .

(٤) قوله « لهم » يعود إلى « قوم » فى البيت السابق ، ويدخل فيهم المخاطب ، وقوله : لا أستهل ... الخ جملة معطوفة على خبر كان أو مبينة لجملة « كان حلمى واسعا » وأما خبر إنّ فى البيت بعده ، الشؤبوب : المطر الشديد ، والمراد هنا شديد الهجاء ، يعنى وإن استحلوا عرضى لا أهجوهم ، فمعنى كون لحمه واسعا لهم أنهم يسوغونه لأنفسهم ، فاللام فى قوله « لهم » بمعنى « عند » ليصح وقوع « إن » الوصلية هنا ، لأن شأن « إن » الوصلية أن يكون شرطها أولى بالحكم من ضده ، ولو كان لحمه =

طَلَّابُ أَمْرٍ لِهَوْلِ النَّاسِ حُظْوَتُهُ ... عَلَى القُلُوبِ رَكُوبٌ غَيْرُ مَسْلُوبِ (١)
٥٩ كَمْ مِنْ بَدِيعَةِ سُرٍّ قَدْ فَتَكْتُ بِهَا ... فِى لَيْلَةٍ مِثْلِ لُجِّ البَحْرِ يَعْبُوبِ (٢)
مِنْهُنَّ لَيْـــلَةَ بَاتَتْ غَيْرَ نَائِمَةٍ ... حَرْىٌ وحَرْبِ أَخِى الحَنَّانِ عُرْقُوبِ (٣)
بَاتَ القُلَيْفِعُ فِيَا يَبْتَغِى أَجَـــلِى ... وَلَيْسَ مَا ضَافَ مِنْ هَجْرِى بِتَعْيِيبِ (٤)
جَاءَتْ وَجَاءَ السَّجُوجِى من بَنِى وَأْلٍ ... وَالزِّقُّ يَحْدُو وِكَاهَا سَاكِنَ اللُّوبِ (٥)
يَهْفُونَ دُونَ أُكَيْرَاحٍ وَمِثْلُهُمُ ... طِفْلُ الحُسَامِ بِبَابِ المَلْكِ مَغْصُوبِ (٦)

= سائغا لهم لم يكن أولى بحكم لما كدعن هجومهم ، فجملة « وإن كان لحمى واسعالهم » فى موضع الحال ، وجملة لأستهل الخ خبر إن ، ولك أن تجعلها بيانا لجملة كان حلمى واسعالهم وتجعل خبر ان قوله فى البيت بعده : طلاب أمر .

[قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشرح « حلمى » ، ولكن الشارح جرى فى شرح المعنى على أنها « لحمى » وإن كان استعمل كلمة « حلمى » فى مواضع من الشرح ، ولعله سهو] .

(١) قوله « طلاب أمر » هو خبر قوله « إنى » وكتب فى الديوان لهول النــاس حظوته » ولعل صوابه « طلاب أمر يهول الناس خطرته . . » أى يهول الناس تذكره فى القلوب وأنا ركوب لا أسلب أى أهجم على الشعراء بالهجاء فلا يغلبنى أحد .

(٢) كتب فى الديوان « شر » بالشين المعجمة ، ولعلها بالسين المهملة ، ولعل الـكلام تورية بامرأة ، واليعبوب الـكثير الماء الشديد الجرية ، شبه به الليلة فى ظلمته وطوله .

(٣) باتت يعود إلى بديعة ، والحنان اسم لفحل من خيول العرب مشهور ، كذا فى اللسان . و « عرقوب » اسم فرس زيد الفوارس الضبى ، ولعل هذين الفرسين كانا أخوين ، ولعل مراد بشار البناء على قوله « ركوب » فى البيت قبله ، والـكلمة الأولى من المصراع الثانى كتبت « جرى » بجيم وراء بعدها تحتية ، ولعلها حرى لتناسب قوله « وحرب أخى الحنان » ، وضبط « وحرب » بكسر الباء ولم يتضح المعنى فأثبتناه كما كتب ، ولعله أراد الـكناية .

(٤) « القليفع » تصغير قلفع كدرهم وهو مايتشقق من الطين ، وقوله فيا كتب فى الديوان بجيم ، ولعل الصواب فيها أى فى الليلة ، ويبتغى أجلى أى يتقى قتلى . ولعل الـكلام كنايات وتوجيهات ، وضاف نزل ، وينال ضفته أى نزلت عليه ضيفاً ، و « الهجر » وقع بالراء وبفتح الهاء ولعله بالواو أو بضم الهاء .

(٥) « السجوجى » وقع بجيمين ، ولعله اسم نسب إليه من جاءه بالبديعة ، وبنو وأل لم أجدهم فى أسماء قبائل العرب ، فلعلهم فصيلة حدثت ، والزق زق الخمر ، و « كاها » أصله « وكاءها » بالمد ، وهو مايشد على فم الزق ، والظاهر أنه أراد يحدو أن يفتحه المرة بعد المرة ، كما يحدو السـائق البعير ليسرع بالمشى ، و « ساكن اللوب » ساكن الأرض المنبسطة ، والظاهر أن الـكلام توريات .

[قلنا: لعل «السجوجى» محرفة عن «الشجوجى» بفتح الشين والجيمين ، ومعناه الرجل المفرط فى الطول] .

(٦) يهفون يسرعون ، وأكيراح بضم الهمزة موضع ذو بيوت تخرج إليها النصـارى فى أعيادهم ، وهو تصغير أكراح على غير قيـاس ، وأكراح جمع كرح بكسر الـكاف بيت الراهب ، يريد أنهم يسرعون إلى الخمارات ، وطفل الحسام لم يتضح المراد منه ، ولا شك أنه تحريف ، ولعله طول الحسام ، والمعصوب السيف الطويل ، والـكلام كله كنايات .

لَمَّا الْتَقَيْنَا عَلَى مَلْكٍ نُسَاوِرُهُ صَعْبِ الْمَرَامِ كَحَرِّ النَّارِ مَشْبُوبِ
قَالَتْ هَلَكْتَ وَلَمْ أَهْلِكْ ، فَقُلْتُ لَهَا فِي مِثْلِهَا كُنْتُ صَفَّاحَ الْأَعَاجِيبِ
حَاوَلْتُمُ الْعَرْشَ عِنْدِي فِي سَلَاسِلِهِ هَيْهَاتَ رُمْتُمْ قَرِيبًا غَيْرَ مَقْرُوبِ [(١)]
ضَمَّتْ قَنَاتِي عَلَى الْمِيرَاثِ مِنْكُمُ وَالسَّيْلَانَ ذَوَ الْوَجْهَيْنِ يَعْسُوبِ [(٢)]
فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ مَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا رَيَّا الْمَفَاصِلِ مَلْسَاءَ الْأَنَابِيبِ [(٣)]
كَأَنَّمَا دُهِنَتْ دُهْنًا وَقَدْ عُرِكَتْ لَيْلَ التَّمَامِ بِتَغْضِيضٍ وَتَقْلِيبِ
كَأَنَّنِي مِنْ لِقَاهُمْ لَيْلَةَ احْتُضِرُوا مُذَبْذَبٌ بَيْنَ إِصْعَادٍ وَتَصْوِيبِ [(٤)]
يَرْمُونَ قَلْبِي بِأَسْحَارٍ وَأَمْحَقُهَا عَنِّي بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَكْتُوبِ [(٥)]
حَتَّى إِذَا أَشْرَفَتْ نَفْسِي عَلَى طَمَعٍ فَانْتَعْجَلَ الصُّبْحِ أَمْثَالَ الْأَهَابِيبِ [(٦)]
سَحَرْتُ رفا لبعرول فَدَاجَه إِذْ أُلْفَتْ فِيهِ بَيْنَ الشَّاةِ وَالذِّيبِ [(٧)]
وَقَدْ عَطَفْتُ مَكِيحًا بَعْدَ حِيصَتِهِ عَلَى الْوَدِيقِ فَمَا وِتْرٌ بِمَطْلُوبِ [(٨)]

---

(١) يريد أنكم تحاولون منى المستحيل ، وهو أن أعطيكم العرش بسلاسله .

(٢) الظاهر أن الميراث موضع ، والظاهر أن السيلان تحريف شبلان بكسر الشين من قرى البصرة منسوب لشبلة بن عميرة الضبي ذكره ياقوت ، قال : وكان من اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا فى اسم الرجل الذى تنسب إليه القرية ألفا ونونا فيصير ذلك اسم القرية ، وقد سموا قرى كثيرة بهذه الزيادة . وقوله : ذو الوجهين ، لعل صوابه : « وذى الوجهين » وهو السيف الذى له حدان . واليعسوب القوى ، وأصله ذكر النحل .

(٣) الثقاف بكسر الثاء حديدة مستديرة تقطع بها كعوب قناة الرمح ، وريا المفاصل أراد غليظة .

(٤) احتضروا مبنى للنائب عن الفاعل أى احتضرتهم أى نزلت بهم ، فهو من صيغ الافتعال التى لم يقصد منها معنى المطاوعة ، ولذلك صح بناء المجهول منها مثل اضطر الى كذا ، ولولا ذلك لكان معنى المطاوعة ينافى البناء للنائب : والمذبذب كتب بذالين وهو المضطرب ، ولعل صوابه مذبب بذال واحدة بصيغة اسم الفاعل وهو الراكب العجل فى السير .

[قلنا : فى المخطوطة « رقاهم » بدلا من « لقاهم » التى فى نسخة الشارح] .

(٥) لعله قصد أنهم يسحرونه ليبقى على محبة نسائهم .

(٦) الأهابيب جمع أهبوبة مثل أغلوطة وأعجوبة ، وكأنه أراد بالأهبوبة الهبة من الريح ، ولم اعثر عليه فى كتب اللغة ، شبه الصبح فى سرعة انتشار ضيائه بالريح .

(٧) كتب فى الديوان رفالعرول بدون نقط عدا الفاء من الكلمة الأولى . وأراد بالشاة المرأة وبالذيب نفسه .

(٨) كتب فى الديوان « مكيحا » . بميم ثم كاف ، وهذه المادة مفقودة فى اللغة ، فإما أن يكون تحريفا وإما أن يكون من الدخيل أو هى أسماء سحرية .

وَقَدْ خَنَقْتُ مَلِيحًا فِى مَنَازِلِهِ ... حَتَّى اسْتَمَرَّ طَرِيدًا غَيْرَ مَصْحُوبِ (١)
وَقَدْ قَرَعْتُ القَرِينَا إِذْ قَرَعْتُ لَهُ ... بِالعَنْكَبُوتِ وَكَانَ الحُوبُ بِالحُوبِ (٢)
وَقَدْ تَرَكْتُ أَبَا اللَّصَّيْنِ مُعْتَرِضًا ... وَمَا اعْتِرَاضُ ذُبَابٍ طَنَّ مَذْبُوبِ
يَرُوحُ الغَىَّ يَعْبُوبًا لَهُ شَرَفٌ ... وَفِى الرَّشَادِ بَلِيدًا غَيْرَ يَعْبُوبِ (٣)
وَقَدْ عَرَفْتُ عَرِيفًا نَاكَ خَالَتَهُ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ شَيْبًا غَيْرَ مَخْضُوبِ
يَصُبُّ فِى فَلْسِهَا مِنْ مَاءِ فَيْشَتِهِ ... صَبَّ الوَلِيدَةِ فِى المِصْحَاةِ بِالكُوبِ (٤)
وَالعَبْدُ زَوْجُ الرَّوَانِى قَدْ نَفَخْتُ لَهُ ... مِنِّى بِسَجْلٍ ذَنُوبًا غَيْرَ مَشْرُوبِ
يَمْشِى بِأَيْرٍ مَهِيبٍ فِى عَشِيرَتِهِ ... وَمَا الفَتَى بِمَهِيبٍ فِى المَقَانِيبِ
مِمَّنْ يَرُوعُكَ مَطْلُوبًا بِرُؤْيَتِهِ ... وَقَدْ تَرَاهُ مُصِيخًا غَيْرَ مَطْلُوبِ

٦٠ وقال أيضاً (*) :

يَا صَاحِبَىَّ أَعِينَانِى عَلَى طَرَبِ ... قَدْ آبَ لَيْلِى وَلَيْتَ اللَّيْلَ لَمْ يَؤُبِ
نَصِبْتُ وَالشَّوْقُ عَنَّانِى وَنَصَّبَنِى ... إِلَى « سُلَيْمَى » وَرَاعِيهِنَّ فِى نَصَبِ (٥)
فِى القَصْرِ ذِى الشُّرُفَاتِ البِيضِ جَارِيَةٌ ... رَيَّا التَّرَائِبِ وَالأَرْدَافِ وَالقُضُبِ (٦)

---

(١) كتب « مليحا » بلام بعد الم ، ولعله مكيحا مثل الذى قبله .

(٢) « الحوب » الإثم . و « القرينا » بضم القاف ممدوداً اللوبياء وقصره ضرورة .

(٣) اليعبوب الفرس الجواد . وكتب « يروح » ، بحاء ، ولعل صوابه بجيم ، فقوله يعبوباً انتصب على الحال المراد منها التشبيه ، والمعنى أنه يحسن ترويج الباطل ، ويناظر فيه بفطنته ، وهو فى الرشاد بليد

(٤) [المصحاة : إناء يصب فيه الشراب . وكان فى المخطوطة وفى نسخة الشارح : « باللوب » فرددناها إلى « بالكوب » وهى أولى بالسياق . واللوب فى اللغة : الحرة من الأرض ، والعطاش من النخل ، والعطش ، والقطعة من اللحم تدور فى القدر] .

(*) وقال أيضا فى التشبيب بسليمى . والقصيدة من بحر الطويل .
[قلنا : الذى نراه أن القصيدة من البسيط لا من الطويل] .

(٥) الضمير فى قوله « وراعيهن » يعود إلى النساء المفهوم من المقام ، والجملة تذييل ، أى وراعى النساء فى نصب ، وأراد بالراعى هنا اللازم على طريقة الاستعارة .

(٦) قلنا : فى المخطوطة « والقضب » مضبوطة بفتح القاف وبغير ضبط الضاد ، وضبط الشارح القاف بالضم وكذلك ضبط الضاد المعجمة بالضم . ونحن لا نرى أن توصف بالرى والامتلاء قضب المرأة ، والذى نراه أن الكلمة محرفة عن « والقصب » بفتح القاف (كما فى المخطوطة) وبفتح الصاد المهملة (فربما وقعت النقطة على الصاد خطأ) والمراد بالقصب — هنا — : عظام اليدين والرجلين ، وبذلك =

اللهُ أَضْفَى لَهَا وُدِّى وَصَوَّرَهَا   فَضْلاً عَلَى الشَّمْسِ إذْ لاَحَتْ مِنَ الْحُجُبِ
أُحِبُّ فَاهَا وَعَيْنَيْهَا وَمَا عَهِدَتْ   إلىَّ مِنْ عَجَبٍ ، وَيْلِى مِنَ الْعَجَبِ !
دَاءُ الْمُحِبِّ ، وَلَوْ يُشْفَى بِرِيقَتِهَا   كَانَتْ لاَدْوَائِهِ كَالنَّارِ لِلْحَطَبِ (١)
وَنَاكِثٍ بَعْدَ عَهْدٍ كَانَ قَدَّمَهُ   وَكَيْفَ يَنْكُثُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْحَسَبِ ؟
وَاللهِ أَنْفَكُّ أَدْعُوهَا وَأَطْلُبُهَا   حَتَّى أَمُوتَ وَقَدْ أَعْذَرْتُ فِى الطَّلَبِ (٢)
قَدْ قُلْتُ لَمَّا ثَنَتْ عَنِّى بِبَهْجَتِهَا   وَاعْتَادَنِى الشَّوْقُ بِالْوَسْوَاسِ وَالْوَصَبِ :
يَاأَطْيَبَ النَّاسِ أَرْدَانًا وَمُلْتَزَمًا   مُنِّى عَلَىَّ بِيَوْمٍ مِنْكِ وَاحْتَسِبِى (٣)
إنَّ الْمُحِبِّينَ لاَ يَشْفِى سَقَامَهُمَا   إلاَّ التَّلاَقِى فَدَاوِى الْقَلْبَ وَاقْتَرِبِى
كَمْ قُلْتِ لِى عَجَبًا ثُمَّ الْتَوَيْتِ بِهِ   وَلاَ لِمَا قُلْتِ مِنْ رَاسٍ وَلاَ ذَنَبِ (٤)
لاَ تُتْعِبِينِى فَإِنِّى مِنْ حَدِيثِكُمُ   بَعْدَ الصُّدُودِ الَّذِى حُدِّثْتُ فِى تَعَبِ
يَدْعُو إلَى الْمَوْتِ طَيْفٌ لاَ يُؤَرِّقُنِى   وَعَارِضٌ مِنْكِ فِى جِدٍّ وَفِى لَعِبِ (٥)
فَأَلْقِ مُحِبًّا حَمَاهُ النَّوْمَ ذِكْرُكُمُ   كَأَنَّهُ يَوْمَ لاَ يَلْقَاكِ فِى لَهَبِ
قَالَتْ : أَكُلُّ فَتَاةٍ أَنْتَ خَادِعُهَا   بِشِعْرِكَ السَّاحِرِ الْخَلاَّبِ لِلْعُرُبِ (٦)
كَمْ قَدْ نَشِبْتَ بِغَيْرِى ثُمَّ زِغْتَ بِهَا   فَاسْتَحْيِ مِنْ كَذِبٍ لاَخَيْرَ فِى الْكَذِبِ
هَبْنِى لَقِيتُ كَمَا تَلْقَى وَخَامَرَنِى   دَاءٌ كَدَائِكَ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ كَلَبِ

= فسر الزمخشرى قولهم : « امرأة تامة القصب » ، ومن ذاك قول عروة :

فقمن بطيئـاً مشيهن تأودا   على قصب قد ضاق عنه خلاخله

وقول كثير عزة : ويجعل الخلاخل حين تلوى   بأسوقهن فى قصب خدال]

(١) [الأدواء : جمع داء ، والمراد بهذا البيت أن سليمى داء الحب ودواء دائه] .

(٢) « والله أنفك » أى : والله لا أنفك ، وحذف « لا » وجواب القسم شائع ، قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً

(٣) [قلنا : الملتزم — هنا — المعتنق ، أى موضع العناق ، من قولهم : التزمها ، بمعنى عانقها]

(٤) قوله « ولا لما قلت من رأس ولا ذنب » كناية عن الباطل والكذب ، أى لاحقيقة لأوله ولا لآخره ، والمقصود التعميم .

(٥) قوله « لايؤرقنى » لعل صوابه « لايفرقنى » ، لأن المعتاد أن الطيف يؤرق ، قال :

سرى ليلا خيال من سليمى   فأرقنى وأصحابى هجود

(٦) ضبط فى الديوان العرب بفتح العين وفتح الراء ، والأظهر أنه بضمهما جمع عروب .

أَنَّي لَنَا بِكَ أَوْ أَنَّي بِنَا لَـكُمُ ... وَنَحْنُ فى قَيِّمٍ غَيْرَانَ فى نَشَبِ (١)
لاَنَسْتَطِيعُ وَلاَ نُسْطَاعُ مِنْ سَرَفٍ ... فَالصَّفْحُ أَمْثَلُ بِنْ وَصْلٍ عَلَى رُقَبِ (٢)
أَنْتَ الْمُشَهَّرُ فى أَهْلِي وَفى نَفَرِى ... وَدُونَكَ العَيْنُ مِنْ جَارٍ وَمُغْتَرِبِ (٣)
وَلَوْ أُطِيعُكَ فى نَفْسِى مُعَالَجَـــــــةً ... أَنْهَبْتُ عِرْضِى وَمَا عِرْضِى بِمُنْتَهَبِ
فَاحْلُبْ لَبُونَكَ إِبْسَاســـاً وَتَمْرِيَةً ... لاَيَقْطَعُ الدَّرَّ إِلاَّ عِيُّ مُحْتَلِبِ (٤)
إِنَّا وَإِنْ لَمْ تَـكُنْ مِنَّا مُسَـــاعَفَةٌ ... بِمَا هَوِيتَ وَكُنَّا عَنْكَ فى أَشَبِ (٥)
نَهْوَى الحَدِيثَ وَنَسْتَبْقِي مَنَاصِبَنَا ... إِنَّ الصَّحِيحَةَ لاَ تَبْقَي مَعَ الْجَرِبِ (٦)

---

(١) [قلنا . لعل قوله «فى قيم» جار ومجرور متعلق بـ « نشب » ، وقوله « فى نشب » جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ « نحن » ، وقوله « نشب » المراد به — هنا — : مصدر « نشب فيه » إذا تعلق به، والمعنى : ونحن و تعلق بقيم ذى غيرة ، وأما النشب بمعنى المال فسيأتى فى قافية بيت آخر من هذه القصيدة ، وربما كانت «فى» الأولى محرفة عن « من » . أى : نحن من هذا القيم فى تعلق واتصال ، فلا طاقة لنا بوصلك].

(٢) الرقب جمع رقبة ، وهى جماعة الرقباء .
[قلنا : لعل المراد بالصفح هنا : الترك والإعراض . ولم تضبط فى المخطوطة راء « رقب » وضبطها الشارح بالضم ، ونرى أنها بكسر الراء : جمع رقبة (بكسر الراء) وهى التحفظ والفزع] .

(٣) [المشهر : المشتهر عندهم بذكرك إياى واتصالك بى ، والعين . الرقيب المتجسس] .

(٣) الإبساس : قول « بس بس » ، وهو صوت زجر للابل عند نفورها وقت الحلب يتلطفون لها به ويسكنونها ، والتمرية . مصدر مرى مضاعف مرى الناقة يمريها ، بمعنى مسح ضرعها لتدر ، والمعنى مثل للمتلطف فى محاولة اللقاء على غفلة من القيم والعين والرقيب ، وقوله : « لايقطع الدر إلا عى محتلب » العى : العجز عن الشىء ، ومنه عى الـكلام ، والعى يكون فى اللسان وفى الجوارح ، كما فى كتاب البيان للجاحظ ، ومنه قول بشار :

وعى الفعال كعى المقال ... وفى الصمت عى كعى الـكلام

وروى فى المختار « إلا شر » .
قلنا : وقد ذكر التجيبي أن بشارا قد ردد معنى البيت ، فقال (ص ١٦٧ من هذه المطبوعة) :

أحسن مصاحبتنا فإنك مدرك ... بعض الإبانة باصطناع الصاحب
وإذا جفوت قطعت عنك منافعى ... والدر يقطعه جفاء الحالب

وقال (ص ١٦٣ من هذه المطبوعة) :

تعطى الغزيرة درها ، فإذا أبت ... كانت ملامتها على الحلاب]

(٥) « الأشب » تقدم فى البيت ٤ من الورقة ٣٣ ، والمعنى : كنا محجوزين عنك فى موضع كثير الناس لايمكن فيه الخلوة

(٦) [الجرب : الأجرب ، أى أن الإبل الصحيحة لاتبقى مع البعير الأجرب فى مبرك ، لأنها لو بقيت معه جربت ، والمراد أنها تخشى الشهرة والتشنيع على منصبها وشرفها إذا قابلته وساعفته بما يهوى كما يخشى الجرب على الصحيحة إذا لابست مبارك الإبل الجربى ، وانظر قول بشار فى القصيدة الآتية :

قلت : هل بعد ذا تلاق ؟ فقالت : ... كيف تلقى صحيحة بين جرب ؟]

٦١ خَافَتْ عُيُونًا فَخَفَّتْ قَبْلَ حَاجَتِنَا ... وَرَوَّعَتْنَا بِإِعْرَاضٍ وَلَمْ تَصُبِ (١)
فَلَيْسَ لِى عِنْدَهَا حَبْلٌ أَمُتُّ بِهِ ... إِلاَّ المَوَدَّةَ مِنْ نُعْمَى وَلاَ نَشَبِ (٢)
فَقَدْ نَسِيتُ وَقَلْبِى فِى صَبَابَتِهِ ... كَأَنَّهُ عِنْدَهَا حَيْرَانُ فِى سَبَبِ (٣)
قَدْ غِبْتُ عَنْهَا فَمَا رَقَّتْ لِغَيْبَتِنَا ... وَقَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ تَشْهَدْ وَلَمْ تَغِبِ (٤)
أُمْسِى حَزِينًا وَتُمْسِى فِى مَجَاسِدِهَا ... لاَ تَشْتَكِى الحُبَّ فِى عَظْمٍ وَلاَ عَصَبِ (٥)
كَأَنَّهَا حَجَرٌ مِنْ بُعْدِ نَائِلِهَا ... شَطَّتْ عَلَىَّ وَإِنْ نَادَيْتُ لَمْ تُجِبِ

وقال أيضاً (*) :

آبَ لَيْلِى بِعُدَ السُّلُوِّ بِعَتْبِ ... مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ عَيْنِى بِسَكْبِ
لَقِيَتْنِى يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ تَمْشِى ... بِالنَّصَابِى وَبِالْعَنَاءِ لِقَلْبِى (٦)
كَانَ لِى «بَابُ مِقْسَمٍ» بَابَ غَىٍّ ... وَافَقَتْ تَحْبَهُ وَمَا ثَارَ صَحْبِى (٧)
سَاقَطَتْ مَنْطِقًا إِلَىَّ رَخِيمًا ... فَسَبَتْنِى بِهِ وَقَدْ كُنْتُ أُنْبِى
لَمْ يُوَهِّنْ مِنَ المَقَالِ لِسَانِى ... لِجَوَابٍ مُجِيبُهُ غَيْرُ حَرْبِ (٨)

---

(١) أى قالت ذلك ثم خافت عيون الرقباء تخفت فى المشى راجعة قبل أن تقضى الحاجة ، ولم تصب فيما قالته .
[قلنا : فى المخطوطة : « تصب » بفتح التاء وضم الصاد ، ولعلها مضارع « صاب » بمعنى جاء ونزل من على] .

(٢) قوله « من نعمى » صفة لحبل ، وقوله « ولا نشب » عطف على « نعمى » ، والنعمى (بضم النون وبالقصر) بمعنى النعمة ، والنشب : المال .

(٣) [قلنا : لعل « نسيت » بضم النون ، أو محرفة عن « نسبت » بمعنى تغزلت وشببت] .

(٤) [قوله « فلم تشهد ولم تغب » يريد أنها بخلت بشهودها مع قربها] .

(٥) المجاسد تقدم فى البيت ١٠ من من الورقة ٢٥ .

(*) وقال أيضاً فى إحدى حبائبه التى كناها بأم وهب كنية مراداً منها التعمية كما نطق به فى البيت ٩ من الورقة ٦٢ الآتى قبل آخر هذه القصيدة .
والقصيدة من بحر الخفيف .

(٦) [قلنا : هذا البيت قريب من قوله فيما سبق (١٠٨ من هذه المطبوعة) :
« أسقمت ليلة الثلاثاء قلبى »]

(٧) « باب مقسم » يظهر أنه بكسر الميم وفتح السين اسم رجل نسب إليه الباب ، ولعله من أبواب البصرة ، ولم أعثر عليه .
[قلنا : فى المخطوطة : « ثاب » بدل « ثار » التى فى نسخة الشارح] .

(٨) « غير حرب » أى غير محارب ، فهو من الوصف بالمصدر ، يقولون : أحرب أنت أم سلم ؟

قُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَا تَلاقٍ؟ فَقَالَتْ :   كَيْفَ تُدْنِي صَحِيحَةً بَيْنَ جُرْبٍ؟ (١)

مَاتَوَانَتْ حَتَّى اسْتَدَارَ بِي الْحُـــبُّ كَمَا دَارَتِ الرَّحَا فَوْقَ قُطْبِ

عَادَ حُبِّي بِتِلْكَ غَضًّا جَدِيدًا   رَبِّ مَاقَدْ لَقِيتُ مِنْهُنَّ حَسْبِي (٢)

صُورَةُ الشَّمْسِ فِي قِنَاعِ فَتَاةٍ   عَرَضَتْ لِي فَلَيْسَ لِي بِي لُبُّ

لَا تَكُنْ لِي الْحَيَاةُ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي   شَرْبَةٌ مِنْ رُضَابِهَا غَيْرَ غَصْبِ (٣)

خُلِقَتْ وَحْدَهَا فَلَسْتَ بِرَاءٍ   مِثْلَهَا صَاحِ لَا تَصَابِي وَتُصْبِي (٤)

أَيُّهَا النَّاصِحُ الرَّسُولُ إِلَيْهَا   قُلْ لَهَا عَنْ مُتَيَّمِ الْقَلْبِ صَبٍّ : (٥)

حَدِّثِينِي فَأَنْتِ قُرَّةُ عَيْنِي   هَلْ تُحِبِّينَنِي فَهَلْ نِلْتِ حُبِّي (٦)

أَبْهَمَتْ دُونَكِ الْفِجَاجُ فَلَا أَلْـــقَى سَبِيلًا إِلَيْكِ فِي غَيْرِ تُرْبِ (٧)

مَا عَلَى النَّوْمِ لَوْ تَعَرَّضْتِ فِيهِ   فَبَلَوْنَاكِ فِي سِخَابٍ وَإِتْبِ (٨)

أَنَا مِنْ حُبِّكِ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا   أَسْتَطِيعُ السُّلُوَّ عَنْكِ بِطِبِّ

وَلَوَ انَّ الْهَوَى تَزَحْزَحَ عَنِّي   شَيَّعَتْنِي فَيَا فِدَا كُلِّ حَنْبِ (٩)

---

(١) [انظر ماقلناه فى القصيدة السابقة (ص ٢٦٥ من هذه المطبوعة)] .

(٢) [قوله « ماقد لقيت منهن حسبى » مثل قوله فيما سبق (ص ١٨٨ من هذه المطبوعة) :

« وحسبى بما لاقيت من حبها حسبى »]

(٣) [هذا البيت كقوله (ص ١٩٦ من هذه المطبوعة) .

... ...   ياعبد ريقك أشهى لى من الطيب

أهدى لنـا شربة منه نعيش بها   ... ...]

(٤) [خلقت وحدها . . » انظر ماقلناه فى قول بشار (ص ١٧٤ من هذه المطبوعة) :

خلق النساء خلافهـا   ضرباً وليس لها ضريب] .

(٥) كتب فى الديوان « أيها الفاضح » بفاء وضاد معجمة . والصواب « النـاصح » بنون وصاد مهملة .

(٦) كتب « فهل » ولعله « فقد » .

(٧) قوله « فى غير ترب » أى فى غير أن يصورها فى التراب كما تقدم البيت ١ من الورقة ٥٤

(٨) السخاب (ككتاب) : قلادة من قطع طيب كالسك (وهو مجموعة الطيب) والقرنفل والمحلب وعند الخاصة من العنبر ، و « الإتب » تقدم فى البيت ٥ من الورقة ٤٢ .

(٩) انظر معنى النصف الثانى من البيت .

[قلنا : لعل عجز البيت هكذا :

«شيعتنى فيافيا كلُّ جنب »   =

٦٢ فاذْكُريني — ذُكِرْتِ في ظُلّةِ العَرْ ... شِ بِخَيْرٍ — تُفَرِّجي بَعْضَ كَرْبي (١)
ما دَعاني هَواكِ مُنْذُ افْتَرَقْنا ... باشْتِياقٍ إلاَّ نَهَضْتُ أُلَبِّي
أَشْتَهِي قُرْبَكِ المُؤَمَّلَ وَاللَّـ ... ـهِ قَرِيبًا فَهَلْ تَشَهَّيْتِ قُرْبي؟
سَوْفَ أُصْفِي لَكِ المَوَدَّةَ مِنِّي ... ثُمَّ أُعْفِيكِ أَنْ تُراعِي بِذَنْبِ
فَصِلِينِي وِصالَ مِثْلِي وذُوقِي ... لاتَكُونِي ذَوَّاقَةً كُلَّ ضَرْبِ (٢)
لَيْتَ شِعْرِي جَدَدْتِ يَوْمَ الْتَقَيْنا ... أَمْ تَصَدَّيْنَ مَنْ لَقِيتِ بِلِعْبِ (٣)
قَدْ شَكَكْنا فِيما عَهِدْتِ إلَيْنا ... وَظَمِئْنا فَوَجِّهِينا لِشِرْبِ (٤)
لَيْتَنِي قَدْ حَيِيتُ حَتَّى أَراهُ ... في مُحِبٍّ لَكُمْ وفَوْقَ المُحِبِّ (٥)

= والقياء : جمع القيى (مقصوراً ، وربما كان ممدوداً) بمعنى القيف ، وهو من الأرض مختلف الرياح ، والجنب : الناحية ، وربما كان « الجنب » اسم جنس جمعيا ، مفرده : جنبة ، بمعنى الناحية أيضاً ، والمعنى : لو ترحزح الهوى عنى لكنت بين شتى النواحى ومختلف الرياح ، وهذا مثل قول بشار أيضاً (ص ١٩٨ من هذه المطبوعة) :

لو ألاقى من يحمل الشوق عنى ... رحت بين الصبا وبين الجنوب

وربما كان عجز البيت هكذا : « شيعتنى فدافد كلَّ جنب » والفدافد جمع فدفد وهو الفلاة أو الأرض المستوية ، أى : تنقلت فى جوانب الأرض] .

(١) [قلنا : لعل بشاراً يشير فى هـذا البيت إلى ماورد فى الأحاديث النبوية من ذكر الذين يكونون فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله ، قال المناوى فى فيض القدير (ج ٤ ص ٩٠) : ممن ورد أن يكون فى ظل العرش من فرج عن مكروب . . . الخ] .

(٢) قوله : « وصال مثلى » أى وصال من يصافى المودة ويتجنب الإساءة ، وقوله « ذوقى » الياء علامة خطاب المؤنث لفعل الأمر ومفعوله محذوف تقديره : ذوقى مودتى الخالصة لتعرفى الفرق بينى وبين غيرى ممن يظهر المحبة كذباً . الضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء : العسل ، ويقال : ضرب (بالتحريك) والضرب (بالسكون أيضاً) : النوع ، وكلاهما يصح أن يكون مراداً هنا .

[قلنا : فى المخطوطة : « دوى » بدل « ذوق » التى فى نسخة الشارح ، وما فى المخطوطة أولى ، فبشار يريد أن تدوم على حبه لا أن تتنقل ، والأقرب أن يكون المراد بالضرب — هنا — : النوع ، أى لا تكونى ذواقة لكل نوع من الرجال ومواصلاتهم ، واستعمال الذواقة هذا الاستعمال قد ورد فى حديث رواه عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » وجاء فى قول دعبل :

إنى وجدتك فى الهوى ذواقة ... لا تصبرين على طعام واحد] .

(٣) جددت (بفتح الدال الأولى) أى فعلت ، وهو ضد اللعب ، يقال جد يجد ويجد ، واللعب (بكسر اللام وفتحها وسكون العين فيهما) مصدر لعب ، ويقال : لعب (بفتح اللام وكسر العين) وهو مصدر بوزن فعله ، وهو قليل ، ونظيره : ضحك .

(٤) [الشرب (بكسر الشين) : المشرب والمورد] .

(٥) [لعل الضمير فى قوله « وأراه » يعود إلى التوجيه للشرب] .

يَتَفَنَّى إذَا خَلاَ بِاسْمِكِ الحَقِّ ... وَيَكْنِيكِ فِى العِدَى « أُمَّ وَهْبِ »(١)

وَيُفَدِّى سِوَاكِ فِى مَجْلِسِ القَوْ ... مِ وَيَعْنِيكِ بِالتَّفَدِّى وَرَبِّى(٢)

وقال أيضاً(*) :

حَنَّ قَلْبِى إلَى غَزَالٍ رَبِيبِ ... فاعْتَرَانِى لِذَاكَ كَالتَّصْوِيبِ(٣)

كَيْفَ صَبْرِى عَنِ الغَزَالِ وَلَمْ أَلْـ ... ـقَ شِفَاءً مِنَ الغَزَالِ الرَّبِيبِ ؟

مَنَعَ النَّوْمَ ذِكْرُهُ فَتَأَرَّقْـ ... ـتُ لِذِكْرَى مِنْ شَادِنٍ مَخْضُوبِ

لاَ يُعَزَّى الفُؤَادُ عَنْهُ وَلاَ يَقْـ ... ـصُرُ خَطْوِى إلى مُنَاخِ المَشِيبِ(٤)

وَلَقَدْ أَسْأَلُ « المُغِيرَةَ » لمّا ... دَوِيَ القَلْبُ عَنْ دَوَاءِ القُلُوبِ(٥)

فَأَشَارَتْ بِهَا قَرِيبًا وَمَا المَمْـ ... ـنُوعُ عِنْـدِى نَوَالُهُ بِقَرِيبِ

فَصَبَرْتُ الفُؤَادَ حَتَّى إذَا طَا ... لَ بِىَ المُشْتَكَى وَأَعْيَا طَبِيبِى(٦)

وَجَفَانِى الصَّدِيقُ مِنْ يَأْسِ أَنْ أَبْـ ... ـرَأَ وَاعْتَلَّ عَائِدِى مِنْ نَسِيبِى(٧)

---

(١) يقال : كناه وأكناه وكنّاه ، ويتعدى بنفسه وبالباء .

(٢) [« يفدى سواك » أى يقول لسواك « جعلت فدك » أو « بأبى وأمى من يقاربى » كما قال « بشار » نفسه (انظر ص ٢١٧ من هذه المطبوعة)] .

(*) وقال أيضاً فى الغزل بـ « حى » وهى من الخفيف .

(٣) الربيب : الذى يربى فى البيت ، أى غزال أنيس . والتصويب مصدر صوب وتصوب ، إذا انحدر [وتصويب الرأس : خفضه ونكسه كما يكون تصويب الإناء بمعنى خفضه] . يريد أنه اعتراه دوار خفيف.

(٤) قوله « إلى مناخ المشيب » متعلق بيعزى ويقصر المنفيين ، أى إلى حلول المشيب ، وأراد بالمناخ الاستقرار التام ، أى إلى أن يعم رأسى المشيب .

(٥) « المغيرة » هنا اسم امرأة لقوله بعده : فأشارت ، وكتب « من دواء » والصواب « عن دواء » .

(٦) صبرت الفؤاد : أوثقته ، ومنه قيل : قتل فلان صبراً ، أى موثقاً ولم يقتل عن غفلة منه ، وقد نهى عن قتل المصبورة ، واستعاره هنا لحمله على الصبر .

[قلنا : معنى صبرت الفؤاد : حبسته عن الشكوى ، ومنه : « فاصبر نفسك » أى احبسها ، والمشتكَى — هنا — الأمر المشكو منه] .

(٧) قوله « من يأس أن أبرأ » من تعليلة تتعلق بجفانى . وقوله « من نسيبى » من فيه تبعيضية ، أى جفانى العائدون من أقاربى فبالأحرى الأباعد .

جِئْتُ مُسْتَشْفِيًا إِلَيْها لِمَا بِى   وَشِفَاءُ الْمُحِبِّ عِنْدَ الْحَبِيبِ
فَاتَّقِى اللّٰهَ ياحُبَيْبَ وَجُودِى   بِشِفَاءٍ لِعَاشِقٍ مَكْرُوبِ
نَامَ أَصْحَابُهُ وَبَاتَ مُكِبًّا   فِى أَعَاجِيبَ مِنْ هَوَاكِ الْعَجِيبِ
لَيْسَ بِالْمُبْتَغِي سِوَاكِ وَلاَ الْبَا   غِ مِنكُمْ نَصِيبَهُ بِنَصِيبِ
يَقْطَعُ الدَّهْرَ مايُغَيَّبُ عَنْهُ   مِنْ هَوَاكُمْ بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ(١)
لَمْ تَنَمْ عَيْنُهُ وَلَمْ يَزَلِ الدَّمْـ   ـعُ نِظَامًا يَسْتَنُّ فَوْقَ التَّرِيبِ(٢)
مُسْتَهَامًا إِذَا الْجُلُوسُ أَفَاضُوا   فِى حَدِيثٍ أَكَبَّ مِثْلَ الْغَرِيبِ(٣)
لَيْسَ بِالنَّاظِرِ الْجَوَابَ فَيَرْعَى   قَوْلَ حُدَّاثِهِ وَلا بِالْمُجِيبِ(٤) ٦٣
يَنْتَحِى النَّفْسَ فِى هَوَاهَا فَيَرْضَى   مِنْ حَدِيثِ الْجُلُوسِ بِالْمَحْبُوبِ(٥)
نَوِّلِيهِ وَاتْقَىْ إِلَهَكِ فِيـهِ   لَيْسَ مَاقَدْ فَعَلْتِ بِالتَّعْتِيبِ(٦)

---

(١) قوله « ما تغيب » ، « ما » هنا نافية ، وفاعل « يغيب » عائد على الزمان المفهوم من الدهر والجملة معترضة بين الفعل ومتعلقه ، أى ما يغيب عنه وقت من الدهر ، وقوله « من هواكم » من فيه تعليلية متعلق بيقطع ، وقوله « بعبرة » متعلق بيقطع .

[قلنا : الموجود فى المخطوطة ونسخة الشارح من الديوان : ضبط « يغيب » بضم الياء الأولى وفتح الغين وفتح الياء الثانية المشددة ، بالبناء للمفعول ، ولكن ماق الشرح يخالف هذا الضبط . ولعل « من » فى قوله « من هواكم » زائدة كما يرى ذلك بعض العلماء ، ولغيرهم تأويلات فى مثل هذا المقام ، والمعنى : أنه يقطع الدهر بعبرة ونحيب وهو لايغيب عنه هواكم] .

(٢) [يستن : ينصب (انظر ص ١٩٠ من هذه المطبوعة) . التريب : الصدر (ذكر ذلك ابن فارس فى المجمل) .

(٣) [قلنا : هذا البيت مثل قوله فيما سبق (انظر ص ١٧٩ من هذه المطبوعة) :

إذا نطق القوم الجلوس فإننى   أكب كأنى فى هواك غريب]

(٤) الناظر هنا بمعنى المنتظر ، قال ذو الرمة :

وشعث ينظرون إلى بلال   كما نظر العطاش حيا الغمام

فذكر النظر مرتين بمعنى الانتظار ، « وإلى » فى بيت ذى الرمة مفرد الآلاء ، وهى النعمة .

(٥) [« ينتحى النفس » أى يعتمد نفسه بالكلام ويقصدها ، وربما كانت « ينتحى » محرفة عن « ينتجى » بالجيم ، أى يخص نفسه بمناجاته ويستخلصها لسره] .

(٦) اتق (بسكون التاء) أمر من قولهم « تقاه » الثلاثى بدون همزة فى أوله ، وهو بمعنى : اتقاه ، والتعتيب : العتب .

قَدْ أَبَتْ نَفْسُهُ سِوَاكِ وَتَأْبيــنَ سِواهُ بالصَّرْمِ وَالتَّعْذِيبِ[(١)]
لَوْ قَدَرْنا عَلَى رُقَى سِحْرِ « هَارُ تَ » طَلَبْنَا الْوِصَالَ بالتَّخْبِيبِ[(٢)]

وقال أيضاً[(*)] :

طَالَ فى هِنْــدٍ عِتَابى — واشْتِيَــاقِى وطِلاَبى
واخْتِلاَفى كُلَّ يَوْمٍ — بمَواعِيــدَ كِذَابِ[(٣)]
كُلَّمَا جِئْتُ لِوَعْـدٍ — كَانَ تَمْشى فى تبابِ[(٤)]
أخْلَفَتْ حِينَ أُرِيدَتْ — مِثْلَ إخلاَفِ السَّرَابِ
لاَمَنِى فيهــا يَزِيدُ — وجَفَا دُونَ صِحـابى
قُلْتُ لِلاَّئِمِ فيهـا : — غَصَّ مِنْهَا بالشَّرَابِ ![(٥)]
لاَ تُطَاعُ الدَّهْـرَ فِيهَا — قَدْ عَنَــانى بِقرابِ[(٦)]
لَيْتَ مَنْ لاَمَ مُحِبّـا — وَرَمَاهُ بِاعْتِيَــابِ[(٧)]

---

(١) [قلنا : الصرم : القطيعة ، ووقع فى نسخة الشارح « بالصوم » (بالواو) ، والصرم (بالراء) كما فى المخطوطة هو الظاهر هنا ، ومعنى البيت : أن نفسه لا ترضى غيرك وأنك لا ترضين القطيعة والتعذيب لغيره] .

(٢) [قلنا : التحبيب : جعلها تحبه ، ومعنى البيت : أننا لو استطعنا أن نأتى من رقى السحر مايجعلك تحبيننا لطلبنا الوصال بذلك التحبيب . وربما كان « التحبيب » محرفاً عن « التخبيب » (بالخاء) وهو خداعها بالسحر] .

(*) وقال أيضاً فى هند .

والقصيدة من الرمل وعروضها مجزوءة صحيحة وضربها معرّى .

(٣) [الاختلاف — هنا — : مصدر من قولهم : اختلف إلى المكان إذا تردد] .

(٤) [قلنا : لعل « تمسى » محرفة عن « تمشى » بفتح الميم لأنه يناسب « جئت » (انظر ص ١٠٧ من هذه المطبوعة) ، والتباب : الخسران] .

(٥) غص : أمر وهو بفتح الغين لأن مضارع غص يغص بفتح الغين لا غير مع جواز الكسر والفتح فى ماضيه ، تقول غصصت وغصصت ، والكلام دعاء .

(٦) القراب بكسر القاف وضمها قدر الشيء لما حذف هنا مايضاف إليه أطلقه على القدر ولو قليلا

(٧) [قلنا : الاعتياب هنا كأنه من « اعتابه » أى عابه ، ولم نجد هذا فى كتب اللغة المعروفة لنا . وربما كانت الكلمة محرفة ، وصوابها بغين معجمة ، والمعنى بها يستقيم] .

أَرْهَقَتْ هِنْدٌ حَيَاتِى ⠀⠀ مَا لِهِنْدٍ مِنْ مَتَابِ[١]
نَالَهُ اللهُ بِسُقْمٍ ⠀⠀ شَاغِلٍ أَوْ بِعَذَابِ
حَبَلَتْنِى بِمُنَاهَا ⠀⠀ وَرُقَاهَا فَالْخِلَابِ[٢]
كَيْفَ لا يَأْوِى لِشَخْصٍ ⠀⠀ هَائِمِ الْقَلْبِ مُصَابِ[٣]
دَنِفٍ فِى حُبِّ هِنْدٍ ⠀⠀ ذِى شَكَاةٍ وَانْتِحَابِ[٤]
دَخَلَ الْحُبُّ لِهِنْدٍ ⠀⠀ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ بَابِ
لَيْتَ لِى قَوْسًا وَنَبْلاً ⠀⠀ حِينَ تَرْنَا حَبَابِى[٥]
فَأُصِيبَ الْقَلْبَ مِنْهَا ⠀⠀ بِمُحَدَّاتٍ صِيَابِ[٦]

---

(١) وقع هذا البيت إثر البيت « ليت . . . » و بيَّض الكاتب بينهما لأنه لم يجد خبر ليت ثم وضع البيت « ناله ... » بعده ، والصواب أن البيت « ناله ... » هو الموالى للبيت السابق « ليت .. » ويصير البيت « أرهقت . . . » بعدهما .

(٢) حبلتنى (بحاء مهملة ثم موحدة) أى صادتنى بالحبالة ، ومنه قول الأعشى « ومحبول ومحتبل » ، وقوله « فالخلاب » معطوف على مناها ورقاها ، والتعريف فيه عوض عن الإضافة ، أى خلابها [والخلاب : الخداع بلطيف الكلام] .

(٣) كتب « يأوى » بمثناة تحتية فى أوله ، ولعله « تأوى » بمثناة فوقية .

(٤) الشكاة بفتح الشين المرض وأصله اسم للتشكى ، ولما كان المريض يكثر منه تشكى المرض أطلقت الشكاة على المرض .

(٥) لم تتضح الكلمة قربا من آخر البيت .

[قلنا : لعل عجز البيت هكذا : « حين ترمانى حبابى » .

والترماء (بفتح التاء وسكون الراء) : الرمى بالنبال ، وفى اللغة : « راميته بالسهام مراماة ورماء وترماء » . . والحباب (بضم الحاء) : الحبيب ، والمعنى : ليت لى نبلا من نبال الحب أرمى به محبوبتى فأصيبها كما حبلتنى وأصابتنى] .

(٦) « محدات » صفة لموصوف محذوف ، أى سهام محدات ، يقال : حدد السكين أو السهم إذ أشحذها ومسحها بحجر حتى ترهف شفرتها ، وكان القياس أن يقول « محددة » ولكنه عدل عنه إلى تعويض أحد الدالات بألف للتخفيف كراهية اجتماع ثلاثة أمثال ، كما قالوا : تقضى البازى بمعنى تقضض وتمطى بمعنى تمطط ، قيل : ومنه قوله تعالى : وقد خاب من دساها ، وصياب : جمع صائب ، مثل : قيام وصحاب .

[قلنا : الذى نراه أن « محدات » جمع مؤنث سالم ، وليس « محداة » مفرداً فيكون معدولا عن « محددة » بتعويض أحد الدالات ألفاً كما ذكر الشارح ، بل الألف والتاء علامتا جمع المؤنث السالم ، ويدل على كونه جمعا وصفه بالجمع « صياب » وكتابته بالتاء المفتوحة ، والمفرد : محدّ أ « محدة » (بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الدال ، كما فى الجمع) وهو اسم مفعول من قولهم : « أحدّ السكين أو السيف أو السهم » مثل « حدد »] .

مِنْ سِهَامِ الْحُبِّ إِنِّي أَشْتَهِيهَا لِلْحِبَابِ
وَلَقَدْ تَامَتْ فُؤَادِي بِصُدُودٍ وَاجْتِنَابِ
يَوْمَ قَامَتْ تَتَهَادَى بَيْنَ إِتْبٍ وَسِخَابِ(١)
أَمْلَحُ النَّاسِ جَمِيعًا سَافِراً أَوْ فِي نِقَابِ(٢) ٦٤
كَمُلَتْ فِي الْعَيْنِ حُسْنًا وَجَمَالاً فِي الثِّيَابِ
اذْكُرِي لَيْلَةَ نَلْهُو فِي رُعُودٍ وَسَحَابِ
وحَدِيثٍ نَصْطَفِيهِ فِي عَفَافٍ وَتَصَابِي(٣)
ورَسُولاً بَاتَ يَسْرِي فِي هَوَاكُمْ بِالْكِتَابِ(٤)
يُنْذِرُ الْعَاشِقَ حَتَّى نَصَبُوا حَدَّ الْخِرَابِ
مِنْ عَدُوٍّ نَتَّقِيهِ وَبَنِي عَمٍّ غِضَابِ
طَرَقَتْ حُبِّي بِهَمٍّ كَادَ يُنْسِينِي مَآبِي(٥)
واسْتَزَادَتْنِي عَلَى الْهَوْ لِ بِطَاعُونِ الشَّبَابِ(٦)
يَوْمَ قَالَتْ تَحْذَرُ الْعَيْـ ـنَ عَلَى ذَاتِ الْحِجَابِ(٧)
كُنْ غُرَابًا حِينَ تَأْتِي بَيْنَنَا أَوْ كَغُرَابِ(٨)

---

(١) الإتب والسخاب تقدما فى البيت ٢١ من الورقة ٦١ .

(٢) « سافر » وصف للمرأة ، فلا يقترن بهاء التأنيث .

(٣) [قلنا : فى المخطوطة « وحديثاً » بالنصب ، فهو معطوف على « ليلة » ، أى : واذكرى حديثاً ، ولعل هذا العطف بالنصب هو المناسب أيضاً لقوله فى البيت التالى : « ورسولا ... » أى : واذكرى رسولا . التصابى : الميل إلى اللهو واللعب] .

(٤) أى رسولا يبعثه الرقباء إلى أهلها .

(٥) [قلنا : هذا مثل قول بشار فيما يأتى (ص ٢٧٥ من هذه المطبوعة) :

صحوت إلا أن ذكر الهوى   يدعو إلى الشوق فأنسى مآب

وقد قال الشارح هناك : أراد بالمآب يوم القيامة لأنه يوم الرجوع إلى الله] .

(٦) [فى المخطوطة : واسترادتنى (بالراء المهملة)] .

(٧) العين : الرقيب ، وقوله « على ذات الحجاب » متعلق بالعين ، لما فيه من معنى الوصفية ، كقوله:

أسد على وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

(٨) تقول العرب : أحذر من غراب ، يضربونه مثلا فى شدة الحذر ، وقوله « أو كغراب » حشو فى كلام .

حَذَرَ العَـيْنِ فإنَّا لَمْ نَكُنْ أهْلَ مَعَابِ (١)
فَتَحَضَرْتُ بِنَفْسِي نَحْوَهَا دُونَ القِرَابِ (٢)
فَالْتَقَيْنَا بِحَدِيثٍ مِنْ شَكَاةٍ وعِتَابِ
مَنْطِقٌ مِنْهَا وَمِنِّى غَيْرَ تَحْقِيقِ سِبَابِ (٣)
قُلْتُ لَمَّا بَرَّحَتْ بي لَمْ يَكُنْ هَذَا احْتِسَابي
حَيْثُ أزْجُوكُمْ فَسُمْتُمْ زَوْرَكُمْ سَوْطَ عَذَابِ (٤)
لَيْتَنِي قَبْلَ هَوَاكُمْ كُنْتُ فِي بَطْنِ التُّرَابِ
فَبَكَتْ « هِنْدٌ » وَقَالَتْ حِبِّ لاتُنْكِرْ خِطَابي (٥)
غِلْظَةٌ بَعْدَ التَّلَاقِي بَعْدَهَا لِينُ جَوَابِ

وقال أيضاً (*):

نُورُ عَيْنِي أصَبْتِ عَيْنِي بِسَكْبٍ يَوْمَ فَارَقْتِنِي عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ (٦)
كَيْفَ لَمْ تَذْكُرِى المَوَاثِيقَ والعَهْـدَ وَمَا قُلْتِ لِي وقُلْتِ لِصَحْبِي ؟
مَا تَصَبَّرْتُ عَنْ لِقَائِكِ إلاَّ قَلَّ صَبْرِى وَبَاشَرَ المَوْتُ قَلْبِي
لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حُبِّكِ يَاقُرَّ ةَ عَيْنِي أوْ عِشْتُ فِي غَيْرِ حُبِّ
لَيْسَ شَيْءٌ أجَلَّ مِنْ فُرْقَةِ النَّفْـسِ فَحَسْبِي فُجِعْتُ بِالنَّفْسِ حَسْبِي (٧)

---

(١) [المعاب : العيب] .
(٢) [قلنا : القراب هنا : المقاربة ، أى المساس ، أو لعل « القراب » بضم القاف بمعنى القريب ، أو لعله جمع « قريباً » على « قراب » بكسر القاف ، مثل « كرام » ولم تذكر كتب اللغة التى فى أيدينا هذا الجمع] .
(٣) الظاهر أنه أراد بقوله « غير تحقيق سباب » الإعراض عن شتم الرقيب .
(٤) كتب فى الديوان « قسمتم » بقاف ، والصواب أنه بالفاء ، [والزور : الزائر] .
(٥) « حب » بكسر الحاء هو المحبوب ، كالذبح بمعنى المذبوح ، وهو هنا منادى مضاف إلى ياء المتكلم ، حذف حرف النداء ، وحذفت الياء من آخره ، وبقيت الكسرة .
(*) وقال أيضاً فى الغزل ، من بحر الخفيف .
(٦) [« نور عيني » منادى حذفت منه « يا » يخاطب بذلك محبوبته] .
(٧) [جعل فراقه لمحبوبته كأنه فراق لنفسه] .

٦٥ كَيْفَ عَيْشِي وَمَا نَعُودُ كَمَا كُنَّـــا إِلَى اللهِ أَشْتَكِي جَهْـــدَ كَرْبِي
فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ مُعَالَجَـــةِ النَّا سِ جَمِيعًـــا وأَنْتِ هَمِّي وَرَبِّي (١)

وقال أيضاً يمدح الإمام المهدى رحمة الله عليه (*)

أَفْنَيْتُ عُمْرِي وَتَقَضَّى الشَّبَابْ   بَيْنَ الْحُمَيَّا وَالْجَوَارِي الْأَوَابْ (٢)
فَالْآنَ شَـــفَّعْتُ إِمَامَ الْهُدَى   وَرُبَّمَا طِبْتُ لِحُبٍّ وَطَابْ
صَحَوْتُ إِلاَّ أَنَّ ذِكْرَ الْهَوَى   يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ فَأَنْسَى مَآبْ (٣)
لِلَّهِ دَرِّي لاَأَرَى عَاشِـــقًا   إِلاَّ جَرَى دَمْعِي وَطَالَ انْتِحَابْ (٤)
كَأَنَّ قَلْبِي بِبَـــقَايَا الْهَوَى   مُعَلَّقٌ بَيْنَ خَوَافِي عُقَابْ (٥)
يَاحَبَّذَا الْكَأْسُ وَحُورُ الدُّمَى   أَزْمَانَ أَلْهُو وَالْهَوَى لاَيُعَابْ (٦)

---

(١) [« همى » أى مناط اهتمامى ومثار قلق ، ويجوز أن تكون « همى » بمعنى حسبى] .
قوله : « وربى » قسم وليست واو عطف .

(*) وقال أيضاً يمدح الإمام المهدى رحمة الله عليه .

والإمام المهدى هو محمد بن عبد الله المنصور بن على بن عبـد الله بن عباس ، ولد سنة ١٢٧ ، الخليفة العباسى الثالث ، بويع سنة ١٦٧ ، انظر كثيراً من أخباره فى مقدمة الشرح .

القصيدة من بحر السريع عروضها مطوية مكشوفة وضربها مطوى موقوف .

(٢) الأواب : جمع آية ، وهو بوزن فواعل ، حذف منـه الياء تخفيفاً . وحقها أن تثبت مع التعريف ، إذ ليس هنا تنوين يوجب حذف الياء ، إلا أن العرب يتوسعون فى مثل هذا تخفيفاً استغناء بالكسر ، كقوله تعالى : مهطعين إلى الداع ، وفى حديث أم زرع من كلام التاسعة : « قريب البيت من الناد » تعنى النادى » .

[والحميا — هنا — : الخمر وسورتها] .

(٣) « مآب » أصله مآبى ، حذف ياء المتكلم تخفيفاً ، وهو حذف فى مثلها شائع ، قال تعالى : إليه أدعو وإليه متاب ، وكذلك قول بشار فى البيت بعده : « انتحاب » ، وأراد بالمآب يوم القيامة ، لأنه يوم الرجوع إلى الله .

(٤) [الانتحاب : أشد البكاء ، والمراد : انتحابى ، كما قدم الشارح] .

(٥) الخوافى : الريشات التى تخفى إذا ضم الطائر جناحه ، وخصها بالذكر لأنها أشد اضطراباً حين الطيران لقربها من عظم الجناح ، وخص العقاب لأنه أعلى الطير ارتفاعاً فى طيرانه ، فاضطرابه يكون أكثر .

(٦) [الحور : جمع حوراء ، والدمى : جمع دمية ، وهى الصورة المنقشة ، تشبه بها المرأة] .

يَاصَاحِ بَلاَنِي طِلاَبُ الهَوَى ... وَصَرْفُ إِبْرِيقٍ عَلَيْهِ النِّقَابْ (١)
يَوْمَا نَعِيمٍ أَخْلَقَا جِـــدَّتِي ... وَلِمَّةً مِثْــلَ جَنَاحِ الغُرَابْ (٢)
وَاللهِ مَالاَقَيْتُ مِثْـــلَيْهِمَا ... فِي عَامِرِ الأَرْضِ وَلاَ فِي الخَرَابْ
لَهْفِي عَلَى يَوْمِي بِذِي بَاسِمٍ ... وَمَجْلِسٍ بَيْنَ خَلِيجٍ وَغَابْ
يَامَجْلِسًا أَكْرِمْ بِهِ مَجْلِسًـــا ... حُفَّ بِرَيْحَانٍ وَعَيْشٍ مُجَابْ
بِتُّ بِهِ أُسْـــقَى رُهَاوِيَةً ... لَعْبَ سِتٍّ خُلِقَتْ لِلْعِـــابْ (٣)

---

(١) النقاب (بكسر النون) : أصله ماتنتقب به المرأة ، أى تغطى رأسها به ووجهها ، وهو هنا استعارة للفدام وهو غطاء من شاش يجعل على فم الإبريق لتصفى به الخمر .

[قلنا : لعـل الأولى أن تضبط « صرف » بكسر الصاد وبالجر عطفاً على « الهوى » ، والمعنى : أبلانى طلب هذين الأمرين : الهوى والخمر الخـالصة تـكون فى إبريق عليه مصفاة ، وسيعبر عن الحالين وتنعمه فيهما بأنهما « يوما نعيم » ويبين إبلاءهما له بأنهما أبليا جدة شبابه وسواد شعره . ويجوز أن تضبط « صرف » بكسر الصاد وبالرفع عطفاً على « طلاب » ، وأما فتح الصاد فغير ممتنع على تقدير مضاف ، فيكون « صرف إبريق » بالتقدير « صرف خمر إبريق » والمعنى — حينئذ : « شرب خمر إبريق » وفى اللغة : صرف الخمر : شربها] .

(٢) أى هما يوما نعيم ، يعنى يوم طلب المحبوبات ويوم شرب الخمر .

(٣) « الرهاوية » وقع فى الديوان بفتح الراء ، أى الخمر التى تأتى من الرهاء (بفتح الراء وبالمد) وهم حى من مذحج من اليمن ، واليمن بلد أعناب ، وقيل : هو بضم الراء كما ضبطه الجوهرى والجمهور وهو الصحيح ، واللعب (بفتح اللام) اللعاب ، وهو حال من ضمير « أسق » ، أى ألا عبها ، والست : المرأة الشريفة ، كلمة مولدة ، أصله سيدتى ، فخففوه بحذف اليـاء والدال ، فقالوا : ستى ، ثم قالوا : ست بمعنى سيدة ، والجمهور على أنه لحن ، واعتذر عنه البهاء زهير فقال :

يروحى من أسميها بستى ... فينظرنى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحنا ... وكيف وإننى لزهير وقتى
ولـكن غادة ملـكت جهاتى ... فلا لحن إذا ماقلت : ستى

ومن العجب أن صاحب القاموس اعتمد هـذا الاعتذار الشعرى ، فجعله أصلا لغويا ، وتأوله بذلك ، فقال : « وقولهم ستى للمرأة أى ياست جهاتى » وقيل : إن صاحب القاموس تبع ابن الأنبارى إذ تأوله بمثل ماتأوله زهير ، قلت : وإنمـا أراد زهير حسن الاعتذار فحسن ، فلما توهموه سبب الاشتقاق قبح ، ونظير هذا قول أبى الطيب :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنها عمل السيوف عوامل

فهل يقول أحد : إن الجفن سمى جفناً لأن العين تجرح القلب فهى سيف فأغطيتها جفون كجفون السيوف ؟ وقد شبه ريق هذه المرأة بالخمر الرهاوية .

[قلنا : الرأى عندنا أن المقصود « بالرهاوية » فى هذا البيت هو الخمر على حقيقتها ، لا على معنى تشبيه الريق بها ، وقد ردد « بشار » فى هذه القصيدة الجمع بين الخمر والنساء . وأما « لعب » فقد ضبطت فى الديوان بكسر العين ، وهذا يشهد لما نراه من أن الـكلمة محرفة عن « لعيب » على زنة فعيل ، أى : ملاعب ، وقد استعمل « بشار » هذه الـكلمة فى قصيدة سبقت (انظر ص ٢٢٢ من هذه المطبوعة) . =

ثُمَّ غَدَوْنَا وَغَدَا ذَاهِبًـــــا وَكُلُّ عَيْشٍ مُؤْذِنٌ بِالذَّهَابْ
لَهَوْتُ حَـــتَّى رَاعَنِي غَادِيًا صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابْ(١)
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَجَرْتُ الصِّبَا وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَابْ
لاَ نَاكِثًا عَهْدًا وَلاَ طَالِبًا سُخْطَكَ مَا غَنَّى الْحَمَامُ الطَّرَّابْ
أَبْصَرْتُ رُشْدِي وَهَجَرْتُ الْمُنَى وَرُبَّمَا ذَلَّتْ لَهُنَّ الرِّقَابْ
يَاحَامِدَ الْقَوْلِ وَلَمْ يَبْلُهُ سَبَقْتَ بِالسَّيْلِ انْهِلاَلَ السَّحَابْ
الْفِعْـــلُ أَوْلَى بِثَنَاهِ الْفَتَى مَاجَاءَهُ مِنْ خَطَلٍ أَوْ صَوَابْ
دَعْ قَوْلَ وَاهٍ وَانْتَظِرْ فِعْلَهُ يُثْنِي عَلَى اللِّقْحَةِ مَافِي الْعِلاَبْ(٢)
إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِي جُنْـــدِهِ أَوْ رَاحَ فِي آلِ الرَّسُولِ الْغِضَابْ
بَدَالَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِــهِ كَالظَّلْمِ يَجْرِي فِي ثَنَايَا الْكِعَابْ(٣) ٦٦
لاَ كَالْفَتَى الْمَهْدِيُّ فِي رَهْطِهِ ذُو شَيْبَةٍ كَهْلٍ وَلاَ ذُوشَبَابْ(٤)

= وأما «ست» فأكبر الظن أن «بشارا» أراد بها العدد ، أى ست جوار ، وقد ذكر جمعهن فى مطلع هذه القصيدة ، وفى البيت السادس منها . ومن سنة «بشار» أن يذكر لفظ العدد حين يصف مجالسه مع النساء ، انظر قوله (ص ١٨٢ من المطبوعة) :

غدا بثلاث ماينام رقيبها وأبقى ثلاثاً مالهن رقيب

وقوله (فى الورقة ٢٠٢ من المخطوطة) :

ذكرت بها مشى الثلاث فعادنى جديد الهوى والموت فى المتجدد

ومعنى بيت «بشار» على هذا : بت فى المجلس أشرب الخمر ، وألاعب ستا من الجوارى] .

(١) هذا على عادته عندما يذكر المهدى أن يذكر أنه نهاه عن الغواية والباطل كما ذكرناه فى المقدمة

(٢) واه : واعد من وأى بمعنى وعد ، وقد رسم فى الديوان [وأى] بالياء وهو خطأ لأنه يصير مصدرا. وقوله «يثنى على اللقحة مافى العلاب» أرسله مثلا ، واللقحة (بكسر اللام وفتحها) أى يثنى على الناقة المتخذة للحلب حسن لبنها الذى فى العلاب (بكسر العين) جمع علبة (بضم العين) وهى الإناء المتخذ من الجلد ، والمعنى أنه لافائدة فى الثناء على اللقحة بالقول فإن الفعل أدل .

(٣) الظلم (بفتح الظاء المعجمة) : لمعان الثغر وبريقه ، والمقصود من التشبيه تحسين المشبه .

[قلنا : لم تضبط فى المخطوطة كاف «كعاب» وضبطها الشارح بالكسر ، والمعروف أنها بالفتح المفردة ، وروى عن ثعلب : كعاب بكسر الكاف كاعبٌ . انظر التاج] .

(٤) «لا كالفتى» خبر مقدم ، و «ذو شيبة» مبتدأ ، والكاف بمعنى مثل ، كقولهم : ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان .

[قلنا : ضبطت «كهل» فى المخطوطة ونسخة الشارح بالجر ، والظاهر عندنا أنها بالرفع فتكون نعتاً لـ «ذو»] .

لاَ يُحْسِنُ الفُحْشَ وَيَنْكِي العِدَى ... وَيَعْتَرِيهِ الجُودُ مِنْ كُلِّ بابْ[(١)]
ضَرَّابُ أعْنَاقٍ وَفَكَّاكُهَا ... فى مَجْلِسِ المُلْكِ وَظِلِّ العُقَابْ[(٢)]
فى صَدْرِهِ حِلْمٌ وَفى دِرْعِهِ ... مُظَفَّرُ الحَزْمِ كَرِيمُ المَآبْ
تَرَى حِجَاباً دُونَهُ هَائِلاً ... وَالرَّوْحُ والأمْنُ وَرَاءَ الحِجَابْ
جَرَى اللَّهَامِيمِ عَلَى إثْرِهِ ... جَرْىَ البَرَاذِينِ خِلافَ العِرَابْ[(٣)]

وقال أيضاً يمدح داود بن حاتم (*) :

مَارَدَّ سَلْوَتَهُ إلَى إطْرَابِهِ ... حَتَّى ارْعَوَى وَحَدَا الصِّبَا بِرِكَابِهِ[(٤)]

---

(١) ينكى : مضارع نكى (بالقصر) أى يصيب بأسه من قتل وجرح .

(٢) ظل العقاب : ظل الراية ؛ أراد راية الحرب . [قلنا : انظر ما كتبناه فى ص ٢٥١ من هذه المطبوعة] .

(٣) اللهاميم : جمع لهميم ، وهو السابق الجواد ، والبراذين : جمع برذون ، وهو الخيل ماليس بعربى ، والعراب : الخيل العربية ، وهى أفره الخيل ، وخلاف : بمعنى وراء لغة فى « خلف » والمعنى : أن الأشراف والملوك لايدانونه فى صفاته كما لاتدانى البراذين العراب إذا جرت خلفها ، أخذه من قول النابغة :

سبقت الرجال الباهشين إلى العلا ... كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

(*) وقال أيضاً يمدح داود بن حاتم .

يحتمل أنه داود بن يزيد بن حاتم ، وقد مرت ترجمته فى الورقة ١٣ ، وهذا هو الأرجح ، ويحتمل أنه داود بن روح بن حاتم ، وستأتى ترجمة أبيه فى الورقة ٧٩ ، وهو ابن عم الأول ، وكان من أشراف بغداد ، واتهم بالزندقة مع جماعة منهم إسماعيل بن مجالد ، كما فى المقدمة ، وقد مدح بشار داود هذا فى بعض مدائح أبيه ، كما فى الأبيات ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من الورقة ٨١ .

والقصيدة من بحر الكامل . وهذه القصيدة من غرر قصائده وأكثرها تفنناً .

(٤) الضمائر الغائبة عائدة إلى معلوم من السياق ، وهو نفس المتكلم ، فهذا من التجريد ، ووقع فى الديوان « حين ارعوى » ، والصواب « حتى ارعوى » ، إذ لايستقيم « حين » مع بقية البيت والبيت بعده ، والمعنى : أنه سلط السلو على ما كان يجده من الإطراب (أى ألم المحبة) ثم لم يلبث أن ارعوى عن ذلك السلو وصار يسوق ركاب الصبا ، فالصبا مفعول حدا ، أى ساق ركاب الصبا ، أى اتبع الصبا وشئونه وجعل للصبا ركاباً ، كقول زهير :

وَعُرِّىَ أفراس الصبا ورواحله

والمقصود من النفى والغاية تقصير مدة السلو ، كقولهم : ماسلم حتى ودع ، تمثيل . شبه تهيج الشوق إلى محبوبه وتطلب نفسه قرب حبيبه بركب يسير إلى مقصود يحدوه الصبا ليزيده إسراعاً إلى المقصود ، وهذا تمثيل بديع ، والباء زائدة للتأكيد ، يقال : حداه وحدا به ، والحداء (بضم الحاء وكسرها) هو شىء من الرجز يترنم به سائق الرواحل ، لأن الإبل تسرع السير إذا سمعت الصوت الحسن يقال حدا يحدو حَدْواً وحُدَاء .

إنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ الجُنُونُ فَإِنَّمَا　　لَعِبَ الرُّقَاةُ بِقَلْبِهِ أَوْمَا بِهِ (١)
أَإِلَى « عُبَيْدَةَ » شَوْقُهُ وَنِزَاعُهُ ؟　　إِنَّ المُحِبَّ مُعَــذَّبٌ بِحِبَابِهِ (٢)
مَازَالَ مُذْ زَالَ الغَزَالُ مُنَقِّبًا　　بِطَرِيفَةٍ مِنْ عَيْنِــهِ وَنِقَابِهِ (٣)
رِيمٌ تَعَرَّضَ كَالبُرُودِ لِرَأْيِهِ　　فَصَبَا وَوَكَّلَهُ الصِّبَا بِطِلَابِهِ (٤)
عَرَضَتْ لَهُ بِجَمَالِهَا وَدَلَالِهَا　　عِنْدَ المَثَابِ فَحِيلَ دُونَ مَثَابِهِ (٥)
تَغْدُو لَهُ العَبَرَاتُ عِنْدَ غُدُوِّهِ　　وَتَؤُوبُهُ الزَّفَرَاتُ عِنْدَ إِيَابِهِ (٦)
إِنْ قِيلَ : مَنْ حَلَبَ الصِّبَا الفُؤَادَ ؟　　فَاذْكُرْ عُبَيْدَةَ لَيْسَ مِنْ حُلَابِهِ (٧)

---

(١) الرقاة : جمع راق ، وهو الذى يقول كلمات الرقية ، والرقية : كل كلام يقصــد منه تسخير النفس إلى أمر ، والمراد هنا السحرة ، وقد يسمى السحر رقية . قال جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه　　وقد كان شيطانى من الجن راقيا

وقوله « أو ما به » أى ماق قلبه ، إذ غيروا خواطر سلوانه إلى خواطر الغرام .

(٢) الحباب بكسر الحاء هنا : الحب . قال أبو عطاء :

أداء عرانى من حبابك أم سحر ؟

[قلنا : ومن المحتمل أن يكون المقصود بالحباب (بضم الحاء) : المحبوب] .

(٣) المنقب : الباحث ، والطريفة : الشىء المستطرف ، أى المستحسن ، ومنه طريفة المــال . والنقاب : ماتنتقب به المرأة ، أى تستر به وجهها ، أى لم يزل باحثاً عن محاسن هــذا الغزال من وقت زواله ، فزال الأولى ناقصة التى مضارعها يزال ، والثانية فعــل بمعنى انتقل الذى مضارعه يزول ، والباء فى قوله « بطريفة » بمعنى عن ، وقوله « من عينه ونقابه » بيان لطريفة .

(٤) شبهها بريم ، وقد مضى فى البيت ١٢ من الورقة ٤٣ ، وكتب « كالبرود » ، ولعله « فى البرود » ، جعله تجريداً للاستعارة ، كقول طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المردشادن　　مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجــد

والرأى : النظر ، والضمير الذى أضيف إليه عائد على ماعادت عليه ضمائر « سلوته » و « إطرابه » وما بعدها ، وكذلك ضمائر « صبا » و « وكله » ، وأما ضمير طلابه فعائد إلى الريم ، ولم يعبأ بشار بتشابه الضمائر لظهور عود كل إلى مايصلح له ، كقوله تعالى : وعمروها أكثر مما عمروها .

(٥) المثاب : المحل الذى يثوب إليه ، أى يرجع ، والدلال (بفتح الدال) : جراءة من المرأة على محبها تماكسه وتخالفه وتفعل ماينهاها عنــه لشدة ثقتها بحبه إياها ، وقوله « فحيل » كتب بالدال ، وهو لايصح ، لأن حاد لاتتعلق « دون » بمعناه ، والصواب أنه باللام ، أى حائل دون رجوعه .

(٦) [تؤوبه : تجيئه] .

(٧) كتبت « ليس من حلابه » : أى فاذكر نفى ذلك عنها تعمية على الرقباء وعلى أهلها ، فقوله : فاذكر عبيدة ، إى فتحدث عنها بمضمون هــذه الجملة ، كقوله تعالى : قالوا سمعنا فتى يذكرهم . ويحتمل أن « ليس » تحريف ، وأن الصواب « فهى » .

[قلنا : فى المخطوطة « جلابه » بالجيم ، وهو صحيح المعنى ، ويناسبه أن يكون « جلب » بالجيم أيضاً] .

شَــخْصٌ بِرُؤْيَتِهِ مُنَاهُ وَهَمُّهُ   وَحَدِيثُهُ فِى جِــدِّهِ وَلِعَابِهِ

أَنِّى أَرُومُ بِهِ السُّلُوَّ وَلَمْ أَزَلْ   بِخَيَالِهِ أُرْقَى وَطِيبِ ثِيَابِهِ ؟ (١)

لَوْ مُتُّ ثُمَّ سَقَيْتَنِى بِرُضَابِهِ   رَجَعَتْ حَيَاةُ جَنَازَتِى بِرُضَابِهِ (٢)

إِنْ خُطَّ قَـبْرِى نَائِياً عَنْ بَيْتِهِ   فَاجْعَلْ حَنُوطِى مِنْ دُقَاقِ تُرَابِهِ (٣)

سَــقْياً لَهُ وَلِمُدْخَلٍ أَدْخَلْتُهُ   يَوْمَ الْخَمِيسِ عَلَيْهِ فِى أَتْرَابِهِ

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْجَرِىِّ يَقُولُ لِى   لَمَّا بَدَا فِى حَلْيِهِ وَخِضَابِهِ : (٤)

أَهُوَ الْحَبِيبُ بَدَا لِعَيْنِكَ أَمْ دَنَتْ   شَمْسُ النَّهَارِ إِلَيْكَ فِى جِلْبَابِهِ ؟

فُزْنَا بِمَجْلِسِنَا فَيَالَكَ مَجْلِساً   قَصَرَ النَّهَارَ وَصَاحِبِى أَزْرَى بِهِ (٥)

نَصِلُ الْحَدِيثَ إِذَا أَمِنَّا عَيْنَهُ   عُجْباً بِهِ وَنَرُوحُ مِنْ عُيَّابِهِ (٦)

---

(١) قلنا : كتبت « أرق » فى المخطوطة « أرقا » بالألف وضبطت بضم الهمزة وسكون الراء كما ضبط الشارح ، ويحتمل أن تضبط « أرقا » بفتح الهمزة وكسر الراء أو سكونها ، بمعنى : سهران] .

(٢) الجنازة (بفتح الجيم) : الميت ، وبكسرها : السرير الذى يكون عليه ميت ، وقيل : هما مترادفان .

(٣) الدقاق (بضم الدال) : الفتات من كل شىء والمكسر من الأعواد .

(٤) [قلنا : كتب « الجرى » فى المخطوطة بياء مشددة ليس بعدها همزة ، وكتب فى نسخة الشارح « الجرىء » بياء مد بعدها همزة ، والذى نراه صحة مافى المخطوطة ، وقد ذكر اللغويون فى معنى الجرى (بتشديد الياء) أنه الوكيل والرسول الجارى فى الأمر والأجير والخادم ، وسيذكر بشار (فى الورقة ١٧٨) مايبين أنه يعنى بالجرى قائده فى قوله :

فأتيتهن مع الجرىّ يقودنى   طرباً ، وبالك قائداً ومقوداً

(وانظر مقدمة الشارح للديوان ص ١١ من هذه المطبوعة) .

والضمير فى قوله : « « بدا » و « حليه » و « خطابه » راجع الى الحبيب] .

(٥) كتب « أزرى » ولعله « أدرى » .

[قلنا : الذى نراه أن « أزرى » الذى فى المخطوطة هو اللائق بهذا المقام ، يصف بشار حبيبه بأنه أزرى بالنهار إذ غلب بنوره نوره وكسف شمسه ، وذلك هو المناسب — مع الترقى فى التشبيه — لقوله فى البيت السابق : « دنت شمس النهار إليك فى جلبابه »] .

(٦) « عينه » أى رقيبه ، أى كنا فى خلوة ، وقوله « عجباً به » أى تحدثنا بمحاسنه ، وقوله ونروح من [عيابه : أى من] عياب الرقيب ، ففيه تشابه الضمائر على قصد توزيعها كما تقدم .

[قلنا : ربما كان الضمير فى قوله « عيابه » عائداً إلى الحبيب أيضاً ، والمعنى : أننا بعد تحدثنا بمحاسن الحبيب فى خلوتنا نعيبه فى رواحنا أمام الناس والعيون] .

٦٧

وَ «رَبَابُ» تَرْمُقُ مَنْ أَلَمَّ بِعَيْنِهَا ... سَلِمَتْ مِنَ الأَقْذَاءِ عَيْنُ رَبَابِهِ (١)
حَتَّى إِذَا انْخَرَقَ الصَّفَاءُ بِمَنْطِقٍ ... بَلَغَ العِتَابَ وَكَانَ دُونَ عِتَابِهِ (٢)
قَالَتْ : «كُتَامَةُ» دَاخِلٌ وَكَأَنَّمَا ... بَعَثَتْ لَهُ ابْنَ مُقَدَّمٍ بِعَذَابِهِ (٣)
قَدْ كَانَ يُشْفِقُ مِنْ تَقَاصُرِ يَوْمِهِ ... فِى بَيْتِهِ وَكُتَامَةَ المُنْتَابِهِ (٤)
شُحًّا عَلَيْهِ وَرَهْبَةً مِنْ يَوْمِهِ ... فَالآنَ أَصْبَحَ مُوقِنًا بِذَهَابِهِ (٥)
وَلَقَدْ أَقُولُ لِشَامِتٍ بِفِرَاقِهِ ... مَلِقِ الحَدِيثِ إِذَا غَدَا كَذَّابِهِ : (٦)
سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا غَدَوْتَ لِحَاجَةٍ ... وَاتْرُكْ مَسَاخِطَهُ إِلَى إِعْتَابِهِ (٧)
فَلَقَدْ أُسَوِّى لِلضَّغَائِنِ مِثْلَهَا ... وَأَصِي البَغِيضَ وَلَسْتُ بِالهَيَّابِهِ (٨)

---

(١) رباب (بفتح الراء) : علم منقول من اسم جمع ربابة ، وهى السحابة البيضاء ، وأراد بها هنا إحدى صواحب عبيدة . وقوله « بعينها » متعلق بترمق ، وقوله « ربابه » أضاف اسمها إلى ضميره إضافة تحبيب ، كقول توبة :

ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٢) [فى المخطوطة : « الصَّفَا بمُنَطَّق » وهو ذو النطاق : وقد يكون هو المراد .]

(٣) كتامة بضم الكاف اسم الرقيب الذى دخل عليهن ، وابن مقدم اسم صاحب البيت الذى وقعت به الزيارة ، وضمير عذابه راجع إلى مارجع إليه ضمير ربابه ، ولعل هذا الشخص فرح قبل دخول كتامة ، فجعله كالمبعوث لجلب كتامة ، وابن مقدم اشتقه من الفدام ، وهو شىء يوضع على فم السقاء ليصفيه ، والمناسبة ظاهرة إذ قد قطع عنهما الحديث .

[قلنا : هل يكون « ابن مقدم » محرفاً من « ابن مفرّغ » وهو « يزيد » الشاعر الأموى الذى عانى فى حياته عذاباً شديداً . ويكون المعنى أنها بعثت إليك تذكيراً بعذاب « ابن مفرغ » تلقى مثله من دخول كتامة عليك . (انظر فى ترجمة يزيد بن مفرغ : الأغانى وابن خلكان)] .

(٤) ضميرا يشفق ويومه يعودان إلى ماعاد إليه ضمير ربابه ، وضمير بيته يعود إلى ابن مقدم ، أى يشفق من هذين ، والمنتابه : وصف لكتامة ، والمنتاب : الوافد ، والضمير يعود على البيت ، وهو منصوب على المفعولية لاسم الفاعل الواقع صلة لأل .

(٥) [المراد بـ « يومه » فى هذا البيت : يوم فراقه]

(٦) الملق (بكسر اللام) مثال مبالغة من الملق بفتحتين [وهو شدة التودد والتلطف] انظر البيت ٢٢ من الورقة ٢ .

(٧) المساخط : جمع مسخط ، وهو السخط . والإعتاب (بكسر الهمزة) : إبطال العتب بالرضى ، فالظاهر أن الهمزة فيه للإزالة ، كالإعذار والإعجام ، قال تعالى : وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين ، وقال فى القاموس : هو إعطاء العتبى ، والعتبى (بضم العين مقصوراً) : الرضى .

(٨) أصى : مضارع وصى ، بمعنى وصل ، ولقد أصل من يبغضنى ولست بالذى أهابه وأخافه ولكن لحاجة أقضيها بصلته ، والضغائن بالضاد الساقطة [قلنا : فى المخطوطة : الظغائن .]

وَأحَدَّ مِنْ وَلَدِ الْجَدِيلِ أعَارَهُ ... طَرَفُ النُّسُوعِ أخَذْنَ فِى أقْرَابِهِ (١)
عَرْدٍ إذَا خَرِسَ الْمَطِىُّ كَأنَّمَا ... يَغْدُو يُجَرْجِرُ دَارِسٌ فِى نَابِهِ (٢)
وَإذَا سَرَى كَحَلَ الزَّمِيلَ بِأرْقَةٍ ... مِنْ قَرْعِ بَازِلِهِ وَمِنْ قِيقَابِهِ (٣)
وَكَأنَّ مُنْفَضِجَ الْحَمِيمِ بِلِيتِهِ ... دُهْنٌ شَبَبْتَ سَوَادَهُ بِمَلَابِهِ (٤)
غَوْلُ الْبِلَادِ إذَا الْمَقِيلُ تَحَرَّقَتْ ... آرَامُهُ وَجَرَتْ بِمَاهِ سَرَابِهِ (٥)

---

(١) هذا انتقال إلى ذكر سفره قاصداً الممدوح ، و « أحد » مجرور بواو رب ، وخبره قوله : « هجر المقامة أن تكون مناخه » وما بينهما صفات وأحوال ومستطردات ، و « الأحد » كتب بالدال المهملة ، فيكون من الحدة ، وهى مضاء العزم ، ويظهر أنه بالذال المعجمة ، وهو وصف من الحذذ ، وهو خفة وبر الذنب ، والمراد به السرعة فى السير ، ويقال : ناقة حذاء أيضاً ، وعلى الاحتمالين فالمراد به جمل ، والجديل : اسم أبيه ، والجديل : الرقيق القوائم كأنها مجدولة اللحم وذلك أمارة سرعة سيره ، وبه سمى فحل للنعمان بن المنذر ، وهو المراد هنا ، ومعنى أعاره : أنحله ، من قولهم « فرس معار » أى مضمر ، لأنه إذا نحل صارت مآربقة متنه بارزة من ظهره ، فصار لها عير ، والعير : العظم الناتىء . والنسوع : جمع نسع (بكسر النون وسكون السين) وهو سير يضفر من جلد عريضاً على صفة أعنة البغال تشد به الرحال على الإبل ، والأقراب : جمع قرب (بضم القاف وسكون الراء ، وبضمهما) الخاصرة أو من الشاكلة إلى مراق البطن ، أى ما بين الرفغ إلى الإبط ، ومعنى « أخذن فى أقرابه » أزلن عنها اللحم .

(٢) العرد : (بفتح العين وسكون الراء) : الصلب الشديد ، ويجرجر : يصوت ، والجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته إذا تألم أو غضب ، والدارس : البعير الأجرب يحك أنيابه فيكون لها صوت شديد ، شبهه بجرجرة البعير الأجرب ، فجملة « كأنما يغدو » إلى آخر البيت خبر عن قوله : عرد ، ويغدو اعتراض وتوكؤ فى الكلام ، كقول الحماسى النبهانى :

وإن كنت للخال فاذهب فخل

وتقول العرب : قام يفعل كذا ، قال ابن جنى فى شرح الحماسة : « وهذه استراحات من العرب وتطريحات » .

(٣) الزميل : الصاحب للراكب على متن بعير واحد ، والأرقة : المرة من الأرق ، وهو السهر ، والقيقاب : مصدر صاغه بشار من قب الفحل قباً وقبيباً إذا قعقعت أنيابه ، قدر له فعلا على وزن فاعل للمبالغة فجاء له بمصدر المفاعلة كالقيتال ، وبشار لا يعبأ بمثل هذا .

[قلنا : قد ذكر الشارح هذا البيت فى مقدمة الديوان (ص ٦٠ من هذه المطبوعة) واستشهد بقوله « قيقابه » على توسع بشار واستعماله صيغة لم تسمع بعينها من العرب ، وقد قلنا فى تعليقنا هناك : إذا صغنا « فاعـلَ » من « قب » كان « قابَّ » بياء مشددة ، وكان مصدر « الفيعال » منها « القيباب » لا « القيقاب » والرأى عندنا أن « قيقابه » فى البيت تحريف ، والأصل : « قبقابه » (بالباء الموحدة بعد القاف) والقبقاب : الجمل الهدار ، ولعل بشاراً استعمل « القبقاب » مصدراً للفعل « قبقب » (كالزلزال والوسواس ، من : زلزل ووسوس)] .

(٤) المنفضج (بجيم فى آخره) : السائل من العرق ، والحميم : عرق الشحم ، والليت : صفحة العنق ، والملاب الزعفران ، ومعنى « شببت » حسنت ، ومنه قولهم : « شبلون المرأة خمار أسود لبسته » .

(٥) الغول : الداهية العظيمة تشبيهاً ، وأصله السعلاة المعروفة فى خرافات العرب ، ووصفه بالنهاية فى الإقدام فى الأوقات التى تنكل فيها أمثاله ، وتحرقت : كتب بفاء ، وهو تحريف صوابه بالقاف ، وهو =

يَثِبُ الإِكَامَ إذَا عَرَضْنَ لِوَجْهِهِ ... مِنْ عَرْبِ أَغْلَبَ لَيْسَ مِنْ إِنْعَابِهِ (١)
بِنَجَاءِ مُنْسَرِحِ الْيَدَيْنِ تَخَالُهُ ... عِنْدَ الْكَلَالِ يُزَادُ فِى إِلْهَابِهِ (٢)
دَامِى الإِطِلِّ عَلَى الحِدَابِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَتْ بِمُصْفَرِهِ رُءوسُ حِدَابِهِ (٣)

= من التحرق ، وهو الاشتعال ، أراد به شدة الحرارة . والآرام : بوزن أفعال ، جمع أرم (بكسر الهمزة وفتح الراء كعنب ، وبالعكس ككتف) : أعلام من حجارة كانوا ينصبونها لتدل السائر فى الرمل ، ولذلك قال : وجرت بماء سرابه ، أى يخال أن الآرام تجرى فى ماء السراب ، وقد جاء بمحسن شبه الطباق بين التحريق والجريان بالمياه ، وكتب فى الديوان « بها أسرابه » وهو تحريف .

(١) العرب (بفتح العين المهملة وسكون الراء) : النشاط ، والإنعاب : أن يمد البعير التعب ، وهو أن يحرك رأسه عند سيره وإنما نفاه بشار لأنه يدل على العياء ، وإثبات بشار هذا المصدر يدل على أن ماوقع فى القاموس من قوله : « وناقة منعب كمنبر » ليس بصحيح ، والصواب أنه كمحسن كما ضبطه به الشيخ مرتضى الزبيدى نقلا عن شيخه محمد بن الطيب الفاسى .

(٢) النجاء (بفتح النون بالمد) : الإسراع ، وأصله مأخوذ من الهروب : قال طرفة : « نجاء الخفيدد » ومنسرح اليدين : سريعهما .

(٣) الإطل (بكسر الهمزة والطاء وباللام المخففة) : الخاصرة ، ولم يرد فى الأسماء على وزن فعل إلا إبل وإطل وبلز (الجارية الضخمة) ولا يستقيم وزن البيت إلا بتشديد اللام للضرورة ، وذلك كقول الراجز (أنشده سيبويه) :

لقد خشيت أن أرى جدبا ... فى عامنا ذا بعد ماأخصبا

أراد جدبا وأخصب ، قال ابن جنى : ثقل الباء كما ثقل اللام فى عيهل فى قوله « ببازل وجناء أو عيهل » ولم يمكنه ذلك حتى حرك الدال لما كانت ساكنة لا يقع بعدها المشدد ، ومنه أيضاً قول رؤبة : « ضخم يحب الخلق الأضخما » أى الأضخم ، وحكى عن بعض العرب : رأيت الحجرّ وهذا جعفرّ فى حالة الوقف ، انظر اللسان فى جدب وضخم . ووقع فى الديوان بالظاء المعجمة ، ولا معنى له . و « الحداب » و « حدابه » وقعا فى الديوان بالجيم والذال المعجمة ، ولم يظهر لذلك معنى ، فلذلك جزمت أنه بالحاء والدال جمع الأحدب ، وهو العرق الذى فى عظم الذراع ، والمعنى أن خاصرته تدمى على ذراعه من تأثير الرحل .

[قلنا : الذى نراه أن الصواب هو « الأَظَلّ » (بهمزة مفتوحة وظاء معجمة مفتوحة ولام مشددة) والأظل : باطن المنسم والخف من الإبل ، وهو يدمى من كثرة المشى فى الأرض الغليظة . ووصف « الأظل » بـ « الدامى » معروف عند العرب ، قال ذو الرمة :

« دامى الأظل بعيد الشأو مهموم »

وقال لبيد :

« وتصل المرو لما هجرت ... بنكيب معر دامى الأظل »

وفى المثل : « إن يدم أظلك فقد نقب خف » . وعلى ذلك فكلمة « الأظل » صحيحة على الوجه الذى وردت به فى المخطوطة . ثم إنا نرى أن « الحداب » — هنا — : جمع حدب ، والحدب : ماأشرف وغلظ وارتفع من الأرض ، و « الحداب » بهذا المعنى تناسب « الإكام » التى ذكرها بشار قريباً ، وفى معلقة لبيد : « يعلو بها حدب الإكام . . . » ومعنى البيت أن هذا البعير قد دمى باطن خفه من كثرة مشيه فى مرتفع الأرض وغليظها ، وأنه إذا مشى دامى المنسم خضب منسمه ، رءوس الحداب بدمه] .

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ نَاشِطٌ ... يَقْرُو الْعَقَنْقَلَ آلِفًا بِعَذَابِهِ (١)

جِذْلُ الْمَهَا وصِوَارُ كُلِّ خَمِيلَةٍ ... لاَ عَنْ تَجَفُّلِهِ نَجَاءُ خِبَابِهِ (٢)

أَرِجُ الْقِنَانِ إِذَا تَرَجَّلَتِ الضُّحَى ... صَخَبَ الْقَنَابِرُ تَحْتَ ظِلِّ سَحَابِهِ (٣)

---

(١) يقرو (بالقاف) يقصد ، قال النابغة :

يقروا الأماعز من نيان والأ كما

ووقع فى الديوان بالفاء وهو تحريف ، والعقنقل : الكثيب من الرمل ؛ ووجرة : موضع بين مكة والبصرة مساحته أربعون ميلا ، وهو مسكن لبقر الوحش .

أخذ فى تشبيه جمله بالثور الوحشى فانتقل إلى ذكر أحوال ثور الوحش على عادة شعراء العرب ، مثل : لبيد والنابغة .

[قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « بعذابه » بالذال المعجمة ، والذى نراه أنها محرفة عن « بعدابه » بالدال المهملة ، والعداب : جانب الرمل الذى يرق من العقنقل ، قال ابن أحمر : كثور العداب الفرد . . . الخ] .

(٢) الجذل (بكسر الجيم) الأصل ، وأراد به الفحل ، والمها بقر الوحش ، والصوار (بكسر الصاد) : قطيع البقر ، أى أن المها وقطعان الوحش تتبعه وتسير بعيده ، والخميلة : ملتف الأشجار ، وقوله « لا عن تخفله بخاء خفابه » كذا فى الديوان ، ولعل صوابه « تجفله » بالجيم و « خبابه » بخاء معجمة ثم باء موحدة ، أى ليس سرعة خببه فى السير عن تجفل وخوف بل عن شدة نشاط ، والنجاء : السرعة ، وقد تقدم .

[قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح ضبط « جذل » و « صوار » مرفوعين ، ولا يستبين المعنى على رفعهما مع شرح الشارح لـ « جذل » ، فربما كان « سوار » مجروراً ليساير شرح الشارح ، والأقرب المناسب لقوله « آلفاً » أن يكون « جذل » محرفاً عن « خذل » بضم الخاء والذال ، جمع خذول ، وهى التى تخلفت من المها عن الصوار على ولدها ، قال النمر :

وكأنها عيناء أم خـويدر ... خذلت له بالرمل خلف صوارها

وقال لبيد فى وصف ناقته ببقرة وحشية :

أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامها

وأن يكون « خذل » و « صوار » منصوبين بالمفعولية لـ « آلفاً » أو لفعل من معناه ، أى : يألف خذل المها وصوار . . . الخ .

هذا وقد جرى الشارح فى بيان معنى الخميلة على المشهور من مدلولها ، وهو ملتف الشجر ، ولكن المقام فى هذا البيت لعله أشبه بمقام كلمة (الخمائل) فى معلقة لبيد ، حيث يصف ناقته بالبقرة الوحشية ، حتى قال :

يروى الخمائل دائماً تسجامها

فشرح التبريزى الخميلة بأنها الرملة التى قد غطاها النبت كأنه أخملها . ولا ريب أن الرملة هى التى تناسب العقنقل والعداب فى بيت « بشار » السابق] .

(٣) أرج (بكسر الراء) : وصف من الأرج (بفتح الراء) وهو الرائحة الطيبة ، وهو وصف للعقنقل . « ترجلت الضحى » أى ارتفعت شمس الضحى . يقولون : ترجل النهار ، أى ارتفع ، والقنان (بكسر القاف) : جمع قنة (بضمها) وهى أعلى الجبل ، والضمائر فى قوله « سحابه » و « ريحانه » =

لِلشَّمْسِ يَنْجُدُ طَائِعاً رَنْحَانُهُ ... وَيَبِيتُ يَأْرَقُ ضَيْفُهُ بِذُبَابِهِ

حَتَّى إِذَا طَلَعَ الزَّمَانُ بِعِيشَةٍ ... فِيهَا وَسَالَ عَلَيْهِ بَعْضُ شِعَابِهِ (١)

حَنَفَ المَبِيتَ لَهُ بِأَوْجَسِ لَيْلَةٍ ... مِنْ صَوْتِ رَاعِدِهِ وَمِنْ تَسْكَابِهِ (٢)

فَأَقَامَ يَشْخَصُهُ الثَّرَى وَيُسِيرُهُ ... قُرْبُ السَّفَا لِيَسِيحَ فِى مُنْجَابِهِ (٣)

صَرِرُ الأَدِيمِ إِذَا أَرَبَّ بِهِ النَّدَى ... غَشِىَ الأَلاءَ يَلُوذُ مِنْ إِزْبَابِهِ (٤)

حَتَّى إِذَا غَدَتْ الوَرَى وَغَدَا بِهَا ... مِثْلَ المَرِيضِ أَفَاقَ مِنْ أَوْصَابِهِ (٥)

= و «ذبابه» للمقتقل ، والصخب : الصياح ، والقنابر : جمع قنبراء ، وهى طائر ، قيل : لايقال قنبرة ، وقيل يجوز على لغة ضعيفة ، وفى شعر منسوب لكليب :

يالك من قنبرة بمعمر

(١ — ٢) « طلع الزمان بعيشة » أى جاءه الدهر بحالة عيش ، وهى حالة الخصب والنعيم ، لأن العيش هو الحياة ، وسال عليه (أى على الثور) بعض شعابه (أى بعض شعاب المقتقل) أى نزل . [حنف] : معناه مال به هنا تغير الحال ، أى أنه بعد أن كان فى نهاره فى أرغد عيش انقلبت حال مبيته إذ أزعجه الرعد والمطر والريح ، فضمير « راعده وتسكابه » للمقتقل .

[قلنا : ليس مجال المعنى فى هذين البيتين : « حتى إذا طلع الزمان ... » لحال الخصب والنعيم ، بل المجال فيهما لحال الظلام والسيل والرعد والمطر ، فالرأى عندنا أن « بعيشة » محرف عن « بغبشة » بضم الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة ، وهى ظلام آخر الليل ، يريد بشار أن يبين فى هذين البيتين الحال التى كانت سبباً فى اشتداد جرى الثور الوحشى — الذى شبه به بشار جمله فى سرعة سيره — فقال : إن الزمان طلع عليه بالظلام والسيل والرعد فى آخر ليلة كانت أخوف ليلة لم يستطع فيها المبيت فشخص وسار سريعاً . وقد شبه لبيد ناقته ببقرة وحشية ، فقال فيما قال وصفها :

يعلو طريقــة متنها متواتراً ... فى ليلة كفر النجوم غمامها

... الخ يعنى المطر والظلام] .

(٣) « يسيره » يجوز فيه فتح الياء وضمها ، يقال : ساره وأساره بمعنى . والسفا : شوك البهمى ، والمنجاب (بضم الميم) : المكان الوطىء من الأرض لأنه ينجاب عنه الريح ، أى يبتعد ، والضمير للثور .

(٤) « صرر » صفة من الصر ، وهو البرد ، والألاء (بوزن سحاب) جمع ألاءة ، وهى شجر دائم الورق لاينحات ، وكتب فى الديوان « إذا أردت » والصواب « أرب » أى نزل عليه الندى ، أى القطر ، أى يلوذ بالشجر من نزول قطر الندا .

[قلنا : ليس بمعروف فى كتب اللغة التى بأيدينا أن تكون « صرر » بفك الراءين وكسر الأولى وصفاً من الصر أى البرد ، والذى نراه أن الكلمة « صرد » بالدال فى آخره مع كسر الراء التى قبلها أو إسكانها ، وهو البارد أو الذى أصابه البرد فقوى عليه أو ضعف ، وقد ذكر اللغويون ذلك ، وجاء الحرف الأخير من « صرد » فى المخطوطة أقرب إلى صورة الدال] .

(٥) الورى : الناس ، أى حتى خرجت الناس بالغداة وانقطع المطر وغدا الثور بتلك الغداة ، وجملة أفاق صفة للمريض .

٦٨ وَتَجَوَّبَتْ مِزَقُ الدُّجَا عَنْ وَاضِحٍ كَالْفَرْقِ وانْكَشَفَتْ سَمَاهُ ضَبَابِهِ (١)
سَبَقَ الشُّرُوقَ إِلَيْهِ أَشْعَثُ شَاحِبٌ مِثْلُ السَّبِيَّةِ مُسْمِرًا بِكِلَابِهِ (٢)
وَرِثَ الأُبُوَّةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ تَلِدُ الضِّرَاءَ فَهُنَّ مِنْ أَكْسَابِهِ (٣)
فَانْصَاعَ مِنْ حَذَرٍ عَلَى حَوْبَائِهِ وَتَبِعْنَهُ يَنْسَبْنَ فى مُنْسَابِهِ (٤)

---

(١) التجوب : مطاوع جوب الثوب ، إذا قطع وسطه ليجعل له جيباً ، والمزق (كعنب) جمع مزقة ، وهى القطعة من الثوب المزق ، قال الليث : لايكادون ينطقون به مفرداً . وشبه بشار الليل بالثوب ، وشبه بقايا الظلام بمزق الثوب ، كما شبهها القرآن فى قوله : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً : وقوله « كالفرق » أى كفرق الشعر فى الرأس .

(٢) أى أتاه قبل شروق الشمس صائد أشعث ، والسبية (كغنية) : الدرة حين يخرجها الغواص من صدفتها ، أراد أنه عار عن اللباس ، و « مسمراً » بمعنى بات يسامر كلابه ، أى يحادثها تأنساً بنتظر الصباح للصيد ، وكانوا يقصدون الصيد فى صبيحة الليلة الممطرة لأن الوحش لاتقدر على الجرى فى الوحل .

(٣) الأبوة : مابه يكون الأب أبا ، وترد اسم جمع الأب أيضاً ، وهو المراد هنا ، وكابراً عن كابر ، أى كبيراً عن كبير فى الأصالة ، وهو منصوب على الحال من الأبوة ، أى هذا الصائد ورث كلاب الصيد أبا عظيما بعد أب عظيم ، فاللام فى الأبوة عوض عن الضمير العائد إلى الكلاب ، أى ورث أبوتها ، أى آباءها ، وأراد الآباء والأمهات ، ولذلك قال « تلد » أى هذه الآباء والأمهات ، والضراء (بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء) : جمع الضارى ، وهو الجرىء على جرح الحيوان ، وفى الحديث « إن قيساً ضراء الله » ثناء عليهم بالشجاعة والإبلاء فى الجهاد ، وأصل هذه المادة كلها من « ضرى » إذا اعتاد ؛ ثم غلبت فى الاعتياد على أكل اللحوم والدماء ؛ قال النابغة فى سباع الطير :

يصانعنهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات بالدماء الدوارب

ثم جاءت منه الضراوة بمعنى الشجاعة ؛ ثم استعملت الضراوة بمعنى شدة الحرص ، قاله شراح قول زهير :

وتضر إذا ضريتموها فتضرم

وعندى أن بيت زهير استعارة ، أى كما تعلم كلاب الصيد الضراوة . وقوله : « فهن من أكسابه » أى فتلك الضراء من أكسابه أى مهباة عنده لم يستعرها من عند آخر .

[قلنا : المعروف عندنا أن « الضراء » جمع « الضرو » أو « الضروة » (بكسر الضاد فيهما) وليس جمعاً لـ « الضارى » كما ذكر الشارح ، قال ابن الأثير فى النهاية (ج ٣ ص ١٨) حيث شرح « إن قيساً ضراء الله » مانصه « هو بالكسر جمع ضرو ، وهو من السباع ماضرى بالصيد ولهج به » . وقال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات ص ٣٩٧ فى شرح قول سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

راعه من طىء ذو أسهم وضراء كنّ يبلين الشرعْ

« الضراء : الكلاب التى ضربت للصيد ، الواحد : ضروة » وبيت سويد المذكور من أبيات يشبه فيه ناقته بثور وحشى راعه صائد معه كلاب الصيد ، وذلك كما ترى فى شعر بشار هنا] م .

(٤) انصاع : انفتل مسرعا ، والضمير راجع إلى الثور . والحوباء : الروح ، و « تبعنه » أى الكلاب ، والانسياب : السير السريع ، ومنه انسياب الحية .

حَتَّى إذَا سَمِعَ الضُّبَاحَ خِلافَهُ ... وَعَرَضْنَهُ طَلَقًا عَلَى أَعْطَابِهِ [١]

كَرَّ الشَّبُوبُ عَلَى الضِّرَاءِ بِرَوْقِهِ ... فَاخْتَلَّ لَبَّةَ زَائِجٍ وَزَنَابِهِ [٢]

وَمَضَى يَزِلُّ عَلَى الْمِتَانِ كَأَنَّهُ ... نَجْمٌ لِمُسْتَرِقٍ هَوَى بِشِهَابِهِ [٣]

فَكَذَاكَ ذَلِكَ إذْ رَفَعْتُ قُيُودَهُ ... أُصُلاً وَمِيثَرَتِي عَلَى أَصْلاَبِهِ [٤]

هَجَرَ الْمُقَامَةَ أَنْ تَكُونَ مُنَاخَهُ ... بِأَغَرَّ تَزْدَحِمُ الْوُفُودُ بِبَابِهِ [٥]

---

(١) الضباح (بالضم) صوت الكلاب والسباع ، وهو صوت غير النبح ، بل هو كالحمحمة يكون عند ابتداء الغضب ، وعرضنه تلقينه ، وطلقاً أى شوطاً ، وظاهر القاموس أنه بسكون اللام ، ووقع فى الصحاح والنهاية أنه بالتحريك ، وعليه فيكون سكونه فى البيت هنا تخفيفاً . [قلنا : وزن البيت يحتمل التحريك والإسكان] . والأعطاب : جمع عطب ، وهو اسم العطب الذى هو مصدر عطب إذا انكسر وجرح ، أى جرين طلقاً ليعطبنه ، فعلى للتعليل ، كقوله تعالى : ولتكبروا الله على ماهداكم .

(٢) الشبوب (بفتح الشين) : الثور الذى كمل شبابه ، والزائج الذى أصابه الزئج (بالتحريك) وهو ضمور البطن من العطش ، وهو هنا اسم كلب لامحالة ، و « زناب » وقع فى الديوان بفتح الزاى ، وهو هنا اسم كلبة لامحالة ، ولذلك أضافها إلى ضمير زائج ، لأنها أنثاه ، وهذان الاسمان من أسماء الكلاب عند العرب أو فى زمن بشار .

[قلنا : هذا إذا لم يكن فى عجز البيت تحريف ، كأن يكون « زائج » محرفاً عن « زائغ » أى محرش الكلاب ، ونحو ذلك ، والروق : القرن ، واختله بالقرن : نفذه وانتظمه] :

(٣) أى انصرف تزل أرجله ، والمتان جمع متن ، وهو ماصلب من الأرض .

[قلنا : الظاهر أن الشارح قد نظر فى هذا البيت إلى قول لبيد .

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت ... بكرت تزلّ عن الثرى أزلامها

ولكننا نرى أن موقع « يزل على المتان » فى بيت بشار غير موقع « تزل عن الثرى » فى بيت لبيد ، لأن لبيداً يريد « الزلل » فذكر « عن » و « الثرى » و « أزلامها » أى لاتثبت قوائمها من الطين فتزل عن الثرى ، وأما بشار فإنه يريد فى هذا البيت معنى السرعة لا الزلل الذى يتعدى بـ « عن » ، ولذلك قال « « على المتان » ، ولم يقل « عن الثرى » وشبهه بنجم هوى ، فقول بشار « يزلّ » معناه يسرع ، كقول الشاعر :

فزلّ ولم يُعدركن إلا غباره ... كما زلّ مرّيخ عليه مناكب

وفى اللغة : زلّ زليلا وزلولا : مر سريعاً] .

(٤) أى فكذاك الثور ذلك الجمل المذكور فى قوله : وأحذ من ولد الجديل . الخ . الميثرة : وطاء من جلد محشو بالصوف والقطن يجعل على رحل البعير تحت الراكب ليقيه ألم الأعواد وأصلها : موثرة ، من الوثر ، وهو التليين ، قلبت الواو ياء ، ولقد أجاد الرجوع إلى الغرض والتخلص إلى المدح كتخلص لبيد إلى مقصده [بقوله فى معلقته بعد أن شبه ناقته بالسحاب وبالأتان وبالبقرة الوحشية] :

فبتلك إذ رقص اللوامع فى الضحى ... الخ .

وأصلا : جمع أصيل ، يعنى أنه كان يسير عليه فى وقت الابتراد .

(٥) [المقامة : الإقامة ، ولعل المراد بها هنا — موضع الإقامة ، والباء فى قوله « بأغر » للسببية ، أى لم يرض أن يكون موضع إقامته مناخه وهجره راحلا بسبب لقاء أغر ... الخ ، والأغر : السيد الشريف الكريم الأفعال . وفى المخطوطة : يزدحم ، بالياء ، لا بالتاء كما فى نسخة الشارح] .

مُتَحَاسِــدِينَ عَلَى لِقَاءِ مُسَوَّدٍ رَحْبِ الْفِنَاءِ جَدٍ عَلَى أَصْحَــابِهِ (١)
رَجُلٌ إِذَا زَأَرَتْ أُسُودُ قَبِيلَةٍ زَأَرَ الْمُهَلَّبُ وَابْنُــهُ فِى غَابِهِ (٢)
دَاوُدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ بِحَاتِمٍ شَرَفَ الْعُلَا وَذَهَبْتَ فِى أَسْبَابِهِ (٣)
وَبَنَى قَبِيصَــةُ وَالْمُهَلَّبُ مَعْقِلاً وَبَنَيْتَ بَيْتَكَ فِى ذُرَى صُلَّابِهِ (٤)
هَذَا وَذَاكَ وَذَا وَأَنْتَ وَلَمْ تَزَلْ تَزْدَادُ فِى شَرَفِ الْبُـنَى وَرِحَابِهِ (٥)
هَلْ تَجْفُونَ فَتًى يَقُولُ لِمُجْدِبٍ وَسْقُ الْمَطِىِّ يَفِرُّ مِنْ إِجْدَابِهِ (٦)

---

(١) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « متحاسدين » بالسين المهملة ، وربما كانت الـكلمة : « متحاشدين » بالشين المعجمة ، يقال للقوم إذا اجتمعوا لأمر واحد : « تحاشدوا على الأمر » ، والمسود: السيد الذى سوده قومه ، و « رحب الفناء » كناية يراد بها أن الممـدوح واسع الـكرم ، وقد سبق (ص ١٤٣ من هذه المطبوعة) قول بشار فى هذا الممدوح :

« رحب الفناء ممرع الجناب »

و « جد » لعله مخفف « جدى » بتشديد الياء بمعنى : سخى ، وربما كانت « جَدا » أى أن خيره واسع فهو كالغيث] .

(٢) « رجل » هنا أريد به المنتهى فى كمال صفات الرجال ، كقوله تعالى : فيه رجال يحبون أن يتطهروا . وقول أبى الطيب :

رجال كأن الموت فى فمها شهد

والمهلب وابنه قبيصــة كلاهما من أجداد الممدوح ، وقوله : « إذا زأرت أسود قبيـلة » استعارة الأسود للأبطال مطروقة ، وجعل نطقها فى قبائلها زئيراً ترشيحاً للاستعارة ، وهذا كقول عنترة :

حلت بأرض الزائرين ... البيت .

وأتبع هاته الاستعارة باستعارة الغاب لمواطن القبيلة ، كقول العرب : رأيت أسوداً غابها الرماح ، والمعنى زأر المهلب وابنه فى قبيلة الممدوح ، واستعمل « إذا » فى الزمان المـاضى كقوله تعالى : ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ... الآية ، لأن المهلب وابنه قد هلــكا فى حين قول القصيدة .

(٣) [حاتم هو جد الممدوح ، وهو حاتم بن قبيصــة بن المهلب ، والمراد بقوله « وذهبت فى أسبابه » أنه مضى بنفسه فى طريق الشرف ولم يقتصر على شرف الآباء فأضاف شرفاً إلى شرف] .

(٤) [قلنا : لعل « صلابه » محرفة عن « أصلابه » ، والأصلاب : ماغلظ من المـكان وارتفع ، وهى أسناد الآكام ونحوها التى تقابل الناظر بارتفاعها] .

(٥) كتب « البنا » بألف فى آخره وضبط باؤه بالضم ، فتـكون كتابته بألف فى آخره خطأ على عادة ناسخ الديوان ، والصواب أن يكون « البنى » بإمالة على أنه جمع بنية ، ويجوز فيه ضم البـاء وكسرها ، لأن مفرده بنية بضم الباء وكسرها ، وضمير « رحابه » عائد إلى شرف ، ويجوز بقاؤه بالألف على أنه مقصور للضرورة ، ويكون مكسور الباء على أنه مصدر ، وعليه فضمير « رحابه » عائد إلى البنا .

(٦) أراد بالفتى نفسه ، وقوله : « يقول » أى يخاطب جمله المجدب الذى يفر من إجدابه جماعات الإبل ، والمجدب (بكسر الدال) : السائر فى الأرض الجدب ، وهى الصلبة ، والأجداب : جمع جدب ، والوسق (بفتح فسكون) : الرفقة من الإبل .

دَاوُدُ غَيْثُكَ إِنْ بَسَطْتَ بِلَادَهُ ... فَانْزِلْ ضَمِنْتُ لَكَ الْحِبَا بِجَنَابِهِ (١)
وَأَبَلَّ يَلْتَهِمُ الْخُصُومَ مُرَغَّمٍ ... بِصَوَابِ مَنْطِقِهِ وَغَيْرِ صَوَابِهِ (٢)
وَجْهْتَ عَنْ بَيْنِ السَّبِيلِ سَبِيلَهُ ... بِمَحَالَةٍ وَرَدَعْتَهُ بِجَوَابِهِ (٣)
وَإِذَا الْخُطُوبُ تَقَنَّعَتْ عَنْ لَاقِحٍ ... تَدَعُ الذَّلِيلَ لِنَسْرِهِ وَغُرَابِهِ (٤)
أَلْقَتْ بَنُو يَمَنٍ إِلَيْكَ أُمُورَهَا ... وَرَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ الرِّمَا بِهِ (٥)

= [قلنا : لم يذكر اللغويون فى معنى « الوسق » : الرفقة من الإبل ، وإنما ذكروا مثل ذلك فى معنى « الوسيقة » والذى نراه أن « الوسق » معناه — كما ذكر اللغويون — جمع مايحمل على الإبل ، أو هو : حمل البعير ، والمعنى : أن هذا المجدب لا توانيه حال الوسق والحمل التى هى من أحوال الخصب ، لأنها لا تتفق وحال إجدابه ، بل تفر من إجدابه . ولم تضبط همزة « إجدابه » فى المخطوطة ، وضبطها الشارح فى نسخته من المتن بالكسر ، ولكنه قال فى شرحه « الأجداب : جمع جدب » وذلك يقتضى فتح الهمزة ، والظاهر أنها « إجدابه » بكسر الهمزة ، مصدر « أجدب » فهو « مجدب » إذا وجد الأرض جدبة] .

(١) هذا مقول القول ، فالخطاب للجمل .

[قلنا : قوله « بسطت » إن لم يكن تحريفا لعله من قولهم « بسطت فلانا على فلان » يعنون : فضلته ، والمعنى : « . . . : إن آثرت بلاده وفضلتها على غيرها بالتوجه . . . » ، والحبا (بكسر الحاء وفتح الباء الموحدة ، فيكون مقصوراً من الحباء ، إن لم يجىء جمعاً للحبوة) بمعنى : العطية ، أو هو الحيا (بفتح الحاء والياء المثناة) بمعنى : المطر والخصب ، وكلا المعنيين صحيح هنا ، ولكن الثانى أكثر مناسبة « لمجدب » و « غيثك »] .

(٢) الأبل : الشديد الجدل ، وفعله : بل بللا . والواو واو رب .

[قلنا : ربما كانت « يلتهم » محرفة عن « يتهم » ، والمرغم : من يقال له رغما رغما » ، وقد يأتى بمعنى المراغم ، وهو المنابذ والعبد الخارج عن مواليه] .

(٣) [قلنا : ضبطت « محالة » بفتح الميم ، فيكون المعنى : الحذق والقدرة على التصرف ، وربما كانت « بمحالة » فى بيت بشار (بضم الميم) مثلها فى قول المرقش الأكبر يذكر الحرب وخيلها :

بمحالة تقص الذباب بطرفها ... خلقت معاقمها على مطوائها

قال ابن الأنبارى وغيره من شراح المفضليات : « المحالة : الشديدة المحال ، أى فقار الظهر ، كناية عن شدتها » ، وربما كانت « بمحاله » بالإضافة إلى هاء الضمير ، كما أضيفت « سبيله » قبلها ، فيكون « المحال » بمعنى المعوج والباطل وما اقتضى الفساد] .

(٤) [قلنا : المراد باللاقح هنا : الحرب ، والمراد بقوله « تدع الذليل لنسره وغرابه » أن الحرب تترك المغلوب ملقى للطير ، وربما كان « تقنعت عن .. » محرفا عن مثل « تقنعت فى .. » أى دخلت مداخل الحرب] .

(٥) « وربيعة » بالفتح عطف على « يمن » ، ولا يجوز رفعه عطفاً على « بنو » على أن يكون مرادا بربيعة نفس القبيلة ، لأن هذا يمنع منه وصفه بقوله : بن نزار ، بل لو أراد ذلك لقال : ابنة نزار ، كقولهم : تغلب ابنة وائل . وكلمة القافية هكذا رسمت فى الديوان ولم يظهر المراد منها .

قَمَدَ الأغرُّ لَدَى الكَرِيهَةِ والذي　　عِنْـدَ المَلاَحِمِ يَشْتَفِي بِضِرَابِهِ (١)
سَهْمُ اللِّقَاءِ إذَا غَدَا فِي دِرْعِهِ　　رَأَبَتْ مَشَاهِدُهُ النَّأْيَ بِرِئَابِهِ (٢)
وَيَكَادُ يُظْلِمُ حِينَ يُغْشَى بَيْتُهُ　　مِنْ لِينِ جَانِبِـهِ وَلَيْنِ حِجَابِهِ (٣)
وَإِذَا اكْتَحَلْتَ بِهِ رَأَيْتَ مُبَتَّلاً　　لَبِسَ النَّعِيمَ عَلَى أَدِيمِ شَبَابِهِ
يَنْفِي مَوَاهِبَـهُ النَّوَافِذَ كُلَّهَـا　　مِنْ سَيْبِ مُشْتَرِكِ النَّدَى وَهَّابِهِ (٤)
٦٩ يُعْطِي البُدُورَ مَعَ البُدُورِ ولَوْ عَرَا　　حَـقٌّ لأعْطَى مَالَهُ بِرِقَابِهِ (٥)
وَإِذَا تَنَزَّلُ فِي البِطَاحِ قِبَـابُهُ　　فِي المُحْرِمِينَ عَرَفْتَـهُ بِقِبَابِهِ (٦)
وَقِيَانُهُ الغُرُّ النَّوَاصِفُ أَهْلُهَا　　وقِيَامُ غَاشِيـهِ عَلَى أَبْوَابِهِ (٧)

---

(١) كتب « قمد » بقاف فى أوله ، ولعل الصواب يعدو الأغر ، والضراب ، المضاربة بالسيوف بل الطعان بالرماح .

(٢) رأب : أصلح صدع القدح ونحوه من آنية ، والنأى (بالقصر) : الإفساد . وهذا المصراع مثل قول الحماسى :

ولقد رأبت ثأى العشيرة بينها　　وكفيت جانبهـا اللتيا والتى

والرئاب (بكسر الراء ثم بهمزة) جمع رؤبة ، وهى القطعة من الخشب التى يرأب بها الإناء مثل الرقعة ، استعارها هنا لمواقع .

[وفى المخطوطة : بربابه ، بدلا من : برئابه] .

(٣) اللين (بكسر اللام بعدها ياء) : مصدر لان الشىء فهو لين (بفتح اللام وسكون الياء) موصوف باللين ، والأحسن أن يكون الأول فى البيت مكسور اللام والثانى مفتوحه .

(٤) ينفى أى يفرق إلى جهات بعيدة ، كقول الفرزدق فى راحلته :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة　　نفى الدراهم تنقاد الصياريف

(٥) البدور الأول جمع بدرة ، والثانى جمع بدر ، مستعار للحسن ، أى يعطى الأموال والجوارى الحسان « ورقابه » المراد بها نفائسه ، لأن الرقبة أشرف ما فى الإنسان ، إذ يبقائها حياته ، وقد وقع هذا اللفظ فى قول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا　　غلقت لضحكته رقاب المـال

(٦) قوله « فى المحرمين » أى فى الحج ، فالمراد بالبطاح بطاح مكة .

(٧) النواصف جمع ناصف ، وهى المرأة بين الحداثة والكهولة ، وضمير أهلها يعود إلى القباب ، وقوله « وقيام » عطف على قيان ، أى وأهلها قيام غاش ، والقيام هنا جمع قائم ، وقوله « على أبوابه » متعلق بغاشيه .

[قلنا : لم تضبط فى المخطوطة الميم فى « وقيام » ، وضبطها الشارح بالضمة لتكون الكلمة معطوفة على « قيان » ولو جعلنا « قيام » مصدرا مجروراً بالعطف على « قبابه » لكان المعنى : « عرفته بقبابه وأهلها قيانه الغر وبقيام غاشيه على أبوابه » ولعل ذلك أظهر ، ويظهر أن « على أبوابه » متعلق بـ « قيام » لا بـ « غاشيه » ، والمراد بغاشيه من يجيئه من الغاشية ، وهم السائلون يأتونه والزائرون ينتابونه رغبة أو رهبة ، ولو رفع « قيام » جميعا لأريد بـ « غاشية » الجمع أو « غاشية » بالتاء] .

مِنْ رَاغِبٍ يَعِدُ الْعِيَالَ نَوَالَهُ بَعْـــدَ الرُّجُوعِ وَرَاهِبٍ لِعِقَابِهِ (١)

وقال أيضاً يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك رحمه الله (*) :

نَأَتْكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ « زَيْنَبُ » وَمَا شَعَرَتْ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ تَصْقَبُ (٢)

كَأَنَّ الَّذِي غَالَ الرَّحِيـــلُ رُقَادَهَا بِمَا عَضَبَتْ مِنْ قُرْبِنَا النَّفْسَ تَعْضِبُ (٣)

تَدَاعَى إِلَى مَا فَاتَنَا مِنْ وَدَاعِنَا عَلَى بُعْـــدِهَا بِالْوَأْيِ إِذْ تَتَقَرَّبُ (٤)

---

(١) [قوله « من راغب . . . وراهب . . . » بيان لـ « قيام غاشيه » في البيت السابق] .

(*) وقال أيضاً يمدح هشام بن عبد الملك :

هو سليمان بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموى وكان سليمان قد ولى الحج فى خلافة أبيه سنة ١١٣ وما بعدها ، وغزا غزوة الصائفة سنة ١١٤ فى الجزيرة وأرض الروم ، وغزا سنة ١٢٠ الصائفة وافتتح سندرة ، وقاتل أليون ملك الروم سنة ١٢٤ ، ويؤخذ من هذه القصيدة أنه ولى على حران ، وولاه يزيد بن الوليد قيادة بعض الجيوش فى سنة ١٢٦ ، ولما بويع مروان بن محمد بالخلافة خلع سليمان بن هشام بيعته سنة ١٢٧ ، وكان من أهل قنسرين وأهل الشام ، واعتز بالدخول فى بيعة الضحاك الشيبانى الخارجى ، واتصل به وصلى خلفه ، وذلك منتهى حمق سليمان ، وفى ذلك قال بعض شعراء الخوارج :

ألم تر أن الله أظهر دينــــه وصلت قريش خلف بكر بن وائل ؟

وبقى سليمان فى جند الضحاك وجند خليفته الخيرى وشيبان الحرورى ، ولما انهزم شيبان سنة ١٣٠ ركب سليمان [السفن] إلى السند بأهله ، حتى ولى السفاح الخلافة ، فحضر سليمان إليه وبايعه (انظر البيت ١٧ من الورقة ٢٠٠) وفى سنة ١٣٢ قتله السفاح غدراً ، وذلك أنه أدناه إليه وأكرمه ، ثم دبرت له مكيدة ، وهى أن دخل سديف الشاعر مولى السفاح على السفاح وعنده سليمان [وقد أكرمه] فقال سديف للسفاح :

لا يغرنك ماترى من وجوه إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا !

فقال سليمان : قتلتنى ياشيخ ، وقام السفاح ، فدخل ، وأخذ سليمان فقتل .

قال فى الأغانى : مدح بشار سليمان بهذه القصيدة ، وسليمان يومئذ مقيم فى حران ، فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان [يبخل] فلم يرضها بشار ، وانصرف عنه مغضباً ، وقال فيه بشار أبياتاً أولها :

إن أمسى منقبض اليدين عن الندى . . .

وسنذكرها فى الملحقات فى حرف النون .

وهذه القصيدة من بحر الطويل .

(٢) تصقب (كتفرح) تبعد ، ويطلق على القرب بالضد ، ورواه فى الأغانى : تشعب ، أى تفرق [وجاء فى أمالى المرتضى (ج ٢ ص ١٥٠) : « وما علمت أن النوى سوف تشعب »] .

(٣) كتب « كأن الذى » ، والظاهر أنه « كأن التى » وهى زينب ، وعضب : قطع (من باب ضرب) كأنها بقطع قربها تقطع نفوسنا .

(٤) [قلنا : لعل « تداعى » أى تتداعى بمعنى تضعف وتتهالك ، والمعنى : تتهالك عند ما فاتنا موقف الوداع على أنها كانت وهى قريبة لا تقرب بوعدها بل تبعد به] .

فَإِنْ تَنْصَبِي يَوْمًا إِلَى لَمَّةِ الْهَوَى   فَإِنِّي بِمَا أَلْقَى إِلَى تِلْكَ أَنْصَبُ (١)
سَلِي تُخْبَرِي أَنَّ الْمُعَنَّي بِذِكْرِكُمْ   عَلَى سُنَّةٍ فِيمَنْ يَخِيبُ وَيَدْأَبُ (٢)
إِذَا ذَادَ عَنْهُ عَقْرَبًا مِنْ هَوَاكُمُ   بِرُقْيَتِهِ دَبَّتْ لَهُ مِنْكِ عَقْرَبُ (٣)
فَبَاتَ يُدَنِّي قَلْبَهُ مِنْ جَلَادَةٍ   لِيَقْلِبَهُ عَنْكُمْ فَلَا يَتَقَلَّبُ (٤)
أَبَى مِنْكِ مَا يَلْقَى، وَيَأْبَى فُؤَادُهُ   سِوَاكِ، فَيُلْمِي هَجْرُهُ ثُمَّ يُغْلَبُ (٥)
لِذِي نُصْحِهِ عَنْكُمْ بِهِ أَجْنَبِيَّةٌ   وَعَنْ نُصْحِ دُنْيَاهُ بِهِ الْقَلْبُ أَجْنَبُ (٦)
فُؤَادٌ عَلَى نَهْيِ النَّصِيحِ كَأَنَّمَا   يُحَثُّ بِمَا يُنْهَى إِلَيْهِ وَيُعْتَبُ
فَمَاتَ بِمَا يُرْخَى لَهُ مِنْ خِنَاقِهِ   وَيَحْيَى عُلُوقًا فِي الْحِبَالِ فَيَنْشَبُ (٧)

---

(١) [قلنا : لعل المراد بـ « لمة الهوى » هنا : مايحدثه الهوى بصاحبه من شدة كأنما أصابه شيء من السحر أو طائف من الجن ، والمعنى : إن يصبك التعب والإعياء عند لمة الهوى فإنى أشد تعباً وإعياء بما ألاقى عندها] .

(٢) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « يحيب » (بحاء مهملة بعدها ياء) فلعل الصواب : « يخيب » أو « يحبّ » ، ومعنى البيت : إن تسألى الناس عنى يخبروك أنى قد جشمت من حبك وذكرك مايشق على وقد سرت فى حبى على طريقة فيمن يخيب ويدأب ، إذ أحاول أن أتجلد وأدفع الهوى ، ولكن الهوى يغلبنى ويخيبنى ، فأدأب فى تلك الحال وأستمر وأتعب] .

(٣) [قلنا : ذاده : دفعه وطرده ، ومعنى البيت : أن عقارب الهوى قد تقاطرت عليه وتناوشت قلبه بلسعها فإذا استرق برقية يدفع بها عقربا مشت إليه عقرب أخرى] .

(٤) [قلنا : يدنى : يقرب ، جلادة : قوة وصبر وصلابة ، يقلبه يحوله ويصرفه ، يتقلب : يتحول وينتقل ، ومعنى البيت : أن محبكم بات يقرب قلبه من الصبر ليحوله عنكم ، ولكن القلب يأبى أن يتحول] .

(٥) يلمى يحاول الأخذ خفية ، وهو مخفف ألمّ على الشيء إذاذهب به خفية ، يعنى ثم يغلب فيرده ، أى فلا يستطيع الفؤاد هجركم .

(٦) كتب فى الديوان « لذا » ، ولعل صوابه « لذى » ، وأجنبية : مصدر جاء على صيغة النسب ، كقولهم الرجولية ، وهى نسبة للأجنب أى البعيد .

(٧) الخناق (بكسر الخاء) : الحبل الذى يخنق به ، وكتب فى الديوان « فبات » ، والصواب « فات » بدليل قوله « ويحيى » .

[قلنا : الظاهر عندنا أن « بات » غير محرفة عن « مات » فإن الموت لايذكر فى هذا الموقع بإرخاء الخناق ، إذ معنى « يرخى له من خناقه » ينفس عنه ، قال الزمخشرى : « راخى خناقه ورباقه بمعنى أرخاه إذا نفس عنه » وليس لفظ « يحيى » (إن لم يكن محرفا) واقعاً فى مقابلة كلمة « بات » ، بل هو داخل فى صلة متعلقها ، إذ هو فعل مضارع معطوف على المضارع قبله « يرخى » وربما كان « يحيى » محرفا عن « يحتى » (بالتاء) بمعنى : يفتل ويشد . والظاهر أن « علوقاً » بفتح العين ، بمعنى « متعلقا » . ومعنى البيت : أنه إذا أرخى له الخناق فى حبه المضنى لايتخلص منه بل ينشب فيه ويتعلق أشد التعلق فمثله كمثل من تشكو وجع عينها فتتداوى بما يزيد الداء (انظر البيت التالى)] .

كَشَاكِيَةٍ مِنْ عَيْنِهَا غَرْبَ قَرْحَةٍ ... تَدَاوَى بِمَا تَدْوَى عَلَيْهِ وَتَذْرَبُ (١)
يَغَصُّ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ لِذِكْرِكُمْ ... وَيَشْرَقُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
فَلَا مَذْهَبٌ عَنْكُمْ لَهُ شَطَّ أَوْدَنَا ... سِوَاكِ ، وَفِى الأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مَذْهَبُ (٢)
عَلَى النَّأْيِ مَحْزُونٌ وَفِى الْقُرْبِ مُغْرَمٌ ... فَيَا كَبِدَا أَيَّ الطَّرِيقَيْنِ أَرْكَبُ ؟
إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِى شَفَيْتُ بِذِكْرِهَا ... أَذَاهَا فَأَهْفُو بِاسْمِهَا حِينَ تُنْكَبُ (٣)
لَقَدْ عُنِّيَتْ عَمَّا أُقَاسِى بِذِكْرِهَا ... وَعَمَّا يَقُولُ الشَّاهِدِى حِينَ أُطْرَبُ (٤)
يَرَى النَّاسُ مَا نُبْدِى بِزَيْنَبَ إِذْ نَأَتْ ... عَجِيبًا ، وَمَا يَخْفَى مِنَ الْحُبِّ أَعْجَبُ
يَرُوحُ وَيَغْدُو وَاجِدًا يَنْتَحِى الْهَوَى ... عَلَى رَجُلٍ مَصْبُورٍ عَلَى الْوِرْدِ أَجْرَبُ (٥)
إِذَا عَرَضَ الْقَوْمُ الْحَدِيثَ بِذِكْرِهَا ... أَئِنُّ كَمَا أَنَّ الْمَرِيضُ الْمُوَصَّبُ
إِذَا مَا نَأَتْ فَالْعَيْشُ نَاهٍ لِنَأْيِهَا ... وَإِنْ قَرُبَتْ فَالْمَوْتُ بِالْقُرْبِ يَقْرُبُ (٦)
كَفَاكَ مِنَ الذَّلْفَاءِ لَوْ كُنْتَ تَكْتَفِى ... مَوَاعِدُ لَمْ تَذْهَبْ بِهَا حَيْثُ تَذْهَبُ (٧)
وَقَائِلَةٍ حِينَ اسْتُحِقَّ رَحِيلُنَا ... وَأَجْفَانُ عَيْنَيْهَا تَجُودُ وَتَسْكُبُ : (٨)

---

(١) [قلنا : « الغر » من معانيه : الدمع ، ومسيله ، وبثرة فى العين ، وورم فى المآق : وفى المخطوطة « فما » بدلا من « بما » . و « تداوى » أصله : تتداوى ، و « تدوى » بمعنى تمرض ، و « تذرب » بمعنى تفسد] . (٢) [شط : بعد] .

(٣) يقال : إن الرجل إذا خدرت فذكر صاحبها اسم من يحبه زال التخدر عنه .
[قلنا : لعل « أهفو » فى هذا البيت بمعنى : أطرب] ،

(٤) [قلنا : لعل « عنيت » محرفة عن « غيبت » لأن المحبوبة نائية] .

(٥) المصبور : المشدود الممنوع ، شبه نفسه فى عنائه بعناء الجمل المصبور الممنوع من الشرب ، وقوله « أجرب » نعت لمصبور ، ورفعه على القطع ، وهو وإن كان نعت نكرة وهى قوله مصبور وهذه النكرة غير موصوفة ، وقد شرطوا لقطع نعت النكرة أن تكون موصوفة بنعت آخر غير مقطوع ، إلا أن « مصبور » لما كان فى المعنى وصفاً وكان موصوفه محذوفا مقدرا تقديره جمل ساغ القطع لذلك ، على أنه يجوز القطع فى ضرورة الشعر بدون شرط [هل يكون « أجرب » فاعلاً تنازعته الأفعال السابقة ؟] .

(٦) [الموصب : الكثير الأوجاع] .

(٧) الذلفاء : الصغيرة الأنف فى استواء ، وهو الذلف (بالتحريك) .

(٨) القائلة هى زوجته . « استحق رحيلنا » أى حسب أنه حق ، فالسين والتاء للحسبان ، ورواه فى الأغانى « حين جد رحيلنا » ، ولا يبعد أن يكون ما فى الديوان تحريفاً ، وأن صوابه « استخفت رحالنا » أى حملت على الرواحل .
[قلنا : ضبط « استحق » فى المخطوطة ونسخة الشارح بالبناء للمجهول ، والأظهر أنه بالبناء للفاعل (بفتح التاء والحاء) من قولهم « استحق اللقاح » والمراد فى بيت بشار : حان رحيلنا] .

أَغَادِ إِلَى « حَرَّانَ » فِى غَيْرِ شِيعَةٍ ‏ ‏ ‏ وَذَلِكَ شَأْوٌ عَنْ هَوَانَا مُغَرِّبُ ؟(١)

فَقُلْتُ لَهَا : كَلَّفْتِنِي طَلَبَ النَّدَى ‏ ‏ ‏ وَلَيْسَ وَرَاءَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ مَطْلَبُ(٢)

سَيَكْفِي فَتًى مِنْ شِيعَةٍ حَدُّ سَيْفِهِ ‏ ‏ ‏ وَكُورٌ عِلَافِيٌّ وَوَجْنَاءُ ذِعْلِبُ(٣)

إِذَا اسْتَوْعَرَتْ دَارٌ عَلَيْهِ رَمَى بِهَا ‏ ‏ ‏ بَنَاتِ الصُّوَى مِنْهَا رَكُوبٌ وَمُصْعَبُ(٤)

---

(١) حران (بفتح الحاء وتشديد الراء) مدينة بجزيرة أقور ، وهى قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم ، والشيعة : الجماعة الموافقون ، أى أغاد وحدك ؟

[قلنا : فى الأغانى : « عن هواها » ، ومغرب : بعيد] .

(٢) رواه فى الأغانى : « طلب الغنى » ، وهو أحسن .

(٣) الكور (بالضمة) الرحل ، والعلاف (بكسر العين) نسبة إلى علاف جد حى من قضاعة اشتهروا بصنع الرحال ، والوجناء : الناقة الناتئة الوجنتين ، والذعلب (بكسر الذال المعجمة وبكسر اللام) : الناقة السريعة ، و « من » بمعنى « عن » ، والضمير فى قوله « سيفه » عائد إلى « فتى » أى سيفى يغنينى عن الشيعة .

[قلنا : هذا البيت ينظر إلى قول الأخنس بن شهاب التغلبى :

خليلاى : هوجاء النجاء شملة ‏ ‏ ‏ وذو شطب لايجتويه المصاحب

يريد بقوله « ذو شطب » : سيفه ، وقوله « هوجاء النجاء شملة » يشبهه قول بشار الآتى : « حذاء النجاء شملة »] .

(٤) الضمير فى قوله « بها » عائد إلى « وجناء » ، والصوى (بضم الصاد) جمع صوة وهى الحجارة تنصب فى المفازة دلالة على مسلك الطريق التى بين تلك الصوى .

وإطلاق البنات على فروع الأشياء إطلاق عربى شائع ، فيكنون بها عن أفراد الأشياء ، قال معن ابن أوس المزنى :

إذا الحسب الرفيع تواكلته ‏ ‏ ‏ بنات السوء أوشك أن يضيما

أراد فعال السوء ، ويقال « بنات القلوب » و « بنات الصدور » ، وسيأتى لبشار فى البيت ٤ من الورقة ٢٤٦ ، وقال الشاعر :

فأصاب الردى بنات فؤادى ‏ ‏ ‏ بسهام من المنايا صياب

فانقضت شرتى وأقصر جهلى ‏ ‏ ‏ واستراحت عواذلى من عتابى

ومنه « بنات الدهر » أى حوادثه ، قال عمرو بن قميئة (عصرى امرىء القيس) :

رمتنى بنات الدهر من حيث لاأرى ‏ ‏ ‏ فما بال من يرمى وليس برام

أراد حوادث الدهر وأيامه ، وقال رجل من حمير مما أنشده فى حماسة البحترى :

رأيت بنات الدهر أهلكن تبعا ‏ ‏ ‏ وجزن إلى الرواد فى مشرف صم

وقال الجارود العبدى (واسمه بشر بن عمرو) لما وفد مع عبد القيس مسلماً :

شهدت بأن الله حق وسامحت ‏ ‏ ‏ بنات فؤادى بالشهادة والنهض

وقال الصمة بن عبد الله القشيرى (فى الحماسة) :

ولما رأيت البشر أعرض دوننا ‏ ‏ ‏ وجالت بنات الشوق يحنن نزعا

قال الخطيب التبريزى : أراد أسباب الشوق الكثيرة ، وقال الأعلم الشنتمرى فى شرحه على الحماسة : بنات الشوق الأحشاء لأنها محله ، وسيأتى مثله فى البيت ٣ من الورقة ١٣٣ والبيت ٣ من الورقة ١٧١ ، =

فَعُدِّى إلَى يَوْمَ ارْتَحَلْتُ وَسَائِلِي ... نَوَافِلَكِ الْقُفَّالَ مَنْ جَاءَ يَضْرِبُ (١)

لَعَلَّكِ أَنْ تَسْتَيْقِنِي أَنَّ زَوْرَتِي ... «سُلَيْمَانَ» مِنْ سَيْرِ الْهَوَاجِرِ يُعْقِبُ (٢)

وَمَاءٍ عَفَاءٍ لاَ أَنِيسَ بِجَوِّهِ ... حَلِيفَاهُ مِنْ شَتَّى عِفَاءٌ وَطُحْلُبُ (٣)

وَرَدْتُ إِذَا الْتَاثَ الْهِجَانُ وَقَدْ خَوَى ... عَلَيْهِ مِنَ الظَّلْمَاءِ بَيْتٌ مُطَنَّبُ (٤)

= ويقون : بنيات الطريق ، وقد بنى بشار على ذلك ، فجعل للبنات بهذا المعنى أما ، بمعنى أصل الشىء وحقيقته ، وذلك فى قوله الآتى :

أحلت به أم المنايا بناتها ... بأسيافنا إنا ردى من نحاربه

انظر البيت ٣٦ من الورقة ٧٤ ، وأما بنات بمعنى ملازمات فسيأتى فى البيت ٢١ من الورقة ١٣٩ .

[قلنا : لم يبين الشارح معنى « استوعرت » فى بيت بشار المشروح ، ولو كان لفظ « استوعر » يأتى بمعنى توعر (أى تعسر وصار وعرا) لكان ذلك مناسبا ، ولكن المذكور فى كتب اللغة «استوعروا طريقهم : رأوه وعرا » فلعل «استوعرت» فى بيت بشار مبنية للمجهول، وفى الأغانى «إذا استوغرت...» (بالغين المعجمة) وفى تعليق بهامش الأغانى : وغرت الهاجرة (من باب ضرب) : إذا اشتد حرها ، فمعنى « استوغرت » حميت واتقدت غيظاً ، والمراد أنها ضاقت به ، ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، وجاء فى أقرب الموارد : « المستوغر » لقب عمرو بن ربيعة بن كعب ، والركوب : المذلل بالركوب ، والمصعب : مالم يركب ولم يمس] .

(١) كذا ضبطه فى الديوان بضم العين ، أى احصى الأيام ، وفيه بعد ، ولعل ضبطه بفتح العين أحسن أى أعرضى عن مدة المخاصمة الى يوم ارتحالى فستأتيك العطايا ، وقوله « وسائلى » أمر من السؤال ، أى انتظرى النوافل ممن يجىء يضرب أكباد الإبل ، وأراد بذلك نفسه حين يرجع ، أو أراد أنه يرسل لها العطايا العاجلة مع المسافرين ، ويدل لذلك رواية الأغانى :

« ... ... وسائلى ... بزورك والرحال من جاء يضرب»

أى سائلى من يزورك ومن يرحل يخبروك عنى .

(٢) فى موضع الكلمة الأولى من المصراع الثانى بياض فى نسخة الديوان ، وفى الأغانى فى هذا الموضع : « سليمان » [وفيه « تعقب » بالتاء] ويعقب أى يأتى بالعواقب الحسنة ، قال الشاعر :

وللخير أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وقد شاع إطلاق العاقبة بدون قيد الحسنة مع إرادته ، كما جاء فى حديث أبى سفيان فى ترجمة كلام هرقل « وكذلك الأنبياء تبتلى ثم تكون لهم العاقبة » أى عاقبة الخير ، ولذلك أطلق بشار «يعقب» هنا

(٣) العفاء (بفتح العين) مصدر عفا الماء ، إذا لم يكدره وارد ، يكون ذلك لانقطاعه عن العمران ، وصفه بالمصدر . « والعفاء » الثانى (بكسر العين) ريش النعام الذى يرد ذلك الماء ، فهو يشرب من أطرافه ولا يدخل فيه لشدة حذره ، والطحلب (بضم الطاء واللام) خضرة تعلو الماء المزمن ، وقوله «من شتى » أى من جهات شتى ، كقول عبد بنى الحسحاس :

تجمعن من شتى ثلاثا وأربعا ... وواحدة حتى بلغن ثمانيا

(٤) التاث : أبطأ وعجز ، والهجان : جمع هجين ، وهو الكريم من الإبل ، وخوى : خلا من السكان ، وجملة « عليه من الظلماء ... » مستأنفة .

[قلنا : مطنب » بمعنى : مشدود بالأطناب ، وهى الحبال الطويلة التى يشد بها سرادق البيت . وفى =

نَعُوجٌ عَلَى التَّأوِيبِ صُعْرٌ مِنَ الْبَرَى نَوَاشِطُ فى لُجٍّ مِنَ اللَّيْلِ تَنْعَبُ(١)

= عجز هذا البيت تشبيه ذكر فيه المشبه به مبينا بالمشبه ، أى : عليه ظلام ممتد يشبه سرادق البيت المشدود بالأطناب ، والجملة التشبيهية مستأنفة — كما ذكر الشارح — أو حالية من فاعل « خوى » ، وهذا الفاعل ضمير مستتر عائد على « ماء » والمراد أنه قفر خال من الواردين ، وقد ذكر فى البيت السابق أنه « لا أنيس بجواره » ، وهذا كقول ربيعة بن مقروم :

وماء آجن الجمـات قفر تعقم فى جوانبـه السباع]

(١) كتب « تعوج » بمثلثه مضمومة ، فهو جمع ثعج (بفتحتين) وهو الجماعة فى السفر ، ولا معنى له هنا ، لاسيما مع العلاوة فى قوله : على التأويب ، فتعين أنه تحريف « نعوج » بنون مفتوحة ، أى سريعة ، من قولهم : نعج (بالميم وبالنون) إذا أسرع ، وقد قال بشار (فى البيت ١١ من الورقة ٨٢) :

معوج إذا أمسى طروب إذا غدا مجـدا كما غنى على الأيك أخطب

وهو وصف للهجان فى البيت قبله ، وصفها بوصف الواحدة ، وذلك جائز فى جمع ما لا يعقل ، وقوله « على التأويب » أى مع التأويب ، وهو سير الصباح بعد سير الليل ، أى تصبح سريعة بعد أن سارت ليلتها فلم تسـترح ، والصعر : جمع أصعر ، وهو البعير الذى أصابه الصعر ، وهو داء يعوج به فى عنقه ، والبرى : الهزال ، وتنعب : تسرع ، يقال : ناقة نعوب . وهذا سهو من بشار ، لأنه ذكر قبله أنه خرج مفرداً ليس معه رفيق ، أو أراد أنه لقى رفقة على هذا الماء .

[نقول : يجوز أن يكون « نعوج » محرفا عن « بعوج » والباء حرف جر و « عوج » جمع عوجاء ، وهى الناقة الضامرة من كثرة السير ، وبذلك تتناسب الجمـوع المجرورة فى البيت : « عوج » و « صعر » و « نواشط » ، ويكون المراد بـ « الهجان » صاحبها الـكريم الذى أبعها بها بعـد الجهد .

وقول بشار « صعر من البرى » ضبط الشارح فيه « البَرَى » وشرحه بالهزال ، والمعروف فى معنى الهزال لفظ « البرْى » (بإسكان الراء وتحريك الياء بحركة الإعراب) لا لفظ « البَرَى » (بفتح الراء مقصوراً) والمعروف كذلك نسبة « الصعر » إلى شيء آخر غير الهزال .

والذى نراه : ضبط « البُرَى » بضم الباء وفتح الراء مقصوراً ، وهو جمع « البُرة » (بضم الباء أيضا) ، وهى حلقة فى أنف البعير يشدّ فيها الزمام ، فإذا جذب الراكب الزمام فى البرة فإنه يميل أخادع البعير وعنقه ، وذلك الميل هو مبعث التعبير بـ « الصعر » فى هذا المقام قال الزمخشرى : « الأبل تصاعر فى البرى » ، وقال جران العود (فى ديوانه ص ١٦) :

وقالت لنا والعيس صعر من البرَى وأخفافها بالجنـدل الصُّمّ تقذف

قال أبو سعيد السكرى فى شرح هذا البيت : « صعر : موائل من جذب البرَى ، وواحد البرى : بُرَة ، وهى الحلقة فى أنف البعير » .

ثم نقول : الرأى الذى نميل إليه فيما حدثنا به بشار عن ناقته : أنه ارتحلها — وهى سريعة باقية على السير — يجوب بها الفلوات التى يخبرنا بأهوالها ، وأنه ورد فى طريقه ماء قفراً من الوراد ، وأنه سبق بناقته النياق التى استطاعت أن ترد المـاء بعد جهد السير والعطش ، وذلك نهج قديم للشعراء ، كقول النابغة الذبيانى فى اجتياب ناقته القفر الموحش وسبقها النوق بنشاطها :

ومهمه نازح تعوى الذئاب به نائى المياه عن الورّاد مقفـار
جاوزته بعلنـداة مناقلة وعر الطريق على الأحزان مضمار
إذا الركاب ونت عنها ركائبها تشذرت ببعيد الفتر خطار

إِذَا مَا أَنَخْنَاهَا لِغَيْرِ تَئِيَّـــــــةٍ ... عَلَى غَرَضِ الْحَاجَاتِ وَالقَوْمُ لُغَّبُ(١)

وَقَعْنَ فَرِيصَاتِ السَّدِيسِ كَمَا دَعَا ... عَلَى فَنَنٍ مِنْ ضَالَةِ الأَيْكِ أَخْطَبُ(٢)

وَلَانَصُ إِنْ حَرَّكْتَ كَفًّا تَكَمَّشَتْ ... كَأَنَّ عَلَى أَكْسَائِهَا الْجِنَّ تَجْلِبُ(٣)

سُقِينَ بِحَذَّاءِ النَّجَـــاءِ شِمِلَّةٍ ... إِذَا قَالَ يَعْفُورُ الفَـــلَاةِ تَأَوَّبُوا(٤)

---

(١) « التئية » تفعلة من « أبى بالمكان » إذا تلبث به ، ويقال : تأيى .

[لغب : جمع لاغب ، وهو من تعب وأعيا أشد الإعياء] .

(٢) الفريصات : جمع فريصة ، وهى التى تفارس غيرها فى الشرب ، أى تشاركه فى نوبة الشرب ، مشتقا من الفرصة (بضم الفاء) وهى النوبة ، والسديس : اليوم السادس من أيام أظماء الإبل ، كالسدس ، وهو آخر أيام أظماء الإبل ، يريد أنهن عطشن غاية العطش ، والمعنى : وقعن مستعجلات كما غنى حمام أيكة ، شبه هيئة تسابقهن مع ارتفاع أصواتهن بوقوع الحمام مغنيات ، وقد أخذ هذا المعنى المعرى فى قوله :

أشبهن فى الشوق الحمام وإنما ... طيرانهن ترقص وذميل

(٣) كتب « حركت » بضم التاء و « كفى » بياء المتكلم ، وهو تحريف ، لأن الكلام على رواحل عديدة وهو لا يحرك كفه إلا لواحدة ، فالصواب « حركت » بفتح التاء على الخطاب لمخاطب غير معين فيصلح للجماعة ، و « كفا » بدون إضافة ، « تكمشت » أى تقبضت للجرى ، وقوله « على أكسابها ، وقع فى الديوان بالباء الموحدة ، ولا معنى له ، والصواب بالهمزة جمع كسى (بضم الكاف) [أو جمع « كسء » بالهمز] وهو مؤخر العجز ، والمعنى : أنك ترى أعجازها تضطرب من الجرى كأن عليها الجن ، وتجلب (بفتح التاء وكسر اللام أو ضمها) بمعنى تصوت بها مشتق من الجلبة وهى اختلاط الصوت ، أى تحدو بها الجن .

(٤) ضبط فى الديوان « سقين » بفتح السين والقاف ، ولا وجه له ، لأنه إنما ذكر ماء مفرداً ولم يذكر مياها ، والظاهر أنه بضم السين وكسر القاف يعود إلى الإبل المرادة فى قوله : نعوج وصعر ونواشط ووقعن وفريصات ، والباء فى قوله « بحذاء النجاء » للمصاحبة ، أى شربن مع حذاء النجاء ، وأراد بذلك راحلته الحذاء (بذال معجمة) السريعة ، والنجاء (بفتح النون) أصله السلامة ، وأطلق على السبق لأنها تنجو بصاحبها ، ولذلك قيل للراحلة : ناجية ، والشملة (بكسرتين) : الناقة السريعة ، واليعفور : حمار الوحش ، أى هى سريعة فى وقت وعورة الفلاة التى يرجع فيها حمار الوحش عن زيادة السير فيتبعه أتنه ، وأطلق بشار ضمير جماعة العقلاء فى خطاب حمار الوحش لأنه يعد جماعته عقلاء ، أو أراد أن حمار الوحش حين يلفيه المسافرون راجعاً يعلمون أن الطريق وعر وكأنه قال لهم : تأوبوا ، وأطلق « القول » على دلالة حال حمار الوحش كقول الراجز : امتلأ الحوض وقال قطنى ، والتأويب : الرجوع .

[نقول : لعل « سقين » محرفة عن « سُبِقْنَ » (بضم السين قبل الباء الموحدة المكسورة) فالسبق هو الملائم لقوله « حذاء النجاء » والمناسب لمجىء الباء بعده فى « سبقن بـ . . . » .

ثم نقول : الرأى عندنا فى قول بشار « قال اليعفور » أن « قال » هنا من « القيلولة » لا من « القول » الذى ذكره الشارح ، فيكون معنى « قال » هنا : سكن فى مأواه واستراح عند القائلة ، (أى الظهيرة ، إذ يشتد الحر) ، وفى حديث زيد بن عمرو « ما مهجر كمن قال » أى ليس من خرج فى الهاجرة كمن سكن فى بيته عند القائلة وأقام به .

=

مُفَرَّجَةُ الضَّبْعَيْنِ مَمْهُورَةُ القَرَى تَحُدُ عَلَيْهَا رَاكِبٌ مُتَنَقِّبُ(١)
سُرَى اللَّيْلَ والتَّهْجِيرَ فى كلِّ سَبْسَبٍ يُعَارِضُهُ مِنْ عَارِضِ النَّصِّ سَبْسَبُ(٢)
دَيَامِيمُ تَرْمِى بِالمَطِىِّ إِلَيْكُمُ تَظَلُّ بَنَاتُ الأَزْلِ فِيهِنَّ تَلْغَبُ(٣)

= ولقد شرح الشارح نفسه « قال اليعفور » فى قول بشار (يذكر فلاة يجشمها لمثل هذا المقام ، ص ١٠٩ من هذه المطبوعة) :

حين قال اليعفور وارتكض الآ ل بريعانه ارتكاض النهاء

بقوله : « قال أى هجع فى القيلولة ، واليعفور : حمار الوحش » ! .

ومن تمام الرأى عندنا أن « تأوبوا » محرفة عن « تؤوِّب » من التأويب ، وهو السير جميع النهار

ومعنى بيت بشار : أن ناقتى سبقت النوق بسرعتها ومواصلتها السير ، تسير النهار كله لا تستريح إذا استراح اليعفور فى نصف النهار عند اشتداد الحر] .

(١) كتب فى الديوان « ممهورة القرى » ، ولعله أراد الكناية عن كونها من الإبل المهرية (بفتح الميم) منسوبة الى بنى مهرة بن حيدان (حى مشهورون بكرم إبلهم) فلذلك أسند المهورة الى القرى ، وهو الظهر ، إذ هو المقصود من الراحلة ، وهذا كما يقال « هو عربى اللسان » كناية عن كونه عربياً ، ويحتمل أنه تحريف « مضبورة » أى متماسكة لحم الظهر ملساؤه ، وقد روى بذلك قول النابغة .

موثَّرة الأنساء مضبورة القرى نعوب إذا ذل العتاق المراسل

وسيأتى فى البيت ١٣ من الورقة ١٢٢ أنه كتب نظيره بدال عوض الراء .

[قلنا : الأقرب أن تكون « ممهورة » هنا محرفة عن « ممهودة » بمعنى « ممهدة » ، كقول بشار الآتى (الذى يشير إليه الشارح) : « وقرن ممهود السراة . . . . » والسراة بمعنى القرى والظهر] .

وكتب فى الديوان « تحد » بحاء مهملة ودال مهملة ، وهو خطأ ، والصواب إما « تخذ » بالذال المعجمة وكسر الخاء المهملة ، أى تسرع . وإما « تخب » بخاء وباء موحدة [من الخبب ، وهو بمعنى تسرع أيضاً ، كقول الحادرة : ومتاع ذعلبة تخب براكب] .

(٢) [السبسب : المفازة ، والنص : استخراج ما عند الناقة من أقصى السير] .

(٣) أى هذه السباسب ديامم ، جمع ديمومة أو ديموم . وهى الفلاة الشاسعة ، لأنها يدوم السير فيها ، أى يطول ، وقد اختلف فى اشتقاقها . فقيل : إنها فيعولة من دممت القدر إذا طليتها بالدمام ، وهو الرماد ، وإليه مال صاحب القاموس ، وذهب أبو على الفارسى الى أن أصلها من الدوام ، فيكون وزنها فوعول أو فوعولة قلبت واوها ياء ، وذهب الجوهرى الى أنها من الديمة فوزنها فعلول أو فعلولة ، والأزل (بفتح الهمزة وسكون الزاى) : الشدة والضيق ، والبنات هنا بمعنى الملازمات للشىء ، كقولهم : ابن سبيل ، أى تظل الرواحل المعتادة بالشدائد تصوت فى هذه الفلوات من التعب .

[قلنا : ليس ما ذكره الشارح من مذهب أبى على الفارسى ملائماً لجعل « ديموم » أو « ديمومة » على وزن « فوعول » أو « فوعولة » ، لأن هذا المذهب يقتضى أن تكون الياء المبدلة من واو « الدوام » عين الكلمة لا زائدة ، ويقتضى أن تكون الميم الأولى لام الكلمة لا عينها ، ، فاللائم لهذا المذهب أن يكون الوزن على « فعلول » أو « فعلولة » ، فالوزن عليه كالوزن على مذهب الجوهرى] .

وَكَمْ جَاوَزَتْ مِنْ ظَاهِرٍ أَرْعَنَ شَاخِصٍ ... وَمِنْ بَطْنِ وَادٍ جَوْفُهُ مُتَصَوِّبُ(١)
لها هَاتِفٌ يَحْـكِي غِنَـاءً عَشَنَّقًا ... خَمِيمًا بما أَدَّى لَهُ الصَّوْتُ مُغْرِبُ(٢)
فَمَنْتَ غِنَاءً عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ ... قَرِيبُ مَصَارِ الصَّوْتِ لَيْسَ يُنَقِّبُ(٣)
هُوَ الخَنْفُ لاَ إِنْسٌ وَلاَ نَجْلُ جِنَّةٍ ... يَعِيشُ وَلاَ يَغْذُوهُ أُمٌّ وَلاَ أَبُ(٤)
إِلَيْكَ أَبَا أَيُّوبَ أَسْمَعْتُ صَاحِبِي ... أَغَانِيَهُ وَالنَّاعِجَـاتُ تَسَرَّبُ(٥)
إِذَا خَرَجَتْ مِنْ عَيْنِهِ قُلْتُ لَيْتَنِي ... يَجُوبُ الدُّجَا مِنْهَا حِرَارٌ وَتَنْعَبُ(٦) ٧١

---

(١) [أرعن : جبل طويل ذو رعان طوال . شاخص : مرتفع . منصوب : متسفل (ضد « متصعد »)] .

(٢) كتب فى الديوان « لها » بضمير المؤنث ، فيعود الى الدياميم ، والأظهر أن الضمير مذكر فيعود الى « واد » ، والهاتف هو الصدى يحكى غناء الحداة ، والعشنق : الطويل ، فإما أن يكون وصفاً للغناء وإما أن يكون حالا من هاتف وهو نكرة لأنها وصفت بقوله « يحكى غناء » ورفع « مغرب » على الصفه ، ولو رفع عشنق وسميع لكان أوضح ، ووصف الهاتف بذلك بناء على اعتقاد العرب أن الهاتف جنى فى الفلاة يحاكى صوت المنادى فتتخيله طويلا سميعاً معرباً . وكتب فى الديوان «مغرب» بغين معجمة ، أى يأتى بالغريب ، ولعلها « معرب » بالمهملة .

(٣) انظر ماذا أراد من قوله « عينه » ولعلهم كانوا يتخيلون أن الهاتف ينطق من عينه فى خرافاتهم ، وكتب فى الديوان « لاينقب » بتشديد وفيه إصلاح وكسر القاف ، وهولايتزن ، فلعل أصله « يتقب » أو أن الذى أصلحه أراد أن يكتب « ليس يثقب » فنسى ، وقوله « ولسانه قريب مصار الصوت » أى لسان الهاتف ، والمصار (بفتح الميم) : مصدر ميمى من صار يصور إذا حاكى الصوت ، يقال : عصفور صوار ، إذا كان يجيب الداعى إذا دعا .

(٤) أراد أن هاتف هذه الفلاة ليس من الإنس ولا من الجن ، وهو حى ولا يغذوه أم ولا أب ، وأراد بهذا المحاجاة ، وقوله « هو الخنف » كتب بخاء معجمة ونون ، ولعله اسم اشتقه له بشار من « الخنف » ، وهو ميل الفرس أو البعير الى أحد الشقين إذا جرى من شدة النشاط .

[قلنا : الذى نراه أن « الخنف » محرفة عن « الخيف » وهو الهام والصدى] .

(٥) الناعجـات : النوق الفائقة فى السرعة بحيث يصاد عليها نعاج الوحش ، الواحدة : ناعجة ، مشتقة من الاسم الجامد ، وهو النعجة ، يعنى نعجة الوحش ، وهى أنثى الغزال ، والمراد بصاحبه رفيقه فى السفر ، وإنما أسند الإسماع الى نفسه لأنه المتسبب فى سير صاحبه فى تلك المهمه ، إذ رفيق المسافر ليس له وطر فى السفر إلا مؤانسة المسافر صاحب الحـاجة ، ولذلك لقب عمرو بن قميئة رفيق امرىء القيس فى سفره الى قيصر بلقب « الضائع » لأنه اقتحم سفراً صعباً لغير حاجة . قال امرؤ القيس :

بكى صـاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لا حقان بقيصرا

(٦) كتب فى الديوان « عينه » بعين مهملة وتحتية ونون ، ولعله « غيبه » بغين معجمة وتحتيـة وموحدة ، والغيب : ماغاب من الأرض واطمأن منها ، وتنعب (بفتح العـين المهملة) : تسير النعب (بفتح النون وسكون العين) وهو سير سريع أى لنشاطها .

شَرِبْتُ بِرَنْقٍ مِنْ مُدَامٍ وَلَوْ دَنَتْ ‏ ‏ ‏ حِيَاضُ « سُلَيْمَانٍ » صَفَا لِي مَشْرَبُ (١)

إِذَا جِئْتِ « حَرَّانًا » وَزُرْتِ أَمِيرَهَا ‏ ‏ ‏ فَرَبُّكِ مَضْمُونٌ وَوَادِيكِ مُعْشِبُ (٢)

هُنَاكَ امْرُؤٌ إِنَّ النَّوَالَ لِمَنْ دَنَا ‏ ‏ ‏ لَهُ عَطَنٌ سَهْلٌ وَكَفٌّ تَحَلَّبُ (٣)

دَرُورٌ لِقَوْمٍ بِالْحَيَاةِ عَلَى الرِّضَى ‏ ‏ ‏ عَلَى أَنَّ فِيهَا مَوْتَهُمْ حِينَ يَغْضَبُ (٤)

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ مَسَّهُ ‏ ‏ ‏ مِنَ الضِّيقِ وَالتَّأْنِيبِ نَابٌ وَمِخْلَبُ (٥)

إِذَا قَذِيَتْ عَيْنُ الزَّمَانِ فَدَاوِهَا ‏ ‏ ‏ بِقُرْبِ « سُلَيْمَانٍ » فَإِنَّكَ مُعْتَبُ (٦)

عَدَاكَ الْعِدَى مَا سَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ ‏ ‏ ‏ بَطَارِيقُ فِى الْمَاذِيِّ كَهْلٌ وَأَشْيَبُ (٧)

هُوَ الْمَرْءُ يَسْتَغْلِي « قُرَيْشًا » بِنَفْعِهِ ‏ ‏ ‏ وَدَفْعِ عَدُوٍّ فَاحِشٍ حِينَ يَكْلَبُ (٨)

---

(١) الرنق : المكدر ، والمدام : الماء الذى طال مكثه فى حوضه فلم يتجدد بماء جديد ، ولو كان « شربت » و « صفا لك » بالخطاب كان أحسن لاتساق الضمائر .

(٢) الخطاب فى هذا البيت لراحلته .

[قلنا : الأظهر عندنا أن يكون «فربك» محرفا عن «فريك» (بالياء المثناة) ، يقول بشار لناقته: إذا وصلت الى « حران » وزرت أميرها « سليمان » ضمنت شراباً يرويك ولقيت موفوراً من طعام يغذيك]

(٣) [قلنا : لعل «إن» محرفة عن « دانى » ، يقول بشار : هناك فى حران امرؤ قريب العطاء لمن قرب منه فله مذخ سهل ويد تتحلب بالخير والرزق] .

(٤) قلنا : « درور » صيغة مبالغة من « در » ، يقول بشار : إن هذا الممدوح يدر بالحياة على من يرضى عنهم (كما تدر الناقة بلبنها) ويصيب بالموت من يغضب عليهم ، وانظر قول بشار (ص ١٤٩ من هذه المطبوعة) :

لى فتى تسقى يداه الندى ‏ ‏ حيناً ‏ ‏ وأحياناً دمَ المذنب

وقوله (ص ٢٣٤ من هذه المطبوعة) :

تطول أعمار قوم فى أكفهمُ ‏ ‏ حيناً ‏ ‏ وتقصر أحياناً إذا غضبوا]

(٥ — ٦) [قلنا : قد انتقل بشار من خطاب الناقة الى خطاب من أصابه الزمان بالضر والسوء .

والمستعتب : المسترضى الذى يطلب الرضا ، التأنيب : التعنيف ، قذيت العين : وقع فيها القذى ورمت به ، وقد ينتقل « القذى » الى معنى مايقلق ويسىء من الأمور ، والمعتب (بفتح التاء) : من أزيل عتبه ليصير الى الرضا .

يقول بشار أيها المسترضى للدهر بعد أن نشبت فيك أنياب الضيق ومخالبه ستجد بقربك من سليمان الدواء لقذى عين الزمان ، وتلق عنده مايرضيك ويزيل مساءتك وعتبك] .

(٧) البطاريق جمع بطريق (بكسر الباء) وهو القائد لجيش فيه عشرة آلاف ، ودونه الطرخان على خمسة آلاف ، ودونه القوس [على مائتين] . والماذى : السلاح .

(٨) كلب يكلب (من باب فرح) إذا أصابه داء الكلب وهو جنون بضراوة يعترى الكلاب فإذا =

رَزِينُ حَصَاةِ الْعِلْمِ لَا يَسْتَخِفُّهُ ... أَحَادِيثُ يَسْتَوْعِى عَلَيْهَا الْمُعَيِّبُ (١)
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ ... بِهِ يُتَّقَى فِى النَّائِبَاتِ وَيُعْصَبُ (٢)
يَهَشُّ لِمِيقَاتِ الْجِهَادِ فُؤَادُهُ ... فَلَا يَتَطَرَّقْهُ الْبَنَانُ الْمُخَضَّبُ (٣)
إِذَا الْحَرْبُ قَامَتْ قَامَ حَتَّى يُقِيدَهَا ... قُعُودًا وَمُثْحُوثُ الْكَتِيبَةِ مُطْنَبُ (٤)
لَهُ كُلَّ عَامٍ غَزْوَةٌ بِمُسَوَّمٍ ... يَقُودُ الْمَنَايَا رَايُهُ حِينَ يَذْهَبُ (٥)

= عضت حيواناً أصابه ما أصابها ، وأراد به هنا الحرص على إلحاق الضرر وشدة الخبث ، ومنه قولهم « كلب الشتاء » لشدة برده وقلة الأقوات فيه

(١) [الرزين : الوزين الثابت ، و « الحصاة » بمعنى الرأى ونحوه ، و « يستخفه » بمعنى يزيله عن الحق والصواب ، و « يستوعى » بمعنى يستولى على الشىء ويأخذه كله .

يقول بشار : إن هـذا الممدوح متثبت فيما يراه من العلم ، فلا تزيله عن الحق أحاديث المعيبين الذى يجمعون الأقاويل ويلفقونها ولا يميزون كاذبها من صادقها ، ولعل بشاراً يشير إلى أن سليمان يحبه على الرغم من الوشاة العيابين ، وما أكثر عيابى بشار !] .

(٢) [يعصب به (بالبناء للمجهول) أى يجتمع الناس حوله ويحيطون به] .

(٣) « يهش » بكسر الهاء وفتحها ، « يتطرقه » ثبت مجزوماً للضرورة وليس الكلام على معنى النهى أو الدعاء .

[قلنا : لعل « فلايتطرقه » محرف عن « فلم يتطربه » ، وذلك كقول الكميت الأسدى : « ولم يتطربنى بنان مخضب »] .

(٤) المثحوث (بالضم) : الكثير ، وقال ابن سيده : المثحوث الكتيبة ، ولا يلاقى إضافة بشار المثحوث إلى الكتيبة .

[نقول : المذكور فى كتب اللغة وصف الجيش بـ « مطنّب » (بتشديد النون) أو « مطناب » ، وكلاهما لايوزن معه البيت هنا ، فلعل « مُطْنِب » بكسر النون مع سكون الطاء اسم فاعل من « أطنب » ، ويقال « أطنبت الإبل » إذا تبع بعضها بعضاً ، و « أطنبت الريح » إذا اشتدت ، و « أطنب القائل » إذا بالغ .

ثم نقول : قيام الحرب معروف ، وقد استعمل بشار « الطباق » بين القيام والقعود ، كقولهم « أرض مريضة » إذا كانت كثيرة الفتن والحروب ، فاستعملت ليلى الأخيلية « الطباق » بين المرض والشفاء فى قولها :

إذا بلغ الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

ويشعر بفائدة القعود قوله « يقيدها » إذا لم يكن محرفاً عن « يعبدها »] .

(٥) المسوم : الجيش المسومة فرسانه ، أى المجعول عليهم سمات وعلامات يجعلها الشجعان المشاهير ، قال تعالى : يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وأراد بالغزوة غزوة الصائفة ، ورايه : جمع راية ، والضمير عائد إلى مسوم .

لُهَامٌ كَأَنَّ الْبِيضَ فِى حُجُرَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ « نُورُهَا » مُتَجَوِّبُ(١)

كَرَادِيسُ خَيْلٍ لَا تَزَالُ مُغِيرَةً بِهَا الْمَلِكُ الرُّومِيُّ عَانٍ مُعَذَّبُ(٢)

كَأَنَّ بَنَاتِ الْيُونَ بَعْدَ إِيَابِهِ مُوَزَّعَةً بَيْنَ الصَّحَائِبِ رَبْرَبُ(٣)

مَوَاهِبُ مَغْبُوطٌ بِهَا مَنْ يَنَالُهَا صَفَايَا سَبَايَا الرُّومِ بِكْرٌ وَثَيِّبُ(٤)

وَمَا قَصَدَتْ قَوْمًا مُحِلِّينَ خَيْلُهُ فَتَصْرِفُ إِلَّا عَنْ دِمَاءٍ تَصَبَّبُ(٥)

جَدِيرٌ بِتَرْكِ النَّائِحَاتِ إِذَا غَدَا لَهُنَّ عَلَى الْقَتْلَى عَوِيلٌ وَمَنْدَبُ(٦)

---

(١) « لهام » صفة لسوم ، واللهام : الجيش العظيم ، والبيض : السيوف ، والحجرات (بضمتين) النواحي ، ووقع فى المصراع الثانى تبييض قدر كلمة ، ولعلها : ضوؤها أو نورها ، ومتجوب : مخترق .

[نقول : ضبط الشارح « حجراته » بضم الحاء والجيم ، وهو صحيح ، ولكننا لا نرى موجباً للعدول إليه وترك ما فى المخطوطة ، فقد ضبطت « حجراته » فى المخطوطة بفتح الحاء والجيم ، وهو صحيح ، جمع « حجرة » بفتح الحاء وإسكان الجيم بمعنى « ناحية » .

ثم نقول : ذكر الشارح معنى « متجوب » إذ جعلها خبراً لمبتدأ هو « نورها » أو « ضوؤها » ولم نر فى كتب اللغة التى بأيدينا ما يؤيد هـذه الكلمة هنا ، ولعلها محرفة عن « متحوّب » بالحاء ، والمتحوب هو المتوجع الشاكى الصائح ، ولعل قبلها « شامها » بمعنى نظر إليها ورقبها ، فيكون عجز البيت هكذا : « نجوم سماء مثلها متحوب »

ومعنى البيت : أن هذا الجيش العظيم كأن السيوف فى نواحيه نجوم سماء أظلت العدو فرقبها ونظر إليها متوجعاً صائحاً من الخوف ، وبذلك يكون أسلوب هذا البيت مثل أسلوب البيت التالى ، إذ ذكر الخيل المغيرة وأن العدو ذليل معذب بها] .

(٢) أشار بقوله « بها الملك الرومى عان معذب » إلى غزوه لبلاد الروم المتاخمة للحدود الشامية فى جهات قيسارية . وكانت غزوة سليمان بن هشام الممدوح فى أرض الروم مما يلى الجزيرة سنة ١١٧ ، وفتح سندره سنة ١٢٠ ، يعنى الملك الرومى أليون الذى غزاه سليمان بن هشام سنة ١٢٤ ، وغنم وسبى ، وقد صرح باسمه فى البيت الموالى .

[كراديس : جمع كردوسة ، وهى طائفة عظيمة من الخيل ، عان : خاضع ذليل] .

(٣) « بنات البون » هكذا ثبت فى النسخة بالموحدة ، والصواب « اليون » بالمثناة لما قلناه فى شرح البيت قبله ، أراد أن بنات اليون صرن سبايا وقسمن بعد إياب الجيش كأنها ربرب من بقر الوحش ، والصحائب جمع صاحبة ، أى موزعة بين بقايا السبايا [قلنا : « الصحائب » لعلها جمع « صحابة »] .

(٤) [قلنا : مواهب : جمع موهبـة ، وهى العطية والشىء الموهوب « مغبوط بها من ينالهـا » خبر ومبتدأ ، أى : من ينالها مغبوط بها ، إذ يتمنى غيره أن ينال مثـله ، والصفايا : جمع صفية ، وهى ما اصطفاه المختار واختاره] .

(٥) [قلنا : الذى نراه فى معنى « محلين » هنا : أنهم الذين لا عهد لهم ، يقال : رجل محل ، أى لا عهد له ، وضبط فى الأغانى « فتصرف » بالبناء للمجهول ، و « تصبب » بمعنى تنحدر] .

(٦) المندب : مصدر بوزن المفعل ، من ندب الميت (بفتح الدال) يندبه (بضم الدال) .

أغرُّ هشاميُّ القَناةِ إذا انتمَى ... نمتْهُ بُدُورٌ لَيْسَ فِيهِنَّ كَوْكَبُ[١]
جَمِيلُ المُحَيَّا حِينَ راحَ كأنَّمَا ... تُخُيِّرَ فى دِيباجَةِ الوَصْفِ مُذْهَبُ
يَزِينُ سَرِيرَ المُلْكِ زَيْنًا ويَنْتَهِى ... بِهِ المِنْبَرُ المَنْصُوبُ فى يَوْمِ يَخْطُبُ

وقال يمدح أخاً له(*) :

٧٢ وَأَخٍ ذِى ثِقَــةٍ آخَيْتُهُ ... مَاجِدِ الأَعْرَاقِ مَأْمُونِ الأَدَبْ
أَمْحَضَ اللهُ لَهُ أَخْــلاقَهُ ... فَهْىَ كَالإِبْرِيزِ مِنْ سِرِّ الذَّهَبْ[٢]
عَزَّنِى المَعْرُوفُ حَتَّى عَلِقَتْ ... كُلُّ كَفٍّ لِى مِنْهُ بِسَبَبْ[٣]
فَهْوَ يُعْطِينِى وَأُعْطِى فَضْــلَهُ ... سَبَلَ الغَيْثِ تَدَلَّى فَسَكَبْ[٤]
فَإِذَا أَبْصَرَ وَجْهِى مُقْبِلاً ... ضَحِكَتْ عَيْنَاهُ مِنْ غَيْرِ عَجَبْ[٥]
وَإِذَا كَلَّمْتُهُ وَاحِــدَةً ... هَيَّجَتْ مِنْهُ عُلالاتِ الطَّرَبْ[٦]

---

(١) « ليس فيهن كوكب » أى ليس فى تلك البدور من هو ضعيف الضياء ، فهذا وجه النفى هنا ، لأجل أنه شبه جدوده بالبدور ، وإن كان الكواكب قد شبه بها فى الشرف والضياء فى غير هذا المقام ، كقول أبى الطمحان القينى :

نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وإنما حسن تشبيه أبى الطمحان أنه قصد أنهم كثيرون فى المجد ، وأن بعضهم يخلف بعضاً ، وأراد بشار أن أجداد الممدوح متساوون فى المجد والسؤدد .

(*) وقال أيضاً يمدح أخاً له ، أراد به الصديق لأن الأخ من النسب ، لقوله « آخيته » . والقصيدة من الرمل .

(٢) [أمحض أخلاقه : أخلصها ، الإبريز : الحلى من صافى الذهب ، والسر : الخالص] .

(٣) « عزنى » أى غلبنى ، قال تعالى : وعزّنى فى الخطاب ، أى غلبنى المعروف ، أى لم أحصل عليه من أحد حتى نالنى معروفه الجم .

(٤) [السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض] .

(٥) أسند الضحك إلى العينين مجازاً ، أى ينظر لى نظر السرور فكأن عينيه تضحكان ، وهذا كقول الأعشى : وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق ، أى إذا ظهرت علامات الخوف فى عيونهم ، وقال تعالى : سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وقال رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فهذا استعمال فصيح عزيز .

(٦) العلالات جمع علالة ، وهى ما يتعلل به ، أى يتلهى به من الأشياء الملائمة ، والضمير فى « هيجت » [يعود] إلى الواحدة .

وَإِذَا مَاغِبْتُ عَنْــهُ سَاعَةً ... أَنَّ لِلْغَيْبَةِ مِنْ غَيْرِ وَصَبْ(١)
فَهْوَ لِي — وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ — غِنًى ... وَعَفَافٌ مِنْ دَنِيِّ الْمُكْتَسَبْ(٢)
مِنْ تِجَارَاتٍ أَشَابَتْ مَفْرِقِي ... وَكَسَتْنِي ثَوْبَ ذُلٍّ وَنَصَبْ(٣)
وَمُلُوكٍ إِنْ تَعَرَّضْتُ لَهُمْ ... عَرَّضُوا دِينِي وَشِيكاً لِلْعَطَبْ(٤)

وقال أيضاً يمدح يعقوب بن داود(*):

نَغَّصَ طِيبَ الْعَيْشِ تَنْصِيبُ ... وَفِي الْمُلِمَّاتِ الْأَعَاجِيبُ(٥)
وَالدَّهْرُ طَــلَّاعٌ بِأَحْكَامِهِ ... وَالْمَرْءُ مَخْـــدُوعٌ وَمَــكْذُوبُ
وَالنَّاسُ مِنْ غَادٍ وَمِنْ رَائِحٍ ... يُحْصَى عَلَيْهِ الْبِرُّ وَالْحُوبُ(٦)
لَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ وَيُمْنَى بِهِ ... كُرْهًا، وَطِيبُ الْعَيْشِ تَعْذِيبُ(٧)
قُلْ لِابْنِ دَاوُدَ إِذَا جِئْتَهُ ... سَيْبُكَ مَوْجُودٌ وَمَطْلُوبُ(٨)
أَنْجَزَ حُرٌّ وَأْيَهُ طَائِعًا ... وَالْعَبْــدُ مَــكْدُودٌ وَمَضْرُوبُ(٩)

---

(١) [« أن » فعل ماض ، من « الأنين » أى تأوّه ، والوصب : المرض] .
(٢) [« المكتسب » مصدر ميمى ، بمعنى الاكتساب] .
(٣) أراد بالتجارات هنا الأسفار لطلب المعروف والجوائز .
(٤) يعنى أن صحبته السلطان لا تخلو من مجاراته على بعض الجور والمنكر ، وهذا جار على طريقة زمانه فى كراهية قرب السلطان .
(*) وقال أيضاً يمدح يعقوب بن داود .
القصيدة من بحر السريع وعروضها مطوية مكشوفة فاعلن وضربها أصلم فعلن .
(٥) التنصيب : مصدر نصّبه إذا أدخل عليه النصب ، وهو التعب .
(٦) الحوب : الإثم .
(٧) [يمنى به : يُبتلى به ويصاب] .
(٨) [سيبك : عطاؤك] .
(٩) وأيه : وعده ، وكتب فى الديوان بالراء عوّض الواو ، وهو غلط ، وقد تظم المثل « أنجز حر ما وعد » .
[قلنا : « العبد مكدود » معناه أن العبد يلح عليه الناس إلحاحاً متعباً ، قال أعرابى لعبد له : « لأكدّنك كدّ الدبر » أراد أنه يلح عليه فيما يكلفه من العمل الواصب إلحاحاً يتعبه ... والمراد بقول بشار « مضروب » أن العبد يُقرع بالعصا ولا تكفيه الإشارة] .

لِلْمَرْءِ مِنْ أَفْعَالِهِ مُشْبِهٌ ... فَافْعَلْ شَبِيهًا بِكَ يَعْقُوبُ[١]
حَلَبْتَ لِلْقَوْمِ وَلاَ تَنْسَنِي ... وَأَنْتَ عُرْفُ الْجُودِ مَحْلُوبُ[٢]
يُبْقِي لِذِي الْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُهُ ... حَمْدًا وَتَنْزَاحُ الْأَكَاذِيبُ

وقال أيضاً

يمدحُ مَرْوانَ بنَ محمدِ بنِ مروانَ ، وَيَمْدَحُ قَيْسَ عَيْلَانَ(*) :

---

(١) [« يعقوب » منادى] .

(٢) [قلنا : فى المخطوطة : « فلا » بدلا من « ولا » ، ولعل « عرف » منصوب بالفتحة ، فهو منادى أو مفعول ثان لـ « محلوب » ، وربما كان « عرف » محرفاً عن « عرق » بكسر العين وبالقاف منصوبا بالفتحة أيضاً] .

(*) وقال أيضاً « يمدح مروان بن محمد بن مروان ويمدح قيس عيلان » هكذا وقع فى الديوان ، ووقع فى الأغانى عند ذكر بعض أبيات هذه القصيدة أنه مدح بها ابن هبيرة ، يعنى : يزيد بن عمر بن هبيرة ، فإنه كان قائد جيش قيس ، لكنه لم يذكره باسمه فى هذه القصيدة ، وذكر مروان باسمه فى البيتين ٤٩ ، ٥١ من هذه القصيدة ، وذكره أيضاً بوصف الخليفة فى البيت ٨١ من هذه القصيدة .

ومروان هذا هو آخر خلفاء بنى أمية ، وهو الملقب بالحمار ، وكان ذا رأى ومكيدة وبسالة فى الحروب ، وأخذ الخلافة الأموية غصبا ، ورام ضبط الدولة حين رآها أشرفت على الانحلال ، فغلبته الأحوال وآل أمره إلى الاضمحلال .

ومدح بشار قيس بن عيلان فى هذه القصيدة ، وافتخر بهم ، وأسند فعالهم فى الحروب إلى ضمير المتكلم ومعه غيره ، لأنه مولى قيس عيلان ، وقيس عيلان بإضافة « قيس » إلى « عيلان » وهو اسم جد قبيلة عظيمة من قبائل العرب المضرية ، وقيل : إن قيسا هو ابن عيلان وعيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، و « عيلان » بعين مهملة ، ويكثر تحريفه فى كتب الأدب العربى بغين معجمة ، وأشار بشار فى قصيدته هذه إلى وقائع يتعين الإلمام بذكرها ، وذلك أنه لما اضطرب أمر بنى أمية بعد بيعة يزيد بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك (الناقص) سنة ١٢٦ ثار أهل حمص على الذين قتلوا الوليد بن يزيد ، وأرادوا المسير إلى دمشق ، ووثب أهل فلسطين على عاملهم ، وتداعوا إلى قتال يزيد بن الوليد ، وانتقضت اليمامة وخراسان وجهات كثيرة ، وتوفى يزيد فى تلك السنة ، وولى بعده أخوه إبراهيم ، وكان مروان بن محمد (الممدوح) والياً على الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان من قبل يزيد بن الوليد ، فلما رأى مروان اختلال الأمور خرج من الجزيرة يريد الشام ، وانضم إليه فى قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة وقيس عيلان ثم بلغ حمص فانضم إليه أهلها ، وخرج إليه جند إبراهيم بقيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وتلاحموا فى عين الجر ، وانهزم جند الشام وفيهم بنو كلب ، وانتصر جند مروان وهم قيس عيلان ، وهرب الخليفة إبراهيم ، وبويع مروان بالخلافة فى دمشق ، ثم انتقض عليه أهل حمص ومن فى تدمر من الكلبيين ، دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم الجذامى ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك وأخوه سعيد بن هشام وعثمان ومروان =

جفَا وِدُّهُ فازورَّ أوْ مَلَّ صَاحِبُهْ   وَأَزْرَى بِهِ أنْ لاَ يَزَالَ يُعَاتِبُهْ(١)

= ابنا سعد بن هشام والسكاسك ، فهزمهم مروان ، وهدم سور حمص ، وصلب ثابت وأبناؤه على باب دمشق ، ثم انتقض أهل فلسطين من أتباع ثابت بن نعيم ، ثم سار سليمان بن هشام ومعه أهل الشام وحمص وتدمر ، وكان من أنصاره أخوه سعيد بن هشام وابن أخيه عثمان بن سعيد فحاربهم مروان ، وانتقض أهل الغوطة من دمشق وعم اليمنية ، فأحرق مروان قرى اليمنية من الغوطة ، ثم خرج أهل الكوفة سنة ١٢٨ ، وكان رأس أهل الكوفة الضحاك بن قيس الشيباني ، واستفحل أمره ، فحاربهم مروان وقتل الضحاك وانهزموا سنة ١٢٩ ، وكان الأمر فى حروب واضطرابات إلى أن قتل مروان فى ذى الحجة سنة ١٣٢ بمصر ، هزمه شيعة بنى العباس ، فأشار بشار إلى الملاحم التى انتصر فيها مروان ، وقد أشار بشار إلى هذه الوقائع فى الأبيات الآتية بورقة ٧٥ وورقة ٧٦ . والقصيدة من بحر الطويل .

وقد نسب بعض أهل اللغة أبياتاً كثيرة من هذه القصيدة إلى المتلمس الضبعى ، قال فى الأغانى : أخبرنى يحيى بن على ، قال حدثنى أبى قال : كان إسحاق الموصلى يطعن على شعر بشار ، فقلنا : أتقول هذا لمن يقول : إذا كنت فى كل الأمور معاتبا   صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه (الأبيات الثلاثة)

فهذا الكلام الذى ليس فوقه كلام من الشعر ! فقال إسحاق : أخبرنى أبو عبيدة أن شبيلا الضبعى أنشده هذه الأبيات للمتلمس ، وكان عالما بشعره لأنهما جميعاً من ضبيعة ، فقلت : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار : إن شبيلا أخبره أنها للمتلمس ، فقال : « كذب والله شبيل ، هذا شعرى ، ولقد مدحت به ابن هبيرة ، فأعطانى عليه أربعين ألفاً » وقد صدق بشار . ثم قلت لإسحاق : أخبرنى عن قوله فى هذه القصيدة :

فلما تولى الحر واعتصر الثرى   لظى الصيف من نجم توقد لاهبه (الأبيات الثلاثة)

أفهذا للمتلمس أيضا ؟ قال : لا ، قلت : أفما هو فى غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة ؟ وكيف خص المتلمس بالسرقة منه من بين الشعراء ، وهو قبله بعصر طويل وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى ؟ قال فلم يرد ذلك بشىء .

[قلنا : فى طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز ص ٤ (طبع جامعة كمبردج بلندن) : « ومما يستحسن لبشار لإحكام وصفه وحسن وصفه كلته . . » يعنى هذه القصيدة] .

(١) جفا : بعد ، والود (مثلث الواو) أصله مصدر وده ، وأطلق على الودود ، وهو فى حالة كسر الواو يكون إطلاقه على الودود من باب فعل (بكسر فسكون) بمعنى مفعول كذبح . وازور : انحرف وتباعد ، والضمير المضاف إليه « وده » يعود على غير مذكور ، وكذلك بقية الضمائر البارزة ، والصاحب هو الود ، أظهره فى مقام الإضمار .

[قلنا : ليست الضمائر البارزة كلها عائدة على ماعاد إليه الضمير فى « وده » فإن قوله « يعاتبه » فيه ضميران : أحدهما فاعل مستتر وهو عائد على ماعاد إليه الضمير فى « وده » ، والآخر مفعول بارز وهو الهاء الذى يعود إلى الود أو الصاحب ، وربما يقرأ « وده » على معنى « مودته » ونصب بالمفعولية وكان « صاحبه » فاعلا تنازعه « جفا » و « ازور » و « مل » ، والمعنى : أن المحب قد جفا حبيبه أو مله فعاتبه المحب وأكثر حتى أزرت به كثرة العتاب ، وفى طبقات الشعراء لابن المعتز : « جفا جفوة فازور إذ مل صاحبه . . . . »] .

خَلِيلَىَّ لاَ تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى ... وَلاَ سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ(١)
شَفَى النَّفْسَ ما تَلْقَى بِعَبْدَةَ عَيْنُهُ ... وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وطَبَائِبُهْ(٢) ٧٣
فَأَقْصَرَ عِزْزَامُ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... يَمِيلُ بِهِ مَسُّ الْهَوَى فَيُطَالِبُهْ(٣)
إِذَا كَانَ ذَوَّاقًا أَخُوكَ مِنَ الْهَوَى ... مُوَجَّهَةً فى كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهْ(٤)
فَخَلِّ لَهُ وجْهَ الْفِرَاقِ ولاَ تَكُنْ ... مَطِيَّةَ رَحَّالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهْ(٥)

---

(١) [قلنا فى طبقات الشعراء لابن المعتز « ولا لوعة المحزون » بدلا من « ولا سلوة المحزون »]

(٢) الطبائب : جمع طبيبة ، وهى الحبيبة المواصلة المواسية ، وسماهن طبائب لأنهن يشفين مما يعدون قال ذو الرمة :

هى البرء والأسقام والهم والمنى ... وموت الهوى فى القلب منى المبرح

والمعنى أنه شفى نفسه من ألم حب حبائبه البعيدات ما تلقى عينه من رؤية عبدة وما يلقاه قلبه ، وقوله « وطبائبه » عطف على « ماتلقى » الأول « وكان » فى قوله « وما كان يلقى » زائدة بعد ما النافية .

[نقول : فى المخطوطة : « ما يلق » بدلا من « ما تلق » فى صدر البيت ، والتغيير فى نسخة الشارح . ثم إننا لا نرى أن قول بشار « ما كان » قد وقعت فيه « ما » نافية قبل « كان » زائدة . والذى نراه أن « ما » إما موصولة وإما استفهامية .

ثم نقول : إن الشارح قد ذكر ماراه فى معنى البيت ، ولعله نظر فى ذلك إلى مجىء البيت فى بعض الكتب بتغيير لبعض الألفاظ هكذا :

شفى النفس ما يلق بعبدة مغرما ... وما كان يلق قلبه وضرائبه

والبيت بروايته فى الديوان هنا يحتمل لأن يكون معناه شفاء النفس بما تهريقه العين من العبرات ؛ كقول امرئ القيس : « وإن شفائى عبرة مهراقة » وربما أريد بالطبائب التى تداوى بالرق ونحوها] .

(٣) كتب فى الديوان « فأقصر عن رام » والصواب « عرزام » بعين مكسورة فراء فزاى ، وهو القوى الشديد من كل شىء ، أى أقصر الفؤاد الشديد وتقد عزمه ، ويحتمل أنه « عزام الفؤاد » الذى يعزم ، أى الذى يرقى بالعزائم ، وهى الأقوال التى يرقى بها من أصابته الجن ؛ وهذا أنسب بقوله : مس الهوى ، وكتب فى الديوان « يميل به أمس الهوى » والصواب « مس » شبه العشق بمس الجنون .

[قلنا : لعل الصواب « فأقصر عن رائى الفؤاد » ، وبذلك جاء البيت فى طبقات الشعراء لعبد الله ابن المعتز ، والمراد بـ « رائى الفؤاد » الحبيب ، وذلك معروف فى أسلوب الشعراء : أن الحبيب يرى محبه بصائب الحب ويضرب بسهميه فى أعشار القلب ، ومعنى « أقصر » : كف . يعنى أن المحب قد كف عن حبيبه الذى جفاه . وأما « أمس الهوى » فقد يراد به « ماضى الهوى »] .

(٤ — ٥) [قلنا : قد ذكر الراغب فى محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٣٦) هذين البيتين دون تسمية القائل — تحت عنوان « الحث على تخلية المتلون » هكذا :

إذا كان ذو لون حوّول عن الهوى ... موجهة فى كل صوب ركائبه
فخل له وجه الفراق . . . . إلخ

وفى طبقات الشعراء لابن المعتز « الطريق » بدلا من « الفراق »

وقد سبق ذكر « ذواقة » فى شعر بشار (ص ٢٦٨ من هذه المطبوعة)]

أَخُوكَ الَّذِى إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ وإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ[1]

---

(١) فى القاموس : « رابنى الأمر وأرابنى » فدل على أنهما بمعنى واحد ، وفى لسان العرب : « اعلم أن أراب يأتى متعديا وغير متعد ، فمن عداه جعله بمعنى راب ، وأما الذى لا يتعدى فمعناه أتى بريبة كما يقال ألام بمعنى أتى بما يلام عليه . قال أبو زيد : يقال رابنى من فلان أمر إذا كنت مستيقناً منه بالريب ، فأما إذا أسأت الظن ولم تستيقن فإنك تقول : أرابنى من فلان أمر . اه . احتمل أن يكون جاء به قاصراً ، أو حذف مفعوله ، وقد روى البيت « أربت » بضم التاء للمتكلم وبفتحها للمخاطب على على أنه فعل مضى فيهما من أراب كما نص عليه أهل اللغة ، وروى « أراب » مسنداً إلى ضمير الغائب ، فعلى كلام القاموس يتعين ضم التاء ، والمعنى إذا ربته وشككته فى ودك أعرض عن ذلك ، وقال : إذا اعتقدت الريبة فى أخى فقد صرت أنا هو المريب ، فيكون التعبير أولا بالسالم وثانياً بالمهموز بمجرد تفنن فى الكلام كراهية إعادة اللفظ ، وفى هذا المعنى على هذا القول تكلف ، والظاهر ما فى لسان العرب ، فعلى رواية ضم التاء فكذلك ؛ وعلى رواية فتح التاء فالمعنى إنما أظهرت لى ما يوجب سوء الظن فقط وليست بريبة محققة ، وعلى رواية أراب فالمعنى مثل معنى فتح التاء ، إلا أنه على تاء الخطاب يكون القول موجها إلى معاد الكاف فى قوله « أخوك » وعلى رواية الغيبة ، يكون القول قولا نفسياً فى نفس الأخ ، وموضع « إنما » فى الروايات كلها لقصر القلب ، فعلى رواية المتكلم فهو قصر موصوف على صفة ، وعلى رواية الخطاب والغيبة قصر صفة على موصوف .

[نقول : قد ذكر صاحبا « لسان العرب » و « تاج العروس » بيت بشار ، فقالا : « أراب قد يأتى متعديا ، وغير متعد ، فمن عداه جعله بمعنى راب ... وأما الذى لايتعدى فمعناه : أتى بريبة ، كما تقول : ألام ، إذا أتى بما يلام عليه ، وعلى هذا يتوجه البيت المنسوب إلى المتلمس أو إلى بشار بن برد ، وهو :

أخوك الذى إن ربته قال : إنما أربت ، وإن لا ينته لان جانبه

والرواية الصحيحة فى هذا البيت : أربتُ (بضم التاء) أى أخوك الذى إن ربته بريبة قال : أنا الذى أربت ، أى أنا صاحب الريبة ، حتى تتوهم فيه الريبة ، ومن رواه : أربت (بفتح التاء) فإنه زعم أن ربته بمعنى أوجبتَ له الريبة ، فأما أربت (بالضم) فمعناه أوهمته الريبة ولم تكن واجبة مقطوعاً بها » اه .

فأما ما ذكره الشارح من قول أبى زيد فلم ينقله صاحب اللسان ولكن نقله صاحب المصباح المنير .

ثم إننا لا نرى رأى الشارح فى تفصيل القصر المراد بقول بشار « إنما أربت » إذ يقول الشارح : « فعلى رواية المتكلم فهو قصر موصوف على صفة ، وعلى رواية الخطاب والغيبة قصر صفة على موصوف » . والرأى عندنا أن القصر على رواية المتكلم — وهى التى صححها العلماء — قصر صفة على موصوف أيضاً ، فهذا هو المعروف فى مثل هذه الجملة من الجمل الفعلية التى تلى « إنما » ، ففيه قصر الإرابة على الفاعل .

ومعنى البيت : أخوك الذى إن رأى منك ما يريبه وعلم منك الريبة لم يفضحك ولم يقطعك بل ينسب الريبة إلى نفسه كأنه هو المريب وحده ، وإن عاتبته لم يجمد على العتاب بل يلين جانبه .

هذا وقد ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد (ج ٧ ص ١١٥) رواية أخرى لهذا البيت :

أخوك الذى إن تدعه لملمة يجبك وإن عاتبته لان جانبه]

إذَا كُنْتَ فى كل الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الّذِى لاَ تُعَاتِبُهُ(١)

فَعِشْ وَاحِدًا أوْ صِلْ أخَاكَ فإنَّهُ ... مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ(٢)

إذَا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ ، وأىُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ ؟(٣)

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ تَنَامُ بَنَاتُهُ ... وَأبْنَاؤُهُ مِنْ هَوْلِهِ وَرَبَائِبُهُ(٤)

حَمَيْتُ بِهِ عَيْنِى وَعَيْنَ مَطِيَّتِى ... لَذِيذَ الكَرَى حَتَّى تجَلَّتْ عَصَائِبُهْ(٥)

وَماء تَرى رِيشَ الغَطَاطِ بِجَوِّهِ ... خَفِىِّ الحَيَا ما إنْ تَلِينُ نَصَائِبُهْ(٦)

---

(١) [قلنا : هذا البيت والبيتان بعده من الأبيات السائرة ، وقد روى « الأمور » بدل « الذنوب » فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٤) والأغانى (ج ٣ ص ٤٨ ، ٤٩) وتاريخ بغداد (ج ٧ ص ١١٥) والصداقة والصديق (ص ٤٨) وديوان المعانى (ج ٢ ص ١٩٦) ومحاضرات الأدباء (ج ٢ ص ٤) ونهاية الأرب (ج ٣ ص ٧٩)] .

(٢) يروى « مفارق ذنب » بتقديم الفاء على القاف ، وكذلك ثبت فى الديوان ، وعليه فقوله « ومجانبه » هو اسم فاعل جانبه إذا جلس بجنبه ، وروى فى الأغانى وغيرها « مقارف » بتقديم القاف على الفاء ، وهو من المقارفة بمعنى المخالطة ، فقوله « ومجانبه » اسم فاعل من جانبه إذا كان منه بجانب ، أى بجهة أخرى ، أى بعيدا عنه .

(٣) [نقول : يطلق « القذى » على مايقع فى الشراب كما يطلق على مايقع فى العين .
ولهذا البيت حديث يدل على إعجاب بشار بنفسه وتكابره ، وروى أبو الفرج فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٨) عن محمد بن صالح بن الحجاج أنه قال : قلت لبشار : إنى أنشدت فلانا قولك :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه ؟

فقال لى : ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ! فقال لى بشار : ويلك ! أفلا قلت له : هو والله لأكبر الجن والإنس !] .

(٤) « الدجوجى » بفتح الدال منسوب إلى « الدجج » بضم الدال وبجيمين شدة الظلمة ، وهو نسب على غير قياس ، وبنات الليل وأبناؤه : هم الذين اعتادوا مواظبة السهر فى الليالى ، وزاد « وربائبه » وأراد بهم المجاز عن الذين هم أضعف سهراً فى الليالى ، وكأنه زاده هنا لمجرد قصد التعميم وتصريحا بالمفهوم تأكيداً ، كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم .

(٥) حميت : منعت ، ولما كان « حمى » بمعنى « منع » تعدى إلى مفعولين مثل منع وضمير « عصائبه » يعود إلى الليل ، والعصائب : الجماعات ، أراد بها ظلماته ، فهو بطوله كأنه مجتمع ليال كثيرة

(٦) الغطاط (بفتح الغين المعجمة) جمع غطاطة ، وهى القطاة ، وقيل : الغطاط : ضرب من القطا طوال الأرجل بيض البطون غُبْر الظهور واسعة العيون ، بخلاف قصار الأرجل ، صفر الأعناق سود القوادم ، صهب الخوافى وتسمى الكدرية والجونية ، والحيا : الخصب ، والنصائب (بصاد مهملة) جمع نصيبة ، وهى حجارة تنصب حول الحوض ويسد مابينهما من الفروج بالمدرة المعجونة . وكتب فى الديوان بضاد معجمة غلطا .

[قلنا : الذى نراه « أن عجز البيت يفسر بعضه بعضا وأن فيه تحريفاً ، فـ « الحيا » محرف عن « الجبا » (بتفريق النقطتين بين الجيم والباء الموحدة) والجبا : حوض الماء ، يشير إلى ذلك قوله =

قَرِيبٍ مِنَ التَّغْرِيرِ نَاهٍ عَنِ القُرَى ... سَقَانِي بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللَّيْلِ دَائِبُهْ(١)
حَلِيفُ السُّرَى لاَ يَلْتَوِى بِمَفَازَةٍ ... نَسَاهُ وَلاَ تَعْتَلُّ مِنْهَا حَوَالِبُهْ(٢)
أَمَقُّ غُرَيْرِيٌّ كَأَنَّ قُتُـــودَهُ ... عَلَى مُثْلَثٍ يَدْمَى مِنَ الْحُقْبِ حَاجِبُهْ(٣)

= « نصائبه » ، وكذلك « لاتلين » محرف عن « لاتبين » أى لاتظهر ، يشير إلى ذلك قوله « خنى » ، والمعنى : أن هذا الماء يخفى حوضه على السارى فلا تتبين الحجارة المنصوبة حوله] .

(١) « مستعمل الليل » أى الجمل الذى يسير بالليل ، فهو اسم فاعل ، أو اسم مفعول إن فتحت الميم ، مضاف إلى الزمن على تقدير « فى » مثل مكر الليل .

[من معانى « التغرير » الملء ، ومشهور معناه التعريض للهلاك] .

(٢) النسا (بفتح النون وبالقصر) : عرق من الورك إلى الكتف ، والحوالب (بالحاء المهملة) عرقان يكتنفان السرة إلى البطن .

[يعنى : أن جمله قد اعتاد السير فى الفلاة بالليل فلا يصيبه الالتواء أو الاعتلال بعض عروقه] .

(٣) الأمق : الطويل ، يقال : فرس أمق وجمل أمق ، والغريرى (بضم الغين المعجمة وبراءين) : منسوب إلى فحل مشهور . والقتود (بقاف ثم تاء لا بالياء كما فى النسخة) جمع قتد (بكسر القاف) ، والمثلث : الذى له ثلاث أتن أو الذى له أتانان صار بهما ثلاثاً فهما أثلثاه أى جعلتاه ثالثاً ، وهو هنا صفة لحمار محذوف ، أى : كأن قتود هذا البعير موضوعة على حمار وحش ، أخذه من قول النابغة :

كأنى شددت الرحل حين تشذرت ... على قارح مما تضمن عاقل (الأبيات الأربعة)

ورأيت فى مجموعة أدبية هذا البيت بلفظ « سلب » عوض « مثلث » ، فهو بفتح السين وكسر اللام الحمار الذى فى حافره سلب ، وهو تحدد الحافر ، و « يدمى » (كتب فى الديوان بالراء والصواب بالدال) أى يسيل الدم من حاجب هذا الحمار ، والحقب : جمع الأحقب ، وهو حمار الوحش للحقب أى البياض الذى فى بطنه ، وحمر الوحش كلها حقباء ، ولذلك إذا قالوا : الحقب أو الأحقب فرادهم حمار الوحش ، قال ذو الرمة :

كأنا على أولاد أحقب لاحها ... ورمى السفا أنفاسها بسهام

[قلنا : القتود : جمع القتد (بفتحتين أو بكسر فسكون) وهو خشب الرحل الذى يوضع على البعير ، يريد بشار أن بعيره (الذى عليه القتود) يشبه حماراً وحشياً سريعاً ، فكأن قتود الجمل موضوعة على ذلك الحمار ، وتلك طريقة من طرائق الشعر العربى القديم ، وقد ذكر الشارح أن بشارا أخذها من بيت النابغة ، وليست مقصورة على النابغة ، فقد قال ربيعة بن مقروم :

كأن الرحل منه فوق جأب ... أطاع له بمعقلة التلاع

(والجأب : الحمار الوحشى الغليظ) وقال أيضاً :

كأنى أوشح أنساعها ... أقب من الحقب جأباً شتيما

وقال الشماخ :

كأن قتودى فوق جأب مطرد ... من الحقب لاحته الجداد الغوارز

فذكر لفظ « القتود » وذكر البغدادى فى خزانة الأدب (ج ١ ص ٢٥٦) أن الشماخ أوصف الناس للحمير ، وروى أن الوليد بن عبد الملك قال : ماأوصفه لها ! . . الخ .

وسيطيل بشار وصف الحمار وأتنه فى الأبيات التالية] .

غَيُورٍ عَلَى أَصْحَابِهِ لاَ يَرُومُهُ ... خَلِيطٌ وَلاَ يَرْجُو سِوَاهُ صَوَاحِبُهْ(١)

إِذَا ما رَعَى سَنَّيْنِ حَاوَلَ مِسْحَلاً ... يَجُدُّ بِهِ تَعْذَامُهُ وَيُلاَعِبُهْ(٢)

أَقَبَّ نَفَى أَبْنَاءَهُ عَنْ بَنَاتِهِ ... بِذِى الرَّضْمِ حَتَّى ما تُحَسُّ ثَوَالِبُهْ(٣)

رَعَى وَرَعَيْنَ الرَّطْبَ تِسْعِينَ لَيْلَةً ... عَلَى أَبَقٍ والرَّوْضُ تَجْرِى مَذَانِبُهْ(٤)

فَلَمَّا تَوَلَّى الْجَزْءُ وَاعْتَصَرَ الثَّرَى ... لَظَى الصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لاَهِبُهْ(٥)

---

(١) « غيور » وصف لمثلث ، و « على » بمعنى « من » كما هى فى حديث عمر رضى الله عنه : أعليك أغار يا رسول الله ؟ وذلك أن حمار الوحش معروف بالغيرة على إناثه ، وهو يتخذ زوجة لايفارقها ولا يتركها تمشى مع غيره ، كما وصفه لبيد فى معلقته والنابغة فى لاميته .

(٢) السن (بفتح السين) : حسن الرعى ، قال النابغة « سن المعيدى [فى] رعى وتعزيب » أراد أنه رعى رعياً بعد رعى حتى شبع فصار يلاعب المساحل ، والمسحل : حمار الوحش ، قال النابغة : « قد كدمته المساحل » ، والتعدام (بفتح التاء وبالذال المعجمة) : العض ، ومعنى « يجد به . . . ويلاعبه » أنه عضه مرة جداً عن غضب ومرة ملاعبة .

(٣) « أقب » صفة لحمار الوحش ، أى ضامر البطن ، ومعنى « نفى أبناءه عن بناته » أنه لما كبرت أبناؤه وبناته فاستصفى بناته زوجات له وطارد أبناءه غيرة على الأتن ، وقوله « حتى ماتحس ثوالبه » اعتذار للعير فى نفيه أبناءه عن بناته ، أى إنما فعل ذلك لئلا يشعر أبناءه بأنه اتخذ بناته حلائل له ، وذلك من المثالب (يعنى عند البشر) ، وهذا من أبدع معانى الشعر ، و « تحس » مضارع « أحس » مبنى للمجهول سقطت منه الهمزة ، والثوالب : جمع ثالبة ، وهى الخصلة التى تثلب صاحبها ، وذو الرضم : موضع ، والرضم : الحجارة .

(٤) « تسعين ليلة » مدة الربيع ، والأبق (بالتحريك) نبت كالكتان يتخذ من ليفه الحبال ، وله حب ترعاه حمر الوحش .

[والمذانب : جمع المذنب (كالمنبر) وهو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها] .

(٥) فى الديوان « فلما تولى الحر » بالحاء والراء المهملتين ، وكذلك فى الأغانى ، وهو تحريف ، لأن قوله « واعتصر الثرى لظى الصيف » عطف على « تولى » ، فيدل على أن الصيف ابتدأ إقباله ، فلا يصح أن يكون الحر قد تولى ، فالصواب أنه « الجزء » بالجيم والزاى وبهمزة فى آخره ، والجزء هو استغناء الوحش بالنبت الرطب عن شرب الماء ، قال لبيد :

... ... جزءا فطال صيامه وصيامها

جزأ يجزأ . والاعتصار هنا : زوال ثرى الأرض كأن الحر يعتصر الأرض ليأخذ ماءها ، والثرى : التراب ، واعتصار : إزالة رطوبته ، وقوله « من نجم » يحتمل أن يكون أراد نجما واحداً ، فهو كوكب الشعرى ، لأنها إذا طلعت ابتدأ الحر ، ويحتمل أن يريد جماعة النجوم ، أى من طلوع نجوم الصيف ، أى المنازل الصيفية ، وهى النعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع الأعلى .

وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ وَاكْتَسَى مِنَ الْآلِ أَمْثَالَ الْمُلَاءِ مَسَارِبُهْ(١)
وَصَدَّ عَنِ الشَّوْلِ الْقَرِيعُ وَأَقْفَرَتْ ذُرَى الصَّمْدِ مِمَّا اسْتَوْدَعَتْهُ مَوَاهِبُهْ(٢)
وَلَاذَ الْمَهَا بِالظِّلِّ وَاسْتَوْفَضَ السَّفَا مِنَ الصَّيْفِ نَآّجٌ تَخُبُّ مَوَاكِبُهْ(٣)
غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى إِلَى الْجَأْبِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُخَاطِبُهْ(٤)

---

(١) « عصافير الشقائق » كذا فى الديوان وفى الأغانى ، فيحتمل أنه أراد بها نوعاً من العصافير تسمى الشقائق ، واحدته شقيقة ، ويمكن أنها كانت تطير فراخها فى مبتدإ الصيف ، ويحتمل أنه أراد أوراق شقائق النعمان ، وهو ينبت فى الربيع فييبس فى الصيف ، وتذروها الرياح . فشبهها بالعصافير ، وروى فى تاريخ بغداد « عصافير الشقاشق » ولا يظهر له معنى والملاء (بضم الميم) جمع ملاءة (بالضم) فهى ثياب ، وروى فى الأغانى « من الآل أمثال المجرة ناضبه » شبه الآل بالمجرة ، والناضب الذى لاماء فيه ، لأن الآل يشبه الماء ولا ماء فيه ، كقوله تعالى : يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

[قلنا : الذى نراه فى قول بشار «وطارت عصافير الشقائق » أن « الشقائق » جمع الشقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين تنبت الشجر والعشب ، و « عصافير » جمع عصفور بمعنى ذكر الجراد ، أى الجندب ، كما ذكره اللغويون ، و « طارت » ربما كانت صحيحة كذلك ، والأظهر أن « طارت » محرفة عن « صرت » بتشديد الراء ، لأن الصرير صوت الجندب ، والشعراء يذكرون صرير الجنادب مع شدة الحر ، ومنه قول بشار :

قد تجشمتها وللجندب الجو ن نداء فى الصبح أو كالنداء

(انظر ص ١٠٩ من هذه المطبوعة) وسيأتى فى هذه القصيدة قول بشار : « صخبت فى يوم قيظ جنادبه »] .

(٢) الشول جمع شائل وشائلة على غير قياس ، وهى الناقة التى تشول بذنبها ، أى ترفعه للقاح ، والقريع : الفحل ، سمى بذلك لأنه يقرع بالعصا لشدته ، أى ترك الفحل شوله فلم يطرقها ، وذلك فى الصيف ، والصمد : موضع سيذكره بشار فى طالع الرجز : يا طلل الحى بذات الصمد .

[قلنا : لعل « مواهب » — هنا — جمع موهبة (بفتح الهاء) وهى : ماء السماء ويجتمع ذلك الماء من الجبال والصخور] .

(٣) استوفض : طلب الوفض وهو السرعة « كأنهم إلى نصب يوفضون » ، النئاج : الريح السريعة ذات الصوت ، ونأجت نئيجاً فهى نئوج ، وتخب : تسير الخبب ، وهو بضم الخاء فى المضارع من جملة الأفعال التى جاءت على خلاف القياس فى مضارع فعل المضاعف اللازم . شبه سيرها بسير الخيل ، والمواكب : جمع موكب (بكسر الكاف) وهو الجماعة المجتمعة مشاة أو ركباً ، وأراد هنا الركب من الخيل ، وفى حديث بدر : هذا جبريل فى موكب من الملائكة ، والمعنى أن الريح أطارت السفا .

[قلنا : قد بين بشار فى هذا البيت حالين تكونان مع وقدة الصيف : الاولى أن بقر الوحش والظباء تلجأ إلى الظل من شدة الحر ، والأخرى أن ذات الحفيف من الرياح الصيفية تهب وتسرع مواكبها فتستعجل السفا (من الشوك والتراب) فتحمله وتذروه] .

(٤) « غدت عانة » هو جواب « لما » ، العانة : جماعة حمر الوحش ، اسم جمع لامفرد له ، مثل الإبل والسرب (للظباء) والرجل (للجراد) ، والجأب (بالجيم والهمزة) الحمار الغليظ ، وهو فحلها =

وَظَلَّ عَلَى عَلْيَاءَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ ... أَيَمْضِى لِوِرْدٍ بَاكِرٍ أَمْ يُوَا (تِـ) بُهْ[(١)]

فَلَمَّا بَدَا وَجْهُ الزِّمَاعِ وَرَاعَهُ ... مِنَ اللَّيْلِ وَجْهٌ يَمَّمَ المَاءَ قَارِبُهْ[(٢)]

فَبَاتَ وَقَدْ أَخْفَى الظَّلَامُ شُخُوصَهَا ... يُنَاهِبُهَا أُمَّ الْهُدَى وَتُنَاهِبُهْ[(٣)] ٧٤

إِذَا رَقَصَتْ فِى مَهْمَهِ اللَّيْلِ ضَمَّهَا ... إِلَى نَهَجٍ مِثْلُ الْمَجَرَّةِ لَاحِبُهْ[(٤)]

= وقائدها ، ومعنى الشكاية : الشكاية بلسان حالها من شدة عطشها . قال عنترة فى فرسه :

... ... وشكا إلى بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاوره اشتكا ... ولكان لو علم الكلام مكلمى

فلذلك قال بشار « تشكو بأبصارها الصدى إلى الجأب » ، وأراد أن العطش أغار أحداقها وأذبلها فعرف منها الجأب شدة العطش .

(١) أى كان واقفاً على مكان مرتفع يقسم أمره ، أى لم يدر مايصنع ، يقال قسم أمره إذا تردد فيه وتدبر ، قال الأعشى :

وقسم أمر الناس يوماً وليلة ... وهم ساكتون والمنية تنطق

أى يدبر ، والقسم : الشك ، وقيل الرأى ، وهما متقاربان هنا لتلازمهما ، وإنما حصل له هذا التردد خوفاً من اقتراب الليل ، وكلمة الروى هنا وقع فيها خرق سوس فلم يبق منها سوى « يوا . . . به » ، ولعلها « يواتبه » بالتاء المثناة الفوقية ، أى يلازم مكانه ، يقال : وتب يتب وتبا : ثبت بمكانه ، وصاغ له وزن المفاعلة للتأكيد ، ويحتمل أنها يواربه (بالباء الموحدة) أى يحتال ويخاتل المضى إلى الورد حينئذ ولو مع اقتراب الليل .

[قلنا : لعل الكلمة التى سيست وتخرق موضعها هى « يؤاوبه » بمعنى : يرده ليلا ، يقال : آب الشخص الماء وتأوّبه وأتابه إذا ورده ليلاً ، والورود ليلاً هو المقابل للورود فى الغدو والبكور ، ولكننا وجدنا بهذا المعنى فى كتب اللغة التى بأيدينا الأفعال المذكورة ماعدا « آوب » ، فإن جاءت كانت أولى بهذا البيت ، ، وأشد مناسبة لمعنى « القارب » فى البيت التالى ولما سبذكر من الليل والظلام] .

(٢) الزماع : (بفتح الزاى وكسرها) العزم على الفعل ، أى لما ظهر له أن ينزل إلى الماء وخاف من هجوم الظلام وهو فى طريق الماء أسرع السير إلى الماء ، و « القارب » هنا اسم فاعل من قرب (من باب نصر) إذا طلب الماء ليلا ، والمصدر القرب (بفتحتين) فقوله « قاربه » مضاف إلى ضمير الماء ، والقارب هنا هو الحمار ، فأظهر فى مقام الإضمار تفننا وتورية بالقارب الذى هو ضرب من الفلك ، وحسن التورية أنه قصد الماء فقوله يمم الماء ترشيح للتورية .

(٣) « أم الهدى » المحجة الواضحة ، وأم كل شىء : معظمه وأجمعه ، ومنه أم القرآن وأم الرأس ، ومعنى النهب : سرعة السير حتى كأنه ينهب الأرض ، أى يجمعها عنده ، والمناهبة مفاعلة ، لأن الأتن تغدو والحمار يسير وراءها ، فكأن كلا منهما ينهب ماينهبه الآخر ، فصارت مفاعلة ، وقوله « يناهبها » هو خبر « بات » وما بينهما اعتراض .

(٤) [نقول : فى المخطوطة ونسخة الشارح : « رقصت » ، وذلك لا يناسب مكان البيت مع قوله « ضمها » ، والرأى عندنا أن « رقصت » محرفة عن « رفضت » (بضاد معجمة بعد فاء) بمعنى : تبددت وتفرقت .

وفى المخطوطة ونسخة الشارح أيضاً : « مهمه الليل » ، والمهمه : المفازة البعيدة والبلد =

إِلَى أَنْ أَصَابَتْ فِى الْغَطَاطِ شَرِيعَةً ‏ مِنَ الْمَاءِ بِالْأَهْوَالِ حُفَّتْ جَوَانِبُهْ (١)
لَهَا صَخَبُ الْمُسْتَوْفِضَاتِ عَلَى الْوَلَى ‏ كَمَا صَخِبَتْ فِى يَوْمِ قَيْظٍ جَنَادِبُهْ (٢)
فَأَقْبَلَهَا عُرْضَ السَّرِىِّ وَعَيْنُهُ ‏ تَرُودُ وَفِى النَّامُوسِ مَنْ هُوَ رَاقِبُهْ (٣)
أَخُو صِيغَةٍ زُرْقٍ وَصَفْرَاءَ سَمْحَةٍ ‏ يُجَاذِبُهَا مُسْتَحْصِدٌ وَتُجَاذِبُهْ (٤)
إِذَا رَزَمَتْ أَنَّتْ وَأَنَّ لَهَا الصَّدَى ‏ أَنِينَ الْمَرِيضِ لِلْمَرِيضِ يُجَاوِبُهْ (٥)
كَأَنَّ الْفَتَى آلَى يَمِينًا غَلِيظَةً ‏ عَلَيْهِ خَلَا مَا قَرَّبَتْ لَا يُقَارِبُهْ (٦)

= المقفر ، وفى إضافته إلى الليل بعد ، فلعل كلمة « مهمه » محرفة عن « بهمة » (بباء موحدة فى أوله وتاء تأنيث فى آخره) بمعنى السواد وما يشاكله من الخفاء وعدم الوضوح . . . و « النهج » بسكون الهاء وبفتحها (كما هنا) وهو بمعنى المنهج والمنهاج ، والمجرة : منطقة فى السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كبقعة بيضاء ، واللاحب : الواضح من الطريق .

يقول بشار : إذا تفرقت الأتن فى خفاء الليل ضمها الحمار إلى طريق واضح كالمجرة] .

(١) الغطاط القطا ، كما تقدم ، ومعنى « أصابت شريعة فى الغطاط » أنها رأت أسراب الغطاط ، فعرفت أن ثمة ماء ، فأصابته بين تلك الأسراب الحائمة حوله ، لأنها اعتادت أن تهتدى إلى الماء بحومان القطا . والشريعة : الماء الكثير .

(٢) المستوفضات : القطا ، لأن كل شبح يستوفضها ، أى يحملها على الإسراع بالفرار .

(٣) أى فأقبل الحمار بالأتن على السرىّ ، وهو الوادى ، وعرضه : جانبه ، والناموس : حفرة يحفرها الصائد ليختفى فيها فيرمى منها سهمه على الوحش ، و « من هو راقبه » : الصائد .

[قلنا : الذى نراه فى معنى « السرىّ » أنه جدول الماء الذى ذكره من قبل فى قوله « ...شريعة من الماء » وسيذكر « السرى » مرة أخرى مع ذكر العطش بعد أربعة أبيات ، وقد ذكر اللغويون ذلك المعنى كما ذكره المفسرون لقوله تعالى : قد جعل ربك تحتك سريا] .

(٤) الصيغة (بكسر الصاد المهملة) : صفة لـ « سهام » محذوفا ، والصيغة التى هى عمل عامل واحد على قدر واحد ، وكتبه فى الديوان بغير نقط ، أى صاحب سهام زرق من شدة صقلها ، قال امرؤ القيس :

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وصاحب قوس صفراء ، قال الشنفرى :

وأبيض إصليت وصفراء عيطل

والسمحة (بحاء مهملة) : القوس المواتية للرمى ، والمستحصد : المحكم الشديد القوى ، أراد به الوتر ، ومعنى يجاذبها أنها لقوة عودها تمتنع عن الوتر حين يجذبها حتى كأنها تجذبه .

(٥) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح : « رزمت » ، ولعلها محرفة عن « أرزمت » (بزيادة همزة فى أوله) بمعنى صوّتت ، والشعراء يشبهون صوت القوس بأنين المريض ورنين الثكلى ، والمراد بـ « الصدى » — هنا — : ما يردّه الجبل أو نحوه على المصوّت فيه] .

(٦) أى أن رزقه محصور فيما تقربه إليه قوسه من الصيد ، فكأن الفتى حلف أن لا يقربه إلا بمقدار ما يصيده .

يَؤُولُ إلَي أُمِّ ابنَتَينِ يَؤُودُهُ إذَا مَاأَتَاهَا مُخْفِقاً أَوْ تُصَاخِبُهْ[١]
فَلَمَّا تَدَلَّى فى السَّرِىِّ وَغَرَّهُ غَلِيلُ الحَشَا مِنْ قَانِصٍ لَايُوَاثِبُهْ[٢]
رَمَى فَأَمَرَّ السَّهْمَ يَمْسَحُ بَطْنَهُ ولَبَّاتِهِ فَانْصَاعَ والْمَوْتُ كَارِبُهْ[٣]
(وَوَافَقَ) أَحْجَاراً رَدَعْنَ نَضِيَّهُ فَأَصْبَحَ مِنْهَا عَامِرَاهُ وَشَاخِبُهْ[٤]

---

(١) « يؤول » بمعنى يأوى ويرجع ، ويؤوده : يثقل عليه أن يأتيها مخفقاً ، أى خالياً ، وتصاخبه (بالخاء المعجمة) أى تخاصمه وتصيح له ، و « أو » هنا عاطفة على يؤوده ، وكلاهما صفة لأم ، أى من صفتها أن زوجها يكره أن يرجع إليها خائباً وأنها ذات صخب معه ، و « إذا » ظرف على فاعل يؤوده المحذوف ، أى يؤوده الإخفاق .

[قلنا : لا يخفى ما فى عجز هـذا البيت من خفاء واضطراب ، ولعل ذلك كله راجع إلى ما وقع فى المخطوطة من كتابة « أو » ، والذى نراه أن « أو » محرفة عن حرف مصـدرى يؤول مع ما بعـده بمصـدر هو فاعل « يؤوده » والأقرب من جهة الخط أن « أو » محرفة عن « لو » المصدرية كقول قتيلة : « ما كان ضرك لو مننت ؟ » أى : ما ضرك مَنُّكَ ؟ . وقد أتى بشار بالمصاخبة (من الصخب ، وهو الصياح) لأن الصخب بين الزوجين يؤدى غالباً إلى مصاخبة وتصاخب .

يقول بشار : إن هذا الصائد الذى يرقب الحمار وأتنه بقوسه وسهامه حريص على الصيد ، لأن الصيد مصدر رزقه وغناه ، وهو رب أسرة مؤلفة من امرأته وابنتيه ، فلو رجع خائباً لا صـيد معه لثقل عليه التصاخب والمصايحة من امرأته] .

(٢) [قلنا : «تدلى فى السرى » أى نزل الحمار إلى جدول الماء ، والغليل : العطش الشديد ، والمراد بقوله « غره غليل الحشا من قانص » أن العطش الشديد قد حمله على أمر يضره من جهة الصائد الـكامن إذ انحط الحمـار على المشرب غافلا عن مكمن أذاه ، والقانص : الصائد ، ومعنى « يواثبه » : يبادره وينقض عليه ، والمراد : أن الصائد ينتظر الفرصة ويتربص به ولا يبادره] .

(٣) [قلنا : « الضمير المستتر فى « رمى » عائد على الصائد ، واللبات : وسط الصدر والمنحر ، وكأنهم جعلوا كل جزء منها « لبـة » ثم جمعوا على هذا ، وانصاع الحمـار : رجع مسرعاً ، ومعنى قوله « الموت كاربه » أن أسـباب الموت قد وقعت به واشتدت عليه وكادت حياته تتعلق] .

(٤) موضع الكلمة الأولى خرقه السوس فبقيت بقايا الحروف ، والظاهر أنها « ووافق » ، وردعن : رددن وأوقفن ، والنضى (بفتح النون وكسر الضاد المعجمة) مابين العـاتق إلى الأذن ، أى صادف العير أحجاراً سقط عليها ميتاً . وقوله « عامراه وشاخبه » كذا كتب فى الديوان ، ولعل صوابه « عامداه » بدال عوض الراء « وشاخبه » بخاء معجمة عوض المهملة ، والعـامدان : حجران اعتمد عليهما حين غلبه الموت ، وهو مأخوذ من عمدت المريض إذا جعلت بجانبيه وسادتين يعتمد عليهما لأنه لايستطيع الجلوس ، ولأجل ذلك يقال للمريض المثقل : عميد ، والشخب : الحجر الذى صادف عنقه فجرحه فى وريده ، يقال : شخب أوداجه دماً ، أى قطعها .

[قلنا : لعل « الشاخب » مستعار من معنى الحـالب ، فيـكون المراد بقوله « وشاخبه » أن من الحجارة ما حاز كثيراً من دم الحمـار المرىّ ، فـكأن ما حاز الدماء قد حلبهـا ، وقد ذكر الزمخشرى والسيد مرتضى أن « من المجـاز : أوداجه تشخب دماً ، كأنها تحلبه »] .

يَخَافُ المَنَايَا إِنْ تَرَحَّلْتُ صَاحِبِي ... كَأَنَّ المَنَايَا فِي المُقَامِ تُنَاسِبُهْ(١)
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ العِرَاقَ مُقَامُهُ ... وَخِيمٌ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ جَنَائِبُهْ(٢)
لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِي بِسَيْرِكَ فِي الدُّجَا ... أَخَا ثِقَةٍ تُجْدِي عَلَيْكَ مَنَاقِبُهْ
مِنَ الحَيِّ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ إِنَّهُمْ ... عُيُونُ النَّدَى مِنْهُمْ تُرَوَّى سَحَائِبُهْ
إِذَا المُجْحِدُ المَحْرُومُ ضَمَّتْ حِبَالَهُ ... حَبَائِلُهُمْ سِيقَتْ إِلَيْهِ رَغَائِبُهْ(٣)
وَيَوْمٍ عَبُورِيٍّ طَغَا أَوْ طَغَا بِهِ ... لَظَاهُ فَمَا يَرْوَى مِنَ المَاءِ شَارِبُهْ(٤)
رَفَعْتُ بِهِ رَحْلِي عَلَى مُتَخَطْرِفٍ ... يَزِفُّ وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الجَذْلِ رَاكِبُهْ(٥)
وَأَغْبَرَ رَقَّاصِ الشُّخُوصِ مَضَلَّةٍ ... مَوَارِدُهُ مَجْهُولَةٌ وَسَبَاسِبُهْ(٦)
لِأَلْقَى بَنِي عَيْلَانَ ، إِنَّ فَعَالَهُمْ ... تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الفَعَالِ مَرَاكِبُهْ(٧)
أُلَاكَ الأُلَى شَقُّوا العَمَى بِسُيُوفِهِمْ ... عَنِ الغَيِّ حَتَّى أَبْصَرَ الحَقَّ طَالِبُهْ(٨)

---

(١) انتقال اقتضابي ، و « تناسبه » تكون له ذات نسب فهي لا تضره .
[قلنا : في النهي عن مخافة نزول الأجل من « محاضرات الأدباء » (ج ٢ ص ٢٧٢) : « مناسبه » بدل « تناسبه »]

(٢) الجنائب : جمع جنوب بمعنى ريح الجنوب ، وأشار بذلك إلى ما شاع عند الناس من تهييج ريح الجنوب روائح الكنف بالبصرة ، كما سيأتي في حرف الشين من شرح الملحقات .

(٣) المجحد : اسم فاعل من أجحد الرجل إذا ذهب ماله .

(٤) العبوري : الطويل ، نسبة إلى العبور ، وهو الرجل [الذي لم يختن] لأنه لم ينقص منه شيء .
[قلنا : الذي نراه أن معنى « يوم عبوري » : يوم شديد الحر ، كما صرح به بشار في قوله : « طغا به لظاه . . . » ، والعبوريّ منسوب إلى العبور ، أي الشعرى العبور ، وهو كوكب يطلع في شدة الحر] .

(٥) المتخطرف : الواسع الخطوات [يعني به الجمل] ، ويزف (بكسر الزاي) أي يسير سيراً كسير النعام في السرعة ، لأن الزفيف جري النعام ، والجذل : الجبل ، أي أن راكبه كالجبل في ارتفاعه .
[قلنا : لعل موقع هذا البيت بعد البيت الآتي ليتعلق بقوله هنا « رفعت » قوله فيما سيأتي « لألقى . . . »] .

(٦) « أغبر » أي مكان كثير الغبار ، و « رقاص الشخوص » بمعنى فيه السراب لأن الناظر يتخيل أن الشخوص ترقص فيه ، والمضلة : ما يضل فيه السائل .

(٧) الفعال (بفتح الفاء) : الفعل الحسن خاصة ، والمراكب : عظائم الأمور ، يقال : يركب المراكب الصعاب ، ورواه في الأغاني « مراتبه » وهو أولى .

(٨) « أولاك » لغة في « أولئك » لأن « أولى » مقصور وممدود ، وهو إشارة ، وقوله : « الألى » موصول ، جمع الذي . [قلنا : وفي الأغاني « العين » بدل « الغي » . وهو المناسب]

إِذَا رَكِبُوا بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقَنَا ... وَأَصْبَحَ مَرْوَانٌ تُعَدُّ مَوَاكِبُهْ(١)

فَأَيُّ امْرِئٍ عَاصٍ وَأَيُّ قَبِيلَةٍ ... وَأَرْعَنَ لَاتَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ(٢)

وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ... وَهَوْلٌ كَلُجِّ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(٣)

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا ... بِأَسْيَافِنَا ، إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ(٤)

وَمَا زَالَ مِنَّا مُمْسِكٌ بِمَدِينَةٍ ... يُرَاقِبُ أَوْ ثَغْرٍ تَخَافُ مَرَازِبُهْ(٥)

إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ(٦)

---

(١) [المشرفية : السيوف ، والقنا : الرماح] .

(٢) الأرعن : الجيش العظيم .

[قلنا : الذى نراه أن « الأرعن » — هنا — ليس معناه الجيش العظيم ، إذ يبعد أن يقال : « جيش عظيم لاتبكى عليه قرائبه » ونرى أن الأرعن — هنا — بمعنى الأحمق ، يريد : الذى دفعته رعونته إلى محاربة ذلك الممدوح . وإنما يكون « الأرعن » بمعنى الجيش العظيم فى قول بشار الآتى فى هذه القصيدة :

وأرعن يغشى الشمس لون حديده ... وتخلس أبصار الكماة كتائبه

فهناك تجد المقام للجيش ، ويتبين ذلك فى الحد والكماة والكتائب] .

(٣) السامى (هنا) القاصد بعداوة ، كأنه يرتفع لينال مايطلبه ، قال امرؤ القيس :

سموت إليها بعد مانام أهلها

[الشجا : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه ، شبه به مايعترض من الصعاب لمعادى الممدوح . والغوارب : أعالى الموج] .

(٤) جعل للمنايا أما ، هى عنصر الموت ، وجعل لها بنات ، وهى الميتات المختلفة المتشعبة ، على نحو ماص فى شرح البيت ٨ من الورقة ٧٠ ، وكتب فى الديوان « له أم المنايا بناتها » وهو تحريف ، والصواب ماأثبتناه تبعا للأغانى . [قلنا : فى المخطوطة « له » بدلا من « به »] .

(٥) المرازب : جمع مرزبان (بفتح الميم وضم الزاى) وهو الرئيس ، أصلها فارسية وعربت ، ودخلت فى العربية من قديم ، قال أمية بن أبى الصلت يرثى من قتل ببدر من المشركين :

ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح

وإنما خص المرازبة لأن أكثر الثغور البرية للسلطنة الإسلامية يومئذ فى تخوم بلاد العجم من جهة الهند والصين . [قلنا : فى المخطوطة : « ممسكا » وأصلحها الشارح] .

(٦) [قلنا : « صعّر خده » بمعنى : أماله عن وجهة الناس والنظر إليهم تهاونا بهم واستكبارا ، وفى قوله « مشينا إليه بالسيوف نعاتبه » لون جميل من ألوان البيان العربى ، فهو يريد أن الجبار الذى يصعر خده لانرضى أن نعاتبه على ذلك عتاب الناس ، بل نضع له السيوف موضع العتاب ، ثم هو يجعل المشى إليه بالسيوف عتابا مبالغة فى التهكم والفخر ، وليس ذلك تشبيها ولا استعارة ، ولكنه نوع من مخالفة مقتضى الظاهر يسمى « التنويع » وهو « ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف ، على طريق التخييل » ، ومثل ذلك قولهم : « عتابه السيف » وقول بشر بن أبى خازم :

غضبت تميم أن تقتّل عامر ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم ＝

وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا ... وَرَاقَبَنَا فِى ظَاهِرٍ لا نُرَاقِبُهْ (١)
رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ ... وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِى الدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ (٢)
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بِالْحَصَى ... وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِّىِّ حُمْرٍ ثَعَالِبُهْ (٣)
غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فى خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ (٤)
بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهْ
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ (٥)

= (والصيلم : الداهية) وقول عمرو بن معدى كرب :

وخَيْل قد دلفت له بخَيل ... تحية بينهم ضربٌ وجيع

وقول عمرو بن إبراهيم :

ليس بينى وبين قيس عتاب ... غير طعن الكلى وضرب الرقاب]

(١) [قلنا : المراد بالدب : المشى على هينة واستخفاء ، ومعنى « راقبنا » : حاذرنا] .

(٢) [قلنا إنه يريد بقوله « ركبنا له جهراً » أنهم لايقابلون دب العدو بدب مثله ، بل يقابلونه بشجاعة مجاهرة ، وقريب من هذا قول المتنبى : « إذا اتقفوا أعلنوا أمرهم » ، والمثقف : الرمح المقوم ، والأبيض : السيف ، والمراد باستسقاء مضارب السيف : طلبها الشرب من الدماء] .

(٣) كتب فى الديوان « يرجف » براء وجيم . والرجيف : دوى الأصوات وصوت الرعد ، أى له دوى كرجف الرعد ، ورواه فى الأغانى « يزحف » بزاى وحاء مهملة ، أى يهجم ، ومنه جاء لفظ « الزحف » ، والحصى : العدد الكثير ، والشول تقدم فى ٢١ من الورقة ٧٣ [والخطى : الرمح] والثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل فى حديدة السنان .

(٤) قوله « والطل لم يجر ذائبه » ثبت فى الديوان بالطاء المهملة ، فهو الندى ، لأن الطل يطلق على الندى ، والمعنى أنهم غدوا بكرة عند ابتداء الشروق وقبل أن يسقط الندى الذى فى الأشجار على الأرض كأنه تذيبه الشمس ، وفى رواية الأغانى « الظل » بالظاء المعجمة ، فهو استعارة ، شبه الظل فى تحركه بالماء الجارى .

[قلنا : الظاهر أن ماهنا الصواب ، وأن مافى الأغانى تحريف وقع فى بعض النسخ ، ولذلك جاء « الطل » بالطاء المهملة فى معاهد التنصيص ، وهو ناقل عن الأغانى] .

(٥) النقع : غبار الحرب ، أى النقع الذى أثارته الخيل والرجال فى الزحف ، وكتب فى الديوان « فوق رؤوسهم » ورواية الأغانى وأكثر كتب العربية والأدب « رؤوسنا » والرواية التى فى الديوان أرشق ، لأن النقع وإن كان فوق رؤوس الفريقين إلا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء إلى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع . لأن أسيافنا مفعول معه أو معطوف عليه ، ولو قال « فوق رؤوسنا » لما كان لذكر الرؤوس خصوصية ، إذ يكفيه أن يقول : فوقنا ، وهذا البيت هو الذى أكسب بشاراً شهرة فى النبوغ فى الشعر ، وذلك أنه جمع فيه تشبيه مركب بمركب ، فجمع تشبيهين فى تشبيه ، وبذلك فاق امرأ القيس فى التشبيه فى قوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالى =

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَــــاءَةِ إِنَّنَا بَنُو الْمُلْكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَــبَائِبُهُ(١)

= وقد نقل عن بشار أنه قال : ما زلت منـذ سمعت قول امرئ القيس مهما بأن أشبه تشبيهاً مثله حتى قلت : كأن مثار النقع . . . الخ .

قال الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة ما حاصله : هذا التشبيه مركب يريك الهيئة التى ترى عليها النقع المظلم ، والسيوف فى أثنائه تبرق وتعلو وتنخفض ، وترى لهـا حركات من جهات مختلفة حين يحمى الجلاد ، وليس القصد تشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب ، ولذلك وجب أن يكون قوله وأسيافنا فى حكم المفعول معه لمثار ، لئلا يقع فى التشبيه تفريق ويتوهم أنه كقولنا : كأن مثار النقع ليل وكأن السيوف كواكب .

وقال فى موضع آخر بعد أن ذكر التشبيه المفصل ما حاصله : والمثال فى ذلك قول بشار : كأن مثار النقع . . . البيت مع قول المتنبى :

يزور الأعادى فى سماء عجاجة أسنته فى جانبيها الكواكب

أو قول عمرو بن كلثوم [انظر مقدمة الديوان ص ٤٦ من هذه المطبوعة] :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتير

إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل وكرم الموقع ولطف التأثير فى النفس ما لا يقل مقداره ولا يمكن إنكاره ، وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره ، وهو أن جعل الكواكب تهاوى فأتم الشبه ، وعبر عن هيئة السيوف وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها فى أثناء العجاجة كما فعل الآخران ، وهـذه الزيادة إنمـا أتت فى جملة لا تفصيل فيها ، فإن حقيقة تلك الهيئة لا تحصل فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها فى حالة احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، وأن لتلك الحركات جهات تختلف وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، فقد نظر هـذه الدقائق كلها فى نفسه ، ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ، وهى قوله « تهاوى » ، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها تواقع وتداخل .

وقال العباسى فى معاهد التنصيص :

وقد أخذ هذا المعنى منصور النميرى فقال :

ليـل من النقع لا شمس ولا قمر إلا جبينك والمذروبة الشرع

وأخذه مسلم بن الوليد فى قوله :

فى عسكر تشرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمه القضبان والأسل

وابن المعتز حيث قال :

وعم السماء النقع حتى كأنه دخان وأطراف الرماح شرار

والمتنبى فى قوله :

فكأنما كسى النهار بها دجى ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد :

كأن دخان العـود والند بيننا وأقداحنا ليل تهاوى كواكبه

(١) رواه فى الأغانى « بنو الموت » والذى فى الديوان أظهر ، لأن المقام مقام افتخار بالنصر مع الخليفة يناسب أن يقول إنهم ورثة ملك وشأنهم الانتصار ، ويؤيده أيضاً قوله : خفاق علينا سبائبه ، =

فَرَاحُوا : فَرِيقًا فى الإِسَارِ وَمِثْـلُهُ ... قَتِيلٌ وَمِثْـلٌ لاذَ بالْبَحْرِ هَارِبُهْ(١)
وَأَرْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ ... وَتَخْلِسُ أَبْصَـارَ الْكُمَاةِ كَتَائِبُهْ(٢)
تَغَصُّ بِهِ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ إِذَا غَدَا ... تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِبَالِ مَنَاكِبُهْ(٣)
كَأَنَّ جَـنَابَاوَيْهِ مِنْ خَمِسِ الْوَغَا ... شَمَامٌ وَسَـلْمَى أَوْ أَجَى وَكَوَاكِبُهْ(٤)

= وأما قولهم « بنو الموت » فهو شائع فى مقام الاستخفاف بالنفس فى الشدائد ، كما قال الأعرج الحماسى :

نحن بنو الموت إذا الموت نزل ... لا عار بالموت إذا حم الأجل
الموت أحلى عندنا من العسل

وقول المتنبي :

إذا شئت حفت بى على كل سابح ... رجال كأن الموت فى فمها شهد

والسبائب : جمع سبيبة ، وهى الشقة من الثوب ، أراد بها الرايات .
[قلنا : لو نصب فى هذا البيت « خفاقا » لكان حسناً] .

(١) فى هذا البيت من المحسنات حسن التقسيم ، والمراد بالبحر : نهر الفرات ، أى سبحوا فى الماء هروبا من القتل ، وهذا كقول قطرى :

غداة طفا عَ الماء بكر بن وائل ... دعجنا صدور الخيل نحو تميم

(أراد « على الماء » فاختزل لام « على ») ونصب « فريقاً » على أنه حال مفردة ، والصواب أنه مرفوع كما ثبت فى رواية الأغانى : « فراحوا فريق فى الإسار ... » فالجملة هى الحال
[قلنا : ومن مسوغات الابتداء بالنكرة أن تقع فى أول الجملة الحالية ، مثل « فريق »] .
(٢) الأرعن : الجيش الكثير العدد ، شبه بالجبل .
[يذكر بشار أن ما مع الجيش من الحديد والسلاح يغطى الشمس لكثرته وأنه يلمع فى أشعة الشمس ، وكأنه يختلس أبصار الشجعان ويسلبها] .
(٣) [مناكب الجيش : نواحيه وجوانبه] .
(٤) الجناباوان : تثنية جنابى (بالقصر) وهى ناحية الوادى والطريق ، وأراد هنا ميمنة الجيش وميسرته ، والمعروف أنها « المجنبتان » تثنية « مجنبة » بكسر الميم وفتح النون ، وإنما سميتا مجنبتين لأنهما تأخذان ناحيتى الطريق اليمنى واليسرى ، ولذلك تصرف بشار فسمى الميمنة والميسرة جناباوين ، وهو تصرف صحيح ، فلعل « جنابى » من أسماء جانب الجيش ، وإن أهمله القاموس وغيره ، فإن بشاراً حجة فى العربية . و « الخمس » وقع فى الديوان بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم ، وأراد به الجيش ، فإنه يقال له : الخميس ، لأنه خمس فرق : الميمنة والميسرة والقلب والساقة والمقدمة ، فإما أن يكون بشار خففه للضرورة بحذف يائه ، كما أشبعوا ما ليس بمشبع لذلك ، فمن حذف حرف المد قول الشاعر (أنشده ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف) :

فلو أن الأطبا كان حولى ... وكان مع الأطبا الشفاة

أراد « كانوا حولى » ، وقول الآخر (أنشده ابن الأنبارى) :

ولكن ببدر سائلوا عن بلادنا ... على الناد والأنباء بالغيب تبلغ

أراد « النادى » ، ومن إشباع ما ليس بمشبع قول عنترة :

ينباع من ذفرى غضوب جسرة =

تَرَكْنَا بِهِ كَلْبًا وَقَحْطَانَ تَبْتَغِي مُجِيرًا مِنَ الْقَتْلِ الْمُطِلِّ مَقَانِبُهْ(١)
أَبَاحَتْ دِمِشْقًا خَيْلُنَا حِينَ أُلْجِمَتْ وَآبَتْ بِهَا مَغْرُورَ حِمْصٍ نَوَائِبُهْ(٢)
وَنَالَتْ فِلَسْطِينًا فَعَرَّدَ جَمْعُهَا عَنِ الْعَارِضِ الْمُسْتَنِّ بِالْمَوْتِ حَاصِبُهْ(٣)
وَقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا بِتَدْمُرَ نَوْبَةٌ كَذَاكَ عُرُوضُ الشَّرِّ تَعْرُو نَوَائِبُهْ(٤)
تَعُودُ بِنَفْسٍ لَا تَزِلُّ عَنِ الْهُدَى كَمَا زَاغَ عَنْهُ ثَابِتٌ وَأَقَارِبُهْ(٥)
دَعَا ابْنَ سِمَاكٍ لِلْغَوَايَةِ ثَابِتٌ جِهَارًا وَلَمْ تُرْشِدْ بَنِيهِ تَجَارِبُهْ(٦)
وَنَادَى سَعِيدًا فَاسْتَتَبَّ مِنَ الشَّقَا ذُنُوبًا كَمَا صُبَّتْ عَلَيْهِ ذَنَائِبُهْ(٧)

= أراد « ينبع » . . و « شمام » (بفتح الشين والتخفيف) اسم جبل لباهلة ، وسلمى : أحد جبلى طيء ، وأجأ : جبلهم الثانى ، وكواكب : جبل قرب أجا ، لأنه أضافه إلى ضمير أجا .

[قلنا : الذى نراه أن « خس » محرفة عن « حمس » (بفتح الميم أو كسرها مع الحاء المهملة) بمعنى : اشتداد أو مشتد ، يقال : حمس حمساً (على وزن : تعب تعباً) ، وقد ذكر اللغويون قول على رضى الله عنه « حمس الوغا واستحرّ الموت » ، وقد جاء ذكر « الوغا » بعد « حمس » فى بيت بشار كذلك ، والضمير فى قوله « جناباويه » عائد إلى الجيش السابق ذكره ، وفى جعل « جناباويه » مثنى « جنابى » المقصور نظر ، فلعل فى ذلك تحريفاً ، والذى يراه الناظر فى القاموس أن الميمنة والميسرة يقال لهما « المجنبتان » بكسر النون المشددة وضم الميم ، وأما المقدمة فيقال لها « المجنبة » بفتح النون المشددة وضم الميم ، وقد سبقت الإشارة إلى « جناباويه » فى مقدمة الديوان (ص ٦٠ من هذه المطبوعة)] .

(١) أشار إلى انتصار مروان على الكلبيين واليمنيين ، وسمى الأماكن التى وقع فيها القتال ، [والمقانب : جماعات من الخيل تجتمع للغارة ، وتطلق المقانب على مخالب الأسد وما حولها] .

(٢) دمشق (بكسر الدال وفتح الميم وبكسرها أيضاً) قاعدة بلاد الشام ومقر الخلافة الأموية ، ومغرور حمص : هو ثابت بن نعيم الجذامى ، وهو الذى ثار بحمص كما تقدم ، وصلبه مروان على باب دمشق ، وحمص : قاعدة كورة من كور الشام سكانها يمنيون .

[آبت : قصدت وأتت ، وربما خص ذلك بالليل] .

(٣) فلسطين (بكسر الفاء وفتح اللام) كورة من كور دمشق بها بيت المقدس ، عرّد : هرب .

[والعارض : السحاب ، والمستن : المنصب ، والحاصب : الرامى بشىء كالبرد والحجارة] .

(٤) تدمر (بفتح التاء وضم الميم) مدينة عظيمة أزلية بناها أذينة ملك النبط فى حكم الرومان ، والعرب تزعم أنها من بناء سليمان بنتها له الجن ، قال النابغة :

وسخر الجن إنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

(٥) [قلنا : تعود بمعنى تنتاب ، والمراد بنفس لا تزال عن الهدى : الممدوح ، وبه ينتاب الأعداء ما ينتابهم] .

(٦) « ابن سماك » لم أقف على ترجمته ، وثابت : هو ابن نعيم الجذامى ، والضمير فى « بنيه » يعود على ثابت ، وهم ثلاثة صلبوا معه على أبواب دمشق [فى المخطوطة : « يرشد » بدلا من « ترشد »] .

(٧) أى ونادى ثابت سعيداً ، وهو سعيد بن هشام بن عبد الملك الذى كان خالفه أخوه سليمان بن =

وَمِنْ عَجَبٍ سَعْىُ ٱبْنِ أَغْنَمَ فِيهِمُو   وَعُثْمَانَ ، إِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ⁽¹⁾

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا وَطَارَ بِشَخْصِهِ   نَجِيبٌ وَطَارَتْ لِلْكِلَابِ رَوَاجِبُهْ⁽²⁾

أَمَرْنَا بِهِمْ صَدْرَ النَّهَارِ فَصُلِّبُوا   وَأَمْسَى حُمَيْدٌ يَنْحِتُ الْجِذْعَ صَالِبُهْ⁽³⁾

وَنَاطَ ٱبْنُ رَوْحٍ لِلْجَمَاعَةِ إِنَّهُ   زَأَرْنَا إِلَيْهِ فَاقْشَعَرَّتْ ذَوَائِبُهْ⁽⁴⁾

٧٦ وَبِالْكُوفَةِ الْحُبْلَى جَلَبْنَا بِخَيْلِنَا   عَلَيْهِمْ رَعِيلَ الْمَوْتِ إِنَّا جَوَالِبُهْ⁽⁵⁾

أَقَمْنَا عَلَى هٰذَا وَذَاكَ نِسَاءَهُ   مَآتِمَ تَدْعُو لِلْبُكَا فَتُجَاوِبُهْ⁽⁶⁾

= هشام على حمص حينما فر سليمان إلى تدمر ، وقوله « فاستصب من الشقا ذنوباً » أى أخذ حظاً عظيما من الشقاء ، شبّه ما أصابه من الشقاء بماء غزير يصب من ذنوب ، والذنوب (بفتح الذال المعجمة) : الدلو ، أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم .

(١) « ابن أغنم » لم أقف عليه . وعثمان هو عثمان بن سعيد بن هشام وقد أسره مروان بن محمد مع أبيه سعيد ، وهو عثمان بن الحيرى الذى كان مع الضحاك بالكوفة كما سيأتى .

(٢) فى المصراع الأول موضع كلمة بياض « إلا ... طال » ولعله موضع واو زائدة بعد الاستثناء ، وكتب فى الديوان « طال » باللام ، والصواب أنه بالراء ، والرواجب : جمع راجبة ، وهى المفاصل .

[قلنا : كلمة « نجيب » لم يتضح نقطها فى المخطوطة ، كتبها الشارح بالجيم والباء على النحو الذى يراه القارئ ، ولكنه لم يفسرها ، والذى نراه فى هذه الكلمة أنها « نحيت » (بفتح النون وكسر الحاء المهملة وبتاء مثناة فى آخرها) لا « نجيب » والمراد بالنحيت : المنحوت ، أى الجذع أو الخشب الذى نحته النجار لأجل الصلب عليه ، قال الزمخشرى : « عود نحيت ومنحوت » وسيذكر فى البيت الآتى قوله : « ينحت الجذع صالبه » ولعل موضع البياض بعد « إلا » حروف تكمل بها كلمة « طال » فتصير « استطال » . يعنى أن جذع الصلب قد استطال وامتد بجسم المصلوب] .

(٣) أشار إلى تصليب من صلب ، وهم خمسمائة من قتلى حمص ، و « حميد » لم أقف عليه ، ومعنى « ينحت الجذع صالبه » أنه سيصلب قريباً .

(٤) « ابن روح » لعله عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامى ، والذوائب : شعر الرأس .

(٥) الكوفة : مدينة العراق فى عهد الدولة الأموية ، اختطها عمر بن الخطاب ، وصف الكوفة بالحبلى ، ولبعض المدن أوصاف ، مثل المدينة المنورة والقسطنطينية النجراء ودمشق الفيحاء ومراكش الحمراء وتونس الخضراء والكوفة العذراء ، ولم أقف على وصف الكوفة بالحبلى ، فالظاهر أن بشاراً أراد التعريض بأنها تغيرت عن حالها فصارت حبلى يسكنها أهل الفتن ، يشير إلى انتقاض أهل الكوفة سنة ١٢٨ . وقوله « حلبنا » كتب فى الديوان بحاء مهملة ، وكذلك كتب « حوالبه » ، والصواب أنهما بالجيم .

[قلنا : ربما كانت « الحبلى » محرفة عن « الجلبى » (بفتح الجيم والباء ، مقصوراً) جمع « جليب » بمعنى مجلوب ، أى : مسوق ومأتى به ، يعنى أن الكوفة فيها المجلوبون المسوقون للفتن والحرب ، والضمير فى « عليهم » يرجع إلى الجلبى] .

(٦) المآتم : جمع مأتم ، وهو مجمع النساء مطلقاً فى الخير والشر ، قال أبو حية النمرى :

رمته أناة من ربيعة عامر   نؤوم الضحى فى مأتم أى مأتم

ثم غلب على مجامعهن فى الموت كما هنا ، وقوله « مآتم » نصب على البدل من قوله « نساءه » . وكتب « تدعو » ولعله « تدعى » أو « يدعوها البكاء » .

أَيَامَى وَزَوْجَاتٍ كَأَنَّ نِهَاءَهَا عَلَى الْحُزْنِ أَرْءَامُ الْمَلاَ وَرَبَارِبُهْ(١)
بَكَيْنَ عَلَى مِثْلِ السِّنَانِ أَصَابَهُ حِمَامٌ بِأَيْدِينَا فَهُنَّ نَوَادِبُهْ
فَلَمَّا اشْتَفَيْنَا بِالْخَلِيفَةِ مِنْهُمُو وَصَالَ بِنَا حَتَّى تَقَضَّتْ مَآرِبُهْ
دَلَفْنَا إِلَى الضَّحَّاكِ نَصْرِفُ بِالرَّدَى وَمَرْوَانُ تَدْمَى مِنْ جُذَامَ مَخَالِبُهْ(٢)
مُعِدِّينَ ضِرْغَامًا وَأَسْوَدَ سَالِخًا حُتُوفًا لِمَنْ دَبَّتْ إِلَيْنَا عَقَارِبُهْ(٣)
وَمَا أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إِلاَّ كَثَابِتٍ عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا الْمَنِيَّةَ تَادِبُهْ(٤)

وقال أيضاً

يمدح الإمامَ المهدى بالله أميرَ المؤمنين رضى الله عنه(*) :

يَا صَاحِبَيَّ الْعَشِيَّةَ احْتَسِبَا جَدَّ الْهَوَى بِالْفَتَى وَمَا لَعِبَا(٥)

---

(١) النهاء (بكسر النون) جمع نهية ، وأصلها : الناقة السمينة ، وأراد بها هنا حسان النساء ، لأن أحسن النوق سمانها .

[أيامى : جمع أيّم ، وهى فاقدة الزوج . وأرءام (مثل آرام) : جمع رئم ، بمعنى الظبى الأبيض . والملا : الصحراء ، وربارب : جمع ربرب ، وهو قطيع من بقر الوحش]

(٢) [دلفنا : تقدمنا] . الضحاك هو الضحاك بن قيس الشيبانى رأس أهل الكوفة وقد قتل سنة ١٢٩ ، وأراد بمروان : الخليفة ، وشبهه بالأسد على طريقة المكنية ، وتدمى تخييل ، فقال : تدمى من جذام مخالبه ، أى من دماء جذام ، وجذام (بضم الجيم) قبيلة ثابت بن نعيم .

(٣) الضرغام : الأسد ، والأسود الثعبان ، أراد أننا أعددنا للعدو عتاداً أشد من عتادهم .

(٤) تادبه : أى تدعوه إلى المأدبة كما يرسل صاحب الوليمة رسولا يدعو إليها الناس ، وهذه استعارة تهكمية ، كقول عمرو بن كلثوم :

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا

ولكن بيت عمرو أبلغ من بيت بشار ، لأن عمراً مهد لها بقوله : نزلتم الخ ، وبشار قال « عصانا » والعصيان لا يناسب الدعوة إلى المأدبة .

(*) وقال أيضاً يمدح الإمام المهدى بالله أمير المؤمنين رضى الله عنه ، وهذه القصيدة قالها فى المهدى فى السنة الثانية من خلافته ، وأجازه المهدى عليها بخمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة كل سنة ، وقد ذكرت ذلك فى الكلام على غرام بشار من المقدمة .

وهى من بحر المنسرح ، وعروضها صحيحة وضربها مطوى ، وقد مرت أبيات منها فى الورقة ٥٧ وأعيدت هنا .

(٥) [قلنا : المراد بقوله : « احتسبا » انتهيا عن العتاب واللوم فحسبكما ماقلتماه وما أنا فيه !] .

وَاللهِ مَا أَنَامُ وَلاَ أَمْلِكُ عَيْنِى دُمُوعَهَا طَرَبَا(١)
أَبْقَى لَنَا الدَّهْرُ مِنْ تَذَكُّرِ مَنْ قَدْ كَانَ جَارًا فَبَانَ وَاغْتَرَبَا(٢)
لِلّهِ دَمْعِى أَلاَّ أُكَلِّمَهُ يَوْمَ غَدَا فى السُّلاَفِ مُنْشَعِبَا(٣)
مَا كَانَ ذَنْبِي أَنِّي شَقِيتُ بِهِ وَشُؤْمُ عَيْنٍ كَانَتْ لَنَا سَبَبَا
أَفْرَغْتُ دَمْعِى عَلَى الْحَبِيبِ فَأَعْـجَبْتُ رِجَالاً وَلَمْ أَكُنْ عَجَبَا
قَبْـلِى تَصَابَى الْفَتَى وَمَالَ بِهِ حُبُّ الْمَعَاصِيرِ عِفَّةً أَوْ طَلَبَا(٤)
مَا كَانَ حُبِّي سَلْمَى وَرُؤْيَتَهَا إِلاَّ قَذًى فى مَدَامِعِى نَشِبَا
أُرِيدُ نِسْيَانَهَا فَيُذْكِرُنِى مَابَاتَ فى الْجَارَتَيْنِ مُكْتَسِبَا
لِلّهِ سَلْمَى إِذْ لاَ تُطِيعُ بِنَا الْـوَاشِى وَإِذْ لاَ نُطِيعُ مَنْ عَتَبَا(٥)
تَدْنُو مَعَ الذِّكْرِ كُلَّمَا نَزَحَتْ حَتَّى أَرَى شَخْصَهَا وَمَا اقْتَرَبَا(٦)
وَيَوْمَ أَشْكُو إِلَى أُسَامَةَ مَكْـنُونَ الْهَوَى فَاسْتَطَارَ وَالْتَهَبَا(٧)
قَالَتْ سُلَيْمَى أَعِنْدَنَا شُغُلٌ عَنْكَ وَلَـكِنْ لاَ تُحْسِنُ الْحَلَبَا(٨)

---

(١) الطرب : التأثر من فرح أو حزن ، والمراد هنا الثانى .

(٢) [بان : فارق] .

(٣) « لله دمعى » تنذر هزلى ، والسلاف الخمر .

[قلنا : الذى نراه أنه ليس فى عجز هذا البيت موضع للخمر ، فلعل « السـلاف » — إن لم يكن محرّفاً — (بكسر السين) : جمع السليف بمعنى الطريق ، وقد جاء فى اللغة ذكر السليف بهذا المعنى ولم يذكر جمعه . ومعنى « منشعب » : متباعد] .

(٤) المعاصير : جمع معصر ، وهى البنت فى أول ماتدرك .

(٥) قوله « وإذ لا نطيع » ثبت هنا بنون ، وثبت فى الورقة ٥٧ بتاء فوقية ، وكلاهما صحيح .

(٦) [قلنـا : يريد بقوله تدنو مع الذكر . . الخ أنه يتذكرها كلما بعـدت فيدنيها الذكر إلى نفسه حتى يتخيلها حاضرة قريبة وهى بعيدة] .

(٧) « أسامة » اسم رجل .

[قلنا : لعل « فاستطار » محرف عن « ما استطار » ، ومعنى استطار انتشر] .

(٨) « لا تحسن الحلب » أى لا تعرف تصـاريف الأمور وحيلها ، وهـذا ينظر إلى قولهم حلب الدهر أشـطره ، ومنه « يضع الهناء موضـع النقب » و « يعرف كيف تؤكل الـكتف » . وقوله « أعندنا » الاسـتفهام إنـكارى ، أى : ما عنـدنا ، بقرينة قوله « ولـكن » ، أى نحن لا نشغل عن زيارتك ولـكننا نتركها توقياً .

=

أَكْرِمْ خَلِيطاً تَنَلْ كَرَامَتَهُ لَسْتَ بِجَانٍ مِنْ شَوْكِهِ عِنَبَا[١]
زَيْنُ الْجَوَارِي خُلِقْتِ مِنْ عَجَبٍ وَالْخُرْصُ عَجْلَانُ يَفْضَحُ الْأَدَبَا
وَبِالنَّقَى وَالْعُيُونُ حَاضِرَةٌ عَيَّنَنَا كُلَّ شَارِقٍ عَقِبَا[٢] ٧٧
دَسَّتْ إِلَيَّ الْبَنَّانَ تُخْبِرُنِي عَنْهَا فَمَنَّى وَرُبَّمَا كَذَبَا[٣]
كَانَتْ عَلَى ذَاكَ ثُمَّتَ انْقَلَبَتْ كَمَا دَعَوتُ الزَّمَاعَ فَانْقَلَبَا[٤]
كَمْ مِنْ نَعِيمٍ نِلْنَا لَذَاذَتَهُ وَمَجْلِسٍ عَادَ ذِكْرُهُ نَصَبَا[٥]
لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَيَالُ يُذْكِرُنِي مَا كَانَ مِنْهَا وَكَانَ مُطَّلَبَا
دَعْ عَنْكَ سَلْمَى شَجَى لِطَالِبِهَا لَا يَسْبِقُ الرَّأْيُ دُونَ مَا كُتِبَا[٦]

= [قلنا : إن بشاراً قد ردد فى شعره تمثيل حال المحب بحال الحالب ، ويذكر نصح المحب أن يكرم الخليط ويحسن الصحابة ويصطنع الصاحب ويترك الجفاء ، كما يكون الحالب المحسن الذى يمسح ضرع الناقة لتـدرّ ، فإن لم يحسن الحلب وجفا قطع جفاؤه الدر . انظر ص١٦٣ و ١٦٧ و ٢٦٥ من هذه المطبوعة] .

(١) المعنى أن الإحسان لا يجلب الإساءة ، فإذا أكرمت حبيبك أكرمك لا محالة ، فقوله « لست بجان من شوكه عنباً » استدلال على ضد الأمر ، أى فإن لم تكرمه لم يكرمك إذ لا يجتنى العنب من الشوك ، أى لا يجتنى الشىء من ضده .

(٢) قوله « بالنقى » متعلق بـ « دست » فى البيت بعده ، والعيون : الرقباء ، والشارق : الشمس ، والمراد وقت طلوعها ، فيتعين أن يكون « كل » منصوبا ، وإن كان ضبطه فى الديوان بالضمة ، ومعنى « عيننا » عين لنا ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور فصار مفعولا ، « عقبا » مفعول عين ، أى كانت الرقباء تتعاقب علينا كل صباح .

(٣) البنان : اسم رجل ، وتخبرنى كتب فى الديوان بالتاء ، أى تخبرنى سلمى عن نفسها بواسطته .

[قلنا : ليس فى المخطوطة تشديد النون الأولى فى كلمة « البنان » ، ووزن البيت لا يستوجب التشديد ، وليس بلازم أن يكون « البنان » — هنا — اسم رجل ، والذى يظهر لنا أن « البنان » بتخفيف النون الأولى وهو بمعنى الأصابع . والمراد أن المحبوبة غمزته ببنانها الذى أخفته عن العيون غمزاً يشعره بها ويحببها ، ويبعث فى نفسه الأمانى المرجوة ، وإن لم تكن محققة الحصول بعد ذلك] .

(٤) الزماع تقدم فى البيت ٢٥ من الورقة ٧٣ [أنه : العزم على الفعل] ، والمعنى أنها تغيرت حالة مواساتها له ، وضبط فى الديوان تاء « دعوت » بضمة ، ويظهر أنها مفتوحة ، أى كما يدعوه .

[قلنا : ضم التاء فى « دعوت » ظاهر أيضاً] .

(٥) [عاد : صار ، والنصب : التعب] .

(٦) كتب « الرأندون » وهو تحريف ، وصوابه « الرأى دون » كما هو فى الورقة ٥٧ [ص ٢٥٧ من هذه المطبوعة] .

=

سَأَتْرُكُ الغُرَّ لِلعُيُونِ وَلاَ ... أَتْرُكُ شُرْبَ الصَّهْبَاءِ وَالغَرَبَا(١)

وَمَلِكٌ تَسْجُدُ المُلُوكُ لَهُ ... مُوفٍ عَلَى النَّاسِ يَرْزُقُ العَرَبَا(٢)

رَاعٍ لِأَحْسَابِنَا وَذِمَّتِنَا ... يُمْسِي دُوَارًا وَيَغْتَدِي نُصُبَا(٣)

= [قلنا : إننا لا نرى تخطئة ماجاء فى المخطوطة هنا من قوله « الرائدون » ، فإن هذا اللفظ معناه : الطالبون ، والمراد : أن الطالبين لأمر لا يسبقون بطلبهم ماهو مقدر مكتوب بل المكتوب سابق ، ولعل مجىء كلمة « الرائدون » بمعنى الطالبين فى عجز البيت أقرب من غيره مناسبة لقوله فى صدر البيت « . . . لطالبها »] .

(١) قوله والغربا بفتح الغين المعجمة وبفتح الراء الخمر ، ونصبه على المفعول معه أى شرب الخليط من الصهباء والغرب .

[قلنا : ذكر الشارح أن « الغرب » بمعنى الخمر ، ولم يذكر أن الصهباء شيء غير الخمر ، فلم يتبين ذلك الخليط من الصهباء والخمر ، مع ضعف واو المعية فى مثل ذلك . والذى نراه أن « الغرب » هنا معطوف على « شرب » وهو بمعنى آخر غير الخمر ، ولعل المراد — هنا — القدح المتخذ من شجر الغرب أو الجام من الفضة ، قال لبيد « دعدع ساق الأعاجم الغربا » أى : ملأ ساق الأعاجم قدح الغرب خمراً ، ومما ذكره اللغويون من معانى « الغرب » : الذهب والفضة . . . الخ . وأما قول بشار « سأترك الغر للعيون » فمعناه : سأترك الحسان للعيون المحدقة بهن ، فلا أشغل نفسى بهن وبالرقباء ، والغر : جمع الغراء ، وهى الحسناء البيضاء ، ومنه قول بشار (ص ١٠٤ من هذه المطبوعة) : وأقعدنى عن الغر الغوانى . . . الخ] .

(٢) [قلنا : قد سقط هذا البيت من نسخة الشارح ، وقد ضبط « ملك » فى المخطوطة بالجر] . ملك مرفوع على الابتداء ، والواو عاطفة للجملة . وليست واو رب ، لأنه عنى ملكا معيناً ، وهو الممدوح ، ولم يعن عدة ملوك ، وخبر المبتدأ قوله « ساورت » فى البيت [الآتى بعد عشرة أبيات] . وما بينهما جمل معترضة .

(٣) الدوار بضم الدال وتشديد الواو ، وخففه هنا للضرورة ، كما خففوا « ميت وهين » ، وقد خففه امرؤ القيس فى قوله :

عذارى دوار فى ملاء مذيل

وهو الصنم الذى يطوفون حوله ، ويطلق على الكدية من الرمل لأنها تدور حولها الوحوش ، وقد فسر بالمعنيين قول النابغة :

كأنهن نعاج حول دوار

والنصب : الصنم أيضاً ، والجمع : الأنصاب . وقيل : الصنم ما كان تمثالا وهوالذى يطاف به والنصب ما كان حجارة غير ممثلة ، وهو ظاهر القرآن إذ قال حكاية عن إبراهيم « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » مع ماحكاه عنه « أتعبدون ماتنحتون » فقد علمنا أن أصنامهم كانت صورا ، وقال فى الأنصاب : « وما ذبح على النصب » وقال : « والأنصاب والأزلام » وكانت أكثر أصنام العرب أنصاباً غير تماثيل مثل العزى ، ولذلك قال النابغة :

وما هريق على الأنصاب من جسد

أراد بشار أن الناس يفدون إليه مساء للضيافة والمبيت لأنه مأوى للناس ويصبح مقصودا لهم للتعظيم

لاَ تَفْتُرُ الْبُخْتُ وَالْبِغَالُ مَوَا   قِيرًا خَـــرَاجًا يُجْبَى لَهُ دَأَبَا(١)
وَرُبَّمَـــا شَبَّتِ الْعُيُونُ لَهُ   بَرْقًا فَكَانَتْ رُؤُوسَ مَنْ شَغَبَا
فَتَى قُرَيْشٍ دِينًا وَمَكْرُمَةً   وَهَبْتُ وُدِّى لَهُ بِمَـــا وَهَبَا(٢)
لاَ يَأْثَرُ الغِـــلَّ لِلْخَلِيلِ وَلاَ   تَغْلِبُهُ طَيْرُهُ إِذَا غَضِـــبَا(٣)
يُعْطِيكَ مَاهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَلاَ   يُطْمَعُ فِى دِينِـــهِ وَإِنْ قَرُبَا(٤)
شَهْمٌ وَقُورٌ يَزِينَ غُـــرَّتَهُ   حِلْمٌ وَزَانَ الوَقَارَ مَااجْتَنَبَا(٥)
يَكْفِيكَ مِنْ قَسْوَرٍ أَجَشَّ وَكَالْـــمَاء زُلاَلاً يَجْرِى لِمَنْ شَرِبَا(٦)
بِجِـــلْدِهِ طَابَتِ الثِّيَابُ وَبِالْـــمَسِّ يُطِيبُ العِيَانَ وَالحَسَبَا(٧)
تُشَمُّ نَعْلاَهُ فِى النَّـــدِيِّ كَمَا   شَمَّ النَّدَامَى الرَّيْحَانَ مُغْتَقِبَا(٨)

---

(١) الدأب (بفتح الدال وفتح الهمزة) كالدأب (بسكون الهمزة) ملازمة الفعل حتى يصير عادة ، يقال دأب فى عمله (كمنع) والدأب أيضاً : العادة ، قال تعالى : كدأب آل فرعون .
[البخت : الإبل الخراسانية ، مواقير : كثيرة الحمل] .

(٢) كتب هنا « وهبت دينى » وتقدم هذا البيت فى الورقة ٥٧ « وهبت ودى » وهوالصواب .

(٣) « لا يأثر » بفتح الثاء ، يقال : أثر (بكسر الثاء) أن يفعل ، وبأن يفعل ، بمعنى : هم وعزم ، فالمعنى لاينوى الغل لخليله .
[قلنا : لعل « طيره » صوابها « طيرة » بفتح الطاء وبتاء منونة ، أى : خفة وطيش ، ومنه قولهم « استخفته طيرة الغضب » . والراء فى المخطوطة مفتوحة] .

(٤) « ماهبت الرياح » أى فى كل ناحية وإن بعدت ، وقوله « ولا يطمع فى دينه » مبنى للمجهول ، أى لا يطمع طامع ، ولذلك قال « وإن قربا » أى فهو يعطى المال للبعيد ولا يعطى دينه للقريب .

(٥) [« ما » مصدرية فى قوله « مااجتنبا » يعنى أن اجتنابه — لما يجمل به اجتنابه — يزين وقاره ويحابه] .

(٦) [القسور : الأسد والقوى الشجاع من الناس ، و « أجش » إما أن يكون فعلا (بمعنى : دق وكسر) وإما أن يكون وصفاً وهو أظهر (بمعنى شديد الصوت غليظه) والمراد بهذا البيت أن الممدوح قوى حين يستكى وسهل حين يستصفى] .

(٧) [فى المخطوطة : « بجلدة » وأصلحها الشارح فى نسخته بالهاء] .

(٨) وصفه بغاية النظافة لأن أسرع الأعضاء لإفراز الروائح الكريهة الرجلان ، وأسرع الثياب لذلك النعلان ، وفى رواية الأغانى المصراع الأخير : « يشم ماء الريحان منتهبا » والكناية عن الشرف والرفاهية بجودة النعال وحسن رائحتها معنى قديم ، وذلك أن عامة العرب كانوا ينتعلون بجلد بعض الحيوان بعد إزالة شعره أو مع بقاء الشعر ، قال بعض رجاز الجاهلية وهو جساس بن قطيب :

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع   وشركا من استها لا تنقطع
كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

سَاوَرْتُ مِنْ دُونِهِ القَفْقَلَ وَالْـــجَوْفَ أُزَجِّى المَهْرِيَّةَ النُّجُبَا(١)
مِنَ المُعَدَّاتِ فى الَّلجِينِ وَفى الْـــعِيصِ لِهَمِّ أَلَحَّ أَوْ غَلَبَا(٢)
إِذَا ذَكَرْتُ امْرَأً يَبِيتُ عَلَى الحَمْـــدِ رَكِبْنَا العَادِيَّةَ الرُّكَبَا(٣)
يَخْبِطْنَ جَمْرَ الغَضَى وَقَدْ خَفَقَ الآ لُ وَغَشَّى رَيْعَانُهُ الحَـــدَبَا(٤)
مُسْتَقْبِلَاتٍ مِنْ كُلِّ هَاجِرَةٍ قَيْضًا وَقَيْضًا تَرَى لَهُ حَبَبَـــا(٥)

= وقال أعرابى يهجو معن بن زائدة :

أتذكر إذ لحافك جلد شـــاة وإذ نعلاك من جلد البعـــير !

وكان سادة العرب ينتعلون نعـــال الجلد المدبوغ الذى لم يبق فيه أثر الشعر ، وتسمى النعال السبتية ، قال النابغة فى مدح ملوك غسان :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

وقال الأحنف بن قيس : استجيدوا النعال فإنها خلاخل الرجال ، فإذا كانت النعل غير مدبوغة كانت فيها رائحة الجلد كريهة ، فـكانوا ينزعونها إذا دخلوا المجالس لـكراهة ريحها ، أنشد ابن السيد فى الاقتضاب عن أبى عمر المطرز عن ثعلب :

أتنى علىّ بمـا علمت فإننى أثنى عليك بمثل ريح الجورب

يريد أن يذمها فشبه الذم بريح الجورب ، وربما شمها الـكلب فأكلها ، قال قيس بن عمرو الملقب بالنجاشى :

ولا يأكل الـكلب السروق نعالنا ولا ننتقى المخ الذى فى الجماجم

قالوا : عنى أنهم لا ينتعلون إلا النعال السبتية ، وقال كثير :

إذا نبذت لم تطلب الـكلب ريحها وإن وضعت فى مجلس القـــوم شمت

لأن الجلد المصنوع تحسن رائحته .

(١) ثبت فى الديوان شاورت بالشين المعجمة والصواب أنه بالسين ، أى غالبت .

(٢) « المعدات » كتب بالعين وبالدال المهملتين ، ولعل صوابه بالغين والذال المعجمتين ، وتـكون التاء هاء ، أى التى غذيت فى اللجين والعيص ، وقوله « لهم » متعلق بمحذوف حال ، وعلى ما فى الديوان فهو بمعنى أعدت لهم فيـكون « لهم » متعلقاً بالمعدات ، فيكون قوله « فى اللجين » حالا من المعـدات ، واللجين (بفتح اللام وكسر الجيم) ورق الشجر المخلوط بالشـعير تعلفه الإبل ، والعيص (بكسر العين وبالصاد المهملة) الشجر الـكثير الملتف تتناول منه الورق إذا سئمت اللجين وتـكون فى ظله .

(٣) العادية : القوية ، لأن العرب تنسب الشىء القوى إلى عاد ، والركب : جمع ركبـة ، وهو تمييز للإبهام الذى فى النسب .

(٤) الحدب (بفتح الحاء والدال) الأرض الغليظة .

[خفق الآل : اضطرب السراب ، وريعال السراب : مااضطرب منه وأوله] .

(٥) قوله « قيضاً وقيضاً » أى قيضاً بعد قيض ، فالعطف لمجرد الدلالة على التكرير ، والقيض : شدة الحر ، والحبب (بفتحتين) الفقاقيع التى تلوح على وجه الماء ، والظاهر أنه أراد بها هنا مايبدو =

عُوجٌ تَوَالَى عَلَى الذَّمِيلِ إِذَا الرَّ ... اكِبُ مِن حَرِّ يَوْمِهِ انْتَقَبَا(١)
يَنْسَبِحْنَ فِى عَذْرَةِ السَّماءِ كَمَا ... شَقَّ الْعَدَوْلِىُّ زَاخِراً صَخِبَا(٢)
حَتَّى إِذَا خَيَّمَتْ بِعَاقِبَةٍ ... جَارَاتِ وَالٍ يُفَرِّجُ الْكُرَبَا(٣)
بَيْنَ أَبِى جَعْفَرٍ وَبَيْنَ أَبِى الْـ ... عَبَّاسِ مِثْلَ الرِّئْبَالِ مُحْتَجِبَا(٤) ٧٨
لَا بَلْ هُوَ الْمُخْدِرُ الْهُمَامُ إِذَا ... أَحَسَّ قَلْبُ امْرِئٍ بِهِ وَجَبَا(٥)
صَبَّحْتُهُ فِى الذُّرُورِ تَمْطُرُ كَفَّـاهُ لِزُوَّارِ بَيْتِهِ ذَهَبَـا(٦)
لَمَّـا رَآنِي بَدَتْ مَكَارِمُهُ ... نُورًا عَلَى وَجْهِهِ وَمَا اكْتَأَبَا
كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أُبَشِّرُهُ ... وَلَمْ أَجِئْ رَاغِبًا وَمُحْتَلِبَا(٧)

= للناظر فى الهاجرة مثل الحبب فى الهواء وهو السراب ، وكتب فى الديوان « يرى » يرى بالمثناة التحتية ، والظاهر أنه بتاء الخطاب .

[قلنا : الموجود فى المخطوطة « قيظاً وفيضاً » فالكلمة الأول بالقاف والياء والظاء ، والكلمة الثانية بالفاء والياء والضاد ، فليس فى المخطوطة تكرير] .

(١) [قلنا : « عوج » جمع عوجاء وهى الضامرة من الإبل لكثرة السير ، وانظر ما قلنا (ص ٢٩٦ من هذه المطبوعة) والذميل : السير اللين للإبل] .

(٢) العدرة (بعين مهملة مفتوحة ودال مهملة ساكنة) المطر الشديد . والعدولى : السفين المنسوب إلى عدولى قبيلة من أهل البحرين تجيد صنع السفن ، قال طرفة :

عدولية أو من سفين ابن يامن

(٣) خيمت : نزلت وانتهى بها السفر ، وجارات : جمع جارة ، منصوب على الحال من فاعل خيمت ، والوالى : الملك ، وحذف جواب « إذا » لتعظيم أمره ، كما فى قوله تعالى : وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها . الآية ، أى حصل من النعيم أمر عظيم .

[قلنا : ربما كانت « جارات وال » محرفة عن « جارت بوال » وجارت بمعنى استجارت] .

(٤) [قلنا ربما كان « بين أبى جعفر وبين » محرفاً عن يابن أبى جعفر ربيب » وأبو جعفر : المنصور ، وابنه : المهدى الممدوح ، وأبو العباس : السفاح ، والرئبال : الأسد] .

(٥) المخدر (بفتح الدال وبكسرها) الأسد ، لأنه يخدره عرينه ومخدر هو فيه ، ولذلك يقال له خادر أيضاً ، قال كعب :

من خادر من ليوث الأسد مسكنه ... من بطن عثر غيل دونه غيل

وكتب فى الديوان « إذا ما حس » والصواب « إذا أحس » أى شعر به ، إذ لا يقال « حس » إلا بمعنى قتل ، كما فى قوله تعالى : إذ تحسونهم بإذنه [وجب بمعنى خفق ورجف] .

(٦) الذرور (بضم الذال المعجمة) وقت طلوع الشمس ، يقال : ذرت الشمس ذروراً .

(٧) [قلنا : فى نسخة الشارح « محتلبا » بحاء مهملة ، وعلى الحاء فى المخطوطة نكتة قد تكون نقطة أو تكون سكونا] .

فَرَّجَ عَنِّي الْمَهْدِيُّ مِنْ كَرْبِ الضِّـ ... ـيقِ خِنَاقًا قَاسَيْتُهُ حِقَبَا
أَعْطَى مِنَ الصَّتْمِ وَالْوَلَائِدِ وَالْـ ... ـعُبْدَانِ حَتَّى حَسِبْتُهُ لَعِبَا[١]
وَبِرْكَةٍ تَحْمِلُ الْوَفَاءَ تَلَا ... فَاهَا مِنَ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا كَرَبَا[٢]
يَحْثِي لِهٰذَا وَذَا وَذَاكَ وَلَا ... يَحْسِبُ مَعْرُوفَهُ كَمَنْ حَسَبَا[٣]
إِنَّ الَّذِي أَنْعَمَتْ خِلَافَتُهُ ... بِالنَّاسِ حَتَّى تَنَازَعُوا سَبَبَا
شَقِيقُ مَنْ قَامَتِ الصَّلَاةُ بِهِ ... لَمْ يَأْتِ بُخْلًا وَلَمْ يَقُلْ كَذِبَا[٤]
شُبِّهَتْ بِأَخْلَاقِهِ خَلَائِقُهُ ... وَحَازَ مِيرَاثَهُ إِذَا انْتَسَبَا
يَغْدُو بِيُمْنٍ مِنَ النُّبُوَّةِ لَا ... يُخْلِفُ عَرَّاصُهُ إِذَا اضْطَرَبَا[٥]
وَبَشَّرَتْ أَرْضَنَا السَّمَاءُ بِهِ ... وَسَرَّ أَهْلَ الْقُبُورِ مَا عَقِبَا
لِلّٰهِ أَهْلُ الْقُبُورِ لَوْ نُشِرُوا ... لَاقَوْا نَعِيمًا وَاسْتَجْلَمُوا أَدَبَا[٦]
وَيُوسُفُ الْبَرْمُ قَدْ عَبَأْتَ لَهُ ... حَتَّى هَوَى فِي الْجَحِيمِ مُنْقَلِبَا[٧]

---

(١) « الصتم » الأموال الوافرة ، ووقع فى الورقة ٥٧ « الصمت » وكذلك رواه فى الأغانى ، وهى المال عدا الحيوان ، إذ لا صوت للمال المكسوب إلا الحيوان .

[قلنا : هذا البيت كبيت عمرو بن محمد الثقفى :

ما زال يعطى ناطقاً أو ساكناً ... حتى ظننت أبا عقيـــل يمزح]

(٢) البركة (بكسر الباء وسكون الراء) الصدر ، أراد صدر ناقته .

(٣) أشار بقوله « يحثى لهذا وذا وذاك » إلى ما روى فى بعض الأخبار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن فى أُمتى المهدى فيجىء إليـه الرجل فيقول يامهدى أعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله والمال يومئذ كُدوس ، وفى رواية عن أبى هريرة قال رسول الله : يكون فى أمتى المهدى والمال كدوس يقوم الرجل فيقول يامهدى أعطنى فيقول خذ ، وهى أحاديث ضعيفة ، وقد أعلمناك فى المقدمة أن المهدى كان يلمح إلى أنه المهدى المنتظر وكان ذلك شائعاً بين أنصاره ومدّاحيه .

(٤) كتب فى الديوان « شقيق » والشقيق الأخ ، ولا معنى له هنا ، فتعين أن فى الكلام تحريفا ، ولعل صوابه « سمى » ، ومن قامت الصلاة به هو النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل البيت الذى بعده .

(٥) العراص (بالصاد المهملة) السحاب ، يريد أنه إذا وعد بالعطاء لا يخلف .

(٦) « واستجلموا » هكذا كتب فى الديوان ، وهو من قولهم جلم الجزور واجتلمها إذا أخذ ما على عظامها من اللحم ، أراد أنهم يلقون أدباً كثيراً ، ويجوز أن يكون « واستجمموا » بميمين ، أى استكثروا . قلنا : لعله « واستجلبوا » .

(٧) « يوسف البرم » هو يوسف بن إبرهيم المعروف بالبرم (بباء موحدة) كان من أهل خراسان ، فثار بها على المهدى منكراً عليه سيرته التى يسير بها ، وذلك سنة ١٦٠ ، وبعث المهدى إليه =

بُعْدًا وَسُحْقًا لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الْ — حَقِّ وَعَاصَى الْمَهْدِىَّ مُرْتَعِبَا

إِنَّ ابْنَ سَاقِى الْحَجِيجِ يَكْفِيكَ مَا — حَلَّ مُقِيمًا وَأَيَّةً رَكِبَا (١)

مَهْدِىُّ آلِ الصَّلَاةِ يَقْرَؤُهُ الْ — قَسُّ كِتَابًا دَثْرًا جَلَا رِيَبَا (٢)

كَأَنَّ طُلَّابَهُ لِحَاجَتِهِمْ — حَجٌّ يَؤُمُّونَ مَشْعَرًا شُزُبَا (٣)

يُزَيِّنُ الْمِنْبَرَ الْأَشَمَّ بِعِطْـ — فَيْهِ وَأَقْوَالِهِ إِذَا خَطَبَا

وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهِ — كَأَنَّ نُورًا فِى الشَّمْسِ مُجْتَلَبَا

أَغَرُّ مُسْتَمْطَرُ الْيَدَيْنِ إِذَا — رَاحَ عَلَيْهِ زُوَّارُهُ عُصَبَا (٤)

وَمُنْتَهَى غَايَةِ الْوُفُودِ إِذَا — سَارُوا يَرْجُونَ وَصْلَهُ رَغَبَا (٥)

يَقُولُ سَارِيهِمُ وَقَدْ دَأَبُوا — بَعْدَ الصَّبَاحِ اغْتِبَاطُ مَنْ دَأَبَا (٦)

إِذَا أَتَيْتَ الْمَهْدِىَّ تَسْأَلُهُ — لَاقَيْتَ جُودًا بِهِ وَمُحْتَسَبَا

= يزيد بن مزيد فلقيه وتنازلا للقتال بأنفسهما حتى صارا إلى المعانقة ، فأسره يزيد بن مزيد ، وبعث به إلى المهدى ومعه وجوه أصحابه ، فأدخلوه إلى الرصافة راكبين على أبعرة ووجوههم إلى أذناب الإبل ، فقطعت يدا يوسف ورجلاه وقتل وقتل أصحابه وصلبوا على الجسر ، ويقال إنه كان حروريا ، وكتب فى الديوان بنون عوض الياء وهو تحريف .

(١) « ساقى الحجيج » هو صاحب السقاية ، أراد به العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وقوله « وأية ركبا » كتب فى البيت ٩ من الورقة ٥٧ « وأية ذهبا » وكلاهما صحيح .

(٢) « آل الصلاة » هم المسلمون ، مثل قولهم : أهل القبلة ، وقوله « يقرؤه القس » الظاهر أنه يشير إلى شىء كانوا يتحدثون به من أن ذكر المهدى موجود فى التوراة ، والدثر (بفتح الدال وسكون الثاء) يعنى نفيسا ، من قولهم : ماء دثر ، وفى الحديث : ذهب أهل الدثور بالأجور . . . الخ .

(٣) حج : اسم جمع حاج ، كما قيل : صحب وركب [والمشعر : موضع المناسك فى الحج] . والشزب بضم الشين والزاى جمع شازب وهو الضامر ، أى من شدة التعب .

(٤) [« مستمطر اليدين » بمعنى : مطلوب معروفهما ، والعصب : الجماعات ، جمع العصبة] .

(٥) كتب « ساور يرجون صله » ولعل صوابه « ساروا يرجون وَصْلَه » . والرغب (محركة) الرغبة ، ضد الرهب .

[قلنا : الذى نراه فى ضبط « يرجون » أنه « يرجُّون » بضم الياء وفتح الراء وتشديد الجيم مع ضمها ، وذلك ليستقيم وزن البيت ، ولعل « ساروا » بفتح الراء ، أو تكون محرفة عن « سروا » بفتح الراء أيضاً ، أو عن « أسروا » وذلك ليكون الفعل من السرى ، وهو السير ليلا ، فيناسب ماجاء فى البيت بعده] .

(٦) هو معنى المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

[« اغتباط » : مبتدأ ، و « بعد » متعلق بالخبر] .

٧٩ تَرَى عَلَيْهِ سِيمَا النَّبِيِّ وإنْ   حَارَبَ قَوْمًا أذْكَى لَهُمْ لَهَبَا
مُجْتَمِعُ القَلْبِ فى اللِّقَاءِ إذَ الْـأَمْرُ تَوَلَّى مِنْ قَلْبِهِ حَرَبَا(١)
قَدْ سَطَعَ الأَمْنُ فى وِلاَيَتِهِ   وقَالَ فِيهِ مَنْ يَقْرَأُ الْكُتُبَا(٢):
مُحَمَّدٌ مُورِثٌ خِـلاَفَتَهُ   مُوسَى وهَارُونَ يَقْبِمَانِ أبَا

وقال أيضاً يمدح رَوْح بن حاتم(*) :

طَرَقَتْنَا بالزَّابيَيْنِ الرَّبَابُ   رُبَّ زَوْرٍ عَلَيْكَ مِنْهُ اكْتِئَابُ(٣)
وَلَقَدْ قُلْتُ لِابْنِ جُهْمَةَ إذْ بِتُّ مَشُوقًا وَنَامَ عَنِّى الصِّحَابُ(٤):
غَنِّنِى بالرَّبَابِ إنْ كُنْتَ تَشْدُو   غَارَ نَوْمِى وَجُنَّ فِيَّ الشَّرَابُ
أمْسَكَتْ عَنِّىَ الرُّقَادَ فَتَاةٌ   دَارُهَا الخَبْتُ والرُّبَا والقِبَابُ

---

(١) [لعل المراد بالحرب — هنا — الغيظ والغضب ، والمراد بقوله « . . . إذا الأمر تولى من قلبه حربا » : . . . إذا قام بقلبه أمر يبعث الغيظ والغضب] .

(٢) المراد بالكتب كتب الحدثان والأجفار ، ومقول القول هو ماق البيت بعده .

(*) وقال أيضاً يمدح روح بن حاتم .

هو روح (بفتح الراء وسكون الواو) ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكناه بشار « أبا خلف » فى أبيات ذكرناها فى الملحقات فى حرف الميم ، كان عاملا للدولة العباسية على السند ، ثم على فلسطين ، وعمل لخمسة من الخلفاء : السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ، ولم يتفق هذا إلا لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، فإنه ولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، ولما مات يزيد بن حاتم أخو روح أمير إفريقية بالقيروان وجه الرشيد روحا إلى إمارة إفريقية سنة ١٧١ ، فبقى بالقيروان إلى أن توفى سنة ١٧٤ فى رمضان ، ودفن فى قبر أخيه يزيد فى باب سلم ، وشهرة روح بالمشرق أقوى منها بالمغرب ، وبشار مدح روحاً بهذه القصيدة فى خلافة المهدى ، وكان روح أمير الكوفة ثم البصرة والسند فى زمن المهدى .

والقصيدة من بحر الخفيف ، ومدح أيضاً فيها داود بن روح بن حاتم .

(٣) « بالزابيين » (بالباء موحدة ثم ياءين تحتيتين) تثنية « زابى » مقصورا ، وهما واديان بين سوراء وواسط متقاربان ، يقال لأحدهما الأعلى وللآخر الأسفل ، وكتب فى الديوان بمثناة فوقية بعد الموحدة ، وهو تحريف .

[قلنا : قد ذكر بشار « الزابيين » فى قصيدة سابقة ذكر فيها الرباب أيضاً (ص ١٢٧ من هذه المطبوعة) ـ وضبطت بكسر الباء ـ وقد قال الشارح هناك : « الزابيان : اسم نهرين واسط وبغداد » ، ونقلنا قول القاموس : « الزابيان : نهران أسفل الفرات »] .

(٤) « ابن جهمة » الجهمة (بضم الجيم) : أول مآخير الليل ، فيحتمل أنه اسم عبد له ، أو أنه أراد مخاطبة الليل بأن يغنيه كأنه عبد إذ لم يجد مغنيا ، وكان العبيد يغنونهم ، كقول بشار فى الملحقات : « غنى للقريض يابن قنان » .

مُقبِلٌ مُدْبِرٌ قَرِيبٌ بَعِيدٌ   يَتَصَدَّى لَنَا وَفِيهِ احْتِجَابُ[(١)]
كَسَرَابِ الْمَوْمَاةِ تُبْصِرُهُ العَيْـنُ وَإِنْ جِئْتَهُ اضْمَحَلَّ السَّرَابُ[(٢)]
أَوْ كَبَدْرِ السَّمَاءِ غَيْرَ قَرِيبٍ   حِينَ أَوْفَى والضَّوْءُ فِيهِ اقْتِرَابُ[(٣)]
وَطِلاَبُ الرَّبَابِ مِنْ دُونِهَا السَّيْـفُ سِفَاهٌ، والطَّيْفُ مِنْهَا عَذَابُ[(٤)]
لَوْ أَقَامَتْ نَعِمْتُ بَالاً ولٰكِنْ   ذَهَبَتْ والشَّفَا عَلَى الذَّهَابِ
سَاقَهَا الأَزْرَقُ العَيُورُ إِلَى الشَّا   مِ فَذَاتُ الأَشَاءِ مِنْهَا خَرَابُ[(٥)]
طَابَ حُزْنٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْهَا   وَانْتِظَارِي هَلْ لِلْحَبِيبِ إِيَابُ[(٦)]
وَوُلُوعُ الْخَيَالِ بِي مِنْ صَدِيقٍ   لاَ أَرَاهُ حَتَّى يَشِيبَ الغُرَابُ[(٧)]
يَا ابْنَ مُوسَى اسْقِنِي وَدَعْ عَنْكَ بَكْراً   إِنَّ بَكْراً خِلْوٌ وَإِنِّي مُصَابُ[(٨)]
لاَ أَرَى آنِسِي مَقَامُ الْجَوَارِي   وَمَسِيرُ الرَّبَابِ فِيهِ ارْتِقَابُ[(٩)]

---

(١) ذكر أوصاف الفتاة على تقدير شخص .

(٢) [الموماة : الفلاة الواسعة التي لاماء فيها] .

(٣) رواه فى أسرار البلاغة (ص ٢٥٠ طبع المنار بمصر) « حين يوفى » ورواه فى الوساطة (ص ٢٠٤) « والضوء منه قريب » وهو سهو .

(٤) [قلنا : « من دونها السيف » جملة من خبر ومبتدإ وقعت حالا من « الرباب » ، و « سفاه » خبر لقوله « طلاب » ، وقد ضبط « سفاه » فى المخطوطة ونسخة الشارح بكسر السين ، والظاهر أنها بفتح السين بمعنى الجهل والحمق] .

(٥) وقع خرق سوس فى حرف من الكلمة الثانية ، والظاهر أنه زاى ، فيكون أراد به رجلا عدوا له ، فقال عدوا أزرق .

[« ذات الأشاء » لعله الموضع الذى كانت فيه الرباب ، سمى بذلك لما فيه من الأشاء وهو صغار النخل] .

(٦) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « طاب حزن » ، وليس ذلك بظاهر فى هذا المقام ، فلعل « طاب » محرفة عن « طاف » أو « طال » أو « صاب » أو نحو ذلك] .

(٧) العرب يكنون عن المحال بشيب الغراب ، لأن الغراب لا يزال أسود ، قال النابغة :

فإنك سوف تحلم أو تناهى   إذا ماشبت أو شاب الغراب

[قلنا : قد ضبطت الواو التى قبل اللام فى قوله « وولوع » بالضم ، ولعل الصواب الفتح ، فقد نص اللغويون على أن ضم الواو فى هذا اللفظ ليس من كلامهم ، وإن كان القياس الضم] .

(٨) ابن موسى : من ندمائه ، وسيجىء فى الملحقات أبيات أولها : يا بن موسى ماذا يقول الإمام

(٩) [قلنا : لعل « لا أرى آنسى » محرفة عن « لا أرانى أنسى » ، ولم تضبط « مقام » فى المخطوطة بالرفع ولا بالنصب ، وضبطها الشارح بالرفع ، ولعل الصواب ضبطها بالنصب] .

يَوْمَ حَنَّتْ إِلَىَّ مُرْفَضَّةُ الدَّمْـــعِ وَحَنَّتْ إِلَى سِوَاىَ الرَّبَابُ
لاَ تَلُمْنِى فِيهَا يَزِيدُ بْنَ زَيْدٍ وَارْعَ وُدِّى إِلَيْكَ يُهْدَى الْجَوَابُ(١)
فى لِقَاءِ الرَّبَابِ شَافٍ مِنَ الشَّوْ قِ إِلَى وَجْهِهَا، وَأَيْنَ الرَّبَابُ ؟
رُحْتُ فى حُبِّهَا وَرَاحَتْ دُوَاراً بَيْنَ أَتْرَابِهَا عَلَيْهَا الْحِجَابُ(٢)
فى جِنَانٍ خُضْرٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قَيْصَرِىٍّ حَفَّتْ بِهِ الأَعْنَابُ
فَوْقَهَا مَلْعَبُ الْحَمَامِ وَيَنْتَـــنُّ خَلِيجٌ مِنْ دُونِهَا صَخَّابُ(٣)
وَبَعِيدٌ مَالاَ يُنَالُ ، وَفى الْحُـــبِّ عَنَاءٌ ، وَلِلنَّوَى أَحْقَابُ(٤)
لَيْتَ شِعْرِى عَنِ الرَّبَابِ وَقَدْ شَـــطَّتْ بِهَا الدَّارُ هَلْ لَهَا إِصْقَابُ ؟(٥)
أَصْبَحَتْ فى بَنِى الشُّمُوسِ فَأَصْبَحْـــتُ غَرِيبًا تَعْتَادُنِى الأَطْرَابُ(٦)
وَسَـــقِىٍّ كَالْعَبْقَرِىِّ إِذَا غَرَّ دَ مُكَّاؤُهُ تَغَـــنَّى الذُّبَابُ(٧)

---

(١) [قلنا : لعل « يزيد » فى قول بشار : « لا تلمى فيها يزيد . . . » هو الذى عناه فى قوله سابقاً (ص ٢٧١ من هذه المطبوعة) :

لامنى فيهـــا يزيد وجفا دون صحابى] .

(٢) « الدوار » تقدم [(فى ص ٣٢٦ من هذه المطبوعة)] .

(٣) [ينتن : يجرى وينصبّ ، صخاب : شديد الصوت والاضطراب] .

(٤) [قلنا : « بعيد » خبر مقدم لـ « ما » ، يعنى أن الشىء الذى لاينال يعد بعيداً ، و « أحقاب » إما جمع « حقب » (بضم الحاء والقاف) بمعنى الوقت الطويل ، وإما جمع « حقب » (بفتح الحاء والقاف) بمعنى الاحتباس والانقطاع] .

(٥) الإصقاب : الجوار .

(٦) [قلنا : الظاهر أن « الأطراب » (بفتح الهمزة) جمع طرب ، وهو — هنا — : ما يعترى الإنسان عند شدة الحزن والغم ، كما قال بشار (ص ٣٦٣ من هذه المطبوعة) : « يا صاحبىَّ أعينانى على طرب » وكما قال (ص ٣٢٤ من هـــذه المطبوعة) : « ... ... ولا أملك عينى دموعها طربا » ، وأما « الإطراب » (بكسر الهمزة) فهو بمعنى التطريب والحمل على الطرب ، وذكر الشارح (فى ص ٢٧٨ من هذه المطبوعة) أنه بمعنى ألم المحبة ، فيجوز على هذا « يعتادنى الإطراب »]

(٧) السقى : [النخل و] البردى ، قال امرؤ القيس « وســاق كأنبوب السقى المذلل » أراد بشار مكانا مظللا به كأنه من أرض عبقر وهى أرض الجن .

[المـــكاء : طائر من القنابر له تصعيد فى الجو وهبوط ، وله تغريد حسن] .

عَازِبٌ حُفَّ بِالْبَرَاعِيمِ تَغْذُو ... هُ نُجُومُ السَّمَا وَهُنَّ اعْتِقَابُ[١]

مُتَنَاهِي الرَّيْحَانِ يَسْجُدُ لِلشَّمْـــسِ مُبِيناً وَمَا عَلَيْهِ اتِّئَابُ[٢]

بِتُّ ضَيْفاً لَهُ مَعِي الرِّيمُ وَالْأَعْـــفَرُ وَالرَّائِعُ الْأَنَاةُ الْكَعَابُ[٣]

ذَاكَ شَأْنِي بِهِ وَوَافَى بِيَ الرَّوْ ... عَ كُمَيْتٌ مُشَذَّبٌ نَعَّابُ[٤]

أَعْوَجِيُّ الْآبَاءِ شَارَكَ فِيهِ ... لَاحِقٌ وَالْوَجِيهُ ثُمَّ الْغُرَابُ[٥]

صَانَهُ الْجِدُّ وَالْمَحْـــضُ فَفِيهِ ذُلٌّ وَفِيهِ الْتِهَابُ[٦]

---

(١) البراعيم (بالعين المهملة) جمع برعم (بضم الباء وضم العين) [أو جمع « برعوم » وهو القياس] وهو كم ثمر الشجر [أو زهر الشجر قبل تفتحه] ، ونجوم السماء : منازل المطر ، وهى منازل القمر الثمانية والعشرون .

[قلنا : السقى العازب هو البعيد المطلب الذى لم تطأه الأقدام كقول المرار بن منقذ يذكر دخوله فى روض جاده المطر:

وتبطنت مَجُوداً عازبا ... واكف الكوكب ذا نور ثمر

وإن الرجل الذى يحب أن يجالس المرأة الكعاب مجالسة يلذها ليستريح معها إلى النزول على مثل ذلك الروض الذى يبعد عن الناس بنخيله ورديه وبراعيمه وريحانه . والاعتقاب : التداول والتناوب ، يريد أن منازل المطر متعقبات على هذا الروض العازب تغذوه بمائها مرة بعد مرة] .

(٢) الائتاب : الاستحياء ، وتاؤه الأولى منقلبة عن الواو (مثل الاتعاد) والتؤبة : الحياء ، قال الأعشى [يمدح هوذة بنت على] :

من يلق هوذة يسجد غير متئب ... إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

(٣) الأناة : المرأة التى فيها فتور حين تقوم .

[قلنا : الرئم والأعفر : نوعان من الظباء ، وبهما تشبه الحسان من النساء والغلمان ، وقد كتب « الرايع » فى المخطوطة بنقطتين تحت الياء ، وكثيراً ماكتب فيها الياء والهمزة كذلك ، والرائع : الذى يعجب جماله الناس ، وربما كان « الرايع » محرفا عن « الرابع » (بالباء الموحدة) . لأنه ذكر فيه اثنين معه ، أى ثلاثة ، وقد ضبطت « كعاب » فى المخطوطة بفتح الكاف ، وذلك هو المعروف فى معنى الفتاة الناهد ، وضبطها الشارح بكسر الكاف ، وليس ذلك بمعروف فى معنى الناهد ، إلا فى رواية عن ثعلب (انظر ص ٢٧٧ من هذه المطبوعة)] .

(٤) كتب « وافا » بالألف ، والصواب أنه بالإمالة ، إلا إذا كان « وافانى » بالنون ، والمشذب الطويل الحسن الخلقة ، وكتب فى الديوان بدال مهملة غلطا .

[الكميت من الخيل : ماخالط حمرته شىء من السواد ، والعرب تقول : الكميت أقوى الخيل وأشدها حوافر ، والنعاب : السريع السير] .

(٥) أراد أنه ا كتسب محامد الخيل كلها ، وأعوج والوجيه واللاحق والغراب : خيل شهيرة للعرب

(٦) وقع فى هذا البيت نقص كلمة عن سهو من الكاتب ، فتركت له أنا بياضا . =

وَمُنِيفُ القَذَالِ وَقَّرَهُ القَوْ دُ وَذَكَّي فُؤَادَهُ الإِجْلَابُ (١)
فَهْوَ صَافِي الأَدِيمِ كَالدُّمْلُجِ الأَحْـمَرِ طِرْفٌ تَزِينُهُ الأَقْرَابُ (٢)
وَخَرُوجٌ مِنَ الأَضَامِيمِ ، فِي الْمِنْـسَجِ مِنْهُ وَفِي القَطَاةِ انْتِصَابُ (٣)
شِمِّرِيٌّ أَجَشُّ كَالشَّبَبِ الغَـادِي أَقْرَّتْ جَنَانَهُ الكُلَّابُ (٤) .

= [قلنا : ربما كان « الجد » هنا (بفتح الجيم) معناه : الحظوة والرزق ، وربما كان « الجد » محرفاً عن « الجل » (بضم الجيم بعدها اللام) والجل : مايلبسه الفرس لبصان به ، و « المحض » مما تأكله الخيل ، يقال : أمحض خيله ، إذا أعلفها المحض وهو القت قال الأعشى يذكر اليحموم (وهو فرس النعمان ابن المنذر) :

ويأمر لليحموم كل عشية بقت ... ...

والذل (بضم الذال وكسرها) : السهولة . ولعل « الالتهاب » يرجع إلى معنى التوقد والنشاط أو يرجع إلى لونه وما فيه من الحمرة] .

(١) [المنيف : المرتفع ، ويقال بمعناه أيضاً : فرس مشرف القذال ، والقذال : جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والتوقير : التسكين ، والإجلاب : استحثاث الخيل والصياح بها] .

(٢) الأقراب تقدم [في ص ٢٨٢ من هذه المطبوعة) : أنه جمع « قرب » بضم القاف ، وهو الخاصرة . . . الخ ، ويعني بشار بقوله « صافي الأديم » أن جلده قد صفا لحسن القيام عليه وقصر شعره ، وقد جاء هذا الوصف — من قبل — في شعر سلامة بن جندل يصف فرساً .

... ... صافي الأديم أسيل الخد يعبوب

والدملج : الحجر الأملس والمعضد من الحلي ، والطرف : العتيق الكريم من الخيل] .

(٣) الأضاميم : جمع إضمامة ، وهي جماعة الناس والخيل ، يقال فرس سباق الأضاميم ، أي جماعات الخيل التي عليها ركابها ، وقوله « خروج » أي يلحقها ويخرج من بينها ، والمنسج (كمنبر) ماتحت كاهل الفرس ، والقطاة : اسم ماحول كفل الفرس وهو مقعد الرديف .

[قلنا : قول بشار « وخروج من الأضاميم » من قول مزرد بن ضرار (أخي الشماخ) في وصف فرس :

خروج أضاميم وأحسن معقل إذا لم تكن إلا الجياد معاقل

وقد ذكر شارحوا بيت مزرد أنه يريد بقوله « خروج أضاميم » أنه خارج من جماعة الخيل سابق لها] .

(٤) الشمرى (بكسر الشين مع كسر الميم المشددة أو فتحها) السريع ، والشبب : الثور الوحشي القوى ، كالشبوب ، وأقرت : أبردت ، والمراد أنها أرعدت قلبه خوفا ، لأن الخوف يجعل في القلب مثل رعدة البرد والكلاب (بضم الكاف) : جمع كالب ، وهو الصائد بالكلاب .

[قلنا : لعل « أقرت » محرفة عن « أفرت » (بالفاء الموحدة) بمعنى حملته على اللجاج في الفرار ، وشاهد ذلك البيت الذى ذكره ابن الأثير في النهاية :

أفر صياح القوم عزم قلوبهم فهن هواء والحلوم عوازب

والأجش : الخشن الصوت ، كما قيل في بيت الجميح يصف فرسا :

يعدو به قارح أجش يسو د الخيل ... ... الخ] .

شَاخِصُ القَلْبِ وَالمَسَامِعِ وَالطَّرْ ... فِ إِلَى مَا يُهَابُ أَوْ لَا يُهَابُ
وَإِذَا مَا جَرَى لِيُدْرِكَ شَيْئًا ... فَاتَهُ وَانْتَحَى بِهِ الإِدْآبُ (١)
قُلْتَ : رِيحٌ تَحِنُّ بَيْنَ أَوَاسٍ ... أَوْ يَرَاعٌ غَنَّى بِهِ القَصَّابُ (٢)
فِيهِ أَطْلُبُ المَعَالِيَ أَوْ رَوْ ... حًا ، أَلَا بَلْ رَوْحًا وَلَا أَرْتَابُ
غَالَ نَوْمِي غَوْلُ القَوَافِي إِلَى رَوْ ... حٍ مَدِيحًا كَمَا تُقَادُ العِرَابُ (٣)
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَوَلَّتْنِيَ الهَمْ ... مُ وَسُدَّتْ مِنْ دُونِيَ الأَبْوَابُ (٤)
لَيْسَ عِنْدَ اللِّئَامِ فَضْلٌ وَلَكِنْ ... عِنْدَ رَوْحٍ عَلَى الثَّنَاءِ ثَوَابُ (٥)
أَيْنَ رَوْحٌ عَنِّي ؟ فَإِنَّ لِرَوْحٍ ... نَفَحَاتٍ يَغْنَى بِهَا المُنْتَابُ
مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ قَحْطَانَ تَجْرِي ... مِنْ يَدَيْهِ لَنَا العَطَايَا الرِّغَابُ
عِنْدَهُ الحِلْمُ وَالشَّجَاعَةُ وَالجُو ... دُ مِسَاكًا وَلَيْسَ فِيهِ خِلَابُ
وَعَلَى وَجْهِهِ الأَغَرِّ قَبُولٌ ... وَكَأَنَّ المَعْرُوفَ فِيهِ كِتَابُ
رمتاه رَوْحًا وَمَنْ مِثْلُ رَوْحٍ ... حِينَ جَفَّ الثَّرَى وَقَلَّ السَّحَابُ ؟ (٦)

---

(١) « الإداب » كذا كتب ، ولعله « الإدآب » أي الجد أو التعب .

(٢) « قلت » هنا بمعنى نطقت بهذه الكلمة ، لأنك تظنه ريحاً فتقول هو ريح ، كقول رؤبة يصف حمار الوحش :

حشرج في الجوف طويلا وشهق ... حتى يقال ناهق وما نهق

ولكون القول مقصوداً به التشبيه لم ينصب الاسم بعده في بيت بشار ورجز رؤبة ، إذ لم يستعملاه استعمال الظن ، لأن تلك لغة ضعيفة لبني سليم ، « وأواس » جمع آسية وهي من البناء المحكم أساسه ، وإنما اختارها هنا تمثيلا لجري الفرس مع عظم هيكله ، [قلنا : وربما كانت الأواسي بمعنى الدعائم والأعمدة ، مراداً بها قوائم الفرس ، واليراع — هنا — : القصب الذي يزمر به الراعي] ، والقصاب : الزامر بالقصبة.

(٣) [قلنا : لعل « غول » محرفة عن « قود » .]

(٤) كتب « تولتني » ولعله « تولاني »

(٥) قوله : ليس عند اللئام فضل . . . الخ إن كان أراد به التعريض كان له موقع ، وإلا فهو من الحشو .

(٦) كتب « رمتاه » ولم يستقم له معنى ، وهو تحريف لا محالة ، ولعل صوابه « ومباه » أي مفاخر ، والواو واو رُبَّ ، والاستفهام بـ « من » إنكاري ، أي وكم أمير كريم يفاخرون روحاً في الجود وليسوا مثل روح في [وقت] الشدة .

٨١ أَنْزَلَتْهُ ذُرَى الْمَكَارِمِ نَفْسٌ حُرَّةٌ فِي بَيَانِهَا إِطْنَابُ[1]
وَإِذَا عُدَّتِ الْمَسَاعِي كَفَاهُ حَاتِمٌ وَالْمُهَلَّبُ الْوَهَّابُ
وَلَهُ مِنْ نَدَى قَبِيصَةَ بَحْرٌ حَضْرَمِيٌّ لِجَانِبَيْهِ عُبَابُ
حَمِدَتْهُ الْقُرَى ، وَسُرَّ بِهِ الْجَا رُ ، وَعَاشَتْ فِي فَضْلِهِ الْأَحْبَابُ
قُلْ لِرَوْحِ بْنِ قَبِيصِ الْمَجْدِ فِينَا وَفِيكُمْ إِعْجَابُ[2]
كَيْفَ لَمْ تَأْتِنِي الْكَرَامَةُ مِنْكُمْ بَعْدَ وُدٍّ وَأَنْتُمُ الْأَرْبَابُ[3]
عِشْ حَمِيدًا وَانْعَمْ أَبَا خَلَفٍ أَنْـ ـتَ فَتَى النَّاسِ لَيْسَ فِيكَ مَعَابُ
قَدْ كَفَيْتَ الْمَهْدِيَّ هَمًّا وَشَاغَبْـ ـتَ عَدُوًّا فَالْمَحْرَبُ الشَّغَّابُ[4]
وَعَلَى وَرْزَنٍ هَجَمْتَ الْمَنَايَا وَالْمَنَايَا فِي دُورِهِمْ أَسْرَابُ[5]

---

(١) « حرة » أى كريمة خالصة ، والعرب يطلقون الحرية على النفاسة والكرم ، قال مخيس :

فقلت له : تجنب كل شيء يعاب عليك إن الحر حر

وقال عبد بنى الحسحاس :

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

ولولا هذا الاعتبار لم يكن كلام بشار مدحاً أن يقول لممدوحه : إنك حر ولست بعبد ، وقوله « فى بيانها إطناب » أى يطول الكلام فى ذكر مكارم نفسه ، وفى قوله « إطناب » إيجاز فى الثناء .

(٢) ذكر آباء الممدوح على الطريقة المعروفة فى البديع بالاطراد ، كقول ربيعة بن نصر ، ويقال داود بن ربيعة الأسدى :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وذلك لأن الآباء لا يذكرون فى غير مقام إثبات النسب إلا لأن فى كرمهم فخراً وحسن سمعة ، فكان لذلك من المحسنات ، وقد ارتكبه بشار هنا وفى البيت الذى يأتى قبل آخر القصيدة .

(٣) الأرباب : الملوك ، جمع رب ، قال النابغة فى موت النعمان بن الحارث :

فلا يهنئ الأعداء مصرع ربهم وما عتقت منه تميم ووائل

(٤) [قلنا : فى المخطوطة « فالمحرب » بكسر الميم ، ومعناه — على هذا الضبط — : الشجاع (انظر ص ١٥٥ من هذه المطبوعة) والشغاب كالمشغب يأتي للمبالغة ، والظاهر على هذا أن يكون المراد بقول بشار « فالمحرب الشغاب » الممدوح ، فهو شغاب لقدرته على مشاغبة العدو المشاغب . كقول الشاعر :

وإنى على ما نال منى بصرفه على الشاغبين التاركى الحق مشغب

وقد ضبط الشارح « المحرب » بضم الميم ، فيجوز على هذا الضبط أن يكون معناه : الممدوح المدلول على مغنم العدو القادر على مشاغبته ، أو أن يكون معناه : العدو الذى وجد محروباً مسلوباً بعد أن كان كثير الشغب] .

(٥) « ورزن » اسم مكان ، ولعله هو المسمى « أرزن » فأبدلت الهمزة واواً للتخفيف ، كما قالوا وكد فى أكد ، ولا سيما فى الأسماء العجمية ، فإنهم لا يتوخون فيها حروفها الأصلية ، وأرزن : مدينة =

وَمِنَ الْقَوْمِ ذُو غَنَاءٍ وَوَعْدٍ كَمُخَاطِ الشَّيْطَانِ فِيهِ اضْطِرَابُ(١)
زَعَمَ الْأَقْرَبُ الْمُقَابِلُ فِي الْحَـــيِّ مُعِيدًا وَتَزْعُمُ النُّسَّابُ(٢)
أَنَّ رَوْحَ بْنَ حَاتِمٍ وَرَدَ الْبَحْـــرَ فَأَضْحَى يَنْتَابُهُ الطُّلَّابُ(٣)
ذَاكَ دَاوُدُ مَا عَصَبْتَ بِهِ الْحَـــاجَةَ إِلَّا انْقَضَتْ وَهَابَ الْغَنَابُ(٤)
وَلُبَابٌ مِنَ الْمَهَالِبَةِ الشُّـــو سِ تَسَامَى الْعُلَى، كَذَاكَ اللُّبَابُ(٥)
يُحْسِدُ السَّـــيِّدَ الْجَوَادَ عَلَيْهِ شِيَمٌ دُونَهَا يَهِيمُ الشَّـــبَابُ(٦)
وَإِذَا مَا دَاوُدُ حَلَّ بِأَرْضٍ طَابَ رَيْحَانُهَا وَطَابَ التُّرَابُ(٧)
شِمْ أَبَا مِسْمَعٍ سَيَكْفِيكَ دَاوُ دُ بْنُ رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ مَا تَهَابُ(٨)

= من ديار بكر مما يلى الروم وارمينيا ، أو هى من بلاد إرمينيا ، والمراد هنا أهلها ، وقد تكرر انتقاض الروم على المهدى وغزوه إياهم على مرات .

(١) مخاط الشيطان هو الآل ، وهو مايتراءى فى الهواء عند شدة الحر مثل الخيوط المضطربة تعتقده العرب من عمل الجن ، أى لا غناء له ولا وفاء يدعوه .

(٢) الأقرب المقابل هو الجار المقابل بيته ، فالقرب هنا قرب المكان ، فيحتمل أن بشاراً أراد حيه ، أو أراد حى الممدوح ، كما سيأتى ، « ومعيداً » أى مؤكداً زعمه ، والنساب (ضبط بضم النون) فهو جمع الناسب وهو النسيب ، ويحتمل أنه أراد أقاربه أو أقارب الممدوح .

(٣) إذا كان هـذا البيت موالياً للذى قبله ولم يسقط من بينهما شىء فالمتعين فتح همزة « أن » وذلك هو المزعوم ، والبحر هو الفرات ، وهـذا الخبر ليس بمستغرب حتى يعبر عنـه بالزعم فلعل قوله « ورد » تحريف « ولد » ويظهر موقع حسن لقوله النساب فيكون بفتح النون ، وهو العالم بالأنساب ، ولغرابة هذا الخبر فى الظاهر عبر عنه بالزعم على طريقة الإلغاز ، إذ كيف يلد الإنسان بحراً ؟ ثم بين المراد بقوله : ذاك داود .

(٤) الإشارة إلى البحر ، أى ذلك البحر هو داود وهو ابن روح بن حاتم ، وكان من قواد جيش أبيه فى قتال الثوار ، انظر ترجمته فى الورقة ٦٦ (ص ٢٧٨ من هذه المطبوعة) . والغناب (كتب بغين معجمة ونون) فلعله لغة فى الغنب بفتح فسكون وهو الغنيمة الكثيرة .

(٥) [الشوس : جمع الأشوس ، وهو الشديد الجرىء فى القتال . ولعل « تسامى » بضم التاء وكسر الميم] .

(٦) [ضبط فى المخطوطة « يحسد » بفتح السين ، و « السيد الجواد » بالرفع]

(٧) [قلنا : جاء فى صلب المخطـوطة « وحل الشراب » وفى هامشها « وطاب التراب » كما فى نسخة الشارح] .

(٨) « أبو مسمع » علم جنس لكل صاحب سمعة وصيت ، استعمله الأعشى فى مدحه للمحلق بقوله :

أبا مسمع سار الذى قد فعلتم

وقال الأعشى فى قصيدة أخرى يظهر أنها فى المفاخرة :

أبا مسمع أقصر فإن قصيدة متى تأتكم تلحق بها أخواتها

أنشده الجاحظ فى [البيان والتبيين ج ١ ص ١٩٤] . وقال عصام بن عبيد الزمانى من شعراء الحماسة : =

يَابْنَ رَوْحٍ أَشْبَهْتَ رَوْحاً وَمَنْ يُشْـ ـبِهْ أَبَاهُ تُتَمِّمْ لَهُ الأَنْسَابُ

وقال أيضاً يمدح روح بن حاتم(*) :

أَصَفْرَاءُ مَا فِي العَيْشِ بَعْدَكِ مَرْغَبُ وَلاَ لِلصِّبَى مَلْهًى فَأَلْهُو وَأَلْعَبُ(١)

أَصَفْرَاءُ إِنْ أَهْلَكْ فَأَنْتِ قَتَلْتِنِي وَإِنْ طَالَ بِي سُقْمٌ فَذَنْبُكِ أَذْنَبُ(٢)

= أبلغ أبا مسمع عنى مغلغلة وفى العتاب حياة بين أقوام

وقوله « شم » خطاب لنفسه ، أى ترقب معروفه ، من قولهم : شام البرق ، إذا تأمل أين ينزل الغيث .

(*) وقال أيضاً يمدح روح بن حاتم .

تقدم بعض أبيات هذه القصيدة منفصلة فى الورقة ٥٥ (ص ٢٥٣ من هذه المطبوعة) ، وتقدمت ترجمة روح فى الورقة ٧٩ (٣٣٢ من هذه المطبوعة) .

والقصيدة من بحر الطويل .

(١) « صفراء » اسم حبيبة له شبب بها فى نسيب هـذه القصيدة ، وتغزل بها فى قصيدة أخرى تأتى فى الدال ، أولها :

أصفراء ما أنسى هواك ولا ودى .

وذكر أنه كان خليطاً لها ، وأنها رحلت عنه وذكر أنها عند رجل يقال له ابن السميدع .

[نقول : قد تكرر ذكر « صفراء » فى شعر بشار ، وقد ذكر الشارح أنه « اسم حبيبة له » ، ولكننا رأينا بحثاً مطولا حول « صفراء » فى أمالى المرتضى (ج ٤ من ص ٤٩ إلى ص ٥٤) ، فقد بين احتمال وجوه ثلاثة : أولها : أن يكون المراد الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفـ راء العشية كالعرار

أراد أنها تتضمخ فى العشى بالطيب فيصفرها ، وقال الشاعر :

وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها حمر وفى نحرها صفر

وقريب من صفرة النحر صفرة الترائب فى قول بشار :

وأصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود

ثانيها : أن يكون المراد بوصفها بالصفرة رقة لونها ، فتقدم أن المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشى إلى الصفرة ، قال الراجز :

قد علمت بيضاء صفراء الأصل

ثالثها : أن المرأة كانت صفراء على الحقيقة ، فإن بشاراً كثيراً ما يشبب بامرأة صفراء ، كقوله :

أصفراء لا أنسى هواك ولا ودى ولا ما مضى بينى وبينك من عهد

وكقوله :

أصفراء كان الود منك مباحا ليالى كان الهجر منك مزاحا

ثم نقول : قد كرر بشار فى هذه القصـيدة « صفراء » مع النداء بالهمزة ، وذلك للتلذذ بذكر المحبوبة واستحلاء هذا اللفظ وكثرة استدعائها عسى أن تجيب !

(٢) [قلنا : يجوز أن يكون « أذنب » بمعنى : أكثر متابعة لطول السقم ، من قولهم « ذنبه » إذا تبعه فلم يفارقه ، ويجوز أن يكون « أذنب » بمعنى : أشـد ذنباً ، فهو اسم تفضيل فعله « أذنب » على رأى] .

أصَفْرَاءُ أيَّامُ النَّعِيمِ لَذِيذَةٌ ... وَأنْتِ مَعَ الْبُؤْسَى ألَذُّ وَأطْيَبُ (١)
أصَفْرَاءُ فِي قَلْبِي عَلَيْكِ حَرَارَةٌ ... وَفِي كَبِدِي الْهَيْمَاءِ نَارٌ تَلَهَّبُ
أصَفْرَاءُ مَالِي فِي المَعَازِفِ سَلْوَةٌ ... فَأسْلُوا وَلاَ فِي الْغَانِيَاتِ مُعَقَّبُ (٢)
أصَفْرَاءُ لِي نَفْسٌ إلَيْكِ مَشُوقَةٌ ... وَعَيْنٌ عَلَى مَافَاتَ مِنْكِ تَصَبَّبُ
أصَفْرَاءُ لَمْ أعْرِفْكِ يَوْمًا وَإنَّنِي ... إلَيْكِ لَمُشْتَاقٌ أحِنُّ وَأنْصَبُ (٣) ٨٢
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ عَضِّ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى ... غَنِيًّا وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ تَغْلِبُ (٤)
بِعَيْنَيَّ مِنْ صَفْرَاءَ بَادٍ عُجَابُهُ ... وَمَا بِالْحَشَا مِنْ حُبِّ صَفْرَاءَ أعْجَبُ (٥)
وَقَدْ زَادَنِي شَوْقًا هَدِيلُ حَمَامَةٍ ... عَلَى إلْفِهَا تَبْكِي لَهُ وَتُطَرِّبُ
فَقُلْتُ لِنَدْمَانِي طَرِبْتُ فَغَنِّنِي ... بِصَفْرَاءَ لاَيَصْفُو مَعَ الشَّوْقِ مَشْرَبُ
وَمَا كَانَ أغْرَامِي بِهَا عَنْ مَرَاسِلٍ ... جَرَتْ بَيْنَنَا بَلْ كَاعِبٌ لاَ تَحَوَّبُ (٦)

---

(١) « البؤسى » بوزن النعمى ، وهى ضد النعمى .

(٢) كتب « المعارف » بالراء ، ولا يظهر له معنى ، ولعل صوابه « المعازف » بزاى ، جمع معزف (كمنبر) وهو آلة الطرب ، كالعود والطنبور ، وتقدم هذا البيت فى الورقة ٥٥ بلفظ « مالى فى المدامة » ، والمعقب : مصدر ميمى من عقب إذا رجع على طريقه ، وفى القرآن « ولى مدبراً ولم يعقب » ثم قالوا « عقب الأمر » إذا أعاد النظر والتدبر فيه ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، والمعنى وليس لى فى الغانيات غيرك من أرجع إليها إذا انصرفت عنك .

(٣) [قلنا : الظاهر من قول بشار « لم أعرفك يوما » أن هذه القصيدة قبل تلاقيهما ، والأذن تعشق . . .] .

(٤) عض الصبابة : شدة ألمها ، قيل : إذا كان العض حقيقة كان بالضاد الساقطة ، وإذا كان مجازاً مثل قول الفرزدق « وعض زمان » كان بالظاء المشالة ، وممن ذكر ذلك ابن عطية فى التفسير ، وهو مشكل ، إذ العض فى مثله مجاز ، وحقيقته هو العض بمعنى الكدم ، فلو كان بالظاء المشالة لكان لفظا آخر مخصوصاً بالوضع .

(٥) قوله « باد » صفة موصوف محذوف لوضوحه ، يعنى شىء باد عجابه .

(٦) ضبط فى الديوان « أغرامى » بفتحة على الهمزة ، فهو جمع غرام ، وأفرد الضمير فى قوله « كان » على وجه الندور ، والقياس « كانت » .

والأظهر أن الإغرام بكسر الهمزة الإلزام بالغرم (بضم الغين) وهو دفع عوض الجناية أو دفع مال بالباطل ، ويسمى ذلك المال مغرماً (بفتح الميم) وأراد به هنا إعناته بالهجر والصد ، وأراد مغرم الحب أى أسره . والمراسل : يحتمل أنه أراد بها السعايات والوشايات بناء على الوجه الأول فى الإغرام ، وأراد المراسلة والمخاطبة وعرض أحد المحبين نفسه على الآخر على الوجه الثانى ، وهو على الوجهين جمع مرسل ، وتحوب : تأثم . [قلنا : الذى نراه أن الإغرام هنا هو الحب والولوع] .

فَيَا حَزَنَا لاَ أَنَا غِرٌّ مُشَبَّبٌ نَعِمْتُ وَلاَ فِي الشَّوْقِ إِذْ أَنَا أَشْيَبُ(١)
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ حُبُّ صَفْرَاءَ مَسَّنِي فَيَوْمِي بِهِ مُرٌّ وَلَيْلِيَ مُوَصَّبُ(٢)
وَمَا بَالُ قَلْبِي لاَ يَزُولُ عَنِ الصِّبَى وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ تَقَلَّبُ(٣)
سَأَزْمِي بِصَوْلاَنَ الْمَفَاوِزَ إِنَّهُ خَرُوجٌ مِنَ أَبْوَابِ الْمَفَاوِزِ مُنْغِبُ(٤)
مَعُوجٌ إِذَا أَمْسَى طَرُوبٌ إِذَا غَدَا مُجِدًّا كَمَا غَنَّى عَلَى الأَيْكِ أَخْطَبُ(٥)

---

(١) فى الصدر من البيت قبض فعولن إذ صار فعول ، وكف مفاعلين الثانى فصار مفاعيل ، وهما جائزان ، إلا أن اجتماعهما أوجب ثقلا ، والمشبب (بفتح الباء) أراد به المشبوب وهو الجميل الوجه .

[قلنا : قد يشعر بالتحريف فى صدر هذا البيت وجود الثقل الوزنى فيه وترك الظرفية التى تقابل ظرفية « إذ » فى عجز البيت ، فلعل « لا أنا . . . » محرفة عن « لا آن » و « آن » ظرف زمان بمعنى حين وهو بمنزلة « إذ » المذكورة فى عجز البيت ، وهذا الظرف يضاف إلى جملة فعلية إذا كانت « غَرَّ » فعلا ماضياً بمعنى حسن وصار أغر أو بمعنى تصابى ، أو مضاف إلى جملة اسمية إذا كانت « غِر » اسماً وقع خبراً لمبتدأ محذوف ، وتقدير الجملة « لاحين أنا غر مشبب نعمت »] .

(٢) [قلنا : فى المخطوطة « مؤصَّب » (بالهمز مع فتح الصاد المشددة) وفى نسخة الشارح « مؤصِّب » (بالهمز مع كسر الصاد المشددة) ، والظاهر أن الحرف الثانى من هذه الكلمة واو دون همز ، وأما الصاد المشددة فيجوز كسرها وفتحها ، والموصب : الكثير الألم ، وقد سبق فى شعر بشار (ص ٢٩٣ من هذه المطبوعة)] .

(٣) « وقد زعموا . . . » أى فى قول الشاعر :

وما سمى الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وفى الحديث : القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء . ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، ولم يرد بالزعم هنا توهين هذا القول ، فإنه ليقول فى البيت ٤ من الورقة ٨٨ :

مازلت عنك وقد أرى أن القلوب تقلب

وإنما أراد التعجب من عدم تغير قلبه عن الحب متى شك فى صدق قولهم : إن القلوب تقلب . وتقدم هذا البيت فى الورقة ٥٥ بلفظ « ألا مالقلبى لا يزول عن الهوى » [وفى المخطوطة « تقلب » بضم التاء] .

(٤) صولان : اسم جمل ، مشتق من صال يصول ، لأن للجمال الفارهة صولة ، والمنغب (بغين معجمة) من أنغب ، إذا زال نغبه ، والنغب : المحسو من الماء ، فالهمزة للإزالة ، أى صبور على العطش .

[قلنا : ماذكره الشارح فى « منغب » — هنا — ليس بمعروف فى كتب اللغة التى بأيدينا والظاهر عندنا من سياق اللفظ فى بيت بشار أنه محرف عن « منعب » (بالعين المهملة) وفى اللغة : « النعب » سرعة سير البعير ومد عنقه ، وبعير منعب ونعاب ، أى سريع » وقد استعمل بشار من هذه المادة « الإنعاب » (ص ٢٨٣ من هذه المطبوعة) و « النعاب » (ص ٣٣٥ من هذه المطبوعة) وقد ذكر الشارح نفسه سابقا لفظ « منعب » (بالعين المهملة) حيث جاء ذكر « الإنعاب »] .

(٥) المعوج : صيغة مبالغة من معج إذا أسرع ، ويقال : نعوج (بالنون) تقدم [فى ص ٢٩٦ من هذه المطبوعة] أى هو سريع فى المساء بعد أن سار النهار كله . [والأخطب (من الطير) : الصرد] ،

لَعَلَّ ارْتِحَالِي بِالعَشِيِّ وبِالضُّحَى ... يُقَرِّبُنِي ، والنَّازِحُ الدَّارِ يَقْرُبُ
عَتَبْتُ عَلَى خِنْزِيرِ كَلْبٍ وَإِنَّنِي ... بِذَاكَ عَلَى الكَلْبِ التَّمِيمِيِّ أَعْتَبُ (١)
هُمَا أَنْبَأَنِي أَنْ نَعِمْتُ بِبَدْرَةٍ ... وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَئِيمٌ مُؤَنَّبُ
إِذَا شَبِعَا احْتَالَا عَلَى صَاحِبَيْهِمَا ... كَمَا احْتَالَ بِرْذَوْنُ الأَمِيرِ المُرَطَّبُ (٢)
يَهِرَّانِ آبَاءً لِئَامًا وَفِيهِمَا ... خُفُوقٌ لِزُوَّارِ النَّدَى وَتَحَلُّبُ (٣)
وَطَالِبِ عُرْفٍ يَسْتَعِينُ عَلَيْهِمَا ... فَقُلْتُ لَهُ : أَخْطَأْتَ مَا كُنْتَ تَطْلُبُ
عَلَى الكَلْبِ أَهْوَالٌ إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ... وَخِنْزِيرُ كَلْبٍ بِالمَخَازِي مُدَرَّبُ
تَعَرَّ فَلَا تَخْلِطْهُمَا بِمَوَدَّةٍ ... وَلَا قُرْبًا ، مَا فِي السَّمٰوَاتِ أَقْرَبُ
إِذَا لَمْ تَرَ الذُّهْلِيَّ أَنْوَكَ فَالْتَمِسْ ... لَهُ نَسَبًا غَيْرَ الَّذِي يَتَنَسَّبُ (٤)
وَأَمَّا بَنُو قَيْسٍ فَإِنَّ نَبِيذَهُمْ ... كَثِيرٌ وَأَمَّا خَيْرُهُمْ فَمُغَيَّبُ (٥)
وَفِي جَحْدَرٍ لُؤْمٌ ، وَفِي آلِ مِسْمَعٍ ... صَلَاحٌ وَلَكِنْ دِرْهَمُ القَوْمِ كَوْكَبُ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللَّاتِ عِنْدَ غَدَائِهِ ... هِزَبْرٌ وَأَمَّا فِي اللِّقَاءِ فَثَعْلَبُ (٦)

---

(١) خنزير كلب وكلب تميم رجلان من أعدائه ، لم أقف على مراده بهما .

(٢) « برذون الأمير » لم أقف عليه ، وهى قصة لا محالة.
[قلنا : فى المخطوطة « الأمير » بالجر وفى نسخة الشارح بالرفع ، وربما كان « احتالا » و « احتال » محرفين عن « اختالا » و « اختال » بالخاء المعجمة] .

(٣) يهران آباء بمعنى : يكرهان آباءهما ويصوتان فى وجوههم كما تصوت الكلاب ، و « حقوق » لعلها « خفوق » (بالخاء والفاء) بمعنى ذهاب واضطراب قلوب ، وتحلب الأفواه والأشداق : تهيؤ اللعاب للسيلان عند اشتهاء شىء] .

(٤) ابتدأ بشار يذكر لؤم قبائل من العرب وغيرهم . ويعل لذلك أن الجاحظ ذكر فى البيان (انظر ص ١٣٩ و ص ١٤١ وما بعدها من الجزء ٢) بيتين من هذه القصيدة فى جملة ما قيل من الشعر وغيره فى نبز القبائل ولؤمهم ، وقوله : إذا لم تر الذهلى أنوك ... الخ أراد أنهم نوكى فإن وجدت منهم رجلا غير أنوك فاتبع نسبه تجده غير ذهلى ، والأنوك : وصف من النوك ، وهو الحمق ، يقال : نوك (بكسر الواو) نوكا (بضم النون) فهو أنوك ، وجمعه نوكى (كهلكى) ونوك (كهوج) .

(٥) المعنى أنهم حر يصوت على النبيذ لأنهم يسكرون ، ووقع هذا البيت فى الورقة ٥٥ بلفظ « ولكن درهم القوم كوكب » أى بعيد المنال ، كقول عباس بن الأحنف :

هى الشمس مسكنها فى السماء ... فعز الفؤاد عزاء جميلا

(٦) وقع هذا البيت فى الورقة ٥٥ بلفظ « تحت غذائه » أى طعامه ، لا يقترب كأن تحته أسدا ، وما هنا أحسن والمراد بسيد تيم اللات من يكون سيداً فيهم ، أى هذا حال سادتهم فكيف تكون عامتهم ؟

٨٣ وَقَدْ كَانَ فِي « شَيْبَانَ » عِزٌّ فَحلَّقَتْ ... بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ (١)
وَحَيَّا « لُجَيْمٍ » قَسْوَرَانِ تُنُزِّعَتْ ... شَـبَاتُهُمَا لَمْ يَبْقَ نَابٌ وَمِخْلَبُ (٢)
وَأَنْذَلُ مَنْ يَمْشِي « ضُبَيْعَةُ » إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ (٣)
وَ « يَشْكُرُ » خِضْيَانٌ عَلَيْهِمْ غَضَارَةٌ ... وَهَلْ يُدْرِكُ المَجْدَ الخَصِيُّ المُجَبَّبُ (٤)
وَأَبْلَجَ مِسْهَاءٍ كَأَنَّ لِسَـــانَهُ ... إِذَا رَاحَ ذُو النُّونَيْنِ بَلْ هُوَ أَقْرَبُ (٥)
يُجَلِّي العَمَى عَنَّا بِفَصْـــلٍ إِذَا قَضَى ... ضَرِيبَتَهُ صَافِي الحَدِيدَةِ مِقْضَبُ (٦)

---

(١) شيبان : من أشرف وأعز قبائل العرب فى الجاهلية والإسلام ، ولهم ذكر جميل فى أيام حرب البسوس ، وكانت لهم فرسان وأيام انتصار ، وقد زعم بشار أن عزهم القديم زال ، يريد أنهم انهزموا فى أيام ثورات الخوارج . وقوله « حلقت به فى قديم الدهر عنقاء مغرب » أشار إلى مثل يقول : طارت به العنقاء ، وطارت به عنقاء مغرب ، والعنقاء طائر مزعوم للعرب ، زعموا أنه كان من سباع الطير ، وأنه كان عظيم الجثة طويل العنق ، وأنه يستطيع أن يخطف الفيل ، وسموه العنقاء على اعتبار التأنيث لطول عنقها أو لأن عنقها أبيض ، وزعم العرب أن مساكن هذه الطير فى جبال عدن بلاد أهل الرس ، وأن طائراً منه اختطف عروساً يوم عرسها ، فشكى أهل الرس إلى حنظلة بن صفوان نبيهم ، فدعا الله ، فانقرض هذا الصنف من الطير ، ووصف العنقاء بمغرب (بضم الميم وكسر الراء) لأنه مشتق من الغربة ، وهى البعد ، أى البعد فى الطيران ، وإنما لم يقولوا « مغربة » مع أن الموصوف مؤنث لأن ألف التأنيث صارت جزء اسم ، فتنوسى منها التأنيث ، فلذلك يطلق لفظ العنقاء على الذكر والأنثى من صنفه ، أو قد يضيفون الموصوف إلى الصفة فيقولون عنقاء مغرب .

(٢) « حيا لجيم » هما حنيفة وعجل ابنا لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . والقسور : الأسد ، ويقال : قسورة ، والشباة (بفتح الشين المعجمة) الحديدة المحددة والظفر ، وهو المراد هنا ، أى هما كأسدين قصمت أظفارهما وقلعت أنيابهما ، وقوله « تنزعت » بضم التاء وضم النون ، أى انتزعت .

(٣) ضبيعة ، بضم الضاد وفتح الباء اسم حيَّين من بكر بن وائل ، أحدهما : بنو ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر ، والآخر بنو ضبيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن بكر ، وكان أحد الحيين أو كلاهما ينزلون البصرة ، ولهم بها محلة تعرف بضبيعة ، قال ياقوت : ولا أدرى أيتهما نزلت بهذا الموضع فسمى بها ، وروى هذا البيت فى البيان « وألأمُ من يمشى » .

(٤) كتب فى الديوان « تشكر » بالمثناة الفوقية ، وهو غلط ، وإنما هو بالمثناة التحتية اسم حى من بكر بن وائل ، وهو فى الورقة ٥٥ بالياء [والغضارة : النعمة] .

(٥) الأبلج : الوضىء ، والمسهاء : صاحب المساهاة ، وهى حسن المعاشرة ، أو هو اللين المشى ، شبهه ببعير يمشى السهو ، وهو المشى اللين ، وذو النونين سيف من سيوف العرب المشهورة ، وهو سيف معقل بن خويلد الهذلى ، وهو كل سيف عريض معطوف طرف الظبة ، وأراد هنا التخلص إلى مدح الممدوح وسيفه .

(٦) [الضريبة : المضروب بالسيف ، والمقضب : الشديد القطع] .

إِذَا شِئْتَ نَادَى فِي الأَنَامِ بِصَوْتِهِ ... لِأَرْفَعِ مَا أَدَّى عَرِيبٌ وَمُغْرِبُ(١)
لَقَدْ سَادَ أَشْرَافَ العِرَاقِ ابنُ « حَاتِمٍ » ... كَمَا سَادَ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ « المُهَلَّبُ »(٢)
لَهُ فَضَلَاتٌ مِنْ « قَبِيصَةَ » فِي النَّدَى ... وَأُكْرُومَةٌ مِنْ « حَاتِمٍ » لَا تَعَطَّبُ(٣)
وَمِنْ إِرْثِ « سَرَّاقٍ » عَلَيْهِ مَهَابَةٌ ... تَظَلُّ قُلُوبُ القَوْمِ مِنْهَا تَوَجَّبُ(٤)
وَيَغْدُو بِأَخْلَاقِ « المُهَلَّبِ » مُولَعًا ... كَمَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ تَطْرَبُ(٥)
وَيَعْطِفُ « كِنْدِيٌّ » عَلَيْهِ و « ظَالِمٌ » ... مَآثِرَ أَيَّامٍ تَطِيبُ وَتَرْحُبُ(٦)
وَتَعْرِفُ مِنْهُ مِنْ شَمَائِلِ « ظَالِمٍ » ... مَنَاقِبَ مِفْضَالٍ تَعُودُ وَتَشْعَبُ(٧)
وَكَمْ مِنْ أَبٍ غَمْرٍ لِـ « رَوْحِ بنِ حَاتِمٍ » ... يُزَيِّنُ آبَاءً وَزَيَّنَهُ أَبُ(٨)

(١) كتب « غريب » بالغين المعجمة ، والظاهر أنه بالعين ، وعريب بمعنى أحد من الأسماء المتوغلة فى الإبهام ، مثل ديار ، ولكن غالب استعماله فى النفى ، والمعرب : المفصح ، يعنى أن لسان سيف روح يبلغ إلى ما لا يبلغه لسان المعرب الفصيح .

[قلنا : ليس ظاهراً وجه الجمع بين « عريب » بمعنى أحد ، و « معرب » بمعنى مفصح ومبين ، يضاف إلى ذلك شذوذ استعمال « عريب » (بالعين المهملة) دون نفى ، فلعل ما فى المخطوطة (وهو « غريب » بالغين المعجمة) صحيح إذا لوحظ أن الغريب من الكلام يأتى فى مقابلة المعرب ، لأن الغريب : الغامض ، والمعرب : المبين ، وفى أساس البلاغة ، « ما سمعت أعرب من كلامه وأغرب »] .

(٢) المهلب : جد الممدوح وهو المهلب بن أبى صفرة ظالم (كنى بأبى صفرة باسم بنت له تسمى صفرة) ابن سراق بن صبح بن كندى ، وهو من الأزد ، ولد المهلب قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بعامين ، وشب شجاعاً سيداً ، وله مواقف عظيمة فى قتال الخوارج بالأهواز زمن عبد الملك ، وولى خراسان وعراق العجم نائباً عن الحجاج ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٨٣ ، وقد ذكر المبرد فى الكامل أخباراً كثيرة من أيام المهلب ، وأراد بشار بالمشرقين العراق العجمى وبلاد فارس ، لأنهما شرق العراق العربى بلاد بشار ، وكان المهلب والياً عليهما .

(٣) [قلنا : لعل « تعطب » محرفة عن « تعظب » (بضم التاء وفتح الظاء المعجمة المشددة) أى : لا تسوف ، والتعظيب : التسويف] .

(٤) سراق : من أجداد روح ، كما تقدم .

(٥) [قلنا : ربما كانت « كما » محرفة عن « بما » أو عن « إذا » ، ولعل « تطرب » محرفة عن « يطرب » بالياء التحتية] .

(٦) كندى : جد أبى المهلب ، وظالم : أبو المهلب .

(٧) [تشعب : يظهر وتصلح] .

(٨) [الغمر — هنا — : الكريم الواسع الخلق .

إذَا ذُكِرُوا فى مَأْقِطٍ أطْرَقَ العِدَى ... ورَنَّحَ فَحْلُ القَرْيَتَيْنِ المُقَبْقِبُ (١)
هُمُ ذَبَّبُوا عَنْ عَظْمِ دِينِ « مُحَمَّدٍ » ... بأسْيَافِهِمْ إذْ لَيْسَ فِينَا مُذَبِّبُ (٢)
حَدَا بأبِى أُمِّ الرِّيَالِ فَأجْفَلَتْ ... نَعَامَتُهُ عَنْ عَارِضٍ يَتَلَهَّبُ (٣)
وَلَاحَتْ وَمَاهُ الأزْرَقَيْنِ عَشِيَّةً ... أنَاقِيعُ تَعْفُوهَا نُسُورٌ وأذْؤُبُ (٤)
صَفَتْ لِى يَدُ الفَيَّاضِ « رَوْحِ بن حاتِمٍ » ... فَتِلْكَ يَدٌ كَالماءِ تَصْفُو وَتَعْذُبُ (٥)
وَمَا وَلَدُوا إلاَّ أغَرَّ مُتَوَّجًا ... لَهُ رَاحَةٌ تَبْكِى وَأُخْرَى تُحَلِّبُ (٦)
وَأيَّامُ أبْطَالٍ عَلَيْهَا بَسَالَةٌ ... وَجُودٌ كَمَا جَادَ الفُرَاتِيُّ أغْلَبُ (٧)

---

(١) المقبقب : الذى يصوت بأنيابه من شدته ، وصوته : القبقبة ، والمأقط (بهمزة بعد الميم وبكسر القاف) موضع الحرب ، ورنح : تغاشى ، يقال « رنّح عليه » إذا غشى عليه [ولعل « رنّح » فى البيت بالبناء المجهول ، أى : أصيب بالوهن] .

(٢) ذبب: ضرب بذباب السيف ، وهو حده [يقال « ذبّب عنه » إذا دفع عنه ومنع . وربما أريد بالعظم : المعظم ، وربما كان « عظم » محرفاً عن « عصم » (بضم العين) أى عهود] .

(٣) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « الريال » ولعلها محرفة عن « الرئال » (بالراء المهملة بعدها همزة) والرئال : جمع رأل (وهو : ولد النعامة) وأم الرئال : النعامة ، والمراد بـ « أبى أم الرئال » : أبو نعامة ، أى قطرى بن الفجاءة أحد زعماء الخوارج ، كان يكنى بـ « أبى نعامة » وكان شجاعاً عظيما ، قال الحريرى : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة ، تقليد الخوارج أبا نعامة » . ومن مفاخر المهلب (جد الممدوح) أنه حدا بأبى نعامة ، أى ساقه وهزمه ، ولما كان النعام يضرب به المثل فى الإجفال والشرود والهروب قال بشار : « فأجفلت نعامته » ، وقال الزمخشرى « أجفل القوم : أسرعوا فى الهزيمة والهرب ، وأجفلوا نعامية ، أى إجفالة كما يجفل النعام » .

(٤) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « وماه » ، ولعلها محرفة عن « دماه » (بكسر الدال) ، ولعل المراد بـ « الأزرقين » بعض الخوارج من الأزارقة ، والأناقيع : جمع أنقوعة ، وهى : مسيل الماء و « تعفوها » — هنا — بمعنى : تردها] .

(٥) كتب فى الورقة ٥٥ « بملك يد » وهنا قال « فتلك يد » وما هنا أظهر .

(٦) [قلنا : لا يظهر جعل اليد باكية فى قوله « له راحة تبكى » ، فلعل « تبكى » محرفة عن « تنكى » (بالنون بعد التاء) أى : تقهر بالقتل والجرح ، وبذلك يستقيم قول بشار هنا : « له راحة تنكى وأخرى تحلب » مع المعروف من أسلوب المدح عند بشار كقوله :

إلى فتى تسق يداه الندى ... حيناً وأحياناً دم المذنب

(انظر ماقلناه فى ص ٣٠٠ من هذه المطبوعة) . وقد ضبطت « تحلب » بضم التاء فى المخطوطة ونسخة الشارح هنا ، والظاهر فتح التاء كما ضبط قوله سابقاً « وكف تحلّب » بفتح التاء ، أى تتحلب بالخير والرزق] .

(٧) « الفراتى » هو نهر الفرات ، كقول الأعشى :

مثل الفراتى إذا ماطمى ... يقذف بالبوصى والماهر

مُلُوكٌ إذَا هَابَ الْعَــطَاءَ مَعَاشِرٌ　　وَضَرْبَ الطُّلَى سَنُّوهُمَا وَتَعَجَّبُوا[(١)]
سَيُخْبِرُ عَنْ « رَوْحٍ » ثَنَائِى وَفِعْلُهُ　　وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ رِضًى لاَ يُكَذَّبُ
تَعَصَّبَ « رَوْحٌ » وَالْمَكَارِمُ تَابِعاً　　لِأَشْــيَاخِهِ وَالسَّابِقُ الْمُتَعَصِّبُ[(٢)]
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ وَحَزْمٌ مُوَفَّقٌ　　وَلِلْمَوْتِ مِنْهُ مَخْرَجٌ حِينَ يَغْضَبُ[(٣)] ٨٤
مِنَ الْوَارِدِينَ الرَّوْعَ كُلَّ عَشِيَّةٍ　　إذَا هِىَ قَامَتْ حَاسِرًا لاَ تَنَقَّبُ[(٤)]
وَأَصْيَــدَ نَرْجُوهُ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ　　عَلَيْنَا وَيَرْجُوهُ الْهُمَــامُ الْمُحَجَّبُ[(٥)]
مِنَ الْغُرِّ مِنْعَامٌ كَأَنَّ جَبِينَــهُ　　هِــلاَلٌ بَدَا فِى ظُلْمَةٍ مُتَنَصِّبُ[(٦)]
يُطَيِّبُ ذَفْرَاءَ الدُّرُوعِ بِجِلْدِهِ　　وَيُثْنَى بِمِسْكٍ كَأْسُهُ حِينَ يَشْرَبُ[(٧)]
طَلُوبٌ وَمَطْلُوبٌ إلَيْهِ إذَا غَــدَا　　وَخَيْرُ خَلِيلَيْكَ الطَّلُوبُ الْمُطَلَّبُ[(٨)]
وَمَا زَالَ فى آلِ الْمُهَلَّبِ قَائِلٌ　　وَخَيْلٌ تُسَرَّى لِلطِّعَانِ وَتُجْلَبُ[(٩)]

---

(١) الطلى : أصول الأعناق ، جمع طلية (بضم الطاء) .

(٢) « لأشياخه » أى أجداده وآبائه ، قال قيس بن الخطيم :

ثأرت عديا والخطيم ولم أضع　　ولاية أشياخ جعلت إزاءها

وقوله « تعصب » أى اتفق هو والمكارم ، كما يقال حليف المكارم ، وكما قال الأعشى :

« وبات على النار الندى والمحلق »

(٣) حكم لقمان : حكمته وعلمه ، قال تعالى فى ذكر يحيي : وآتيناه الحكم صبيا ، أى الحكمة والنبوة [قلنا : الضبط الذى فى المخطوطة يفيد إضافة « حزم » إلى « موفق »] .

(٤) « هى » ضمير الحرب بقرينة السياق ، « حاسراً » حال من الضمير فى قامت ، أى الحرب ، والمراد إذا اشتدت الحرب ، فشبهها بامرأة قامت لعمل شديد ، كقولهم : قامت على ساق ، وقوله : قد شمرت عن ساقها فجدوا .

(٥) [الأصيد : الملك ، لأنه لايلتفت من زهو المُلك] الهمام هو الخليفة ، تقدم (فى ص ٢٤٦) .

(٦) [الغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال ، والمنعام : المفضال ، والمتنصب : المرتفع] .

(٧) [الدرع الذفراء : التى تغيرت رائحتها لصدإ الحديد] و « يثنى » أى يزاد عليه .

(٨) الطلوب : الشديد الطلب للأعداء يتتبع جيوشهم ويهجم على بلادهم ، كقول النابغة : « طلوب الأعادى واضح غير خامل » والمطلاب (بكسر الميم) من أمثلة المبالغة ، كقول العرب « إنه منحار بوائكها » وهو مشتق من الطلب بمعنى السؤال ، وقوله « المطلب » بفتح اللام اسم مفعول من « طلب » المضاعف ، للمبالغة فى أنه مطلوب ، أى مسئول ، وحذف حرف الجر لأن التقدير المطلب إليه ، أى : وخير نوعى الأصحاب الشجاع الكريم .

(٩) كتب « قايلا » بالقاف وبالنصب ، ولا وجه لهما ، فهو مرفوع ، ولعله « نائل » بنون =

وَلَمَّا رَأَى الْحُسَّادُ رَوْحَ بْنَ حَاتِمٍ ... أَمِيرًا عَلَيْـهِ بَيْتُ مُلْكٍ مُطَنَّبُ
أَصَاخُوا كَأَنَّ الطَّيْرَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... يَشِيمُونَ مَوْتًا فَوْقَهُمْ يَتَقَلَّبُ (١)
فَدَامَ لَهُمْ غَمٌّ بِرَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ ... وَدَامَ لِرَوْحٍ مُلْكُهُ الْمُتَرَقَّبُ (٢)

وقال أيضاً (*) :

آبَ لَيْلِي لَيْتَ لَيْلِي لَمْ يَؤُبْ ... إِنَّمَا اللَّيْـلُ عَنَاءٌ لِلْوَصِبْ (٣)
أَرْقُبُ اللَّيْلَ كَأَنِّي وَاجِـدٌ ... رَاحَةً فِي الصُّبْحِ مِنْ جَهْدِ التَّعَبْ
وَلَقَدْ أَعْلَمُ أَنِّي مُصْبِـحٌ ... مِثْلَمَا أَمْسَيْتُ إِنْ لَمْ تَحْتَسِبْ (٤)
فَأَرَتْنِي ثُمَّ شَطَّتْ شَـطَّةً ... تَرَكَتْ قَلْبِي إِلَيْهَا يَضْطَرِبْ (٥)
مَا أَقَلَّ الصَّبْرَ عَنْهَا بَعْدَ مَا ... كَثُرَتْ فِينَا أَحَادِيثُ الْعَرَبْ !
قَرَّ عَيْنًا بِحَبِيبٍ نَظْرَةً ... لَا يُقِرُّ الْعَيْـنَ إِلَّا مَا تُحِبْ (٦)
وَكَّلَتْ بِي جَارَتِي أُسْهُودَةً ... شَرُّ مَا وُكِّلَ بِالْجَارِ الْجُنُبْ (٧)

= وبالرفع ، أو « قائد » بقاف وبدال فى آخره ، وقوله « تسرى » بضم التاء من قولهم تسرى سرية ، أى جردها ، وقوله وتجلب كذا باللام [أى : تساق من موضع إلى آخر] ، ولعله « تجنب » بالنون ، أى يجعل الفرس منها بجنب فرس آخر .

(١) يشيمون : ينظرون ، وأصل الشيم النظر إلى البرق لتعرف جهة المطر ، قال امرؤ القيس :

على قطن بالشيم أيمن صوبه

(٢) المترقب أى المرقوب من أعدائه .

(*) وقال أيضاً فى النسيب ، وهى من بحر الرمل .

(٣) [للوصب : لذى الوجع] .

(٤) « تحتسب » أى تحتسب الثواب [أو « تحتسب » : تكتف بما كان منها وتنته عن الهجر] .

(٥) [شطت شطة : بعدت بعدة] .

(٦) « قر عيناً » أمر ، يجوز فيه كسر القاف وفتحها ، لأنه يقال قرت عينه تقر بكسر القاف وفتحها ، وقوله « لا يقر » هو بضم الياء ويقال أقر الله عينه .

(٧) الأسهودة : أفعولة من السهد ، مثل الأحدوثة ، والسهد : السهر ، وأراد بجارته حبيبته القريبة من داره .

وَنَصِيحَيْنِ أَلَمَّا بَاكِراً   بِطَبِيبٍ ، وَطَبِيبِي المُجْتَنَبْ[١]
سَأَلاَنِي وَصْفَ مَا أَلْقَى ، وَلاَ   أَسْتَطِيعُ الوَصْفَ، إِنِّي مُكْتَئِبْ
غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ فِي قَوْلِهِمَا   قَوْلَةً أَخْفَيْتُهَا كَالْمُنْتَسِبْ[٢]
بَيْنَنَا مِنْ قُرْبِهِ لِي حَاجَةٌ   ثُمَّ لاَ يَقْرُبُ وَالدَّارُ صَقَبْ[٣]
يَا خَلِيلَيَّ أَلِمَّا بِي بِهَا   نَظْرَةً ثُمَّ سَلاَنِي عَنْ وَصَبْ[٤]
شُغِلَتْ نَفْسِي عَنْ وَصْفِ الْهَوَى   بِاشْتِيَاقٍ أَنْ أَرَاهَا وَطَرَبْ[٥]
٨٥ فَاتْرُكَا لَوْمِي فَإِنِّي عَاشِقٌ   كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ مَا كَتَبْ
وَلَقَدْ قُلْتُ لِقَلْبِي خَالِيًا   حِينَ لَمْ يَلْقَ هَوَاهَا وَدَأَبْ[٦]
أَيُّهَا النَّاصِبُ فِي تَطْلاَبِهَا   بَعْدَ هَذَا مَا تُبَالِي مَا نَصَبْ[٧]

---

(١) [قلنا : لعله يريد بقوله « المجتنب » محبوبته ، فهى التى تستطيع أن تداو يه من داء الحب كما قال (ص ٢٧٠) : وشفاء المحب عنـد الحبيب ، وقد ضبط « المجتنب » بفتح النون فى المخطوطة ونسخة الشارح ، ولو ضبط بكسر النون لـكان أقرب ، لأن سياق الشعر يفيد أن المحبوبة هى التى شطت واجتنبت] .

(٢) [قلنا : فى المخطوطة « كالمنتئب » ، وجعله الشارح « كالمنتسب » ، وكلاهما غير ظاهر ، فلعل صواب الـكلمة « كالمُتَّئِب » ، و« المُتَّئِب » اسم فاعل من « اتَّـأَب » أى : استحيا ، يعنى أنه لـما أراد أن يذكر لنصيحيه أن أصل علته حب جارته القريبة خفض صوته وأخفى كلامه كما يفعل المستحي والمراد بـ « قولهما » فى البيت : سؤالهما ، وهو على تقدير مضـاف ، أى « . . . قلت فى جواب قولهما كلمة . . . »] .

(٣) الصقب : المجاور .

[قلنا : لعل ضبط هذا البيت يحسن أن يكون هكذا .

بَيْنَنَا مَنْ قُرْبُهُ لِي حَاجَةٌ   ثم لايقرب والدارُ صَقَبْ

وبذلك يظهر أن هذا البيت أول كلمته التى قالها لنصيحيه فى جواب سؤالهما عن وصف مايلق ، فهو يوجههما فيه توجيهاً خفياً إلى مصدر علته ووصبه] .

(٤ — ٥) قوله « وصب » وقوله « طرب » أصـلهما : وصبى وطربى ، وحذفت الياء لأجل القافية ، نظير قوله تعالى « فـكيف كان عذابى ونذر » فإنه يوقف عليه بالسكون وحذف الياء رعياً للفاصلة (من أول سورة القمر) وقوله تعالى « إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب » رعياً للفاصلة (من أول سورة ص)

(٦) كتب « هواها » ، ولعل صوابه « هواه » .

(٧) كتب « ماتصب » والصواب « ماالنصب » بالتعريف ، والخطاب لقلبه .

لاَ يُرِيدُ الرُّشْدَ إلاَّ ناصِحٌ   وَيَلِي قَتْلَكَ إلاَّ مَنْ تَعِبْ(١)

كِلْ لِمَنْ يُقْصِيكَ مِثْلاً صاعَهُ   وَإذَا قَارَبَ وُدًّا فَاقْتَرِبْ(٢)

وَالْقَ مَنْ قَدْ ذَاقَ فِيمَا لَمْ يَذُقْ   لاَ يُدَاوِي السُّقْمَ إلاَّ مَنْ يَطِبْ(٣)

قَتَلَتْنِي فَأَبَى قَلْبِي وَقَدْ   آنَ مَا كَلَّفَنِي حَتَّى أُحِبْ(٤)

فَهْيَ عَجْزَاءُ إذَا مَا أَدْبَرَتْ   وَإذَا مَا أَقْبَلَتْ فِيهَا قَبَبْ(٥)

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لِمَــيْنٍ فِتْنَةً   مِثْلَهَا بَيْنَ جُمَــادَى وَرَجَبْ(٦)

تَيَّمَتْنِي بِقَــــوَامٍ خُرْعُبٍ   وَبِدَلٍّ عَجَبٍ ، يَا لَلْعَجَبْ !(٧)

صُورَةُ الشَّمْسِ جَلَتْ عَنْ وَجْهِهَا   بَعْدَ عَيْنَيْ جُؤْذَرٍ فِي الْمُنْتَقَبْ(٨)

---

(١) لايظهر معنى لقوله « تعب » ، ولعل الصواب « عتب » ، أى لا يجيئك الهلاك إلا من العاتبين فى حبها ، وهم العذال ، وشتان بين الناصح وبين العاذل .

(٢) كتب « يقضيك » بضاد معجمة ، وصوابه « يقصيك » بصاد مهملة ، وكتب « ضاغه » بغين معجمة ، والصواب « صاعه » بعين مهملة [والصاع : مكيال ، يقال : كايلناهم صاعاً بصاع ، أى كافأناهم] .

(٣) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « ... لم يذق » بالياء التحتية ، والذى نراه أنه « ... لم تذق » بالتاء الفوقية التى للمخاطب ، لأنه يخاطب من يذق ويأمره بلقاء من قد ذاق ليستطيع إخباره ، وقوله « من يطب » بمعنى « من يحذق الأمور ويستطيع المداواة »] .

(٤) لم يظهر معنى البيت .

[قلنا : لعل « آن » محرفة عن « آد » بمعنى ثقل وأثقل ، و « حتى » يجوز أن تبقى على معناها إن لم تكن محرفة عن « حين » ، ومعنى البيت : قتلتنى المحبوبة بحبها ، فأبى قلبى إلا أن يحب قاتلته ولم يكف عن حبها . وقد أثقلنى ما كلفنى من الحب] .

(٥) القبب : دقة الخصر وضمور البطن .

(٦) « بين جمادى ورجب » مثل أوله : العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، قاله عاصم بن المقشعر الضبى حين قتل الحنيفس بن خشرم الشيبانى آخذاً بثأر أخيه أبيدة بن المقشعر ، وكان يوم ترصد لقتله آخر يوم من جمادى الآخرة ، وكانوا لا يقتلون فى رجب لأنه شهر حرام عند مضر ، فاغتنم فرصة وبادر قتله يومئذ وقال المثل ، فصار يضرب مثلا للذى يدرك بغيته فى آخر أوقات الإمكان ، ومراد بشار أنه صادفته على غفلة فرآها فقتلته ، وأشار إلى ذلك بذكر بعض المثل ، فكان فى كلامه استعارة تمثيلية مكنية .

(٧) القوام (بفتح القاف) حسن الطول ، يقال هو حسن القوام والقامة ، والخرعب (بضم الخاء المعجمة وضم العين المهملة) : الغصن الناعم الحديث .

(٨) [الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه بعينيه عينا المرأة الجميلة] .

حُلْوَةُ الْمَنْظَرِ رَيَّا رَخْصَةٌ ... بَعَثَ الْحُسْنُ عَلَيْهَا أَنْ تُسَبْ(١)
تَأْمَنُ الدَّهْرَ وَلاَ تَرْجُو لَنَا ... فَرَجاً مِمَّا بِنَا ، ذَاكَ الْكَذِبْ(٢)
كَمْ رَأَيْنَا مِثْلَهَا فِي مَأْمَنٍ ... قَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَانْقَلَبْ
لاَ يَغُرَّنَّكَ يَوْمٌ مِنْ غَدٍ ... صَاحِ إِنَّ الدَّهْرَ يُغْفِي وَيَهُبْ(٣)
صَادِ ذَا ضِغْنٍ إِلَى غِرَّتِهِ ... وَإِذَا دَرَّتْ لَبُونٌ فَاحْتَلِبْ(٤)
لَيْسَ بِالصَّافِي وَإِنْ صَفَّيْتَهُ ... عَيْشُ مَنْ يُصْبِحُ نَهْباً لِلرُّتَبْ(٥)
مَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَثْبَاتِهِ ... لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِ تِلْكَ اللُّعَبْ(٦)
أَقْبَلَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى إِذَا ... جَاءَهُ الْمَوْتُ تَوَلَّى فَذَهَبْ

---

(١) معنى النصف الثانى أن حسنها جر إليها أن يسبها العاشقون من شدة مايلقون من آلام حبها . مثل قول سحيم العبد :

وراهن ربى مثل ماقد ورينى ... وأحمى على أكبادهن المكاويا

(٢) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « نأمن » (بالنون) ، ولعل الصواب « تأمن » (بتاء المؤنثة) كما يدل عليه سائر البيت والبيت بعده ، والإشارة بـ « ذاك » إلى ما تقدم من كونها تأمن الدهر ولا ترجو فرجاً لمحبها ، والمراد بالكذب أن نفسها منتها الأمانى بغير الحق لأن الدهر لا يؤمن] .

(٣) [قلنا : المراد بهذا البيت : أنك إذا كنت فى يومك آمناً فالزم الحذر من غدك ، ولا يغرك ما تراه فى حاضرك فتطأ عشوة فى مستقبلك ، لأن الدهر قد ينام عنك قليلا ثم ينتبه ويفتح عين الحدثان والصروف] .

(٤) كتب المصراع الأول فى الديوان « صادرا ضغن » ، ووجدته فى المجموعة الأدبية مضبوطا هكذا « صاد ذا الضغن إلى غرته » فأثبته كما وجدته فى المجموعة ، فـ « صاد » أمر من صاداه يصاديه ، إذا داراه فى الأمر ، والضغن (بالضاد المعجمة الساقطة) الحقد ، والغرة (بكسر الغين) الغفلة ، وتطلق على الفرصة ، لأن العرب كانوا يترصدون غفلة الأحياء فيغيرون على إبلهم ، والمعنى صانع عدوك إلى أن تجد فرصة تتمكن فيها منه ، ومعنى المصراع الثانى واضح ، وقد استشهد بهذا البيت فى لسان العرب عن ابن برى فى مادة صدى ولم ينسبه ، وكتب فى أصله « بالضعن » فى موضع « الضغن » وفى بعض نسخ الأصل بالظاء المهملة فلم يتضح المعنى لمصححه .

(٥) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « للرتب » بضم الراء وفتح التاء الفوقية ، فهل يكون المراد بالرتب جمع رتبة ؟ أو يضبط « للرتب » بفتح الراء أى للشدة ؟ أو يكون الأصل للرِّيَب » بكسر الراء وفتح الياء التحتية فإذا لم يكن بمعنى صروف الدهر كان بمعنى ما يقلق النفس فيصير قوله « يصبح نهباً للريب » مثل قولهم « توزعته الأفكار » و « هو متوزع القلب » و « أصبح متقسما مشترك الخواطر بالهموم »] .

(٦) أبو العباس هو الخليفة عبد الله السفاح وكانت وفاته بالجدرى .

وقال أيضاً(*) :

أَصْبَحَ القَلْبُ بِالنُّحَيْلَةِ صَبًّا بَعْدَ مَا قَدْ صَحَا وَرَاجَعَ لُبًّا(١)
زَادَهُ مَدْخَلُ الْوَلِيدِ عَلَيْهِ وَخَيَالٌ سَرَى بِعَبْدَةَ عُجْبَا(٢)
وَمَقَالُ الْفَتَاةِ إِذْ هُتِكَ السِّتْـ ـرُ لَهَا عَنْ مَقَالِ مَا كَانَ عَبَّا :(٣)
أَيُّهَا الْمُسْتَجِيرُ مِنْ حُبِّ عَبَّا دَةَ إِذْ رَاعَهُ خَيَالٌ فَهَبَّا
لَيْسَ مِنْ حُبِّهَا مُجِيرٌ سِوَاهَا بَعْدَ مَا سَارَ فِي الفُؤَادِ وَدَبَّا
يَا خَلِيلَيَّ أَخْرِجَانِي مِنَ الْحُـ ـبِّ سَوِيًّا وَلاَ تَلُومَا مُحِبَّا(٤)
فَاتْرُكَا لَوْمَهُ وَلُومَا خَلِيلاً يَتَجَنَّى ذَنْباً وَلَمْ يَدْرِ ذَنْبَا ٨٦
كُلَّ يَوْمٍ تَعَتُّبَ الْوُدُّ مِنْهُ لَيْتَ شِعْرِي : أَيُحْسَبُ الوُدُّ عَتْبَا ؟
تِلْكَ عَبَّادَةُ الَّتِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرَ مَا أَصْبَحَتْ لِعَيْنَيْهِ نَصْبَا
شَرِبَتْ سَلْوَةَ عُبَيْدَةُ عَنِّي وَكَأَنِّي شَرِبْتُ بِالْحُبِّ طِبَّا(٥)

(*) وقال أيضاً فى النسيب بعبدة ، وهى من بحر الخفيف .

(١) « النحيلة » يجوز فيها ضم النون وفتح الحاء المهملة ، تصغير « نحلة » اسماً لامرأة ، وقد كنوا بأبى نحيلة الصحابى النحيلى ، ويجوز فتح النون وكسر الحاء المهملة ، من النحول ، وهو قلة اللحم

(٢) قوله « عجباً » مفعول « زاده » وقوله « بعبدة » متعلق بعجبا ، و « الوليد » لعله أحد رسل بشار إلى حبائبه .

(٣) هكذا ثبت المصراع الأخير فى الديوان ، ولعل فيه تحريفاً ، وأن الصواب « عن مثال من كان عبا » والعب : ضوء الشمس ، أى عن مثال عبعة التى هى كضوء الشمس ، والبيتان بعده ، هما مقول المقال

(٤) [سويا : مستوياً لا عيب فيه ولا داء] .

(٥) السلوة (بفتح السين وسكون اللام) ماء من مياه الطب يجعله العراف وهو مثل الساحر يقصد لطب النفس ، يأخذ خرزة تسمى السلوانة (بضم السين وسكون اللام) وهى خرزة شفافة تدفن فى التراب فتصير سوداء ، ويأخذ من تراب قبر ميت ، فتسحق الخرزة ويذر عليها ذلك التراب ، ويصب على ذلك المسحوق ماء ، ويسقيها العاشق فيسلو معشوقه ، وتسقاها المرأة فتبغض زوجها ، فهو يعطى للتبغيض ، ويسمى سلوة وسلواناً ، قال رؤبة :

مسلم لا أنساك ما حييت لو أشرب السلوان ما سليت

وقال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى
فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة إلا بها سقيانى

=

فَتَقَضَّى الرَّجَاءُ مِنْهَا لَقَدْ صَدَّ   طَبِيبِي عَنِّي وَقَضَّيْتُ نَحْبَا
أَنَا إِنْ لَمْ أَمُتْ بِذَاكَ فَإِنِّي   مَيِّتٌ مِنْ مَخَافَتِي ذَاكَ رُعْبَا
لَيْتَهَا تَاقَ قَلْبُهَا فَاشْتَوَيْنَا   أَوْ رُزِقْنَا كَقَلْبِ عَبْدَةَ قَلْبَا (١)
فَصَبَرْنَا عَنْهَا كَمَا صَبَرَتْ عَنَّا   وَلَمْ نَتَّخِذْ عُبَيْدَةَ رَبَّا
فَاكْشِفِي مَا بِنَا وَعُودِي عَلَيْنَا   قَدْ لَقِينَا إِلَيْكِ فِي الْحُبِّ حَسْبَا (٢)

وقال أيضاً (*)

يَا لَقَوْمِي لِلزَّائِرِ الْمُنْتَابِ   وَلِمَا قَدْ لَقِيتُ حِينَ الْمَتَابِ (٣)
أَزْهَقَتْ مُهْجَتِي وَلَمْ تَدْنُ إِلَّا   وَقْعَةً عِنْدَنَا وُقُوعَ الْقِرَابِ (٤)
يَوْمَ قَامَتْ مُخْتَالَةً فِي حِقَابٍ   لَيْتَنِي كُنْتُ بَعْضَ تِلْكَ الْحِقَابِ (٥)
وَلَقَدْ قُلْتُ لِلنِّطَاسِيِّ لَمَّا   جِئْتُهُ وَاشْتَكَيْتُ دَاءَ الْحُبَابِ (٦)

= والطب (بفتح الطاء وكسرها أيضاً وضمها) السحر ، يقال : طب الرجل (بالبناء للمجهول) فهو مطبوب بمعنى مسحور ، وإنما سمى العرب السحر طبا لأن مداواة المرضى كانوا يطلبونها من السحرة ، فكان السحر والمداواة والرقية مخلوطة لا يفرقون بينها ، فيحتمل أن الطب فى الأصل مرادف للسحر ، ثم خصصه العرب بمداواة الجسد . ويحتمل أنه اسم للمداواة مطلقاً ، فأطلق على السحر لأن السحر يداوى ، وقال أهل اللغة : سمى السحر طباً على وجه التفاؤل ، وأراه غير صحيح .

(١) تاق : اشتاق .

(٢) «حسبا» أى كافياً لنا لا نستطيع تجاوزه . قال بشار فى الورقة ١٣ : عوجا خليلى لقينا حسبا .

(*) وقال أيضاً فى النسيب بالرباب ، والقصيدة من بحر الخفيف .

(٣) استغاثة مما فتك به [الحبيب] ، وقوله « المتاب » كتب بفوقية ، ولا معنى له ، ولعله «المثاب» بمثلثة ، أى حين مثاب الطيف الزائر ، أى حين رجوعه .

[قلنا : فى المخطوطة : « يا لقوم » . اتجه الشارح إلى أن المراد فى هذا البيت هو طيف المحبوبة ، وقد يصح أن يكون المراد شخص المحبوبة ، إذ دنت منه قليلا ، كما يظهر من البيتين الآتيين] .

(٤) القراب هنا قراب السيف ، وهو غمده ، وهو جراب من جلد يجعل على صورة السيف ليحفظه ، ووجه التشبيه أن صاحب السيف لا يوقعه على الأرض إلا ساعة قليلة ريثما يضرب بسيفه ثم يرجعه إلى قرابه

[قلنا : فى المخطوطة « أزهقت » بالزاى . وربما كان « القراب » محرفا عن « الغراب » ، لأن وقوع الطائر للشرب قصير المدة ، ولذلك يقال « نمت نومة كحسو الطائر » إذا كان النوم قليلا ، كما يقال « العيادة كحسوة الطائر » أى لا يطول المكث فى عيادة المريض ، والغراب من أسرع الطير وأكثرها حذراً ، ويقال « أحذر من غراب »]

(٥) الحقاب (بوزن كتاب) منطقة محلاة بالذهب أو غيره تشد به المرأة وسطها .

(٦) النطاسى (بكسر النون وتخفيف الطاء) الدالم ، ويختص إطلاقه بالعالم بالطب الحاذق به ، =

كَيْفَ لِي بِالسُّلُوِّ عَمَّنْ جَفَانِي … وَفُؤَادِي كَالطَّائِرِ الْمُسْتَجَابِ (١)
أَنَا مِنْهُ وَمِنْ جَوَى الْحُبِّ أُمْسِي … فِي عَذَابٍ قَدْ نَاءَ فَوْقَ الْعَذَابِ!
قَالَ: هَجْرُ الْحَبِيبِ يُسْلِيكَ عَنْهَا … لَنْ تَنَالَ السُّلُوَّ قَبْلَ اجْتِنَابِ (٢)
قُلْتُ: يَأْبَى الْهَوَى عَلَيَّ وَنَفْسِي … لَا تُطِيعُ الْعَدُوَّ فِي الْأَحْبَابِ (٣)
كَيْفَ يَسْلُو عَنِ الرَّبَابِ فُؤَادِي … وَهَوَاهَا يَنُوبُ عَنْ كُلِّ نَابِ (٤)
وَيَكُنَّ النِّسَاءُ بِيضاً وَأُدْماً … صِيغَةً بَعْدَ صِيغَةِ الْأَتْرَابِ
كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ مُشْتَبِهَاتٍ … وَكَأَنَّ الرَّبَابَ أُمُّ الْكِتَابِ (٥)
خُلِقَتْ وَحْدَهَا خَلْقاً … ضَاعَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فِي الْحِسَابِ (٦)
هِيَ بَرْدُ الشَّرَابِ … لَا أُطِيقُ اجْتِنَابَ بَرْدِ الشَّرَابِ (٧)
غَبَطَتْ نَفْسَهَا … فَكَأَنِّي أَمُدُّ فِي كُلَّابِ (٨)

= والنسبة فيه للمبالغة ، إذ لم يقولوا : نطاس ، فهو كقولهم غلابى وألمعى ، و « الحباب » يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الحب وأن يكون جمع أحباب مثل صحاب .

[قلنا : الحباب تقرأ فى المخطوطة « الحباب » بالحاء ، أو « الجناب » ولعله بضم الجيم : مرض الجنب . وفيما يتعلق بكلمة الحباب انظر ص ١٤٤ وص ٢٠١ و ص ٢٤٨ من هذه المطبوعة]

(١) « المستجاب » كذا ، وانظر مراده به .

(٢) الظاهر أن الصواب « عنه » ، وهذا مبنى على رأى من رأى البعد عن الحبيب يؤول إلى السلو ، قال زهير بن جناب العذرى ابن عم جميل صاحب بثينة :

إذا ما شئت أن تسلو حبيبا … فأكثر دونه عدد الليالى
فما سلى حبيبك مثل نأى … ولا أبلى جديدك كابتذال

وقال عباس بن الأحنف :

إن التجنب إن تطاول منكما … دب السلو له فعز المطلب

وجميل قد خالف فى ذلك ، وهو رأى الصادقين من أهل الغرام ، قال جميل (يعرض بابن عمه زهير) :

لحا الله أقواماً يقولون إننا … وجدنا بعاد الدار للحب شافيا

وقد وافقه بشار هنا .

(٣) [قلنا : فى المخطوطة « يأتى » بدل « يأبى » التى فى نسخة الشارح] .

(٤) ناب : اسم فاعل من نبا ينبو ، إذا بعد ، أى أن هواها فى نفسى ينوب عنها وإن نبت

(٥) لما ذكر التشابه تذكر قوله تعالى : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » فجعل الرباب كأم الكتاب فى أنها لا يشبهها شىء ، وهو معنى ضعيف .

(٦ — ٧ — ٨) فى المصاريع الأول من هذه الأبيات بياضات .

وقال أيضاً (*) :

يَا شَوْقَ مَنْ بَاتَ مَشْغُوفاً وَمُجْتَنِبَا ... وَيَاصَبَابَتَهُ إِنْ صَدَّ أَوْ قَرُبَا [(١)] ٨٧
نَامَ اللَّوَاتِي عَدِمْنَ الْحُبَّ مِنْ مَرَحٍ ... وَبِتُّ أَقْرِضُ فِى الظَّلْمَاءِ مُكْتَئِبَا [(٢)]
وَقَائِلٍ صَحَّ مِنْ دَائِى تَجَنُّبُهُ ... لَمْ يَلْقَ عَجْباً وَإِنْ حَدَّثْتُهُ عَجَبَا [(٣)]
مَالِى رَأَيْتُكَ لَا تَصْبُو إِلَى لَعِبٍ ؟ ... فَقُلْتُ : مَنْ قَرَّ عَيْناً بِالْهَوَى لَعِبَا [(٤)]
أَصْبَحْتُ عَنْ كَأْسِكَ الْغَرَّاءِ فِى شُغُلٍ ... فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَى الرَّيْحَانِ مُغْتَصِبَا [(٥)]
لَا تَعْجَلِ الْقَدَرَ الْمَكْتُوبَ مَوْقِتَهُ ... فَاسْتَأْنِ لَا يَسْبِقُ الْعَجْلَانُ مَا طَلَبَا
قَدْ ضَارَعَ الْحُبُّ قَلْبِى ثُمَّ أَدْرَكَهُ ... وَهْنُ الْمُحِبِّ فَأَمْسَى الْقَلْبُ قَدْ غُلِبَا [(٦)]
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى لَهْوٍ وَقَدْ تَرَكَتْ ... سُعْدَى عَلَى كَبِدِى مِنْ حُبِّهَا نَدَبَا [(٧)]

(*) وقال بشار أيضاً فى النسيب وذكر فيها أسماء بعض أصحابه ، وهى من بحر البسيط .

(١) [قلنا : قد ضبط الشارح « مجتنباً » بفتح النون وكسرها ، وهو فى المخطوطة بكسر النون ، وقد اقتصر على فتح الصاد من « صد » كالمخطوطة ، مع جواز ضم الصاد فيها أيضاً] .

(٢) أقرض : أقول الشعر ، أى فى حبها ، يقال قرض الشعر (من باب ضرب) إذا نظمه ، ومنه سمى الشعر « قريضاً » بمعنى مقروض .

(٣) معنى « صح من دائى » سلم منه فكان صحيحاً . وكتب فى الديوان « وقابل » بباء موحدة .

[قلنا : لم تضبط فى المخطوطة العين من قوله « لم يلق عجباً » ، وضبطها الشارح بالفتح ، وضبط العين بالضم صحيح ، وضبط فى المخطوطة « حدثته » بفتح التاء ، وضمها الشارح ، ولم تضبط فى المخطوطة جيم « عجباً » التى فى آخر البيت ، وضبطها الشارح بالفتح ، ويجوز أن يكون بكسر الجيم]

(٤) [يعنى بشار بقوله : قر عيناً ... الخ أن الذى يلعب هو قرير العين لا المشغول مثله] .

(٥) [لعل « مغتصباً » محرف عن « معتصباً » (بالعين المهملة) أو عن « معتقباً » (بالعين والقاف) أو عن « مقتضباً » (بالقاف والضاد) وأما « مغتصباً » فبعيد من مقام هذا البيت ، وسيأتى فى موضعه بعد ثلاثة أبيات] .

(٦) [قلنا : فى المخطوطة ونسخة الشارح « ضارع » (بالضاد المعجمة) ، والذى نراه أنها محرفة عن « صارع » (بالصاد المهملة) لأن ذلك هو المناسب للمبالغة والوهن والغلبة فى سياق هذا البيت] .

(٧) الندب (بضم ففتح) جمع ندبة (بفتح فسكون) وهى أثر الجرح الباقى على الجلد .

[قلنا : لو ضبطت « ندباً » بفتح النون لكان حسناً ، ففى كتب اللغة : « الندب (بالتحريك) : اسم جنس جمعى لندبة ، كشجر وشجرة ، والندبة (بالتحريك) : أثر الجرح الباقى على الجلد إذا لم يرتفع عنه »] .

غَزَالَةٌ غَصَبَتْ لَيْثاً بِمُقْلَتِهَا ... لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَغْصُوباً وَمُغْتَصِباً (١)
يَانَظْرَةً عَقَلَتْ سَلْمَى بِمُقْلَتِهِ ... فَمَا يَزَالُ قَذًى فِى عَيْنِهِ نَشَباً (٢)
تَدْنُو مَعَ الذِّكْرِ تَشْبِيهاً إِذَا نَزَحَتْ ... حَتَّى أَرَى شَخْصَهَا فِى الْعَيْنِ مُقْتَرِباً (٣)
إِنَّ الْغَوَانِىَ لَا يُغْنِينَ مَسْأَلَةً ... وَلَا تَرَى مِثْلَ مَا يَسْلُبْنَنَا سَلَباً (٤)
دَعْهُنَّ لِلْمُسْهَبِ الضِّلِّيلِ مَوْرِدَهُ ... يَاقَلْبُ كُلُّ امْرِىءٍ رَهْنٌ بِمَا اكْتَسَبَا (٥)
قَدْ حَصْحَصَ الْحَقُّ وَانْجَابَتْ دُجُنَّتُهُ ... وَعَرَّضَ الدَّهْرُ شَطْرَيْهِ لِمَنْ حَلَبَا (٦)

---

(١) استعمل « الغزالة » مؤنثة بتاء التأنيث مراداً بها أنثى الغزال لا محالة « غصبت ليثاً بمقلتها » وهذا يعضد الحريرى فى قوله فى المقامة الخامسة : « فلما ذر قرن الغزالة (الشمس) طمر طمور الغزالة (أنثى الغزال) » ، وإن كانوا قد انتقدوه عليه ، وقالوا : إنه لم يسمع من العرب ، وكفاه حجة كلام بشار ، وأحسب أن المولدين سئموا التباس أنثى الغزال بذكره ، وهم يحبون أن ينبهوا على كون المشبه امرأة ، فاقتحموا مخالفة العرب ، كما فعل من قبلهم فى « زوجة » الرجل فأنثوه ، وابتدأ بذلك الفرزدق وجرير ، قال الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى ... كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال جرير [أو القائل « ذو الرمة » من قصيدة يمدح بها بلالا الأشعرى] :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة ... أراك لها بالبصرة العام ثاويا

وكما اقتحم من بعدهم على تأنيث « إنسان » بمعنى المرأة ، قال أبو منصور الثعالبى :

إنسانة فتانة ... بدرالدجى منهاخجل

(٢) [قلنا : لعل « عقلت » محرفة عن « علقت » ، وفى معنى البيت قول بشار السابق (ص٣٢٤ من هذه المطبوعة) :

ما كان حبى سلمى ورؤيتها ... إلا قذى فى مدامعى نشبا]

(٣) [انظر قول بشار فيما سبق ص ٣٢٤ من هذه المطبوعة] : تدنو مع الذكر كلما نزحت ...الخ

(٤) أى أن شأن الرجال أن تكون الشجاعة فيهم مشفوعة بالسخاء ، فهم يسلبون الكماة ويعطون العفاة ، وأما الغوانى فهن لايغنين مسألة ويسلبن مَن شبك حبهن واعتقله .

[قلنا : يريد بشار أن الغوانى لايغنين شيئاً ولكنهن يسلبن من المحب أعز ماعنده وهو عقله وقلبه ، فلا ترى مسلوبا يماثل ما يسلبنه ، والسلب : ما يكون مسلوبا] .

(٥) [قلنا : قد ضبط « المسهب » فى المخطوطة ونسخة الشارح بكسر الهاء ، والظاهر أنه بفتح الهاء ، فقد ذكر اللغويون فى معنى المسهب (بفتح الهاء) أنه الذى ذهب عقله أو تغير لونه من الحب ونحوه ، والضليل : الكثير الضلال . وقد ضبط « مورده » فى المخطوطة بضم الدال رفعاً ، وضبطها الشارح بالفتحة] .

(٦) [حصحص : بان ، انجابت : انكشفت ، دجنته : ظلمته أو غيمه المطبق] . « شطريه » تثنية شطر (بفتح الشين المعجمة وسكون الطاء) وهو يصف ضرع الناقة وفيه ثديان ، والناقة شطران مقدم ومؤخر ، شبهوا صروف الدهر بلبن الناقة ، وشبهوا مَن مارس صروفه بحالب شطرى الناقة=

وَجَاثِمِ الْهَمِّ قَدْ سُدَّتْ مَطَالِعُهُ ... جَلَيْتُ عَنْ وَجْهِهِ التَّشْبِيهَ وَالرِّيَبَا

حَتَّى غَدَا عب عَبَّاس وَلاَ سَبِقٍ ... يَتْلُو يَدًا قَدَحَتْ عَنْ وَجْهِهِ الْحُجُبَا(١)

أَوْلَى لِعَاصٍ وَزَلَّتْ عَنْ أَبِي كَرِبٍ ... كَأَنَّمَا لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ إِذْ ذَهَبَا(٢)

وَقَدْ هَمَمْتُ بِيَحْيَى ثُمَّ أَدْرَكَنِي ... حِلْمِي فَأَمْسَكْتُهَا مُحْمَرَّةً لَهَبَا(٣)

وَخَالِدٌ عِنْدَ ذَنْبٍ سَوْفَ يُدْرِكُهُ ... إِذَا خَطَبْتُ لَهُ يَوْمًا كَمَا خَطَبَا(٤)

قَدْ أُنْضِجُ الْعَيْرَ كَيًّا تَحْتَ فَائِلِهِ ... وَرُبَّمَا نَالَهُ حِلْمِي وَقَدْ شَعَبَا(٥)

وقال أيضاً(*) :

٨٨ يَابَانَ ضَاقَ الْمَذْهَبُ ... وَطَرِيدُ أَهْلِكِ أَجْنَبُ

وَذَهَبْتُ فِى كُلِّ السَّبِيلِ لِكُلِّ غَاوٍ مَذْهَبُ(٦)

لاَ يُخْشَ قَتْلِي حِينَ شِبْتُ وَهَلْ يُخَافُ الْأَشْيَبُ ؟(٧)

= أنه لم يفته شيء من اللبن الذى فى ضرعها ، وقالوا فى المثل : «حلب الدهر أشطره» فجاءوا بالجمع مكان المثنى ، كقوله تعالى : « فقد صغت قلوبكما » .

(١) كتب « عب » بدون ضبط ، فيحتمل أنه «عب» بعين مهملة مفتوحة وباء موحدة مشدودة ، وهو ضوء الشمس ، ويحتمل أنه « عبء » بعين مكسورة وباء ساكنة وهمزة ، وهو الشيء الثقيل ، وعباس يحتمل أنه واحد من أعدائه ، وانظر مايلتئم من معنى البيت .

[قلنا : لعل « عب » محرفة عن « غير » ولعل « عباس » هنا وصف من العبوس . وسياق البيت يستدعي ذلك المعنى وربما حرفت « سبق » عن « شنف » (مبغض) و « يتلو » عن « يبلو »] .

(٢) « أولى لعاص » أى هو أجدر بذلك ، قال تعالى « أولى لك فأولى » والظاهر أن « العاصى » هنا اسم ليس بوصف . و « أبو كرب » أحد أصحابه ، وقد ذكره فى قوله الآتى : أبا كرب كلى لهم المجالد فى البيت ٥ من الورقة ١٥٢ .

(٣) يحيي هو يحيي بن صالح بن على ، تقدم فى [ص ١٢٢ من هذه المطبوعة] .

(٤) خالد هو الذى أراده فى القصيدة الآتية بقوله :

ضعضعت جنة خالد ... بعزيمة لا تقرب

وهو شاعر معاصر له .

(٥) الفائل (بفاء) مضغة من لحم على الصلو من جهة أدنى الحجبتين إلى العجب مكتنفة العصعص تنحدر فى جانب الفخذ ، وهما فائلتان ، والمعنى أنه يعاقب الرجل الشديد المشبه بالعير عقابا كالكى وربما عفى عنه .

(*) وقال أيضاً فى النسيب عن اسمها « بانة » من بحر الرجز .

[قلنا : هذه القصيدة من « الكامل » لا من « الرجز » وهى مجزوءة العروض والضرب] .

(٦) [قلنا : فى المخطوطة : « غير » بدلا من « كل »]

(٧) كتب فى الديوان « لا تخش » وهو لحن ، لأن الخطاب إلى امرأة ، فحقه أن يقول « لا تخشى » والصواب « لا يخش قتلى » أى لا يكن مخشيا لك

هَيْهَاتَ أَفْرَخَ رَوْعُ بَا نَةَ لَا يَحُولُ الْمُغْرِبُ
مَازُلْتُ عَنْكِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ القُـــلُوبَ تَقَلَّبُ
أَيَّامَ أَطْعِمُ كُلَّ مَا ئِـلَةِ الْحُمَانِ وَأَشْرَبُ(١)
ثُمَّ انْقَضَى ذَاكَ الزَّمَا نُ وَغَابَ دَهْرٌ أَنْـكَبُ
يَابَانَ طَبُّــكِ لَا يَنَا مُ وَقَدْ يَنَامُ الْقُطْرُبُ(٢)
عُودِي عَلَيَّ فَإِنَّهَـا نَفْسٌ تُسِيءُ وَتُعْتِبُ
مَا كُلُّ زَلَّةِ صَاحِبٍ أَغْدُو لَهَـــا أَتَوَثَّبُ
حِلْمِي أَصَمُّ وَرَاحَـــتِي لِلطَّالِبِـــينَ تَحَلَّبُ(٣)
ضَعْضَعْتُ جِنَّـةَ خَالِدٍ بِعَـــزِيمَةٍ لَا تَقْرَبُ(٤)
وَأَطَرْتُ جِنَّـةَ مُجْرِدٍ وَأَنَا الْمُغِنُّ الْمِشْغَبُ(٥)

---

(١) لم أعرف للحمان معنى فى العربية ، فلعل فيه تحريفا .

[قلنا : لعل « الحمان » محرفة عن « الجفان » ، والجفان : جمع جفنة ، وهى وعاء الطعام ، وربما كانت الـكلمة « مائلة » التى قبلها محرفة عن « مشكلة » أو نحوها ، إن لم تـكن قد أريد بها معنى الميل]

(٢) القطرب — هنا — : ذكر الغيلان ، وأراد بالطب السحر ، وكان العرب يزعمون أن الغيلان سحرة الجن .

[قلنا : لعل المراد بالقطرب — هنا — فى قول بشار « وقد ينام القطرب » هو « دويبة لا تنام الليل من كثرة سيرها » كما قال أبو عمرو ، ومنه المثل : « أسهر من قطرب » ، وكان سيبويه يسمى تلميذه محمد بن المستنير « قطربا » لأنه كان يبكر إلى سيبويه فـكلما فتح بابه وجده هنالك فقال له : ما أنت إلا قطرب ليل !] .

(٣) [قلنا : قول بشار هنا « حلمى أصم » كقوله فيما سبق (ص ١٢٥ من هذه المطبوعة) :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى أصم وأذنى غير صماء

والمراد بـ « الراحة » هنا : الـكفّ ، و « تحلب » أى تتحلب بمعنى تدرّ الخير]

(٤) خالد هذا الذى تقدم فى القصيدة السابقة (ص ٣٥٧ من المطبوعة) .

[قلنا : لعل « جنة » بمعنى : عنفوان الشباب] .

(٥) كتب فى الديوان « المغن » بفتح الغين ، و « المشغب » بشين فغين ، ولا يظهر له معنى ، فلعله « المغن » بكسر الغين « المعشب » بعين مهملة وشين ، يقال : واد مغن ؛ بمعنى مخصب ، لأنه إذا أخصب كثر ذبابه فغنى وكثر عشبه .

[قلنا : قد جاء فى المخطوطة الحرف الأول من « جنة » على هيئة الحاء العارية من الضبط ، وكتب فى نسخة الشارح بالجيم المكسورة ، والأقرب عندنا أنه بالجيم المضمومة ، والجنة : السترة والوقاية ، ولعله =

يَخْشَى الأُسُودُ عَرَامَتِي ... وَيَبُولُ مِنِّي التَّوْلَبُ (١)
وَلَقَدْ وَضَعْتُ عَلَى سُهَيْلٍ ... مِيسَمًا لَا يَذْهَبُ (٢)
وَإِذَا هَرَبْتُ مِنَ الصِّبَا ... بِهِ لَمْ يَكُنْ لِي مَهْرَبُ (٣)
يَا بَانَ كَدَّرْتِ النَّعِيمَ ... فَلَا أَلَذُّ وَأَلْعَبُ
يَا بَانَ لِي نَفْسٌ عَلَيْكِ ... إِذَا ذُكِرْتِ تَصَبَّبُ
وَاللهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ ... إِنِّي بِبَانَةَ مُعْجَبُ
وَلَقَدْ أَتَانِي أَنَّهَا ... بَاتَتْ عَلَيَّ تَلَهَّبُ (٤)
قَالَتْ : أَتَرْكَبُ تَارِكًا ... أَمْرِي ؟ وَمَالَكَ تَرْكَبُ ؟
قَوْلُ النِّسَاءِ عَلَا بِهَا ... وَلِكُلِّ فَجٍّ عَقْرَبُ (٥)
يَا بَانَ بَعْضُ اللَّاطِفَاتِ ... مِنَ الْخَوَاسِدِ أَكْذَبُ

= يعنى بـ « جُنة مجرد » سهيل بن سالم الذى لجأ إليه حماد مجرد وأفسده على بشار ، ويعنى بشار بقوله « أمرت ... » أنه هجاه وهاجه ، ولعل «المغن» محرف عن « المِفَن » بنقاء الفتحة على الفاء مع كسر الميم ، والمفن : الذى يأتى بعجائب الأمور ، ولعل «المشغب» يبقى على ما فى المخطوطة ، وهو بمعنى المشاغب]

(١) العرامة : الشراسة والأذى ، وفعله على أربعة أضرب كنصر وضرب وكرم وعلم ، والتولب (بفتح التاء وفتح اللام) جحش حمار الوحش .

(٢) سهيل هو سهيل بن سالم مولى بنى سعد ، كان من أشراف البصرة ، وهو صهر موسى ابن صالح من أشراف البصرة ، كان أبو جعفر المنصور نزل فى دار سهيل أيام كان أبو جعفر مستتراً بالبصرة فلما استخلف أبو جعفر ، ولى سهيل السوس وجنديسابور ، ذكره فى الأغانى ، ثم إن المنصور قتله بعد ذلك بالعذاب ، كذا فى الأغانى ، وقد لقبه بشار بالعلج كما فى البيت ١٣ من الورقة ٢٧٢ وهجاه فيها وفى [البيت ١٨ من الورقة] ١٣٥ وفى البيت ٤ من الورقه ١٨٢ بسبب أن سهيلا قد اتصل به حماد عجرد وأفسده على بشار بعد أن كان صديقاً لبشار ، فهجاه بشار ، وقد جمع بين هجائه ومدح سهيل بن عثمان بقوله (يأتى فى الملحقات) :

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما ... على بعد ذا من ذاك فى حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله ... كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

(٣) كتب فى الديوان « وأنا » وهو تحريف صوابه « وإذا » بالذال .

(٤) [تلهب علىّ : تتحرق غضباً علىّ] .

(٥) يقول : لا تأخذى قول النساء فإن طريق الحب لا يخلو عن أذى كما لا يخلو فج عن عقرب ، وقوله « علا » يحتمل أنه بالعين المهملة وأنه بالغين المعجمة .

يَغْرُرْنَ مَنْ أَصْغَى لَهُـنَّ كَمَا يَغُـرُّ الْمُذْهَبُ (١)
فِى النَّاسِ عَائِلَةٌ عَلَيْـكِ وَبَعْضُ أَهْلِكِ يُثْرِبُ (٢)
إِنْ كَانَ حَقًّا مَازَعَمْـنَ فَلاَ صَفَا لِىَ مَشْرَبُ
أَبْرَأْتِ صَدْرَكِ إِنَّنِى قَلِقٌ بِسُخْطِكِ مُتْعَبُ ٨٩
يَابَانَ إِنِّى بِالرِّضَى أُبْلِى إِلَيْكِ وَأَنْصَبُ (٣)
وَأَتُوبُ مِمَّا تَعْلَمِيـنَ كَمَا يَتُوبُ الْمُذْنِبُ
أَنْتِ الْأَمِيرَةُ فِى الْهَـوَى وَأَنَا الْمُسِيءُ الْمُذْنِبُ
يَكْفِيكِ أَنِّى لاَأَعُو دُ، وَهَلْ وَرَاءَكِ مَطْلَبُ ؟

وقال أيضاً (*) :

يَقُولُونَ : فِى أُنْثَى مِنُ انْثَى خَلِيفَةٌ وَقَدْ كَذَبُوا ، بَعْضُ الْأَوَانِسِ تَيْرَبُ (٤)
وَقَدْ كَانَ لِى فِيهِنَّ دَاعِى قَرَابَةٍ وَلَكِنْ ذَوَاتُ الْوُدِّ أَدْنَى وَأَقْرَبُ (٥)

---

(١) المذهب : المموه بالذهب يحسبه الناظر ذهباً .

(٢) عائلة : جائرة ، عال عليه : جار ، ويثرب : يلوم ، أثربه : لامه ، ومنه التثريب .

(٣) [قلنا : ربما كان ضبط « أبلى » بضم الهمزة وكسر اللام ، أى أقدم إليك عذرى وأبينه لك بياناً لا لوم بعده علىّ] .

(*) وقال أيضاً من بحر الطويل .

(٤) التيرب ، مضى فى الورقة ٥٣ [أنه الشرير الساعى بالنميمة] والمعنى أنهم يزعمون أن المحب يسلو حبيبته إذا لها بامرأة أخرى ، قال بعضهم :

زعم ابن سينا فى عقود كلامه أن المحب دواؤه الألحان
ووصال غير حبية من جنسه والماء والصهباء والبستان

إلى أن قال :

فعلمت أن الحب داء مفرط بقراط فيـه كلامه هذيان

(٥) [يعنى بشار أن فى النساء من يربطه بها سبب قرابة ، ولكنه لا يستطيع أن يستغنى بها عن حبيبته ويجعلها خليفتها ، بل يشعر أن ذوات الود أقرب من ذوات القرابة] .

وقال بشار أيضاً (*) :

يَالَيْتَ لِي قَلْباً بِقَلْبٍ يَثِيبْ ... أَوْلَيْتَ لِي حِبّاً بِحُبِّي يُنِيبْ
مَلِلتُ قَلْبِي لَا يُمَلُّ الْهَوَى ... يَاطُولَ إِغْرَامِي بِمَنْ لَايُجِيبْ ! (١)
قَلْبِي وَهَمِّي أَذْهَبَا رَاحَتِي ... فَالنَّفْسُ حَرَّى وَلِعَيْنِي غُرُوبْ (٢)
لَمْ تَرَ مِثْلِي بَيْنَ مِثْلَيْهِمَا ... هٰذَا بِهِ دَاءٌ وَهٰذَا كَذُوبْ (٣)
قَدْ كَلَّفَانِي عَمَلاً خَائِباً ... وَعَامِلُ اللهِ الَّذِي لَايَخِيبْ
لِلّٰهِ دَرِّي لَيْسَ لِي مَنْزَعٌ ... عَنْ حُبِّ سَلْمَى وَهَوَاهَا مُرِيبْ (٤)
لَقَدْ أَرَى سَلْمَى لَنَا جَارَةً ... يَابْنَ سُهَيْلٍ بَيْنَ حَابٍ وَلُوبْ (٥)
كَالْبَدْرِ فِي الْعَيْنِ إِذَا عُطِّلَتْ ... وَفِي الْمَحَلَّى كَالْمَحَلِّ الْقَشِيبْ (٦)
أَرَاجِعٌ أَنْتَ لَنَا مَجْلِساً ... بَيْنَ مُدَامٍ وَسَمَاعٍ مُنِيبْ ؟
يَاحَبَّذَا ذَاكَ عَلَى نَأْيِهِ ... وَحَبَّذَا لَيْلَتُنَا بِالْكَثِيبْ

(*) وقال أيضاً فى النسيب ، وهى من بحر السريع وعروضها مطوية مكشوفة وضربها مطوى موقوف .

(١) النداء للتعجب ، والإغرام تقدم [فى ص ٣٤١ من هذه المطبوعة] .

(٢) الغروب : جمع غرب ، وهو الدلو العظيمة [قلنا : الغروب — هنا — الدموع ، أو عروق فى العين لا ينقطع سقياها ، ولعل المراد بـ « الهم » — هنا — ما يجيل فكره له من الهوى] .

(٣) [« هذا به داء » يعنى القلب ، و « هذا كذوب » يعنى هم الهوى] .

(٤) [منزع : نزوع وكفّ] .

(٥) « حاب ولوب » الظاهر أن « حاب » اسم موضع ، وأما « لوب » فهو اسم جمع « لابة » وهى الأرض المستوية الحرة .

[قلنا : هل يجوز أن يكون « حاب » بمعنى حاجز ومانع ، فهو اسم فاعل ، وأن يكون « لوب » بمعنى : استدارة العطشان الحائم حول الماء لايصل إليه ، فيكون المراد بقول بشار « بين حاب ولوب » أنها بين عطش إلى الهوى يدفعها إلى الحوم حول ورد الهوى ومانع يمنعها أن تصل إليه. ولعل ذلك توجيه جَعْل « هواها مريباً » فى البيت السابق] .

(٦) [قلنا : عطلت : صارت بغير حلىّ ، ولعل « كالمحل » محرف عن « كالمحال » والمحال نوع من الحلى ، يعنى أنها إذا تركت الحلى كانت كالبدر ، وإذا تحلت بحليها كانت كحلى مجلو جديد] .

وقال (*) :

وَكأنَّ نَكْهَتَهَا إذَا نَبَّهْتَهَا ... طِفْلٌ يَلُوكُ بِدُرْدُرَيْهِ سِخَابَا (١)

وقال (*) :

قَمَرُ اللَّيْلِ إذَا مَا انْتَقَبَتْ ... وَهْىَ كَالشَّمْسِ إذَا لَمْ تَنْتَقِبْ
رُبَّمَا بِتُّ بِهَا مُسْتَبْشِرًا ... فى نَعِيمٍ وَتَصَابٍ وَلَعِبْ (٢)

وقال (*) :

ذَكَرْتُ شَبَابِى الَّلذَّ غَيْرَ قَرِيبِ ... وَمَجْلِسَ لَهْوٍ طَابَ بَيْنَ شَرُوبِ (٣)
وبِالحَرَّةِ البَيْضَاءِ أذْكَرَنِى الصِّبَا ... خَيَالٌ وَتَغْرِيدُ الحَمَامِ نَكُوبِ (٤)

(*) وقال : هو من بحر الكامل .

(١) الدردران : تثنيه دردر (بضم الدالين المهملين) وهو مغرز أسنان الصبى ، والسخاب (بكسر السين المهملة) قلادة تجعل من قطع من سكر وقرنفل ، وعند الخاصة من عنبر ، وهو مراده هنا ، يعلقها النساء ، فالطفل يلوكها حين تضعه أمه للرضاعة وتقدم [فى ص ٢٦٧ من هذه المطبوعة]

(*) وقال : هما من بحر الرمل .

(٢) [تصاب . ميل الى لهو وفتنة] .

(*) وقال . هذه القصيدة فى هجاء أبى هشام الباهلى ، وهى من الطويل .

(٣) اللذ (بفتح اللام وبذال معجمة) : اللذيذ ، وشروب (بفتح الشين) اسم جمع لشارب ، مثل شرب . [قلنا : لم تضبط فى المخطوطة الشين من قوله « شروب » والظاهر أنها بضم الشين ، قال اللغويون « الشروب (بضم الشين) : القوم يشربون » وقال ابن سيده « الشروب : جمع شارب ، كشاهد وشهود »] .

(٤) « نكوب » صفة للحمام ، وجاء بها نكرة لأن تعريف « الحمام » تعريف جنس ، والمعرف به فى معنى النكرة ، فتجوز مراعاة معناه ومراعاة لفظه .

[قلنا . ضبط فى المخطوطة « نكوب » مرفوعا بضمة على الباء ، فيكون فى البيت الإقواء من عيوب القافية ، لأن غير هذا البيت من أبيات القصيدة مكسور الباء ، وقد جعل الشارح « نكوب » بالجر مع ما فيه من الضعف والتأويل ، ولا نرى فى البيت ما يستوجب لفظ « نكوب » ، فلعله محرف عن « بلوب » والباء الأولى حرف جر ، و « لوب » بمعنى : حرة وما يكون لأرضها من الحجارة السود ، قال بشر بن أبى خازم يذكر امرأة بعدت :

. . . . لحرة ليلى السهل منها فلوبها

وقد ذكر بشار فى أول بيته « الحرة » فناسبها ذكر « اللوب » فإن الحرة قد تكون « أسفلها بيض وأعلاها سود » فيما ذكره العلماء] .

فَأَرْسَلْتُ دَمْعِي وَاسْتَتَرْتُ مِنَ الْفَتَى ... مَخَافَةَ نَمَّامٍ عَلَيَّ كَذُوبِ
وَقَدْ يَذْكُرُ الْمُشْتَاقُ بَعْضَ زَمَانِهِ ... فَيَبْكِي وَلَا يَبْكِي لِمَوْتِ حَبِيبِ
وَكُنْتُ إِذَا رَاحَتْ عَلَيَّ صَبَابَةٌ ... بَكَيْتُ بِهَا عَنِّي بِرَدِّ نَحِيبِ (١)
فَلِلّٰهِ دَرُّ الرَّائِحَاتِ عَشِيَّةً ... يَزِفْنَ لِذَذْ فَجَّعْنَنِي بِطَلِيبِ (٢)
أَخِي مَرْيُحَنَّا هَلْ فُجِعْتَ بِغَادَةٍ ... كَعَابٍ ؟ وَهَلْ نَاهَزْتَ مِثْلَ نَصِيبِي ؟ (٣)
لَيَالِيَ أَتْرَابُ النِّسَاءِ يَرِدْنَنِي ... جَنًا بَيْنَ رَيْحَانٍ أَغَرَّ وَكُوبِ (٤)
إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي فَتَاةٌ بِمِزْهَرٍ ... عَلَى الرَّاحِ أَوْ غَنَّيْتُهَا بِقَضِيبِ (٥)
فَلَمَّا دَعَانِي الْهَاشِمِيُّ أَجَبْتُهُ ... وَلَا خَيْرَ فِي الْمَمْلُوكِ غَيْرَ مُجِيبِ (٦)
فَأَصْبَحْتُ خِدْنًا لِلْجَوَارِي مِنَ الْجَوَى ... وَأَصْبَحَ وَادِيهِنَّ غَيْرَ عَشِيبِ (٧)
حَسَرْتُ الْهَوَى عَنِّي زَمَانًا وَرُبَّمَا ... لَهَوْتُ وَمَا لَهْوُ الْفَتَى بِغَرِيبِ (٨)

---

(١) [قلنا : فى المخطوطة « عينى » بدلا من « عنى »]

(٢) يزفن : يسرعن ، وَزَفَ يَزِفُ ، والرائحات الحمام .

(٣) مريحنا : « يوحنا » هو يحيى بن زكريا ، و « مار » كلمة لا طينية بمعنى المقدس أو الصالح فى اصطلاح نصارى العرب ، قال الأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ... ومار سرجوس وسما ناقعا

وذكر سيبويه فى « باب الشيئين » اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد (يعنى المركب المزجى) أن نحو « مار سرجس » قد يبنى الجزء الأول منه على الفتح مثل « بعلبك » وأنه يجوز بقاء الجزء الأول على الأعراب بطريق الإضافة ، وعليه فقول بشار « مريحنا » بسكون الجزء الأول ضرورة ، وهو يخاطب نصرانيا ، ولعله اسم طبيب أو خمار

[قلنا : لم تضبط فى المخطوطة الكاف من قوله « كعاب » وضبطها الشارح بالكسر ، والمشهور فتحها . ناهزت : قاربت وبادرت] .

(٤) كتب « يردنى حنا » والصواب « يردننى جنا » .

(٥) المزهر : العود ، والقضيب : المزمار قصبة تثقب ويزمر بها .

(٦) الهاشمى هو المهدى ، أى دعاه لترك الغزل .

(٧) يريد أن يقول أصبحت بعيداً عن الجوارى ، وقوله : وأصبح واديهن . . . الخ تمثيل لخلو ديارهن من غزله بالوادى الخالى من العشب ، ولم يظهر المعنى من قوله « خدنا » .

[قلنا : لعل « خدنا » محرفة عن « جدباً » ، ويقوّى ذلك قوله فى آخر البيت « غير عشيب » وبشار يستعمل فى مقام الهوى والجوى ألفاظ « الجدب » و « الخصب » و « العشيب » ونحوها (انظر ص ١٨٠ وص ٢٠٣ وص ٢٢١ وص ٢٢٢ من هذه المطبوعة . وفى المخطوطة « فأصبح » بدلا من « وأصبح » التى فى نسخة الشارح] .

(٨) [حسرت : كشفت] .

فَيَالَكِ أَيَّامًا سُلِبْتُ نَعِيمَهَا ! وَيَالَكَ دَهْرًا فَاتَنِى بِلَقِيبِ ! (١)
عَلَى زَيْنَبٍ مِنِّى السَّلَامُ وَمِثْلُهُ عَلَى شَجَنٍ بَيْنَ الصَّبَا وَجَنُوبِ
فَهَذَا أَوَانٌ لَا أَعُوجُ عَلَى الصِّبَى سَمِعْتُ لِعُذَّالِى وَنَامَ رَقِيبِى (٢)
وَقَدْ جَاءَنِى مِنْ بَاهِلِىٍّ يَسُبُّنِى فَأَعْرَضْتُ إِنَّ الْبَاهِلِىَّ جَنِيبِى (٣)
وَقُلْتُ بِدَعْوَى عَامِرٍ : يَالَ عَامِرٍ أَيَشْتُمُنِي الزِّنْجِىُّ غَيْرَ دَبِيبِ ؟ (٤)
دَعُونِى وَإِنِّى مِنْ وَرَائِى مُعَضَّدٌ كَفَيْتُكُمْ رَاىَ أُمَّتِهِ بِذَنُوبِ (٥)
إِذَا شَبِعَ الزِّنْجِيُّ سَبَّ إِلٰهَهُ وَأَلَّبَ مِنْ زِنْجٍ عَلَىَّ وَنُوبِ (٦)
أَوَائِلُ قَدْ قَرَّبْتِ غَيْرَ مُقَرَّبٍ وَنَاسَبْتِ كَلْبًا كَانَ غَيْرَ نَسِيبِ (٧)
بَنِي وَائِلٍ إِنَّ الصَّغِيرَ بِمِثْلِهِ كَبِيرٌ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمُهِيبِ

---

(١) الكلمة الأخيرة كتبت بدون نقط للحرف الأول ، وشكلت الكلمة التى قبلها « فاتنى » بفتح التاء على أنها فعل من الفوت بمعنى السبق والغلب ، يقال : فاته إذا غلبه ، قال رويشد الطائى :

فما على بذنب منكمو فوت

فيكون الحرف الأول باء موحدة ويكون فى موضع القاف من « لقيب » غين معجمة « فاتنى بلغيب » أى غلبنى بسبب سهم لغيب ، واللغيب السهم الفاسد الريش ، ويحتمل أن التاء من قوله « فاتنى » مكسورة على أنه أمر من أتى ، فيكون الحرف الأول من الكلمة الأخيرة بلقيب باء موحدة ، ويكون فى موضع القاف عين مهملة « فأتنى بلعيب » أى بمن ألاعبه .

(٢) « لا أعوج » أى : لا أقيم ولا أعرج ، وقوله « أوان » المختار أن يكون مفتوحاً مضافاً إلى الجملة بعده ، لأنها جملة فعلية ، فالأفصح فى إضافة الظرف إليها البناء على الفتح ، والظرف وجملته فى موضع الخبر لاسم الإشارة ، ويجوز رفعه على الخبرية لاسم الإشارة ، وفعل « ونام » أى استراح .

[قلنا : ماذكره الشارح من اختيار الفتح فى « أوان » لأنه مضاف إلى جملة فعلية . . . إلخ لا نرى أنه على إطلاقه ، بل يختار الفتح فى المضاف إلى جملة فعليـة فعلها مبنى ، وأما الجملة الفعلية التى جاء فعلها معربا — كما هنا — فلا يختار الفتح]

(٣) [جنيبي — هنا بمعنى : مجنوبى]

(٤) كتب « دبيب » بدال مهملة ، ولم يتضح له معنى ، ولعله تحريف « ربيب » ، أى غير ذى نسب فى باهلة ، بل هو دعى .

(٥) [قلنا : ربما كان « راى » محرفاً عن « رى » (بتشديد الياء دون ألف) وهو مصدر للفعل « روى » ، يقال : رآها عطشى فرواها ريا ، والذنوب : الدلو الملأى (وانظر ص ٢٦٣ من هذه المطبوعة)]

(٦) كتب فى الديوان « وثوب » والصواب « ونوب (بالنون) اسم جمع نوبي .

(٧) ينادى قبيلة وائل الذين منهم باهلة .

عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ فَاتَّقُوا ... جِنَايَةَ عَبْدٍ وَاسْعَدُوا بِقُلُوبِ [(١)]
صَغِيرُ الْأَذَى يَدْعُو كَبِيرًا لِأَهْلِهِ ... وَتَفْتَضِحُ الْقُرْبَى بِذَنْبِ قَرِيبِ [(٢)]
أَرَى خَلَقًا قَدْ شَابَ قَبْلَ جِنَايَةٍ ... فَهَلاَّ وَهَبْتُمْ قَلْبَهُ لِمَشِيبِ [(٣)]
لَحَا اللهُ قَوْمًا وَسَّطُوا الْكَلْبَ فِيهِمُ ... شَتِيمَ الْمُحَيَّا عَاشَ غَيْرَ أَدِيبِ [(٤)]
سَرُوقًا لِمَا لاَقَى طَرُوبًا إِلَى الزُّبَا ... وَهَلْ تَجِدُ الزِّنْجِيَّ غَيْرَ طَرُوبِ [(٥)]
إِذَ حَزَّ فِيهِ النَّصْلُ حَزَّ عِجَانَهُ ... فَرَاحَ بِأَيْرٍ لِلْفُضُوحِ مُثِيبِ [(٦)]
فَيَا عَجَبًا لاَ يَتَّقِي الزِّنْجُ شِرَّةً ... وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ عِنْدَ هُبُوبِ ٩١
أَقُولُ وَقَدْ نَاكَ الْخَلِيقُ بَنَاتِهِ ... وَأَخْفَى بَنُوهُ أُمَّهُمْ بِرُكُوبِ :
بَنِي خَلَقٍ مَا أَحْلَمَ اللهُ عَنْكُمُ ... عَلَى خَبَثَاتٍ فِيكُمُ وَذُنُوبِ !
أَرَاكُمْ أُنَاسًا سَمْنُكُمْ فِي أَدِيمِكُمْ ... مَجَنْتُمْ فَلاَ تَسْتَغْفِرُونَ لِحُوبِ [(٧)]
كَأَنَّكُمُ لَمْ تَسْمَعُوا بِقِيَامَةٍ ... وَلَمْ تَشْعُرُوا فِي دِينِكُمْ بِحَسِيبِ
أَفِيقُوا بَنِي الزِّنْجِيِّ إِنَّ سَبِيلَكُمْ ... سَبِيلُ أَبِيكُمْ لَحْمُهُ لِكُلُوبِ [(٨)]

(١) « على أهلها تجنى براقش » مثل قديم ، و « براقش » اسم كلبة لقوم من العرب أغار عليهم عدوهم فهربوا ومعهم كلبتهم فكانت تنبح فاستدل عدوهم عليهم بنباح الكلبة ، وقيل : ثم قتلوا الكلبة فلذلك يقال : على نفسها تجنى براقش ، يضرب مثلا لمن يعمل عملا يعود بالضرر عليه أو على ذويه .

(٢) [يعنى بقوله : « صغير الأذى يدعو كبيراً لأهله » أن الأذى الصغير قد يسوق عمله إلى أهله أذى كبيراً] .

(٣) « خلق » لقب لأبى هشام ، ويقال له « خليق » وقوله « قلبه » لعل صوابه « ثلبه »

(٥) [شتيم المحيا : كريه الوجه] .

(٥) [ربما كان « الزبا » محرفاً عن « الزنا »]

(٦) [قلنا : لعل « خزّ » (بالخاء المعجمة) أقرب إلى معنى الطعن بالنصل والانتظام بالسهم ، ولعل « عجانه » بالنصب على المفعولية ، أو ربما كانت الجملة فى الأصل « حز عجانُه »]

(٧) « سمنكم فى أديمكم » أى فى عكة السمن ، وهى من جلد ، وهذا مثل يعنى أن شئونهم يقوم بها بعضهم لبعض من غير حاجة إلى أجنبى ، وعامتنا تقول : جلدهم فى دقيقهم [قلنا : المثل المضروب عند العامة فى مصر : « زيتكم فى دقيقكم »] ، وأراد بهذا التعريض رميهم بالفاحشة مع أقاربهم [مجنتم : قل حياؤكم ولم يكن لأقوالكم وأفعالكم حد ولا تقدير . حوب : إثم]

(٨) [قلنا : الظاهر جعل « كلوب » جمعاً لـ « كلب » ، وهو جمع غير بعيد ، وإن كنا لم نره فى كثير من كتب اللغة التى بأيدينا]

وَمَوْلَى أَبِيكُمْ فَاطْرَحُوهُ لِأَكْلُبٍ ... وَلَا يُدْفَنُ الزِّنْجِيُّ بَيْنَ رُبُوبِ (١)

وَنُبِّئْتُ فِزْرًا قَلْطَبَانَ نِسَائِهِ ... ضَرُوبًا عَلَى أَسْتَاهِهِنَّ بِطِيبِ (٢)

وَقَدْ نَاكَ فِزْرًا كُلَّمَا غَيْرَ مَرَّةٍ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ قَاءَهَا بِشَبِيبِ (٣)

لَحَا اللهُ فِزْرٌ ، مَا أَضَلَّ مَكَانَهُ ... وَأَعْجَبَهُ قَدْ فَاقَ كُلَّ عَجِيبِ !

إِذَا قُلْتَ : مَنْ فِزْرٌ ؟ أَجَابَكَ قَائِلٌ : ... شَرِيكُ أَبِيهِ فِي اسْتِ أُمِّ حَبِيبِ

أَلَا أَيُّهَا الْعَادِي وَلَمْ أَقْضِ نُسْخَتِي ... يُعَاتِبُنِي فِي الْجُودِ غَيْرَ مُصِيبِ (٤)

قَعِيدَكَ أَنْ تَنْهَى امْرَءًا عَنْ طِبَاعِهِ ... يَجُودُ وَيَغْدُو نَاصِبًا بِعَتِيبِ (٥)

---

(١) [ربوب : جمع رب ، وهو السيد والمالك]

(٢) « فزر » (بفاء فزاى فراء) لقب لأبى هشام الباهلى ، كما يأتى لجامع الديوان فى عنوان القصيدة الآتية عقب هذه ، وقد ضبط فاءه فى الديوان فى البيت العاشر وفى البيت السادس عشر بكسر الفاء ، باسم ولد النمر والبر ، والأنثى بهاء . وممن لقب بالفزر سعد بن زيد مناة بن تميم من أهل الجاهلية وهو المعنى بالمثل : لا آتيك معزى الفزر ، انظر الأمثال ، ومن شعر حسان بن ثابت فى هجاء ثقيف :

عبد الفزر أورثه بنيه ... وولى عنهم أخرى الليالى

(انظر ص ٧٦ جزء ٤ من الأغانى) ومن شعر الفرزدق :

وإنى من القوم الرقاق نعالهم ... ولست بحمد الله والدى الفزر

فانظر من عنى بالفزر ، وفى الأغانى أنه كان فى جند أبى دلف رجل يقال له الفزر (انظر ص ١٥٦ جزء ١٧) . والقلطبان (بفتح القاف) الديوث [الذى لا غيرة له على حريمه] ويقال : قرطبان [وكلتبان] .

(٣) [قلنا : ربما كانت « قاءها » محرفة عن قادها] .

(٤) انظر معنى المصراع الأول ، ولعل صوابه : ألا أيها الغادى .

[قلنا : لعل فى شرح الشارح للبيت ما يفيد أن « نسختى » محرفة عن « نهمتى »] .

(٥) « قعيدك » قسم بمعنى أتوسل إليك ولم أقض نهمتى ، تقول العرب : قعيدك أن تفعل ، والقعيد : يحتمل أن يكون بمعنى المبالغة فى القعود ، أى قاعداً عندك ملازماً لك لا أبرح حتى أنال ماسألت ، فالقعيد فيه بمعنى الملازم ، كقوله تعالى : عن اليمين وعن الشمال قعيد ، فيكون منصوباً على الحال من العامل المحذوف الذى دل عليه سياق القسم ، والتقدير : أتوسل إليك قعيدك ، ويكون « أن تفعل » مفعولا للعامل المحذوف . وقيل « القعيد » هنا كناية عن الرقيب ، والمقصود به الله سبحانه ، فيكون نصبه بفعل محذوف تقديره : أذكر لك رقيبك أى اسمه ، أى أقسم به ، أو تقديره أنشدك ، أو هو منصوب على التحذير ، أى احذر ربك ، أى احذر غضبه إذا منعت ، ويضاف هذا اللفظ إلى ضمير مناسب للمخاطب ، قال متمم بن نويرة :

قعيدك أن لا تسمعينى ملامة ... ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا

ومن قال « إن قعيدك مصدر » فقد أخطأ ، إذ لا يستقيم ذلك لفظا ولا معنى . ولما استعملوه بمعنى القسم تناسوا أصله ، فربما قالوا قعيدك الله بنصب قعيدك ونصب اسم الله على البداية ، قال الفرزدق :

قعيدكما الله الذى أنتما له ... ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

=

بَدَأْتَ بِنُوكٍ وَانْثَنَيْتَ بِجَهْلَةٍ ... وَمَا طَاعَتِي إِلاَّ لِكُلِّ لَبِيبِ
سَأَرْعَى الَّذِي يَرْعَى مِنَ الذَّنْبِ غَادِياً ... وَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ دَسِيسٍ مُرِيبِ
لِفِزْرٍ صَنِيعُ الْقَلْطَبَانِ بِأُخْتِهِ ... فَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ بِظَهْرِ مَغِيبِ
كَسُوبٌ بِأُخْتَيْهِ وَقَيْنَةِ تَاجِرٍ ... وَمَا كَانَ فِي كُتَّابِهِ بِكَسُوبِ
إِذَا هُوَ لاَقَى أُمَّهُ دَبَّ ابْنُهَا ... تَوَلَّى بِأَيْرٍ لِلَّوَاطِ خَضِيبِ

وقال للفزْرِ المُعَلِّمِ أيضاً(*) :

لَقَدْ وَدَّعَتْ حُبِّي وَهَامَ رَقِيبِي ... وَأَصْبَحَ وَادِي اللَّهْوِ غَيْرَ عَشِيبِ
تَرَكْتُ لِوَجْهِ اللهِ فِزْرًا فَقُلْ لَهُ : ... عَتَقْتَ وَلَكِنْ كَيْفَ أُمُّ حَبِيبِ ؟(١)
وَجُنَّ فُرَيْخُ الزِّنْجِ بَلْ جُنَّتِ ابْنَتُهُ ... فَأَصْبَحْتُ دَلاَّقاً لَهُ بِطَبِيبِ(٢)
شَتَمْتُ فُرَيْخَ الزِّنْجِ عِرْضِي خَسَارَةً ... فَإِنْ كُنْتُ كَعْبِيًّا وَكُنْتَ حَبِيبِي(٣)

= وربما اختصروا فقالوا « قعدك » بفتح القاف وبكسرها وسكون العين ، وقعدك الله أيضاً ، ويجوز في قعدك على هذا الوجه اعتبار المصدرية مثل عمرك الله ، وهو ضعيف ، لا سيما على لغة كسر القاف ، والأحسن ما قدمته له ، فاحتفظ به ، وبغيره لا تأبه .

(*) وقال أيضاً للفزر المعلم :

هو أبو هشام الباهلي ، والفزر [ويتبين اشتغاله بالتعليم من قول بشار في أواخر القصيدة السابقة : وما كان في كتابه بكسوب] .

والقصيدة من بحر الطويل ، عروضها مقبوضة ، وضربها محذوف.

(١) « عتقت » بفتح العين والتاء مطاوع أعتقه ، ولا يقال « عُتق » بالبناء للمجهول ، إذ ليس هنالك « عتقه » متعديا ، بل المتعدى هو « أعتقه » المهموز .

[قلنا : الظاهر من هذه القصيدة والتى قبلها وشعر بشار في هجاء أبي هشام الباهلي أن « أم حبيب » هي أم أبي هشام] .

(٢) الدلاق : الكثير الصلت للسيف ، يقال دلق السيف يدلقه : أخرجه من غمده [وفي الكلام استعارة تناسب الإفحاش في الهجاء]

(٣) [قلنا : عجز البيت هكذا :

لأَنْ كُنْتُ كَعبيًّا وكُنتَ جَنِيبي

لأن بشاراً كعبي كما سيأتي في شرح البيت التالي ، ولأن بشاراً يذكر أن أبا هشام الباهلي جنيبه حين يسبه ويشتمه ، كما سبق في بيته من القصيدة السابقة :

وقد جاءني من باهلي يسبني ... فأعرضت إن الباهلي جنيبي]

لَقَدْ وَقَعَ الكَعْبِيُّ نَارًا بِمِيسَمٍ　　عَلَى اسْتِ أَبِيكَ العَبْدِ بَعْدَ شَبِيبِ (١)
رَأَى ابْنُ خُلَيْقٍ طَعْنَتِي فِي اسْتِ أُمِّهِ　　فَرَاحَ يُغَطِّيهَا وَذَمَّ قَضِيبِي
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ فَارَقَتْ وَجَحَدْتَهَا　　فَلَا تَشْتُمَنِّي ، بِاسْتِ أُمِّكَ حُوبِي (٢) ٩٢
رُوَيْدَ ابْنَ زَنْجِيِّ العَشِيرَةِ إِنَّمَا　　دَعَاكَ إِلَى شَتْمِي خِيَانَةُ حِيبِ (٣)
فَخَرْتَ بِرَأْسٍ مِنْ أَبِيكَ مُفَلْفَلٍ　　عَلَيْنَا وَبَرْصَاهُ العِجَانِ لَعُوبِ
فَيَا عَجَبًا مِنْ بَاهِلِيٍّ يَسُبُّنِي　　مَطِيَّةِ كِنْدِيرٍ قَرًى وَأَرِيبِ (٤)
لَقَدْ مَاتَ كِنْدِيرٌ فَأَبْكَاكَ مَوْتُهُ　　فُجِعْتَ بِأَيْرٍ كَالشُّوَاظِ صَلِيبِ (٥)
تَسَرَّقْتَ شِعْرِي فَاكْتَسَبْتَ بِهِ الغِنَى　　وَمَا كَانَ لَقَّاطُ النَّوَى بِكَسُوبِ (٦)
أَلَا قُلْ لِعُزَّابِ البُصَيْرَةِ : أَقْبِلُوا　　بِحَاجَتِكُمْ مِنْ نَازِحٍ وَقَرِيبِ
بَنَاتُ خُلَيْقٍ مُلْجَمَاتٌ مُعَدَّةٌ　　إِذَا القَوْمُ رَاحُوا سُرِّحَتْ لِرُكُوبِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْطَيْتَ عِرْسًا مُرِيبَةً　　وَقَدْ يَقْطَعُ الهَمَّ الفَتَى بِمُرِيبِ
جَزُورًا لِأَيْسَارِ الجَزُورِ سَمِينَةً　　وَنَفَّاعَةً تَجْنِي الفَتَى بِذَنِيبِ

(١) أراد بالكعبي نفسه ، لأنه مولى بنى عقيل بن كعب . وكتب فى الديوان « وقع » بالقاف ، ولعله « وضع » بالضاد المعجمة .

(٢) [حوبى : إثمى] .　　(٣) الحيب : ما يتأثم منه .

[قلنا : لعل بشاراً استعمل «الحيب» بمعنى الحيبة أو اسم جنسى جمعيا للحيبة ، فيكون المراد — كما قال ابن السكيت — : كل حرمة تضيع من أم أو أخت أو بنت أو غير ذلك من كل ذات رحم] .

(٤) أريب فعيل بمعنى مفعول من أرب بالشىء إذا علق به .

(٥ ـ ٦) كتب فى الديوان كندى فى الموضعين ولعله تحريف كندير وهو اسم رجل نبز به الباهلى فى مواضع (انظر البيت ٢١ من الورقة ٢٠٥ والبيت ١٥ من الورقة ٢١٢ والبيت ٦ من الورقة ٨) .

(٧) الجزور : الناقة التى جزرت (أى قطعت) أقساما ، فهى فعول بمعنى مفعول ، والأيسار : جمع يسر (بفتح الياء وفتح السين) وهو المقامر بالميسر ، وهى عشرة قداح ، ولهم فى ذلك طرق مذكورة فى كتب أدب العربية ، لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها　　بمغالق متشابه أجسامها

وأراد بشار هنا أن هذه المرأة يتعاورها الفجار كما تتعاور جزور الأيسار .

[قلنا: فى المخطوطة «بدنيب» وفى نسخة الشارح «بذنيب» ، والظاهر أن تكون الكلمة «بدبيب» والدبيب : المشى على تمهل واستخفاء ، فإن كان ذلك لغير الشيخوخة فالأغلب فيه أنه لأمر سوء ، وقد ذكر الراغب فى محاضرات الأدباء (ج١ص ١١٥) فصلا فى «الدبيب» داخلا فى حد « المجون والسخف » ومنه قول محمد بن زياد : أين شهوة الدبيب ولذة المسارقة والانتظار الخفى ؟] .

فأمّا فريخَ الزِّنجِ حينَ عرفتها ... صَديقًا لِزِنجِ القَرْيَتَيْنِ وَنُوبِ (١)
أخذتَ لإخوانِ الصَّفاءِ مِن اسْتِها ... نَصِيبًا فَخُذْ لِي فِي اسْتِها بنَصِيبِ
سأُعطيكَ ما يُعطي الفتى مِن تِلادِهِ ... بِعَضْدٍ وَإنْ كانتْ فُضُوحَ ذُنُوبِي (٢)
بَنِي خَلَقٍ يُخْزِيكُمُ اليَوْمَ وَالِدٌ ... دَعِيٌّ أحَمُّ اللَّوْنِ غَيْرُ نَجِيبِ (٣)
مَوارِيثُهُ مَعْرُوفَةٌ فِي وُجُوهِكُمْ ... مَناخِرُهُ وَالرَّأْسُ غَيْرُ كَذُوبِ
تعزَّ لَها يا ابنَ الخُلَيْقِ فإنَّها ... مَوارِيثُ زِنْجِيٍّ جَرَتْ بِعُيُوبِ
لَحا اللهُ أبناءَ الخُلَيْقِ فإنَّهُمْ ... خَنازِيرُ حَشٍّ سُخِّرَتْ لِسُرُوبِ (٤)

وقال أيضاً (*) :

يَا وَيْحَ حَمَّادٍ ، أمِنْ نَظْرَةٍ ... رَاحَ أسِـــيرًا غَيْرَ مَجْنُوبِ ؟ (٥)

---

(١) كتب فى الديوان الـكلمة الأخيرة بثاء مثلثة ، وصوابه بالنون بدل المثلثة ، اسم جمع نوبى ، وهم زنوج سودان مصر .

[قلنا : لا يظهر معنى الشرط والتفصيل فى « فأما » ، فربما كانت « أما » من كلمتى « أن » المصدرية و « ما » المزيدة عوضاً من « كان » . والمعنى لأن كنت يا فريخ الزنج قد عرفت عرسك صديقاً للزنج والنوب أخذت . . . الخ ، وربما كانت « فأما » محرفة عن « فأنت » أو نحوها ، وقد ضبط « فريخ » فى المخطوطة بضمة على الخاء ، و « صديق » توصف به المرأة كما يوصف به الرجل] .

(٢) [قلنا : لعل « بعضد » محرفة عن « بعصد » (بالصاد المهملة) والعصد : الجماع أو المنى] .

(٣) أحمّ : أسود] .

(٤) الحش (بضم الحاء وفتحها وكسرها) هو فى الأصل اسم البستان ، ويطلق أيضاً على موضع جمع أزبال الآدميين والسرقين ، وفى البصرة حشوش كثيرة اشتهرت بها ، والخنازير تقتات الزبل .

(*) وقال أيضاً :

هى فى هجاء حماد عجرد يرميه بمحبة الغلمان ، والظاهر أن المقصود بذلك تنفير الـكبراء من أن يعهدوا إليه بتعليم أولادهم ، لقوله فيها :

يهذى بخشف مؤنق مشرق ... مقابل الجـدين منسوب

أى من أشراف الناس أماً وأباً ، ولعل بشاراً يعنى به ولد الربيع الحاجب الذى عهد الربيع بتعليمه إلى حماد ، وكتب له بشار رقعة فيها الأبيات التى أولها :

يا أبا الفضـل لا تنم ... وقع الذئب فى الغنم

وهى مذكورة فى الملحقات ، أو بعض ولد الأمير العباس بن محمد الذى عهد إلى حماد بتعليمه ، كما فى كتاب الـكنايات للثعالبى [ص ٢٦] فقال فيه بشار [بيتين أولهما] :

قل للأمير جزاك الله صالحة ... لا يُجمع الدهرَ بين السخل والذيب

وسيأتيان فى الملحقات .

وهى من السريع [وعروضها مطوية مكشوفة ، وضربها أصلم] .

(٥) « المجنوب » الذى يمشى بجانب الفرس أو البعير ، وكانوا يقودون الأسرى بجانب الرواحل ، =

لِلّهِ مَا رَانَ عَلَى قَلْبِهِ   مِنْ سَاحِرِ الْمُقْلَةِ مَشْبُوبِ !

كَأَنَّهُ هَارُوتُ يَوْمَ اغْتَدَا   يُدِيرُ عَيْنَيْهِ بِتَقْلِيبِ (١)

أَغَنُّ أَحْوَى لَانَ فِي رِقَّةٍ   يَخْتَالُ فِي الْخَزِّ وَفِي الطِّيبِ (٢)

بَدَا لِحَمَّادٍ فَأَبْدَى لَهُ   شُغْلاً عَنِ الدِّرْيَاقِ وَالْكُوبِ

قَادَ النَّبَاطِيَّ إِلَى حَتْفِهِ   نَظْرَةُ عَيْنٍ شَطْرَ مَحْبُوبِ

لَمَّا رَأَى مَا عِنْدَهُ مُعْجِبًا   حَنَّ إِلَيْهِ غَيْرَ تَعْيِيبِ

يَهْذِي بِخِشْفٍ مُؤْنِقٍ مُشْرِقٍ   مُقَابَلِ الْجَدَّيْنِ مَنْسُوبِ (٣) ٩٣

يَخْتَلِسُ الْقَلْبَ بِإِبْرَامِهِ   مِنْهُ وَإِطْمَاعٍ وَتَجْنِيبِ (٤)

مُبَتَّلُ الْخَلْقِ هَضِيمُ الْحَشَا   ذُو شَعَرٍ كَالْكَرْمِ غِرْبِيبِ (٥)

أَمْرَدُ كَالْمَأْثُورِ حِينَ اسْتَوَى   لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ عَلَى حُوبِ (٦)

يَمْشِي إِذَا رَاحَ بِرَمَّاغَةٍ   لَجَّتْ بِإِصْعَادٍ وَتَصْوِيبِ (٧)

= والمعنى أنه راح أسيراً فى الحب ولكن لا رفيق له ، وشأن الأسير أن يكون له رفيق ، وهو حارسه الذى يسايره .

[فى المخطوطة : « مجبوب » بدلا من « مجنوب »] .

(١) [قلنا : ذكر « هاروت » فى هذا البيت يشير إلى سحره الرائع فى إدارة عينيه ، كما ذكر بشار « هاروت » ليشير به إلى سحر الحديث فى قوله :

وكأنّ تحت لسانها   هاروت ينفث فيه سحرا]

(٢) [شبهه بظبي أغن ، فى ترنينه غنة ، وهى ترخيم فى صوته من نحو الخياشيم يعون من نفس الأذنف ، والأحوى : الشاب الذى يزينه شعره الأسود] .

(٣) الخشف (بكسر الخاء ويجوز فيها التثليث) ولد الظبية ، أراد به بشار ولداً صغيراً ، والمؤنق (بالهمز) المعجب ، والمقابل (بفتح الباء الموحدة) كريم النسب من جهة أبويه . يشير بشار إلى أحد الغلمان الذين كان يعلمهم حماد ، فإنه كان مؤدباً .

(٤) الإبرام (بكسر الهمزة) الإملال من دلال وغيره ويطمعه ثم يصد عنه .

(٥) المبتل (بفتح التاء المشددة) الذى فى أعضائه استرسال وتناسب ، وامرأة مبتلة ، مشتق من البتل وهو الانقطاع ، أى أن الحسن بتل لها أى اختص بها [كأنها بُتِّل حسنها على أعضائها ، أى قطع] والكرم : العنب [وغربيب : شديد السواد] وهذا يدل على أن معظم أعنابهم كانت من الأسود .

(٦) المأثور : السيف البديع الحديد ، وهى سيوف نفيسة دعوها بالمأثور لاعتقادهم أن الجن صنعتها وأثرت عنهم .

(٧) الرماغة : كثيرة الرمغ ، رمغ (كمنع) : حرك .

[قلنا : المعروف فى كتب اللغة والأدب « الرماعة » (بالعين المهملة) وهى : الاست ، وما يتحرك من يافوخ الصبي فى أوان رضاعه ، ولعل المراد هنا أول هذين المعنيين] .

وخصِيَّةٍ في حُسْنِ ياقُوتَةٍ سِيقَتْ إلى أصْيَدَ مَحْجُوبِ (١)
يَقُولُ حَمَّادُ إذا مَا نَأى : يارَبِّ فَرِّجْ كَرْبَ مَكْرُوبِ
حَمَّلْتَنِي الشَّوْقَ وبَاعَدْتَنِي مَا هَكَذَا الرَّبُّ لِمَرْبُوبِ
رَضِيتُ مِيعَادَكَ يَاسَيِّدِي إنْ لَمْ يَكُنْ مِيعَادُ عُرْقُوبِ (٢)

وقال أيضا لعمر بن حَفْص بن هزارمَرْد يَرْثِيه (*) :

مَابَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ حُرِبَتْ وأنْتَ بِدَمْعِهَا مَحْرُوبُ (٣)

---

(١) أصيد : الملك ، ومحجوب : عظيم الحجاب لعظمته ، أى كأنها ياقوتة تهدى إلى ملك :

(٢) « ميعاد عرقوب » و « مواعيد عرقوب » يضرب مثلا للخلف وطول المطل مع الخيبة ، وعرقوب : اسم رجل من عمالقة خيبر ، أو من أهل يثرب من الأوس ، كان ذا نخل ومال لجاءه أخوه يسأله ، فقال له عرقوب : إذ أطلعت هذه النخلة فلك طلعها ، فلما أطلعت قال له : دعها حتى تبلح ، فلما أبلحت قال له : دعها حتى ترطب ، فلما أرطبت قال له : دعها حتى تتمر ، فلما أتمرت ونضج تمرها سرى إليها عرقوب ليلا لجذها ولم يعط أخاه منها شيئاً ، فضربت العرب بوعده المثل ، قال علقمة الأشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

روى « يثرب » بالثاء المثلثة ، وروى « يترب » بالمثناة الفوقيـة ، اسم بلد بخيبر للعمالقة ، وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلا الأباطيـل

وقال المتلمس يهجو عمرو بن هند :

من كان خلف الوعد شيمته والغـدر عرقوب له مثل

[قلنا : قد ضبط « ميعاد » بالضمه مرفوعاً فى المخطوطة ونسخة الشارح ، ولو ضبط بالفتحة خبراً لقوله « يكن » لـكان أظهر] .

(*) وقال لعمر بن حفص بن هزار مرد يرثيه :

كتب فى الديوان « عمرو » بفتح العين ، وكذلك كتب اسمه فى أبيات القصيدة ، وكتب فيه أيضاً « ابن هزا مرد » ، وفيه خطآن ، والصواب أنه « عُمر » بضم العين وأنّ « هزار مرد » براء بعد الألف كما سيأتى ، وهو عُمر (بضم العين) بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة العتكى ، من بنى عَتِيك ، فَخِذ من الأزد ، من آل أبى صفرة ، كان والياً للمنصور على السندوعلى إفريقية ، وكان يلقب بهزَارَ مَرْد ، ومعناه بالفارسية ألف رجل ، وكان ممن وجههم المنصور لقتال محمد النفس الزكية سنة ١٤٥ وقتل خارج القيروان سنة ١٥٤ ، قال الجاحظ : كان عمر هذا خطيباً ، وذكر الجاحظ بعض هذه القصيدة (انظر صفحة ١٩٦ ج ١ وصفحة ٢٢٢ ج ٢ من البيان والتبيين) .

والقصيدة من بحر الـكامل ، عروضها صحيحة وضربها مقطوع ، وفى المصراع الأول زحاف الإضمار فى « مسكوب » إذ سكن ثانى « فعلاتن » . [وكذلك جاء الإضمار فى غير المصراع الأول من هذه القصيدة ، ودخول الإضمار فى « الـكامل » حسن] .

(٣) روى فى البيان « فأنت بنومها » ، وروى أيضاً « سهرت فأنت بنومها » .

وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ تَزَلْ   تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ
إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا   يَوْمَ ابْنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبُ
لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يَحِيرُ لِسَانُهُ   وَلَقَدْ يَحِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ (١)
غَلَبَ العَزَاءُ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالأَسَى   إِنَّ العَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ (٢)
يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ   لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ (٣)
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ المَنَابِرِ قَائِمًا   يَوْمًا وَأَخْرَبَ إِذْ تَشُبُّ حُرُوبُ (٤)
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي المَقَابِرِ ثَاوِيًا   عُمَرٌ وَشُقَّ لِوَاؤُهُ المَنْصُوبُ (٥)
وَبَكَيْتِ إِذْ بَكَتِ العَتِيكُ لِبَدْرِهَا   أَوْدَى فَبَدْرُ سَمَائِهَا مَسْلُوبُ
يَا وَيْحَ فَاطِمَةَ الَّتِي فُجِعَتْ بِهِ   وَتَشَقَّقَتْ مِنْهَا عَلَيْهِ جُيُوبُ (٦)
إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذْ تَضَمَّنَهُ الثَّرَى   أَنْ سَوْفَ تَكْمَدُ بَعْدَهُ وَتَذُوبُ
وَظَلِلْتُ أَنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ   عُمَرًا وَجَلَّ هُنَالِكَ المَنْدُوبُ (٧)
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّنَا   بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبًا وَجَنُوبُ

---

(١) يحير : يَرُدُّ ويرجع ، يقال : حار جوابه ولم يحر جواباً .

[قلنا : لم يظهر فى المخطوطة ضبط الياء الأولى من « يحير » فى الموضعين ، وضبطها الشارح بالفتح فيهما وجعل اللفظ مضارعاً لـ « حار » الثلاثى اليائى العين . والذى نراه أن تضبط الياء الأولى من « يُحير » بالضمة ، فتكون الكلمة على وزن « يُجيب » المذكورة فى آخر البيت ، وهى مضارع « أحار » الواوى العين المزيد بالهمز ، ففى أساس البلاغة : « ما أحار جواباً أى ما رجع ، قال الأخطل : ولقد سألت فما أحرن جوابا » ، وفى القاموس وشرحه . « ما أحار إلىَّ جواباً : ما ردّ ، وكذا : ما أحار بكلمة » ، وفى النهاية : « فلم يُحرْ جواباً أى لم يرجع ولم يرد »] .

(٢) غُلب : [كتب بفتح الغين واللام فى المخطوطة ونسخة الشارح ، والصواب أنه بضم الغين وكسر اللام ، لأنه يريد أن العزاء مغلوب كما فى عجز البيت وكما ضبط فى ص ١٧٥ من هذه المطبوعة] والعزاء . الصبر ، ومعنى غلب أن الجزع غَلَبَ الصبر .

(٣) [الضريب : المثيل] .

(٤) روى « وأحزم إذ تشب » فى البيان للجاحظ .

(٥) كتب « إذا قيل » ، والصواب « إذْ ... » كما هو فى البيان للجاحظ صفحة ٢٢٢ جـ ٢ .

(٦) فاطمة : زوجة عمر بن حفص ، لقوله « فجعت به » ولو كانت أمه لقال « ثكلت به » .

(٧) « سيف آل محمد » لقائد الجيوش فى صدر الدولة العباسية ، فقد لقب أبو سلمة الخلال بوزير آل محمد ، ولقب أبو مسلم الخراسانى أمير آل محمد ، فعمر بن حفص سيف آل محمد .
[فى المخطوطة : « فظللت » بدلا من « وظللت »] .

وقال يهجو مِنْجاباً (*) :

لَا تَحْمَدَنَّ أَبَا حَرْبٍ بِأُسْرَتِهِ ... قَدْ يَنْبُتُ اللَّيْثُ وَالْخِنْزِيرُ فِي الْغَابِ (١)

مُحَمَّدٌ تَائِهٌ مِنْ فَرْطِ جِنَّتِهِ ... مِفْتَاحُ عِيٍّ لِقَوْمٍ أَهْلِ أَحْسَابِ (٢) ٩٤

قَدْ كَانَ سبنى مِنْ جُبْنِهِ أَسَدًا ... عَلَى الْمُهَلَّبِ صَفَّايَا بِأَنْيَابِ (٣)

أُفٍّ لَهُ وَالِيًا مَا كَانَ أَحْمَقَهُ ... يَوْمَ اسْتَخَفَّ بِإِخْوَانِي وَأَصْحَابِي

لَا نبوتى رُشْدَهُ إِلَّا تَخَوُّنَهُ ... غَمْدًا لِأَيْرِ غَوِيٍّ بَاتَ مِنْجَابِ (٤)

يُحِبُّ أَزْوَاجَ مِنْجَابٍ وَيُكْرِمُهُمْ ... وَلَا يُجَاوِرُهُمْ بَابًا إِلَى بَابِ

كَأَنَّهُ ضَمِنٌ مِنْ دَاءِ صَاحِبِهِ ... وَمُشْتَهٍ بَعْضَ مَا يَأْبَى مِنَ الْعَابِ (٥)

قُلْ لِلضَّغِيطِ أَبِي حَرْبٍ مُجَاهَرَةً ... قَوْلَ امْرِئٍ مُغْرِبٍ بِالذَّمِّ أَغْرَابِ (٦)

(*) وقال يهجو منجابا .

الظاهر أنه قصد هجاء منجاب بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة وهجاء أخيه محمد ، وهو الذي عناه بأبي حرب ، لأن محمد بن أبي عيينة له ولد اسمه حرب ، ولذا ترى بشاراً يقول : لاتحمدنّ أبا حرب بأسرته ... البيت ، أي لا تغتر فتظنه في الشرف مثل أسرته ، وهم آل المهلب ، ولما هجا منجابا أخاه أفحش في الهجاء على عادته .

والقصيدة من بحر البسيط عروضها مخبونة وضربها كذلك [قلنا : ضربها مقطوع لامخبون] .

(١) قوله « بأسرته » الباء للسببية ، أي لا تجعل سبب حمدك إياه أسرته ، فإن الأسرة أو البيت قد تجمع العظيم والخسيس . كما تجمع الغاب الليث والخنزير .

(٢) كتب « عى » بالعين المهملة فيكون بكسرها ، ولعله « غى » بالغين المعجمة المفتوحة .

(٣) كتب في الديوان « سبنى » ، ولعل صوابه « يحسبنى » .

[قلنا : لم يستبن لنا معنى « صفايا » فلعلها محرفة عن « ضغاما » وفي اللغة : ضغمه : عضه بملء فمه ، ومنه ما في الأساس : « ضغمه ضغمة الأسد » . ويؤيد ذلك ذكر الأسد في البيت] .

(٤) لم يظهر معنى الكلمتين الأوليين من البيت ، والتخون : التفقد .

[قلنا : ربما كانت صحة البيت هكذا :

لَا يَنْتَوِي رُشْدَهُ إِلَّا تَخَوُّنَهُ ... غِمْدٌ لِأَيْرٍ . . . .

تخونه : غيّره عن حاله ، وهكذا ضبطت في المخطوطة] .

(٥) « كأنه صمن » كتب في الديوان بالصاد المهملة ، ولا معنى له والظاهر أنه « ضمن » بالضاد المعجمة ، أي مريض . وقوله « من داء صاحبه » « من » فيه للابتداء ، أي أعداه داء صاحبه .

(٦) « أغراب » هكذا في الديوان ، فإذا لم يكن تحريفاً فهو بفتح الهمزة وصف على وزن أفعال بمعنى مفعل ، كقولهم : ثوب أسمال ونطفة أمشاج وبُرمة أعشار وحبل أنكاث ، وأصل هذا البناء بناء =

إنْ كُنْتَ جانَبْتَ مَهْدِيًّا فإنَّ لنَا ... فما بالُنا نَخْفَى عَلَى النّابِ (١)
يَسْعَى بِنَا زَوْجُ مِنْجابٍ فَنُعْتِبُهُ ... وَلا يَهُمُّ لَنَا يَوْمًا بإعْتابِ
قالَ الحَمِيرُ بِمِنْجابٍ وَسَوْءَتِهِ ... لمَا رأى دأْبِي سِرًّا وإذْ آبِي :
إذا طَلَبْتَ إلى المِنْجابِ نافِلَةً ... فاطْلُبْ بِأيْرِكَ لا تَطْلُبْ بِكَرّابِ (٢)
وَقائِلٍ في الغَوانِي جُلُّ حاجَتِهِ ... يَلْقَى مِنْ شَوْقٍ وأتْعابِ : (٣)
يا لَيْتَ جُرْدانَ مِنْجابٍ وَخُصْيَتَهُ ... كانَا حِرًا فاشْتَفَيْنا مِنْ حِرٍ رابِ (٤)
فَخْمٌ غَلِيظٌ يُطِيفُ المُنْعِظُونَ بِهِ ... إذا تَجَمَّرَ مِنْ حادٍ وَمُنْتابِ
نِعْمَ الشَّفِيعُ أَسْتُ مِنْجابٍ إذا غُسِلَتْ
لِمُنْعِظٍ غَيْرَ مُعْتَلٍّ وَلا آبِ

وقال أيضاً (*) :

كَثُرَ الحَمِيرُ وَقَدْ أرَى فِي صُحْبَتِي ... مِنْهُنَّ أقْمَرَ مُنْعِجًا بالرّاكِبِ (٥)
يَعْدُو فَيَفْضُرِطُ مِنْ نَشاطٍ عارِمٍ ... سَبْعِينَ أوْ مِائَةً حِسابَ الحاسِبِ
وَإذا تَمَرَّغَ عِنْدَ ألْفًا كامِلاً ... يَدَعُ المَراغَةَ مِثْلَ أُنْسِ الذّاهِبِ

= جموع ، وجاءت منه أوصاف وهى سماعية ، ومنه أسماء أماكن : مثل أبواء وأنبار ، قالوا : وأكثر وروده فى أسماء الأمكنة لكثرة الشذوذ فيها .

[قلنا : لعل صواب الكلمة « إغرابى » (بكسرة الهمزة وإثبات ياء المتكلم فى الآخر) والإعراب : مصدر من قوله « مغرب » ، وإذا قرئ « معرب » بالعين المهملة كان « إعرابى » بالعين المهملة أيضاً . والضغيط : الضعيف الرأى والهمة] .

(١) موضع الكلمة الأولى فى المصراع الثانى بياض [قلنا : ويصلح فى موضعه « نوراً » أو « ناراً » أو « نابًا »] و « الناب » كتب هكذا ، ولعل صوابه النابى ، أى البعيد .

(٢) [لا تطلب بكراب : لا تطلب بأحد] .

(٣) بياض فى موضع الكلمة الثانية من المصراع الثانى .
[قلنا : لعل فى موضع البياض « الأمرين » أو نحوه] .

(٤) الجردان (بضم الجيم) قضيب الأنعام من ذوات الحافر وغيرها .

(*) وقال أيضاً فى ذم أصحابه وتشبيههم بالحمير . وهى من الكامل .

(٥) الأقمر من الحمير الأبيض بكدرة .

أَشِرٌ بِبِطْنَتِهِ يُدَامِــجُ مَنْ دَنَا ... ضَخْمُ المَقَدِّ شَدِيدُ شَغْبِ الشَّاغِبِ (١)

يَلْقَاكَ إِنْ لَقِيَ الْلِجَامَ بِسُخْرَةٍ ... يَكْفِيكَ مِنْ حُزَمِ الأَجِيرِ الْحَاطِبِ

إِنْ قَامَ يُسْرِجُهُ الغُلَامُ زَجَرْتَهُ ... لِزِيَادَةٍ مِنْهُ وَحَقٍّ وَاجِبِ

خَلَّيْتُ مَرْكَبَهُ وَرُحْتُ لِحَاجَتِي ... مَشْيًا يُكَلِّفُنِي لُغُوبَ اللَّاغِبِ (٢)

وَأَرَى الصَّحَابَةَ شِيعَتَيْنِ : فَمِنْهُمَا ... أُنُسٌ وَبَعْضُهُمُ غُبُورَةُ حَالِبِ (٣)

وَلَقَدْ مَشَيْتُ عَنِ الْحِمَارِ تَكَرُّمًا ... وَالْمَشْيُ أَكْرَمُ مِنْ رُكُوبِ الصَّاحِبِ ! (٤)

٩٥ وقال أيضاً وهو مما أفحش فيه (*) :

عَجِلُ الرُّكُوبِ إِذَا اعْتَرَتْهُ نَافِضٌ ... فَإِذَا أَفَاقَ فَلَيْسَ بِالرَّكَّابِ (٥)

---

(١) [قلنا : فى المخطوطة « يرامح » (بالراء والحاء) ، وفى نسخة الشارح « يدامج » (بالدال والجيم ، والظاهر عندنا صواب « يرامح » التى فى المخطوطة ، فيكون بشار قد استعمل المفاعلة من قولهم : « رمحه الحمار » إذا رفسه ، ومنه قولهم : أبرأ إليك من الجماح والرماح ، وهذا المعنى هو المناسب لمقام القصيدة ، ويجوز أن تكون المرامحة هنا مستعارة من المراحة بالرمح ، وهى المطاعنة به ، وأما قوله « المقد » فلعله « المقذ » (بالذال المعجمة) وهو منتهى شعر الرأس عند القفا ، وضخامته ورائحته مما يذكر فى معرض الهجاء ، يقال « إنه لئيم المقذين » وهما ما خلف الأذنين] .

(٢) [كان فى المخطوطة « لعوب اللاعب » بالعين المهملة فيهما ، فأصلحهما الشارح بالغين فيهما ، واللغوب : التعب والإعياء] .

(٣) « غبورة حالب » كذا ، وأراد بقية ما فى الضرع من اللبن ، ولم أعثر على هـذه الصيغة فى العربية ، وإنما المعروف غُبّر وغُبْر بمعنى البقية .

(٤) قوله «عن الحمار» متعلق بقوله « تكرما » وقوله «من ركوب الصاحب» هو محل الهجاء ، إذ جعل المركوب من الحمير معدوداً واحداً من أصحابه .

(*) (وقال وهو مما أفحش فيه) ، وقد ذكر أبو الفرج أن سبب هذه الأبيات أن النساء [المتظرفات] كن يجتمعن عند بشار ويسمعن من شعره ، فسمع كلام امرأة منهن ، فعلقها وراسلها يسألها أن تواصله ، فقالت لرسوله : وأى معنى فيك لى أو لك فىّ وأنت أعمى لا ترانى فتعرف حسنى وأنت قبيح الوجه فلاحظ لى فيك ؟ وجعلت تهزأ به ، فأدى الرسول الرسالة ، فقال : عد إليها فقل لها الأبيات . وفى الأغانى زيادة بيتين على ما هنا ذكرناهما فى الملحقات . وهذه الأبيات من بحر الكامل .

[أول هذه الأبيات فى الأغانى :

أيرى له فضــل على آبارهم ... وإذا أشظ سجدان غير أوابى

[أشظ : أنعظ . أواب : ممتنعات] .

(٥) [فى ثمار القلوب (ص ١٧٩) ومحاضرات الأدباء (ج ٢ ص ١١٧) : « إذا اعتراه نافض » وجاء فى هامش ثمار القلوب : « نافض : محرك »] .

وَتَرَاهُ بَعْدَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ قَائِمًا مِثْـلَ الْمُؤَذِّنِ شَكَّ يَوْمَ سَحَابِ[١]
يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ عِنْدَ مُرَاسِـلٍ وَيَكَادُ يَخْلَعُ جِلْدَةِ الْكُمَّابِ[٢]

وقال أيضاً(*) :

أَخِي أَنْتَ النَّصِيحُ فَلاَ تَلُمْنِي فَمَا دُونِي مِنَ النُّصَحَاءِ نَابُ[٣]
وَلٰكِنْ غِبْتُ فِي بَلَدٍ بَعِيـدٍ وَبَعْدَ الْجَهْـدِ مَا كَانَ الْإِيَابُ
فَلَمَّـا جِئْتُ رَوَّعَنِي غَـرِيمٌ يُحَاوِلُ مَا كَرِهْتُ وَلاَ يُهَابُ
أَخَافُ غُدُوَّهُ يَمْشِي بِصَـكٍّ كَحَرِّ النَّارِ لَيْسَ لَهُ انْقِلاَبُ[٤]
فَرُغْتُ وَأَنْتَ مِنْ هَمِّي وَبَالِي وَمَا كُلُّ الرَّوَاغِ لَهُ عِقَابُ[٥]
فَلاَ تَعْجَـلْ بِلَوْمِ أَخٍ تَمَطَّى عَلَيْـهِ الْخَوْفُ وَالزَّمَنُ الْعُجَابُ[٦]
وَكُنْتَ تَزُورُنِي دَهْـراً طَوِيلاً وَلاَ سِـتْرٌ عَلَيَّ وَلاَ حِجَابُ
فَهٰذَا خِبْئَتِي وَدَخِيـلُ أَمْرِي كَمَا أَخْبَرْتَ لَيْسَ لَهُ مَعَابُ[٧]
سِوَى شَـوْقٍ أَظَلَّ أَظَلَّ مِنْهُ عَلَى طَرَبٍ وَأَضْعَفَـهُ الْكِتَابُ

---

(١) [رواية البيت فى الأغانى :
تلقاه بعـد ثلاث عشرة قائماً فعل المؤذن .... الخ]

(٢) الصعداء بضم الصاد التنفس القوى من إعياء ونحوه ، والمراسل بضم الميم المرأة التى تراسل من يخاطبها .

[قلنا : فى المخطوطة «جلده» بالهاء ، وجعلها الشارح فى نسخته بتاء منقوطة ، ولعل الألف الأولى فى « الـكماب » زيادة ناسخ ، والعين غير مشددة ، فتكون الجملة هكذا « يخلع جِلْدَهُ لِكَعَاب » أى يكاد يخرج من إهابه نشاطاً إذا رأى فتاة نهد ثديها] .

(*) وقال أيضاً :
فى الاعتذار عن التخلف عن صديقه خشية لقاء غريمه . وهى من بحر الوافر .

(٣) لم يظهر معنى « ناب » هنا ، فلعله تحريف ، وصوابه « باب » والمعنى أن لا حائل بينى وبين أحبابى .

(٤) [قلنا : لعل المراد بالصك — هنا — شدة حر الهاجرة] .

(٥) [رغت : ملت عن اتجاهه وحدت عن مسلكه ، والمراد بقوله « وأنت من همى وبالى » : والحال أنك تشغل فكرى وبالى لأنى أريدك ولا أريد ذلك الغريم الذى لا يكفيه الرواغ عقابا] .

(٦) [تمطى : طال].

(٧) كتب فى نسخة الديوان « فهذى حبتى » وقد أصلحناه « خبئتى » .

وقال أيضاً(*) :

أَبَا مَالِكٍ طَالَ النَّهَارُ ، وَطُولُهُ … إِذَا مَا الْهَوَى بِالنَّفْسِ دَاءٌ يُصِيبُهَا(١)
أَرَى حَاجَتِى عِنْدَ الأَمِيرِ مَرِيضَةً … فَهَلاَّ تُدَاوِيهَا وَأَنْتَ طَبِيبُهَا !

وقال أيضاً(*) :

هَلْ مِنْ رَسُولٍ مُخْبِرٍ … عَنِّى جَمِيعَ الْعَرَبِ
مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْهُمُ … وَمَنْ ثَوَى فى التُّرَبِ
بِأَنَّنِى ذُو حَسَبٍ … عَالٍ عَلَى ذِى الْحَسَبِ
جَدِّى الَّذِى أَسْمُو بِهِ … كِسْرَى ، وَسَاسَانُ أَبِى
وَقَيْصَرٌ خَالِى إِذَا … عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِى
كَمْ لِى وَكَمْ لِى مِنْ أَبٍ … بِتَاجِهِ مُعْتَصِبِ(٢)
أَشْوَسَ فى مَجْلِسِهِ … يُجْثَى لَهُ بِالرُّكَبِ(٣)
يَغْدُو إِلَى مَجْلِسِهِ … فى الْجَوْهَرِ الْمُلْتَهِبِ ٩٦
مُسْتَفْضِلٌ فى فَنَكٍ … وَقَائِمٌ فى الْحُجُبِ(٤)

(*) وقال أيضاً :
يخاطب أبا مالك أحد وسطائه عند بعض الأمراء . والبيتان من الطويل .

(١) [قلنا : فى المخطوطة : « ملك » بدلا من « مالك » التى فى نسخة الشارح . « طوله » مبتدأ ، والخبر « داء » أو « يصيبها »] .

(*) وقال أيضاً :
يفتخر بالفرس ويذكر نصرهم لبنى العباس وظهور الدعوة العباسية من بلخ وخراسان ، إلا أنه ستر شعوبيته فيها بأن افتخر بأن قومه الفرس نصروا آل النبى صلى الله عليه وسلم ، أى نصروا العباسيين . وهى من مجزوء الرجز .

(٢) [معتصب : متتوج]

(٣) [الأشوس : الشديد الجرىء فى القتال ، والجثى : الجلوس على الركب] .

(٤) الفنك (بفتح الفاء وفتح النون) : اسم دويبة يتخذ من جلدها فرو كالسمور ، يوجد فى البلاد الباردة من أوروبا وآسيا ، ويقال إن فروته أطيب أنواع الفراء يلبسها الملوك والسادة ، وكان من لباس الخلفاء من بنى أمية قباء فنك ، ويطلق اسم هذه الدابة على جلدها كما أطلقه بشار هنا .

يَسْعَى الْهَبَانِيقُ لَهُ ... بِآنِيَاتِ الذَّهَبِ (١)
لَمْ يُسْقَ أَقْطَابَ سِقًى ... يَشْرَبُهَا فِى الْعُلَبِ (٢)
وَلاَ حَدَا قَطُّ أَبِى ... خَلْفَ بَعِيرٍ جَرِبِ
وَلاَ أَتَى حَنْظَلَةً ... يَنْقُبُهَا مِنْ سَغَبِ (٣)
وَلاَ أَتَى عُرْفُطَةً ... يَخْبِطُهَا بِالْخَشَبِ (٤)
وَلاَ شَوَيْنَا وَرَلاً ... مُنَضْنِضًا بِالذَّنَبِ (٥)
وَلاَ تَقَصَّعْتُ وَلاَ ... أَكَلْتُ ضَبَّ الْحِزَبِ (٦)
وَلاَ اصْطَلَى قَطُّ أَبِى ... مُفَحِّجًا لِلَّهَبِ (٧)
وَلَمْ بايد نميا ... وَلاَ هَوِى لِلنُّصُبِ (٨)
كَلاَّ وَلاَ كَانَ أَبِى ... يَرْكَبُ شَرْجَىْ قَتَبِ (٩)
إِنَّا مُلُوكٌ لَمْ نَزَلْ ... فِى سَالِفَاتِ الْحِقَبِ
نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ ... بَلْخٍ بِغَيْرِ الْكَذِبِ (١٠)

---

(١) الهبانيق : جمع هبنق (بضم فسكون) [أو جمع « هبنوق » أو « هبنيق »] وهو الوصيف .

(٢) الأقطاب : جمع قطيب ، وهو الشراب الممزوج ، يقال : قطب الشراب : مزجه ، وقوله سِقى (بكسر السين) هو جمع سقية ، فلعله أراد بالسقية اسم ما يسقى ، والعُلب : جمع علبة ، وهى القدح من الجلد يشرب فيها أوساط العرب لأنها لا تتكسر ، قال الشاعر :

لم تتلفع بفضل مئزرها ... دعد ولم تسق دعد فى العلب

(٣) الحنظل : ثمر شجر من شجر العضاه يأكلونه فى المجاعة .

(٤) العرفط : نبت ترعاه النحل فيكون فى عسلها رائحة غير محمودة ، وفى حديث الإيلاء قالت عائشة : جرست نحله العرفط .

(٥) الورل : دويبة مثل الضب ، ومنضنض متحرك بذنبه ، صفة لورل .

(٦) التقصع : احتراش الضب من نقب جحره المسمى القاصعاء ، والحزب (بكسر الحاء وفتح الزاى) : اسم جمع حزباءة أو حزب ، وهى الأرض الغليظة .

(٧) [مفحجا : مفرقا رجليه] .

(٨) المصراع الأول لم يظهر مراده .

(٩) الشرج (بفتح الشين المعجمة) القطعة التى تشرج بأخرى وكل ما ضم بعضه إلى بعض فقد شرج .

(١٠) أشار الى خروج جيش الدعوة العباسية ومجيئه بلاد الشام ثم إلى مصر يقفو أثر مروان بن محمد آخر خلفاء الأموية ، وذلك أن الدعوة العباسية ابتدئت فى سنة ١٠٠ لأن عبد الله بن محمد بن الحنفية كان =

حَتّىٰ سَــقَيْنَاهَا وَمَا نَبْدَهُ نَهْرَىْ حَلَبِ[1]
حَتّىٰ إِذَا مَادَوَّخَتْ بِالشَّامِ أَرْضَ الصُّلُبِ
سِرْنَا إِلَى مِصْرَ بِهَا فِى جَحْفَلٍ ذِى لَجَبِ
حَتّىٰ اسْتَحَلْنَا مُلْكَهَا بِمُلْكِنَا الْمُسْــتَلَبِ
وَجَادَتْ الْخَيْــلُ بِنَا طَنجَةَ ذَاتَ الْعَجَبِ[2]
حَتّىٰ رَدَدْنَا الْمُلْكَ فِى أَهْلِ النَّبِىِّ الْعَــرَبِى
يَهْزَ أَبَا الْفَضْــلِ بِهَا أَوْلَى قُرَيْشٍ بِالنَّــبِى[3]
مَنْ ذَا الَّذِى عَادَى الْهُدَى وَالدِّينَ لَمْ يُسْتَلَبِ ؟
وَمَنْ وَمَنْ عَانَدَهُ أَوْ جَارَ لَمْ يُذْهَبِ ؟

= فى سنة ٩٨ أوصى شيعته من أهل خراسان والعراق إن مات يقصدون محمد بن على بن عبدالله بن عباس بالبلقاء من بلاد الشام ، فلما مات بايعوا محمد بن على وعادوا إلى أوطانهم ، ودعوا الناس إلى بيعته فأجابوهم ، وسير محمد بن على سنة مائة جماعة إلى العراق وخراسان وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، وفى سنة اثنتين ومائة ظهرت الدعوة العباسية بخراسان على أيدى جماعة من العراق جاءوا خراسان فى أزياء تجار ، ثم قويت الدعوة سنة ١٠٩ بخراسان على يد رجل من أهل بلخ ، وفى سنة ١١٨ اتخذت مدينة بلخ دار إمارة خراسان ، ونقلت إليها الدواوين ، وذلك فى إمارة أسد بن عبد الله القسرى ، ولمـــا كان خروج جيش أبى مسلم من المضربة بدعوة العباسيين من خراسان وكانت بلخ دار إمارة خراسان قال بشار : نحن جلبنا الخيل من بلخ ... البيت .

(١) أى حتى بلغنا حلب ، وهى أول بلاد الشام ، فكنى عن وصولها بشرب الخيل من ماء نهرها ، كقول المعرى فى رواحل سفره :

ولو وضَعَتْ فى دجلة الهامَ لم تُفق من السكرع إلا والقلوب خوال

كنى عن وصول بغداد بوضع الإبل رؤوسها فى دجلة تشرب منها . وقوله « وما نبده » جملة معترضة ، أى وما يفاجئنا العدو ، أى كان الأعداء مستعصمين بجهاتهم ، فالوجه ضبطه بضم النون ، وكتب « نهرى حلب » ولعله تحريف ، إذ ليس بحلب إلا نهر واحد وهو نهر قويق (بقافين) وهو الذى قال فيه المعرى :

تمنت قُوَيقًا والصراة أمامها تراب لها من أينق وجمال

(٢) « طنجة » موضع ، يحتمل أنه بياء بعد طاء ثم خاء ، ولم أعرفه ، ويحتمل أنه بنون ثم جيم ، وهو اسم بلد بالمغرب الأقصى ، ولا يصلح لكونه مراد بشار ، واسم متنزه بمصر يظهر أنه مراد بشار ، أى ذات العجب بمحاسنها ، كما قالوا إن شعب بوّان من عجائب العالم .

(٣) لم يتضح المراد من الكلمة الأولى و «أبو الفضل» كنية العباس بن عبد المطلب ، فلعل الكلمة الأولى محرفة عن « فاهنأ » أو « يهنأ » .

نَغْضَبُ لِلّٰهِ وَلِلْإِسْلَامِ أَسْرَى الْغَضَبِ (١)
أَنَا ابْنُ فَرْعَىْ فَارِسٍ عَنْهَا الْمُحَامِي الْعَصَبِ (٢)
نَحْنُ ذَوُو التِّيجَانِ وَالْمُلْكِ الْأَشَمِّ الْأَغْلَبِ

٩٧ وقال أيضاً (*) :

أَرْسَلَتْ خُلَّتِي مِنَ الدَّمْعِ غَرْبَا ثُمَّ قَالَتْ: صَبَوْتَ بَلْ كُنْتَ صَبَّا (٣)
قُلْتُ : كَلَّا لَا بَلْ صَفَا لَكِ حَتَّى زَادَكِ اللّٰهُ يَا عُبَيْدَةُ حُبَّا
مَا تَعَرَّضْتُ لِلْكَوَانِسِ فِي السِّتْرِ وَلَا الْعَارِضَاتِ سِرْبًا فَسِرْبَا (٤)
أَنْتِ كَدَّرْتِ شِرْبَهُنَّ فَأَصْبَحْــنَ غِضَابًا عَلَيَّ يَذْمُمْنَ شُرْبَا (٥)
وَتَلَافَيْتِنِي بِذَلِكَ عَنْهُنَّ وَأُنْسٍ يَصُبُّ لِلْحُبِّ صَبَّا (٦)
فَلَهُنَّ الطَّلَاقُ مِنِّي ، وَمِنِّي لَكِ طُولُ الصَّفَاءِ وَالْوُدُّ عَذْبَا
فَاطْمَئِنِّي مَلَكْتِ نَفْسِي وَقَلْبِي وَهُمُومِي فَمَا يُجَاوِزْنَ وَصْبَا (٧)

---

(١) [قلنا : لعل « أسرى الغضب » محرفة عن « أشرى الغضب » (بالشين المعجمة) أى : أعظم الغضب وأكثره تفاقما واستطارة] .

(٢) [قلنا : الظاهر أن « العصب » مضاف إليه وليس وصفاً لـ « المحامى » ، لأن « المحامى » ليس مجروراً ، وإذا كان « العصب » مضافاً إليه جاز أن يضبط بفتح العين والصاد أو بضم العين وفتح الصاد ... وضبطها الشارح بفتح العين وكسر الصاد] .

(*) وقال أيضاً فى عبدة ، والقصيدة من بحر الخفيف .

(٣) « ثم قالت » أى معاتبة ، بقرينة قوله : أرسلت من الدمع غرباً ، وقولها « صبوت » أى ملت إلى أخرى « بل كنت صبا » إليها قديما .

(٤) أى ما تعرضت للنساء فى خدورهن ولا فى الطرق ، فشبه الفريقين بالظباء فى الكناس والظباء المتعرضات .

(٥) شبه امتلاكها لقلبه بالحب حتى لم يبق فيه ميل إلى امرأة أخرى بتكدير الظبية غديراً يشرب منه الظباء ، حتى لم يبق لهن مساغ للشرب منه . وذلك بناء على تشبيههن بالظباء فى البيت قبله ، ويجوز فى قوله « شربا » كسر الشين وضمها .

(٦) قوله « وأنس » بالجر عطف على الضمير المجرور بـ « عن » .

(٧) [قلنا : لعله يعنى بالوصب نفسه ، والمراد أن هموم حبه لا تفارقه ولا تجاوزه ، و « الوصب » (بسكون الصاد) مخفف « الوصب » بكسر الصاد : المريض الدائم الوجع الناحل الجسم] .

لَا تَخَافِي عَلَى مَكَانِكِ عِندِي   عَوْضُ مَاهَلَّلَ الْحَجِيجُ وَلَبَّى(١)

إِنَّ قَلْبِي مَلْآنُ مِنْ حُبِّكِ الْمَحْـ   ـضِ تَخَشَّى مِنْ حُبِّ ثِنْتَيْنِ حَسْبَا

ضِقْتُ عَنْ كُرْبَةِ الْعِتَابِ فَحَسْبِي   لَا تَزِيدِي حَبِيبَ نَفْسِكِ كَرْبَا

وَيْحَ نَفْسِي ، أَكُلَّمَا دَبَّ وَاشٍ   بِحَدِيثٍ وَثَبْتِ لِلْهَجْرِ وَثْبَا ؟

مَا كَذَا يَصْنَعُ الْمُحِبُّ فَقِرِّى   أَيُّ مِنَّا مَنْ لَا يُقَارِفُ ذَنْبَا(٢)

لَمْ يَكُنْ لِي رَبٌّ سِوَى اللهِ يَاعَبْدَ   فَمَا لِي اتَّخَذْتُ وَجْهَكِ رَبَّا

إِنَّنِي وَاهِبٌ لِوَجْهِكِ نَفْسِي   فَاقْبَلِي مَاوَهَبْتُ نَفْسًا وَقَلْبَا

وَلَقَدْ قُلْتُ لِلَّذِي لَامَنِي فِيـ   ـكِ جِهَارًا وَمَا تَقَنَّعْتُ خَبَّا(٣)

رُحْتُ صَلْبًا وَلَوْشَرِبْتَ مِنَ الْحُبِّ   بِكَأْسِي لَمَا تَرَوَّحْتَ صُلْبَا(٤)

فَاتْرُكِ اللَّوْمَ فِي عُبَيْدَةَ إِنِّي   تَارِكٌ مَنْ يَلُومُ فِي تِلْكَ جَنْبَا

حَدَّثَتْنِي الْعُيُونُ عَنْهَا فَحَالَفْـ   ـتُ الْمُصَلَّى أَدْعُو إِلٰهِي مُكِبَّا

كَدُعَاءِ الْمَكْرُوبِ فِي لُجَّةِ الْبَحْـ   ـرِ يُنَادِي الرَّحْمٰنَ رَغْبًا وَرَهْبَا(٥)

فَاسْتَجَابَ الدُّعَاءَ وَاسْتَوْجَبَ الشُّكْـ

ـرَ إِلٰهٌ قَرِيبٌ ازْدَادَ قُـــرْبَا(٦)

---

(١) « عَوْض » ظرف لاستغراق المستقبل ، يجوز فى آخره الفتح والكسر والضم بدون تنوين ، وحركاته حركات بناء .

(٢) يجوز فى مضارع « قرّ » بمعنى سكن كسر القاف على القياس وفتحها .

(٣) أراد بنفى التقنع هنا نفى ملابسه الخداع فى جوابه لمن لامه ، كقوله تعالى : ولباس التقوى ذلك خير . وكقول أبى تمام :

أألبس هُجْر القول من لو هجوته   إذنْ لهجانى عنه معروفه عنـدى

والخب (بفتح الخاء وكسرها) : الخداع .

(٤) تاء رحت وشربت وتروحت كلها تاءات خطاب مفتوحات ، وهى من قوله للائمة ، وضبطها فى الديوان بالضم وهو خطأ ، و « تروحت » كتب بزاى وجيم ، وهو خطأ ، والصواب أنه بحاء مهملة وراء .

(٥) « المكروب » هو نوح عليه السلام ، وأشار إلى قوله تعالى : ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم . أو أراد يونس .

(٦) [قلنا : هذا البيت ينظر إلى قوله تعالى : « ... ولعلكم تشكرون ، وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »] .

كَانَ مَا كَانَ بِى مِنَ الْوَصْفِ عَنْهَا ثُمَّ عَايَنْتُ ذَاكَ فَازْدَدْتُ عُجْبًا[١]
هِيَ رُودُ الشَّبَابِ فَاتِرَةُ الطَّرْ فِ تَدَرَّى مِثْلَ الْعَرِيشِ اسْلَحَبَّا[٢]
عَقِبُ الْمَنْكِبَيْنِ عَنْ مَسْبَحِ الْقُرْ بِ بَرُودُ الْأَنْيَاتِ يَرْقُنَ شَنْبَا[٣]
يَشْبَعُ الْحَجْلُ وَالدَّمَالِيجُ وَالسُّو رُ بِجَمٍّ يَلْبِسْنَ بِالْعَيْنِ طِبَّا[٤]
وَثِقَالُ الْأَرْدَافِ مَهْضُومَةُ الْكَشْـ ـحِ كَغُصْنِ الرَّيْحَانِ يَهْتَزُّ رَطْبَا[٥]
إِنْ أُمَتَّعْ بِهَا فَيَا نِعْمَةَ اللَّـ ـهِ! وَإِنْ يَنْخَرِمْ فَوَيْلِي مُحِبَّا![٦] ٩٨

(١) قوله من الوصف « من » ابتدائية ، أى حصل ما حصل بمجرد وصفها لى فلما عاينتها ازددت ، وقد نسى فى هذا البيت أنه أعمى ، أو أنه أرد بالمعاينة مباشرة حديثها .

(٢) تدرت المرأة تدرى : سرحت شعرها ، لحذف إحدى التاءين ، و « مثل العريش » أى شعراً مثل العريش ، واسلحب : استقام .

(٣) لم يتضح معنى المصراع الأول .

(٤) الحجل (بكسر الحاء وفتحها وبسكون الجيم) : الخلخال ، والدماليج : جمع دملج (بضم الدال وضم اللام) كالخلخال يلبس فى العضد . والسور: جمع سوار ، وهو ما يلبس على الرسغ ، والشبع استعارة لعدم الاتساع . أى لكون هذه الحلى ملأى بلحم رجليها وعضديها ورسغيها . والجم : الكثير ، أراد اللحم : وقوله « يلبسن » بفتح الياء ، ويلزم أن يكون بكسر الباء مضارع لبس إذا خلط وأوهم ، أى يخلطن فى عين الناظر ، والطب السحر (تقدم فى البيت ١٠ من الورقة ٣٢) .

(٥) [مهضومة : لطيفة دقيقة] .

(٦) « ينحرم » التفات من التكلم إلى الغيبة ، ولا نكتة له ، ولعل الصواب « أنحرم » وقوله « محبا » تميز لما تضمنه قوله « فويلى » من التعجب ، كقولهم : لله درك عالما !

[قلنا : لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا « انحرم ينحرم » ، فلعل ينحرم محرف عن « ينخرم » بالخاء المعجمة ، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى التمتيع المفهوم من قوله « أمتع » ، ومعنى «ينخرم التمتيع»: يذهب وينقضى ، وبذلك لا يكون هنا الالتفات الذى لا نكتة له] .

فهرس

الجزء الأول من ديوان بشار

صفحة

قافية الهمزة

قافية الألف

قافية الباء